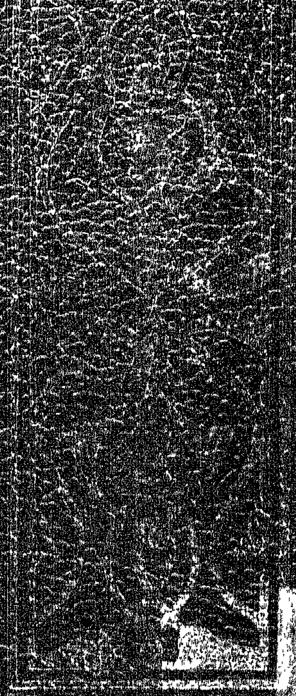
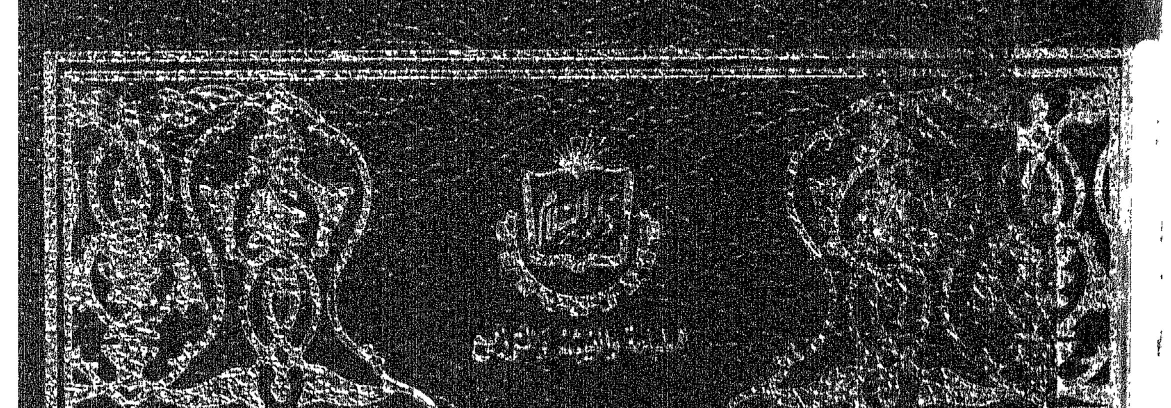






فهـرس القسم الأول

فهرس القسم الأول

فهـرس القسـم الأول

فهرس القسم الأول

فهرس القسم الأول

فهـرس القسم الثـاني

فهرس القسم الثاني

الموضوع	الصفحة

فهـرس القسـم الثاني

فهرس القسم الثاني

فهرس القسم الثاني

فهرس القسم الثاني

فهرس القسم الثاني

فهرس القسم الثاني

فهـرس القسـم الثاني



فهرس (القسم الثالث)

الموضــوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضــوع	الصفحة

الموضـوع	الصفحة

الموضـوع	الصفحة

الموضــوع	الصفحة
ثالثا ـ **التحذير من اللهــو المحرم**	٩١٧
اصناف اللهــو المحرم :	
١ ـ اللعب بالنرد	٩١٧
٢ ـ الاستماع الى الغناء والموسيقى	٩١٨
٣ ـ رؤية السينما والمسرح والتلفزيون	٩٢٣
● حكم الاسلام فيهـا ..	٩٢٤
● مخططات اليهود في إفساد المجتمعات	٩٢٥
● هل يجوز دخول السينما والمسرح ..؟	٩٢٦
● هل يجوز شراء التلفزيون ؟	٩٢٩
٤ ـ **اللعب بالميسر**	٩٣٠
● دليل التحريم وحكمته	٩٣٠
● الوان من القمار المحرم	٩٣٢
● **الوان شرعها الاسلام من اللهو الحلال :**	٩٣٤
آ ـ مسابقة العـدو	٩٣٥
ب ـ المصارعــة	٩٣٥
ج ـ اللعب بالسهـام	٩٣٦
د ـ اللعب بالحراب	٩٣٧
هـ ـ العاب الفروسية	٩٣٧
و ـ الصيـد	٩٣٨
ز ـ اللعب بالشطرنج	٩٤٠
رابعاً ـ **التحذير من التقليد الأعمى**	٩٤١
● اخطار التقليد	٩٤١
● النصوص التي تنهى عن التقليـد	٩٤٤
● من مظاهر التقليد في نسائنا	٩٤٥
● من مظاهر التقليد في شبابنـا	٩٤٥
خامساً ـ **التحذير من رفقة السوء**	٩٤٧

الموضـــوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضـوع	الصفحة

الموضـوع	الصفحة

الموضـــوع	الصفحة

★ ★ ★

قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ :

«إِنَّ اللّٰهَ سَائِلٌ كُلَّ رَاعٍ عَمَّا اسْتَرْعَاهُ حَفِظَ أَمْ ضَيَّعَ»

الطبعة الأولى ١٣٩٦ هـ ـ ١٩٧٦ م
الطبعة الثانية ١٣٩٨ هـ ـ ١٩٧٨ م
الطبعة الثالثة ١٤٠١ هـ ـ ١٩٨١ م
الطبعة الثالثة المزيدة
١٤٠١ هـ ـ ١٩٨١ م

دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع

حلب . ص.ب : ١٨٩٣ ـ بيروت . ص.ب : ١٣٥٢٣٧

عبد الله ناصح علوان



تربية الأولاد في الإسلام

الجزء الأول

الناشر
دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع
حلب . ص.ب : ١٨٩٣ — بيروت . ص.ب : ١٣٥٣٣٧

الطبعة الثالثة المزيدة
مصححة — مفهرسة — مزيدة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الأولى

الحمد لله الذي ابان للعباد منهج التربية القويمة في قرآنه المجيد ، واوضح للعالمين مبادىء الخير والهدى والإصلاح في احكام شرعه الحنيف .

والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي بعثه الله للانسانية مؤدباً ومربياً ، وانزل عليه تشريعاً يحقق للبشرية اسمى آيات عزها ومجدها ، واعظم غايات سؤددها ومكانتها ، ورفعتها واستقرارها . وعلى آله واصحابه الطيبين الأطهار ، الذين اعطوا الأجيال المتعاقبة نماذج فريدة في تربية الأبناء وتكوين الأمم . وعلى من نهج نهجهم ، واقتفى اثرهم بإحسان الى يوم الدين ، وبعد :

١ — فمن فضل هذا الاسلام على البشرية أن جاءها بمنهاج شامل قويم فيتربية النفوس ، وتنشئة الأجيال ، وتكوين الأمم ، وبناء الحضارات ، وإرساء قواعد المجد والمدنية .. وما ذاك إلا لتحويل الانسانية التائهة من ظلمات الشرك والجهالة والضلال والفوضى ، الى نور التوحيد والعلم والهدى والاستقرار . وصدق الله العظيم القائل فيمحكم تنزيله : **« قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام، ويخرجهم من الظلمات الى النور بإذنه ، ويهديهم إلى صراط مستقيم »** .
(المائدة : ١٦)

٢ ـ ويكفي شريعة الاسلام فخراً وفضلا أن شهد الخصوم بنمائها واستمرارها، واعترف الأعداء بحيويتها وخلودها ، وإليكم ـ يامن تستهويكم شهادات الغربيين ـ طائفة من أقوالهم ، وطاقة من أريج مدحهم ، وطيب ثنائهم ؛ لتعرفوا ماذا يقول المنصفون من غير المسلمين عن رسالة الاسلام الخالدة، وتعاليمه السامية ؟ :

■ نقل الأستاذ « غوستاف لوبون » عن الأستاذ « ليبري » قوله :
(لو لم يظهر العرب على مسرح التاريخ لتأخرت نهضة اوربة الحديثة عدة قرون) .

■ وقال « لين بول » في كتابه « العرب في إسبانيا » : (فكانت اوربة الأمية تزخر بالجهل والحرمان ، بينما كانت الاندلس تحمل إمامة العلم ، وراية الثقافة في العالم) .

■ وقال « إلياس ابو شبكة » في كتابه « روابط الفكر والروح بين العرب والفرنجة » : (إن زوال الحضارة العربية كان شؤماً على إسبانيا واوربا، فالأندلس لم تعرف السعادة إلا في ظل العرب ، وحالما ذهب العرب حلّ الدمار محل الثراء والجمال والخصب ..) .

■ وقال « سيديلوت » في كتابه « تاريخ العرب » : (كان المسلمون في القرون الوسطى متفردين في العلم والفلسفة والفنون ، وقد نشروها اينما حلت اقدامهم ، وتسربت عنهم إلى أوربة ، فكانوا سبباً لنهضتها وارتقائها) .

■ والكثير من المثقفين يعلمون شهادة الفيلسوف الانكليزي المشهورة « برناردشو » ، اسمعوا إلى ما يقوله بالحرف الواحد :

(لقد كان دين محمد موضع تقدير سام لما ينطوي عليه من حيوية مدهشة،

وإنه الدين الوحيد الذي له ملكة الهضم لأطوار الحياة المختلفة ، واري واجباً ان يدعى محمد منقذ الانسانية ، وإن رجلا كشاكلته إذا تولى زعامة العالم الحديث لنجح في حل مشكلاته ..) .

فهذه الأقوال ، واقوال غيرها ، تعطي لكل ذي فهم وبصيرة البرهان تلو البرهان على ما انطوى عليه نظام الاسلام من قوة دفع حضارية ، ومبادىء تطويرية شاملة ، وتعاليم حيوية خالدة .. والفضل كل الفضل بما اعترف به المنصفون ، وشهد به الأعداء :

شهد الأنام بفضله حتى العدا

والفضل ما شهدت به الأعداء

٣ ــ وإذا كانت الشريعة الاسلامية تتصف بالربانية ، وتتسم بالشمول ، وتختص بالتجدد والاستمرار ، فهل مبادئها الشاملة ، ومعطياتها المتجددة .. فكرة مجردة في الأذهان ، ونظريات مدونة في الكتب ، أم هي متحققة في امة تلمسها الأيدي ، وتراها العيون ؟.

فلنحل الجواب إلى شهيد الاسلام سيد قطب ــ رحمه الله ــ ولنسمع منه ما يقول : « وانتصر محمد بن عبد الله يوم صنع اصحابه ــ عليهم رضوان الله ــ صوراً حية من إيمانه ، تأكل الطعام ، وتمشي في الأسواق ، يوم صاغ من كلٍ منهم قرآناً حياً يدبّ على الأرض ، يوم جعل من كل فرد نموذجاً مجسماً للاسلام ، يراه الناس فيرون الاسلام .

إن النصوص وحدها لاتصنع شيئاً ، وإن المصحف وحده لايعمل حتى يكون رجلا ، وإن المبادىء وحدها لاتعيش إلا ان تكون سلوكاً .

ومن ثمّ جعل محمد ﷺ هدفه الأول ان يصنع رجالا لا ان يلقي مواعظ ،

وان يصوغ ضمائر لا ان يدبّج خطباً ، وان يبني امــة لا ان يقيم فلسفة ؛ امـا الفكرة ذاتها فقد تكفّل بها القــرآن الكريم ، وكان عمل محمد ﷺ أن يحوّل الفكرة المجردة إلى رجال تلمسهم الأيدي ، وتراهم العيون . . .

ولقــد انتصر محمد بن عبد الله ﷺ ، يــوم صــاغ من فكرة الاســلام شخوصاً ، وحوّل إيمانهم بالاسلام عملا ، وطبع من المصحف عشرات من النسخ ثم مئات والوفاً ، ولكنه لم يطبعها بالمداد على صحائف الورق ، إنما طبعهـا بالنور على صحائف من القلوب . واطلقها تعامل الناس وتاخــذ منهم وتعطي ، وتقول بالفعل والعمل ما هو الاسلام الذي جاء به محمد بن عبد الله ﷺ مــن عنــد الله »[1] .

ومن اراد ان يعرف شيئاً عن تربية الرعيــل الاول من صحــابة رســول الله ﷺ ، ومن جاء بعدهم بإحسان ؛ فليستقر التاريخ ليسمع الكثير عن جليل مآثرهم . وكريم فضائلهم . .

فهل عرفت الدنيا انبل منهم واكرم ، او اراف او ارحم ، او اجل او اعظم ، او ارقى او اعلم ؟ !

يكفيهم شرفاً وفخراً وخلوداً ان يقــول القرآن العظيم في حقهــم : **« محمد رسول الله والذين معه اشداء على الكفار رحماء بينهم ، تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلا من الله ورضواناً ، سيماهم في وجوههم من اثرالسجود . . »**

(الفتح : ٢٩)

ويقول : **« كانوا قليلا من الليل ما يهجعون ، وبالاسحار هم يستغفرون ، وفي اموالهم حق للسائل والمحروم »** .

(الذاريات : ١٧)

---

(١) من كتاب « دراسات إسلامية » للشهيد سيد قطب فصل « انتصار محمد بن عبد الله » .

ويقول : « **والذين تبوّؤوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم، ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ، ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة ، ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون** » .

(الحشر : ٩)

ويقول : « **من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ، ومنهم من ينتظر ، وما بدلوا تبديلا** » .

(الاحزاب : ٢٣)

هذا غيض من فيض مما نزل في كريم مآثرهم ، وجميل محامدهم ، وقد تحقق بهم فعلا إقامة المجتمع الفاضل الذي كان حلم المفكرين ، وامنية الفلاسفة منذ القدم ... وكيف لا ، والقاضي يجلس بينهم سنتين ولا يتخاصم إليه اثنان ؟ ولماذا يتخاصمون وبين أيديهم القرآن ؟ ولماذا يختلفون وهم يحبون لإخوانهم ما يحبون لأنفسهم ؟ ولماذا يتباغضون والاسلام يأمرهم بالمحبة والاخاء، ويحضهم على التعاطف والإيثار ؟

وإليكم ما قاله الصحابي الجليل « عبد الله بن مسعود » رضي الله عنه في تعداد محامدهم وفضائلهم ، ووجوب التأسي بأفعالهم الحميدة ، واخلاقهم الكريمة .. : « من كان متأسياً فليتأس بأصحاب رسول الله ﷺ فإنهم كانوا ابر هذه الأمة قلوباً ، واعمقها علماً ، واقلها تكلفاً ، واقومها هدياً ، واحسنها حالا ، اختارهم الله لصحبته نبيه ﷺ ، وإقامة دينه ، فاعرفوا لهم فضلهم ، واتبعوهم في آثارهم ، فانهم كانوا على الهدى المستقيم » .

٤ ــ وظلت الاجيال المسلمة عبر القرون تستقي من معين فضائلهم ، وتستضيء بنور مكارمهم ، وتنهج في التربية نهجهم ، وتسير في بناء المجد سيرهم ... حتى العصر الذي انحسر فيه عن المجتمع الاسلامي حكم الاسلام ، وزالت في الأرض معالم الخلافة الاسلامية .. واستطاع اعداء الاسلام ان يصلوا

إلى هدفهم الخبيث وغرضهم الدفين في تحويل العالم الاسلامي إلى امم متناحرة، ودول متخاصمة متنابزة .. تتقاذفهم الاهواء ، وتجتذبهم المطامع ، وتفرقهم المبادىء . وينساقون وراء الشهوات والملذات ، ويتخبطون في أوحال التحلل والإباحية ..ويسيرون بلا هدف ولا غاية ، ويعيشون من غير ما سعي إلى مجد ولا وحدة ولا كيان .. تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى ، وتظنهم قوة ولكنهم غثاء كغثاء السيل ، حتى إن كثيراً من رجالات الاصلاح ، وارباب الدعوة إلى الله قد اعتراهم اليأس ، واستحوذ عليهم القنوط ، اعتقاداً منهم ان لاسبيل إلى إصلاح هذه الأمة ، وان لا امل إلى استعادة مجدها ، واسترجاع عزتها وكيانها ... بل وجد من هؤلاء الدعاة من ينادي بالعزلة الكاملة ، والتزام احلاس البيوت ، لظنهم أن هذا العصر هو آخر الزمان ، وآن الأوان ان يخرج المسلم بنفسه ببضع غنيمات يتبع بها شعف الجبال ، ومواقع القطر يفر بدينه من الفتن(١) حتى يدركه الموت .

وهذا التصور اليائس للاصلاح ناتج عن اسباب ثلاثة :

آ ــ ناتج عن الجهل بطبيعة هذا الدين .

ب ــ وناتج عن حب الدنيا وكراهية الموت .

ج ــ وناتج عن الجهل بالغاية التي من اجلها خلق المسلم .

---

(١) روى البخاري عن ابي سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « يوشك أن يكون خير مال الرجل غنم يتبع بها شعف الجبال ، ومواقع القطر يفر بدينه من الفتن » . الحديث محمول على من يفتن بدينه ويجبر على الردة ، أما أنه مادام يوجد مسلمون يؤدون الشعائر ، ويطبقون على انفسهم احكام الاسلام ، وما دام انه ثمة مجال للتعاون ، وتحقيق العز الاسلامي فإنه يحرم على المسلمين العزلة والانزواء ، لأنه مالا يتحقق الواجب إلا به فهو واجب ، لهذا وجب على المسلمين اليوم ان يحققوا حكم الله . ويقيموا دولة الاسلام ، وإلا فهم آثمون .

آ – ويوم يفهم المسلمون ان الاسلام دين القــوة ، وان شعاره في ذلك :
« وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة .. » (الأنفال : ٦٠)

ويوم يفهمون ان الاسلام دين العلم : العلم الشرعي ، والعلم الكوني عــلى السواء ، وان شعاره في ذلك : **« وقل ربّ زدني علماً »** . (طه : ١١٤)

ويوم يفهمون ان الاسلام اعتبر الانسان خليفة الله في الأرض ليملك زمامها، ويستخرج دفائنها ، ويطلع على كل سر فيها ، وان شعاره في ذلك : **« هو الذي جعلكم خلائف الأرض »** . (الأنعام : ١٦٥)

ويوم يفهمون ان الاسلام كرم الانسان ، وفضله على كثير مما خلق الله .. ليضطلــع بمسؤولياته ، ويؤدي المهمــة الموكــل بها ، وان شعــاره في ذلــك :
« ولقد كرمنا بني آدم ، وحملناهم في البر والبحر ، ورزقناهــم من الطيبات ، وفضلناهم على كثير مما خلقنا تفضيلا » . (الإسراء : ٧٠)

ويوم يفهمون ان الاسلام يعتبر الانسان مسؤو لا عن عقله ، ومسؤولا عــن حــواسه إذا هو قــام بدور الإهمــال والتعطيل ؛ وإن شعــاره في ذلــك :
« ولا تقفُ ماليس لك به علم ؛ إن السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسؤولا » . (الإسراء : ٣٦)

ويوم يفهمون ان الاسلام اعتبر هذا الكون كله مسخراً للانسان ، ليستعمله في خدمة العلم ، وخدمة الانسانية ، وان شعاره في ذلك : **« وسخّر لكم مافي السموات ومافي الأرض جميعاً منه .. »** . (الجاثية : ١٢)

ويوم يفهمون ان الاسلام دين التأمل والتفكر في خلق السموات والأرض للوصول إلى الحقائق الثابتة ، وان شعاره في ذلك : **« قــل انظروا مــاذا فــي السموات والأرض .. »** . (يونس : ١٠٢)

ويوم يفهمون أن الاسلام دين العمل والنشاط والحيوية ، وان شعاره في ذلك : ((**هو الذي جعل لكم الأرض ذلولا ، فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور**)) . (الملك : ١٥)

ويوم يفهمون أن الاسلام يحرم اليأس ، وينهى عن القنوط وان شعاره في ذلك : ((**إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون**)) . (يوسف : ٨٧)

ويوم يفهمون ان الاسلام دين العزة والكرامة ، فيجب ان يتوجوا رؤوسهم بها ، ويرفعوا في العالم لواءها ، وان شعاره في ذلك : ((**ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ، ولكن المنافقين لايعلمون**)) . (المنافقون : ٨)

يوم يفهم المسلمون عن دينهم كل هذا ، ويعرف الناس — وعلى رأسهم الدعاة إلى الله — طبيعة هذا الدين ، وحقيقة هذا الاسلام فلا يتملكهم يأس ، ولا يدب في نفوسهم قنوط .. بل ينطلقون في مضمار الدعوة والاصلاح والبناء .. ليعودوا — كما كان سلفهم — أساتذة للدنيا ، وهداة للأمم ، ومنارات متلألئة في ظلمات الحياة .. فتستقي البشرية من علومهم ، وتنهل من معين معارفهم وحضارتهم على مر العصور ، إلى ان يرث الله الأرض ومن عليها .

★ ★ ★

ب — ويوم يتحرر المسلمون — وعلى راسهم العلماء ورجال الدعوة إلى الله — من حب الدنيا ، والركون إليها ، والتمتع الزائد بلذائذها وطيباتها .. ويجعلون هداية الناس ، وإصلاح المجتمع ، والسعي إلى إقامة حكم الله في الأرض .. اكبر همهم ، ومبلغ علمهم ، وغاية الغايات ، ومنطلق العزائم والنيات .

ويوم يتحررون من الجبن ، والخوف ، وكراهية الموت ، ويوقنون من قرارة نفوسهم أن الأرزاق بيد الله ، وأن الذي يضر وينفع هو الله ، وان ما اصابهم

لم يكن ليخطئهم ، وان ما اخطأهم لم يكن ليصيبهم ، وان الأمة لو اجتمعت على ان ينفعوهم بشيء لم ينفعوهم إلا بشيء قد كتبه الله لهم ، وإن اجتمعوا على أن يضروهم بشيء ، لم يضروهم إلا بشيء قد كتبه الله عليهم .

يوم يوقن المسلمون بهذا ، ويتحررون من اسباب الضعف والوهن ، فعندئذ ينطلقون في ميادين الدعوة إلى الله ، وفي مجالات التربية والتوجيه والاصلاح .. غير هيّابين ولا وجلين ، مبلغين رسالات ربهم لايخشون احداً إلا الله . بل واثقين كل الثقة ان الله سبحانه سينصرهم، ويمكن لهم في الأرض ، ويبدلهم من بعد خوف امناً ، ومن بعد ذلة عزاً ، ومن بعد تفرق وحدة . وما ذلك على الله بعزيز ، إنهم صححوا النيات ، وعقدوا الهمة والعزيمة ، وتحرروا من اليأس والخوف وحب لدنيا !!..

★ ★ ★

ج ـ ويوم يعرف المسلمون انهم خلقوا في الحياة لأجل هدف سام ، وغاية نبيلة ، هذه الغاية قد قررها الله لهم في محكم تنزيله حين قال :ـ

« وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون » (الذاريات : ٥٦)

ولكن ما هي هذه العبودية التي يريدها الله منا ، ويأمرنا بها ، ويحضنا عليها ؟.

إنها الخضوع والانقياد لمنهجه الثابت ، وصراطه المستقيم .

إنها حمل الأمانة التي عرضها الله على السموات والأرض والجبال ، فأبين ان يحملنها واشفقن منها .

إنها التكليف المستمر في إخراج الناس من عبادة العباد إلى عبادة الله ، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ، ومن جور الأديان إلى عدل الاسلام .

إنها اعطاء الولاء لله ولرسوله وللمؤمنين .
إنها رفض المبادىء والأفكار التي لاتنبثق من شريعة الاسلام .

هذه هي مهمة المسلم في الأرض ؛ وهذه هي غايته في الحياة ، فحين يعطي المسلم ولاءه لله ورسوله والمؤمنين ، يكون عبداً لله ؛ وحين يحمل الأمانة بنفس مؤمنة وعزيمة صادقة يكون عبداً لله ؛ وحين لا يقبل هدياً إلا هديه ، ولا تشريعاً إلا تشريع دينه يكون عبداً لله ؛ وحين يستمر في حركية دائمة وجهاد دائب ليخرج الناس من عبادة العباد إلى عبادة الله ، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ، ومن جور الأديان إلى عدل الاسلام يكون عبداً لله .

وإلا .. فإنه يكون هملاً من سقط المتاع ، عبداً للهوى ، وعبداً للطاغوت، وعبداً لليأس والجمود والقنوط .. يسير بلا غاية ، ويتخبط بلا هدى ، ويتعثر بلا دليل .. **« أو َمن كان ميتاً فاحييناه ، وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس ، كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها ، كذلك زُيّن للكافرين ما كانوا يعملون »**
(الأنعام : ١٢٢)

إذن فليعلم المسلمون طبيعة دينهم .
وليتحرروا من حب الدنيا وكراهية الموت .
وليعرفوا الغاية التي من اجلها خلقوا ، وعلى اساسها وجدوا ..
حتى ينهضوا بالاسلام من جديد ، ويستعيدوا مجدهم الداثر ، وعزيمتهم المنيعة ، وقوتهم الهائلة ، ووحدتهم الشاملة ، وما ذلك على الله بعزيز .

٥ ـــ ولكن ما السبيل إلى الإصلاح ؟ وما البداية الصحيحة في تكوين المجتمع الصالح ؟ وما المهمة الملقاة على كاهل الآباء والمربين ، ورجالات التربية والاصلاح في هذا العصر ؟ كل هذه التساؤلات في الحقيقة تدور حول منطلق واحد ، وترمي إلى غاية واحدة .

اما أنها تدور حول منطلق واحد فلأن كل من يهمه امر الإصلاح ، وكل من

يعتني بقضية التربية .. يسعى جهده لتغيير هذا الواقع المرير الذي يتخبط اكثر الناس فيه ، ويبذل كل ما يملك من وسائل وإمكانات لبرى هذا المجتمع في المستوى اللائق ، والحياة الهانئة الكريمة .

واما انها ترمي إلى غاية واحدة : فلأن كل العاملين في حقل التربية والتوجيه والاصلاح .. يجندون قواهم ، ويشحذون عزائمهم لإقامة المجتمع الفاضل ، وإيجاد الأمة القوية في إيمانها . والقوية في اخلاقها ، والقوية في جسمها ، والقوية في علومها ، والقوية في نفسيتها .. لتستطيع ان تصل إلى النصر المؤزر ، والوحدة الشاملة ، والمجد الضخم العريض !!..

ولكن ما ملاك هذا كله ؟ وما وسائل تطبيقه ، ومراحل تنفيذه ؟

الجواب يكمن في كلمة واحدة ، الا وهي : كلمة التربية . ولكن لهذه الكلمة مدلولات كثيرة ، ومجالات واسعة ، ومفهومات شاملة !!..

فمن مدلولاتها ومفهوماتها : تربية الفرد ، وتربية الأسرة ، وتربيةالمجتمع، وتربية الانسانية .. وتحت كل صنف من هذه الأصناف تتفرع انواع ، وتندرج اقسام .. وكلها تهدف إلى إقامة المجتمع الفاضل ، وإيجاد الأمة المثلى .

وما تربية الأولاد إلا فرع من تربية الفرد الذي يسعى الاسلام إلى إعداده وتكوينه ليكون عضوا نافعاً ، وإنساناً صالحاً في الحياة .

بل تربية الولد إن احسنت ووجهت ما هي في الحقيقة إلا اساس متين في إعداد الفرد الصالح ، وتهيئته للقيام بأعباء المسؤولية ، وتكاليف الحياة .

٦ ــ وما هذا الكتاب الذي بين يديك ــ اخي القارىء ــ إلا تبيان للمنهج الكامل الصحيح **في تربية الأولاد في الاسلام** . وحين يوفقك الله سبحانهلقراءته

تعلم انمن مزايا هذا التشريع الاسلامي **مزية الشمول** ، الشمول الكامل لكل مايسعد الانسانية في دينها ودنياها وآخرتها ؛ ويتبين لك كذلك ان للاسلام **طريقته في التربية ، ومنهجه في الاصلاح** ، فحينما يأخذ المربون بطريقته ومنهجه ..

يحل في الأمة الاستقرار والأمن والسعادة ، محل الفوضى والخوف والشقاء.. ويتضح لناظريك ايضاً ان هذا الاسلام **هو دين الحياة ، ودين الانسانية ، ودين الوعي والتربية والاصلاح** . وحينما تهتدي البشرية بهديه ، وتستقي الامم من معينه ، وتأخذ الدول بمبادئه وتشريعه ، فإن السلام في العالم يسود ، ومعالم المجتمع الفاضل تتراءى للأعين بجلاء ووضوح ، ويعيش الناس في ظلال الاسلام سعداء آمنين !!..

لماذا ؟ لأنه دين رب العالمين ، ورسالة فخر الانسانية صلى الله عليه وسلم والتشريع الشامل الكامل الذي ارتضاه الله للبشرية ليكون لها دستوراً ومنهاجاً .

٧ ـ ومن الملاحظ ان المكتبة الاسلامية فقيرة في كل ما كتب عن تربية الأولاد في الاسلام ، وحتى الآن لم اعثر ـ فيما اطلعت عليه ـ على كتاب جامع شامل مستقل يبحث عن تربية الولد منذ ولادته إلى ان يبلغ سن التكليف ، اللهم إلا كتاب « تحفة المودود في احكام المولود » لابن القيم الجوزية رحمه الله، فإنه يبحث فقط في المولود ، وما يتعلق به من احكام ، وقد استفدت منه كثيراً في كتابة الفصل الثالث وما بعده في القسم الأول ، فجزى الله مؤلفه افضل الجزاء ، واجزل مثوبته ، ورفعه في الدار الآخرة مقاماً علياً .

والله يعلم كم بذلت من جهد ! وكم بحثت في مراجع ! لاخرج لقراء العربية كتاباً جامعاً شاملا مستقلا يتناول تربية الولد منذ الولادة إلى التمييز إلى المراهقة إلى سن التكليف .. ويتناول كذلك المنهج الكامل الذي يجب ان يسير عليه الآباء والمربون، وكل من له فيعنقه حق التوجيه والتربية ؛ وقد جاءالكتاب ـ والحمد لله ـ موفياً بالغرض ، محققاً للهدف ، مفصلا الوسائل والغايات ..

هذا ولا ادعي الكمال فيما كتبت ، والعصمة فيما بحثت ، والاستيعاب فيما الفت ، ولكن أرجو من الله سبحانه أن تكون هذه البداءة **حافزاً لرواد الفكر الاسلامي** في هذا العصر في أن يشحذوا أقلامهم ويحركوا هممهم وعزائمهم .. ليكتبوا في حقل تربية الأولاد ، ويستوعبوا البحث فيها ، ويكثروا من البحوث والتآليف لتبيان وسائلها وغاياتها .. لنرى بعد قليل أن المكتبة الاسلامية قد فاضت بالكتب التربوية ، والبحوث الإرشادية .. ليكون عند كل من يهمه امر التربية المراجع الوافية لاتباع افضل الطرق في إعداد الولد إسلامياً ، وتكوينه روحياً وخلقياً وفكرياً .. ويوم تتضافر جهود العاملين في الكتابة عن التربية الاسلامية ، ويؤدون ما عليهم من واجب ومسؤولية في هذا المضمار .. يكونون قد ابانوا للجيل الحاضر طريق العز والقوة ، ووضحوا لكل ذي عينين من أبناء الانسانية الوسائل العملية التي تؤدي إلى إقامة المجتمع الفاضل ، وتكوين الجيل المثالي .

٨ ــ ولقد رايت ان اخرج كتاب « تربية الأولاد في الاسلام » في ثلاثة اقسام متتابعة ، كل قسم يتناول عدة فصول ، وكل فصل يندرج تحته عدة موضوعات ، وستكون عناوين الفصول في كل قسم على النحو التالي :

القسم الأول : ويتناول اربعة فصول :

الفصل الأول : الزواج المثالي وارتباطه بالتربية .

الفصل الثاني : الشعور النفسي نحو الأولاد .

الفصل الثالث : احكام عامة تتعلق بالمولود ، ويشمل هذا الفصل اربعة مباحث :

الاول : ما يفعله المربي عند الولادة .

الثاني : تسمية المولود واحكامها .

الثالث : عقيقة المولود واحكامها .

الرابع : ختان المولود واحكامه .

الفصل الرابع : اسباب الانحراف عند الأولاد ومعالجته .



القسم الثاني : وهو بحث واحد تحت عنوان « المسؤوليات الكبرى لدى المربين » ويتناول سبعة فصول :

الفصل الاول : مسؤولية التربية الإيمانية .
الفصل الثاني : مسؤولية التربية الخلقية .
الفصل الثالث : مسؤولية التربية الجسمية .
الفصل الرابع : مسؤولية التربية العقلية .
الفصل الخامس : مسؤولية التربية النفسية .
الفصل السادس : مسؤولية التربية الاجتماعية .
الفصل السابع : مسؤولية التربية الجنسية .

★ ★ ★

القسم الثالث : ويتناول ثلاثة فصول وخاتمة :

الفصل الاول : وسائل التربية المؤثرة .
الفصل الثاني : القواعد الأساسية في تربية الولد .
الفصل الثالث : اقتراحات تربوية لابد منها .
واخيراً : خاتمة المطاف .

★ ★ ★

تلكم هي الخطوط العريضة لفصول كل قسم من اقسام الكتاب . وستجد اخي القارىء ان تحت كل فصل من هذه الفصول بحوثا هامة . وموضوعات مفيدة ، وكلها تستهدف توضيح المنهج الافضل في التربية القويمة للأبناء ، وإعدادهم اعضاء صالحين للحياة ، وجنوداً اقوياء للاسلام ، وشبابا وثابا يحملون في نفوسهم انبل معاني الكرامة والتضحية والفداء .

وفي الختام اسال الله سبحانه ان يجعل عملي هذا خالصا لوجهه الكريم ، وان يتقبله مني يوم العرض عليه ، وان يجعل من هذه السلسلة اداة نفع للعباد ، وشعلة نور وهداية لكل من يريد ان يسير في الحياة على هدى وصراط مستقيم ، إنه افضل مامول ، وبالإجابة جدير .

المؤلف
عبد الله ناصح علوان

مقدمة لفضيلة العالم الكبير
الشيخ وهبي سليمان الغاوجي الألباني

١ ــ لقد عرفت الاستاذ الشيخ عبد الله علوان من خلال رسالته الاولى (الى ورثة الأنبياء) ثم من خلال رسائله وكتبه مثل : « التكافل الاجتماعي في الاسلام» «حتى يعلم الشباب» «صلاح الدين الأيوبي» ، كما عرفته من خلال حديثه والعمل المشترك حينا من الدهر في مجال التربية والتعليم . لقد عرفته في ذلك ، وفيما سمعت عنه ، ولو سئلت ان أقول في الشيخ عبد الله علوان قولا وجيزاً لقلت : الرجل مؤمن عالم يعيش وبين عينيه وفي جوانحه، وفي قلبه ودمه قوله، صلى الله تعالى عليه وسلم (.. من اصبح ولم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم) .

لذا تجده حينا يخاطب العلماء ان يقوموا بواجب تبليغ الاسلام بالحكمة والموعظة الحسنة فيكتب لهم (الى ورثة الانبياء) وحينا يخاطب العامة فيحذرهم من المرناة (الرائي) ويبين لهم اخطاره وسيّيء آثاره في رسالته « حكم الاسلام في التلفزيون »، التي طوّرها الى كتاب اسماه (حكم الاسلام في وسائل الاعلام) وحينا يخاطب الطلاب فيكتب لهم رسالة « شبهات وردود » .

وحينا يخاطب الشباب فيكتب لهم (حتى يعلم الشباب) .

وحينا يخاطب القائمين على شؤون المجتمع فيكتب لهم (التكافل الاجتماعي في الاسلام) .

وحينا يثير فينا اشواق الماضي ، ويذكرنا بعظمة الماضي فيكتب (صلاح الدين الأيوبي) .

وحينا يخاطب المسلمين باسلوب العلم والفقه فيكتب لهم (احكام الصيام) و (احكام الزكاة ..) .

وحينا يدل على وسيلة تخليص المجتمع من اوضار الراسمالية فيكتب لهم (احكام التامين) ، ويذكر اخطاره واضراره .. ويبين بديله الحق في التكافل الاسلامي .

ونجده الآن يكتب في (تربية الاولاد في الاسلام) لأولئك جميعا ، فجزاه الله تعالى خيراً ، وزاده توفيقا ، وبارك له في عمره وفي عمله .

٢ ــ لقد كتب كتابه الأخير هذا ، وجعله في اربعة اجزاء ، وقد بلغ ما كتبه في

هذا الموضوع (١٣٧٦) صفحة من القطع المتوسط . وهو امر يدل حقا على عنايته العظيمة بتربية اجيال المستقبل فضلا عن غير ذلك من العلم والمعرفة.

□ ما اعلم احداً كتب في تربية الاولاد من وجهة النظر الاسلامية على سعة وبسط وصدق مجموعا كما فعل الاستاذ الشيخ عبد الله علوان .

□ ما اعلم كاتبا اكثر من الشواهد الاسلامية في القرآن والسنة وآثار السلف الصالح على ما يقرره من احكام ووصايا وآداب ، كما فعل الاستاذ الشيخ عبد الله علوان .

□ ما اعلم كاتبا اكتفى في هذه البحوث التربوية الهامة بكتابات المسلمين الاصيلة ، دون العروج الى ما قاله الآخرون « الا عند الحاجة الماسة لغاية خاصة » كما فعل الاستاذ الشيخ عبد الله ، ذلك لانه يكتب لمسلمين يوجهون مسلمين ، فهو يختصر الطريق ، ولان له من الثقافة الاسلامية القائمة على اصول الاسلام وتجارب المسلمين الماضين والمعاصرين ، ما يجد بها غنىة عما عند الآخرين .

□ ما اعلم كاتبا كتب بحرقة وقوة في موضوع تربية الاولاد كما فعل الاستاذ الشيخ عبد الله .

٣ ــ اما بعد ، فلقد هممت بأن اثبت عناوين بعض بحوث هذا الكتاب القيم ، وان اعرض لمعا من نقاط نيرة مفيدة منه ، « وما اكثرها » لتكون نموذجا . واعلانا ينبي عن كنه الكتاب وحقيقته ، لكني تركت ذلك كيلا اطيل على القارىء الكريم في هذه الكلمة ، وكي يصل هو بنفسه الى ما كنت اودّ عرضه وزيادة .

لكني انقل كلمة الاستاذ الشيخ عبد الله في نهاية الكتاب التي جعلها تحت عنوان : اقتراحات تربوية لابد منها .

يرى الاستاذ انها تنحصر في الأمور التالية : تشويق الولد الى أشرف الكسب ــ مراعاة استعدادات الولد الفطرية ــ ترك المجال للولد في اللعب والترويح ــ ايجاد التعاون بين البيت والمسجد والمدرسة ــ تقوية الصلة بين المربي والولد ــ السير على منهج تربوي في اليوم والليلة ــ تهيئة الوسائل الثقافية للولد ــ تشويق الولد الى المطالعة الدائمة ــ استشعار الولد الدائمة بمسؤولية الاسلام ــ تعميق روح الجهاد في نفسية الولد . لقد كتب في شرح هذه المقترحات (١٧٧) صفحة ، فهل ترى أن الكاتب الفاضل ترك مزيدا لمستزيد في واجب تربية الاولاد والعناية بهم ؟

فما اجدر الآباء والأمهات ، ما اجدر المربين والعاملين في ميدان التربية ، ما اجدرهم جميعا بقراءة كتاب (تربية الاولاد في الاسلام) ، وأن يسيروا مع كتابنا هذا في تربية من يلون امرهم فكفى بالمرء اثما ــ كما يقول رسولنا صلى الله عليه وسلم ــ ان يضيع من يقوت) رواه مسلم .

وايّ ضياع اشد واخطر من إضاعة القلوب وتحريفها عن الجادة أو تركها تضيع هكذا بسبب الاهمال ؟!

ايّ ضياع اشد من ضياع هو الخروج على الاسلام والتنكر لأحكامه ؟

ايّ ضياع اشد من ضياع قلوب الأولاد وعقولهم واخلاقهم ، ثم بقاء اجسادهم كانها خشب مسندة لاتحمل عقيدة عظيمة ولا تعيش لغاية عظيمة ؟!

اقر الله عينك ياشيخ عبد الله ، وعيون امثالك ، فينشأ الجيل ، الجيل المثالي يعيش عيش اول جيل مثالي على الأرض ، ويوفقه الله تعالى كما وفق ذلك الجيل الاول ، جيل رسوله صلى الله عليه وسلم وصحبه البررة الأخيار رضي الله تعالى عنهم فيستخلفه في الارض ويمكن له دينه الذي ارتضى ، ويبدله من بعد خوفه امنا ، ويرفع رايته على كل صقع ورابية ، ويجعل الدين كله لله .

وما ذلك على الله بعزيز **(ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الحكيم)** .

وهبي سليمان الألباني

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الثانية

للمؤلف

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على معلّم الناس الخير، وهادي البشرية الى نور الحق المبين ، والصراط المستقيم .. ورضي الله عن آله واصحابه والتابعين .. ممّن حملوا إلى العالم رسالة الإسلام ، وتعاليم القرآن .. ورضي أيضاً عمّن سار على دربهم ، ومشى على طريقتهم باحسان الى يوم الدين .

وبعد : فاحمده سبحانه اولا وآخراً على ما منّ ووفّق في إنجاز كتاب « تربية الأولاد في الاسلام » باقسامه الثلاثة .

وقد جاء الكتاب بعد اكتماله ـ كما شهد اهل الاختصاص ـ موفياً بالفرض ، موضّحاً للوسائل ، مرشداً للطريقة ، مستوعباً للمبادىء ، منوّعاً للمسؤوليات ، ملبياً للحاجة ، مناسباً لروح العصر ، متلائما مع واقع الجيل ، وحالة الأمة الاسلامية الراهنة ..

واملي وطيد ان يجد قرّاء العربية في هذا الكتاب امنيتهم الغالية في كل ما يحتاجونه لأولادهم في الحاضر أو في المستقبل.. من مبادىء توجيهية عامة، وقواعد تربوية شاملة ..

كما آمل ان قد سدّدت بإخراج هذا الكتاب ثغرة كبيرة في عالم الكتب ، ومجال التربية .. حيث اصبح المربّي يجد في المكتبة الاسلامية الحاضرة كتاباً تربوياً شاملا . يعالج **« تربية الولد »** من جميع الجوانب ، ويضع بين يديه القواعد الأساسية في إعداد الولد روحياً وعقلياً وجسمياً ، وفي تكوينه خلقيا ونفسيا واجتماعيا ..

كما ارجو ان يكون الكتاب هذا مناراً متلألئاً يستهدي به كل من يريد ان يربّي ولده على اصالةالعقيدة الربانية ، وسنن الإسلام ، وهدي القرآن ، ومعالم السنة ، وطرائق السّلف ، ومنهجية الشريعة الاسلامية الغراء !!..

وابشّر المربيّن على اختلاف مستوياتهم باني اضفت إلى هذه الطبعة في قسم « مسؤوليات المربّين » بحثاً جديداً بعنوان **« مسؤولية التربية الجنسية »** الذي يعالج ميل الولد الى الجنس ، وكفّه عن الفاحشة في سن المراهقة ، وارشاده الى اصول الاتصال الجنسي اذا بلغ سن البلوغ، ودخل عتبة الزواج!!.

واريد في هذه المناسبة ان اذكّر إخوتي المربّين بأن يوافوني بملاحظاتهم واقتراحاتهم اذا راوا في الكتاب ثمة نقص او نقد .. وانا شاكر لهم سلفا حسن صنيعهم ، وكريم اهتمامهم ، لان الكمال لله تعالى وحده ، والعصمة لانبيائه ورسله ، وما منّا إلا مَن ردّ ورُدّ عليه .. عسى ان استدرك ذلك في الطبعات القادمة اذا يسّر الله لي بقاء الصحة وطول العمر !!..

وإن مما يثلج الصدر ، ويفرح القلب ان ارى في شبابنا وشاباتنا ظاهرة التلهف الى شراء الكتاب الاسلامي لمطالعته والاستفادة منه .. وما أن نزل القسم الاول والثاني والثالث من كتاب التربية الى السوق حتى تزاحم الشباب والمربون على اقتنائه ، وما كنت اتوقع ان تنفد النسخ بهذه السرعة العجيبة .

وهذه الظاهرة تدل على ان جيلنا المسلم بدأ يتجه نحو الاسلام لما تولد عنده من قناعة عقلية وقلبية .. هذه القناعة تتجسد في ان هذا الاسلام بتشريعه الشامل ، ومبادئه الخالدة هو المنقذ الوحيد مما يعانيه من آفات نفسية ، وانحرافات خلقية ، وضغوط سياسية ، وتفسّخ اجتماعي ..

« قد جاءكم من الله نورٌ وكتاب مبين ، يهدي الله به من اتبّع رضوانه سبُل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم الى صراط مستقيم » . (المائدة : ١٦)

وإني لالمح في خيالي ان طلائع الاسلام بدات تتحرك نحو المستقبل لتقيم في مجتمعنا الاسلامي مجداً إسلامياً عريضاً يضاهي الأمم الكبيرة في عزتها وشموخها .. وان من اعظم العوامل التي تحقق للإسلام دولته ، وللمسلمين

عزتهم .. ان تتضافر جهود العاملين للاسلام في تكوين جيل قرآني مؤمن ، وإعداد امة اسلامية مجاهدة ، وتهيئة مجتمع رباني فاضل ..

وما ذلك على الله بعزيز اذا اخذ العاملون بالوسائل ، وسار المسلمون نحو الغايات !!.

وها انذا اقدم لجيلنا المسلم المعاصر على اختلاف مستوياته وثقافاته .. الطبعة الثانية من كتاب التربية بتنقيحاتها وزياداتها .. عسى ان يجدوا في الكتاب ما ينشدونه من اسس فيالإعداد متينة ، ومن قواعد في التربيةراسخة، ومن مبادىء في التكوين سامية .. فلا يرون من بدّ سوى ان يأخذوا بمنهجية التربية الاسلامية الشاملة التي وضّحت معالمها شريعة الاسلام ووضع اصولها النبي عليه الصلاة والسلام !..

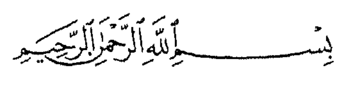
وختاماً اذكّر القراء الكرام بأن يشملوني بدعوة صالحة في ظهر الغيب القى فيها ربّي إن رأوا في هذا الكتاب خيراً وانا لهم من الشاكرين ..

الله اسأل ان يجعل عملي خالصاً لوجهه الكريم ، وان يتقبّله مني يوم العرض عليه ، وان يوفقني دائماً لنصرة هذا الدين الحق ، وتوضيح فكرة الاسلام الكلية عن الكون والحياة والانسان .. إنه اكرم مأمول وبالإجابة جدير .

المؤلف

عبد الله ناصح علوان





مقدمة الطبعة الثالثة المزيدة للمؤلف

الحمد لله رب العالمين ، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، وعلى دعاة الحق ، وقادة الخير باحسان الى يوم الدين وبعد :

فما كنت أحسب أن يلقى كتابى [تربية الأولاد فى الاسلام] من الاعجاب والتقدير ، والثناء العطر .. من كل من اجتمعت به من أساتذة وعلماء وتربويين ، ومن كل من راسلونى من أقطاب فكر ، ورجال أدب ، وقادة دعوة .. والحمد لله أولا وآخراً فهو الذى من ووفق ، وأعطى ووهب ، وألهم ويسر .. فمنه نستمد العون ، وعليه تتوكل ، واليه يرجع الفضل كله .. وها هو ذا الكتاب أقدمه للطبعة الثالثة مع زيادتين هامتين :

الأولى ــ تبيان الأدلة القاطعة فى وجوب ستر وجه الفتاة المسلمة .

الثانية ــ تدعيم الوقائع فى انحرافات الجنس على ضوء ما جد من أحداث . وأرجو من الله العلى القدير أن يخرج الكتاب فى طبعته الثالثة فى أجمل طباعة ، وأبهى حلة ، وأفضل اخراج .. ليكون عوناً وسنداً لكل من يهمه تربية أولاده على قواعد الاسلام ، ولكل من يسعى فى تكوين جيل على أساس الأخلاق والايمان .. وفى اسلامنا والحمد لله أفضل الأسس فى التربية ، وأقوى الدعائم فى التوجيه والأخلاق .. فهو يفى بحاجات الأمة الاسلامية فى كل زمان ومكان فى كل ما تتطلع اليه من غد مشرق أفضل ، ومستقبل متفائل بسام ..

الله أسأل أن يوفق جيل الاسلام اليوم الى أن يجعل الاسلام رائده فى الفكر والعقيدة وغايته فى التطبيق والعمل والتربية ، ومقصده فى التطلع الى عزة سامقة ، وكرامة منشودة ، ووحدة اسلامية شاملة .. انه خير مسؤول وبالاجابة جدير ..

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

المؤلف
عبد الله ناصح علوان

القســـم الأولـــ

الزواج المثالي وارتباطه بالتربية

الشّعُور النّفسِي نحوَ الأولاد

أحْكامٌ عامّــة تتعلّق بالمولُود

أسبَابُ الانحِـراف عِندَ الأولاد ومُعَالجته

الفصل الأول

الزواج المثالي وارتباطه بالتربية

قبل أن أشرع في بيان الأسس التي وضعها الاسلام في تربية الأولاد يحسن أن أتعرض — ولو باختصار — للزواج من نواح ثلاثة :

آ — الزواج فطرة انسانية

ب — الزواج مصلحة اجتماعية

ج — الزواج انتقاء واختيار

لأن التعرض لمثل هذه النواحي توضح وجه ارتباط التربية بتحمل المسؤولية وإنجاب الذرية ، والاعتراف بنسب الولد ، وسلامة جسمه وأخلاقه، وتأجيج عاطفة أبويه نحوه ، وتعاون الزوجين على تربيته ، وتقويم اعوجاجه ، وإعداده إنساناً صالحاً للحياة .

وإليكم بعض التفاصيل في كل ناحية من هذه النواحي الثلاثة :

ا — الزواج فطرة انسانية

من الأمور البديهية في مبادىء الشريعة الاسلامية أن الشريعة حاربت

الرهبانية لكونها تتصادم مع فطرة الانسان ، وتتعارض مع ميـــوله وأشواقه وغرائزه .

فد روى البيهقي في حـــديث سعد بن أبي وقـــاص رضي الله عنـــه : (إن الله أبدلنا بالرهبانية الحنيفيّة السمحة) .

وروى الطبراني والبيهقي عن رسول الله صلى الله عليـــه وسلم أنه قال : (من كان موسراً لأن ينكح ثم لم ينكح فليس مني) .

فأنت ترى من هذه الأحاديث وغيرها أن شريعة الاسلام تحرم على المسلم أن يمتنع عن الزواج ، ويزهد فيه بنية الرهبانية ، والتفرغ للعبادة ، والتقرب إلى الله ، ولا سيما إن كان المسلم قادراً عليه ، متيسراً له أسبابه ووسائله .

ونحن إذا تأملنـــا مواقف رسول الله ﷺ في مراقبـــة أفراد المجتمع ، ومعالجة النفس الانسانية ، ازددنا يقينـــا بأن هذه المراقبة وتلك المعالجـــة مبنيتان على إدراك حقيقة الانسان ، وراميتان إلى تلبية أشواقه وميوله ، حتى لايتجاوز أي فرد في المجتمع حـــدود فطرته ، ولا يعمل ما ليس بامـــكانه واستطاعته ، بل يسير في الطريق السوي سيراً طبيعياً متلائماً معتدلا ، لايتعثر وقد سار الناس ، ولا يتقهقر وقد تقدم البشر ، ولا يضعف وقد قوي أبنـــاء الحياة ((**فطرة الله التي فطر الناس عليها، لاتبديل لخلق الله، ذلك الدين القيم، ولكن اكثر الناس لا يعلمون**)) . (الروم : ٣٠)

وإليكم هذا الموقف من رسول الله ﷺ ، فهو يعد من أعظم المواقف الاصلاحية والتربوية في معالجة الطبـــائع السلبية ، وفهم حقيقة الانسان .

روى البخاري ومسلم عن أنس رضي الله عنه : (جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادته ، فلما أخبروا كأنهم تقالوها (وجدوها قليلة) فقالوا : وأين نحن من النبي ﷺ ، قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، قال أحدهم : أما أنا فاني أصلي الليل أبداً ، وقال آخر : أنا أصوم الدهر ولا أفطر ، وقال آخر : أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً . فجاء رسول الله ﷺ فقال : أنتم الذين قلتم كذا وكذا ؟ أما والله إني لأخشاكم لله ، وأتقاكم له ، لكني أصوم وأفطر ، وأصلي وأرقد ، وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتي فليس مني) .

فمن هذه النصوص يتبين لكل ذي عقل وبصيرة **ان الزواج في الاسلام فطرة انسانية ، ليحمل المسلم في نفسه امانه المسؤولية الكبرى تجاه من له في عنقه حق التربية والرعاية** .. حينما يلبيقنداء هذهالفطرة، ويستجيبلاشواق هذه الفريزة ، ويساير سنن هذه الحياة !!.

ب ـ الزواج مصلحة اجتماعية

من المعلوم أن للزواج في الاسلام فوائد عامة ، ومصالح اجتماعية ، سنتعرض بتوفيق الله لأهمها ، ثم نبين وجه ارتباطها بالتربية .

١ ـ المحافظة على النوع الانساني : فبالزواجيستمر بقاء النسل الانساني، ويتكاثر ، ويتسلسل .. إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ؛ ولا يخفى ما في هذا التكاثر والتسلسل من محافظة على النوع الانساني ، ومن حافز لدى المختصين لوضع المناهج التربوية ، والقواعد الصحيحة لأجل سلامة هذا النوع من الناحية الخلقية ، والناحية الجسمية على السواء ، وقد نوّه القرآن الكريم عن هذه الحكمة الاجتماعية ، والمصلحة الانسانية حين قال :

« والله جعل لكم من أنفسكم ازواجاً ، وجعل لكم من ازواجكم بنين وحفدة » .
(النحل : ٧٢)

وقوله : **« يا ايها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة ، وخلق منها زوجها ، وبث منهما رجالا كثيرا ونساء » .** (النساء : ١)

٢ ـ المحافظة على الانساب : وبالزواج الذي شرعه الله لعباده يفتخر الأبناء بانتسابهم إلى آبائهم ، ولا يخفى ما في هذا الانتساب من اعتبارهم الذاتي واستقرارهم النفسي، وكرامتهم الانسانية، ولو لم يكن ذلك الزواج الذي شرعه الله ، لعجّ المجتمع بأولاد لا كرامة لهم ولا أنساب ؛ وفي ذلك طعنة نجلاء للأخلاق الفاضلة ، وانتشار مريع للفساد والإباحية ..

٣ ـ سلامة المجتمع من الانحلال الخلقي : وبالزواج يسلم المجتمع من الانحلال الخلقي ، ويأمن الأفراد من التفسخ الاجتماعي .. ولا يخفى على كل ذي إدراك وفهم أن غريزة الميل إلى الجنس الآخر حين تشبع بالزواج المشروع، والاتصال الحلال ، تتحلى الأمة ـ أفراداً وجماعات ـ بأفضل الآداب، وأحسن الأخلاق ، وتكون جديرة بأداء الرسالة ، وحمل المسؤولية على الوجه الذي يريده الله منها . وما أصدق ما قاله عليه الصلاة والسلام في إظهار حكمة الزواج الخلقية ، وفائدته الاجتماعية حين كان يحض فئة من الشباب على الزواج : (يا معشر الشباب : من استطاع منكم الباءة[1] فليتزوج ، فانه أغض للبصر، وأحصن للفرج ، فمن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء)[2] رواه الجماعة.

---

(١) الباءة : القدرة على الزواج .
(٢) وجاء : قاطع للشهوة .

٤ ـ سلامة المجتمع من الامراض : وبالزواج يسلم المجتمع من الأمراض السارية الفتاكة التي تنتشر بين أبناء المجتمع نتيجة للزنى ، وشيوع الفاحشة، والاتصال الحرام •• ومن هذه الأمراض مرض الزهري ، وداء السيلان (التعقيبة) •• وغيرها من الأمراض الخطيرة التي تقضي على النسل ، وتوهن الجسم ، وتنشر الوباء ، وتفتك بصحة الأولاد •

٥ ـ السكن الروحاني والنفساني : وبالزواج تنمو روح المودة والرحمة والإلفة ما بين الزوجين • فالزوج حين يفرغ آخر النهار من عمله ، ويركن عند المساء إلى بيته ، ويجتمع بأهله وأولاده ، ينسى الهموم التي اعترته في نهاره، ويتلاشى التعب الذي كابده في سعيه وجهاده ، وكذلك المرأة حين تجتمع مع زوجها ، وتستقبل عند المساء رفيق حياتها •

وهكذا يجد كل واحد منهما في ظل الآخر سكنه النفسي ، وسعادته الزوجية ، وصدق الله العظيم عندما صور هذه الظاهرة بأبلغ بيان ، وأجمل تعبير : **« ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم ازواجاً لتسكنوا إليها ، وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون »** • (الروم : ٢١)

ولا يخفى ما في هذا السكن النفسي والروحي من حافز على تربية الأولاد ، والاعتناء بهم ، والرعاية لهم •

٦ ـ تعاون الزوجين في بناء الأسرة وتربية الأولاد : وبالزواج يتعاون الزوجان على بناء الأسرة ، وتحمل المسؤولية •• فكل منهما يكمل عمل الآخر، فالمرأة تعمل ضمن اختصاصها ، وما يتفق مع طبيعتها وأنوثتها ، وذلك في الإشراف على إدارة البيت ، والقيام بتربية الأولاد ، وصدق من قال :

الأم مدرسة إذا أعددتها أعددت شعباً طيب الأعراق

والرجل كذلك يعمل ضمن اختصاصه ، وما يتفق مع طبيعته ورجولته ، وذلك في السعي وراء العيال ، والقيام بأشق الأعمال ، وحماية الأسرة من عوادي الزمن ، ومصائب الأيام .. وفي هذا يتم روح التعاون ما بين الزوجين ، ويصلان إلى أفضل النتائج . وأطيب الثمرات في إعداد أولاد صالحين ، وتربية جيل مؤمن يحمل في قلبه عزمة الإيمان ، وفي نفسه روح الاسلام ؛ بل ينعم البيت بأجمعه ويرتع ويهنأ في ظلال المحبة والسلام والاستقرار ..

٧ ـ تاجج عاطفة الأبوة والأمومة : وبالزواج تتأجج في نفس الأبوين العواطف ، وتفيض من قلبيهما ينابيع الأحاسيس والمشاعر النبيلة .. ولا يخفى ما في هذه الأحاسيس والعواطف من أثر كريم ، ونتائج طيبة في رعاية الأبناء ، والسهر على مصالحهم والنهوض بهم نحو حياة مستقرة هانئة ، ومستقبل فاضل بسّام .

تلكم هي أهم المصالح الاجتماعية التي تنجم عن الزواج ، ولقد رأيت ـ أخي القارىء ـ ارتباط هذه المصالح بتربية الولد ، وإصلاح الأسرة ، وتنشئة الجيل .. فلا عجب أن نرى الشريعة الاسلامية قد أمرت بالزواج . وحضت عليه ، ورغبت فيه ؛ وصدق رسول الله ﷺ القائل : « ما استفاد المؤمن بعد تقوى الله عز وجل خيراً له من زوجة صالحة ، إن أمرها أطاعته . وإن نظر إليها سرته ، وإن أقسم عليها أبرّته ، وإن غاب عنها نصحته في نفسها وماله » رواه ابن ماجه .

والقــائل : « الدنيــا متاع وخير متاعها المرأة الصالحة » رواه مسلم.

ج ـ الزواج انتقــاء واختيــار

الاسلام بتشريعه السامي ، ونظامه الشامل .. قد وضع أمام كل مــن الخاطب والمخطوبة قواعد وأحكاما إن اهتدى الناس بهديها ، ومشوا علــى نهجها كان الزواج في غاية التفاهم والمحبة والوفاق .. وكانت الأسرة المكونة من البنين والبنات في ذروة الإيمان المكين، والجسم السليم ، والخلق القويم، والعقل الناضج ، والنفسية المطمئنة الصافية .

واليكم أهم هذه القواعد والأحكام :

١ ـ الاختيار على أساس الدين :

نقصد بالدين ـ حين نطلق لفظه ـ الفهم الحقيقي للاسلام ، والتطبيق العملي السلوكي لكل فضائله السامية ، وآدابه الرفيعــة .. ونقصد كذلك الالتزام الكامل بمناهج الشريعة ، ومبادئها الخالدة على مدى الزمان والأيام .

فعندما يكون الخاطب أو المخطوبة على هذا المستوى من الفهم والتطبيق والالتزام .. يمكن أن نطلق على أحدهما أنه ذو دين وذو خُلــق ؛ وعندما يكون الواحد منهما على غير هذا المستوى من الفهم والتطبيق والالتزام .. فمن البديهي أن نحكم عليه بانحراف السلوك ، وفساد الخُلق ، والبعد عــن الاســـلام .. مهما ظهر للناس بمظهر الصلاح والتقوى ، وزعــم أنه مسلم متمسك ..

وما أدقّ ما سنّه الخليفة العادل عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، لمــا

وضع الموازين الصحيحة لمعرفة الأشخاص ، وإظهار حقائق الرجال ، وذلك حينما جاءه رجل يشهد لرجلٍ آخر ..

فقال له عمر : أتعرف هذا الرجل ؟
فأجاب : نعم !.
قال : هل أنت جاره الذي يعرف مدخله ومخرجه ؟
فأجاب الرجل : لا
قال عمر : هل صاحبته في السفر الذي تعرف به مكارم الأخلاق ؟.
فأجاب الرجل : لا
قال عمر : هل عاملته بالدينار والدرهم الذي يعرف به ورع الرجل ؟.
فأجاب الرجل : لا

فصاح به عمر ، لعلك رأيته قائماً قاعداً يصلي في المسجد يرفع رأسه تارة ، ويخفضه أخرى ؛ فرد الرجل : نعم !!..

فقال له عمر : اذهب فإنك لاتعرفه ، والتفت إلى الرجل وقال له : ائتني بمن يعرفك . فعمر رضي الله عنه لم ينخدع بشكل الرجل ولا مظهره . ولكن عرف الحقيقة بموازين صحيحة كشفت عن حاله ، ودلت على تدينه وأخلاقه!!.

وهذا معنى قوله عليه الصلاة والسلام في الحديث الذي رواه مسلم عن أبي هريرة : « إن الله لا ينظر الى صوركم وأجسادكم وإنما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم .. » .

لهذا كله أرشد النبي صلوات الله وسلامه عليه راغبي الزواج بأن يظفروا بذات الدين ، لتقوم الزوجة بواجبها الأكمل في أداء حق الزوج وأداء حق

الأولاد ، وأداء حق البيت على النحو الذي أمر به الاسلام ، وحض عليه الرسول عليه الصلاة والسلام .

روى البخاري ومسلم وغيرهما عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « تنكح المرأة لأربع : لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت[1] يداك » .

وروى الطبراني في الأوسط عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : « من تزوج امرأة لعزها لم يزده الله إلا ذلاً ، ومن تزوجها لمالها لم يزده الله إلا فقراً ، ومن تزوجها لحسبها لم يزده الله إلا دناءة ، ومن تزوج امرأة لم يرد بها إلا أن يغضّ بصره ، ويحصّن فرجه ، أو يصل رحمه ، بارك الله له فيها ، وبارك لها فيه » .

وبالمقابل أرشد النبي ﷺ أولياء المخطوبة بأن يبحثوا عن الخاطب ذي الدين والخلق ، ليقوم بالواجب الأكمل في رعاية الأسرة ، وأداء حقوق الزوجية ، وتربية الأولاد ، والقوامة الصحيحة في الغيرة على الشرف ، وتأمين حاجات البيت بالبذل والإنفاق .

روى الترمذي عن رسول الله ﷺ أنه قال : « إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوّجوه ، إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض ، وفساد عريض » .

وأية فتنة أعظم على الدين والتربية والأخلاق من أن تقع الفتاة المؤمنة

---

(١) تربت يداك : كلمة تفيد الحث والتحريض ، والدعاء له بكثرة المال ، وصار المعنى : اظفر بذات الدين ولا تلتفت إلى المال وغيره .

بين براثن خاطب متحلل ، أو زوج ملحد لايرقب في مؤمنة إلاً ولا ذمة ، ولا يقيم للشرف والغيرة والعرض وزناً ولا اعتباراً ؟

وأية فتنة أعظم على المرأة الصالحة من أن تقع في عصمة زوج إباحي فاجر ، يكرهها على السفور والاختلاط ، ويجبرها على احتساء الخمرة ، ومراقصة الرجال ، ويقسرها على التفلت من ربقة الدين والأخلاق ؟

فكم من فتاة — ويا للأسف — كانت في بيت أهلها مثالاً للعفة والطهر . فلما انتقلت إلى بيت إباحي ، وزوج متحلل فاجر ، انقلبت إلى امرأة متهتكة مستهترة ، لا تقيم لمبادىء الفضيلة أية قيمة ، ولا لمفهومات العفة والشرف أي اعتبار !!.

ومما لاشك فيه أن الأولاد حين ينشؤون في مثل هذا البيت المتحلل الماجن الآثم ، فإنهم سينشؤون — لامحالة — على الانحراف والإباحية ، ويتربون على الفساد والمنكر !!.

إذن فالاختيار على أساس الدين والأخلاق من أهم ما يحقق للزوجين سعادتهما الكاملة المؤمنة ، وللأولاد تربيتهم الاسلامية الفاضلة ، وللأسرة شرفها الثابت ، واستقرارها المنشود .

٢ — الاختيار على اساس الأصل والشرف :

ومن القواعد التي وضعها الاسلام في اختيار أحد الزوجين للآخر ، أن يكون الانتقاء لشريك الحياة من أسرة عريقة عرفت بالصلاح والخلق ، وأصالة الشرف ، وأرومة الأصل ، لكون الناس معادن يتفاوتون فيما بينهم وضاعة وشرفاً ، ويتفاضلون فساداً وصلاحاً !!.

ولقد نوه النبي ﷺ في أن الناس معادن ، وأنهم يتفاوتون في الوضاعة والشرف ، والخير والشر ، بقوله في الحديث الذي رواه الطيالسي ، وابن منيع ، والعسكري عن أبي هريرة : « الناس معادن في الخير والشر ، خيارهم في الجاهلية خيارهم في الاسلام ، إذا فقهوا » .

لهذا حض النبي ﷺ كل راغب في الزواج ، أن يكون الانتقاء على أساس الأصالة والشرف والصلاح والطيب .. وإليكم طاقة من أحاديثه الكثيرة المتضافرة .

فقد روى الدارقطني ، والعسكري ، وابن عدي ، عن أبي سعيد الخدري مرفوعاً : « إياكم وخضراء الدِّمَن ، قالوا : وما خضراء الدمن يا رسول الله ؟ قال : المرأة الحسناء في المنبت السوء »[1] .

وروى ابن ماجه ، والدارقطني ، والحاكم ، عن عائشة رضي الله عنها مرفوعاً : « تخيروا لنطفكم وأنكحوا الأكفاء » .

وروى ابن ماجه والديلمي عن رسول الله ﷺ أنه قال : « تخيروا لنطفكم فإن العرق دسَّاس » .

وروى ابن عدي ، وابن عساكر ، عن عائشة رضي الله عنها مرفوعاً : « تخيروا لنطفكم فإن النساء يلدن أشباه إخوانهن وأخواتهن » ، وفي رواية : « اطلبوا مواضع الأكفاء لنطفكم ، فإن الرجل ربما أشبه أخواله » .

وروى ابن عدي في الكامل مرفوعاً : « تزوجوا في الحِجْرِ الصالح فإن العرق دسَّاس »[2] .

فهذه الأحاديث بمجموعها ترشد راغبي الزواج ، إلى أن يختاروا زوجات ترعرعن في بيئة صالحة ، ونشأن في بيت عريق عرف بالشرف والطيب ،

---

(١) خضراء الدِّمن : عشب المزابل .

(٢) احاديث الاختيار على أساس الأصل والشرف ضعيفة بمفردها ، وحسنة بمجموعها لتعدد طرقها .

وتناسلن من نطفة انحدرت من أصل كريم ، وجدود أمجاد !!•• ولعل السر في هذا حتى ينجب الرجل أولاداً مفطورين على معـالي الأمور ، ومتطبعين بعادات أصيلة ، وأخلاق إسلامية قويـة •• يرضعون منهن لبـان المكارم والفضائل ، ويكتسبون بشكل عفوي خِصال الخير ، ومكارم الأخلاق !!••

وانطلاقـاً مـن هـذا المبـدأ أوصى عثمـان بن أبي العاص الثقفي أولاده فـي تخيّر النطف ، وتجنب عِرْق السـوء ، وإليكم ما قاله لهـم : « يا بنيّ الناكح مغترس ، فلينظر امرؤ حيث يضع غرسه ، والعِرْق السوء قلما يُنجب ، فتخيروا ولو بعد حين » •

وتحقيقاً لهذا الاختيار أجاب عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، عن سؤال لأحد الأبناء لما سأله ما حق الولد على أبيه ، بقوله : « أن ينتقي أمه ، ويحسّن اسمه ، ويعلمه القرآن » •

وهذا الانتقاء الذي وجه إليه رسول الاسلام صلوات الله وسلامه عليه، يعد من أعظم الحقائق العلمية ، والنظريات التربوية في العصر الحديث •• فعلم الوراثة أثبت أن الطفل يكتسب صفات أبويه الخلقية والجسمية والعقلية، منذ الولادة ، فعندما يكون انتقاء الزوج ، أو اختيار الزوجة على أساس الأصل والشرف والصلاح ، فلا شك أن الأولاد ينشؤون على خير ما ينشؤون مـن العفة والطهر والاستقامة •• وعندما يجتمع في الولد عامل الوراثة الصالحة ، وعامل التربية الفاضـلة ، يصل الولد إلى القمة في الدين والأخلاق ، ويكون مضرب المثل في التقوى والفضيلة ، وحسن المعاملة ، ومكارم الأخلاق ••

فما على راغبي الزواج إلا أن يحسنوا الاختيار ، ويُحْكِموا في رفيق الحياة الانتقاء ، إن أرادوا أن تكون لهـم ذرية صالحة ، وسلالة طـاهرة ، وأبناء مؤمنون !•

٣ ــ الاغتراب في الزواج :

ومن توجيهات الاسلام الحكيمة في اختيار الزوجة ، تفضيل المرأة الأجنبية على النساء ذوات النسب والقرابة ، حرصاً على نجابة الولد ، وضماناً لسلامة جسمه من الأمراض السارية ، والعاهات الوراثية ، وتوسيعاً لدائرة التعارف الأسرية ، وتمتيناً للروابط الاجتماعية •

ففي هذا تزداد أجسامهم قوة ، ووحدتهم تماسكاً وصلابة ، وتعارفهم سعة وانتشاراً !!•• فلا عجب أن ترى النبي ﷺ **قد حذر من** الزواج بذوات النسب والقرابة ، حتى لاينشأ الولد ضعيفاً ، وتنحدر إليه عاهات أبويه ، وأمراض جدوده •

فمن تحذيراته عليه الصلاة والسلام في هذا قوله « لاتنكحوا القرابة فإن الولد يخلق ضاوياً »[1] وقوله : « اغتربوا ولا تضووا »[2] •

ولقد أثبت علم الوراثة كذلك أن الزواج بالقرابة يجعل النسل ضعيفاً من ناحية الجسم ، ومن ناحية الذكاء ، ويورث الأولاد صفات خُلقية ذميمة، وعادات اجتماعية مستهجنة ••

وهذه الحقيقة قررها رسول الاسلام صلوات الله وسلامه عليه منذ أربعة عشر قرناً ، قبل أن يأتي العلم ليقول كلمته ، ويظهر لذوي الأبصار حقائقه •

وهذه معجزة لرسولنا الأمي العظيم صلوات الله وسلامه عليه ، تضاف إلى جملة معجزاته الباهرة ، وإخباراته الصادقة ••

---

(١) ضاوياً : نحيفاً ضعيف الجسم بليد الذكاء .

(٢) لم اعثر على تخريج الحديثين حتى الآن ، اطلب من الاساتذة المختصين بالحديث ان يوافوني بتخريجاتهم وانا اكون لهم من الشاكرين .

٤ ـ تفضيل ذوات الأبكار :

ومن توجيهات الاسلام الرشيدة في اختيار الزوجة ، تفضيل المرأة البكر على المرأة الثيّب[1] ، لحِكمٍ بالغة ، وفوائد عظيمة !٠

فمن هذه الفوائد : حماية الأسرة مما ينغص عيشها ، ويوقعها في حبائل الخصومات ، وينشر في أجوائها ضباب المشكلات والعداوات ٠٠ وفي الوقت نفسه تمتين لأواصر المحبة الزوجية ، لكون البكر مجبولة على الإنس والإلفة بأول إنسان تكون في عصمته ، وتلتقي معه ، وتتعرف عليه ٠٠ بعكس المرأة الثيب ٠ فقد لاتجد في الزوج الثاني الإلفة التامة ، والمحبة المتبادلة ، والتعلق القلبي الصادق للفرق الكبير بين أخلاق الأول ، ومعاملة الثاني ٠

فلا غرابة أن نرى عائشة رضي الله عنها قد وضحت لرسول الله صلى الله عليه وسلم كل هذه المعاني ، لما قالت للرسول صلوات الله عليه ـ فيما رواه البخاري ـ : يا رسول الله أرأيت لو نزلت وادياً وفيه شجرة قد أُكل منها ، وشجرة لم يؤكل منها ، في أي منها كنتَ ترتع بعيرك ؟ قال عليه الصلاة والسلام : في التي لم يُرْتَعْ منها ، قالت رضي الله عنها : « فأنا هي » ٠

وتقصد بيان فضلها على باقي الزوجات باعتبار أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يتزوج بكراً غيرها ٠

وقد ألمح عليه الصلاة والسلام عن بعض الحِكَم بالزواج بذوات الأبكار ، فقال عليه الصلاة والسلام ـ فيما رواه ابن ماجه والبيهقي ـ :

---

(١) المراة البكر : هي التي لم تتزوج بعد ؛ والثيب : هي التي سبق لها ان تزوجت .

« عليكم بالأبكار فإنهن أعذب أفواهاً ، وأنتق أرحاماً ، وأقل خِبّاً ، وأرضى باليسير »[1] .

كما ألمح عليه الصلاة والسلام لجابر رضي الله عنه ، أن الزواج بالبكر يولد المحبة ، ويقوي جانب الإحصان والعفة ، فقد روى البخاري ومسلم وغيرهما : « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لجابر ــ وهو راجع من غزوة ذات الرقاع ــ : يا جابر هل تزوجت بعد ؟ قلت : نعم يا رسول الله ، قال : أثيباً أم بكراً ؟ قلت : لا ، بل ثيباً ، قال : أفلا جارية تلاعبها وتلاعبك ؟ قلت : يا رسول الله إن أبي أصيب يوم أحد . وترك لنا بناتٍ سبعاً ، فنكحتُ امرأة جامعة ، تجمع رؤوسهن ، وتقوم عليهن ، قال : أصبت إن شاء الله » .

ومما يشير إليه حديث جابر أن الزواج بالمرأة الثيب قد يكون أفضل من الزواج بالمرأة البكر في بعض الحالات ، كحالة جابر رضي‌الله عنه التي مر ذكرها ، ليتم التعاون في رعاية الأيتام ، والعناية بهم ، والقيام على أمرهم . تحقيقاً لقوله تبارك وتعالى :

« وتعاونوا على البر والتقوى » .

٥ ــ تفضيل الزواج بالمرأة الولود :

ومن توجيهات الاسلام في اختيار الزوجة انتقاء المرأة الولود ، وتعرف بشيئين :

الأول : سلامة جسمها من الأمراض التي تمنع من الحمل ، ويستعان لمعرفة ذلك بالمختصين .

---

(١) المقصود بعذوبة الأفواه : طيب الكلام ، ونتق الأرحام : كثرة الأولاد ، واقل خباً اقل مكراً وخديعة .

الثاني : النظر في حال امها ، وحال اخواتها المتزوجات ، فإن كن من الصنف الولود ، فعلى الغالب هي تكون كذلك •

ومن المعلوم طباً أن المرأة حينما تكون من الصنف الولود ، تكون في الغالب في صحة جيدة ، وجسم قوي سليم • والتي تتوافر فيها هذه الظاهرة تستطيع أن تنهض بأعبائها المنزلية ، وواجباتها التربوية ، وحقوقها الزوجية على أكمل وجه ، وأنبل معنى •

ومما تجدر الإشارة إليه ، أن على الذي يتزوج المرأة الولود ، ويحرص على كثرة النسل ، وإنجاب الذرية ، أن يؤدي إليهم ما يترتب عليه من واجب ومسؤولية ، سواء ما يتعلق بمسؤولية النفقة ، أو مسؤولية التربية ، أو مسؤولية التعليم •

وإلا كان مسؤولاً عند الله سبحانه فيما فرط ، وفيما قصّر ؛ وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم القائل : « إن الله سائل كل راعٍ عما استرعاه، حفظ أم ضيع ، حتى يسأل الرجل عن أهل بيته » رواه ابن حبان •

والذي نخلص إليه بعدما تقدم : أن الذي يأنس من نفسه أن ينهض بمسؤوليات الأولاد كما أمر الاسلام فلا يسعه — إن أراد الزواج — إلا أن يفتش عن المرأة الولود ليضاعف من أعداد هذه الأمة المحمدية التي جعلها الله خير أمة أخرجت للناس ؛ وما ذاك إلا من توجيهاته عليه الصلاة والسلام ، وذلك حين جاءه رجل يقول له : يا رسول الله إني أحببت امرأة ذات حسب ومنصب ومال إلا أنها لاتلد ، أفأتزوجها ؟ فنهاه • ثم أتاه الثانية فقال له مثل ذلك ، ثم أتاه الثالثة فقال له عليه الصلاة والسلام : « تزوجوا الولود الودود فإني مكاثر بكم الأمم » رواه أبو داود والنسائي والحاكم•



تلكم هي أهم مبادىء الزواج ، وأهم ارتباطاته بقضايا التربية ؛ فالاسلام يعالج تربية الأفراد من تكوين الخلية الأولى للأسرة ، يعالجها بالزواج لكونه يلبي حاجةالفطرة ويساير أشواق الحياة ، ولكونه يلحق نسب الأبناء بآبائهم، ويحرر المجتمع من الأمراض الفتاكة ، والانحلال الخلقي ، ويحقق التعاون الكامل بين الزوجين في تربية الأولاد،ويؤجج عاطفة الأبوة والأمومة في نفسيهما ...

ولكونه يقوم على أسس متينة وقواعد عملية صحيحة في اختيار شريك الحياة ، والتي من أهمها الاختيار على أساس الدين ، وأساس الأصل والشرف ، وأساس تفضيل ذوات الأبكار .

ولما يعلم المسلم من أين يبدأ ؟ لتكوين الأسرةالمسلمة ، والذرية الصالحة، والجيل المؤمن بالله ... تهون في نظره المسؤوليات الأخرى المترتبة عليه ، والمكلف بها .

لماذا ؟ لأنه أوجد في بيته حجر الأساس الذي يبني عليه ركائز التربية القويمة ، ودعائم الاصلاح الاجتماعي ، ومعالم المجتمع الفاضل .. ألا وهو المرأة الصالحة !!

إذن فتربية الأولاد في الاسلام يجب أن تبدأ أول ما تبدأ ، بزواج مثالي يقوم على مبادىء ثابتة لها في التربية أثر ، وفي إعداد الجيل تكوين وبناء !!.

الا فليتذكر أولو الالباب ؟.

الفصل الثاني

الشعور النفسي نحو الأولاد

المقصود بالشعور النفسي : إبراز ما أودع الله سبحانه في قلب الأبوين من حب وعاطفة ورحمة نحو أولادهما ، والحكمة في دلك ؛ هي استهجان عادات جاهليــة بغيضة استحكمت في بعض النفوس المريضــة ، في النظرة السيئة إلى البنات ؛ وإظهار فضيلة المثوبة والأجر لمن يصبر على فقد الولـــد ويتجلد لفراقه • وأخيراً ماذا يفعل الأبوان إذا تعارضت مصلحة الاسلام مع مصلحة الولد ؟

كل هذه المشاعر النفسية ، والعواطف القلبية ، وكل هــذه التصورات والتساؤلات ستجدها ــ أيها لأخ الكريم ــ مبيّنة مـوضحة في هذاالفصل، وعلى الله قصد السبيل ، ومنه نستمد العون والتوفيق •

١ ــ الأبوان مفطوران على محبة الولد :

من المعلوم بداهة أن قلب الأبوين مفطور على محبة الولد ، ومتأصـــل بالمشاعر النفسية ، والعواطف الأبوية لحمايته ، والرحمة به ، والشفقة عليه ، والاهتمام بأمره •

ولولا ذلك لانقرض النـوع الانساني من الأرض ، ولما صبر الأبوان على رعاية أولادهما ، ولما قاما بكفالتهم ، وتربيتهـم ،والسهر علـى أمرهم ، والنظر في مصالحهم ..

ولا عجب أن يصور القرآن العظيم هذه المشاعر الأبوية الصادقة ، أجمل تصوير ، فيجعل من **الأولاد تـارة** زينـة الحياة : « **المـال والبنون زينة الحيـاة الدنيـا ...** » الكهف : (٤٦)

ويعتبرهم أخرى نعمة عظيمة تستحق شكر الواهب المنعم :
« **وامددناكم باموال وبنين وجعلناكم اكثر نفيراً** » الإسراء (٦)

ويعتبرهم ثالثة قرة اعين إن كانوا سالكين سبيل المتقين :
« **والذين يقولون ربنـا هب لنا من ازواجنا وذرياتنا قرة اعين واجعلنـا للمتقين إماماً** » . الفرقان (٧٤)

إلى غير ذلك من هذه الآيات القرآنية التي تصور عواطف الأبوين نحو الأولاد ، وتكشف عن صدق مشاعرهما ، ومحبة قلبيهما ، تجاه أفلاذ الأكباد، وثمرات الفؤاد .

وإليك ــ أيها القارىء الكريم ــ طاقة مما قاله الشعراء في محبة الأولاد، وهي أشعار تفيض رقة وحناناً ، وتتأجج شعوراً وعاطفة . وهي بمجموعهـا تؤكد ظاهرة الحب والحنان التي أودعها الله في قلبي الأبوين ، ليبذلا قصارى جهودهما ، وغاية مساعيهما في تربية الولد ، وإعداده ليكون إنساناً صالحاً في الحيـاة .

ونبدأ بما قاله أمية بن أبي الصلت في حق ولده العاق ، وهي من غُرر القصائد التي تفيض رقة وحناناً ، والتي تصور صدق المشاعر القلبية الأبويـة نحـو الولد :

غذوتك مولوداً وعلتك يافعاً تَعُلّ بما أجني عليك وتنهل
إذا ليلة ضافتك بالسقم لم أبت لسقمك إلا ساهراً أتململ
كأني أنا المطروق دونك بالذي طُرقتَ به دوني فعيني تهمل
تخاف الردى نفسي عليك وإنها لتعلم أن الموت وقت مؤجل
فلما بلغت السنّ والغاية التي إليها مدى ما كنت فيك أؤمل
جعلت جزائي غلظة وفظاظة كأنك أنت المنعم المتفضل
فليتك إذ لم ترعَ حق أبوّتي فعلتَ كما الجار المجاور يفعل
فأوليتني حق الجوار فلم تكن علي بمال دون مالك تبخل



واسمعوا إلى ما يقوله أبو بكر الطرطوسي فيما يتجرع الأبوان عند فراق الولد :

لو كان يدري الإبن أية غصة يتجرع الأبوان عند فراقه
أمٌ تهيج بوجده حيرانة وأب يسحّ الدمع من آماقه
يتجرعان لبينه غصص الردى ويبوح ما كتماه من أشواقه
لرثى لأم سلّ من أحشائها وبكى لشيخ هام في آفاقه
ولبدل الخلق الأبي بعطفه وجزاهما بالعطف من أخلاقه



وإليكم ما قاله آخر في العطف الأبوي الدفاق الذي قعد بالأب دون الكفاح من أجل ما يسعى لتحقيقه :

لقد زاد الحياة إليّ حباً بناتي إنهن من الضعاف
أحاذر أن يرين الفقر بعدي وأن يشربْنَ رَنْقاً بعد صاف

وأن يعريْن إن كُسِيَ الجـواري فتنبو العـين عـن كـرم عجـاف
ولولا ذاك قـد سوَّمت مُهـري وفـي الرحمـن للضعفـاء كـاف
أبانـا مَـنْ لنـا إن غبت عنـا وصار الناس بعـدك فـي اختلاف



ومما قيـل كذلك :

ولولا بُنيّـات كزُغْب القطـا حُطِطْنَ مـن بعضٍ إلـى بعض
لكـان لـي مضطـرَبٌ واسـع في الأرض ذات الطـول والعرض
وإنمـا أولادنـا بيننـا أكبـادنـا تمشـي عـلى الأرض
لو هبت الريـح عـلى بعضهـم لامتنعـت عيـني مـن الغمـض



وأخيراً فلنستمـع إلى ما يقـوله الشاعر الكبير الأستـاذ عمر بهـاء الأميري في صدق الحنـان والشاعرية ، وذلـك لما سافر أولاده الثمانية من المصيف إلى حلب . فتلبث وحـده في خـلوة شعرية ليتحف الأدب العربي قصيدة من غرر القصائد في محبة الآباء للأبناء :

أين الضجيج العـذبُ والشغَبُ أيـن التدارسُ شـابَـه اللعبُ
أيـن الطفولـةُ فـي توقدهـا أيـن الدُمى في الأرض والكتبُ
أيـن التشاكس دونمـا غـرضٍ أيـن التشـاكي مـاله سبَـبُ
أيـن التبـاكي والتضاحـكُ في وقتٍ معـاً ، والحـزنُ والطربُ
أيـن التسـابق فـي مجـاورتي شَغَفَـاً إذا أكلـوا وإن شربـوا
يتزاحمـون عـلى مجـالستـي والقـرب منـي حيثمـا انقلبـوا
يتوجهـون بسَـوْق فطرتهـم نحوي إذا رَهِبُـوا وإن رغبـوا

فنشيدُهُمْ : « بابا » إذا فرِحوا
وعيدُهُمْ : « بابا » إذا غضبوا

وهتافُهم : « بابا » إذا ابتعدوا
ونجيُّهم : « بابا » إذا اقتربوا

بالأمس كانوا ملءَ منزِلنا
واليومَ ، ويحَ اليوم ، قد ذهبوا

وكأنما الصمتُ الذي هبطت
أثقاله في الدار إذ غَرَبوا

إغفاءةُ المحموم هدأتُها
فيها يشيعُ الهمّ والتعب

ذهبوا، أجَلْ ذهبوا، ومسكنُهُمْ
في القلب ، ماشطوا وما قَربوا

إني أراهُم أينما التفتَتْ
نفسي وقد سكنوا ، وقد وثَبوا

وأحسّ في خلدي تلاعبُهم
في الدار ليس ينالهم نصبُ

وبريقَ أعينهم ، إذا ظفِروا
ودموعَ حُرقتهم إذا غُلِبُوا

في كل ركنٍ منهمُ أثَرٌ
وبِكلّ زاوية لهم صَخَبُ

في النافذات زُجاجَها حطموا
في الحائط المدهون قد ثقَبُوا

في الباب قد كسروا مزَالجه
وعليه قد رسموا وقد كتبوا

في الصحن فيه بعضُ ما أكلوا
في علبة الحلوى التي نهبُوا

في الشطر من تفاحَة قضموا
في فضلة الماء التي سكبوا

إني أراهم حيثما اتجهت
عيني كأسراب القطا سَرَبوا

بالأمس في « قرنايلٍ » نزلوا
واليوم قد ضَمتهُمُ « حَلَبُ »

● ● ●

دمعي الذي كتّمتُه جلداً
لما تباكوا عند ما ركبوا

حتى إذا ساروا وقد نزعوا
من أضلعي قلباً بهم يجبُ

ألفَيْتُني كالطفل عاطفةً
فإذا به كالغيث ينسكب

قد يعجب العُذّال من رجلٍ
يبكي ، ولو لم أبكِ فالعجبُ

هيهات ما كل البُكا خَوَرٌ
إني وبي عزم الرجال أبُ

★ ★ ★

من هذا كله نعلم قوة العاطفة الفياضة التي أودعها الله في قلب الأبوين نحو الأولاد ، وما ذاك إلا ليساقا سوقاً نحو تربيتهم ، ورعايتهم ، والاهتمام بشؤونهم ومصالحهم •

« فطرةَ الله التي فطر الناس عليهــا لاتبديل لخلق الله ••• » الروم (٣٠)

ب ـ الرحمــة بالأولاد منحــة من الله للعبــاد :

ومن المشاعر النبيلة التي أودعها الله في قلبي الأبوين ، شعور الرحمــة بالأولاد ، والرأفة بهم ، والعطف عليهم، وهو شعور كريم له في تربية الأولاد، وفي إعدادهم وتكوينهم ،أفضل النتائج ، وأعظم الآثار •

والقلب الذي يتجرد من خلق الرحمة ، يتصف صاحبه بالفظاظة العاتية، والغلظة اللئيمة القاسية • ولايخفى ما في هذه الصفات القبيحة من ردود فعل في انحراف الأولاد ، وفي تخبطهم في أوحال الشذوذ ، ومستنقعات الجهــل والشقــاء ••

لهذا كله نجد شريعتنا الاسلامية الغراء ، قد رسخت في القلوب خلــق الرحمــة ، وحضت الكبار من آباء ومعلمين ومسؤولين على التحــلي بها ، والتخلق بأخلاقها •

وإليكم اهتمام الرسول صلوات الله وسلامه عليه بموضوع الرحمــة ، وحرصه الزائد على تحلي الكبار بهذا الخلق الكريم ، والشعور النبيــل :

ــ روى أبو داود والترمذي عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رضي الله عنهم قال : قال رسول الله صلى الله عليــه وسلم : « ليس منا من لم يرحــم صغيرنا ، ويعرف حق كبيرنا » •

ــ وروى البخاري في الأدب المفرد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : « أتى

النبي صلى الله عليه وسلم رجل" ومعه صبي ، فجعل يضمه إليه ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم أترحمه ؟ قال : نعم ، قال : فالله أرحم بك منك به ، وهو أرحم الراحمين » .

ـ وكان عليه الصلاة والسلام إذا رأى أحداً من أصحابه لايرحم أولاده يزجره بحزم ، ويوجهه إلى ما فيه صلاح البيت والأسرة والأولاد ... فقد روى البخاري في الأدب المفرد عن عائشة رضي الله عنها قالت : جاء أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : أتقبّلون صبيانكم ، فما نقبلهم ؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « أَوَ أملك لك أن نزع الله من قلبك الرحمة ؟ » .

ـ وروى البخاري أن أبا هريرة رضي الله عنه قال : قبّل رسول الله صلى الله عليه وسلم الحسن بن علي ، وعنده الأقرع بن حابس التميمي جالس ، فقال الأقرع : إن لي عشرة من الولد ما قبلتُ منهم أحداً ، فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إليه ثم قال : « من لايَرحم لايُرحم » .

ـ وروى البخاري في أدبه عن أنس بن مالك قال : « جاءت امرأة إلى عائشة رضي الله عنها ، فأعطتها عائشة ثلاث تمرات، فأعطت كل صبي لها تمرة، وأمسكت لنفسها تمرة ، فأكل الصبيّان التمرتين ونظرا إلى أمهما ، فعمدت الأم إلى التمرة فشقتها ، فأعطت كل صبي نصف تمرة ، فجاء النبي صلى الله عليه وسلم ، فأخبرته عائشة ، فقال : وما يعجبك من ذلك ؟ لقد رحمها الله برحمتها صبيّيها » .

ـ وكان عليه الصلاة والسلام إذا رأى طفلاً يحتضر ، وأوشكت أن تفيض روحه ، فاضت عيناه بالدموع حزناً وعطفاً على الصغار ، وتعليماً للأمة فضيلة العطف والرحمة .. روى البخاري ومسلم عن أسامة بن زيد رضي عنهما قال : أرسلت بنتُ النبي صلى الله عليه وسلم إلى أبيها أن ابني قد احتُضر[1]

---

(١) اي حضرته مقدمات الموت .

فاشْهَدنا ، فأرسل عليه الصلاة والسلام يقرىء السلام ، ويقول : « إن لله ما أخذ وله ما أعطى ، وكل شيء عنده بأجلٍ مسمى فلتصبر ولتحتسب » . فأرسلت إليه تقسم عليه ليأتينها ، فقام ومعه سعد بن عبادة . ومعاذ بن جبل ، وأبي بن كعب ، وزيد بن ثابت ، ورجال ، رضي الله عنهم، فرفع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصبي ، فأقعده في حجره ، ونفسه تقعقع[1] ، ففاضت عيناه ، فقال سعد : يارسول الله ما هذا ؟ فقال : « هذه رحمة جعلها الله تعالى في قلوب عباده » . وفي رواية : « **جعلها الله في قلوب من شاء من عباده ، وإنما يرحم الله من عباده الرحماء** » .

وينبغي ألا يغرب عن البال أن ظاهرة الرحمة إذا حلت قلب الأبوين ، وترسخت في نفسيهما ، قاما بما يترتب عليهما من واجب ، وأديا ما عليهما من حق تجاه من أوجب الله عليهما حق الرعاية ، وواجب المسؤولية ، ألا وهم الأولاد !!..

ج ـ كراهية البنات جاهلية بغيضة :

الاسلام بدعوته إلى المساواة المطلقة ، والعدل الشامل ، لم يفرق في المعاملة الرحيمة ، والعطف الأبوي ، بين رجل وامرأة ، وذكر وأنثى ، تحقيقاً لقوله تبارك وتعالى :

« اعدلوا هو اقرب للتقوى .. » المائدة : (٨) .

وتنفيذا لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم القائل في الحديث الذي رواه أصحاب السنن ، والإمام أحمد ، وابن حبان عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما : « اعدلوا بين أبنائكم ، اعدلوا بين أبنائكم ، **اعدلوا بين أبنائكم** » .

فانطلاقاً من هذا الأمر القرآني ، والتوجيه النبوي ، حقق الآباء في

---

(١) **تقعقع** : اي تتحرك وتضطرب .

أولادهم عبر العصور والتاريخ مبدأ العدل والمساواة ، في المحبة . والمعاملة . والنظرة الحانية ، والملاطفة الرحيمة . دون أن يكون بين الذكور والإناث أي تمييز أو تفريق !!..

وإذا وجد في المجتمع الاسلامي آباء ينظرون إلى البنت نظرة تمييز عن الولد ، فالسبب في هذا يعود إلى البيئة الفاسدة التي رضعوا منها أعرافاً ما أنزل الله بها من سلطان . بل هي أعراف جاهلية محضة . وتقاليد اجتماعية بغيضة ، يتصل عهدها بالعصر الجاهلي الذي قال الله تعالى فيه :

« وإذا بشر احدهم بالانثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم ، يتوارى من القوم من سوء ما بشر به ، ايمسكه على هون أم يدسه في التراب ، ألا ساء مايحكمون ».

النحل : (٥٩)

والسبب في ذلك أيضاً يعود إلى ضعف الإيمان . وزعزعة اليقين . لكونهم لم يرضوا بما قسمه الله لهم من إناث ، لم يملكوا هم ولا نساؤهم . ولا من في الأرض جميعاً ، أن يغيروا من خلق الله شيئاً . ألم يسمعوا إلى ما يقوله الله تبارك وتعالى في تدبيره المبرم ، وإرادته النافذة . ومشيئته المطلقة . وأمره الغالب في شأن الإناث ، وشأن الذكور ؟ :

« لله ملك السموات والأرض يخلق ما يشاء ، يهب لمن يشاء إناثاً ، ويهب لمن يشاء الذكور . او يزوجهم ذكراناً وإناثاً ، ويجعل من يشاء عقيماً إنه عليم قدير » .

الشورى : (٥٠)

ومن طرائف ما يروى أن أميراً من العرب يكنى بأبي حمزة ، تزوج امرأة . وطمع أن تلد له غلاماً ، فولدت له بنتاً ، فهجر منزلها ، وصار يأوي إلى بيت غير بيتها ، فمر بخبائها بعد عام ، وإذا هي تداعب ابنتها بأبيات من الشعر تقول فيها :

مـا لأبي حمزة لا يأتينـا   يظلّ فـي البيت الـذي يلينـا
غضبـان ألاّ نـلد البنينا   تالله ما ذلـك فـي أيـدينـا
وإنمـا نأخـذ ما أعطينـا

فغدا الرجل حتى دخل البيت ، بعـد أن أعطتـه درساً في الإيمـان ، والرضى ، وثبـات اليقين • فقبل رأس امرأته ، وابنتها ، ورضي بعطاء الله المقدر ، وهبته المقسومة !!••

ولكي يقتلع رسول الاسلام صلوات الله وسلامه عليه من بعض النفوس الضعيفة جذور الجاهلية ، خص البنات بالذكر ، وأمر الآباء والمربين بحسن صحبتهن ، والعناية بهن ، والقيام على أمورهن ، ليستأهلوا دخول الجنـة ، ورضوان الله عز وجل • وبالتالي حتى تكون تربية البنات ، وتحقيق الخير لهن على الوجه الذي يرضي الله سبحانه ، ويأمر به الاسلام !!••

وإليكم بعض التوجيهات النبوية في وجوب العناية بالبنات ، والاهتمام بهـنّ :

روى مسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من عال جاريتين حتى تبلغا ، جاء يوم القيامة أنا وهو كهاتين ــ وضم أصابعه ــ » •

وروى الإمام أحمد في مسنده عن عقبة بن عامر الجهني قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من كانت له ثلاث بنات فصبر عليهن، وسقاهن وكساهن من جِدَته (أي ماله) ، كن له حجاباً من النار » •

وروى الحميدي عن أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من كان له ثلاث بنات أو ثلاث أخـوات ، أو بنتـان أو أختان ، فأحسن صحبتهن ، وصبر عليهن ، واتقى الله فيهن دخل الجنة » •

فما على المربين إلا أن يأخذوا بهذه الإرشادات النبوية ، والتعاليم الاسلامية في وجوب العناية بالبنات ، وتحقيق العدل والمساواة بينهن وبين الأولاد . ليحظوا بجنة عرضها السموات والأرض ، ورضوان من الله أكبر ، في مقعد صدق عند مليك مقتدر .

د ـ فضيلة من يتجلد لموت الولد :

عندما يصل المسلم إلى درجة عالية من الإيمان ، ويبلغ منزلة رفيعة من اليقين ، ويؤمن حقيقة بالقضاء خيره وشره من الله تعالى ، تصغر في عينيه الأحداث ، وتهون أمامه المصائب ، ويستسلم لله سبحانه في كل ما ينوب ويروع . وتطمئن نفسه ، ويستريح ضميره لصبره على البلاء ، ورضائه بالقضاء ، وخضوعه لمقادير رب العالمين .

من هذا المنطلق الأيماني أخبر النبي صلوات الله وسلامه عليه ، أن من يموت له ولد فيصبر ويسترجع ، يبني الله له بيتاً في الجنة اسمه بيت الحمد. فقد روى الترمذي وابن حبان عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إذا مات ولد العبد قال الله عز وجل لملائكته : قبضتم ولد عبدي ؟ فيقولون : نعم ، فيقول : قبضتم ثمرة فؤاده ؟ فيقولون : نعم ، فيقول : ماذا قال عبدي ؟ فيقولون : حمدك واسترجع[1] ، فيقول : ابنوا لعبدي بيتاً في الجنة ، وسموه بيت الحمد » .

ولهذا الصبر ثمرات ، يقتطفها الصابر المحتسب ، في يوم لاينفع فيه مال ولا بنون .

فمن ثمراته أنه سبيل إلى الجنة ، وحجاب من النار : روى البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه

---

(١) يسترجع : يقول إنا لله وإنا إليه راجعون .

وسلم قال للنساء مرة : « ما منكن امرأة يموت لها ثلاثة من الولد ، إلا كانوا لها حجاباً من النار ، فقالت امرأة : واثنان ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : واثنان » .

وروى أحمد وابن حبان عن جابر رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من مات له ثلاثة من الولد فاحتسبهم دخل الجنة ، قال : قلنا : يارسول الله : واثنان ؟ قال : واثنان » .

قال أحد الرواة لجابر : أراكم لو قلتم : واحداً ، لقال : واحداً . قال جابر : وأنا أظن ذلك .

ومن ثمرات الصبر كذلك أن الولد الذي يموت وهو صغير يشفع لأبويه يوم القيامة :

روى الطبراني بإسناد جيد عن حبيبة أنها كانت عند عائشة رضي الله عنها ، فجاء النبي صلى الله عليه وسلم حتى دخل عليها ، فقال : ما من مسلمَين يموت لهما ثلاثة من الولد لم يبلغوا الحِنْث (أي سن البلوغ) إلاّ جيء بهم يوم القيامة حتى يُوقَفوا على باب الجنة ، فيقال لهم : ادخلوا الجنة ، فيقولون : حتى تدخل آباؤنا ، فيقال لهم : ادخلوا الجنة أنتم وآباؤكم .

وروى مسلم في صحيحه عن أبي حسان قال : توفي ابنان لي فقلت لأبي هريرة رضي الله عنه : سمعتَ من رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثاً تحدثناه ، تطيب به أنفسنا عن موتانا ؟ قال : نعم ، « صغارهم دعاميص[1] الجنة يلي أحدهم أباه — أو قال أبويه — فيأخذ بناحية ثوبه أو يده ، كما آخذ بصَنِفة[2] ثوبك هذا ، فلا يفارقه حتى يدخله الله وإياه الجنة » .

---

(١) دعاميص : واحد دعموص : اي صغار اهلها . واصله دويبة تكون في الماء لاتفارقه ، اي ان هذا الصغير في الجنة لايفارقها .
(٢) بصنفة ثوبك : اي طرفه .

ومن المواقف البطولية الإيمانية التي كان يقفها نساء الصحابة رضي الله عنهن ، والتي تدل على الصبر والرضى والايمان عند موت الولد . موقف أم سليم ـــ رضي الله عنها ـــ الرائع ، وتجلدها العظيم . وإليكم القصة بكمالهـــا كما رواها البخاري ومسلم : عن أنس رضي الله عنه قال : كان ابن لأبي طلحة رضي الله عنه يشتكي . فخرج أبو طلحة . فقُبض[1] الصبي . فلما رجع أبو طلحة قال : ما فعـــل ابني ؟ قالت أم سليم ـــ وهي أم الصبي ـــ : أسكن[2] ما كان ، فقربت له العشاء فتعشى ، ثم تصنعت له (أي تزيّنت) أحسن ماكانت تَصنّعُ قبل ذلك ، فوقع بها (أي جامعها) فلما رأت أنه قد شبع وأصاب منها ، قالت : يا أبا طلحة أرأيت لو أن قوماً أعاروا عاريتهم أهل بيت ، فطلبوا عاريتهم ألهم أن يمنعوهم ؟ قال : لا ، فقالت : فاحتسب ابنك (أي ابنـــك مات فاطلب الأجر من الله) ، قال : فغضب ، ثم قال : تَركْتِنِي حتى إذا تلطّختُ (أي أصابتني جنابة بسبب الجماع) ، ثم أخبرتِني بابني ، فانطلق حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره بما كان ـــ فأقر عليه الصلاة والسلام أم سليم على ما فعلت ـــ ثم قال : « بارك الله في ليلتكما » . وفي رواية قال : « اللهـــم بارك لهما » ، فولدت غلاماً سماه النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله ، فقـــال رجل من الأنصار : فرأيت تسعة أولاد كلهم قد قرأوا القرآن ـــ يعني من أولاد « عبد الله » المولود ـــ وما ذاك إلا استجابة لدعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم حين دعا : « اللهم بارك لهما » .

ولاشك أن الإيمان بالله سبحانه ، إذا ترسخ في قلب مؤمن ، فإنه يصنع الأعاجيب لكونه يصيّر من الضعف قوة ، ومن الجبن شجاعـــة ، ومن الشح والبخل بذلاً وسخاء ، ومن الجزع والهلع صبراً واحتمالاً .

---

(١) قبض : أي مـــات .
(٢) تقصد انه مات، وفهم ابو طلحة انه تماثل نحو الشفاء .

فما أجدر الآباء والأمهات أن يتذرّعوا بالإيمان ، وأن يتسلحوا باليقين حتى إذا أصابتهم مصيبة لم يجزعوا ، وإذا مات لهم ولد لم يتبرّموا ، وإنما كان قولهم : إنا لله وإنا إليه راجعون • فإن لله ما أخذ ، وله ما أعطى ، وكل شيء عنده بأجلٍ مسمى ، فلتصبر ولتحتسب ، حتى يحظوا بالثواب والأجر عند من له الحكم والأمر •

اللهم هوّن علينا مصائب الدنيا ، ورضّنا بقضائك وقدرك • وتولّنا في الدنيا والآخرة فإنك خير المتولين يارب العالمين •

هـ ـ تغليب مصلحة الاسلام على حب الولد :

إذا كان قلب الأبوين ينطوي على مثل تلك المشاعر الصادقة من الحب والرحمة والعطف والحنان نحو الأولاد ، وفلذات الأكباد ، فينبغي ألا تطغى هذه المشاعر على الجهاد في سبيل الله ، وتبليغ دعوة الله في الأرض ، لأن مصلحة الاسلام فوق كل المصالح والاعتبارات ، ولأن إقامة المجتمع الاسلامي غاية المؤمن ، وهدفه في الحياة • ولأن هداية الانسانية التائهة أسمى مايسعى إليه المسلم وأعظم ما يحرص على نشره وتحقيقه •

وهكذا فهم الرعيل الأول من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومن اتبعهم بإحسان هذا الفهم ، فلم يعرفوا حركة سوى الجهاد ، ولا تبليغاً غير الدعوة ، ولا غاية غير الاسلام •

فلا غرابة أن نسمع في التاريخ عن انطلاقتهم الكبرى في تبليغ الرسالة الاسلامية ، وإعلاء كلمة الله في الأرض • ولا عجب أن يضحوا في سبيل ذلك بالغالي والنفيس ، ويتمنوا الشهادة في سبيل الله •

وإليكم ما قاله عبادة بن الصامت رضي الله عنه للمقوقس ملك مصر لما خوفه بجمع الروم الهائل، وأغراه بالمال والدنانير : « يا هذا ، لا تغرّنّ نفسك ولا أصحابك ، أما تخوفنا به من جمع الروم ، وعددهم ، وكثرتهم ، وأنّا لا نقوى عليهم ، فلعمري ما هذا بالذي تخوفنا به ، ولا بالذي يردنا عما نحن فيه إن كان ما قلتم حقاً . وإنا منكم على إحدى الحسنيين : اما أن تعظم لنا غنيمة الدنيا إن ظفرنا بكم ، أو غنيمة الآخرة إن ظفرتم بنا ، وإن الله عز وجل قال في كتابه العزيز :

« كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله ، والله مع الصابرين » .

وما منا رجل إلا وهو يدعو ربه صباحاً ومساء أن يرزقه الشهادة ، وألا يرده إلى بلده ولا إلى أرضه ، ولا إلى أهله وولده ، وليس لأحد منا همّ فيما خلفه من أهل وولد ، وقد استودع كل واحد منا ربه أهله وولده ، وإنما همنا الجهاد في سبيل الله ، وإعلاء كلمته . وأما قولك : إنا في ضيق وشدة من معاشنا وحالنا ، فنحن في أوسع السعة ، لو كانت الدنيا كلها لنا ماأردنا منها لأنفسنا أكثر مما نحن فيه » .

هذا الموقف الذي وقفه عبادة رضي الله عنه ، هو واحد من آلاف المواقف التي وقفها جدودنا البواسل الأمجاد ، في فترات طويلة من التاريخ ، وما هذه التضحيات الجسام ، وتغليب حب الجهاد والدعوة على حب الأهل والولد ، والمسكن والعشيرة ، إلا لأنهم وجدوا الله سبحانه يقول في محكم تنزيله :

«قل إن كان آباؤكم وابناؤكم وإخوانكم وازواجكم وعشيرتكم واموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها ، احب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله ، فتربصوا حتى ياتي الله بامره ، والله لايهدي القوم الفاسقين » .
التوبة « ٢٤ »

ومن المآثر الكريمة التي تناقلتها الألسن عن الإمام الشهيد حسن البنا

رحمه الله ورضي عنه ، أنه كان من عادته أن يتفقد شباب الدعوة إلى الله في الأقضية والنواحي في كل عيد من الأعياد ، ففي مرة من المرات التي كان يخرج فيها ، مرض ولده سيف الاسلام مرضاً شديداً أشرف فيه على الموت ، فقالت له زوجته : لو بقيت معنا في هذا العيد نستأنس بك ، وتكون بجانب ولدك المريض ، فأجابها وبيده حقيبة السفر : إن منّ الله على ولدي بالشفاء فلله الحمد والمنّة ، وإن قدر الله عليه الموت فجده أعرف بطريق المقابر ، ثم خرج وهو يتلو قوله تبارك وتعالى :

« **قل إن كان آباؤكم وابناؤكم وإخوانكم ..** » إلى آخر الآية .

الله أكبر ، هكذا فليكن التفاني في إعلاء كلمة الله .. الله أكبر ، هكذا فليكن الدعاة إلى الله .. لو لم يكن لسلفنا ورجال الدعوة فينا إلا هذه المواقف لكفتهم على مدى الأيام فخراً وشرفاً وخلوداً !!..

أيها الأب المؤمن : يجب أن يكون حب الاسلام والجهاد والدعوة إلى الله مسيطراً على قلبك وجوارحك ، ومقدّماً على حب أهلك وولدك وعشيرتك ، حتى تندفع بكليتك إلى تبليغ الدعوة وحمل راية الجهاد ، عسى أن تكون في عداد الرجال الذين يبنون بسواعدهم المتينة مجد الاسلام ، ويقيمون بعزائمهم القوية دولة القرآن ، ويعيدون للأمة المحمدية عزتها المنيعة ، وكرامتها المجيدة ، وكيانها العظيم ، وما ذلك على الله بعزيز .

اسمع إلى ما يقوله عليه الصلاة والسلام في الذين يريدون أن يكمل إيمانهم ، ويذوقوا في أعماق قلوبهم حلاوته ، ويجدوا في قرارة وجداناتهم لذته !!..

— روى البخاري عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان : أن يكون الله ورسوله

أحب إليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لايحبه إلا لله ، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار » •

ـ وروى البخاري كذلك أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم : لأنت يا رسول الله أحب إلي من كل شيء إلا نفسي التي بين جنبي ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : لن يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه ، فقال عمر : والذي أنزل عليك الكتاب لأنت أحب إلي من نفسي التي بين جنبي ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : الآن يا عمر ! ! • أي الآن كمل إيمانك •

ـ وثبت في الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لايؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به » •

ـ وروى البخاري ومسلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لايؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ماله وولده والناس أجمعين » •

و ـ عقوبة الولد وهجره لمصلحة تربوية :

ما دام الولد صغيراً يعيش في كنف أبويه ، وما دام في سن التعليم والتربية ، فيجدر بالأبوين والمربين ، ألا يتركا وسيلة من وسائل الاصلاح إلا سلكوها ، ولا طريقة في تقويم اعوجاجه . وتهذيب وجدانه وأخلاقه إلا نهجوها . حتى ينشأ الولد على الخلق الاسلامي الكامل ، والأدب الاجتماعي الرفيع •

وللاسلام طريقته الخاصة في إصلاح الولد وتربيته ، فإن كان ينفع مع الولد الملاطفة بالوعظ . فلا يجوز للمربي أن يلجأ إلى الهجر ، وإن كان ينفع الهجر أو الزجر فلا يجوز له أن يلجأ إلى الضرب • وإذا عجز عن جميع الوسائل

الاصلاحية ملاطفة ووعظاً ، وزجراً وهجراً ، فلا بأس بعد هذا أن يلجأ إلى الضرب غير المبرّح ، عسى أن يجد المربي في هذه الوسيلة إصلاحاً لنفسه ، وتقويماً لسلوكه واعوجاجه ! ! .

وإليكم هذه المراحل في الاصلاح مستقاة من السنة النبوية ، وعمل الصحابة ، لتعرفوا — أيها المربون — طريقة الاسلام في الاصلاح ، ومنهجه في التربية .

أما فيما يتعلق بتوجيه الولد ووعظه وملاطفته، فقد روى البخاري ومسلم عن عمر بن أبي سلمة رضي الله عنهما قال : كنت غلاماً في حِجر[1] رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكانت يدي تطيش[2] في الصّحْفة ، فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا غلام سَمّ الله ، وكل بيمينك ، وكل مما يليك » .

وروى البخاري ومسلم عن سهل بن سعد رضي الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتي بشراب فشرب منه ، وعن يمينه غلام ، وعن يساره أشياخ ، فقال الرسول صلى الله عليه وسلم للغلام : أتأذن لي أن أعطي هؤلاء ، — وهذه هي الملاطفة — فقال الغلام : لا والله ، لا أوثر بنصيبي منك أحداً ، فتلّه رسول الله صلى الله عليه وسلم في يده (أي وضعه في يده) ، وهذا الغلام هو عبد الله بن عباس .

أما فيما يتعلق في هجر الولد : فقد روى البخاري ومسلم عن أبي سعيد رضي الله عنه قال : نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخَذْف[3] ، وقال : « إنه لا يقتل الصيد ، ولا ينكأ العدو ، وإنه يفقأ العين ، ويكسر

---

(١) في حجر رسول الله : اي تحت نظره ورعايته .
(٢) تطيش : أي تتحرك وتمتد إلى نواحي الطعام الموجود في القصعة .
(٣) الخذف : رمي الحصى بالسبابة والإبهام .

السنّ » ، وفي رواية : أن قريباً لابن مغفل ــ وكان دون الحلم ــ خذف . فنهاه وقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن الخذف ، وقال : « إنها لاتصيد صيداً .. » . ثم عاد فقال : أحدثك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عنه ، ثم عدتَ تخذف ؟ لا أكلمك أبداً ! ! .

أما فيما يتعلق بضرب الولد فقد روى أبو داود والحاكم عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين ، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر ، وفرقوا بينهم في المضاجع » .

وهذه المراحل في التأديب إذا كان الولد في سن الطفولة والمراهقة .

وأما إن بلغ سن الشباب ، وتدرج نحو الكبر ، فإن الطريقة في الاصلاح والتأديب تختلف .

فعندما لاينفع مع الولد الإقناع والوعظ والارشاد ، فعلى المربي أن يلجأ إلى الهجر الدائم ما دام مصراً على فسقه وفجوره ، سادراً في غيه وضلاله .

إليكم النصوص التي تثبت ذلك :

ــ روى الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أوثق عرى الإيمان : الموالاة في الله ، والمعاداة في الله ، والحب في الله ، والبغض في الله » .

ــ وروى البخاري ــ في باب مايجوز من الهجران لمن عصى ــ : وقال كعب حين تخلف عن النبي صلى الله عليه وسلم في تبوك : « نهى النبي صلى الله عليه وسلم المسلمين عن كلامنا ، وذكر خمسين ليلة » ، حتى ضاقت عليهم الأرض بما رحبت ، وضاقت عليهم أنفسهم ، ولم يكن أحد من الناس يكلمهم أو يحيّيهم أو يجالسهم ، حتى أنزل الله في كتابه توبته عليهم .

ـ وقد ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم هجر بعض نسائه شهراً زجراً لهن وتأديباً .

ـ وروى السيوطي أن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما هجر ابناً له إلى أن مات ، لأنه لم ينْقَدْ لحديث ذكره له أبوه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: « نهى فيه الرجال أن يمنعوا النساء من الذهاب إلى المساجد »(١) .

هذا إذا انحرف وفسق وهو على الإيمان والاسلام ، وأما إذا ألحدوكفر وخرج عن الملة الاسلامية فالتبرؤ منه ، والإعراض عنه ، والهجران له من أبسط مقتضيات الإيمان ، ومن أظهر توجيهات القرآن الكريم .

وإليكم النصوص التي تثبت ذلك :

قــال تعالى :

« لاتجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادّون من حادّ الله ورسوله ، ولو كانوا آباؤهم او ابناءهم او إخوانهم او عشيرتهم » المجادلة (٢٢)

وقال الله سبحانه على لسان نوح عليه السلام :

« ونادى نوح ربّه فقال : ربّ إن ابني من أهلي ، وإن وعدك الحق وأنت احكم الحاكمين ، قال: يانوح إنه ليس من أهلك، إنه عمل غير صالح ، فلاتسألنِ ما ليس لك به علم ، إني أعظك ان تكون من الجاهلين » . هــود (٤٦)

وقال الله سبحانه على لسان إبراهيم عليه السلام :

« وإذ ابتلى إبراهيمَ ربه بكلمات فاتمهن ، قال : إني جاعلك للناس إماماً ، قال : ومن ذريتي ، قال : لا ينال عهدي الظالمين » .

البقرة : (١٢٤)

---

(١) الف السيوطي رسالة سماها « الزجر بالهجر » اي التاديب بالمقاطعة، استدل فيها على ذلك بنصوص وآثار كثيرة فارجع إليها .

وقال سبحانه عن موقف إبراهيم من أبيــه :

« وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إيــاه ، فلما تبين له انــه عــدو لله تبرأ منــه ، إن إبراهيــم لأواه حليــم » .

التوبة : (١١٤)

من هذه النصوص وغيرها يتبيّن أن هجر الولد والقرابة .. إن كانوا مصرين على الكفر فإن هجرهم من مستلزمات العقيدة والايمان ، ذلــك لأن الاسلام يعتبر رابطة الأخوة الاسلامية فوق رابطة النسب ، ورابطة الأرض ، ورابطة اللغة ، ورابطة الجنس ، ورابطة المصالح الاقتصــادية .. وشعاره في ذلك قوله تعــالى :

«قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال" اقترفتموها وتجارة" تخشون كسادها ومساكن ترضونها ، أحب" إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربّصوا حتى يأتي الله بــأمره ، والله لايهدي القــوم الفاسقين » .

التوبــة : (٢٤)

ومن المعلوم أن مبدأ الاسلام الذي **لا يتبدل :**

« إنما المؤمنون إخــوة » الحجرات : (١٠)

وشعاره الذي لا يتغير :

« إن أكرمكم عند الله اتقاكم » .

فبأي حديث بعد هذا يؤمنون ؟



وبعد : فهذا الذي بيناه في هــذا الفصل هو أهــم المشاعر النفسية ، والعواطف القلبية التي يجب أن تعتلج في نفوس المربين ، ولقد رأيت أن من هذه المشاعر ما هو فطري متأصل في قلبي الأبوين ، وفي نفسيهما ، كمشاعر الحب والحنان والعطف والرحمة . ولولاها لما انتظمت سنة الكون في المحافظة على النوع **الانساني** ، ولولاها لما اندفع الأبوان إلى الاهتمام بأولادهــم ،

والعناية بهم ، والإنفاق عليهم ، والقيام بتعليمهم وتربيتهم • ولولاها لما رأيت الأسرة مجتمعة الشمل ، متماسكة الكيان ، راسخة البنيان ••

ولقد رأيت أن من هذه المشاعر ما هو جاهلي ككراهية البنات ، وقد مر معك أن الاسلام عالج هذه العادة الجاهلية البغيضة بالإيمان الصحيح ، والعقيدة الربانية الراسخة ، والتربية الاسلامية الفاضلة ، لتكون نظرة الأبوين إلى الإناث والذكور على حد سواء ، دون أن يكون بينهما أي تمييز أوتفريق، تحقيقاً لمبدأ العدل والمساواة •

ولقد رأيت أن من هذه المشاعر ما هو مصلحي كتغليب حب الجهاد والدعوة إلى الله ، على حب الأهل والولد ، ولقد مر معك أن مصلحة الاسلام هي فوق المصالح الذاتية ، والاعتبارات الشخصية ، فلا يمكن لأمة الاسلام أن تصل إلى علياء النصر والمجد والقوة ، إلا بعد أن يكون حب الله ورسوله والجهاد في سبيله ، فوق حب الأهل والمال والولد والعشيرة والمسكن •

ولقد رأيت أن من هذه المشاعر ما هو تأديبي تربوي كمناصحة الولد وزجره وهجره وعقوبته • وقد مر معك أن الاسلام تدرج في التأديب من الوعظ إلى الهجر إلى الضرب غير المبرح ، فلا يجوز للمربي أن يلجأ إلى الأشد إذا كان ينفع الأخف • وهذا غاية ما يسعى إليه الاسلام في تأديب الأولاد ، وتربيتهم ، وإصلاح نفوسهم •

ألا فليعلم المربون ودعاة الاصلاح ، منهج الاسلام في التربية ، وطريقته في الاصلاح ، لينهجوا في تربية الجيل نهجاً سليماً ، ويسيروا في طريق الاصلاح الاجتماعي سيراً سوياً • وفي ذلك نقلة للجيل من بيئة الفساد والانحراف ، إلى حياة الطهر والكرامة والأخلاق •• ألا بمثل ذلك فليعمل العاملون !!•



الفصل الثالث

أحكامٌ عامّــة تتعلّق بالمولود

وتقــع في أربعة مباحث :

مَا يفعَــلهُ المرُبّي عِندَ الولادَة

تسْميــَة المولود وَأحكامُهَا

عَقيقَــة المَولُود وَأحْكامُهَا

خِتَانُ المَولُود وَأحْكامُه

المَبْحَثُ الأوّلُ

مَا يفعَلهُ المُربّي عِندَ الولادَة

من فضل هـذه الشريعة الاسلامية على أمة الاسلام ، أنها بينت كل ما يتصل بالمولود من أحكام ، وما يرتبط به من مبادىء تربوية هامة ، حتى يكون المربي على بيّنةٍ وهدىً من الأمر في كل واجب يقوم به تجاه طفله الوليد . فما أجدر بكل من كان في عنقه حق التربية أن يقوم بواجبه الأكمل تطبيقاً وتنفيذاً على الأسس التي وضعها الاسلام ، والمبادىء التي رسم معالمها المربي الأول عليه الصلاة والسلام !!.

وإليكم أهم هذه الأحكام التي يجب أن يفعلها المربون عند الولادة :

استحباب البشارة والتهنئة عند الولادة :

يستحب للمسلم أن يبادر إلى مسرة أخيه المسلم إذا ولد له مولود ، وذلك ببشارته وإدخال السرور عليه ، وفي ذلك تقوية للأواصر ، وتمتين للروابط ، ونشر لأجنحة المحبة والإلفة بين العوائل المسلمة . فإن فاتته البشارة استحب له تهنئته بالدعاء له ولطفله الوليد ، عسى الله أن يتقبل ويرعى ويستجيب .

والقرآن الكريم ذكر البشارة بالولد في مناسبات عدة إرشاداً وتعليماً

للأمة الاسلامية ، لما لهذه البشارة ــ كما ألمحنا ــ من أثر كبير في تنمية الروابط الاجتماعية ، وتقويتها بين المسلمين •

قال الله تعالى في قصة إبراهيم عليه السلام :

« ولقد جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى قالوا : سلاماً ، قال : سلام ، فما لبث أن جاء بعجل حنيذ(١) ، فلما رأى أيديهم لاتصل إليه نكرهم وأوجس منهم خيفة ، قالوا : لاتخف إنا أرسلنا إلى قوم لوط ، وامرأته قائمة فضحكت فبشرناها بإسحاق ، ومن وراء إسحاق يعقوب •• » هود (٦٩ ــ ٧١)

وقال تعالى في قصة زكريا عليه السلام :

« فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب : ان الله يبشرك بيحيى » •
آل عمران (٣٩) •

وفي آية أخرى :

« يا زكريا إنا نبشرك بغلام اسمه يحيى ، لم نجعل له من قبل سمياً » •
مريم (٧)

ومما ذكرته كتب السيرة : « أن النبي صلى الله عليه وسلم لما وُلد ، بشرت به ثُويبَة عمَّه أبا لهب وكان مولاها ، وقالت : قد ولد الليلة لعبد الله ابن" ، فأعتقها أبو لهب سروراً بولادته ، فلم يضيع الله ذلك له ، وسقاه بعد موته في النُقرة[٢] التي في أصل إبهامه » كما روى البخاري •

وذكر السهيلي أن العباس قال : « لما مات أبو لهب رأيته في منامي بعد

---

(١) حنيذ : مشوي .

(٢) النقرة : الشيء المتجوف الذي بين الإبهام والتي تليها من الاصابع ، كان ابو لهب يشرب منها بعد موته لفرحه بولادة ابن اخيه عليه الصلاة والسلام .

حولٍ في شر حال ، فقال : ما لقيتُ بعدكم راحة إلا أن العـذاب يخفف عني كل يوم اثنين » ، وهو اليوم الذي ولد فيه عليه الصلاة والسلام ، وبشرت به ثُوَيْبَة ، وفرح بولادته أبو لهب •

أما فيما يتعلق بالتهنئة بالمولود : فقد روى الإمام ابن قيِّم الجوزيَّة في كتابه « تحفة المودود » عن أبي بكر بن المنذر أنه قـال : روينا عن الحسن البصري : أن رجلاً جاء إليه ، وعنده رجل قد وُلد له غلام ، فقال له : يَهْنِك الفارس ، فقال له الحسن : ما يدريك أفارس هو أم حمار ؟ قال الرجل : فكيف نقول ؟ قال : قل : « بورك لك في الموهوب ، وشكرت الواهب ، ورزقت برّه ، وبلغ أشدّه » •

وهذه البشارة والتهنئة ينبغي أن تشمل كل مولود ، سواء أكان ذكراً أم أنثى دون تفريق • فما أحرى المسلمين أن يطبقوا في مجتمعهم هـذه السنة الكريمة ، لكي تقوى روابطهم ، وتتعمق على مدى الأيام أواصرهم ، وتخيِّم عرائش الأنس والمحبة على بيوتاتهم وأسرهم ، وما أجدرهـم أن يسيروا في الطريق الموصل إلى تآلفهم وتآزرهم ووحدتهم ، حتى يكونوا دائماً عبـاد الله إخواناً ، وحتى تكون وحدتهم كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً[1] •

٢ ـ استحباب التأذين والإقامة عند الولادة :

ومن الأحكام التي شرعها الاسلام للمولود : التأذين في أذنه اليمنى ، والإقامة في أذنه اليسرى ، وذلك حـين الولادة مباشـرة ، لما روى أبو داود

---

(١) وما يفعله بعض الأسر بتقديم الزهور والهدايا لأهل المولود ، فهو شيء حسن ؛ لكونه يدخل في عموم قوله عليه الصلاة والسلام : « تهادَوا تحابّوا » ، وهو مما يزيد الإلفة والمحبة بين المسلمين •

والترمذي عن أبي رافع أنه قال : « رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أذّن في أذُن الحسن بن علي حين ولدته فاطمة » .

وروى البيهقي وابن السني عن الحسن بن علي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من وُلِدَ له مولود فأذن في أذنه اليمنى، وأقام في أذنه اليسرى، لم تضرّه أم الصبيان[1] » .

وروى كذلك عن ابن عباس رضي الله عنهما : « أن النبي صلى الله عليه وسلم أذّن في أذُن الحسن بن علي يوم وُلِدَ ، وأقام في أذُنه اليسرى » .

وسر التأذين والإقامة ــ كما ذكر ابن قيّم الجوزية في كتابه تحفة المودود ــ : « أن يكون أول ما يقرع سمع الانسان كلمات النداء العلوي المتضمنة لكبرياء الرب وعظمته ، والشهادة التي أول ما يدخل بها في الاسلام، فكان ذلك كالتلقين له شعار الاسلام عند دخوله إلى الدنيا ، كما يلقن كلمة التوحيد عند خروجه منها ، وغير مستنكر وصول أثر التأذين إلى قلبه ، وتأثره به وإن لم يشعر .

مع ما في ذلك من فائدة أخرى : وهي هروب الشيطان من كلمات الأذان، وهو كان يرصده حتى يولد . فيسمع شيطانه ما يضعفه ويغيظه أول أوقات تعلقه به .

وفيه معنى آخر : وهو أن تكون دعوته إلى الله، وإلى دينه ــ الاسلام ــ وإلى عبادته ، سابقة على دعوة الشيطان ، كما كانت فطرة الله التي فطر الناس عليها ، سابقة على تغيير الشيطان لها ونقله عنها ،إلى غير ذلك من الحِكَم .. » اهـ .

---

(1) أم الصبيان : هي الريح التي تعرض للولد ، فربما يخشى عليه منها ، وقيل : هي التابعة من الجن وهي المسماة عند الناس بالقرينة .

وهذه المعاني التي أفاض فيها ابن القيم رحمه الله ، أكبر دليل على اهتمام الرسول صلى الله عليه وسلم بعقيدة التوحيد والإيمان ، ومطاردة الشيطان والهوى ، من حين أن يشم الولد رائحة الدنيا ، ويتنسم نسائم الوجود .

٣ ـ استحباب تحنيكه عندما يولد :

ومن الأحكام التي شرعها الاسلام للمولود استحباب تحنيكه عقب الولادة .

ولكن ما التحنيك ، وما الحكمة منه ؟

التحنيك معناه مضغ التمرة ، ودَلْكُ حنك المولود بها ، وذلك بوضع جزء من الممضوغ على الأصبع ، وإدخال الأصبع في فم المولود ، ثم تحريكه يميناً وشمالاً بحركة لطيفة ، حتى يتبلغ الفم كله بالمادة الممضوغة ، وإن لم يتيسر التمر فليكن التحنيك بأية مادة حلوة كالمعقود ، أو رائب السكر الممزوج بماء الزهر ، تطبيقاً للسنة ، واقتداءً بفعله عليه الصلاة والسلام .

ولعل الحكمة في ذلك تقوية عضلات الفم بحركة اللسان مع الحنك مع الفكين بالتلمظ ، حتى يتهيأ المولود للقم الثدي ، وامتصاص اللبن بشكل قوي ، وحالة طبيعية . ومن الأفضل أن يقوم بعملية التحنيك من يتصف بالتقوى والصلاح تبركاً به ، وتيمناً بصلاح المولود وتقواه .

ومن الأحاديث التي استدل بها الفقهاء على استحباب التحنيك ما يلي :

ـ جاء في الصحيحين من حديث أبي بردة ، عن أبي موسى رضي الله عنه قال : ولد لي غلام فأتيتُ به النبي صلى الله عليه وسلم فسماه إبراهيم ، وحنكه بتمرة ، ودعا له بالبركة ، ودفعه إلي .

ـ وفي الصحيحين من حديث أنس بن مالك قال : كان ابنٌ لأبي طلحة يشتكي ، فخرج أبو طلحة فقُبض الصبي ، فلما رجع أبو طلحة قال : ما فعل

الصبي ؟ قالت أم سليم : هو أسكن ماكان ، فقربت إليه العشاء فتعشّى ، ثم أصاب (أي جامع) ، فلما فرغ قالت : وارِ الصبيّ (أي قم على دفنه) ، فلما أصبح أبو طلحة أتى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره ، قال : أعرستم الليلة ؟ (كناية عن الجماع) قال : نعم ، قال : اللهم بارك لهما ، فولدت غلاماً، فقال لي أبو طلحة : احمله حتى تأتي به النبي صلى الله عليه وسلم ، وبعث معه بتمرات ، فأخذه النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : أمعه شيء ؟ قالوا : نعم ، تمرات ، فأخذها النبي صلى اللهعليه وسلم فمضغها ، ثم أخذها من فِيه فجعلها في فِي الصبي (أي في فمه) ، ثم حنّكه ، وسماه عبد الله .

وقال الخلال:أخبرني محمد بن علي قال : سمعت أم ولد أحمد بنحنبل تقول : لما أخذني الطّلْق كان مولاي نائماً ، فقلت له : يا مولاي ها هو ذا أموت ، فقال: يفرج الله ، فما هو إلا أن قال : يفرج الله ، فولدت سعيداً ، قال: هاتوا ذلك التمر ــ لتمر كان عندنا من مكة ــ فقال لأم علي : امضغي هذا التمر وحنّكيه ، ففعلتْ .

٤ ــ استحباب حلق راس المولود :

ومن الأحكام التي شرعها الاسلام للمولود استحباب حلق رأسه يوم سابعه ، والتصدق بوزن شعره فضة على الفقراء والمستحقين .

والحكمة في ذلك تتعلق بشيئين :

الأول : حكمة صحية :

لأن في إزالة شعر رأس المولود تقوية له ، وفتحاً لمسام الرأس ، وتقوية كذلك لحاسة البصر والشم والسمع[١] .

---

(١) قاله ابن القيم في كتاب « تحفة المودود » .

الثاني : حكمة اجتماعية :

لأن التصدق بوزن شعره فضة ، ينبوع آخر من ينابيع التكافل الاجتماعي ، وفي ذلك قضاء على الفقر ، وتحقيق لظاهرة التعاون والتراحم والتكافل في ربوع المجتمع .

ومن الأحاديث التي استدل بها الفقهاء على استحباب الحلق ، والتصدق بوزن الشعر فضة هي ما يلي :

روى الإمام مالك في الموطأ عن جعفر بن محمد عن أبيه قال : وزنت فاطمة رضي الله عنها شعر رأس حسن وحسين ، وزينب وأم كلثوم ، فتصدقت بزنة ذلك فضة .

وذكر ابن إسحاق عن عبد الله بن أبي بكر ، عن محمد بن علي بن الحسين رضي الله عنهم ، قال : عقّ رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الحسن شاة ، وقال : يافاطمة ، احلقي رأسه ، وتصدقي بزنة شعره فضة ، فوزنته ، فكان وزنه درهماً أو بعض درهم .

وروى يحيى بن بكير : عن أنس بن مالك رضي الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر بحلق رأس الحسن والحسين يوم سابعهما فحلقا ، وتصدّق بوزنه فضة .

ويتفرع عن الحلق مسألة القَزَع ، ومعناه حلق بعض رأس الصبي ، وترك بعضه .

وجاء النهي عنه صريحاً ، في الحديث الذي أخرجه البخاري ومسلم عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه قال : « نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن القزع » .

والقزع الذي يشمله النهي اربعة انواع :

أحدهما : أن يحلق من رأسه مواضع من ههنا وههنا •
الثاني : أن يحلق وسطه ويترك جوانبه •
الثالث : أن يحلق جوانبه ويترك وسطه •
الرابع : أن يحلق مقدمه ويترك مؤخره •

وهذا كله ـ كما يقول ابن القيم رحمه الله ـ من كمال محبة الله ورسوله للعدل ، فإنه أمر به حتى في شأن الانسان مع نفسه ، فنهاه أن يحلق بعض رأسه ويترك بعضه ، لأنه ظلم للرأس حيث ترك بعضه كاسياً وبعضه عارياً • ونظير هذا أنه نهى عن الجلوس بين الشمس والظل ، فإنه ظلم لبعض بدنه • ونظيره أيضاً أنه نهى أن يمشي الرجل في نعل واحدة ، بل إما أن ينعلهما أو يحفيهما » إ•هـ •

وهناك حكمة أخرى : أن رسول الاسلام صلوات الله عليه وسلامه ، حريص على أن يظهر المسلم في المجتمع بمظهر لائق في مظهره وهندامه • وحلق بعض الرأس وترك بعضه ، يتنافى مع وقار المسلم وجماله ؛ ثم بالتالي يتنافى مع الشخصيةالاسلامية التي يتميز بها المسلم عن بقية الملل والمعتقدات ، وعن سائر أهل الفسوق والميوعة والانحلال •

★ ★ ★

فمما يؤسف له أن كثيراً من الآباء والمربين يجهلون هذه الأحكام جهلاً تاماً ، بل نجد الكثير منهم، حينما نتعرض لها ، ونحدثهم بها ، تظهر منهم أمارات التعجب والاستغراب ، لكونهم ما ألفوها ، ولم يروا من يطبقها ، ويعمل بها ، إلا من رحم ربك •

وأريد أن أهمس في أذن هؤلاء ، إن الجهل ليس بعذر في شريعة

الاسلام ، وإن المقصر فيما يجب أن يعرفه عن أمور دينه ، وتربية أولاده ، لاينجيه عن تحمل المسؤولية يوم يقوم الناس لرب العالمين •

وهذه الأحكام التي ذكرناها آنفاً هي وإن كانت من قبيل المستحبات والمندوبات ، فيجب العمل بها ، وتطبيقها بحذافيرها في أسرنا ، في أولادنا ، في أهلنا وأقربائنا وذوينا • لأننا إذا تساهلنا في المستحب سيؤدي بنا حتماً إلى التساهل في الواجب ، ثم إلى التساهل في الفروض ، ثم إلى التساهـل في الاسلام كله • وفي النهاية يقع المسلم الظاهري في حبائل الكفر الصراح ، ويتيه في متاهات الضلال المبين ، ويكون قـد انسلخ من دينه وإسلامه !• ألا فليأخذ المربون بهذه الأحكام ، وليطبقوا على أولادهم هذه المستحبات واحدة بعد واحدة ، ليحظوا برضى الله سبحانه ، ويتحققوا بالاسلام قـولاً وعملاً عسى الله سبحانه أن ينصرهم على أعدائهـم ، ويعيـد لهم مجـدهم الداثر ، وكرامتهم المهيضة ، وما ذلك على الله بعزيـز •



المَبْحَثُ الثَّاني

تَسْمِيَةُ المولود وَأحكامُهَا

من العادات الاجتماعية المتبعة ، أن المولود حين يولد يختار له أبواه اسماً يتعرف به ، ويتميز لدى القاصي والداني بسببه . والاسلام بتشريعه المتكامل اعتنى بهذه الظاهرة ، واهتم لها ، ووضع من الأحكام مايشعر بأهميتها ، والاعتناء بها ، حتى تعلم أمة الاسلام كل مايتعلق بالمولود . وكل مايرفع من شأنه ، ويتصل بتربيته .

وإليكم اهم هذه الأحكام التي وضعها الاسلام في تسمية المولود :

١ ـ متى يسمى الولد :

روى أصحاب السنن عن سمرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كل غلام رهين بعقيقته ، تذبح عنه يوم سابعه ، ويسمى فيه ويحلق رأسه » .

فهذا الحديث يقضي أن تكون التسمية في اليوم السابع .

وهناك أحاديث أخرى صحيحة تفيد أن تكون التسمية في يوم الولادة ، منها :

روى البخاري ومسلم عن سهل بن سعد الساعدي قال : أتي بالمنذر ابن أبي أسيد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين ولد ، فوضعه النبي صلى الله عليه وسلم على فخذه وأبو أسيد جالس ، فلهى النبي صلى الله عليه وسلم بشيء بين يديه ، فأمر أبو أسيد بابنه فاحتمل من على فخذ النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أين الصبي ؟ فقال أبو أسيد قلبناه يارسول الله (أي أرجعناه) ، فقال : مااسمه ؟ قال : فلان ، قال : لا ، ولكن اسمه المنذر .

وفي صحيح مسلم من حديث سليمان بن المغيرة ، عن ثابت عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « وُلد لي الليلة غلام فسميته باسم أبي إبراهيم » .

فيؤخذ من هذه الأحاديث المتقدمة : أن في الأمر سعة ، فجاز تعريفه وتسميته في اليوم الأول من ولادته ، وجاز التأخير الى ثلاثة أيام ، وجاز إلى يوم العقيقة وهو اليوم السابع ، وجاز قبل ذلك ، وجاز بعده .

٢ ـ ما يستحب من الأسماء وما يكره :

● إن مما يجب أن يهتم به المربي عند تسمية الولد ، أن ينتقي له من الأسماء أحسنها وأجملها ، تنفيذاً لما أرشد إليه ، وحض عليه وأمر به نبينا عليه الصلاة والسلام .

فقد روى أبو داود بإسناد حسن عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنكم تدعون يوم القيامة بأسمائكم وبأسماء آبائكم ، فأحسنوا أسماءكم » .

وروى مسلم في صحيحه عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول

الله صلى الله عليه وسلم : « إن أحب أسمائكم إلى الله عز وجل عبد الله وعبد الرحمن » .

● كما عليه أن يجنبه الاسم القبيح الذي يمس كرامته ، ويكون مدعاة للاستهزاء به والسخرية عليه . فهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم — كما روى الترمذي عن عائشة — : « كان يغير الاسم القبيح » .

وروى الترمذي وابن ماجه عن ابن عمر رضي الله عنهما : أن ابنة لعمر كان يقال لها عاصية ، فسماها رسول الله صلى الله عليه وسلم جميلة .

قال أبو داود : غيّر رسول الله صلى الله عليه وسلم اسم العاصي، وعزيز وعتلة[1] ، وشيطان ، والحكم ، وغراب ، وحباب[2] . وسمى حرْباً : سِلماً، وسمى المضطجع : المنبعث ، وبني الزِّنْيَة سماهم : بني الرِّشْدة ، وسمى بني مُغْوية : بني رِشدَة . قال أبو داود : تركت أسانيدها اختصاراً .

● كما عليه أن يجنبه الأسماء التي لها اشتقاق من كلمات فيها تشاؤم ، حتى يسلم الولد من مصيبة هذه التسمية وشؤمها .

روى البخاري في صحيحه عن سعيد بن المسيب عن أبيه عن جده قال : أتيت إلى النبي عليه الصلاة والسلام ، فقال : ما اسمك ؟ قلت : حَزْن"[3] ، فقال : أنت سهل ، قال : لا أغير اسماً سمانيه أبي . قال ابن المسيب : فما زالت تلك الحزونة [4] فينا بعد .

---

(1) عتلة : الشدة والغلظة .
(2) الحباب : نوع من الحيات ، وقيل : اسم شيطان .
(3) الحزن : ما غلظ من الأرض وهي ضد السهل .
(4) يقصد بالحزونة : الغلظة .

وروى الإمام مالك في الموطأ عن يحيى بن سعيد : أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لرجل : ما اسمك ؟ قال : جمرة ، قال : ابن مَن ؟ قال : ابن شهاب ، قال : ممّن ؟ قال : من الحرقة ، قال : أين مسكنك ؟ قال : بحرة النار ، قال : بأيّتها ؟ قال : بذات لظى ، قال عمر : أدرك أهلك فقد هلكوا واحترقوا . فكان كما قال عمر رضي الله عنه .

● كما عليه أن يجنبه الأسماء المختصة بالله سبحانه ، فلا تجوز التسمية بالأحد ولا بالصمد ولا بالخالق ولا بالرزاق ... ولابغيرها .

قال أبو داود في سننه : إن هانئاً لما وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة مع قومه، كانوا يكنّونه بأبي الحكم، فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال له: إن الله هو الحَكَم وإليه الحُكم، فلِمَ تكنى أبا الحكم؟ فقال : ان قومي اذا اختلفوا في شيء أتوني فحكمت بينهم ، فرضي كلا الفريقين، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما أحسن هذا . فما لك من الولد ؟ قال : لي شريح ، ومسلم ، وعبدالله ، فقال : فمَنْ أكبرهم ؟ قال : شريح، قال: فأنت أبو شريح .

وروى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أغيظُ رجلٍ على الله يوم القيامة وأخبثه : رجل تسمّى مَلِكَ الأملاك ، لا ملك إلا لله » .

● كما عليه أن يجنبه الأسماء التي فيها يُمن أو تفاؤل حتى لا يحصل كدر عند مناداتهم وهم غائبون بلفظ لا ، كالتسمية بأفلح ونافع ، ورباح ، ويسار .

روى مسلم وأبو داود والترمذي ، عن سمرة بن جندب رضي الله عنه

قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أحب الكلام إلى الله أربع : سبحان الله ، والحمد لله ولا إله إلا الله ، والله أكبر ، لا تسمين غلامك يساراً ، ولا رباحاً ، ولا نجيحاً ، ولا أفلح . فإنك تقول : أثمّ هو[1] ؟ فلا يكون ، فيقول : لا[2] ، إنما هن أربع فلا تزيدن علي .

وروى ابن ماجه مختصراً ولفظه : « نهانا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نسمي رقيقنا أربعة أسماء : أفلح ، ونافع ، ورباح ، ويسار » .

● كما عليه أن يجتنبه الأسماء المعبّدة لغير الله ، كعبد العزى ، وعبد الكعبة ، وعبد النبي ، وما شابهها ، فإن التسمية بهذه محرمة باتفاق .

أما قوله عليه الصلاة والسلام في غزوة حنين : « أنا النبي لا كذب ، أنا ابن عبد المطلب » ، فهذا ليس من باب إنشاء التسمية وابتدائها – كما يقول ابن القيم – وإنما هو من باب الإخبار بالاسم الذي عرف به المسمى دون غيره ، ولا سيما في المواقف التي فيها تحدٍّ للعدو كموقف النبي صلى الله عليه وسلم ، والإخبار بمثل ذلك على وجه تعريف المسمى لا يحرم ؛ فلقد كان الصحابة رضي الله عنهم يذكرون أمام النبي صلى الله عليه وسلم أسماء قبائلهم : كبني عبد مناف ، وبني عبد شمس ، وبني عبد الدار . ولا ينكر عليهم عليه الصلاة والسلام .

وصفوة القول أنه يجوز في الإخبار ما لا يجوز في الابتداء والإنشاء .

● وأخيراً عليه أن يجتنبه الأسماء التي فيها تميّع وتشبه وغرام . كاسم : هيام ، وهيفاء ، ونهاد ، وسوسن . وميادة . وناريمان . وغادة . وأحلام .

---

(١) اثم هو : اهناك يسار مثلاً .
(٢) فلما يقال : لا ، يحصل كدر من قبح الجواب .

وماشابهها • لماذا ؟ حتى تتميز أمة الاسلام بشخصيتها ، وتعرف بخصائصها وذاتيتها • وما هـذه الأسماء إلا فقـدان لكيانها ، وانحـدار لاعتبارها ، وتحطيم لمعنوياتها • ويوم تصل الأمة الاسلامية إلى هذا المستوى من التدني والانحدار ، تتمزق إلى قطع وأوصال ، ويسهـل على كل عدو مغتصب أن يستحل أرضها ، ويجعل أعزة أهلها أذلة ، كما هو حالنا اليوم ولا حـول ولا قوة إلا بالله •

ولا عجب أن يحض الرسول صلوات الله وسلامه عليه أمة الاسلام في أن يتسموا بأسماء الأنبياء ، وبعبد الله ، وعبد الرحمن ، وما شابها من الأسماء المعبّدة لله • حتى تتميز الأمة المحمدية على غيرها من الأمم ، في كل مظاهر حياتها لتكون دائماً خير أمة أخرجت للناس ، تهدي البشرية إلى نور الحـق ومبادىء الاسلام •

فقد روى أبو داود والنسائي : عن أبي وهب الجشمي رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تسموا بأسماء الأنبياء ، وأحب الأسماء إلى الله : عبد الله ، وعبد الرحمن ؛ وأصدقها : حارث ، وهمام ؛ وأقبحها : حرب ، ومرّة »[1] •

٣ ـ من السنة تكنيـة المولود بابي فـلان :

من المبادىء التربوية التي وضعهـا الاسلام في تربيـة الولد ، تكنية المولود بأبي فلان ؛ ولهذه التكنية آثار نفسية رائعة ، وفوائد تربوية عظيمة ، وهي كما يلي :

- تنمية شعور التكريم والاحترام في نفسية الولد ، ومنه قول الشاعر :

(١) مرة : قوة وشدة وبطش .

أكنّيـه حين أناديه لأكرمـه
ولا ألقّبـه والسوءة اللقبُ

- تنمية شخصيته الاجتماعية ، لاستشعاره أنه بلـغ مرتبـة الكبار ، وسن الاحترام .

- ملاطفته وإدخال السرور عليه بمناداته بهذه الكنية الحبيبة إليه .

- تعويده أدب الخطاب للكبار ، ولمن كان في سنه من الصغار .

لهذه الفوائد الجليلة ، والاعتبارات العظيمة ، كان صلوات الله وسلامه عليه يكني الأطفال ، ويناديهم بها ، تعليماً للمربين وإرشاداً لهم ، حتى ينهجوا نهجه ، ويسلكوا طريقه في تكنية أولادهم ، ومناداتهم بها .

جاء في الصحيحين من حديث أنس رضي الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس خلقاً ، وكان لي أخ يقـال له أبو عمير . وكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا جاءه يقول له : « يا أبا عُمَيْر . ما فعـل النُّغَيْر ؟ »[1] ، قال الراوي : أظنه كان فطيماً .

وأذن النبي صلى الله عليه وسلم لعائشة رضي الله عنها أن تكنّى بأم عبد الله ، وعبد الله هو عبد الله بن الزبير ، وهـو ابن أختها أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهم جميعاً .

وكان أنس يكنّى قبل أن يولد له بأبي حمزة ، وأبو هريرة كان يكنى بذلك ولم يكن له ولد إذ ذاك .

---

(1) النغير : طائر كان يلعب به .

ويجوز تكنية الرجل الذي له أولاد باسم غير اسم أولاده ؛ فهذا أبو بكر رضي الله عنه كان يكنى بأبي بكر ، ولم يكن له ولد اسمه بكر ؛ وهذا عمر ابن الخطاب رضي الله عنه كان يكنى بأبي حفص ، ولم يكن له ولد اسمه حفص ؛ وكذلك أبو ذر رضي الله عنه كان يُكنى بأبي ذر ، ولم يكن له ولد اسمه ذر ، وكذلك خالد بن الوليد رضي الله عنه كان يُكنى بأبي سليمان ، ولم يكن له ولد اسمه سليمان • وهذا أكثر من أن يُحصى •

والذي نخلص إليه بعدما تقدم : أن تكنية المولود أمر مستحب ؛ وكذلك تكنية الكبار ، ولا يلزم من جواز التكنية أن يكون للمكنى ولد ، ولا أن يُكنى باسم ذلك الولد •

• • •

ويتفرع عن التسمية والتكنية أمور نرتبها فيما يلي :

آ ــ في حال عدم اتفاق الأبوين على تسمية الوليد فالتسمية من حق الأب : فالأحاديث التي سبق ذكرها في أول البحث وبعده تفيد أن التسمية من حق الأب •

والقرآن الكريم قد صرح بأن الولد ينسب لأبيه لا لأمه ، فيقال له : فلان بن فلان • قال تعالى :

« ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله » الأحزاب (٥)

ولقد مر حديث مسلم عن أنس رضي الله عنه أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ولد لي الليلة غلام فسميته باسم أبي إبراهيم » •

ب ــ لا يجوز للأب ولا لغيره أن يلقب الولد بألقاب ذميمة : كالقصير،

والأعور ، والأخرس ، وخنفساء، وما شابهها ... لشمول النهي في قوله تعالى:

« ولا تنابزوا بالألقاب » . الحجرات (١١)

لما لهذه الألقاب الذميمة من أثر كبير في انحراف الولد النفسي والاجتماعي . وسنتوسع في هذا البحث في مبحث « مسؤولية التربية النفسية » في باب « المسؤوليات » إن شاء الله .

ج ــ هل يجوز التكنية بأبي القاسم :

أجمع العلماء بجواز تسمية الأولاد باسم النبي صلى الله عليه وسلم ، للحديث الذي رواه مسلم عن جابر رضي الله عنه قال : وُلد لرجل منا غلام فسماه محمداً ، فقال له قومه : لا نَدعُك تسمي باسم رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، فانطلق بابنه حامله على ظهره ، فقال يارسول الله : ولد لي غلام، فسميته محمداً ، فقال قومي : لا ندعك تسمي باسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تسموا باسمي ولا تكنّوا بكنيتي ، فإنما أنا قاسم أقسم بينكم » .

أما التكني بكنيته عليه الصلاة والسلام ، فقد ذهب الأئمة المجتهدون مذاهب مختلفة ، وأقوال عِدّة . وإليكم ذكر هذه الأقوال ، ثم الراجح منها.

الأول : الكراهة مطلقاً ، وحجتهم في ذلك الحديث السابق الذي مر ذكره . وحديث أبي هريرة الذي رواه البخاري ومسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « تسموا باسمي ، ولا تكنوا بكنيتي » . وقد قال بهذا الرأي الإمام الشافعي .

الثاني : الإباحة مطلقاً ، واحتجوا بما رواه أبو داود في سننه عن عائشة رضي الله عنها ، قالت : جاءت امرأة إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت :

يارسول الله ، إني قد ولدتُ غلاماً ، فسميته محمداً ، وكنيتــه أبا القاسم ، فذكر لي : أنك تكره ذلك ، فقال : ما الذي أحل اسمي ، وحرم كنيتي ؟

وقال ابن أبي شيبة : حدثنا محمد بن الحسن عن أبي عوانه عن المغيرة عن إبراهيــم قال : كان محمد بن الأشعث ابن أخت عــائشة ، وكان يكنى أبا القاسم •

وروى ابن أبي خيثمة عن الزهري قال : أدركت أربعة من أبناء أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كل منهم يسمى محمداً ويكنى أبا القاسم : محمد بن طلحة بن عبــد الله ، ومحمد بن أبي بكر ، ومحمد بن علي بن أبي طالب ، ومحمد بن سعد بن أبي وقاص •

وسئل الإمام مالك : عمّن اسمه محمد ، ويكنى بأبي القاسم ؟ فأجاب : لم يرد في ذلك نهي ، ولا أرى بذلك بأساً •

وهذه الطائفة التي قالت بالإباحة مطلقاً حملت أحاديث النهي على أنهــا منسوخــة •

الثالث : لايجوز الجمع بين الكنيــة والاسم كأن يسمي ولده محمداً ويكنيه بأبي القاسم في وقت واحد •

أما إفراد التسمية أو التكنية فإنه جائز •

وحجة هذه الطائفة لما رواه أبو داود في سننه عن جابر رضي الله عنهأن النبي صلى الله عليه وسلم قــال : « مَنْ تسمى باسمي فلا يتكنى بكنيتي ، ومن تكنى بكنيتي فلا يتسمى باسمي » • ولمــا رواه ابن أبي شيبــة عــن عبد الرحمن عن أبي عمرة عن عمه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« لاتجمعوا بين اسمي وكنيتي »• ولما رواه ابن أبي خيثمة : أن محمد بن طلحة لما ولد ، أتى طلحة النبي صلى الله عليه وسلم فقال : اسمه محمد ، أكنيه أبا القاسم ؟ فقال : لاتجمعهما له ، هو أبو سليمان •

الرابع : النهي عن التكنية مخصوص بحياته ، أما بعد وفاته عليه الصلاة والسلام فلا بأس بها •

واحتجت هذه الطائفة بما رواه أبو داود في سننه عن منذر عن محمد ابن الحنفية قال : قال علي رضي الله عنه : إن وُلد لي بعدك ولد أسميه باسمك وأكنيه بكنيتك ؟ قال عليه الصلاة والسلام : نعم •

وقال حميد بن زنجويه في كتاب الأدب : سألت ابن أبي أويس ما كان « مالك » يقول في رجل يجمع بين كنية النبي صلى الله عليه وسلم واسمه ؟ فأشار إلى شيخ جالس معنا ، فقال : هنا «محمد بن مالك» سماه أبوه محمداً ، وكناه أبا القاسم ، وكان يقول ــ أي الإمام مالك ــ : إنما نهي ذلك في حياة النبي صلى الله عليه وسلم كراهة أن يدعى أحد باسمه وكنيته ، فيلتفت النبي صلى الله عليه وسلم ، فأما اليوم ــ أي بعد وفاته ــ فلا بأس بذلك •

ولعل القول الرابع هو القول الأرجح للمعقولية التي قالها الإمام مالك، وللأحاديث النبوية التي أفادت ذلك •

وعلى هذا يجوز التسمية باسم النبي صلى الله عليه وسلم ، ويجوز التكنية بكنيته ، لأن الأحاديث التي تفيد النهي مختصة بحياته خشية الالتباس وقت النداء بشخصية المخاطب ، وشخصية النبي صلى الله عليه وسلم ، أما بعد وفاته عليه الصلاة والسلام فلا التباس ، فدل ذلك على الجواز ، ومما يؤكد الجواز أيضا حديث الزهري الذي سبق ذكره أنه أدرك أربعة من أبناء الصحابة ، كل منهم يسمى محمداً ويكنى أبا القاسم ، والله أعلم •

فما على الآباء والأمهات — بعد الذي علموه في هذا الفصل — إلا أن ينهجوا الطريق الأقوم في تسمية أولادهم ، وأن يجنبوهم الأسماء التي تحط من أقدارهم ، وتمس بكرامتهم ، وتحطم من شخصياتهم ومعنوياتهم • وعليهم كذلك أن يتأسوا بالنبي المصطفى صلوات الله وسلامه عليه ، في تكنية أولادهم منذ الصغر بكنية حبيبة إلى قلوبهم ، لطيفة إلى أسماعهم ، حتى يشعروا بشخصيتهم ، وتنمو في نفوسهم روح المحبة والتكريم لذواتهم ، وحتى يعتادوا الأدب العالي مع من حولهم في الخطاب ، وملاطفة الأقران •

فما أحرانا أن نأخذ جميعاً بأسس هذه التربية الفاضلة ، وأن نسير على مبادىء هذا المنهج الاسلامي العظيم ، إن أردنا أن نعيد لأنفسنا وأمتنا المجد الداثر ، والكيان الكبير ، وما ذلك على الله بعزيز ، إن أخلصنا وطبقنا ، والتزمنا الاسلام تشريعاً وتربية ومنهاجاً •

● ● ●

المَبحَثُ الثّالِثُ

عَقيقَةُ المَولُودِ وَأحكامُهَا

١ ــ ما معنى العقيقة ؟

العقيقة في اللغة : معناها القطع ، ومنه عقّ والديه إذا قطعهما ، ومنه قول الشاعر :

بلاد بها عقّ الشباب تمائمي   وأول أرضٍ مسّ جلدي ترابها

يريد أنه لما أصبح شاباً قطعت عنه تمائمه .

ومعناها في الاصطلاح الشرعي : ذبح الشاة عن المولود يوم السابع من ولادته .

٢ ــ دليل مشروعيتها :

الأحاديث التي تؤكد مشروعية العقيقة ، وتبين وجه الاستحباب والسنيّة فيها كثيرة ومستفيضة ، نجتزىء منها ما يلي :

روى البخاري في صحيحه عن سلمان بن عمار الضبي قال : قال رسول

الله صلى الله عليه وسلم : « مع الغلام عقيقة ، فأهريقوا عنـه دماً ، وأميطوا عنه الأذى » .

وروى أصحاب السنن عن سمرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كل غلام رهينة بعقيقته[1] ، تذبح عنه يوم سابعه ، ويُسمّى فيه ، ويحلق رأسه » .

وروى الإمام أحمد والترمذي عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « عن الغلام شاتان مكافئتان[2] ، وعن الجارية شاة » .

وروى الإمام أحمد والترمذي عن أم كرز الكعبية : أنها سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن العقيقة فقال : « عن الغلام شاتان ، وعن الأنثى واحدة ، ولا يضركم ذكراناً كنّ أو إناثاً » أي الذبائح .

أخرج الترمذي والنسائي وابن ماجه عن الحسن عن سمرة : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في العقيقة : « كل غلام مرتهن بعقيقته ، تذبح عنه يوم سابعه ، ويحلق رأسه ، ويسمى » .

٣ ــ آراء الفقهاء في وجه مشروعيتها :

ذهب الفقهاء والأئمة المجتهدون مذاهب ثلاثة في وجه مشروعيتها :

الأول ــ السنية والاستحباب : وهم الإمام مالك ، وأهل المدينة ، والإمام الشافعي وأصحابه ، والإمام أحمد ، وإسحاق ، وأبو ثور ، وجماعة

---

(١) المراد ان العقيقة لازمة له لابد منها .
(٢) مكافئتان : اي مستويتان في السن ، ومتشابهتان في الشكل .

كثير عددهم من أهل الفقه والعلم والاجتهاد . وحجتهم هذه الأحاديث التي سبق ذكرها ، وردوا على مَنْ ذهبوا أنها واجبة بعدة أقوال :

● لو كانت واجبة لكان وجوبها معلوماً من الدين ، لأن ذلك مما تدعو الحاجة إليه ، وتعم به البلوى ، ولبين رسول الله صلى الله عليه وسلم وجوبها للأمة بياناً عاماً كافياً تقوم به الحجة ، وينقطع معه العذر .

● وقد علق رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر العقيقة بمحبة فاعلها ، فقال عليه الصلاة والسلام : « مَن وُلد له ولد فأحب أن يُنسك عنه فليفعل » .

● وفعله صلوات الله وسلامه عليه لها لا يدل على الوجوب ، وانما يدل على الاستحباب .

الثاني ــ التحتيم والوجوب : وهم الإمام الحسن البصري ، والليث ابن سعد ، وغيرهما . وحجتهم في ذلك مارواه بريدة ، وإسحق بن راهويه : « أن الناس يعرضون يوم القيامة على العقيقة كما يعرضون على الصلوات الخمس » . واستدلوا كذلك بحديث الحسن عن سمرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : «كل غلام مرتهن بعقيقته» . ووجه الاستدلال : أن الولد محبوس عن الشفاعة لوالديه حتى يَعِقّ عنه ، فهذا مما يؤيد الوجوب .

الثالث ــ إنكار مشروعيتها : وهم فقهاء الحنفية .

وحجتهم في ذلك حديث رواه البيهقي ، عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن العقيقة ، فقال : « لا احب العقوق » .

واستدلوا كذلك بحديث رواه الإمام أحمد من حديث أبي رافع رضي الله عنه ، أن الحسن بن علي أرادت أمه فاطمة رضي الله عنها أن تعقّ عنه بكبشين ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تعقّي ولكن احلقي رأسه ، فتصدقي بوزنه من الورِق – أي من الفضة – ، ثم ولد حسين ، فصنعت مثل ذلك » .

ولكن ظاهر الأحاديث التي سبق ذكرها تؤكد جانب السنيّة والاستحباب في العقيقة ، وهذا ماذهب إليه جمهور الفقهاء ، وأكثر أهل العلم والاجتهاد.

وقد أجابوا على الأحاديث التي استدل بها فقهاء الحنفية في إنكارهم مشروعية العقيقة بقولهم : إن الأحاديث التي استدلوا بها ليست بشيء ، ولا تصح دليلاً على إنكار مشروعية العقيقة . أما حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا أحب العقوق » فسياق الحديث وأسباب وروده يدل على أن العقيقة سنة ومستحبة ، فإن لفظ الحديث هكذا : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن العقيقة فقال : لا أحب العقوق ، وكأنه كره الاسم – أي كره أن تسمى الذبيحة بالعقيقة[1] فقالوا يارسول الله : إنما نسألك عن أحدنا يولد له ولد ، فقال : « من أحب منكم أن ينسك عن ولده فليفعل ، عن الغلام شاتان مكافئتان ، وعن الجارية شاة » .

---

(1) استدل طائفة من الفقهاء من ظاهر هذا الحديث استبدال كلمة العقيقة بالنسيكة ، لكراهيته عليه الصلاة والسلام اسم العقيقة ، وقالت طائفة أخرى لايكره ذلك ، ورأوا إباحته للأحاديث الكثيرة المستفيضة في تسمية الذبيحة بالعقيقة .

والتوفيق بين الرأيين : ان يستعمل المسلم كلمة النسيكة ويجعلها هي الأصل ، واذا استعمل كلمة العقيقة في بعض الأحيان للتوضيح وبيان الحكم وإظهار المراد فلا بأس في ذلك ، وعلى هذا تتفق الأحاديث .

وأما استدلالهم بحديث أبي رافع : « لا تعقي ولكن احلقي رأسه ... »
فإنه لا يدل على كراهية العقيقة ، لأنه عليه الصلاة والسلام أحب أن يتحمل
عن ابنته فاطمة رضي الله عنها العقيقة ، فقال لها : « لا تعقّي ... » ، لكونه
عقّ عليه الصلاة والسلام عنهما ، وكفاها المؤنة . ومما يؤكد أنه عليه الصلاة
والسلام عقّ عنهما كثرة الأحاديث المروية في هذا الشأن ، نذكر منها ما يلي:

ـ روى أبو داود عن أيوب عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما :
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عقّ عن الحسن والحسين كبشاً كبشاً .

ـ وذكر جرير بن حازم عن قتادة عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم
عقّ عن الحسن والحسين كبشين .

ـ وذكر يحيى بن سعيد عن عمرة عن عائشة قالت : عقّ رسول الله صلى
الله عليه وسلم عن الحسن والحسين يوم السابع .

والذي نخلص إليه بعدما تقدم : أن العقيقة عن المولود سنة مستحبة
عند جمهور الأئمة والفقهاء . فعلى الأب إن ولد له مولود وكان مستطيعاً
قادراً أن يُحيي سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى يحظى بالفضيلة
والأجر عند الله سبحانه ؛ وحتى يزيد من معاني الإلفة والمحبة والروابط
الاجتماعية ، بين الأهل والأقرباء والجيران والأصدقاء جميعاً ، وذلك حينما يحضرون
وليمة العقيقة ابتهاجاً بالمولود ، وفرحاً بقدومه . وحتى يساهم كذلك في
تحقيق التكافل الاجتماعي ، وذلك حينما يُشرك في الانتفاع بالعقيقة بعض
ذوي الحاجة والحرمان من الفقراء والمساكين .

فما أعظم الاسلام ، وما أسمى مبادئه التشريعية في زرع الإلفة والمحبة
في المجتمع ، وفي بناء العدالة الاجتماعية في الطبقات الفقيرة والمحرومة .

٤ ـ الوقت الذي يستحب فيه العقيقة :

سبق أن ذكرنا حديث سمرة : « الغلام مرتهن بعقيقته ، تذبح عنه يوم السابع ويسمّى » . فهذا الحديث يفيد أن وقت الاستحباب لذبح العقيقة هو اليوم السابع ، ومما يؤكد ذلك حديث عبد الله بن وهب عن عائشة رضي الله عنها قالت : « عق رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حسن وحسين يوم السابع ، وسماهما ، وأمر أن يماط عن رؤوسهما الأذى » .

ولكن هناك أقوال تفيد أن التقيد باليوم السابع ليس من باب الإلزام. وإنما هو على وجه الاستحباب ، وإلا فلو ذُبح عنه في اليوم الرابع أو الثامن أو العاشر أو ما بعده ، أجزأت العقيقة .

وإليكم أظهر هذه الأقوال :

ـ قال الميموني : قلت لأبي عبد الله : متى يعق عن الغلام ؟ قال : أما عائشة رضي الله عنها فتقول : « سبعة أيام ، وأربعة عشر ، ولأحد وعشرين » .

ـ وقال صالح بن أحمد : قال أبي في العقيقة : « تذبح يوم السابع ، فإن لم يفعل ففي أربعة عشر ، فإن لم يفعل ففي أحد وعشرين » .

ـ وقال الإمام مالك : « والظاهر أن التقيد باليوم السابع إنما هو على وجه الاستحباب ، وإلا فلو ذُبح عنه في اليوم الرابع أو الثامن أو العاشر أو مابعده ، أجزأت العقيقة » .

والذي نخلص إليه بعدما تقدم : أن الأب إذا تيسر له أن يذبح العقيقة في اليوم السابع يكون أفضل لفعل النبي صلى الله عليه وسلم ، وإن لم يتيسر له ذلك جاز في أي يوم من الأيام ، كما قال الإمام مالك .

إذن ففي الأمر سعة ، وفي ذبح العقيقة تيسير « يريد الله بكم اليسر ، ولا يريد بكم العسر » ، « وما جعل عليكم في الدين من حرج » •

٥ ــ هل عقيقة الذكر مثل الأنثى ؟

سبق أن ذكرنا أن العقيقة سنة مستحبة على رأي جمهور أهل العلم من المجتهدين والفقهاء ، وهي سنة مستحبة عن الذكر والأنثى على السواء •

للحديث الذي رواه الإمام أحمد والترمذي عن أم كرز الكعبية أنها سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن العقيقة فقال : « عن الغلام شاتان ، وعن الأنثى واحدة » •

وللحديث الذي رواه ابن أبي شيبة من حديث عائشة : « أمرنا عليه الصلاة والسلام أن نعقّ عن الغلام بشاتين ، وعن الجارية شاة » • إلى غير ذلك من الأحاديث التي سبق ذكرها في دليل المشروعية •

فهذه الأحاديث بجملتها تفيد شيئين أساسيين :

الأول : انالذكر مثل الانثى في مشروعية العقيقة .

الثاني : المفاضلة بينهما : للذكر شاتان ، وللأنثى شاة واحدة .

وهذه المفاضلة هي ما تدل عليه ظواهر الأحاديث ، وهي مذهب ابن عباس ، وعائشة ، وجماعة من أهل العلم والحديث •

ومذهب الإمام مالك أن عقيقة الذكر شاة ، والأنثى شاة ؛ ولما سئل كم يذبح عن الغلام والجارية ؟ أجاب بقوله : « يذبح عن الغلام شاةواحدة، وعن الجارية شاة » • واحتج على مذهبه بالأحاديث التالية :

ـ روى أبو داود في سننه عن ابن عباس رضي الله عنهما : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عقّ عن الحسن والحسين كبشاً .

ـ وروى جعفر بن محمد عن أبيه : أن فاطمة ذبحت عن حسن وحسين كبشاً كبشاً .

ـ وقال الإمام مالك : « وكان عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، يعق عن الغلمان والجواري من ولده شاة شاة » .

وصفوة القول : أن من أغدق الله عليه من رزقه وإنعامه ، فلْيعقّ عن الذكر شاتين ، وعن الأنثى شاة واحدة ، لما ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في أمر المفاضلة بينهما ، ومن كانت أحواله المادية في حدود الوسط ، أو دون الوسط ، فيجزئه عن الذكر شاة ، وعن الأنثى شاة ، واذا فعل ذلك يكون محظياً بالأجر ، متحققاً بالسنة ، والله أعلم .

الرد على اعتراض : رب معترض يقول : لِمَ فرق الاسلام بين الذكر والأنثى في أمر المفاضلة في العقيقة ، ولِمَ كان هذا التمايز والتفاضل ؟

الرد على هذا الاعتراض من وجوه :

١ ـ المسلم مستسلم لكل ما أمر الاسلام به ، وما نهى عنه ، تحقيقاً لقوله تبارك وتعالى :

« فلا وربّك لايؤمنون حتى يحكّموك فيما شجر بينهم ، ثم لايجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلّموا تسليماً » . النساء (٦٥)

وبما أن المفاضلة في العقيقة ثبتت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فالمسلم لايسعه إلا التسليم والتنفيذ .

٢ ــ ولعل وجه الحكمة والمعقولية في هذه المفاضلة ، إظهار فضل الرجل على المرأة بما وهبه الله من القوة الجسمانية ، وبما كلفه من حق القوامة والمسؤولية ، وبما خصه به من الاتزان والانضباط العاطفي ؛ وصدق الله العظيم القائل :

((الرجال قوّامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض ، وبما أنفقوا من أموالهم ..)) .

٣ ــ تأكيداً لزرع الإلفة والمحبة لاجتماع الناس على عقيقة المولود ، ثم بالتالي تقوية لروافد التكافل الاجتماعي بين الطبقات الفقيرة ، والأسر المحرومة .

٦ ــ كراهة كسر عظم العقيقة :

من الأمور التي يجب مراعاتها في عقيقة المولود ألاّ يكسر من عظم الذبيحة شيئاً ، سواء حين الذبح أو عند الأكل . بل يقطع كل عظم من مِفْصله بلا كسر ، للحديث الذي رواه أبو داود عن جعفر بن محمد عن أبيه ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في العقيقة التي عقتها فاطمة عن الحسن والحسين: أن ابعثوا إلى القابلة منها بِرجلٍ ، وكلوا وأطعموا ، ولا تكسروا منها عظماً. وروى ابن جريج عن عطاء كان يقول : تُقطع جدولاً[1] ، ولا يكسر لها عظم . وروى ابن المنذر عن عطاء عن عائشة مثله .

والحكمة في ذلك تتعلق بشيئين :

الأول : إظهار شرف هذا الإطعام أو الإهداء ، في نفوس الفقراء والجيران، وذلك في تقديم القطع التامة الكبيرة ، التي لم يُكسر من عظامها عظم ،

---

(١) تقطع جدولاً : اي تقطع اعضاء .

ولاينقص من أعضائها شيء • ولا ريب أن هذا التصرف أجلّ موقعاً ، وأعظم في باب الجود والإكرام في نفوس المهدَى لهم •

الثاني : تيمّناً وتفاؤلاً بسلامة أعضاء المولود وصحتها وقوتها ، لكون العقيقة جرت مجرى الفداء للمولود ، والله أعلم •

٧ ـ أحكام عامة تتعلق بالعقيقة :

هناك أحكام عامة تتعلق بالعقيقة يجب مراعاتها ، وهي على الترتيب التالي :

آ ـ أجمع العلماء أنه لايجوز في العقيقة إلا ما يجوز في الأضحية • والذي يجوز في الأضحية[1] هو ما يلي :

١ ـ أن يكون عمرها سنة ودخلت في السنة الثانية إذا كانت من الضأن أو المعز ، وإذا كان الضأن كبير الجسم سميناً ، فإنها تصح به إذا بلغ ستة أشهر ، بشرط أنه إذا خلط بما له سنة لايمكن تمييزه منه • وأما المعز فإنها لاتصح به إلا إذا بلغ سنة ودخل في السنة الثانية على كل حال •

٢ ـ أن تكون الأضحية سليمة من العيوب • وعلى هذا لاتصح الأضحية بالعمياء ، ولا بالعوراء ، ولا بالعجفاء (وهي المهزولة التي لا مخ في عظامها) ، ولا بالعرجاء (التي لاتستطيع المشي إلى المذبح) • وكذلك لاتصح بمقطوعة الأذن أو الذنب أو الإلية إذا ذهب أكثر من ثلثها • ولاتصح بالهتماء (التي ذهب أكثر أسنانها) ، ولاتصح بالسكّاء وهي (التي لاأذن لها بحسب الخلقة) ، ولا بالثّولاء (وهي المجنونة التي يمنعها جنونها من الرعي) •

أما ماعدا ذلك من العيوب التافهة فإنها تجوز ، كأن تكون مشقوقة

---

(١) احكام الاضحية المذكورة هي على مذهب ابي حنيفة .

الأذن ، أو مكسورة القرن ، أو مصابة بالعرج الذي تستطيع المشي معه . كأن تمشي بثلاث قوائم وتضع الرابعة على الأرض لتستعين بها على المشي . أو مصابة بجنون لم يسنعهامنالرعي ، أو ذهب بعض أسنانها ولكن الأكثر موجودة ، أو كانت مقطوعة الأذن أو الذنب أو الإلية وبقي الثلثان وذهب الثلث فقط . كل ذلك لايمنع من الأضحية بها .

٣ ــ أما الأضحية بالبقر والجاموس فلا تصح إلا إذا بلغ سنتين ودخل في السنة الثالثة ، وأماالتضحية بالإبل فلا تصح إلا إذا بلغت خمس سنين ودخلت في السنة السادسة .

ب ــ لايصح الاشتراك فيها : كأن يشترك سبعة على جمل مثلا ، لأنه لو صح الاشتراك فيها لما حصلالمقصودمن إراقة الدم عن الولد ، ولما كانت الذبيحة بالتالي فداءً عن المولود .

ج ــ يصح أن يذبح عن الغنم بالإبل أو البقر ، بشرط أن يكون الذبح بأحدهما عن مولود واحد .

لما روى ابن القيم عن أنس بن مالك : أنه كان يعق عن ولده بالجزور .

وعن أبي بكرة أنه نحر عن ابنه عبد الرحمن جزوراً ، فأطعم أهل البصرة .

وبعض أهل العلم ذكر أنه لاتصح العقيقة إلا بالغنم للأحاديث الواردة .

ولكن حجة من أجاز العقيقة بالإبل والبقر ، مارواه ابن المنذر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « مع الغلام عقيقة فأهريقوا عنه دماً » . ولم يذكر الرسول صلى الله عليه وسلم دماً دون دم ، فما ذُبح عن المولود على ظاهر هذا الحديث فإنه يجزىء ، سواء كانت الذبيحة غنماً أو بقراً أو إبلاً .

د ـ يصح في العقيقة ما يصح في الأضحية : من ناحية الأكل منها ، والتصدق ، والإهداء ، ويزاد بإهداء جزء منها إلى القابلة لإدخال السرور عليها ، للحديث الذي رواه البيهقي : عن علي رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر فاطمة رضي الله عنها ، فقال : « زِني شعر الحسين ، وتصدقي بوزنه فضة ، وأعطي القابلة رِجْلَ العقيقة » ٠

ومن أراد أن يولم على العقيقة ، ويدعو من أحب لحضور الطعام فلا بأس في ذلك ، وقد أجاز ذلك كثير من الفقهاء لما ينشر في المجتمع المسلم من منها ، والتصدق ، والإهداء ، ويزاد بإهداء جزء منها إلى القابلة مايحرص عليه الاسلام في تماسك وحدة الأمة ، لتكون دائماً كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً ٠

هـ ـ يستحب أن تذبح العقيقة على اسم المولود : لما روى ابن المنذر عن عائشة رضي الله عنها ، قالت : قال النبي صلى الله عليه وسلم: « اذبحوا على اسمه (أي على اسم المولود) فقولوا : بسم الله ، اللهم لك وإليك ، هذه عقيقة فلان » ٠ وإن نوى الذابح العقيقة ولم يذكر اسم المولود، أجزأت وحصل المقصود ٠

٨ ـ ما الحكمة التشريعية من العقيقة ؟

يكفي العقيقة فائدة وحكمة أنها :

- قربان يتقرب منها المولود إلى الله في أول لحظة يستنشق فيها نسائم الحياة ٠
- فدية يفدى بها المولود من المصائب والآفات ، كما فدى الله اسماعيل عليه السلام بالذبح العظيم ٠
- فكاك لرهان المولود في الشفاعة لوالديه ٠

- إظهار للفرح والسرور بإقامة شرائع الاسلام ، وبخروج نسمة مؤمنة ، يكاثر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم الأمم يوم القيامة .
- تمتين لروابط الإلفة والمحبة بين أبناء المجتمع ، لاجتماعهم على موائد الطعام ابتهاجاً بقدوم المولود الجديد .
- إرفاد موارد التكافل الاجتماعي برفد جديد ، يحقق في الأمة مبادىء العدالة الاجتماعية ، ويمحو في المجتمع ظواهر الفقر والحرمان والفاقة .

إلى غير ذلك من هذه الفوائد والثمرات .

وبالمناسبة يجدر بك ــ أيها القارىء ــ أن تعرف أنواع الأطعمة والولائم التي شرعها الاسلام في أوقات مخصوصة ، وفي أيام المناسبات ، وهي كمايلي:

١ ــ **القِرى** : طعام الضيفان .
٢ ــ **التحفة** : طعام الزائر .
٣ ــ **الخُرْس** : طعام الولادة .
٤ ــ **المأدُبة** : طعام الدعوة .
٥ ــ **الوليمة** : طعام العرس .
٦ ــ **العقيقة** : طعام المولود في اليوم السابع .
٧ ــ **العذيرة** : طعام الختان .
٨ ــ **الوضيمة** : طعام المأتم .
٩ ــ **النقيعة** : طعام القادم من سفره .
١٠ ــ **الوكيرة** : طعام الفراغ من البناء .

● ● ●

المَبحَث الرّابع

خِتَانُ المَولُودِ وَأحْكامُه

١ ــ معنى الختان لغةً واصطلاحاً :

الختان في اللغة معناه : قطع القُلْفَة « أي الجلدة » التي على رأس الذّكر .

وفي الاصطلاح الشرعي : هو الحَرْف المستدير على أسفل الحشفة ، أي موضع القطع من الذكر ،وهو الذي تترتب عليه الأحكام الشرعية ، كما روى الإمام أحمد والترمذي والنسائي عن النبي عليه الصلاة والسلام « إذا التقى الختانان فقد وجب الغُسْلُ » .

وفي رواية الطبراني « إذا التقى الختانان وغابت الحشفة فقد وجب الغُسْلُ ، أنزل أو لم ينزل » .

٢ ــ الأحاديث التي تدل على مشروعية الختان :

الأحاديث التي تدل على مشروعية الختان كثيرة نجتزىء منها بما يلي :

ــ روى الإمام أحمد في مسنده من حديث عمار بن ياسر قال : قال

رسول الله صلى الله عليه وسلم : من الفطرة[1] : المضمضة ، والاستنشاق ، وقص الشارب ، والسواك ، وتقليم الأظافر ، ونتف الإبط ، والاستحداد[2] ، والاختتـان » .

ـ وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الفطرة خمس : الختان ، والاستحداد ، وقص الشارب ، وتقليم الأظافر ، ونتف الإبط » .

٣ ـ هل الختان واجب أم سنة ؟

اختلف الفقهاء في أمر الختان هل هو واجب أم سنة ؟

فالذين قالوا بسنيته : الإمام الحسن البصري ، والإمام أبو حنيفة ، وبعض الحنابلـة .

وحجتهم في ذلك : ماروا الإمام أحمد عن شداد بن أوس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « الختان سنة للرجال ومكرمة للنساء » .

وحجتهم كذلك : أن الرسول صلى الله عليه وسلم قرن الختان في الحديث بالمسنونات كتقليم الأظافر ، ونتف الإبط ، وغيرها ، فدل على أن الختـان سنة وليس بواجب .

---

(١) الفطرة فطرتان : فطرة إيمانية تتعلق بالقلب وهي معرفة الله والإيمان به ؛ وفطرة عملية وهي هذه الخصال المذكورة في الحديث . فالأولى تزكي الروح وتطهر القلب ، والثانية تطهر البدن ، وتزين المظهر ؛ فكان راس فطرة البـدن « الختـان » .

(٢) الاستحداد : حلق الشعر الذي يخرج حول الفرج .

وحجتهم أيضاً : ماقاله الإمام الحسن البصري : « قد أسلم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس : الأسود ، والأبيض ، والرومي ، والفارسي ، والحبشي ... فما فتش أحداً منهم » ، فلو كان الختان واجباً لما قبل اسلامهم حتى يُختتنوا .

والذين قالوا بوجوبه هم : الشعبي ، وربيعة ، والأوزاعي ، ويحيى بن سعيد الأنصاري ، ومالك ، والشافعي ، وأحمد . وشدد في أمر الختان الإمام مالك حتى قال : « مَنْ لم يختتن لم تجز إمامته ، ولم تقبل شهادته » .

واحتج هؤلاء الأئمة على الوجوب بأدلة كثيرة نجتزىء منها مايلي :

أ ـ روى الإمام أحمد وأبو داود ، عن عثيم بن كليب عن أبيه عن جده ، أنه جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : قدأسلمت. قال: « ألق[1] عنك شعر الكفر واختتن » .

ب ـ وروى حرب في مسائله عن الزهري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من أسلم فليختتن وإن كان كبيراً » .
فالحديث وان كان ضعيفاً فإنه يصلح للتقوية والاعتضاد .

ج ـ وروى وكيع عن سالم عن عمرو بن هرم عن جابر عن يزيد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : « الأقلف[2] لاتقبل له صلاة ، ولاتؤكل ذبيحته » .

د ـ وروى البيهقي عن موسى بن اسماعيل ، عن علي رضي الله عنه قال : وجدنا في قائم سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصحيفة : « أن الأقلف لايترك في الاسلام حتى يختتن » .

---

(١) الق عنك : اي احلق راسك .
(٢) الاقلف : اي غير المختتن .

هـ ــ قال الخطابي : « أما الختان فإنه وإن كان مذكورا في جملة السنن فانه عند كثير من العلماء على الوجوب ، وذلك أنه شعار الدين ، وبه يعرف المسلم من الكافر ، وإذا وجد المختون بين جماعة قتلى غير مختونين ، صُلّي عليه ودفن في مقابر المسلمين .

و ــ وقد علل الذين قالوا بوجوب الختان من الفقهاء : « أن الأقلف معرض لفساد طهارته وصلاته ، فإن القلفة تستر الذكر كله ، فيصيبها البول ، ولايمكن الاستجمار لها، فصحة الطهارة والصلاة موقوفة على الختان ولهذا منع كثير من السلف والخلف إمامته ؛ أما صلاته مع نفسه فيعد معذوراً كمن معه سلس بول » .

ز ــ قال تعالى : « **ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفاً** » .

فالرسول صلى الله عليه وسلم وأمته مأمورون باتباع ملة إبراهيم ، والختان من ملة إبراهيم عليه السلام . ومما يدل على ذلك ما رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه : « أن إبراهيم عليه السلام اختُتن وهو ابن ثمانين سنة » . وفي رواية : « أنه أول من أضاف الضيف ، وأول من لبس السراويل ، وأول من اختتن ، واستمر الختان بعده في الرسل وأتباعهم حتى بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم » .

فقد روى الترمذي والإمام أحمد عن أبي أيوب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « أربع من سنن المرسلين : الختان[1] ، والتعطر ، والسواك ، والنكاح » .

---

(1) قد ورد في بعض النسخ « الحياء » ، وفي البعض « الحناء» بدل الختان ، وكلاهما غلط وتصحيف قاله : ابو الحجاج المزي . وثبت عن المحاملي انه روى لفظ « الختان » في الحديث عن الشيخ الذي روى عنه الترمذي . ارجع الى كتاب « تحفة المودود » ص ٩٣ تجد مافيه الكفاية .

فهذه الأحاديث هي أظهر الأدلة التي احتجوا بها على وجوب الختان للمولود •

أما ردهم على من قالوا بسنيّة الختان فهو مايلي :

● فالحديث الذي احتجوا به على السنيّة هو « الختان سنة للرجال ، مكرمة للنساء » • وقد قال عنه علماء الحديث : أنه ضعيف من ناحية السند، والحديث الضعيف ـ كما هو معلوم عند الفقهاء ـ لايحتج به في استنباط الأحكام الشرعية • وعلى فرض أنه صحيح فيكون المعنى أن الرسول صلى الله عليه وسلم سنّ الختان وأمر به فيكون واجباً ؛ والسنةهي الطريقة ، يقال : سنَنْتُ له كذا : أي شرعتُ ؛ فقوله عليه الصلاة والسلام : « الختان سنة للرجال •• » أي مشروع لهم •

● أمااحتجاجهم بأن الرسول صلى الله عليه وسلم قرن الختان بالمسنونات كتقليم الأظافر ، فيكون سنة كباقي المسنونات ، فهو احتجاج غير صحيح ، لأن الخصال المذكورة في الحديث منها ماهو واجب كالمضمضة والاستنشاق في الاغتسال ، ومنها ماهومستحب كالسواك ، وأما تقليم الأظافر ـ وإن كان سنة ـ فإنه في بعض الأحيان يكون واجباً لصحة الطهارة ، وذلك في حين الإطالة وتراكم الأوساخ تحتها • إذن فالحديث الذي احتجوا به يجمع مابين طياته ماهو واجب ، وماهو مستحب •

● أما احتجاجهم بقول الحسن البصري : « قد أسلم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس فما فتش أحداً منهم » ، فجوابه : « أنهم استغنوا عن التفتيش بما كانوا عليه من الختان ، فإن العرب قاطبة كلهم كانوا يختتنون، واليهود قاطبة تختتن ، ولم يبق إلا النصارى وهم فرقتان : فرقة تختتن ، وفرقة لاتختتن • وقد علم كل من دخل في الاسلام منهم ومن غيرهم ؛ أن

شعار الاسلام « الختان » ، فكانوا يبادرون إليه بعد الاسلام كما يبادرون إلى الغسْل »[1] . ويؤيد ماقاله ابن القيم أن الناس كانوا يبادرون إلى الختان بعد الاسلام كما يبادرون إلى الغسل ، حديث عُثَيْم بن كليب الذي سبق ذكره ، أن جده جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : قد أسلمت : قال : « ألقِ عنك شعر الكفر واختتن » . وكذلك حديث الزهري الذي مرّ ، أنه عليه الصلاة والسلام قال : « من أسلم فلْيختتن وإن كان كبيراً » .

وكان عليه الصلاة والسلام . يرشد الأمة دائماً إلى مافيه خيرها وسعادتها ، وإلى مايميزها عن غيرها . ولكن لم يكن مأموراً بالبحث والتفتيش ، ومنهجه في ذلك أن يقبل ممن أسلموا ظواهرهم . ويكل إلى الله سرائرهم .

والذي نخلص إليه بعدما تقدم : أن الختان رأس الفطرة . وشعار الاسلام ، وعنوان الشريعة . وهو واجب على الذكور ، وأن مَنْ لم يبادر إليه في إسلامه ، ولم يقم على تنفيذه قبيل بلوغه . فإنه يكون آثماً . مرتكبا المعصية ، واقعا في الوزر والحرام ، لكون الختان شعاراً من شعائر الاسلام . وبه يتميز المؤمن عن الكافر ، وبسببه يتمتع المختتن بصحة جيدة ، ويتحرر من كثير من الأمراض الفتاكة . وسيأتي بيان الحكمة من الختان ، وفوائده العظيمة في الصفحات التالية إن شاء الله .

٤ ـ هل على الأنثى ختان ؟

أجمع الفقهاء والأئمة المجتهدون على أن الختان مستحب للأنثى وليس بواجب ، اللهم إلا في رواية للامام أحمد بن حنبل أنه يجب على النساء والرجال على السواء ، بينما الرواية الثانية المروية عنه يجب على الذكور

---

(١) من كتاب تحفة المودود ص ١٠٤ .

دون الإناث ؛ وهذه الرواية الثانية وافقت ما أجمع عليه الأئمة الأعلام من الفقهاء والمجتهدين في أنه مستحب وليس بواجب ؛ ووافقت كذلك مادرجت عليه الأمة ، وماتوارثته جيلا عن جيل ، في أن الختان للمرأة مستحب وليس بواجب • وحجتهم في ذلك أن الرسول صلى الله عليه وسلم لما شرع لأمة الاسلام الختان ، كان يخص الرجال دون الإناث ، ولم يثبت أنه عليه الصلاة والسلام أمر امرأة بالاختتان ، اللهم إلا حديث شداد الذي مر ذكره : « الختان سنة للرجال ، مكرمة للنساء » • فإن فيه مايشير إلى ذلك ، وعلى فرض صحة الحديث فانه يرشد إلى الاستحباب دون الوجوب ، لأن في لفظ « مكرمة للنساء » دليلا قاطعاً على الاستحباب فقط ، والله أعلم •

ولعل الحكمة في ذلك أن الاختتان للرجل يختلف كل الاختلاف عن الاختتان للمرأة ، يختلف شكلا ، ويختلف حكما ، ويختلف فائدة ، كما هو ملحوظ ومفهوم •

ألا ماأعظم تشريع الاسلام ، وما أسمى مبادئه الخالدة على مدى الزمان والأيام !!•

٥ ـ متى يجب الاختتان ؟

ذهب كثير من أهل العلم إلى أن الاختتان يجب عند مشارفة الولد سن البلوغ ، باعتبار أنه سيصبح مكلفاً شرعاً في امتثال الأحكام الشرعية ، والأوامر الإلهية • حتى إذا دخل في سن البلوغ كان مختوناً ، لتكون عبادته على الوجه الصحيح الذي رسمه الاسلام ، وبينه الشرع الحنيف •

ولكن الأفضل في حق الولي أن يقوم بعملية الاختتان في الأيام الأولى من ولادة الولد ، حتى إذا عقل ، وتفهم الأمور ، وأصبح في مرحلة التمييز ، وجد نفسه مختوناً ، فلا يحسب له في المستقبل حساباً ، ولايجد له في نفسه

هماً ، فما أهنأ قلب الولد لما بدأ يعقل ، ويدرك حقائق الأشياء ، وجد نفسه أنه مر على مرحلة الاختتان .

ودليل الأفضلية مارواه البيهقي عن جابر رضي الله عنه أنه قال : « عقّ رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الحسن والحسين وختنهما لسبعة أيام » .

٦ ـ واخيرا ماالحكمة من الختان ؟

للختان حكم دينية عظيمة ، وفوائد صحية جليلة ، قد أبان عنها العلماء ، وكشف عن آثارها الأطباء ، وإليكم أميز ماذكروه وأهم ماقرروه :

فمن الحكمة الدينية العظيمة :

● أنه رأس الفطرة ، وشعار الاسلام ، وعنوان الشريعة .

● أنه من تمام الحنيفية التي شرعها الله على لسان إبراهيم عليه السلام . فهي التي صبغت القلوب على التوحيد والإيمان . وهي التي صبغت الأبدان بخصال الفطرة من الختان ، وقص الشارب ، وتقليم الأظافر ، ونتف الآباط . قال تعالى :

« **ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفاً ..** » النحل /١٢٣/ .
« **صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة ونحن له عابدون** » البقرة /١٣٨/ .

● أنه يميز المسلم من غيره من أتباع الديانات والملل الأخرى .

● أنه إقرار بالعبودية لله ، والامتثال لأوامره ، والخضوع لحكمه وسلطانه .

ومن الفوائد الصحية الجليلة مايلي :

● أنه يجلب النظافة ، والتزيين ، وتحسين الخلقة ، وتعديل الشهوة .

● أنه تدبير صحي عظيم يقي صاحبه كثيراً من الأمراض والاختلاطات.

يقول الدكتور « صبري القباني » في كتابه « حياتنا الجنسية » :

وفي الختان بعض الفوائد نذكر منها :

١ ــ بقطع القُلْفة يتخلص المرء من المفرزات الدهنية ، ويتخلص من السيلان الشحمي المقزِّز للنفس ، ويحال دون إمكان التفسخ والإنتان .

٢ ــ بقطع القلفة يتخلص المرء من خطر انحباس الحشفة أثناء التمدد .

٣ ــ يُقلّل الختان إمكان الإصابة بالسرطان ، وقد ثبت أن هذا السرطان كثير الحدوث في الأشخاص المتضيّقة قلفتهم ، بيد أنه نادر جداً في الشعوب التي توجب عليهم شرائعهم الختان .

٤ ــ إذا أسرعنا في ختان الطفل أمكننا تجنيبه الإصابة بسلس البول الليلي .

٥ ــ يخفف الختان من كثرة استعمال العادة السرية لدى البالغين .

إلى غير ذلك من هذه الفوائد ..» إ.هـ .

هذه بعض الفوائد والحكم في مشروعية الختان ، يدركها كل ذي عقل وبصيرة ، ويتعقلها كل من يريد أن يعرف محاسن الاسلام ، وأسرار الشريعة.

● ● ●

وفي تقرير هذه الأحكام التي سبق ذكرها ، سواء ما يتعلق ببشارة المولود ، أو التأذين بأذنه ، أو استحباب تحنيكه أو عقيقته ، أو حلق رأسه ، أو أحكام تسميته ، أو وجوب ختانه . فكل هذه الأحكام تقرر للمربين هذه الحقيقة الهامة ، ألا وهي : الاعتناء بالمولود منذ ولادته ، والاهتمام بأمره من حين أن يُطلّ بنفسه على الدنيا ، ويستنشق نسائم الحياة .

وهي أحكام هامة تكسب الطفل صحة ، وتعطيه قوة . حتى إذا فتح المولود عينيه ، وأصبح ينظر حوله ، ويتفهم الأمور ، ويدرك حقائق الأشياء ، وجد نفسه في أسرة مسلمة تطبق الاسلام ، وتعمل بمقتضى الشريعة ، وقدقامت نحوه بكل الالتزامات التي أمر بها الشرع الحنيف ، وسنها الرسول عليه الصلاة والسلام . ولاشك أن الولد حينما يفهم هذه الالتزامات ، ويعرف أن مربيه من أب وأم يقومان بكل هذه الواجبات ، فإن نفسه تترسخ على الاسلام ، وتتربى على الإيمان ، وتعتاد على معاني الخلق والفضيلة وأنبل الفضائل والمكرمات.

وإذا كان الاسلام قد اعتنى بالولد من حيث الولادة — كما رأيت — فاعتناؤه به من حين أن يعقل ويتفهم الحياة ، ويدرك حقائق الأشياء ، يكون أبلغ وأعظم ، وأسمى وأكبر .

وستجد — أيها الأخ القارىء — في الفصول التالية أهم المسؤوليات العامة التي أوجبها الاسلام على المربين والآباء نحو أولادهم ، لتعلم جيداً كيف اعتنت الشريعة الغراء بتربية الأبناء ، وكيف أهابت بهم أن ينهضوا بواجباتهم ، ويضطلعوا بسؤولياتهم .

وستجد فيها إن شاء الله ، ما يشفي الغليل ، وما يوضح المنهج ، وما ينير الطريق .

● ● ●

الفصل الرّابع

أسبابُ الانحِراف عِندَ الأولاد ومُعالجته

تمهيـد :

ما أكثر العوامـل والأسباب التي تؤدي إلى انحراف الأولاد . وإلى زيغهم وفساد أخلاقهم . وسوء تربيتهم . في هذا المجتمع الآثم . والواقع المرير، والحياة الماجنة !!.. وما أكثر نوازع الشر . وبواعث الفساد التي تحيط بهم، وتكتنفهم من كل جانب . وتعترضهم من كل مكان !!..

فإذا لم يكن المربون على مستوى المسؤولية والأمانة ، وعلى علم بأسباب الانحراف وبواعثه . وعلى بصيرة وهدىً في الأخذ بأسباب العلاج ، وطرق الوقاية . فإن الأولاد ــ لا شك ــ سيكونون في المجتمع جيل الضياع والشقاء، وعصبة الفساد والجريمة .

ونحن إن شاء الله في هذا الفصل . سنفصل القول عن أسباب الانحراف في الأولاد . وعن المعالجة الناجعة لهذا الانحراف . ليعلم من يريد أن يعلـم أن الاسلام ــ بتشريعه الحكيم . ومبادئه القويمة الخالدة ــ قد وضع الأسس الكفيلة ، والمناهج الحكيمة . لصيانة الجيل من الإنحراف ، وحماية المجتمع من التشرد والضياع .

وإليكم ــ أيها المربون ــ أهم الأسباب في انحراف الأولاد ، وأظهر المعالجات لهذا الانحراف على ضوء الاسلام ، لتكونوا على بينة وهدى في أمر التربية والمسؤولية .

أ ــ الفقر الذي يخيم على بعض البيوت :

من المعلوم أن الطفل حين لا يجد في البيت ما يكفيه من غذاء وكساء ،

ولا يرى من يعطيه ما يستعين به على بلغة العيش ، وأسباب الحيـــاة ، وينظر إلى ما حوله فيجد الفقر والجهـــد والحرمان ، فإنه ــ لاشك ــ سيلجأ إلى مغادرة البيت بحثاً عن الأسباب ، وسعياً وراء الرزق • فتتلقفه أيدي السوء والجريمة ، وتحيط به هالة الشر والانحراف، فينشأ في المجتمع مجرماً ، ويكون خطراً على الأنفس والأموال والأعراض •

والاسلام بتشريعه العادل ، قد وضـــع الأسس الكفيلة لمحاربة الفقر ، وقرر حق الحياة الكريمة لكل إنسان • ووضع من التشريعات ما يؤمن لكل فرد الحد الأدنى من مسكن ومطعم وكساء • ورسم للمجتمع المسلم مناهج عملية للقضاء على الفقر نهائياً • كتأمين سبل العمل لكل مواطن ، وإعطـــاء مرتبات شهرية من بيت المال لكل عاجز ، وسن قوانين للتعويض العائلي لكل أب له أسرة وأولاد، ورعاية زمر اليتامى والأرامل والشيوخ ، بشكل يحفظ لهم كرامتهم الانسانية ، ويحقق لهم العيش الأفضل • إلى غير ذلك من هذه الوسائل والمناهج والأحكام ، التي إن تحققت ، ومرت بمراحـــل التطبيـــق والتنفيذ ، زال في المجتمع أهم أسباب الجريمة والتشرد والضياع ، وقضي نهائياً على كل مظاهر الفقر والبؤس والحرمان[1] •

ب ــ النزاع والشقاق بين الآباء والأمهات :

من العوامل الأساسية التي تؤدي إلى انحراف ، الولد احتدام النزاع ، واستمرار الشقاق ما بين الأب والأم في أعظم ساعات الاجتماع واللقاء • فالولد حين يفتح في البيت عينيه ، ويرى ظاهرة الخصومة أمام ناظريه ، سيترك حتماً جو البيت القاتم ، ويهرب من محيط الأسرة الموبوء ، ليفتش عن رفاق يقضي

(١) ارجع إلى كتابنا « التكافل الاجتماعي في الاسلام » تجد فيه مايشفي الغليل في قضاء الاسلام على الجهل والفقر والمرض . وترى فيه كيف حقـــق الاسلام العدالة الاجتماعية بين أبناء الوطن الواحد .

معهم جُلّ وقته ، ويصرف في مخالطتهم معظم فراغه • فهؤلاء إن كانوا قرناء سوء ، ورفقاء شر ، فإنه سيدرج معهم على الانحراف ، ويتدنى بهم إلى أرذل الأخلاق ، وأقبح العادات • بل إن انحرافه سيتأكد ، وإن إجرامه سيتحقق ، ليصبح أداة خطر وبلاء على البلاد والعباد •

والاسلام بمبادئه الحكيمة الخالدة رسم للخاطب المنهج القويم في حسن اختيار الزوجة ، كما رسم لأولياء المخطوبة الطريق الأفضل في حسن اختيار الزوج • وما ذاك إلا تحقيق للمودة والمحبة والتفاهم والتعاون بين الزوجين، ثم بالتالي بعدٌ عن كل احتمال للمشكلات العائلية ، والخصومات الزوجية التي تقع عادة ما بين المرأة وزوجها •

وقد سبق أن بيّنا في الفصل الأول من هذا الكتاب الأسس الصحيحة في اختيار الزوج أو الزوجة •

وهي لاشك من أعظم الأسس الثابتة في إعداد البيت السعيد ، وتهيئة الأسرة المثالية المتحابية المتفاهمة •

جـ ـ حالات الطلاق ومايصحبها من فقر :

ومن العوامل الأساسية التي تؤدي غالباً إلى انحراف الولد ، حالات الطلاق وما يصحبها من تشرد وضياع ، وما يعقبها من تشتت وفراق •

من الأمور المعلومة التي لايختلف فيها اثنان ، أن الولد عندما يفتح على الدنيا عينيه ، ولا يجد الأم التي تحنو عليه ، ولا الأب الذي يقوم على أمره ويرعاه ، فإنه لا شك سيندفع نحو الجريمة ، ويتربى على الفساد والانحراف •

ومما يزيد الأمر سوءاً ، زواج المطلقة من زوج آخر ، فإن الأولاد سيصيرون على الغالب الى التشرد والضياع •

ومما يعقد المشكلة كذلك ، فقر الأم بعد الطلاق ، فإنها في هذه الحالة ستضطر إلى العمل خارج المنزل ، ومعنى هذا أن تترك البيت ، أو بالأحرى أن تترك الأولاد الصغار للشارع تعبث بهم فتن الأيام ، وحادثات الليالي ، من غير رعاية ولا عناية • وماذا نرجو من أولاد لايجدون عطف الأب ولااهتمامه ومسؤوليته ، ولا حنان الأم ولا عنايتها ومسؤوليتها ؟!•

وماذا نرجو منهم حين ينظرون إلى ما حولهم ، فلا يجدون الطعام الكافي الذي يسد جوعتهم ، ولا الكساء الواقي الذي يستر عورتهم ، ولا المسكن الصالح الذي يحقق لهم راحتهم ويحفظ صحتهم ؟! •

فالحقيقة أننا لا نرجو منهم إلا التشرد والضياع ، ولا تتوقع إلا الجريمة والانحراف ، إلا من رحم ربك وقليل ما هم •

والاسلام بمبادئه الرشيدة أمر كلاً من الزوجين ، أن يقوما بالحقوق نحو بعضهما البعض ، حتى لايؤول بهما الأمر إلى نتائج لاتحمد عقباها •

● فمن هذه الحقوق : طاعة الزوجة لزوجها بالمعروف • فقد روى البزار والطبراني : أن نسوة اجتمعن مرة في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ، وأرسلن إحداهن إلى الرسول صلى الله عليه وسلم لتقول له : يا رسول الله أنا وافدة النساء إليك ، هذا الجهاد كتبه الله على الرجال ؛ فإن يصيبوا أثيبوا ، وإن قتلوا كانوا أحياء عند ربهم يرزقون ؛ ونحن معشر النساء نقوم عليهم فمالنا من ذلك الأجر ؟ فأجابها عليه الصلاة والسلام بقوله : « أبلغني من لقيت من النساء أن طاعة للزوج ، واعترافاً بحقه ، يعدل ذلك (أي يعدل أجر المجاهدين في سبيل الله) ؛ وقليل منكن من يفعله » •

● ومن هذه الحقوق : أن تحفظ الزوجة للزوج ماله ونفسها • لقوله عليه الصلاة والسلام فيما رواه ابن ماجه : « ألا أخبركم بخير ما يكنز الرجل؟

لمرأة الصالحة ، إذا نظر إليها سرته ، وإذا أمرها أطاعته ، وإذا غاب عنها حفظته بماله ونفسها » •

● ومن هذه الحقوق : عدم امتناعها عن فراش زوجها إذا طلبها إليه • لقوله عليه الصلاة والسلام في الحديث الذي رواه البخاري ومسلم : « إذا دعا رجل امرأته إلى فراشه فأبت أن تجيء إليه ، فبات غضبان عليها ، لعنتها الملائكة حتى تصبح » •

● ومن هذه الحقوق : قيام الزوج بواجب النفقة على الزوجة والأولاد • لقوله تعالى : **« وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف »** البقرة /٢٣٣/ .

وقال عليه الصلاة والسلام فيما رواه مسلم : « اتقوا الله في النساء ، فإنكم أخذتموهن بأمانة الله ، واستحللتم فروجهن بكلمة الله ، ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف » •

● ومن هذه الحقوق : استشارة الزوج زوجته في أمور البيت • لقوله عليه الصلاة والسلام فيما رواه أحمد وأبو داود : «آمروا النساء في بناتهن»، أي استأذنوهن في البنات قبل أن يخطبن •

● ومن هذه الحقوق : أن يغض الزوج طرفه عن بعض نقائص زوجته ولاسيما ان كان لها محاسن ومكارم تغطي هذا النقص • لقوله عليه الصلاة والسلام فيما رواه مسلم : « لايفرك (أي لايبغض) مؤمن مؤمنة ، ان كره منها خلقاً ، رضي منها آخر » •

● ومن هذه الحقوق : معاشرة الزوج لزوجته بالمعروف وملاطفتها والمزاح معها •

لقوله تبارك وتعالى : **« وعاشروهن بالمعروف فان كرهتموهن فعسى ان تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً »** النساء /١٨/ .

ولقوله عليه الصلاة والسلام فيما رواه ابن ماجه والحاكم : « خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي » •

وروى البخاري ومسلم : « أنه عليه الصلاة والسلام كان يري السيدة عائشة ــ رضي الله عنها ــ اللعب في باحة المسجد ، فيضع كفــه على الباب ، ويمد يده وتضع وجهها على كتفه » . ومن هنا قال عليه الصلاة والسلام فيما رواه البخاري ومسلم : « أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً وألطفهم بأهله » .

وروى أبو داود والنسائي : « أنه عليــه الصلاة والسلام كان يسابق السيدة عائشة ــ رضي الله عنها ــ فسبقته مرة ، وسبقها في بعض الأيام ، فقال: هذه بتلك » .

وكان مما يقوله عمر رضي الله عنه ــ وهو القوي الشديد الجاد في حكمه وعدله ــ : « ينبغي للرجــل أن يكون في أهــله كالصبي ــ أي في الإنس والسهولة ــ فإذا كان في القوم كان رجلا » .

● ومن هذه الحقوق : مساعدة زوجته في أعمــال المنزل اقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم . روى الطبراني وغيره عن عائشة رضي الله عنها ، أنها لما سئلت : ماذا كان يصنع الرسول صلى الله عليه وسلم في البيت ؟ قالت : «كما يصنع أحدكم ، يشيل هذا ، ويحط هذا ، ويخدم في مهنة أهله ، ويقطع لهن اللحم ، ويقمّ البيت (أي يكنسه) ، ويعين الخادم في خدمته » .

تلكم أهم الحقوق التي أوجبها الاسلام على كل من الزوجين ، وهي حقوق واقعية وعادلة ، عندما ينفذها كل من الزوج والزوجة يحل الوفاق محل الفرقة . وتتحقق المحبة محل الكراهية ، وتعيش الأسرة بأكملها على أحسن ما تعيش من السعادة والتفاهم والاستقرار ، ولا يمكن أن يحــدث ما يعكر صفو الأسرة . ولا ما يسيء أحدهما إلى الآخر .

وفي حال تعذر الوفاق لسوء خلــق الزوج ، أو سوء خلــق الزوجة ،

ولا يمكن بحال أن تتحقق المعيشة بينهما ، فعلى الزوج أن يأخذ بالاحتياطات الكاملة قبل إيقاع الطلاق •

وهذه الاحتياطات مرتبة كما يلي :

١ ـــ الوعظ والإرشاد : من باب وذكّر فإن الذكرى تنفع المؤمنين •

٢ ـــ الهجر في المضجع : وهي عقوبة نفسية ، لعل المرأة تعود إلى صوابها •

٣ ـــ الضرب غير المبرّح : إذا كان باعتقاده أنه ينفع ، ويشترط فيه أن لايكون شديداً ، ثم بالتالي ألا يترك أثراً في جسم المرأة ، ويشترط كذلك أن لايكون الضرب في مواضع مؤذية كالوجه والصدر والبطن • وهو بهذه الشروط إلى التهديد أقرب منه إلى الإيلام والإيذاء • علماً بأن الرسول صلى الله عليه وسلم وهو القدوة الصالحة لم يضرب امرأة قط • فقد روى ابن سعد عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : « ما ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده امرأة قط، ولا خادماً ، ولا ضرب شيئاً قط ، إلا أن يجاهد في سبيل الله» •

ويروي ابن سعد : عندما شكت للنبي صلى الله عليه وسلم امرأة ضرْبَ زوجها ، قال للزوج : « يظل أحدكم يضرب امرأته ضرب العبد ، ثم يظل يعانقها ولا يستحي » •

٤ ـــ وأخيراً اللجوء إلى التحكيم : وذلك بتدخل وسطاء عقلاء من أهله وأهلها ، يدرسون المشكلات القائمة بين الزوجين ، ويقترحون الحلول العملية لإعادة الوفاق والتفاهم بينهما ، لعلها تجدي قبل وقوع الطلاق •

وهذه الاحتياطات لازمة ، عملا بقوله تبارك وتعالى : « **واللاتي تخافون نشوزهن فعظوهن ، واهجروهن في المضاجع ، واضربوهن ، فان أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا إن الله كان علياً كبيراً • وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من اهله وحكما من أهلها ، إن يريدا إصلاحاً يوفق الله بينهما ، ان الله**

كان عليما خبيراً)) النساء /٣٤ ـ ٣٥/ . وفي حال تعذر الوفاق بعد الأخذ بهذه المراحل ، يطلقها تطليقة واحدة في طهر لم يجامعها فيه ، لاتاحة الفرصة في إعادة الحياةالزوجية بعد التطليقة الأولى ، لقوله تبارك وتعالى : ((**فان طلقها فلا جناح عليهما أن يتراجعا ، إن ظنا أن يقيما حدود الله ، وتلك حدودالله يبينها لقوم يعلمون))** البقرة /٢٣٠/

فيتبين مما ذكرناه أن الاسلام اتخذ من الاحتياطات اللازمة ما يحول دون وقوع الطلاق ، لما يترتب عليه من نتائج وخيمة على الزوج والزوجة والأولاد .

فلا عجب أن يعده عليه الصلاة والسلام أبغض الحلال إلى الله ، للحديث الذي رواه أبو داود وابن ماجه « أبغض الحلال إلى الله الطلاق » .

وفي حال وقوع الطلاق أوجب الاسلام على الزوج المتعة ، ونفقة العدة، ونفقة الأولاد ، حتى لاتشقى المطلقة ، ولايشقى معها أولادها ، لقولهسبحانه:

((**ومتعوهن على الموسع قدره ، وعلى المقتر قدره ، متاعاً بالمعروف حقاً على المحسنين))** البقرة /٢٣٦/ .

وفي حال فقر الزوج ، وعدم مقدرته على النفقة ، يتعين على الدولة أن ترعى هؤلاء الأطفال بالنفقة ، وتمدهم بكل ما يحتاجون إليه من أسباب مادية لتعليمهم والإنفاق عليهم ، إلى أن يكبروا ويشبوا ، وبذلك تمنع عنهم أسباب شقاوتهم وانحرافهم . هذا عدا ما يوجبه الاسلام على من يعلم بأحوالهم من تقديم العون والمؤازرة والتكافل ، تحقيقاً لقوله عليه الصلاة والسلام فيما رواه مسلم : « من كان معه فضل ظهر فليعد به على من لاظهر له ، ومن كان معه فضل زاد فليعد به على من لازاد له » .

وقوله فيما رواهالطبراني وابن ماجه : « في المال حق سوى الزكاة ».

وقوله فيما رواه الطبراني : « إن الله فرض على أغنياء المسلمين في أموالهم بقدر الذي يسع فقراءهم ، ولن يجهد الفقراء إذا جاعوا وعروا إلا بما يصنع أغنياؤهم ، وإن الله يحاسبهم حساباً شديداً ، ويعذبهم عذاباً أليماً » .

وقوله فيما رواه البزار والطبراني : « ما آمن بي من بات شبعان ، وجاره جائع إلى جنبه وهو يعلم به » .

د ـ الفراغ الذي يتحكم في الأطفال والمراهقين :

ومن العوامل الأساسية التي تؤدي غالباً إلى انحراف الولد عدم الاستفادة من الفراغ الذي يتحكم في الأحداث والمراهقين . ومن المعلوم أن الولد منذ نشأته مولع باللعب، ميال إلى المغامرة ، محب للفسحة والتمتع بالمناظر الطبيعية، فنراه في حركة دائمة ، في اللعب مع من كان في سنه حيناً ، وفي الركض والتسلق أحياناً ، وفي ممارسة الرياضة تارة ، وفي اللعب بألعاب الكرة تارة أخرى .

فيجب على المربين أن يستغلوا هذه الظاهرة في الأطفال ، ومن كان في سن المراهقة ، حتى يملؤوا فراغهم بما يعود على أجسامهم بالصحة ، وعلى عضلاتهم بالقوة ، وعلى أجهزة أبدانهم بالنشاط والحيوية .

فإن لم ييسروا لهم أماكن للعب واللهو البريء ، ونوادي صالحة للرياضة وإعداد القوة ، ومسابح للتدريب والتعليم ، ونزهات للنشاط والحيوية ، فإنهم سيختلطون غالباً بقرناء سوء ، ورفقاء شر وفساد ، ويؤدي حتماً إلى شقائهم وانحرافهم .

والاسلام بتوجيهاته السامية ، عالج الفراغ لدى الأطفال والمراهقين

بوسائل عملية تصحح لهم أجسامهم ، وتقوي أبدانهم ، وتكسبهم قوة وحيوية ونشاطاً .

فمن أعظم هذه الوسائل تعويدهم على العبادات ولاسيما الصلاة التي عدها الاسلام عمود الدين ، وقوامه ، وركنه الأساسي ، لما لها من الفوائد الروحية ، والمنافع الجسمية ، والآثار الخلقية والنفسية .

ولا بأس أن نعدد باختصار فوائد الصلاة الجسمية ليعرف من يريد أن يعرف أهميتها ووجه مشروعيتها .

● كونها رياضة إلزامية يحرك فيها المسلم جميع أعضائه ومفاصله ، ولا يخفى ما في هذه الحركات من تنشيط للعضلات ، والدورة الدموية ، وجميع أجزاء البدن .

● كونها نظافة إجبارية لما يسبق الصلاة من أفعال الوضوء ، وهل الوضوء إلا نظافة الأعضاء الظاهرة ، وتنظيف الشعر ، والفم والأنف ، والأسنان ، هذا عدا الغسل في وقت وجوبه واستحبابه ، وعدا طهارة البدن والثوب والمكان .

وهذا كله شرط لصحة الصلاة .

● كونها تدريباً على المشي ، وذلك في السير إلى المساجد خمس مرات في اليوم والليلة، ولا يخفى ما في حركات المشي ذهاباً وإياباً من تنشيط للبدن، ومطردة للخمول والكسل .

وكم سمعنا من الأطباء أن الجسم إذا تحرك بالمشي أو الرياضة بعد الطعام، لا يصاب بأمراض المعدة وعسر الهضم ، وغيرها من الأسقام والآفات .

فلا عجب أن نسمع ممن لاينطق عن الهوى ، في حضه الآباء والمربين على أن يأمروا أولادهم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين حتى يعتادوها ، ويقضوا أوقات فراغهم في تعلمها والتدريب عليها .

اسمعوا إلى ما يقوله عليه الصلاة والسلام في هذا المعنى فيما رواه الحاكم وأبو داود : « مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين ، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر ، وفرقوا بينهم في المضاجع » .

هذا عدا عما يقضيه الولد وقت فراغه من تعلم لكيفية الصلاة وأفعالها ، وقراءتها ، وعدد ركعاتها ، وفرائضها ، وسننها ، وآدابها ، سواء في البيت على يد مربيه ، أو في المسجد على يد معلّميه .

ومن هذه الوسائل العملية التي وجه إليها الاسلام في معالجة الفراغ لدى الأولاد :

أمره بالتعليم لفنون الحرب ، والفروسية ، والسباحة ، والقفز والمصارعة .

وتوجيهه الولد في إشغال فراغه بالمطالعة الهادفة ، والنزهة البريئة . والرياضة المتنوعة . وذلك لايتأتى إلا بافتتاح الملاعب الكبيرة ، والنوادي الضخمة ، والمكتبات الشهيرة ، والمؤسسات العامة ، والمسابح الصحية الملائمة . بشرط أن تكون متوافقة مع أحكام الاسلام . وآدابه السامية .

وإليكم طائفة من توجيهات الاسلام في إعداد هذه الوسائل :

قال تعالى : **« وأعدوا لهم مااستطعتم من قوة ، ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم »** الانفال /٦٠/ .

وقال تعالى : **«قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لايعلمون»** الزمر/٩/ .

ويقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه : « علموا أولادكم الرماية والسباحة، ومروهم أن يثبوا على الخيل وثباً »

ـ وروى الحاكم والبيهقي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « اغتنم خمساً قبل خمس : حياتك قبل موتك ، وصحتك قبل سقمك ، وفراغك قبل شغلك ، وشبابك قبل هرمك ، وغناك قبل فقرك » ..

ـ وروى النسائي والترمذي أنه عليه الصلاة والسلام قال : « وارموا واركبوا ، وأن ترموا أحب إلي من أن تركبوا » .

ـ وروى الطبراني والحاكم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « كل شيء ليس من ذكر الله فهو لغو ،أو لهو ، أو سهو ، إلا أربع خصال : مشي الرجل بين الغرضين[1] ، وتأديبه فرسه ، وملاعبته أهله ، وتعلمه السباحة » .

ـ وروى ابن اسحق وابن هشام عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « رحم الله امرءاً أراهم اليوم من نفسه قوة » .

ـ وروى البخاري ومسلم أنه عليه الصلاة والسلام قال للحبشة حينما أخذوا يلعبون بحرابهم في المسجد : « دونكم يابني إرْفِدة ، لتعلم اليهود أن في ديننا فسحة » .

ـ وروى مسلم عنه عليه الصلاة والسلام : « المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف ، وفي كلٍ خير ، احرص على ما ينفعك ، واستعن بالله ، ولا تعجز ، فإن أصابك شيء فلا تقل : لو أني فعلت كذا كان كذا ، ولكن

---

(١) بين الغرضين : اي الهدفين وذلك في حالة الرمي .

قل : قدّر الله وما شاء فعل ، فإن لو تفتح عمــل الشيطان » • إلى غير ذلك من هذه التوجيهات القيمة السامية •

ولو أخذ المربون بهذه التوجيهات الاسلامية ، لأكسبوا أولادهم صحة وعلماً وقوة ، ولحالوا بينهم وبين تفلتهم وتشردهم وانحرافهم ، ولملأوا فراغهم بما ينفعهم في دينهم ودنياهم وآخرتهم ، ولأعدوهم ليكونوا جيل الاســلام : وجنوده المغاوير ، ودعاته الراشدين ، وشبابه العاملين •

هـ ـ الخلطة الفاسدة ورفاق السوء :

ومن العوامل الكبيرة التي تؤدي إلى انحراف الولــد ، رفاق السوء والخلطة الفاسدة ، ولاسيما إن كان الولد بليد الذكاء ، ضعيف العقيــدة ، متميع الخلق • فسرعان ما يتأثر بمصاحبة الأشرار ، ومرافقة الفجار ، وسرعان ما يكتسب منهم أحط العادات ، وأقبح الأخلاق • بل يسير معهم في طريــق الشقاوة بخطى سريعة ، حتى يصبح الإجرام طبعاً من طباعهم ، والانحراف عادة متأصلة من عاداتهم • ويصعب بعد ذلك ردّه الى الجادة المستقيمة ، وإنقاذه من وهدة الضلال ، وهوة الشقاء •

والاسلام بتعاليمه التربوية وجه الآباء والمربين إلى أن يراقبوا أولادهم مراقبة تامة ، وخاصة في سن التمييز والمراهقــة ، ليعرفوا مــن يخالطون ويصاحبون ، وإلى أين يغدون ويروحون؟ وإلى أي الأماكن يذهبون ويرتادون؟

كما وجههم أن يختاروا لهم الرفقة الصالحة ، ليكتسبوا منهم كل خلق كريم ، وأدب رفيع ، وعادة فاضلة •

كما وجههم أن يحذروهم من خلطاء الشر ، ورفاق السوء ، حتى لايقعوا في حبائل غيهم ، وشباك ضلالهم وانحرافهم •

وإليكم توجيهات الاسلام وتحذيراته من قرناء الشر ، ورفاق السوءوالفساد :

ـ قال تعالى : « **ويوم يعض الظالم على يديه ، يقول : ياليتني اتخذت مع الرسول سبيلا ، ياويلتا ليتني لم أتخذ فلانا خليلا ، لقد أضلني عن الذكر بعد إذ جاءني ، وكان الشيطان للانسان خذولا** » الفرقان /٢٨ ـ ٣٠ /

ـ وقال ايضاً : « **قال قرينه : ربنا ماأطغيته ، ولكن كان في ضلال بعيد** » ق /٢٧/ .

ـ وقال كذلك « **الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو ، إلا المتقين** » الزخرف /٦٧/ .

ـ وقال عليه الصلاة والسلام فيما رواه الترمذي : « المرء على دين خليله ، فلينظر أحدكم من يخالل » .

ـ وقال أيضاً فيما رواه البخاري ومسلم : « مثل الجليس الصالح والجليس السوء كمثل حامل المسك ، ونافخ الكير ، فحامل المسك إما أن يحذيك[1]، أو تشتري منه ، أو تجد منه ريحاً طيبة . ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك ، أو تجد منه ريحاً منتنة » .

ـ وقال كذلكفيما رواه الترمذي : «المرء مع منأحب، وله ما اكتسب».

ـ وقال عليه الصلاة والسلام فيما رواه ابن عساكر : « إياك وقرينالسوء فإنك به تُعرف » .

فما أجدر الآباء والمربين أن يأخذوا بهذه التوجيهات الكريمة ، حتى تنصلح أحوال أولادهم ، وتسمو أخلاقهم ، ويظهر في المجتمع أدبهم ؛ وحتى يكونوا في الأمة أداة خير ، ورسل إصلاح ، ودعاة هداية ، فينصلح المجتمع بصلاحهم ، وتفتخر الأمة بكريم فعالهم ، وجميل صفاتهم .

---

(١) يحذيك : يعطيك .

و ـ سوء معاملة الأبوين للولد :

من الأمور التي يكاد يجمع علماء التربية عليها ، أن الولد إذا عومل من قبل أبويه ومربيه المعاملة القاسية، وأدب من قبلهم بالضرب الشديد، والتوبيخ القارع ، وكان دائماً الهدف في التحقير والازدراء ، والتشهير والسخرية ، فإن ردود الفعل ستظهر في سلوكه وخلقه ، وإن ظاهرة الخوف والانكماش ستبدو في تصرفاته وأفعاله ، وقد يؤول به الأمر الى الانتحار حيناً ، أو إلى مقاتلة أبويه أحياناً ، أو إلى ترك البيت نهائياً ، تخلصاً مما يعانيه من القسوة الظالمة ، والمعاملة الأليمة •

فلا عجب ـ وهذه حاله ـ أن نراه أصبح في المجتمع مجرماً، وفي هذه الحياة شاذاً ومنحرفاً !!• ولا عجب أن ينشأ على الاعوجاج والميوعة والانحلال !!•

والاسلام بتعاليمه القويمة الخالدة ، يأمر كل من كان في عنقه مسؤولية التوجيه والتربية ، ولا سيما الآباء والأمهات منهم ، يأمرهم جميعاً أن يتحلوا بالأخلاق العالية ، والملاطفة الرصينة ، والمعاملة الرحيمة ، حتى ينشأ الأولاد على الاستقامة ، ويتربوا على الجرأة واستقلال الشخصية ، وبالتالي حتى يشعروا أنهم ذوو تقدير واحترام وكرامة •

وإليكم توجيهات الاسلام في الأخلاق العالية ، والمعاملة الرحيمة ، والمسايرة اللطيفة :

قال الله تعالى : « **إن الله يامر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى ..** »
النحل / ٩٠ /

وقال سبحانه : « **والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس ، والله يحب المحسنين** » . آل عمران /١٣٤/

وقال كذلك : « **وقولوا للناس حسناً** » . البقرة /٤٣/

وقال أيضاً : « **ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك** ».

وقال عليه الصلاة والسلام فيما رواه البخاري : « إن الله يحب الرفق في الأمر كله » .

وقال صلى الله عليه وسلم فيما رواه أحمد والبيهقي : « إن أراد الله تعالى بأهل بيت خيراً أدخل عليهم الرفق ، وإن الرفق لو كان خَلْقاً لما رأى الناس خَلْقاً أحسن منه ، وإن العنف لو كان خَلْقاً لما رأى الناس خَلْقاً أقبح منه » .

وروى أبو الشيخ في الثواب عن رسول الله صلى الله عليه السلام أنه قال : « رحم الله والداً أعان ولده على بره » .

وروى أبو داود والترمذي عنه عليه الصلاة والسلام : « الراحمون يرحمهم الرحمن ، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء » .

تلكم أهم التوجيهات الاسلامية في لين الجانب ، وحسن القول ، وفضيلة المعاملة . فما على الآباء والأمهات إلا أن يأخذوا بها ، وينفذوا ما جاء فيها ، ويعملوا بمقتضى هديها وإرشادها ، إن أرادوا لأولادهم الحياة الفاضلة ، والاستقامة الدائمة ، والخلق الاجتماعي النبيل .

أما أن يسلكوا معهم الطرق الملتوية ، والمعاملة الفظة القاسية ، والعقوبة الظالمة الشديدة ، فيكونون قد جنوا على أبنائهم حين يقذفون بهم إلى الحياة في جو هذه التربية الخاطئة ، والتوجيه الملتوي الذميم ، بل سيرون حتماً انحرافهم أو عقوقهم أو تمردهم ، لأنهم هم الذين غرسوا في نفوسهم — وهم صغار — بذور هذا الانحراف أو العقوق أو التمرد .

جاء رجل إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه يشكو إليه عقوق ابنه ،

فأحضر عمر الولد وأنّبه على عقوقه لأبيه ، ونسيانه لحقوقه ، فقال الولد : يا أمير المؤمنين أليس للولد حقوق على أبيه ؟ قال : بلى ، قال : فما هي ياأمير المؤمنين ؟ قال عمر : أن ينتقي أمه ، ويحسن اسمه ، ويعلمه الكتاب (أي القرآن). قال الولد : يا أمير المؤمنين إن أبي لم يفعل شيئاً من ذلك ، أما أمي فإنها زنجية كانت لمجوسي ، وقد سماني جُعَلاً (أي خنفساء) ، ولم يعلمني من الكتاب حرفاً واحداً .

فالتفت عمر إلى الرجل وقال له : جئت إلي تشكو عقوق ابنك ، وقد عَقَقْتَهُ قبل أن يعقّك ، وأسأت إليه قبل أن يُسيء إليك » ؟! .

وهكذا حمّل عمر الرجل حين أهمل تربية ابنه مسؤولية عقوق ولده له .

ومما يذكر في كتب السِّيَر : أن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه ، غضب على ابنه يزيد مرة ، فأرسل الى الأحنف بن قيس ليسأله عن رأيه في البنين فقال : « هم ثمار قلوبنا ، وعماد ظهورنا ، ونحن لهم أرض ذليلة ، وسماء ظليلة ، فإن طلبوا فأعطهم ، وإن غضبوا فأرضهم ، فإنهم يمنحونك ودّهم ، ويَحبُونَك جهدهم ، ولا تكن عليهم ثقيلاً فيملوا حياتك ، ويتمنوا وفاتك » .

ألا فليأخذ الآباء من هذين الخبرين العظة والعبرة في الملاطفة لأولادهم ، وحسن المعاملة لهم ، والرفق بهم ، واتباع الطريق الأقوم في تربيتهم وتوجيههم .

ز ـ مشاهدتهم افلام الجريمة والجنس :

ومن العوامل الكبيرة التي تؤدي إلى انحراف الولد ، وتدفعه إلى الشقاوة وارتكاب الجريمة ، والسير وراء الميوعة والانحلال ، ما يشاهده في دور السينما ، وعلى شاشة الرائي (التلفزيون) من روايات بوليسية ، وأفلام خلاعية ، وما يقرؤه من مجلات ماجنة وقصص مثيرة . وهي بجملتها

ومضمونها تتجر بالغرائز ، وتشجع على الانحراف والإجرام ، وهي كذلك تفسد أخلاق الكبار ، فكيف بالمراهقين ، والأطفال الصغار ؟ !

ومن المعلوم بداهة أن الولد حين يعقل تنطبع في ذهنه هـذه الصور ، وتتأصل في مخيلته هذه المشاهد ، فيعمد حتماً إلى محاكاتها وتقليدها . وليس أضر على الولد المراهق من مشاهد تشجع على الإجرام ، وتوجه نحو الرذيلة والفساد .

ولاسيما إن كان مفلوت الزمام ، متروك الرقابة والرعاية .

ومما لا يختلف فيه اثنان ، أن لمثل هـذه الأجواء الفاسدة ، والمشاهد الآثمة ، أثراً بالغاً في نفوس الأطفال والمراهقين ، بحيث لاينفع معه نصح الآباء أو توجيه المربين والمعلمين .

والاسلام بمبادئه التربوية ، يضع أمام الآباء والمربين والمسؤولين ، المنهج القويم في توجيه الأبناء وتربيتهم ، والقيام بواجبهم وحقهم .

● فمن مبادىء هذا المنهج : الوقاية الكاملة من كل ما يسبب لهم ولأنفسهم غضب الجبار ، ودخول جهنم ، امتثالاً بقوله تبارك وتعالى :

« يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً ... »
التحريم : /٦/

● ومن مبادىء هذا المنهج : استشعار المسؤولية نحو من لهم حق التوجيه والتربية ، ليقوموا بأداء المهمة والأمانة على أكمل وجه ، وأنبل معنى ، تحقيقاً لقوله عليه الصلاة والسلام : « الرجل راعٍ في بيت أهله ومسؤول عن رعيته » رواه البخاري ومسلم .

● ومن مبادىء هذا المنهج : إزالة الضرر عن كل ما يؤدي إلى انحراف

عقيدتهم وأخلاقهم ، لقوله عليه الصلاة والسلام فيما رواه الإمام مالك وابن ماجه : « لا ضرر ولا ضرار » فبناء على هذه المبادىء الاسلامية ، والمناهج التربوية ، وجب على كل أب ومربٍّ ومسؤول ، أن يمنعوا الأولاد من مشاهدة الأفلام الجنسية والبوليسية .

وأن يمنعوهم كذلك من شراء المجلات الخلاعية ، واقتناء القصص الغرامية ، ومطالعة الكتب الإلحادية . وبالاختصار وجب منعهم من كل مايضر بعقيدتهم ، ويدفعهم نحو الرذيلة والإجرام .

وإن شاء الله حين نتكلم عن مسؤولية التربية الإيمانية ، ومسؤولية التربية الخلقية في الجزء الثاني من كتاب « تربية الأولاد في الاسلام » ، سنفصل القول في المبادىء التي وضعها الاسلام في تربية الولد عقيدة وخلقاً ، ليعلم من يريد أن يعلم أن الاسلام هو دين الحياة ، ودين الفطرة ، ودين الاصلاح والتوجيه والتربية .

« ومن احسن من الله حكماً لقوم يوقنون »

المائدة /٥٠/

ح ــ انتشار البطالة في المجتمع :

ومن العوامل الأساسية التي تؤدي الى انحراف الولد ، انتشار البطالة بين أفراد الأمة ، وطبقات المجتمع . فالأب الذي له زوجة وأولاد ، ولم تتيسر له سبل العمل ، ولم تتأمن له طرائق الكسب ، ولم يجد من المال ما يسد به جوعته ، وجوعة أهله وأولاده ، ويؤمن لهم حاجاتهم الضرورية ، ومطالبهم الحيوية ، فإن الأسرة بأفرادها ستتعرض للتشرد والضياع ، وإن الأولاد سيدرجون نحو الانحراف والإجرام ، وربما فكر رب الأسرة مع من يقوم بأمرهم من أهل وولد ، أن يحصلوا على المال عن طريق حرام ، ويجمعوه من

وسائل غير مشروعة كالسرقة، والاغتصاب ، والرشوة. ومعنى هذا أن المجتمع حلت فيه الفوضى ، وأصيب بالدمار والانهيار .

والاسلام بسنّه مبادىء العدالة الاجتماعية، ورعايته حق الفرد والمجتمع. قد عالج البطالة بأنواعها ، سواء كانت بطالة مضطر ، أو بطالة كسول .

أما علاجه لبطالة المضطر الذي لا حيلة له في إيجاد العمل مع رغبته فيه ، وقدرته عليه فيتحقق بشيئين :

أ ـ وجوب تكفل الدولة له في تأمين سبل العمل .

ب ـ وجوب مساعدة المجتمع له حتى يجد سبيل العمل .

أما وجوب تكفل الدولة له : فلما رواه البخاري عن أنس رضي الله عنه أن رجلاً من الأنصار أتى النبي صلى الله عليه السلام فسأله ، فقال : أما في بيتك شيء ؟ قال : بلى ، حِلْس" (كساء غليظ) نلبس بعضه ، ونبسط بعضه ، وقَعْب" (إناء) نشرب فيه الماء ، قال : ائتني بهما ، فأتاه بهما ، فأخذهما رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده ، وقال : من يشتري هذين ؟ قال رجل : أنا آخذهما بدرهمين ، فأعطاهما إياه ، وأخذ الدرهمين فأعطاهما الأنصاري ، وقال : اشترِ بأحدهما طعاماً فانبذه إلى أهلك ، واشتر بالآخر قدوماً فأتني به ، فأتاه به فشد فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم عوداً بيده ، ثم قال : اذهب واحتطب وبع ، ولا أرينّك خمسة عشر يوماً ، ففعل ، فجاءه وقد أصاب عشرة دراهم ، فاشترى ببعضها ثوباً ،وببعضها طعاماً ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « هذا خير لك من أن تجيء ، والمسألة نكتة في وجهك يوم القيامة » .

أما وجوب مساعدة المجتمع له حتى يجد سبيل العمل : فلما روى مسلم عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من كان

معه فضل ظهر فليعد به على من لاظهر له ، ومن كان معه فضل زاد فليعد به على مَنْ لا زاد له » .

ولما روى البزار والطبراني عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ماآمن بي مَنْ بات شبعان وجاره جائع إلى جنبه وهو يعلم به » .

وثبت عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال : « أيما رجل مات ضياعاً بين أقوام أغنياء ، فقد برئت منهم ذمة الله ، وذمة رسوله » .

وجاء في كتاب الاختيار لتعليل المختار مانصه : « وإن أطعمه أحد وأعطاه شيئاً فسقط إثمه عن الباقين » .

اما علاجه لبطالة الكسول الذي يكره العمل مع وجوده وقدرته عليه : فيكون بمراقبة الدولة له ؛ فإن شعرت به أنه قصر عن العمل وقعد عنه نصحته إلى مافيه خيره ومنفعته ، فان أبى ساقته بالقوة إليه ، وألزمته به . فقد روى ابن الجوزي عن عمر ابن الخطاب رضي الله عنه : أنه لقي قوماً لايعملون ، فقال : ما أنتم ؟ قالوا : متوكلون ، فقال : « كذبتم !.. إنما المتوكل رجل ألقى حبة في الأرض ثم توكل على الله » ، وقال : « لايقعدن أحدكم عن طلب الرزق ويقول : اللهم ارزقني وقد علم أن السماء لاتمطر ذهباً ولافضة » . وهو الذي نهى الفقراء أن يقعدوا عن العمل اتكالاً على الصدقات فكان من قوله لهم : « يامعشر الفقراء استبقوا الخيرات ، ولاتكونوا عيالا على المسلمين » .

والذي يفهم من كلام عمر رضي الله عنه وتوجيهه : أن الزكاة في الاسلام لاتعطى إلا لسد الحاجة وتأمين سبل العمل ، حتى لاتكون مدعاة للكسل ، وسبباً للقعود والتواكل .

أما إن كان العجز أو الشيخوخة أو المرض سبباً للبطالة ، فعلى الدولة أن ترعى حق هؤلاء ، وتؤمن لهم سبيل العيش الأفضل ، وطريق الكفالة الحقة ، بغض النظر عن كون العاجز أو الكبير أو المريض مسلماً أو غير مسلم .

ومما يدل على هذا ماوراه أبو يوسف في كتاب الخراج : أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه مر على باب قوم وعليه سائل يسأل ، وكان شيخاً كبيراً ضرير البصر ، فضرب عضده من خلفه ، وقال : من أي أهل الكتاب أنت ؟ فقال : يهودي ، قال : فما ألجأك إلى ماأرى ؟ قال : أسأل الجزية ، والحاجة ، والسن ، فأخذه عمر إلى منزله ،فرضخ له بشيء (أي أعطاه شيئاً) من المنزل، ثم أرسل إلى خازن بيت المال، فقال له : انظر هذا وضرباءه، فوالله ماأنصفناه، إن أكلنا شبيبته ثم نخذله عند الهرم ، انما الصدقات للفقراء والمساكين ، وهذا من مساكين أهل الكتاب .

ومما فعله عمر رضي الله عنه : أنّه مر على قوم من النصارى قد أصيبوا بمرض الجذام فأمر لهم بعطاء من بيت المال ، يحقق لهم تكافلهم ، ويؤمن علاجهم ، ويحفظ كرامتهم .

هذه هي معالجة الاسلام للبطالة ، وهي ـ كما رأيت ـ معالجة رحيمة وحكيمة وعادلة ، وهذا يدل دلالة لاغموض فيها ، أن الاسلام دين الرحمة والانسانية والعدالة ، أنزله الله سبحانه ليكون الإشعاع الهادي للبشرية ، والمنارة المتلألئة في ظلمات الحياة . فما أحرى الجاهل لهذه الحقائق

أن يعرف ماهو الاسلام ؟ وأن يعلم لماذا أرسل الله سبحانه محمداً هادياً ومبشراً ونذيراً ، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً .

ط ـ تخلي الأبوين عن تربية الولد :

ومن العوامل الكبرى التي تؤدي إلى انحراف الولد ، وإلى فساد خلقه ، وانحلال شخصيته : تخلي الأبوين عن إصلاح نفسه ، وانشغالهما عن توجيهه وتربيته .

وعلينا ألا نغفل دور الأم في حمل الأمانة ، والقيام بواجب المسؤولية تجاه من ترعاهم . وتقوم على تربيتهم ، وتشرف على إعدادهم وتوجيههم .
ورحم الله من قال :

الأم مدرسة إذا أعددتها أعددت شعباً طيب الأعراق

فالأم في تحمل المسؤولية كالأب سواء بسواء . بل مسؤوليتها أهم وأخطر ، باعتبار أنها ملازمة لولدها منذ الولادة إلى أن يشب ويترعرع ، ويبلغ السن التي تؤهله ليكون إنسان الواجب ، ورجل الحياة . والرسول صلوات الله وسلامه عليه قد أفرد الأم بتحمل المسؤولية حين قال : « والأم راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها » .

وما ذاك إلا لإشعارها بالتعاون مع الأب في إعداد الجيل ، وتربية الأبناء ، وإذا قصرت الأم في الواجب التربوي نحو أولادها ، لانشغالها مع معارفها وصديقاتها واستقبال ضيوفها ، وخروجها من بيتها ، وإذا أهمل الأب مسؤولية التوجيه والتربية نحو أولاده ، لانصرافه وقت الفراغ إلى اللهو وارتياد القهوات مع الأصحاب والخلان .

فلاشك أن الأبناء سينشؤون نشأة اليتامى ، ويعيشون عيشة المشردين ، بل سيكونون سبب فساد ، وأداة إجرام للأمة بأسرها .

ولله درّ من قـــال :

ليس اليتيم من انتهى أبواه من　　همّ الحيــاة وخلّفــاه ذليلا
إن اليتيم هو الذي تلقى لــه　　أمــاً تخلّت أو أبــاً مشغولا

فماذا تنتظر من أولاد آباؤهم وأمهاتهم على هذه الحال من الإهمال والتقصير ؟!

فحتماً لاننتظر منهم إلا الانحراف ، ولاتتوقع إلا الإجرام ، لانشغال الأم عن رعاية الولد وتربيته ، وإهمال الأب واجب تأديبه ومراقبته •

ويزداد الأمر سوءاً عندما يقضي الأبوان جلّ وقتهما في حياة الإثم والغواية ، ويتقلبان في أتون الشهوات والملذات ، ويتخبطان في طريق الانحلال والإباحية • فلاشك أن انحراف الولد يكون أبلغ وأخطر، وتدرجه في الإجرام يكون آكد وأعظم •

ورحم الله من قال :

وليس النبت ينبت في جنان　　كمثل النبت ينبت في الفــلاة
وهــل يرجى لأطفال كمــال　　إذا ارتضعوا ثُدِيّ الناقصات

والاسلام في دعوته إلى تحمل المسؤوليات ، حمّل الآبـــاء والأمهات مسؤولية كبرى في تربية الأبناء ، وإعدادهم الإعداد الكامل لحمل أعباء الحياة ، وتهدّدهم بالعذاب الأكبر إذا هم فرطـــوا وقصروا وخانـــوا :

((يا ايها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة ، عليها ملائكة غلاظ شداد ، لا يعصون الله ما أمرهم ، ويفعلون ما يؤمرون)) •

التحريم /٦/

والرسول صلوات الله وسلامه عليه قد أكد في أكثر من أمر ، وأكثر من وصيّة بضرورة العناية بالأولاد ، ووجوب القيام بأمرهم ، والاهتمام بتربيتهم .

وإليكم طائفة من أوامره وتوجيهاته :

« والرجل راعٍ في أهله ومسؤول عن رعيته ، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها .. » رواه البخاري ومسلم .

« أدّبوا أولادكم وأحسنوا أدبهم » رواه ابن ماجه .

« علموا أولادكم وأهليكم الخير وأدبوهم » رواه عبد الرزاق وسعيد بن منصور .

« مروا أولادكم بامتثال الأوامر ، واجتناب النواهي ، فذلك وقاية لهم من النار » رواه ابن جرير .

« أدّبوا أولادكم على ثلاث خصال : حبّ نبيّكم ، وحبّ آل بيته ، وتلاوة القرآن ، فإن حملة القرآن في ظل عرش الله ، يوم لاظل إلا ظله » رواه الطبراني .

وسنفصل القول عن مسؤوليات المربين في القسم الثاني من كتاب « تربية الأولاد في الاسلام » وسيجد القارىء مايشفي الغليل ، ويشبع النفس والفكر ، إن شاء الله .

ي ـ مصيبة اليتم :

ومن العوامل الأساسية في انحراف الولد : مصيبة اليتم التي تعتري الصغار وهم في زهرة العمر ، ومقتبل الحياة . هذا اليتيم الذي مات أبوه

وهو صغير ، إذ لم يجد اليد الحانية التي تحنو إليه ، والقلب الرحيم الذي يعطف عليه ، وإذا لم يجد من الأوصياء المعاملة الحسنة التي ترفق به ،والرعاية الكاملة التي ترفع من مستواه ، والمعونة التامة التي تسد جوعته ، فلا شك أن هذا اليتيم سيدرج نحو الانحراف ، ويخطو شيئاً فشيئاً نحو الإجرام ، بل سيصبح في المستقبل أداة هدم وتخريب لكيان الأمة ، وتمزيق لوحدتها ، وإشاعة الفوضى والانحلال بين أبنائها .

والاسلام بتشريعه الخالد ، وتوجيهاته الرشيدة ، أمر الأوصياء وكل مَنْ له صلة قرابة باليتيم ، أن يحسنوا معاملته ، وأن يقوموا على أمره وكفالته ، وأن يشرفوا على تأديبه وتوجيهه ، حتى يتربى على الخير ، وينشأ على المكارم الخلقية ، والفضائل النفسية ، ويجد في ظل من يرعونه كل عطف ومحبة ، وكل حنوّ وإخلاص .

وإليكم جملة من تعاليم الاسلام التي تأمر برعاية اليتيم ، والعطف عليه :

قال تعالى :

« ويسألونك عن اليتامى ، قل : إصلاح لهم خير ، وإن تخالطوهم فإخوانكم » البقرة /٢٢٠/

وقال سبحانه :

« فأما اليتيم فلا تقهر » الضحى /٩/

وقال جل شأنه :

« أرأيت الذي يكذب بالدين . فذلك الذي يدع اليتيم »

الماعون /١ ــ ٢ /

وقال عز من قائل :

« إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً ، إنما يأكلون في بطونهم ناراً ، وسيصلون سعيراً » . النساء/٩/

وقال عليه الصلاة والسلام : « من وضع يده على رأس يتيم رحمة ، كتب الله له بكل شعرة مرت على يده حسنة » رواه أحمد وابن حبان .

وقال صلوات الله وسلامه عليه : « من قبض يتيماً بين المسلمين إلى طعامه وشرابه حتى يغنيه الله تعالى ، أوجب الله تعالى له الجنة البتّة ، إلا أن يعمل ذنباً لا يغفر له » رواه الترمذي .

وقال صلى الله عليه وسلم : « أنا وكافل اليتيم في الجنة كهاتين ، وأشار بأصبعيه السبابة والوسطى » رواه الترمذي .

إلى غير ذلك من هذه الأوامر الإلهية ، والتوجيهات النبوية ، التي تفيد أن رعاية اليتيم وكفالته ، واجبة على ذوي القرابات من العصبات والأرحام ، وفي حالة الفقر وعجزهم المادي ، وجب على الدولة أن تتعهده وتشرف على تربيته والانفاق عليه ، فيكون ذلك أبعد له عن التشرد والضياع والإهمال .

● ● ●

تلكم هي أهم العوامل الأساسية في انحراف الولد ، وهي عوامل ضارة وخطيرة – كما علمت – ، فإن لم يتدارك المربون هذه العوامل ، وإن لم يستأصلوا أسبابها ، وإن لم يأخذوا بالعلاج الناجع الذي وضعه الاسلام في الاصلاح والتربية ، فإن الأولاد سينشؤون على الفساد ، ويتربون على الإجرام ، ويعتادون كل موبقة ورذيلة . بل يكونون أداة هدم وتخريب لكيان المجتمع ، واستقرار الأمة ، وأمن البشرية . ومن الصعوبة بمكان ردهم إلى الجادة ، وتفهيمهم الحق ، والسير بهم نحو معالم الخير ، وطريق الهدى ، والصراط المستقيم .

فما أجدر الآباء والمربين أن يشنوا على سنن الاسلام ، ومنهجه القويم في تربية الأولاد ، ومعالجة انحرافهم ، وتقويم سلوكهم ، وإصلاح نفوسهم .

وتثبيت عقيدتهم ، وتلقينهم مبادىء الخير والفضيلة والأخلاق ، حتى يروا أبناءهم كالملائكة في طهر أرواحهم ، وصفاء نفوسهم ، ونقاء سريرتهم ، وامتثالهم لأمر ربهم • بل يكونون قدوة صالحة لغيرهم في كل مكرمة وفضيلة ، وإنتاج وتضحية ، وخلق وعمل صالح •

ولايسعني في الختام إلا أن أتضرع الى الله عز وجل ، في أن يوفق أبناء الاسلام إلى مافيه عزهم وسعادتهم ، وأن يهبهم الإيمان الذي يجدون حلاوته في قلوبهم ، وأن يلهمهم دائماً الرشد والسداد ، الذي يلمح في أقوالهم وأفعالهم ، وأن يجعل منهم أمة قوية متينة تبني الحضارة ، وتنشر العلم ، وتبني المجد ، وترفع بسواعدها الفتيّة لواء العزة والنصر ، وتحوّل اتجاه التاريخ ، وتعيد لهذه الأمة مجدها الداثر ، وعزتها السليبة ، وكيانها العظيم ، وماذلك على الله بعزيز ، إنه بالإجابة جدير وخير مسؤول •

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين •

• • •

القسم الثاني

مسؤوليات المربين

١ - مسؤولية التربية الإيمانية
٢ - مسؤولية التربية الخلقية
٣ - مسؤولية التربية الجسمية
٤ - مسؤولية التربية العقلية
٥ - مسؤولية التربية النفسية
٦ - مسؤولية التربية الاجتماعية
٧ - مسؤولية التربية الجنسية

مقدمة

من أظهر المسؤوليات التي اهتم الاسلام بها ، وحض عليها . ووجه الأنظار اليها •• **مسؤولية المربين** تجاه من لهم في أعناقهم حق التعليم والتوجيه والتربية •• فهي في الحقيقة مسؤولية كبيرة وشاقة وهامة •• لكونها تبدأ منذ سني الولادة الى أن يدرج الولد في مرحلتي التمييز والمراهقة، الى أن يصبح مكلفاً سوياً • ولاشك أن المربي سواء أكان معلماً أو أباً أو أماً أو مشرفاً اجتماعياً •• حين يقوم بالمسؤولية كاملة ؛ ويؤدي الحقوق بكل أمانة وعزم ومضاء على الوجه الذي يتطلبه الاسلام ••• يكون قد بذل قصارى جهده في تكوين الفرد بكل خصائصه ومقوماته ومزاياه ، ثم بالتالي يكون قد أوجد الأسرة الصالحة بكل خصائصها ومقوماتها ومزاياها ، ويكون كذلك ـــ من حيث يعلم أو لايعلم ـــ قد أسهم في بناء المجتمع المثالي الواقعي بكل خصائصه ومقوماته ومزاياه لتكوين الفرد الصالح ، والأسرة الصالحة ؛ وهذا هو منطلق الاسلام في الإصلاح •

ونحن لو تتبعنا آيات القرآن الكريم ، وأحاديث الرسول الأعظم صلوات الله وسلامه عليه في اهابتها بالمربين للقيام بمسؤولياتهم ، وتحذيرها اياهم اذا قصروا بواجبهم •• لو تتبعنا ذلك لوجدناها أكثر من أن تحصى ، وأعظم من أن تستقصى ؛ وما ذاك الا ليعلم كل مربٍّ ضخامة أمانته ، وعظم مسؤوليته •

فمن هذه الآيات الكريمـة :

ـ « **وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها** » (طه : ١٣٢)

ـ « **ياأيها الذين آمنوا قوا انفسكم وأهليكم نارا ...** » (التحريم : ٦)

ـ « **فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون** » (النحل : ٩٣)

ـ « **يوصيكم الله في أولادكم ..** » (النساء : ١١)

ـ « **والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين** » (البقرة : ٢٢٣)

ـ « **... ولايقتلن أولادهن** » (الممتحنة : ١٢)

ـ « **وقفوهم انهم مسؤولون** » . (الصافات : ٢٤)

الى غير ذلك من هذه الآيات الكثيرة المستفيضة ...

ومن هذه الاحاديث الشريفة :

ـ « الرجل راعٍ في أهله ومسؤول عن رعيته ، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها » (البخاري ومسلم) .

ـ « لأن يؤدب الرجل ولده خير من أن يتصدق بصاع » رواه الترمذي .

ـ « مانحل والد ولداً أفضل من أدب حسن » الترمذي .

ـ « علموا أولادكم وأهليكم الخير وأدّبوهم » رواه عبد الرزاق وسعيد بن منصـور .

ـ « أدّبوا أولادكم على ثلاث خصال : حب نبيكم ، وحب آل بيته ، وتلاوة القرآن .. » رواه الطبراني .

ـ عن أبي سليمان مالك بن الحويرث قال : أتينا النبي صلى الله عليـه وسلم ونحن شَبَبَة متقاربون فأقمنا عنده عشرين ليلة فظنّ أنا اشتهينا

أهلينا ، فسألنا عمّن تركنا في أهلينا فأخبرناه وكان رفيقاً رحيماً ، فقال : « **ارجعوا الى أهليكم فعلموهم ومروهم** ، وصلّوا كما رأيتموني أصلي ، فإذا حضرت الصلاة فليؤذن لكم أحدكم ، وليؤمّكم أكبركم » البخاري في الأدب المفرد .

ـ « لاتزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع : عن عمره فيما أفناه ، وعن شبابه فيما أبلاه ، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه . وعن علمه ما عمل فيه » رواه الترمذي .

الى غير ذلك من هذه الأحاديث الكثيرة المستفيضة ...

● ● ●

فانطلاقاً من هذا التوجيه القرآني ، والهدي المحمدي اهتم المربون جميعاً جيلا بعد جيل بتربية الاولاد ، واعتنوا بتعليمهم وتوجيههم وتقويم اعوجاجهم ، بل كان الآباء والأوصياء يختارون لأولادهم أفضل المعلمين تعليماً وتأديباً ، وأحسن المؤدبين ارشاداً وتوجيهاً .. ليقوموا بأداء المهمة على وجهها الصحيح في تنشئة الولد على أساس العقيدة والاخلاق وتعاليم الاسلام ..

واليكم طائفة من طرائف الأولين وأخبارهم عسى أن تكشف لكل ذي عقل وبصيرة عن مدى اهتمام السلف بتربية أبنائهم ، وحرصهم الزائد على تعليمهم وتأديبهم ، وكيف كانوا ينتقون لأولادهم أفضل المؤدبين علماً وخلقاً ، وأميزهم أسلوباً وطريقة ؟ :

● روى الجاحظ أن عقبة بن أبي سفيان لما دفع ولده الى المؤدب قال له : « ليكن أول ماتبدأ به من اصلاح بَنِيَّ اصلاح نفسك ، فإن أعينهم معقودة بعينك ، فالحسن عندهم ماستحسنت ، والقبيح عندهم ماستقبحت ،

وعلمهم سِيَر الحكماء ، وأخلاق الأدباء ، وتهددهم بي ، وأدبهم دوني ؛ وكن لهم كالطبيب الذي لايعجل بالدواء حتى يعرف الداء ، ولاتتّكِلن على عذر مني ، فإني قد اتكلت على كفاية منك » .

● وروى ابن خلدون في مقدمته أن هارون الرشيد لما دفع ولده الأمين الى المؤدّب قال له : « ياأحمر : ان أمير المؤمنين قد دفع اليك مهجة نفسه ، وثمرة قلبه ، فصيّر يدك عليه مبسوطة ، وطاعتك له واجبة ، فكن له بحيث وضعك أمير المؤمنين ، اقرئه القرآن ، وعرفه الأخبار ، وروّه الاشعار ، وعلمه السنن ، وبصّره بسواقع الكلام وَبَدْئِه ، وامنعه من الضحك الا في أوقاته .. ولا تَمُرّنّ بك ساعة والا أنت مغتنم فائدة تفيده اياها من غير أن تحزنه فتميت ذهنه ، ولاتمعن في مسامحته ، فيستحلي الفراغ ويألفه ، وقوّمه ما استطعت بالقرب والملاينة ، فإن أباهما فعليك بالشدة والغلظة » .

● وبلغ من اعتناء السلف بالولد أنهم كانوا حريصين على متانة الرابطة بينهم وبين مؤدبيهم ، فكانوا يحزنون اذا غابوا عن الاولاد فترة بسبب من الاسباب ، لخوفهم على الاولاد أن لايؤدبوا على مايريدون ويشتهون .. ذكر الراغب الاصفهاني أن المنصور بعث الى مَن في الحبس من بني أمية من يقول لهم : « ما أشد ما مرّ بكم في هذا الحبس ؟ فقالوا : **« مافقدنا من تربية أولادنا »** .

● وقال عبد الملك بن مروان ينصح مؤدّب ولده : « علمهم الصدق كما تعلمهم القرآن ، واحملهم على الاخلاق الجميلة ، وروّهم الشعر يشجعوا وينجدوا ، وجالس بهم أشراف الرجال وأهل العلم منهم ، وجنّبهم السَفَلَة والخدم فإنهم أسوأ الناس أدباً .. ووقّرهم في العلانية ، وأنّبهم في السر ، واضربهم على الكذب ، ان الكذب يدعو الى الفجور ، وان الفجور يدعو الى النار ... » .

● وقال الحجاج لمؤدب بنيه : « علمهم السباحة قبل الكتابة ، فإنهم يجدون من يكتب عنهم . ولايجدون من يسبح عنهم » .

● وقال أحد الحكماء لمعلم ولده : « لاتخرجهم من علم الى علم حتى يُحكموه ، فإن اصطكاك العلم في السمع ، وازدحامه في الوهم مضلّة للفهم » .

● وكتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه لأهل الشام يقول لهم : « علّموا أولادكم السباحة والرمي والفروسية » .

● ومن وصية ابن سيناء في تربية الولد : « أن يكون مع الصبي في مكتبه صِبْيَة حسنة آدابهم . مرضيّة عاداتهم ، لأن الصبي عن الصبي ألقن، وهو عنه آخذ ، وبه آنس » .

● قال هشام بن عبد الملك لسليمان الكلبي مؤدب ابنه : « ان ابني هذا هو جلدة مابين عيني ، وقد ولّيتك تأديبه ، فعليك بتقوى الله ، وأدِّ الأمانة . وأول ماأوصيك به أن تأخذه بكتاب الله . ثم روِّه من الشعر أحسنه ثم تخلل به في أحياء العرب . فخذ من صالح شعرهم . وبصره طرفاً من الحلال والحرام ، والخُطب والمغازي .. » ..

هذا غيض من فيض من اهتمام الخاصة والعامة بتربية أولادهم واختيار أفضل المؤدبين لهم مع تذكيرهم بقواعد التوجيه الصحيح ، ومبادىء التربية العملية الفاضلة ، ولكونهم مسؤولين عنهم ، مؤتمنين عليهم ، محاسبين ومؤاخذين ان قصروا في واجبهم وأهملوا حق تعليمهم وتربيتهم ...

واذا كان المربون من آباء أو أمهات أو معلمين .. مسؤولين عن تربية الاولاد ، وعن تكوينهم واعدادهم للحياة .. فعليهم أن يعلموا بجلاء ووضوح

حدود مسؤوليتهم ، ومراحلها المتكاملة ، وجوانبها المتعددة . ليستطيعوا أن ينهضوا بمسؤوليتهم على أكمل وجه ، وأنبل معنى •••

وأهم هذه المسؤوليات ــ في نظر كثير من المربين ــ مرتبة على الوجه التـــالي :

١ - مَسْؤوليّة التربيةِ الإيمَانيّة
٢ - مَسْؤوليّة التربيةِ الخلقيّة
٣ - مَسْؤوليّة التربيةِ الجِسْميّة
٤ - مَسْؤوليّة التربيةِ العقليّة
٥ - مَسْؤوليّة التربيةِ النّفسيّة
٦ - مَسْؤوليّة التربيةِ الاجْتماعيّة
٧ - مَسْؤوليّة التربيةِ الجنسيّة

ونحن إن شاء الله في هذا الجزء سنفصل الكلام في كل جانب من جوانب هذه المسؤوليات السبعة ، وعلى الله قصد السبيل ومنه نستمدالعون والتوفيــق •



الفصل الأول

١ ـ مسئولية التربية الإيمانية

المقصود بالتربية الإيمانية ربط الولد منذ تعقله بأصول الايمان ، وتعويده منذ تفهمه أركان الاسلام ، وتعليمه من حين تمييزه مبادىء الشريعة الغــراء ..

ونعني باصول الايمان :

كل ما ثبت عن طريق الخبر الصادق من الحقائق الايمانية ، والأمــور الغيبية كالايمان بالله سبحانه ، والايمان بالملائكــة ، والايمــان بالكتب السماوية ، والايمان بالرسل جميعاً ... والايمان بسؤال ملكين ، وعذاب القبر ، والبعث ، والحساب ، والجنة ، والنار .. وسائر المغيبات .

ونعني باركان الاسلام :

كل العبادات البدنية والمالية ، وهي : الصلاة ، والصوم ، والزكاة ، والحج من استطاع اليه سبيلا .

ونعني بمبادىء الشريعــة :

كل ما يتصل بالمنهج الرباني ، وتعاليم الاسلام من عقيدة ، وعبادة ، وأخلاق ، وتشريع ، وأنظمة ، وأحكام ...

فعلى المربي أن ينشىء الولد منذ نشأته على هذه المفاهيم من التربية الإيمانية ، وعلى هذه الأسس من التعاليم الاسلامية •• حتى يرتبط بالاسلام عقيـدة وعبادة ، ويتصل به منهاجاً ونظاماً ، فلا يعرف بعد هذا التوجيه والتربية سوى الاسلام ديناً ، وسوى القرآن اماماً ، وسوى الرسول صلوات الله وسلامه عليه قائداً وقدوة •••

وهذا الشمول لمفاهيم التربية الايمانية مستمد من وصايا الرسول صلى الله عليه وسلم وارشاداته في تلقين الولد أصول الإيمان ، وأركان الاسلام ، وأحكام الشريعة ••

واليكم أهم ارشاداته ووصاياه عليه الصلاة والسلام :

١ ـ أمره بالفتح على الولد بكلمة لاإله إلا الله :

لما روى الحاكم عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « افتحوا على صبيانكم أول كلمة بلا اله الا الله » •

والسر في هـذا :

لتكون كلمة التوحيد ، وشعار الدخول في الاسلام أول مايقرع سمع الطفل ، وأول مايفصح بها لسانه ، وأول ما يتعقّلها من الكلمات والألفاظ •

وسبق أ نذكرنـا في فصل « أحكام المولود » استحباب التأذين في أذن المولود اليمنى ، والإقامة باليسرى ، ولايخفى مافي هذا العمل من أثر في تلقين الولد أصل العقيدة ومبدأ التوحيد والإيمان •

٢ ـ تعريفه أول مايعقل احكام الحلال والحرام :

لما أخرج ابن جرير ، وابن المنذر من حديث ابن عباس رضي الله عنهما

أنه قال : « اعملوا بطاعة الله واتقوا معاصي الله . ومروا أولادكم بامتثال الاوامر ، واجتناب النواهي ، فذلك وقاية لهم ولكم من النار » .

والسر في هـذا :

حتى يفتح الولد عينيه منذ نشأته على أوامر الله ، فيتروّض على امتثالها ؛ وعلى اجتناب نواهيه . فيتدرّب على الابتعاد عنها .. وحين يتفهم الولد منذ تعقّله أحكام الحلال والحرام ؛ ويرتبط منذ صغره بأحكام الشريعة فإنه لايعرف سوى الاسلام تشريعاً ومنهاجاً ..

٣ ــ أمره بالعبادات وهو في سن السابعة :

لما روى الحاكم وأبو داود عن ابن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال :« مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين ، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر ، وفرقوا بينهم في المضاجع » ، ويقاس على الصلاة الترويض على بعض أيام الصوم اذا كان الولد يطيقه ، وتعويده الحج اذا كان الاب يستطيعه .

والسر في هـذا :

حتى يتعلم الولد أحكام هذه العبادات منذ نشأته ، ويعتاد أداءها والقيام بها منذ نعومة أظفاره ؛ وحتى يتربى كذلك على طاعة الله ، والقيام بحقه ، والشكر له ، والالتجاء اليه ، والثقة به ، والاعتماد عليه ، والتسليم لجنابه فيما ينوب ويروع ..؛ وحتى يجد في هذه العبادات أيضاً الطهر لروحه ، والصحة لجسمه ، والتهذيب لخلقه ، والإصلاح لأقواله وأفعاله !!.

٤ ــ تاديبه على حب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وحب آل بيته ، وتلاوة القرآن الكريم :

لما روى الطبراني عن علي كرم الله وجهه أن النبي صلى الله عليه وسلم

قال : « أدّبوا أولادكم على ثلاث خصال : حب نبيكم ، وحبّ آل بيته ، وتلاوة القرآن ، فإن حَمَلَة القرآن في ظل عرش الله يوم لاظل الا ظله مع أنبيائه وأصفيائه » .

ويتفرع عن هذا :

تعليمهم مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسير الصحابة الكرام، وشخصيات القادة العظماء ، والمعارك الحاسمة في التاريخ ..

والسر في هـذا :

حتى يتأسّى الاولاد بسِيَرِ الاولين حركة وبطولة وجهاداً ..

وحتى يرتبطوا بالتاريخ شعوراً وعزة وفخاراً ...

وحتى يرتبطوا بالقرآن الكريم روحاً ومنهاجاً وتلاوة ..

وإليكم ماقاله علماء التربية الاسلاميون في وجوب تلقين الولد تلاوة القرآن ، ومغازي الرسول صلى الله عليه وسلم ، ومآثر الجدود الأبطال :

● يقول سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه : « كنا نعلم أولادنا مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم كما نعلمهم السورة من القرآن الكريم » .

وأوصى الإمام الغزالي في احيائه : « بتعليم الطفل القرآن الكريم ، وأحاديث الاخبار ، وحكايات الابرار ، ثم بعض الأحكام الدينية » .

● وأشار ابن خلدون في مقدمته الى أهمية تعليم القرآن للاطفال وتحفيظه ، وأوضح أن تعليم القرآن هو أساس التعليم في جميع المناهج الدراسية في مختلف البلاد الاسلامية لأنه شعار من شعائر الدين يؤدي الى تثبيت العقيدة ، ورسوخ الايمان .

● ولقد نصح ابن سينا في كتاب السياسة بالبدء بتعليم الطفل القرآن الكريم بمجرد استعداده جسمياً وعقلياً لهذا التعليم ، ليرضع اللغة الأصيلة ، وترسخ في نفسه معالم الايمان .

● ومما يروى في كتب التاريخ والادب أن الفضل بن زيد رأى مرة ابن امرأة من الأعراب ، فأعجب بمنظره ، فسألها عنه فقالت : « اذا أتم خمس سنوات أسلمته الى المؤدب فحفظ القرآن فتلاه ، وعلّمه الشعر فرواه ، ورُغّب في مفاخر قومه ، ولُقّن مآثر آبائه وأجداده ، فلما بلغ الحلُم حملته على أعناق الخيل ، فتمرّس وتفرّس ، ولبس السلاح ومشى بين بيوت الحي ، وأصغى الى صوت الصارخ .. » .

وسبق أن ذكرنا في مبحث اهتمام الاولين بتربية أبنائهم أنهم حين كانوا يدفعون أولادهم الى المؤدّب أول شيء يشيرون اليه ، وينصحون به تعليم أولادهم القرآن الكريم ، وتلاوتهم له ، وتحفيظهم اياه .. حتى تتقوم ألسنتهم ، وتسمو أرواحهم ، وتخشع قلوبهم ، وتدمع عيونهم ، ويترسخ في نفوسهم الإيمان واليقين ..

والذي نخلص إليه بعد ماتقدم :

أن الرسول صلوات الله وسلامه عليه قد اهتم بتقلين الولد منذ نشأته أصول الايمان ، وأركان الاسلام ، وأحكام الشريعة ، وتأديبه على حب الرسول صلى الله عليه وسلم ، وحب آل بيته ، وحب الاصحاب والقواد والفاتحين ، وتلاوة القرآن الكريم .. حتى يتربى الولد على الايمان الكامل ، والعقيدة الراسخة ، وحب الرعيل الاول من الجدود البواسل الامجاد .. واذا ترعرع وكبر لم يتزعزع بالدجل الإلحادي ، ولم يتأثر بدعايات أهل الكفر والضلال !!..

فما أجدر المربين أن يربوا أبناءهم على هذه الأسس . ويسلكوا معهم هذه الوسائل .. ليضمنوا سلامة عقيدتهم من الزيغ والإلحاد والانحراف !!.

★ ★ ★

من الأمور المسلم بها لدى علماء التربية والاخلاق أن الطفل حين يولد **يولد على فطرة التوحيد ، وعقيدة الايمان بالله ، وعلى أصالة الطهر والبراءة ..** فإذا تهيأت له التربية المنزلية الواعية ، والخلطة الاجتماعية الصالحة ، والبيئة التعليمية المؤمنة .. نشأ الولد ـ لاشك ـ على الايمان الراسخ ، والأخلاق الفاضلة ، والتربية **الصالحة ..**

وهذه الحقيقة من الفطرة الايمانية قدقررها القرآن الكريم ، وأكدها الرسول صلى الله عليه وسلم ، وأثبتها علماء التربية والاخلاق :

ـ أما أن القرآن الكريم قررها فلقوله تبارك وتعالى :

« فطرة الله التي فطر الناس عليها لاتبديل لخلق الله » (الروم : ٣٠)

ـ أما أنه عليه الصلاة والسلام آكدها فلما روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « كل مولود يولد على الفطرة ، فأبواه يهوّدانه ، أو ينصرانه أو يمجّسانه ... » .

ـ أما أن علماء التربية والاخلاق قد أثبتوها فبعد قليل سنستشهد بأقوال الغربيين والشرقيين عند الكلام عن أهمية التربية الإيمانية . وأثرها في اصلاح سلوك الافراد ، وتقويم اعوجاج الشعوب ، ونجتزىء في هذا المجال بما قرره **الامام الغزالي** في تعويد الولد خصال الخير . أو مبادىء الشر باعتبار قابليته وفطرته ، فما قاله في هذه المناسبة : « والصبي أمانة عند والديه ،

وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة ، فإن عُوِّدَ الخير وعُلِّمه نشأ عليه وسعد في الدنيا والآخرة ، وان عُوِّدَ الشر وأهمل اهمال البهائم شقي وهلك .. وصيانته بأن يؤدّبه ويهذبه ويعلمه محاسن الاخلاق ... » .

وما أحسن ما قال بعضهم :

وينشأ ناشىء الفتيان منّا　　على ماكان عوّده أبوه
ومادان الفتى بحجىً ولكن　　يعوده التديّن أقربوه

ومن هذا العرض لأهمية الفطرة وأثرها .. نعلم أن الولد اذا نشأ في بيت منحرف ، وتعلم في بيئة ضالة ، وخالط جماعة فاسدة .. فلا شك أنه سيرضع لبان الفساد ، ويتربى على أسوأ الاخلاق ، ويتلقن مبادىء الكفر والضلال .. وسرعان ما يتحول من السعادة الى الشقاء ، ويتدرج من الايمان الى الإلحاد ، وينتقل من الاسلام الى الكفر .. وعندئذ يصعب رده الى جادة الحق ، والى سبيل الايمان والهدى ..

ولابأس في هذه المناسبة أن أستعرض معك ــ أيها المربي ــ **صورا من واقعنا الاجتماعي ونماذج من بيئات الضلال والفساد** ، لتعلم العوامل التي تؤدي الى انحراف الولد في عقيدته وأخلاقه ، وتعلم كذلك أنه اذا تساهل الاولياء والآباء في تربية أبنائهم ، فسيؤدي بهم الأمر ــ على الأغلب ــ الى الزيغ والانحراف ، واعتناق مبادىء الكفر والإلحاد !!.. :

● **فالاب** الذي يدفع بولده الى المدارس الأجنبية ، والمعاهد التبشيرية يرضع من لبانها ، ويتلقف التوجيه والتعليم على يد مبشريها .. لاشك أن الولد سينطبع على الزيغ والضلال ، ويتدرج على الكفر والإلحاد .. بل ستترسخ في نفسه مشاعر الكره للاسلام ، وأحقاد العداوة لهذا الدين .

● **والاب** الذي يسلم قياد ولده لأساتذة ملحدين ، ومربين أشرار ، يلقنونه مبادىء الكفر ، ويغرسون في سويداء قلبه بذور الضلال .. **لاشك** أن الولد سينشأ على التربية الإلحادية ، والتوجيه العلماني الخطير ..

● **والاب** الذي يسمح لولده أن يطالع ماشاء من كتب الملحدين والماديين ، ويقرأ ما أراد من مطاعن المبشرين والمستعمرين .. **لاشك** أن الولد سيتشكك بحقيقة عقيدته ودينه ، ويهزأ بتاريخه وأمجاده ، ويكون حرباً على مبادىء الاسلام ..

● **والاب** الذي يرخي لولده العنان ، ويترك حبله على غاربه ليخالط من رفقاء الزيغ والضلال مايرغب ، ويعتنق من المبادىء الضالة والافكار المستوردة مايشاء .. لاشك أن الولد سيسخر لامحالة بكل القيم الدينية والمبادىء الخلقية التي جاءت بها الأديان والشرائع ..

● **والاب** الذي يترك المجال لولده لأن ينتمي الى أحزاب الحادية كافرة ، والى منظمات علمانية لادينية ، والى هيئات لاترتبط بالاسلام عقيدة وفكراً وتاريخاً .. لاشك أن الولد سيتربى على عقائد ضالة ، وينشأ على مبادىء الحادية كافرة ، بل يكون حرباً على الأديان والقيم والمقدسات !!..

وليس النبتُ ينبت في جنان ... كمثل النبت ينبتُ في الفلاةِ
وهل يرجى لأطفالٍ كمال ... اذا ارتضعوا ثُدَيّ الناقصات



واذا كان على المربين بشكل عام ، والأبوين بشكل خاص مسؤولية كبرى في تنشئة الولد على عقيدة الإيمان ، وواجب أعظم في تلقينه مبادىء الاسلام.. **فينبغي أن نعرف حدود هذه المسؤولية ، وابعاد هذا الواجب ..**

ليعلم كل من كان له في عنقه حق التوجيه والتربية المهمة الملقاة على عاتقه في تنشئة الولد على التربية الايمانية الكاملة المرضية .

وحدود هذه المسؤولية مرتبة على الشكل التالي :

١ – أن يرشدوهم الى الايمان بالله ، وقدرته المعجزة ، وابداعه الرائع عن طريق التأمل والتفكر في خلق السموات والأرض . وذلك في سن الإدراك والتمييز . ويحسن أن يتدرجوا معهم من المحسوس الى المعقـول ، ومن الجزئي الى الكلي ، ومن البسيط الى المركب .. حتى يصلوا معهم في نهـاية الشوط الى قضية الايمان عن اقتناع وحجة وبرهان .. ; وحين يأخذ الولد منذ الصغر القضايا الإيمانية الثابتة .. وتنصب على ذهنـه وفكره الادلة التوحيدية الراسخة .. فلا تستطيع معاول الهدم أن تنـال من قلبه العامر ، ولا يمكن لدعاة السوء أن يؤثروا على عقله الناضج ، ولا يقدر انسان أن يزعزع نفسيته المؤمنة .. لما وصل اليه من ايمان ثابت ، ويقين راسخ ، وقناعة كامـلة ..

وهذه الطريقـة من التدرج من الأدنى الى الأعلى ، ومن المحسوس الى المعقول .. في الوصول الى الحقيقـة هي طريقة القرآن الكريم .. وإليكـم طرفاً من آياته الباهرة :

– « هو الذي أنزل من السماء ماء لكم منه شراب ، ومنه شجر فيه تسيمون ● ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات إن في ذلك لآية لقـوم يتفكرون ● وسخر لكم الليـل والنهـار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون ● وما ذرا لكم في الأرض مختلفا الوانه انفي ذلك لآية لقوم يذكرون ● وهو الذي سخر البحر لتأكلوا منه لحما طرياً وتستخرجوا منهحلية تلبسونها ،وترى الفلك مواخرفيه، ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون ● وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم

وأنهاراً وسبلا لعلكم تهتدون ● وعلامات وبالنجم هم يهتدون ● أفمن يخلق كمن لايخلق أفلا تذكرون ؟ » . (النحل : ١٠ ــ ١٧)

ــ « ان في خلق السموات والأرض ، واختلاف الليل والنهار ، والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس ، وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها ، وبث فيها من كل دابة ، وتصريف الرياح ، والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون » . (البقرة : ١٦٤)

ــ « فلينظر الانسان مم خلق ، خلق من ماء دافق ، يخرج من بين الصلب والترائب انه على رجعه لقادر ، يوم تبلى السرائر ، فما له من قوة ولا ناصر » .
(الطارق : ٥ ــ ١٠)

ــ « فلينظر الانسان الى طعامه أنا صببنا الماء صباً ، ثم شققنا الأرض شقا ، فانبتنا فيها حبا ، وعنبا وقضبا ، وزيتونا ونخلا ، وحدائق غلبا ، وفاكهة وابا، متاعا لكم ولأنعامكم .. » (عبس : ٢٤ ــ ٣٢)

ــ « الم تر ان الله أنزل من السماء ماء فاخرجنا به ثمرات مختلفا الوانها ، ومن الجبال جُدَدٌ بيض وحمر مختلف الوانها وغرابيب سود ، ومن الناس والدواب والأنعام مختلف الوانه ، كذلك انما يخشى الله من عباده العلماء ان الله عزيز غفور » . (فاطر : ٢٧ ــ ٢٨)

ــ « افلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها ومالها من فروج ، والأرض مددناها والقينا فيها رواسي وانبتنا فيها من كل زوج بهيج ، تبصرةً وذكرى لكل عبد منيب .. » . (ق : ٥ ــ ٨)

الى غير ذلك من هذه الآيات الكثيرة المستفيضة التي لا تعد ولا تحصى...

٢ ــ أن يغرسوا في نفوسهم روح الخشوع والتقوى والعبودية لله رب العالمين :

وذلك بتفتيح بصائرهم على القدرة المعجزة ، والملكوت الهائل الكبير في كل شيء .. في الدقيق والكبير .. في الجامد والحي .. في النبتة النابتة والشجرة النامية .. في الزهرة الفواحة البديعة الألوان .. في ملايين الملايين من الخلائق العجيبة الصنع ، البديعة التكوين .. فما يملك القلب ازاء ذلك الا أن يخشع ويهتز لعظمة الله ، وما تملك النفس تجاه هذا الا أن تحس بتقوى الله ومراقبته ، وأن تشعر بكليتها وقرارة وجدانها بلذة الطاعة، وحلاوة العبادة لله رب العالمين .

ومن وسائل تقوية الخشوع ، وترسيخ التقوى في نفس الولد ترويضه في سن التمييز على التخشع في الصلاة ، وتأديبه على التحزن والتباكي عند سماع القرآن الكريم . وهذه هي صفة العارفين ، وشعار عباد الله الصالحين، وخصيصة المؤمنين الصادقين ..

ولنستمع الى القرآن العظيم في تمجيده الخاشعين ، وثنائه على الاتقياء المخبتين :

ـ « قد افلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون » .

(المؤمنون : ١ ـ ٢)

ـ « الله انزل احسن الحديث كتاباً متشابهاً ، مثاني ، تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله ذلك هدى الله يهدي به من يشاء » . (الزمر : ٢٣)

ـ « وبشر المخبتين الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم » .

(الحج : ٣٤ ـ ٣٥)

ـ « إذا تتلى عليهم آيات الرحمن خرّوا سجداً وبكياً » .

(مريم : ٥٨)

ـ « الم يانِ للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ».

(الحديد : ١٦)

وهذه الظاهرة من الخشوع والإخبات والتحزن .. هو ما كان عليه الرسول صلوات الله وسلامه عليه ، وما كان عليه الصحابة الكرام رضي الله عنهم ، والسلف الصالح ، والعارفون بالله رحمهم الله . فقد روى البخاري ومسلم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اقرأ عليّ القرآن » ، فقلت يا رسول الله : أقرأ عليك وعليك أُنزل؟ قال : « اني أحب أن أسمعه من غيري » ، فقرأتُ عليه سورة النساء حتى إذا جئت الى هذه الآية : « فكيف اذا جئنا من كل أمة بشهيد ، وجئنا بك على هؤلاء شهيداً » ، قال : « حسبك الآن » ، فالتفت اليه فإذا عيناه تذرفان .

وعن أبي صالح قال : قدم ناس من أهل اليمن على أبي بكر الصديق رضي الله عنه فجعلوا يقرؤون القرآن ويبكون ، فقال أبو بكر رضي الله عنه : هكذا كنا حتى قست القلوب .

وأخبار السلف في بكائهم وتخشعهم في صلاتهم ، وفي سماعهم للقرآن الكريم أكثر من أن تحصى ، وقصصهم الرائعة في كتب الاخلاق والتربية كثيرة ومستفيضة ..

وربما يجد المربي في ترويض الولد على الخشوع والتحزن والبكاء .. صعوبة ومشقة في بدء الترويض والتعليم ، ولكن في التنبيه تارة ، والمثابرة أخرى ، والتأسي ثالثة ... يصبح التخشع والتحزن.. خلقاً أصيلا في الولد، وطبعاً كريماً من طباعه وأخلاقه ..

وما أحسن ما قال بعضهم :

قد ينفع الأدبُ الأولادَ في صغر
وليس ينفعهم من بعده أدب

ان الغصون اذا عدلتها اعتدلت
ولا تلين ولو ليّنتَهُ الخشب

وهذا التعويد من البكاء والتخشع •• في أخذ الأولياء به ، وترويضهم عليه هو ما أرشد اليه عليه الصلاة والسلام في قوله :

« اقرؤوا القرآن وابكوا ، فإن لم تبكوا فتباكوا » • رواه الطبراني•

٣ ـ ان يربوا فيهم روح المراقبة لله سبحانه في كل تصرفاتهم واحوالهم ••

وذلك بترويض الولد على أن الله سبحانه يرقبه ويراه ، ويعلم سره ونجواه ، ويعلم خائنة **الأعين** وما تخفي الصدور •• وتخليق الولد على مراقبة الله تعالى يجب أن تكون غاية المربي وهمّه وهدفه الأكبر ، وذلك لا يكون الا في ترويض الولد عليها وهو يعمل ، وترويضه عليها وهو يفكر ، وترويضه عليها وهو يَحِسّ :

أما ترويضه على مراقبة الله وهو يعمل فليتعلّم الاخلاص لله رب العالمين في كل أقواله وأعماله وسائر تصرفاته ، ولكي يقصد وجه الله سبحانه في كل عمل يسبقه نية ، وعندئذ يتحقق بالعبودية الخالصة لله تعالى ، ويكون مِمّن شملهم القرآن بقوله :

« وما امروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ، ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيّمة » • (البينة : ٥)

وكذلك على المربي أن يشعر الولد بأن الله سبحانه لا يقبل منه أي عمل الا اذا قصد من ورائه وجه الله ، وابتغى به مرضاته •• للحديث الذي رواه أبو داود والنسائي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ان الله عز وجل لا يقبل من العمل الا ما كان خالصا ، وابتغي به وجهه » ؛ ولقوله عليه الصلاة والسلام فيما رواه الشيخان : « انما الاعمال بالنيات وانما لكل امرىء ما نوى •• »

اما ترويضه على مراقبة الله وهو يفكر فليتعلم الأفكار التي تقرّبه من خالقه العظيم •• والتي بها ينفع نفسه ، وينفع مجتمعه، وينفع الناس أجمعين•• بل يجب أن يُرَوَّض على أن يكون عقله وقلبه وهواه تبعاً لما جاء به خاتم الأنبياء عليه الصلاة والسلام ، وكذلك على المربي أن يؤدب الولد على المحاسبة حتى على الخواطر السيئة ، والأفكار الشاردة •• وأن يُحفّظه أواخر سورة البقرة[1] مع بيان ما فيها من ارشادات وأدعية لما تشتمله هذه الآيات من توجيه الى مراقبة الله ، والمحاسبة للنفس ، والالتجاء الى خالق الأرض والسموات، ومناجاته والدعاء له ••

اما ترويضه على مراقبة الله وهو يحس .. فليتعلم كل احساس نظيف ، وليتربّى على كل شعور طاهر •• فلا يحسد ، ولا يحقد ، ولا ينمّ ، ولا يتمتع المتاع الدَّنِس ، ولا يشتهي الشهوات الباطلة •• وكلما أصابه نزغ من الشيطان ، أو هاجسة من النفس الأمّارة بالسوء تذكر أن الله سبحانه معه يسمعه ويراه فإذا هو متذكر مبصر •• وهذا النمط من التربية والمراقبة قد وجه اليه المربي الأول عليه الصلاة والسلام في اجابته السائل عن الاحسان : « أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فانه يراك » البخاري •

وقد أشار اليه القرآن الكريم بقوله :

« وإما ينزغَنّك من الشيطان نَزغٌ فاستعذ بالله إنه سميع عليم ؛ ان الذين اتقوا إذا مسَّهم طائف من الشيطان تذكّروا فاذا هم مبصرون » .

(سورة الأعراف : ٢٠١)

وهذه الظاهرة من الترويض والتعليم •• كانت ديدن السلف الصالح في ترويضهم لأولادهم ، وتأديبهم عليها ، واليكم ما قصه الإمام الغزالي في احيائه:

---

(١) الآيات تبدأ من قوله تعالى : « ولله ما في السموات والأرض وإن تبدوا ما في انفسكم ... الى آخر السورة » .

(قال سهل بن عبد الله التستري : كنت أنا ابن ثلاث سنين أقوم بالليل ، فأنظر الى صلاة خالي (محمد بن سوار) ، فقال لي يوماً : ألا تذكر الله الذي خلقك ؟ فقلت كيف أذكره ؟ قال : قل بقلبك عند تقلبك في فراشك ثلاث مرات من غير أن تحرك به لسانك : الله معي ، الله ناظر الي ، الله شاهدي ؛ فقلت ذلك ليالي ثم أعلمته فقال : قل في كل ليلة سبع مرات ، فقلت ذلك ثم أعلمته ، فقال: قل ذلك كل ليلة احدى عشر مرة ، فقلته ، فوقع في قلبي حلاوته ؛ فلما كان بعد سنة ، قال لي خالي : احفظ ما علمتك ودُمْ عليه الى أن تدخل القبر ، فإنه ينفعك في الدنيا والآخرة ؛ فلم أزل على ذلك سنين ، فوجدت لذلك حلاوة في سري ؛ ثم قال لي خالي يوماً : يا سهل من كان الله معه ، وناظراً اليه ، وشاهده ... أيعصيه ؟ اياك والمعصية ...) ، وبهذا التوجيه السديد ، والترويض المستمر ، والتربية الإيمانية الحقة .. أصبح سهل رحمه الله من كبار العارفين ، ومن رجال الله الصالحين .. بفضل خاله الذي أدّبه وعلمه وربّاه .. وغرس في نفسه وهو صغير أكرم معاني الايمان والمراقبة ، وأنبل مكارم الأخلاق ...

★ ★ ★

وحينما ينهج المربون في تربية الأولاد هذا النهج ، وحينما يسير الآباء والأمهات في تأديب الابناء على هاتيك القواعد .. يستطيعون في فترة يسيرة من الزمن أن يكوّنوا جيلاً مسلماً مؤمناً بالله ، معتزّاً بدينه ، مفتخراً بتاريخه وأمجاده .. ويستطيعون كذلك أن يكوّنوا مجتمعاً نظيفاً من الإلحاد ، نظيفاً من الميوعة ، نظيفاً من الحقد ، نظيفاً من الجريمة ..

وهذه التربية الإيمانية التي فصلنا فيها ، ودار الكلام حولها .. **هي التي يلح عليها كبار علماء التربية والأخلاق في بلاد الغرب** لتحرر المجتمع من الإلحاد والرذيلة والميوعة والجريمة ..

وإليكم طرفاً من أقوالهم :

● كتب « دستوفسكي » أعظم قصصي في عالم الغرب ليبين كيف أصبح الانسان متلبّساً بالشياطين حين هجر الله تعالى[1] ٠

● ويقول الاديب الفرنسي الشهير « فولتير » ساخراً من طبقة الملحدين الماديين المشككين :

« لِمَ تشككون في الله ، ولولاه لخانتني زوجتي ٠ وسرقني خادمي !!٠٠ » ٠

● ويقول الدكتور « هنري لنك » الطبيب النفسي الأمريكي في كتابه « العودة الى الإيمان » :

« فان هؤلاء الآباء الذين كانوا يتساءلون كيف ينمّون عادات أولادهم الخلقية ويشكلونها ، في حين ينقصهم هم أنفسهم تلك التأثيرات الدينية التي كانت قد شكلت أخلاقهم من قبل ، كانوا في الحقيقة يجابهون مشكلة لاحل لها ، فلم يوجد بعد ذلك البديل الكامل الذي يحل محل تلك القوة الهائلة التي يخلقها الايمان بالخالق وبناموسه الخلقي الإلهي في قلوب الناس ٠٠٠ » ٠

● وذكرت مجلة الحج المكية في السنة ٢٣ من الجزء الثالث عن لسان « سوتيلانا » بنت استالين : « ان السبب الحقيقي لهجر وطنها وأولادها هو « الدين » ، فقد نشأت في بيت ملحد لايعرف أحد من أفراده « الرب » ، ولا يذكر عندهم عمداً ولاسهواً ٠٠ ولما بلغت سن الرشد وجدت في نفسها —

---

(١) من كتاب « مباهج الفلسفة » لـ (ول ديوارنت) ج : ٢ ص : ٢٧٦ ٠

ـ من غير أي دافع خارجي ـ احساسا قويا بأن الحياة من غير الايمان بالله ليست حياة ، كما لايمكن أن يقام بين الناس أي عدل أو انصاف من غير الايمان بالله ، وشعرت من قرارة نفسها أن الانسان في حاجة الى الايمان كحاجته الى الماء والهواء .. » .

● وقد أعلن الفيلسوف « كانت » أنه لاوجود للاخلاق دون اعتقادات ثلاثة :

« وجود الإله ،وخلود الروح ، والحساب بعد الموت » .

والذي نخلص اليه بعد ما تقدم أن الايمان بالله تعالى هو أساس اصلاح الولد ، وملاك تربيته الخلقية والنفسية .. ولقد رأيت ـ أخي القارىء ـ من أقوال علماء التربية والأخلاق في العالم الصلة الوثيقة بين الايمان والخلق . والرابطة المتينة بين العقيدة والعمل ، وان شاء الله في معالجتنا لبحث « مسؤولية التربية الخلقية » فسنفصل القول عن أثر الايمان في تقويم سلوك الولد ، وتهذيب خلقه ، وتقويم اعوجاجه ، وعلى الله قصد السبيل ، ومنه نستمد العون والتوفيق .

وصفوة القول ان مسؤولية التربية الايمانية لدى المربين والآباء والأمهات .. لهي مسؤولية هامة وخطيرة لكونها منبع الفضائل ، ومبعث الكمالات .. بل هي الركيزة الأساسية لدخول الولد في حظيرة الايمان ، وقنطرة الاسلام .. وبدون هذه التربية لاينهض الولد بمسؤولية ، ولايتصف بأمانة ، ولايعرف غاية ، ولايتحقق بمعنى الانسانية الفاضلة ، ولايعمل لمثل أعلى ولاهدف نبيل .. بل يعيش عيشة البهائم ليس له هم سوى أن يسد جوعته ،ويشبع غريزته ، وينطلق وراء الشهوات والملذات ،

ويصاحب الاشقياء والمجرمين .. وعندئذ يكون من الزمرة الكافرة ، والفئة الإباحية الضالة التي قال الله عنها في محكم كتابه :

« والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام والنار مثوىً لهم » .
(سورة محمد : ١٢)

فعلى الأب أو المربي ألا يترك فرصة سانحة تمر الا وقد زود الولد بالبراهين التي تدل على الله ، وبالارشادات التي تثبت الإيمان ، وباللفتات التي تقوي فيه جانب العقيدة .. وهذا الاسلوب من انتهاز الفرص في النصائح الايمانية ، هو أسلوب المربي الأول صلوات الله وسلامه عليه حيث كان يسعى دائماً الى أن يوجه الاولاد الى كل مايرفع من شأنهم ، ويرسخ الايمان واليقين في أعماق نفوسهم .. واليك — أخي القارىء — بعض النماذج من توجيهه وأسلوبه عليه الصلاة والسلام :

روى الترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : « كنت خلف النبي صلى الله عليه وسلم يوما فقال :ياغلام اني أعلمك كلمات : احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك ، اذا سألت فاسأل الله ، واذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك الا بشيء قد كتبه الله لك ، وان اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك الا بشيء قد كتبه الله عليك ، رفعت الأقلام وجفت الصحف » .

وفي رواية غير الترمذي : « احفظ الله تجده أمامك ، تعرّف الى الله في الرخاء يعرفْك في الشدة ، واعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك ، وماأصابك لم يكن ليخطئك ، واعلم أن النصر مع الصبر ، وأن الفرج مع الكرب ، وأن مع العسر يسراً » .

وختاماً : أقترح على المربين والمعلمين والآباء .. أن يختاروا لتلاميذهم

وأبنائهم أفضل الكتب لتعليم الاولاد عقيدة التوحيد منذ سن التعقل والتمييز ، وأرى أن يكون التعليم على مراحل ، كل مرحلة تتفق مع سن الولد ومع نضجه وثقافته .

دراسة المرحلة الأولى :

وهي مابين سن العاشرة الى الخامسة عشرة :

١ ـ كتاب « المعرفة » لفضيلة العالم المرشد الشيخ عبد الكريم رفاعي رحمه الله .

٢ ـ وكتاب « العقائد » للامام البنا رحمه الله .

٣ ـ وكتاب « الجواهر الكلامية » للأستاذ طاهر الجزائري .

دراسة المرحلة الثانية :

وهي مابين سن البلوغ الى سن العشرين :

١ ـ « أصول العقائد » للأستاذ عبد الله عرواني .

٢ ـ كتاب « الوجود الحق » للدكتور حسن هويدي .

٣ ـ كتاب « شبهات وردود » للمؤلف .

دراسة المرحلة الثالثة :

وهي مابعد سن العشرين :

١ ـ كتاب « كبرى اليقينيات الكونية » للدكتور محمد سعيد رمضان البوطي .

٢ ـ كتاب « الله جل جلاله » للأستاذ سعيد حوّى .

٣ ـ كتاب « قصة الايمان » للأستاذ نديم الجسر .

ويضاف الى كتب مرحلتي الثانية والثالثة كتب عقيدية وفكرية أخرى؛ فعلى كل شاب مسلم أن يقتنيها ويمر على دراستها، ويتعمق في فهمهاومطالعتها لكونها ترسخ جانب العقيدة ، وتزيد من معين الإيمـــان •

وأهم هذه الكتب هي :

الدين في مواجهة العلم	للأستاذ العالم وحيد الدين خان
الاسلام يتحدى	للأستاذ العالم وحيد الدين خان
الله يتجلى في عصر العلم	لمجموعة من علماء الغرب
العلم يدعو الى الايمان	لكريسي موريسون
الله والعلم الحديث	لعبد الرزاق نوفل
الطب في محراب الإيمان	للدكتور خالص كنجو

الى غير ذلك من هذه الكتب التي تقوي الايمان ، وترسخ معاني العقيدة والاســلام •••

هذا ان كان الولد مثقفاً يتابع مراحل دراسته حتى الجامعة •• أما اذا كان الولد مقتصراً في دراسته على المرحلة الابتدائية ثم نزل الحياة العملية لابتغاء الرزق ، فعلى الأب أن يسعى جهده في تعليمه عقيدة التوحيد في أوقات فراغه على يد أساتذة أكفاء يلقنونه مبادىء الايمان ، ويغرسون في نفسه بذور التوحيد الخالص حتى يعرف بوضوح مايجب لله ، ومايجوز ، وما يستحيل •• وعندئذ ينشأ على التربية الايمانية الخالصة •• فلايتزعزع بشبهة، ولاينساق وراء فتنة أو اغراء !!



الفصل الثاني

٢ ـ مَسْؤوليّـةُ التربيـةِ الخلقيّـة

نقصد بالتربية الخُلقية مجموعة المبادىء الخُلقية ، والفضائل السلوكية والوجدانية التي يجب أن يتلقنها الطفل ويكتسبها ويعتاد عليها منذ تمييزه وتعقله الى أن يصبح مكلفاً الى أن يتدرج شاباً الى أن يخـوض خضمّ الحيـاة ..

ومما لاشك فيه ، ولا جـدال معه **أن الفضائل الخلقية والسلوكيةوالوجدانية هي ثمرة من ثمرات الايمان الراسخ ، والتنشئة الدينية الصحيحة ..**

فالطفل منذ نعومة أظفاره حين ينشأ على الايمان بالله ، ويتربّى على الخشية منه ، والمراقبة له ، والاعتماد عليه ، والاستعانة به ، والتسليم لجنابه فيمـا ينوب ويروع .. تصبح عنده الملكة الفطرية ، والاستجابة الوجدانية لتقبل كل فضيلة ومكرمة ، والاعتياد على كل خلق فاضل كريم .. لأن الوازع الديني الذي تأصل في ضميره ، والمراقبة الإلهية التي ترسخت في أعماق وجدانه ، والمحاسبة النفسية التي سيطرت على تفكيره واحساساته .. كل ذلك بات حائلا بين الطفل وبين الصفات القبيحة والعادات الآثمة المرذولة ، والتقاليد الجاهلية الفاسدة .. بل اقباله على الخير يصبح عادة من عاداته ، وتعشقه المكارم والفضائل يصير خلقا أصيلا من أبرز أخلاقه وصفاته ..

ومما يؤكد هذا نجاح التجربة العملية التي يسلكها الكثير من الآباء المتدينين مع أبنائهم ، وكثير من المرشدين والمربين مع مريديهم وتلامذتهم ؛ فهذه التجربة أصبحت معلومة في سيرة السلف ، وعالم الواقع .. وسبق أن ذكرنا موقف « محمد بن سوار » من ابن أخته « التستري » في تربيته على الايمان ، واصلاح نفسه ووجدانه ، ورأينا أن نفسه قد صلحت لما رباه خاله على مراقبة الله ، والخشية منه ، والاعتماد عليه .. وذلك في ملاحقته على أن يردّد في سره وعلنه ، وظاهره وباطنه ، واجتماعه وخلوته : « الله معي ، الله ناظر اليّ ، الله شاهدي » .

★ ★ ★

وحينما تكون التربية للطفل بعيدة عن العقيدة الاسلامية ، مجردة من التوجيه الديني ، والصلة بالله عز وجل .. فإن الطفل ـ لا شك ـ يترعرع على الفسوق والانحلال ، وينشا على الضلال والالحاد ، بل سيتّبع نفسه هواها ، ويسير خلف نوازع النفس الأمارة ، ووساوس الشيطان وفقاً لمزاجه وأهوائه وأشواقه الهابطة .

(فإن كان **مزاجه من النوع « الهادىء المسالم »** عاش في الحياة غافلاً بليداً ، حياً كميت ، وموجوداً كمفقود ، لايحس أحد بحياته ، ولايترك فراغاً بعد موته ، ورحم الله من قال :

فذاك الذي إنْ عاش لم يُنتفَع به وانْ مات لاتبكي عليه أقاربُه

وإن كان **يغلب على نفسه الجانب « البهيمي »** جرى وراء الشهوات والملذّات يقتحم إلى بلوغها كل حرمة ، ويسلك من أجلها كل طريق ، لاحياء يردعه ، ولاضمير يقمعه ، ولاعقل يمنعه ، يقول ما قاله أبو النواس :

انمـــا الدنيـــا طعام   وشراب   وَنَـــدام[1]

فإذا فاتك هــــــذا   فعــلى الدنيا السلام

وإن كـان **مزاجــه مــن النــوع « العصبي »** جعل همه العلوّ في الأرض ، والاستكبار على الناس ، واظهار السلطــة والتحكم في الرقاب ، والفخر بلسانه ، والاختيال بفعاله ، ولم يهمه في سبيل ذلك أن يبني قصراً من جماجم البشر ، وأن يزخرفه بدماء الابرياء ، شعاره ماقاله الشاعر الجاهلي :

لنا الدنيا ومن أمسى عليها   ونبطش حين نبطش قادرينا

بغـــاةً ظالمــين وما ظُلمنا   ولكنّــا سنبــدأ ظالمينـــا

اذا بلــغ الرضيع لنا فطاماً   تخرّ له الجبابر ساجــدينا

وان كان **يغلب عليه الجانب « الشيطاني »** دبر المكائد ، وفرق بــين الأحبة ، ووضع الألغام ليدمر ، وسمّم الآبار ليقتل ، وعكّر المياه ليصطاد ، وزيّن الإثم ، وأغرى بالفاحشة ، وأوقع العداوة والبغضاء بين الناس ، وقال مع الشاعر :

اذا أنت لم تنفع فضرّ فإنمـــا   يُرجّى الفتى كيما يضر وينفعا

وهكذا يدور كل من هؤلاء حيث تدور نفسه الأمّارة ، ويندفع حيث يدفعه مزاجه المنحرف ، وينقاد لأمر هواه ، والهوى يعمي ويُصم ، وهو الــه معبود ، قال تعالى :

« ومن اضل ممن اتبع هواه بغير هدىً من الله »[2] .

(القصص : ٥٠)

---

(١) الندام : المنادمة والمجالسة على شرب الخمر .

(٢) من كتاب « الايمان والحياة » للأستاذ القرضاوي صفحة : ٢١٠ مــع بعض التصرف .

والذي نخلص إليه بعدما تقدم أن التربية الإيمانية هي التي تعدّل المزاج المنحرف ، وتقوّم المعوج الفاسد ، وتصلح النفس الانسانية .. وبدونها لايمكن أن يتحقق اصلاح ، ولا أن يتم استقرار ، ولايتقوّم خلق ..

ولهذه الصلة الوثيقة بين الإيمان والاخلاق ، والرابطة المتينة بين العقيدة والعمل انتبه علماء التربية والاجتماع في الغرب ، وفي كثير من الأمم .. فأصدروا توجيهاتهم ، وأعلنوا عن آرائهم ووجهات نظرهم بأنه من غير دين لايتم استقرار ، وبغير ايمان بالله لايتحقق اصلاح ، ولا يتقوّم خلق ..

وإليكم طائفة من آرائهم وتوجيهاتهم :

● قال الفيلسوف الألماني « فيخته » : « **الاخلاق من غير دين عبث** » .

● قال الزعيم الهندي المعروف «غاندي» : «ان الدين ومكارم الاخلاق هما شيء واحد لايقبلان الانفصال ، ولايفترق بعضهما عن بعض ، فهما وحدة لاتتجزأ ، ان الدين كالروح للأخلاق ، والأخلاق كالجو للروح ؛وبعبارة أخرى الدين يغذي الاخلاق وينميها وينعشها ، كما أن الماء يغذي الزرع وينميه » .

● وقال القاضي البريطاني « ديننج » معقباً على فضائح وزير بريطاني سابق في علاقة خلقية : « بدون الدين لايمكن أن تكون هناك أخلاق ، وبدون أخلاق لايمكن أن يكون هناك قانون !!.. الدين هو المصدر الفذ المعصوم الذي يعرف منه حسن الأخلاق من قبيحها ، والدين هو الذي يربط الانسان بمثل أعلى يرنو اليه ، ويعمل له ، والدين هو الذي يحد من أنانية الفرد ، ويكفكف من طغيان غرائزه ، وسيطرة عاداته ، ويخضعها لأهدافه ومثله ، ويربي فيه الضمير الحي الذي على أساسه يرتفع صرح الأخلاق ..» .

● وسبق أن ذكرنا تصريح الفيلسوف « كانت » الـذي يقول : « لاوجود للاخلاق دون اعتقادات ثلاثة : وجود الإله ، وخلود الروح ، والحساب بعد الموت » .

★ ★ ★

فلا عجب بعد الذي ذكرناه أن تولي شريعة الاسلام اهتمامها البالـغ بتربية الاولاد من الناحية الخُلقية ، وأن تصدر توجيهاتها القيمة في تخليـق الولد على الفضائل والمكارم ، وتأديبه على أفضل الاخلاق ، وأكرم العادات!.

وإليكم اهم هذه التوصيات والتوجيهـات في تربية الولد مـن الناحيـة الخلقية والسلوكية :

ــ روى الترمذي عن أيوب بن موسى عن أبيه عن جده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « مانَحَلَ[1] والد ولداً من نُحْلٍ أفضـل من أدب حسن » .

ــ وروى ابن ماجه عن ابن عباس رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أكرموا أولادكم وأحسنوا أدبهم » .

وأخرج عبد الرزاق ، وسعيد بن منصور ، وغيرهما من حديث علي رضي الله عنه : « علموا أولادكم وأهليكم الخـير وأدبوهم » .

ــ وأخرج البيهقي عن ابن عباس رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من حق الوالد على الولد أن يحسن أدبـه ، ويحسن اسمه » .

ــ وروى ابن حبان عن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليـه وسلم أنه قال : « الغلام يُعَقّ[2] عنه يوم السابع ، ويُسمّى ، ويماط

(١) نحله : اي اعطـاه .
(٢) يعق عنه : اي يذبح عنه .

عنه الأذى ، فإذا بلغ ست سنين أُدّب . واذا بلغ تسع سنين عزل عن فراشه . فاذا بلغ ثلاث عشرة سنة ضُرب على الصلاة والصوم . فاذا بلغ ست عشرة زوجه أبوه ، ثم أخذ بيده وقال : قد أدبتك وعلمتك وأنكحتك ، أعوذ بالله من فتنتك في الدنيا . وعذابك في الآخرة » .

فيؤخذ من مجموعة هذه الاحاديث التربوية أن على المربين ــ ولاسيما الآباء والأمهات ــ مسؤولية كبرى في تأديب الاولاد على الخير ، وتخليقهم على مبادىء الاخلاق ..

ومسؤوليتهم في هذا المجال مسؤولية شاملة بكل مايتصل بإصلاح نفوسهم ، وتقويم اعوجاجهم ، وترفعهم عن الدنايا ، وحسن معاملتهم للآخرين ..

فهم مسؤولون عن تخليق الاولاد منذ الصغر على الصدق ، والأمانة ، والاستقامة ، والإيثار ، واغاثة الملهوف ، واحترام الكبير ، واكرام الضيف ، والاحسان الى الجار ، والمحبة للآخرين ...

ومسؤولون عن تنزيه ألسنتهم من السباب ، والشتائم والكلمات النابية القبيحة ، وعن كل ماينبىء عن فساد الخلق ، وسوء التربية ...

ومسؤولون عن ترفعهم عن دنايا الأمور . وسفاسف العادات ، وقبائح الاخلاق ، وعن كل مايحط بالمروءة والشرف والعفة ...

ومسؤولون عن تعويدهم على مشاعر انسانية كريمة ، واحساسات عاطفية نبيلة ، كالاحسان الى اليتامى ، والبر بالفقراء ، والعطف على الأرامل والمساكين ....

الى غير ذلك من هذه المسؤوليات الكبيرة الشاملة التي تتصل بالتهذيب ، وترتبط بالاخلاق ...

★ ★ ★

ـ ويكفيه تشنيعاً وتقبيحاً أن من يعتاده **يكتب عند الله من الكاذبين :** روى الشيخان وغيرهما عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ... اياكم والكذب ، فإن الكذب يهدي الى الفجور ، وان الفجور يهدي الى النار ، ومايزال العبد يكذب ، ويتحرى الكذب ، حتى يكتب عند الله كذاباً » .

ـ ويكفيه تشنيعاً وتقبيحاً أن عدّه عليه الصلاة والسلام **خيانة كبيرة :** روى أبو داود عن سفيان بن أسيد الحضرمي رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « كبرتْ خيانة أن تُحدّث أخاك حديثاً هو لك مُصدّق ، وأنت له به كاذب » .

فإذا كان هذا شأن الكذب والكذابين فما على المربين الا أن يُنفّروا أبناءهم منه ، وينهوهم عنه ، ويحذروهم عواقبه ، ويكشفوا لهم عن مضاره وأخطاره .. حتى لايقعوا في حبائله ، ويتعثروا في أوحاله ، وينزلقوا في متاهاته ..

واذا كانت التربية الفاضلة في نظر المربين تعتمد على **القدوة الصالحة ..** فجدير بكل مربّ مسؤول ألا يكذب على أطفاله بحجة إسكاتهم من بكاء ، أو ترغيبهم في أمر ، أو تسكينهم من غضب .. فإنهم إن فعلوا ذلك يكونون قد عوّدوهم عن طريق الإيحاء والمحاكاة والقدوة السيئة على أقبح العادات ، وأرذل الأخلاق ألا وهي رذيلة الكذب .. عدا عن أنهم يفقدون الثقة بأقواله، ويضعف جانب التأثير بنصائحه ومواعظه ..

لهذا كله نرى المربي الاول ، والمرشد الكامل محمداً صلوات الله وسلامه عليه قد حذر الأولياء والمربين من الكذب أمام أطفالهم ولو بقصد الإلهاء أو الترغيب أو الممازحة حتى لاتكتب عليهم عند الله كَذْبة .. روى

أبو داود والبيهقي عن عبد الله بن عامر رضي الله عنه قال : دعتني أمي يوماً ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم قاعد في بيتنا ، فقالت : ها تعال أعطك ، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم : ماأردت أن تعطيه ؟ قالت : أردت أن أعطيه تمراً ، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أما إنك لو لم تُعطيه شيئاً كُتبتْ عليك كَذْبة » .

وروى أحمد وابن أبي الدنيا عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من قال لصبيّ هاك[1] ، ثم لم يعطه فهي كَذْبة » ..

ومن طرائف ما يروى في تعويد السلف أولادهم على الصدق ومعاهدتهم عليه هذه القصة : يقول العالم الرباني الشيخ عبد القادر الكيلاني رحمه الله : « بنيْتُ أمري ـ من حين ما نشأت ـ على الصدق ، وذلك أني خرجت من مكة إلى بغداد أطلب العلم ، فأعطتني أمي أربعين ديناراً أستعين بها على النفقة ، وعاهدتني على الصدق ، فلما وصلنا أرض همدان خرج علينا جماعة من اللصوص . فأخذوا القافلة ، فمرّ واحد منهم وقال لي : مامعك ؟ قلت : أربعون ديناراً ، فظن أني أهزأ به فتركني ، فرآني رجل آخر ، فقال : مامعك؟ فأخبرته بما معي ، فأخذني الى كبيرهم ، فسألني فأخبرته ، فقال : ما حملك على الصدق ؟ قلت : عاهدتني أمي على الصدق ، فأخاف أن أخون عهدها !!. فأخذت الخشية رئيس اللصوص ، فصاح ومزق ثيابه ، وقال : أنت تخاف أن تخون عهد أمك ، وأنا لاأخاف أن أخون عهد الله ؟!!.. ثم أمر بردّ ماأخذوه من القافلة ، وقال : أناتائب لله على يديك ، فقال من معه : أنت كبيرنا في قطع الطريق ، وأنت اليوم كبيرنا في التوبة ، فتابوا جميعاً ببركة الصدق .



(١) هـاك : اي اقبل وخذ شيئاً .

اما ظاهرة السرقة فهي لاتقل خطراً عن ظاهرة الكذب ، وهي متفشية في البيئات المتخلّفة التي لم تتخلق بأخلاق الاسلام ، ولم تترب على مبادىء التربية والإيمـــان ..

ومن المعلوم بداهـــة أن الطفل منـــذ نشأته إن لم ينشأ على مراقبـــة الله والخشية منه ، وان لم يتعود على الامانة وأداء الحقوق .. فإن الولـــد ــ لاشك ــ سيدرج على الغش والسرقة والخيانة ، وأكل الاموال بغـــير حق ؛ بل يكون شقياً مجرماً يستجير منه المجتمع ، ويستعيذ من ســـوء فعاله الناس ..

لهذا كان لزاماً على الآباء والمربين أن يغرسوا في نفوس أبنائهم عقيـــدة المراقبة لله ، والخشية منه ؛ وأن يعرفوهم بالنتائج الوخيمة التي تنجم عـــن السرقة وتستفحل بسبب الغش والخيانة ؛ وأن يبصروهم بماذا أعد الله للمجرمين المنحرفين من مصير فاضح ، وعذاب أليم يوم القيامة ...

ومن المؤسف المؤلم أن كثيراً من الأمهات والآباء لم يراقبوا أولادهم مراقبة تامة فيما يرونه معهم من أمتعة وأشياء ونقود .. فبمجرد أن يدعي الأولاد أنهم التقطوها من الشارع ، أو أهداها لهم أحد الرفقاء .. صدّقوهم، وأخذوا بأقوالهم الكاذبة، دون أن يكلفوا أنفسهم مهمة التدقيق والتحقيق!!.. ومن الطبيعي أن يبرّر الولد لسرقته مثل هذه الادعاءات الباطلة مخافة الاتهام والفضيحة ، ومن الطبيعي أن يتمادى الولد في الإجرام حين لم يجد من مربيه البحث الدقيق ، والاهتمام البالغ ..

والاقبح من ذلك أن يجد الولد من أحد أبويه من يدفعه الى السرقة ، ويشجّعه عليها .. فـــإن الولد ــ ولا شك ــ سيكون عريقـــاً في الإجرام ، متمادياً في الانحراف واللصوصية ..

وهل يُرجى لأطفال كمال   اذا ارتضعوا ثُدي" الناقصات

(حكست احدى المحاكم الشرعية على سارق بعقوبة القطع ، فلما جاء وقت التنفيذ ، قال لهم بأعلى صوته : قبل أن تقطعوا يدي اقطعوا لسان أمي .. فقد سرقت أول مرة في حياتي بيضة من جيراننا فلم تؤنبني ، ولم تطلب الي" ارجاعها الى الجيران ، بل زغردت وقالت : الحمد لله ، لقد أصبح ابني رجلا ، فلولا لسان أمي الذي زغرد للجريمة لما كنت في المجتمع سارقاً)[1] .

وإليكم ـ يا معشر الآباء والأمهات ـ **بعض النماذج في استقامة أبناء السلف الصالح** ، وفي حرصهم على أداء الحقوق ، والتزامهم خلق الأمانة ،ومراقبتهم لله عز وجل في المتقلب والمثوى ، والسر والعلانية .

ـ أصدر عمر رضي الله عنه قانوناً يمنع غش اللبن يخلط بالماء .. ولكن هل تستطيع عين القانون أن ترى كل مخالف ، وأن تقبض على كل خائن وغاش" ؟.

القانون أعجز من هذا .. الايمان بالله والمراقبة له هو الذي يعمل عمله في هذا المجال ..

وهنا تحكي القصة المشهورة حكاية الأم وابنتها : الأم تريدأن تخلط اللبن طمعاً في زيادة الربح ، والبنت المؤمنة تذكرها بمنع أمير المؤمنين .

وترد" الابنة بالجواب المفحم : إن كان أمير المؤمنين لايرانا ، فرب أمير المؤمنين يرانا !!..

---

(١) من كتاب اخلاقنا الاجتماعية للسباعي رحمه الله ص ٦٢ .

ـ وقال عبد الله بن دينار : خرجت مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه الى مكة •• فانحدر بنا راعٍ من الجبل ، فقال له عمر ممتحناً : ياراعي بعني شاة من هذه الغنم ، فقال : اني مملوك •

فقال عمر : قل لسيدك أكلها الذئب •

فقال الراعي : فأين الله ؟

فبكى عمر رضي الله عنه ثم غدا مع المملوك ، فاشتراه من مولاه وأعتقه، وقال له : أعتقتك في الدنيا هذه الكلمة ، وأرجو أن تعتقك في الآخرة •

★ ★ ★

اما ظاهرة السباب والشتائم فإنها من أقبح الظواهر المتفشية في محيط الاولاد، والمنتشرة في البيئات المتخلّفة عن هـدي القرآن، وتربية الاسلام ••

والسبب في ذلك يعود الى أمرين أساسيين :

الأول ـ القدوة السيئة :

فالولد حينما يسمع من أبويه كلمات الفحش والسباب ، وألفاظ الشتيمة والمنكر •• فإن الولد ـ لاشك ـ سيحاكي كلماتها ، ويتعود ترداد ألفاظها ••

فلا يصدر منه في النهاية الا كلام فاحش ، ولا يتلفّظ الا بمنكر القول وزوره •

الثاني ـ الخلطة الفاسدة :

فالولد الذي يُلقى للشارع ، ويترك لقرناء السوء ، ورفقاء الفساد •• فمن البديهي أن يتلقن منهم لغة اللعن والسباب والشتيمة •• ومن الطبيعي أن يكتسب منهم أحطّ الألفاظ ، وأقبح العادات والأخلاق ، وينشأ على أسوأ مايكون من التربية الفاسدة ، والخلق الآثيم •

لهذا كله وجب على الآباء والأمهات والمربين جميعاً •• أن يعطوا للأولاد **القدوة الصالحة** في حسن الخطاب ، وتهذيب اللسان ، وجمال اللفظ والتعبير •• كما يجب عليهم أن يجنبوهم **لعب الشارع ، وصحبة الأشرار ، وقرناء السوء** حتى لايتأثروا من انحرافهم ، ويكتسبوا من عاداتهم ، ويجب عليهم كذلك أن يبصروهم مغبّة آفات اللسان ، ونتيجة البذاءة ، في تحطيم الشخصية ، وسقوط المهابة ، وإثارة البغضاء . والأحقاد بين أفراد المجتمع •

وأخيراً وجب على المربين أيضا أن **يلقنوا اولادهم** الأحاديث التي تحذّر من السباب والشتائم ، والتي تبيّن ما أعد الله للفحّاشين واللعّانين من اثم كبير ، وعذاب أليم •• عسى أن ينزجروا بها ، ويتأثروا بتوجيهاتها ومواعظها ••

وإليكم بعض الأحاديث النبوية التي تنهى عن السباب ، وتحذر من الشتائم :

ـ « سباب المسلم فسوق ، وقتاله كفر » البخاري ومسلم وغيرهما •

ـ « ان من أكبر الكبائر أن يلعن الرجل والديه ، قيل يارسول الله كيف يلعن الرجل والديه ؟ قال : يسبّ الرجل أبا الرجل فيسب أباه ، ويسب أمه فيسب أمه » البخاري وأحمد •

ـ « ان العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله لايلقي لها بالاً يهوي بها في جهنم » البخاري •

ـ « وهل يَكبّ الناس في النار على وجوههم الا حصائد ألسنتهم » أصحاب السنن وأحمد •

ـ « ليس المؤمن بالطعان ولا اللعّان ولا الفاحش ولا البذيء » رواه الترمذي •

فما أجمل الولد حين يتلفظ الألفاظ الجميلة ، والكلمات الحلوة الطريفة، وما أحسنه حين يؤدب على المنطق الرصين ، والتعبير الظريف !!•• وماأكرمه حينما يستهجن ما يسمعه من لغة اللعن والسبّ والبذاءة !!•• فلاشك أنه يكون ريحانة في البيت ، وشامة في الناس •

وإليكم نموذجاً يبين ماكان عليه أولاد السلف من أدب الكلام ، وحسن الخطاب ، وجمال القول ، لتعلموا — أيها الآباء — كيف كان الاولاد في الماضي يتحدثون ويتكلمون :

قَحَطتِ البادية في أيام هشام بن عبد الملك ، فقدمت القبائل الى هشام ، ودخلوا عليه ، وفيهم « **درواس بن حبيب** » ، **وعمره أربع عشرة سنة** ، فأحجم القوم ، وهابوا هشاماً ، ووقعت عين هشام على « درواس » فاستصغره ، فقال لحاجبه : ما يشاء أحد أن يصل اليّ الا وصل ، حتى الصبيان ؟!• فعلم « درواس » أنه يريده ، فقال ياأمير المؤمنين : ان دخولي لم يُخلّ بك شيئاً ولقد شرّفني ، وان هؤلاء القوم قدموا لأمر أحجموا دونه ، وان الكلام نشر ، والسكوت طيّ ، ولايُعرف الكلام الا بنشره ، فقال هشام : فانشر لا أبا لك !!•• وأعجبه كلامه ، فقال ياأمير المؤمنين: أصابتنا ثلاث سنين : فسنة أذابت الشحم ، وسنة أكلت اللحم ، وسنة نقّت العظم ؛ وفي أيديكم فضول أموال : ان كانت لله ففرقوها على عباد الله المستحقين لها •

وان كانت لعباد الله فعلامَ تحبسونها عنهم ؟

وان كانت لكم فتصدقوا بها عليهم فإن الله يجزي المتصدقين ، ولايضيع أجر المحسنين •

واعلم يا أمير المؤمنين : أن الوالي من الرعية كالروح من الجسد ، لاحياة للجسد الا به •

فقال هشام : ماترك الغلام في واحدة من الثلاث عذراً ، وأمر أن يقسم في باديته مائة ألف درهم • وأمر لدرواس بمائة ألف درهم •

فقال ياأمير المؤمنين : ارددها الى أعطية أهل باديتي فإني أكره أن يعجز ما أمر لهم به أمير المؤمنين عن كفايتهم ، فقال : فما لك من حاجة تذكرها لنفسك ؟ قال : مالي من حاجة دون عامة المسلمين !•



أما ظاهرة الميوعة والانحلال فهي من أقبح الظواهر التي تفشت بين أولاد المسلمين وبناتهم في هذا العصر الذي يُلقّب بالقرن العشرين ، فحيثما أجلت النظر تجد كثيراً من المراهقين والشباب والمراهقات والشابات •• قد انساقوا وراء التقليد الأعمى ، وانخرطوا في تيار الفساد والإباحية دون رادع من دين أو وازع من ضمير •• كأن الحياة في تصورهم عبارة عن متعة زائلة وشهوة هابطة ولذة محرمة •• فإذا مافاتهم هذا فعلى الدنيا السلام !! ••

وقد ظن بعض ذوي العقول الفارغة أن آية النهوض بالرقص الماجن ، وعلامة التقدم بالاختلاط الشائن ، ومقياس التجديد بالتقليد الأعمى، فهؤلاء قد انهزموا من نفوسهم ، وانهزموا من ذوات شخصياتهم وإرادتهم قبل أن ينهزموا في ميادين الكفاح والجهاد ••

فترى الواحد من هؤلاء ليس له هم في الحياة الا أن يتخنفس في مظهره، وأن يتخلّع في مشيته ، وأن يتميّع في منطقه ، وأن يبحث عن ساقطة مثله ليذبح رجولته عند قدمها ، ويقتل شخصيته في التودد اليها •• وهكذا يسير من فساد الى فساد ، ومن ميوعة الى ميوعة •• حتى يقع في نهاية المطاف في الهاوية التي فيها دماره وهلاكه •

ورحم الله من قال :

كــل مــن أهمــل ذاتيّتــه فهو أولى الناس طرّاً بالفناء
لن يرى في الدهر شخصيّتّه كل من قلّــد عيش الغرباء

ولاشك أن الرسول صلوات الله وسلامه عليه قد **وضع للآباء والأولياء والمربين جميعاً المنهج العملي ، والمبادىء الصحيحة في تربية الولد على الخلق القويم ، والشخصية الاسلامية المتميزة ..**

وإليكم اهم بنود هذا المنهج ، وأميز هاتيك المبادىء

١ ـ التحذير من التشبه والتقليد الأعمى :

ـ روى البخاري ومسلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « خالفوا المشركين : حفّوا الشارب ، واعفوا عن اللحى » ، وفي رواية لمسلم « جزّوا الشارب ، وارخوا اللحى ، وخالفوا المجوس » .

ـ وروى الترمذي عنه عليه الصلاة والسلام : « ليس منا من تشبّه بغيرنا ؛ لاتشبهوا باليهود ولا بالنصارى » .

ـ وفي رواية لأبي داود : « من تشبه بقوم فهو منهم » .

وروى الترمذي عنه عليه الصلاة والسلام : « لايكن أحدكم امّعَةً يقول : أنا مع الناس ، ان أحسن الناس أحسنت ، وان أساءوا أسأت ، ولكن وطنّوا أنفسكم ان أحسن الناس أن تحسنوا ، وان أساءوا أن تجتنبوا إساءتهم » .

وعليك ـ أيها القارىء ـ أن تميز بين أمرين فيما نأخذ من عند الاجانب وفيما ندع :

الاول ــ الجــواز . وذلك استمداد العلم المفيد ، والحضارة النافعة كعلم الطب ، والهندسة ، والفيزياء ، والكيمياء ، ووسائل الحرب ، وحقائق المادة ، وأسرار الذرة ••• وغيرها من الحضارات والعلوم النافعة لكونها تدخل في مفهوم قوله عليه الصلاة والسلام فيما رواه ابن ماجه : « طلب العلم فريضة على كل مسلم » ؛ وفي مضمون قوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه الترمذي والعسكري والقضاعي : « الحكمة ضالة كل حكيم ، فإذا وجدها فهو أحق بها » ، وفي عموم قوله تبارك وتعالى :

« واعدوا لهم ما استطعتم من قوة • • » •

(سورة الأنفال : ٦١)

الثاني ــ التحريم : وذلك في تقليد السلوك ، والأخلاق ، والعادات ، والتقاليد ، وجميع المظاهر الاجنبية عنا ، والأوضاع المنافية لخصائص أمتنا ، ومقومات أخلاقنا •• لكونها تؤدي الى فقدان الذات ، وذوبان الشخصية ، وهزيمــة الروح والارادة ، ونكسة الفضيلة والاخلاق ••

٢ ــ النهي عن الاستغراق في التنعم :

ــ في الصحيحين عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه كتب الــى المسلمين المقيمين في بلاد فارس : « إيّاكم والتنعّم وزيّ أهل الشرك » •

ــ وفي رواية للامام أحمــد : « ذروا التنعم وزيّ أهل العجم » •

ــ وروى الامام أحمد وأبو نعيم عن معاذ بن جبل رضي الله عنــه مرفوعاً : « اياكم والتنعم فإن عباد الله ليسوا بالمتنعمين » •

والمقصود بالتنعم هو الاستغراق الزائد في الملاذ والطيبات ، والتقلب الدائم في النعيم والترف •• ولايخفى ما في هذه الظاهرة من إخلاد للراحة ،

وتقاعس عن واجب الدعوة والجهاد ، وانزلاق في متاهات الميوعة والانحلال، وسبب لتفشي الاسقام والأمراض ..

٣ ــ النهي عن الاستماع الى الموسيقى والغناء الخليع :

ــ روى الإمام أحمد بن حنبل ، وأحمد بن منيع ، والحارث ابن أبي أسامة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ان الله عز وجل بعثني رحمة وهدى للعالمين ، وأمرني أن أمحق المزامير ، والمعازف ، والخمور ، والأوثان التي تعبد في الجاهلية » .

ــ وروى البخاري وأحمد وابن ماجه وغيرهم أنه صلى الله عليه وسلم قال : « ليكونَنّ في أمتي أقوام يستحلون الحِرَ[1] ، والحرير ، والخمر ، والمعازف » .

ــ وروى ابن عساكر في تاريخه ، وابن صَصْري في أماليه عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : « مَنْ قعد الى قَيْنَة يستمع منها صبّ الله في أذنيه الآنك[2] يوم القيامة » .

ــ وروى الترمذي عن أبي موسى رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من استمع الى صوت غناء لم يؤذن له أن يستمع الى صوت الروحانيين في الجنة » .

ولايخفى على كل ذي عقل وبصيرة مافي الاستماع الى هذه المحرمات من أثر على أخلاق الولد ، ومن جرّه الى الترهل والفجور والمنكر ، ومن انزلاقه في متاهات الشهوات والملذات !!..

---

(١) الحِرَ : الفرج ، والمراد به استحلال الزنا .
(٢) الآنك : الرصاص المذاب .

ولابد في المناسبة ان نذكر **كلمة عن حكم الاسلام في اقتناء الجهاز التلفزيوني،** ليكون الآباء على بينة وهدى من أمرهم ، وعلى علم في أمر حِلّه أو تحريمه:

« مما لاشك فيه أن اختراع هذه الوسائل الاعلامية من مذياع ، وتلفزيون ، وآلة تسجيل .. وغيرها تعد من أرقى ماوصل اليه العقل البشري في العصر الحديث ، بل من أعظم ماأنتجته الحضارة المادية في الوقت الحاضر ، وانها سلاح ذو حدين : تستعمل للخير ، وتستعمل للشر ، ولايختلف اثنان أن هذه الاختراعات المذكورة ان استخدمت في الخير ، ونشر العلم ، وتثبيت العقيدة الاسلامية ، وتدعيم الاخلاق الفاضلة ، وربط الجيل الحاضر بأمجاده وتاريخه ، وتوجيه الأمة الى مايصلحها في أمور دينها ودنياها .. فلا يختلف اثنان في جواز اقتنائها واستعمالها ، والاستفادة منها ، والاستماع اليها .. أما اذا استعملت لترسيخ الفساد والانحراف، ونشر الميوعة والانحلال، وتحويل الجيل الحاضر الى طريق غير الاسلام .. فلايشك عاقل منصف يؤمن بالله واليوم الآخر بحرمة استعمالها ، واثم اقتنائها ، ووزر من يستمع اليها .

ونحن لو تتبعنا برامج التلفزيون في بلادنا .. نجد أن أكثر هذه البرامج ترمي الى هدر الشرف ، وتوجه نحو الخنا والزنى ، وتشجع على السفور والاختلاط والإباحية ، والمفاسد الاجتماعية .. وقليل من برامجه مايهدف الى العلم ، ويوجه الى الخير .. واذا كان الأمر كذلك فان اقتناء التلفزيون ، والنظر اليه ، والاستماع الى برامجه الحالية ، يعد من أكبر الحرام ، وأعظم الإثم .

وإليكم الدليل على ذلك :

أ ــ أجمع العلماء والأئمة المجتهدون في كل العصور على أن مقاصد التشريع الاسلامي خمسة : حفظ الدين ، وحفظ العقل ، وحفظ النسب ،

وحفظ النفس ، وحفظ المال ، وقالوا : ان كل ماجاء في الشريعة الاسلامية من آيات قرآنية ، وأحاديث نبوية ترمي الى حفظ هذه الكليّات الخمس ، وباعتبار أن أكثر برامج التلفزيون الحالية من أغان ماجنة ، وتمثيليات خليعة، ودعايات مثيرة ، وأفلام فاسدة .. تستهدف هدر الشرف ، وضياع العرض ، والتشجيع على الزنى والفحشاء... فانه من المؤكد أن يحرّم الشرع النظر اليها ، والاستماع لها **لحفظ النسب والعرض ،** وبالتالي أن يُحرّم اقتناء الجهاز باعتبار أنه وسيلة الى النظر والسماع .

ب ـ روى مالك وابن ماجه والدارقطني عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لاضرر ولاضرار » ، وباعتبار أن التلفزيون ، يوجه في برامجه الى الميوعة والانحلال ، ويثير في المجتمع كوامن الغريزة والشهوة ـ كما هو مشاهد ـ فانه يحرم على المسلم أن يشتريه ، ويدخله بيته ، حفاظا على عقيدة الاسرة وأخلاقها وصحتها وقطعا لدابر الأضرار التي تنجم عنه ، وتطبيقا لحديث « لاضرر ولا ضرار ».

ح ـ إنّ أكثر البرامج الترفيهية التي تعرض على شاشة التلفزيون مصحوبة بالمعازف ، والغناء الخليع ، والرقص المصحوب بالخلاعة والتكشف. وباعتبار أن هذه الأمور محرمة ـ كما سبق بيانها ـ فيتبين من أدلة ماذكرنا أن اقتناء التلفزيون محرم لما يصحب البرامج الترفيهية من معازف وموسيقى، وغناء ماجن متميع ، ورقصات فاجرة داعرة ، وبالتالي كان النظر لهذه البرامج محرما كذلك لما لها من خطر كبير في تقويض دعائم التربية والأخلاق .. »[1].

---

(١) من نشرة صدرت باسم العلماء في «حكم الاسلام في اقتناء التلفزيون».
ومن اراد التوسع في هذا فليرجع الى كتابنا « حكم الاسلام في وسائل الاعلام » فإنّ فيه ما يشفي الغليل إن شاء الله .

٤ ــ النهى عن التخنث والتشبه بالنساء :

ــ فى الصحيحين عن سعيد بن المسيب قال : قدم معاوية المدينة ، فخطبنا ، وأخرج كبّة [١] من شعر فقال : ما كنت أرى أن أحداً يفعله الا اليهود ، انّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغه فسماه الزّور . وفى لفظ آخر لمسلم : ان معاوية رضى الله عنه قال ذات يوم : « انكم قد أحدثتم زى سوء ، وان النبى صلى الله عليه وسلم نهى عن الزور » .

ــ وروى البخارى وأبو داود والترمذى عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لعن الله المخنثين من الرجال ، والمترجلات من النساء » . وفى لفظ عند أحمد وأبى داود وابن ماجه : « لعن الله المتشبهات من النساء بالرجال ، والمتشبهين من الرجال بالنساء » .

ــ وروى أبو داود باسناد حسن عن على رضى الله عنه قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ حريرا فجعله فى يمينه وذهباً فجعله فى شماله ثم قال : « ان هذين حرام على ذكور أمتى » .

وروى الترمذى عن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « حُرّم لباس الحرير والذهب على ذكور أمتى ، وأحِلّ لاناثهم » .

فوضع الشعر المستعار ، ولبس الذهب والحرير للرجال ، وتشبه النساء بالرجال ، وتشبه الرجال بالنساء ، وخروج النساء كاسيات عاريات .. كل ذلك من مظاهر التخنث والميوعة ؛ وكل ذلك قتل للرجولة ، وامتهان للشخصية ، وطعنة نجلاء للفضيلة والأخلاق ، بل جرّ للأمة الى انحلال

---

(١) كبة : هى الشعر المكفوف بعضه على بعض ، وهو الشعر المستعار الذى يضعه بعض الرجال والنساء على رؤوسهم ، وهو ما يسمى « بالبروكة » اليوم .

فاجر ، واباحية ممقوتة ، ودفع بالمراهقين والشباب نحو الفســاد والميوعة ، ومساوىء الأخلاق ..

٥ ــ النهى عن السفور والتبرج والاختلاط والنظر الى المحرمات :

ــ قال الله تعالى فى سورة الأحزاب :

« يا أيهــا النبى قل لأزواجك وبناتك ونســاء المؤمنين يدنين عليهن مــن جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفورا رحيماً » .

وقال فى سورة النور :

« قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهــم ، ان الله خبير بما يصنعون ؛ وقل للمؤمنات يغضضن من أبصــارهن ويحفظــن فروجهن ولا يبــدين زينتهــن الا ما ظهر منهــا ، وليضربن بخمرهن (١) على جيوبهن ، ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن أو آبائهن .. » .

ولكن هل المرأة مأمورة شرعاً بستر وجهها ؟

● فلنستمع أولا : الى ما قاله علماء التفسير من الصــحابة والسلف في تفسير قوله تعالى :

« يا أيهــا النبى قل لأزواجك وبناتك ونســاء المؤمنين يدنين عليهن مــن جلابيبهن » ..

ــ يروى ابن جرير الطبرى عن ابن عباس رضى الله عنهما قوله : [أمر الله نساء المؤمنين اذا خرجن من بيوتهن فى حاجة أن يغطين وجوههن من فوق الجلابيب ويبدين عيناً واحدة] .

ــ ويروى ابن جرير عن ابن سيرين قوله : [سألت عبيدة بن الحارث الحضرمى عن قوله تعــالى : **« يدنين عليهن من جلابيبهن »** .. قال : « فقال بثوبه (أى مثل بثوبه) ، فغطى رأســه ووجهــه ، وأبرز ثوبه عن احدى عينيه] » .

ــ ويقول العلامة « أبو جرير الطبرى » فى تفسير هــذه الآية :

---

(١) الخمار : هو ما يستر الرأس والنحر والعنق .

« يا أيهـا النبى قل لأزواجك وبناتك ونســاء المؤمنين يدنين عليهن مـن جلابيبهن .. » . الآية :

[لا تتشبهن بالاماء فى لباســهن اذا هن خرجن مـن بيوتهن لحاجتهن ، فكشفن شعورهن ووجوههن ، ولكن يدنين عليهن من جلابيبهن لئلا يعرض فاسق اذا علم أنهن حرائر بأذى من قول] .

ـ ويكتب العلامة « أبو بكر الجصاص » فيقول : [فى هذه الآية دلالة على أن المرأة الشابة مأمورة بســتر وجهها عن الأجنبين ، واظهــار الستـر والعفاف عند الخروج لئلا يطمع أهل الريب (الفساق) فيهن] .

ـ ويكتب القــاضى « البيضــاوى » فى تفســيره لقــوله تعــالى : **« ... يدنين عليهن من جلابيبهن .. »** [أى يغطين وجوههن وأبدانهن بملاحفهن اذا برزن لحاجة] .

ـ وعن العلامة « النيسابورى » فى تفسير هذه الآية :

« يدنين عليهن من جلابيبهن » ..

[كانت النساء فى أول الاسلام على عادتهن فى الجاهلية مبتذلات يبرزن فى درع وخمار من غير فصل بين الحرة والأمة ، فأمرن بلبس الأردية ، وستر الرأس والوجوه] .

يتضح من هذه الأقوال أن الصحابة رضوان الله عليهم ، وجميعهم أهــل التفسير والعــلم متفقون على أن المــرأة المســلمة مأمــورة بمقتضى آية : **« يدنين عليهن من جلابيبهن » ..** بارتداء الجلبــاب وســتر وجههــا عن الأجانب .

● ولنستمع ثانياً : الى ما صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن نساء الصحابة فى مسألة ستر المرأة المسلمة وجهها :

ـ جاء فى ســنن أبى داود والترمذى والموطأ للامام مالك .. أن النبى صلى الله عليه وسلم أمر المحرمة فى الحج أن لا تنتقب ولا تلبس القفازين ،

يروى أبو داود : « ونهى النبى صلى الله عليه وسلم النساء فى احرامهن عن القفازين والنقاب [1] » .

وهذا صريح الدلالة على أن النساء فى عهد النبوة قد تعودت الانتقاب (الذى هوستر الوجه) ، ولبس القفازين عامة ، فنهين عنه فى الاحرام ؛ وهذا ليس على اطلاقه كما دلت عليه الأحاديث التى ستأتى ذكرها الآن .

ـ ففى سنن أبى داود عن عائشة رضى الله عنها قالت : [كان الركبان يمرون بنا ونحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم محرمات ، فاذا جازوا بنا سَدلَتْ احدانا (أى غطت) جلبابها من رأسها على وجهها ، فاذا جاوزونا كشفناه] .

ـ وفى الموطأ للامام مالك ، عن فاطمة بنت المنذر قالت : [كنا نخمر وجوهنا (أى نغطيها) ونحن محرمات ، ونحن مع أسماء بنت أبى بكر الصديق ، فلا تنكره علينا] .

ـ وقد ورد فى فتح البارى عن عائشة رضى الله عنها : [تسدل المرأة جلبابها من فوق رأسها على وجهها] .

ـ وثبت فى الصحاح أن امرأة مسلمة كانت تقضى بعض شؤونها فى سوق بنى قينقاع وكانت محجبة ، فاعترضها رجل من اليهود وسخر منها ومن حجابها ، ثم أراد منها اللعين أن يجبرها على كشف وجهها ، ولكنها رفضت واستغاثت ، فكر على اليهودى رجل من المسلمين فقتله جزاء ما اقترفت يداه الآثمتان !!.

يتضح من هذه الأحاديث الصحيحة أن نساء الرسول صلى الله عليه وسلم ونساء الصحابة .. كن يسترن وجوههن اذا خرجن فى بعض حوائجهن ولو كن محرمات .. اعتقاداً منهن أن الستر واجب أمر به الشرع الحنيف .

---

(١) النقاب : ستر الوجه ، القفازان : ستر اليدين بالكفوف .

● **ولنستمع ثالثاً : الى ما قاله الأئمة المجتهدون الثقات فى قضية كشف وجه المرأة :**

ذهب جمهـــور الأئمـة المجتهـدين الأعـلام ، وعلى رأســهم : **الشافعى ، وأحمد ، ومالك ..** الى أن وجه المـرأة عورة ، وأن ستره واجب ، وأن كشفه حرام ، وحجتهم فى ذلك ما ثبت عن الصحابة والسلف فى أن الآية : « **يدنين عليهن من جلابيبهن** » .. تأمر بستر الوجه ، ويؤكد ذلك فعل نساء الصحابة اللواتى كن يخرجن لبعض شؤونهن وهن ساترات الوجـوه ، سادلات النقـاب ، وتفسـير الصـحابة والتـابعين الآيـة : « **يدنين عليهن من جلابيبهن** » .. التى سبق شرحها وتفسيرها .

وقد جاء ذكر ذلك بالأدلة التفصيلية القاطعة .

أما فقهاء الحنفية ومن رأى رأيهم فقد ذهبوا الى أن وجه المرأة ليس بعوره ،

وأن كشفه يجوز اذا لم يترتب على الكشف فتنة ، وأما اذا ترتب فتنـة فان كشفه حرام سداً للذريعة ، ودرعاً للمفسدة .

ولعل أظهر الأدلة التى احتجوا بها على دعم مذهبهم هى :

ــ حديث الفضل بن عباس الذى كان رديف النبى صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع ، وقد مرَّ بجانبه نساء مُحرِمات ، فطفق الفضل ينظر اليهن ، فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده على وجه الفضل ، فحوّل الفضل وجهه الى الشق الآخر ..

والحديث صحيح رواه مسلم وأبو داود وابن ماجه .. ووجه استدلالهم: لو أن وجه المرأة عورة لما كشف النساء وجوههن ، ولما نظر الفضلُ اليهن ..

ــ وحديث أسماء بنت أبى بكر رضى الله عنهما : حدثنـا الوليـد عن سعيد بن بشير عن قتادة عن خالد بن دريك عن عائشـة رضى الله عنهـا أن أسماء بنت أبى بكر دخلت على النبى صلى الله عليه وسلم وعليها ثياب رقاق، فأعرض عنها وقال : « يا أسماء : ان المـرأة اذا بلغت المحيض (أى سـن

البلوغ) لم يصلح أن يرى منها الا هذا وهذا » وأشار عليه الصلاة والسلام الى وجهه وكفيه •

ولكن جمهور الفقهاء أجابوا على الحديثين المذكورين بما يلى :

أولا : ان حديث « الفضل بن عباس » ليس فيه دليل على جواز كشف الوجه للمرأة أمام الأجنبى ، لأن النساء اللواتى نظر الفضل اليهن كن محرمات فى الحج ، ويجوز للمرأة المحرمة كشف وجهها ما لم يترتب على كشف وجهها فتنة ، لأن احرام المرأة كشف وجهها ويديها للحديث الذى سبق ذكره : « لا تنتقب المرأة ، ولا تلبس القفازين » ومفاد الحديث أنها فى حال غير الاحرام تنتقب ، وتلبس القفازين •

ثانياً : انحديث أسماء الذى استدلوا به على جواز كشف الوجه مرسل ؛ ومعنى الارسال : انقطاع السند •

يقول « ابن كثير » فى تفسيره جـ ٣ ص : (٢٨٣) : [قال أبو داود وأبو حاتم الرازى هو (أى حديث أسماء) مرسل ؛ خالد بن دريك لم يسمع من عائشة رضى الله عنهما] •

وكثير من أهل العلم يحكمون على الحديث المرسل بالضعف ، واذا كان الحديث ضعيفاً لم ينهض حجة على الاستدلال ، ولم يعتبر بحال فى استنباط الأحكام •

ويتضح مما قاله الأئمة المجتهدون أن وجه المرأة عورة ، وأن ستره واجب، وأن كشفه حرام ، حتى فقهاء الحنفية الذين ذهبوا الى جواز الكشف فانهم قيدوه بأمن الفتنة ••

وهل أحد من الناس ينكر اشاعة الفساد والفتنة فى المجتمع الذى تتخبط فيه ، وفى المحيط الذى تتعايش معه ؟ ، فاذا كان الأمر كذلك فعلى الأب الغيور أن يأمر أهله وبناته بأن يسدلن على وجوههن امتثالا لأمر الله سبحانه

وأمر رسوله عليه الصلاة والسلام •• وتأسيا بنساء الصحابة الصينات الطهارات ، واتباعاً لما قرره الأئمة المجتهدون الثقات •• والمسلم ــ أيها المربى ــ عليه أن يحتاط لدينه وعرضه ، وأن يأخذ دائماً بجانب الأتقى والأورع •• ان أراد أن يكون يوم القيامة مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً •

أما ورد فى النهى عن التبرج واظهار محاسن المرأة فهو ما يلى :

ــ روى مسلم فى صحيحه عنأبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « صنفان من أهل النار لم أرهما : قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس ، ونساء كاسيات عاريات ، مائلات [1] مميلات ، رؤوسهن كأسنمة [2] البُخت المائلة ، لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها ، وان ريحها ليوجد من مسيرة خمسمائة عام » •

ــ قال تعالى :

« وقَرْنَ فى بيوتكن ولا تبرجْن تبرج الجاهلية الأولى ••• »

(الأحزاب : ٣٣)

ــ وقال سبحانه :

« والقواعد من النساء اللاتى لا يرجون نكاحاً فليس عليهن جُناح أن يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينة وأن يستعففن خير لهن والله سميع عليم » •

(سورة النور : ٥٩)

أما ما ثبت فى النهى عن الاختلاط بين الجنسين فهو ما يلى :

---

(١) مائلات : أى مميلات فى مشيتهن ، ومميلات لقلوب الرجال باثارتهن وخلاعتهن .

(٢) المراد انهن يصففن الشعور فوق الراس حتى تبدو كأنها سنام الجمل.

قال الله تعالى :

« قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ... وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ... »

(سورة النور : ٣٠)

فكيف تتصور غض البصر لكل من الرجل والمرأة وهما مجتمعان ، مكان واحد ، فالآية اذن فى مدلولها تنهى عن الاختلاط وتحرمه .

ـ وقال أيضاً فى آية أخرى :

« واذا سألتموهن متاعاً فاسألوهن من وراء حجاب ذلك أطهر لقلوبكم وقلوبهن » .

(سورة الأحزاب : ٥٣)

ـ وروى الترمذى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لا يخلون رجل وامرأة الا كان الشيطان ثالثهما » .

ـ وجاء فى الصحيحين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « اياكم والدخول على النساء ، فقال رجل يارسول الله : أفرأيت الحمو (أى قريب الزوج) ؟ قال : الحمو الموت » .

ـ وجاء فى الصحيحين أيضاً عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا يخلون أحدكم بامرأة الا مع ذى محرم » .

أما ما ورد فى تحريم النظر الى المرأة الأجنبية فهو ما يلى :

ـ قال تعالى فى سورة النور :

« قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ... » .

ـ وقال فى سورة الاسراء :

« ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا » .

وروى مسلم عن جرير رضى الله عنه قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نظر الفجأة فقال : « اصرف بصرك » .

ـ وروى أبو داود والترمذي عن أم سلمة رضي عنها قالت : كنت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعنده ميمونة ، فأقبل ابن أم مكتوم ، وذلك بعد أن أمرنا بالحجاب ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « احتجبا منه ، فقلنا : يارسول الله أليس هو أعمى : لايبصرنا ، ولايعرفنا ؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أفعمياوان أنتما ، ألستما تبصرانه !؟٠

ـ وروى البخاري ومسلم عن أبي سعيد رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « اياكم والجلوس في الطرقات ! » قالوا يارسول الله مالنا من مجالسنا بُدّ : نتحدث فيها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « فإذا أبيتم الا المجلس فأعطوا الطريق حقه » ، قالوا : وما حقّ الطريق يارسول الله ؟ قال « غضّ البصر ، وكف الاذى ، ورد السلام ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر » ٠

فمن المعلوم بداهة أن المجتمعات الانسانية بأسرها ، والأمم البشرية برمتها ٠٠ بشيبها وشبابها ، ورجالها ونسائها ، وحكامها ومحكوميها ٠٠ حينما تأخذ بهذه المبادىء الخالدة ، وتسير على هذه المفاهيم القيمة ، وتبتعد عن كل ما يؤذي الفضيلة والأخلاق من سفور ، وتبرج ، واختلاط ، ونظر الى المحرمات ٠٠ فلا شك أن هذه المجتمعات والأمم ترفل في رياض الطهر والفضيلة ، وترتع في ظلال الامن والاستقرار ، وتصل الى ذروة المجد والسعادة ٠٠ لأنها سارت في الطريق الذي خطه الله لها ، وطبقت المنهج الذي فرضه الاسلام عليها ، وصدق الله العظيم القائل :

« وان هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ، ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون » ٠

(سورة الأنعام : ١٥٣)

وهذا ماتحقق لأمتنا الاسلامية في كل العصور التاريخية عبر

القرون •• وما ذاك الا بفضل التعاليم القرآنية التي أنزلها الله لتكون للعالمين بشيراً ونذيراً وللأجيال المتعاقبة هدىً ونوراً ••

وصدق الله العظيم القائل في محكم تنزيله :

« إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً كبيراً » •

(سورة الاسراء : ٩)



تلكم — أيها الآباء والمربون — **اهم القواعد التربوية ، والمناهج العملية** التي وضعها الاسلام لسلامة أخلاق الولد ، وتنمية شخصيته المتميزة ، وتعويده على الجدّية والرجولة ومكارم الأخلاق •• فما عليكم الا أن تربوا أبناءكم عليها ، وتأخذوا بتوجيهاتها وارشاداتها •• **حتى ينشؤوا على الفضائل** الخلقية ، والمكارم الذاتية ، والآداب الاجتماعية •• ويكونوا شامة في الناس. وهل هناك مبادىء تربوية في تربية شخصية الولد ، وإعداده لمسؤوليات الحياة مثل هذه المبادىء التي وضعها الاسلام ، وشرعها الرسول عليه الصلاة والسلام ؟

ومن الذي يقول إنّ الإغراق في التنعم ، والتقلب في الرفاهية لايضر بشخصية الولد ؟

ومن الذي يقول إنّ الاسترسال وراء الشهوات والملذات لا يضر بشخصية الولد ؟

ومن الذي يقول إنّ الاستماع الى الأغاني الخليعة ، والموسيقى الراقصة المثيرة لايضر بشخصية الولد ؟

ومن الذي يقول إنّ ظاهرة السفور والتبرج والاختلاط لاتضر بشخصية الـولـد ؟

ومن الذي يقول إنّ التخنث والتشبه بالنساء ، والتميع بالكلام لايضر بشخصية الولـد ؟

ان رجالات التربية ، وعلماء النفس والاخلاق كادوا يكونون مجمعين على أن هذه الظواهر من أفتـك الأوبئـة في إضعـاف الذاكرة ، وتحطيـم الشخصية ، وتمييع الخلق ، وقتل الرجولة ، ونشر الأمراض ، والقضـاء على فضيلة الشرف والعفاف ..

ــ يقول الدكتور « ألكس كارليل » في كتابه «الانسان ذلك المجهول»: (عندما تتحرك الغريزة الجنسية لدى الانسان تفرز نوعاً من المادة التـي تتسرب بالدم الى دماغه وتخدّره ، فلا يعود قادراً على التفكير الصافي) .

ــ وذكر « جورج بالوشي » في كتابه « الثورة الجنسية » مايلي : (وفي سنة ١٩٦٢ صرح « كنيدي » بأن مستقبل أمريكا في خطر لأن شبابها مائع منحلّ غارق في الشهوات لايقدر المسؤولية الملقاة على عاتقه ، وان من بين كل سبعة شبان يتقدمون للتجنيد يوجـد ستـة غير صالحين ، لأن الشهوات التي أغرقوا فيها أفسدت لياقتهم الطبية والنفسية) .

ــ ونقلت جريدة الاحد اللبنانية في العدد ذي الرقم (٦٥٠) عن المربية الاجتماعية«مرغريت سميث»حديثاً قالت فيه : (ان الطالبة فيالمدرسةوالجامعة لا تفكر إلا بعواطفها والوسائل التي تتجاوب مع هـذه العاطفة . ان أكثر من ستين بالمئة من الطالبات سقطن في الامتحانات ، وتعود أسباب الفشل الى أنهن يفكرن في الجنس أكثر من دروسهن وحتى مستقبلهن ...) .

فما على المسؤولين من آباء ومربين ! الا أن يبعدوا أولادهم عن كل مظاهر التميع والانحلال ، وأن يسعوا جهدهم لكــي يغرســوا في نفوسهم أنبل معاني الكرامة والشخصية والخلق العظيم !!..

★ ★ ★

وأخيــراً علينــا ألاّ نغفــل **دور المراقبة الدقيقة والمسؤولية الكبيرة** في تقويم أخلاق الولد ، واصلاح نفسه ، وتنمية شخصيته .. "

ولو أردنا أن نفتش عن الأسباب التي تؤدي الى انحلال الولد خلقياً ، وانحرافه سلوكياً لوجدناها متحققة في إغفال مراقبة الآباء لأبنائهم ، والتخلي عن تربيتهم وتوجيههم ..

وإليكم بعض الأسباب في انحراف الولد الخلقي، وانحلاله السلوكي :

● فالأب الذي يرخي لأولاده العنان في أن يخالطوا من قرناء السوء ، ورفقاء الشر ماشاءوا وما أرادوا دونما سؤال ولا رقيب ، فلا شك أن الاولاد سيتأثــرون بمخالطتهم ، ويكتسبون الكثير مــن انحرافاتهم ، وســوء أخــلاقــهم ..

● والأب الذي يسمح لأولاده أن يشاهدوا الافلام الغرامية التــي توجه الى الميوعة والانحلال ، والافلام البوليسية التي تحض على الانحراف والاجرام ، وهي بتأثيرها تفسد الكبار فضلا عن الصغار .. لاشك أن هذا الأب يقذف بأولاده — من حيث يشعر أو لايشعر — الى هاوية سحيقة ستؤدي بهم حتماً الى هلاك محقق ، ودمار محتوم .

● والأب الذي يترك المجال لأولاده ليروا من شاشة التلفزيون المناظر

المثيرة ، والتمثيليات الماجنة ، والدعايات الفاجرة .. لاشك أن الاولاد سيتربون على الميوعة ، ويدرجون على الانحلال ، ويفقدون في نفوسهم أنبل معاني الرجولة والنخوة ، والأدب الإسلامي الكريم .

● والأب الذي يسمح لأولاده بشراء المجلات الماجنة ، ومطالعة القصص الغرامية ، واقتناء الصور العارية .. لاشك أن الاولاد سيسيرون في طريق الفحشاء والمنكر ، ويتلقنون دروس الصداقات المشبوهة ، والارتباطات الجنسية الآثمة ..

● والأب الذي يتساهل في حجاب أهله وبناته ، ويتغاضى عن سفورهن وتبرجهن ، ويتغافل عن مصاحبتهن ومخالطتهن ، ويفسح لهن المجال في أن يخرجن بالأزياء المغرية ، والعورات المكشوفة .. لاشك في أن هؤلاء البنات سيعتدن حياة الفجور والمنكر ، ويقعن في حبائل الغواية والفسوق .. وربما آل الأمر في نهاية المطاف الى انتهاك العرض ، وتلويث الشرف ، وهدر العفاف .. وعندئذ لاينفع الندم ولا البكاء .

أتبكي على لبنى وأنت قتلْتَها

لقد ذهبت لُبْنى فما أنت صانع ؟

● والأب الذي لايراقب أولاده وبناته وقت ذهابهم الى المدرسة أو رجوعهم منها ، فلا شك أن الاولاد يجدون من الإهمال مايدفعهم الى ارتياد الأماكن الموبوءة بحجة المدرسة ، وكم سمعنا عن بنات وقعن في حبائل الفاحشة والزنى ، وأصبحن مدنسات السمعة والشرف ، والأسرة لم تعلم بهذا الا بعد الافتضاح ، وظهور معالم الجريمة ؟!..

● والأب الذي لايلقي نظرة الى مكتبة أولاده ، ولايرقبهم وهم مكبّون

على مكاتب الاجتهاد .. فلا شك أن الأولاد إن كانوا سائرين في طريق الانحراف سيجدون أنفسهم مسوقين الى أن يقتنوا من الصور العارية ما شاءوا ، وأن يقرؤوا من المجلات الماجنة ما أرادوا ، وأن يسطروا من الرسائل لعشيقاتهم ماأحبوا .. دونما سؤال من رقيب ، أو محاسبة من وليّ !!..

فلا شك أن الأولاد ـ وهم على هذه الحالة ـ سيسيرون تدريجياً في طريق الميوعة والانحلال دونما وازع من دين ، أو محاسبة من ضمير .. فيصعب عندئذ ردّهم واصلاحهم ومعالجتهم !!..

★ ★ ★

ومن المبادىء الخلقية التي يجب على الآباء والمربين أن يهتموا لها ، ويحرصوا عليها ، وينشّؤوا أبناءهم على التحقق بها والتزامها **هي تعويدهم على حسن الخلق ، وحسن الملاطفة والمعاملة للآخرين .**

واليكم ـ أيها الآباء والأولياء ـ جملة من أحاديث الرسول صلوات الله وسلامه عليه توجه الى أفضل المكارم ، وأحسن الأخلاق ، وأقوم المعاملة :

ـ أخرج الإمام أحمد ، والحاكم ، والبيهقي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « انما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » .

ـ وأخرج ابن مردويه بسند حسن أن رجلا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حسن الخلق ، فتلا قوله تعالى :

« خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين » .

ثم قال صلى الله عليه وسلم : « هو أن تصل من قطعك ، وتُعْطي من حرمك ، وتعفو عمن ظَلَمَك » .

ــ وأخرج أبو داود والترمذي عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أثقل مايوضع في الميزان يوم القيامة تقوى الله وحسن الخلق » .

ــ وأخرج الترمذي عن أبي ذر رضي الله عنه قال : قال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم أوصني فقال : « اتق الله حيثما كنت ، قال : زدني ، قال : أتبعِ السيئة الحسنةَ تَمْحُها ، قال : زدني ، قال : خالقِ الناسَ بخلُق حسن » .

ــ وأخرج أبو داود والترمذي وغيرهما عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أكملُ المؤمنين إيماناً أحسنُهم خلقاً » .

ــ وأخرج محمد بن نصر المروزي أن رجلا جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين يديه ، فقال : يارسول الله ماالدين ؟ قال : « حسن الخلق » ، فأتاه من قبل يمينه ، فقال يارسول الله ماالدين ؟ قال : « حسن الخلق » ، ثم أتاه من قبل شماله ، فقال : ماالدين ؟ فقال : « حسن الخلق » ، ثم أتاه من ورائه فقال : يارسول الله ما الدين ؟ فالتفت اليه وقال : « أما تفقه ؟ هو أن لاتغضب » .

هذا فيض من فيض مما وجه اليه رسول الاسلام صلوات الله وسلامه عليه في الملاطفة الاجتماعية ، والآداب السلوكية ، وحسن التعامل والخلق ..

فما على الآباء والمربين الا أن يتحققوا بها ، ويقيموا أنفسهم عليها ، ليعطوا القدوة الحسنة ، والأسوة الطيبة لكل من يلوذ بهم من أهل وولد ؛ ثم عليهم بالتالي أن يلقنوا أولادهم هذه الآداب السلوكية ، والملاطفة الاجتماعية .. حتى يعفوا عمن ظلمهم ، ويصلوا من قطعهم ، ويعطوا من

حرمهم ، ويحسنوا الى من أساء اليهم ، وحتى يكونوا كذلك شامة في الناس، وملائكة يمشون على الأرض .. وما ذاك الا تنفيذ قول الله تبارك وتعالى :

((خذ العفو وامر بالعرف وأعرض عن الجاهلين)) .

(سورة الأعراف : ١٩٩)

وقوله :

((ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن ، فإذا الذيبينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم)) .

(سورة فصلت : ٣٥)

وقوله :

((والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين)) .

(سورة آل عمران : ١٣٥)

وان شاء الله في بحثنا عن مسؤولية التربية النفسية ، والتربيةالاجتماعية فسنفصل القول في الفضائل النفسية والخلقية التي يجب أن يتحلى بها الولد ، وسيجد القارىء مايشفي الغليل ، ويروي الظمأ ..

فيا أيها الاباء والاولياء والمربون :

بعد الذي علمتموه من اهتمام الرسول صلوات الله عليه وسلامه من الناحية الخلقية في تربية أولادكم .

وبعد الذي عرفتموه من أن الاخلاق ثمرة من ثمرات الايمان الراسخ في تقويم اعوجاج أبنائكم .

وبعد الذي قرأتموه من الظواهر القبيحة التي يجب أن يبتعد عنها أفلاذ أكبادكم .

وبعد الذي سمعتموه من وصايا الرسول صلى الله عليه وسلم في حسن الخلق ، وطيب المعاملة .

بعد كل هذا .. فليس أمامكم من سبيل الا أن تعقدوا العزم وتشحذوا الهمة .. لتقوموا بواجبكم الأكمل تجاه من لهم عليكم حق التربية والتعليم والرعاية ..

واعلموا أنكم إن قصرتم في حق أولادكم وتلامذتكم **من الناحية الخلقية،**

فإن مَنْ لهم عليكم حق التربية سينشؤون ــ لاشك ــ على الميوعة والانحلال، ويتربون على الفساد وسوء الخلق .. وعندئذ يصبحون خطراً على الامن والاستقرار ، ويكونون أداة هدم وتخريب لكيان المجتمع .. بل أبناء المجتمع يستجيرون من أعمالهم الإجرامية ، ومفاسدهم الخلقية والاجتماعية ..

فراقبوا الله في أولادكم، وأدوا ماعليكم من واجب، وابذلوا مااستطعتم من جهد ، واضطلعوا بما حُملتم من مسؤولية ؛ فإن أديتم الامانة على الوجه الصحيح فسوف ترون أولادكم رياحين في البيت لها عبيق وأريج ، وبدوراً في المجتمع لها نور وضياء ، وملائكة على الأرض يمشون هادين مطمئنين .

« وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون » .



الفصل الثالث

٣ـ مَسْؤوليّة التربيةِ الجِسْميّة

ومن المسؤوليات الكبرى التي أوجبها الاسلام على المربين من آباء وأمهات ومعلمين ... مسؤولية التربية الجسمية ، لينشأ الأولاد على خير ماينشؤون عليه من قوة الجسم ، وسلامة البدن ، ومظاهر الصحة والحيوية والنشاط ..

وإليكم ـ أيها المربون ـ المنهج العملي الذي رسمه الاسلام في تربية الأولاد الجسمية ، لتعلموا ضخامة الأمانة الملقاة على عاتقكم ، ومعالم هذه المسؤولية التي أوجبها الله عليكم :

١ ـ وجوب النفقة على الأهل والولد :

لقوله تبارك وتعالى :

« وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف » .

(سورة البقرة : ٢٣٣)

ولقوله عليه الصلاة والسلام في الحديث الذي رواه مسلم : « دينار أنفقته في سبيل الله ، ودينار أنفقته في رقبة[1] ، ودينار تصدقت به على

---

(١) في رقبة : اي في اعتاق عبد او امة .

مسكين، ودينار أنفقته على أهلك ... أعظمها أجراً الذي أنفقته على أهلك».

واذا كان للأب الأجر والمثوبة في التوسعة على الأهل ، والإنفاق على العيال .. فإن عليه بالتالي الوزر والاثم اذا أمسك عن الانفاق ، وقتّر على الاهل والاولاد وهو مستطيع ؛ اسمعوا الى مايقوله عليه الصلاة والسلام في حق المضيّعين لعيالهم ، والمتمسكين عن نفقة أهلهم وأولادهم ، وذلك في الحديث الذي رواه أبو داود وغيره : « كفى بالمرء اثماً أن يضيّع من يقوت » ، وفي رواية لمسلم : « كفى بالمرء اثماً أن يحبس عمّن يملك قوته » .

ومن النفقة على العيال تهيئة الأب لأهله وعياله الغذاء الصالح ،والمسكن الصالح ، والكساء الصالح .. حتى لاتتعرض أجسامهم للأسقام ، وتنهك أبدانهم الأوبئة والامراض .

٢ ـ اتباع القواعد الصحية في المأكل والمشرب والنوم :

لتصبح لدى الاولاد عادة وخلقا .

فمن هديه عليه الصلاة والسلام في **الطعام** الاحتماء من التخمة ، والنهي عن الزيادة في الأكل والشرب على قدر الحاجة .. روى الإمام أحمد والترمذي وغيرهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ماملأ آدمي وعاءً شرّاً من بطنه ، بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه ، فإن كان لابد فاعلاً ، فثلث لطعامه ، وثلث لشرابه ، وثلث لنفسه » .

ومن هديه صلوات الله وسلامه عليه **في الشراب :** الشرب مثنى وثلاث ، والنهي عن التنفس في الإناء ، والشراب قائماً ..

روى الترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله

صلى الله عليه وسلم : « لاتشربوا واحداً كشرب البعير ، ولكن اشربوا مثنى وثلاث ، وسمّوا اذا أنتم شربتم ، واحمدوا اذا أنتم رفعتم » .

وفي الصحيحين عن أبي قتادة أن النبي صلى الله عليه وسلم : « نهى أن يتنفّس في الإناء » . وفي رواية للترمذي : « نهى أن يتنفس في الاناء أو ينفخ فيه » .

وروى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لايشربنّ أحدكم قائماً ، فمن نسي فليستقىء » .

ومن هديه صلى الله عليه وسلم في النوم ، النوم على الجانب الأيمن، لأن النوم على الجانب الأيسر يضر بالقلب ، ويعيق التنفس .. روى البخاري ومسلم عن البراء بن عازب رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اذا أتيت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة ، ثم اضطجع على شقك الأيمن ، وقل : « اللهم أسلمت نفسي اليك ، ووجهت وجهي اليك ، وفوضتُ أمري اليك ، وألجأت ظهري اليك ، رغبة ورهبة اليك ، لاملجأ ولامنجا إلا إليك ، آمنت بكتابك الذي أنزلت ، ونبيك الذي أرسلت ، واجعلهن آخر ماتقول » .

٣ ـ التحرز من الأمراض السارية المعدية :

للأحاديث التالية :

ـ روى مسلم وابن ماجه وغيرهما من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أنه كان في وفد ثقيف رجل مجذوم ، فأرسل اليه النبي صلى الله عليه وسلم : ارجع فقد بايعناك .

ـ وروى البخاري في صحيحه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « فرّ من المجذوم فرارك من الأسد » .

ـ وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لايوردنّ ممرِض على مُصحٍّ » .

لذا كان لزاماً على المربين ـ ولاسيما الأمهات ـ اذا أصيب أحد أولادهم بمرض مُعْدٍ أن يعزلوه عن بقية الاولاد ، حتى لاينتشر المرض ، ويستفحل الوباء .. فما أعظم هذا الهدي النبوي في تربية الاجسام ،والحفاظ على صحة الابدان !!..

٤ ـ معالجة المرض بالتداوي :

لما للتداوي من أثر كبير في دفع البلاء ، وتحقيق الشفاء ..

ولقد جاء الأمر بالتداوي في أحاديث كثيرة ، نجتزىء منها مايلي :

ـ روى مسلم وأحمد وغيرهما عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لكل داء دواء ، فإذا أصاب الدواء الداء برأ باذ ن الله عز وجل » .

ـ وفي مسند الإمام أحمد ، وفي النسائي ، وغيرهما عن أسامة بن شريك قال : « كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم ، وجاءت الأعراب ، فقالوا : يارسول الله أنتداوى ؟ فقال : نعم ياعباد الله تداوَوْا ، فإن الله عز وجل لم يضع داء الاوضع له شفاء ، غير داء واحد ، قالوا : ماهو ؟ قال : الهرم » .

ـ وروى الامام أحمد والترمذي وغيرهما عن أبي هريرة رضي الله

عنه قال : « قلت : يارسول الله ، أرأيت رقىً نسترقيها ، ودواء نتداوى به ، وتقاةً نتقيها هل تردّ من قدر الله شيئاً ؟ فقال عليه الصلاة والسلام : هي من قَدَر الله » .

فما على الآباء والمربين الا أن يأخذوا بتوجيهات النبي صلى الله عليه وسلم في شأن الاهتمام بأولادهم حين يصابون ، وبمعالجتهم حين يمرضون.. لأن الأخذ بالاسباب والمسببات من مقتضيات الفطرة ، ومن صميم مبادىء الاسلام !!..

٥ ــ تطبيق مبدأ لا ضرر ولا ضرار :

لما روى مالك ، وابن ماجه ، والدارقطني عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لاضرر ولاضرار » .

فهذا الحديث الشريف عدّه الفقهاء والأصوليون قاعدة شرعية من أهم القواعد التي قررها الاسلام ، وينبني عليها أمور كثيرة في الحفاظ على كيان الفرد والمجتمع ، وفي دفع الضرر عن الناس ..

وبناء على هذه القاعدة وجب على المربين ولاسيما الأمهات أن يرشدوا أولادهم الى التقيد بالتعاليم الصحية ، والوسائل الوقائية في الحفاظ على صحة الولد ، وتنمية قوته الجسدية .. وعليهم كذلك أن يستعينوا بالمختصين فيما يجب اتخاذه لوقاية الجسم من الآفات المرضية ، والأمراض السارية ..

ــ فإذا كان أكل الفواكه فجّة تؤذي الجسم ، وتسبب المرض .. فعلى المربين أن يرشدوا الاولاد الى أن يعتادوا أكل الفواكه ناضجة .

ــ واذا كان أكل الخضار والثمار قبل غسلها يؤدي الى آفات مرضية..

فعلى المربين أن يرشدوا الاولاد الى أن يعتادوا أكل الخضار والثمار بعـد غسـلها .

ـ واذا كان ادخال الطعام على الطعام يسبب أمراضاً في المعـدة وفي جهاز التنفس وجهاز الهضم .. فعلى المربين أن يرشدوا الأولاد إلى أن يعتادوا الطعام في أوقات مخصوصة .

ـ واذا كان تناول الطعام باليدين قبل غسلهما يؤدي الى انتشـار المرض ، فعلى المربين أن يرشدوا الأولاد الى تطبيق هدي الاسلام في غسل اليدين قبل الطعام وبعده ..

ـ واذا كا نالنفخ في الإناء وفي الملعقة يؤدي الى أضرار جسمية ، فعلى المربين أن يمنعوا أولادهم عن هذه العادة المؤذية ..

وهكذا ، حينما يأخذ المربون بمثل هذه التعليمات الطبية ، ويعوّدوا أولادهم على التقيد بهذه الارشادات الصحية .. فلا شك أن الأولاد ينشؤون على الصحة الكاملة ، ويترعرعون على سلامة الجسم ، وقـوة البدن ، وظاهرة الحيوية والنشاط !!..

٦ ـ تعويد الولد على ممارسة الرياضة وألعاب الفروسية :

تحقيقاً لقوله تبارك وتعالى :

« واعدوا لهم ما استطعتم من قوة .. » .

(سورة الأنفال : ٦٠)

وتنفيذاً لأمره عليه الصلاة والسلام في الحديث الذي رواه مسلم : « المؤمن القوي خير وأحب الى الله من المؤمن الضعيف .. » .

ومن أجل هذا دعا الاسلام الى **تعليم السباحة والرمي وركوب الخيل** ، وذلك في التوجيهات النبوية التالية :

ــ رواه الطبراني بإسناد جيد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « كل شيء ليس من ذكر الله فهو لهو أو سهو الا أربع خصال : مشي الرجل بين الغرضين (للرمي) ، وتأديبه فرسه ، وملاعبته أهله ، وتعليمه السباحة » .

ــ وروى مسلم في صحيحه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم : تلا قوله تعالى : « وأعدوا لهم مااستطعتم من قوة » ثم قال : « ألا ان القوة الرمي ، ألا ان القوة الرمي ، ألا ان القوة الرمي » .

ــ وروى البزار والطبراني بإسناد جيد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « عليكم بالرمي فانه من خير لهوكم » .

ــ وروى البخاري في صحيحه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يمر على أصحابه في حلقات الرمي ، فيشجعهم ويقول لهم : « ارموا وأنا معكم كلكم » .

ــ وجاء في الصحيحين أن النبي صلى الله عليه وسلم أذن للحبشة أن يلعبوا بحرابهم في مسجده الشريف ، وأذن لزوجه عائشة رضي الله عنها أن تنظر اليهم ، وهو يقول لهم : « دونكم يابني أرْفِدَةَ[1] ... » وبينما هم يلعبون عند النبي صلى الله عليه وسلم بحرابهم دخل عمر فأهوى الى

---

(١) ارفده : كنية ينادى بها ابناء الحبشة عند العرب .

الحصباء فحصبهم بها ، فقال عليه الصلاة والسلام : « دعهم ياعمر »[1] .

ـ وروى أصحاب السنن والإمام أحمد عنه عليه الصلاة والسلام : « لاسَبَق (أي لارهان) الا في خُفّ أو حافر أو نصل (أي سهام) » لما لهذا الرهان[2] من أثر كبير في اعداد وسيلة الحرب والجهاد .

٧ ـ تعويد الولد على التقشف وعدم الاغراق في التنعم :

ليقوم في سن الرشد والبلوغ بواجب الجهاد ، والدعوة الى الله على أحسن وجه ، وأنبل معنى ..

ولقد جاءت الدعوة الى التقشف ، والتربية على حياة الخشونة في أكثر من حديث :

ـ روى الإمام أحمد وأبو نعيم عن معاذ بن جبل رضي الله عنه مرفوعاً : « اياكم والتنعّم فإن عباد الله ليسوا بالمتنعمين » .

ـ وروى الطبراني وابن شاهين وأبو نعيم عن القعقاع بن أبي حدرد مرفوعاً « تمعدَدُوا ، واخشوشنوا ، وانتضلوا »[3] .

---

(١) وإنها لسماحة كريمة من رسول الاسلام ان يقر مثل هذا التدريب في مسجده الشريف ، ليبين لكل ذيعينين انالمسجد فيالاسلام يجمع بينالعبادة، والاعداد للجهاد ، ويحقق تربية الفرد ومصلحة الاسلام ..

(٢) الرهان المباح هو ما كان بذله منغير المتسابقين او من احدهما فقط؛ اما اذا كان الرهان من المتسابقين فهو يدخل في القمار المحرم ، وصورته : ان يقول احد المتسابقين للآخر : إن سبقتني اعطيتك كذا من مال او جائزة ، وان سبقتك تعطيني كذا من مال او جائزة .. فهذه الصورة محرمة .

(٣) تمعددوا : انتسبوا الى جدكم معد بن عدنان في خشونة العيش والفصاحة .
اخشوشنوا : تربوا على حياة الخشونة والتقشف .
انتضلوا : ارموا بالسهام للاعداد والتعويد .

ويكفي الرسول صلوات الله وسلامه عليه قدوة وأسوة في تقلّبه في حياة الخشونة والتقشف •• في المطعم ، في الملبس ، في المسكن •• لتتأسى الاجيال المسلمة به ، وتمشي على هديه وسننه • حتى تكونْ دائماً في حـال تهيؤ واستعداد واستنفار •• لكل مايعترضها من أحداث ، وماينزل فيساحتها من نوازل ••

ومن الملاحظ أن أمة الاسلام حينما تتقلب في النعيم ، وتسترسل في الملاذ والطيبات ، وتنام على الديباج والحرير ، وتغريها الحضارة المادية ببريقها ومظاهرها •• فسرعان ماتنهار ، وتستسلم لضربات الاعداء ، وسرعان ماتخمد في نفوس شبابها روح المصابرة والمرابطة والجهاد في سبيل الله •• وماسقوط الاندلس في التاريخ عن الأذهان ببعيد !!••

٨ ــ تعويد الولد على حياة الجد والرجولة والابتعاد عن التراخي والميوعـة والانحـلال :

وذلك للارشادات النبوية التاليـة :

ــ روى مسلم في صحيحه عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال : « احرص علىماينفعك واستعن بالله ولاتعجز •• » •

ــ وروى الطبراني بإسناد جيد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « كل شيء ليس من ذكر الله فهو لهو أو سهو الا أربع خصال : مشي الرجل بين الغرضين (أي الرمي) ، وتأديبه فرسه ، وملاعبته أهله ، وتعليمه السباحة » •

ــ وروى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لايزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ، ولايسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ، ولايشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن » ،

وزاد النسائي في روايته : « فإذا فعل ذلك فقد خلع ربقة الاسلام من عنقه »٠

ــ وروى مسلم وغيره عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « صنفان من أهل النار لم أرهما ، قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس ، ونساء كاسيات عاريات مميـلات مائلات ٠٠ رؤوسهن كأسنمة البُخْت[1] المائلة ، لايدخلن الجنة ولايجدن ريحها ، وان ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا » ٠

فهذا غيض من فيض مما وجه اليه رسول الاسلام صلوات الله وسلامه عليه : وهي ــ كما رأيت ــ توجيهات قيمة تدعو الى حياة الجد والرجولة ، وتحذر من الميوعة والانحلال ٠٠ ومن المعلوم بداهة أن الولد اذا نشأ على الميوعة والانحلال ، وتربى على الفجور والمنكر ، ودرج على الهزل وعـدم الاكتراث ٠٠ فان شخصيته تتحطم ، ونفسيته تتعقد ، وجسمه يتعرض لأخطر الأسقام والأمراض ٠٠

لهذا كله كان لزاما على المربين ــ ولاسيما الأمهـات ــ أن يتعهدوا أولادهم منذ الصغر ، وأن يغرسوا في نفوسهم أنبل معاني الرجولة والخشونة والإباء والشمم والخلُق العظيم ٠٠٠

وعليهم كذلك أن يبعدوهم عن كل مايحطم الرجولة والشخصية ، ويقتل الفضيلة والاخلاق ، ويوهن العقل والجسد ٠٠ فإن في ذلك ــ ولا شك ــ سلامة لتفكيرهم ، وقـوة لأبدانهم ، وحفظـاً لأخلاقهم ، وسمواً لأرواحهم ، وحافزاً قوياً لتحقيق آمالهم وأمانيهم ٠٠

تلكم هي ــ أيها المربون ــ أهم الأسس التي رسمهـا الاسلام فـي تربيـة الاولاد الجسمية ٠٠

---

(١) البخت : الابل الخراسانية .

فإن أعرتموها اهتمامكم ، وأوليتموها عنايتكم تمتع الجيل الذي تقومون على توجيهه وتربيته بالقوة والصحة والحيوية والنشاط ، وتكونون بالتالي قد قمتم بأداء الأمانة الملقاة على عاتقكم ، وحققتم المسؤولية التي أوجبها الله عليكم ، ولقيتم الله سبحانه يوم القيامة بوجه أبيض في مجمع من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً .

* * *

وهناك ظواهر خطيرة نلمحها في محيط الصغار والكبار ، والمراهقين والشباب ، وجب على المربين — ولاسيما الآباء — أن ينتبهوا لها ، ويدركوا أضرارها وأخطارها ، ويكشفوا لمن لهم عليهم حق التربية عن شرورها وآفاتها .. حتى لايقعوا في حبائلها ، ويكتووا بنارها ، ويتيهوا في منعطفاتها ودروبها ..

وفي تقديري أن هذه الظواهر المتفشية في الصغار والمراهقين والشباب تتركز في الأمور التالية :

١ — ظاهرة التدخين

٢ — ظاهرة العادة السرية

٣ — ظاهرة المسكرات والمخدرات

٤ — ظاهرة الزنى واللواط

وسأتكلم — بعون الله — عن كل ظاهرة من هذه الظواهر الأربع بشيء من البيان والتفصيل :

١ — ظاهرة التدخين :

من المشاهد في واقعنا الاجتماعي الأليم أن ظاهرة التدخين هي أكثر انتشاراً ، وأوسع تناولا من أية ظاهرة أخرى ؛ فحيثما قلّب الانسان النظر

يجد هذه العادة الذميمة متفشية في ربوع المجتمع على اختلاف المستويات ، وفي كافة الطبقات صغاراً وكباراً ، رجالاً ونساء ، شيباً وشباناً ، ولم يَنْجُ منها الا مَنْ غلّب الإرادة على الهوى ، والعقل على العاطفة ، والمصلحة على المفسدة •• وقليل ماهم •

ولكي نوفي هذه الظاهرة حقها ، ونحيط بها من جميع جوانبها يحسن التكلم عنها في أمور ثلاثة :

١ ــ الأضرار التي تنجم عنها •
٣ ــ حكم الشرع فيها •
٣ ــ كيف نعالجها ؟•

اما فيما يتعلق بالأضرار التي تنجم عنهـا فيمكن أن نحدد الضرر بشيئين هـامين :

الأول ــ الضرر الصحي والنفسي :

فقد ثبت بشكل قاطع جازم لايحتمل الشك أن الدخان ــ كما قـرر أطباء الصحة ــ يورث السل ، وسرطان الرئة ، ويضعف الذاكرة ، ويقلـل الشهية ، ويسبب اصفرار الوجه والأسنان ، ويعيق التنفس ، ويهيج الأعصاب، ويحدث انحطاطاً عاماً في الجسم ، ويسيّء الخلق ، ويحلّـل الإرادة ، ويعوّد على الكسل والاسترخاء ••

وإليكم تقارير الأطباء المختصين في اضرار الدخان وتاثيره على الصحة :

ــ ذكرت مجلة « الشبيكل » الألمانية : (أنه اجتمع عشرة من العلماء الأمريكيين المختصين في مركز البحوث في مدينة « بيثيزدا » الواقعة في ولاية (ماري لاند) الأمريكية ، وبحثوا تأثير الدخان على الصحة الفردية فأجمعوا على الاضرار التالية :

١ ـ نسبة الوفيات بين المدخنين الذكور تزيد (٦٨) بالمئة عنها من بين غير المدخـــنين .

٢ ـ نسبة الوفيات في صفوف المدخنين من الأمراض التالية بالمقــارنة مع غير المدخنين : سرطان الرئة (١٠ر٨) ضعفاً ؛ التهابات الاغشية المخاطية ، ومجاري التنفس ، وتورّم وانتفاخ هذه المجاري (٦ر١) ضعفاً ؛ سرطان الحنجرة (٥ر٤) ضعفاً ؛ سرطان تجويف الفم (٤ر١) ضعفا ؛ سرطــان المري (٣ر٤) ضعفاً ؛ أمراض المعدة (٢ر٤) ضعفاً ؛ أمراض دورية أخرى (٢ر٦) ضعفاً ؛ وأمراض الدسامات القلبية (١ر٧) ضعفاً .

٣ ـ وهــذا يعني أن احتمال الإصابة بمرض الضفائر ، والدسّامات القلبية (وهو يؤدي في الولايات المتحدة غالباً الى الموت) يزيد بمقدار (٧٠) بالمئة في صفوف مدخني السجاير عــن غير المدخنين ، والتهابات الأغشية المخاطية ، والمجاري التنفسية بمقدار (٥٠٠) بالمئة ؛ أما السرطان الرئــوي وهو أكثر أنواع السرطان انتشاراً فتزيد نسبة احتمال الإصابة بين المدخنين (١٠٠٠) بالمئة عن غير المدخنين ...) اهـ[١] .

ـ وأصدرت الجمعية السورية لمكافحة السل نشرة تضمنت مايلي : (ان سنوات عديدة من البحث العلمي أثبتت الوقائع التالية : عندما يدخن شخص ما سيجارة فانه يبتلع الدخان ويحتفظ الجسم بـ (٨٠ الى ٩٠) في المئة منه ، كما يحتفظ ببقايا احتراق التبغ الذي هو القطران الذي يتجمــع في الطرق التنفسية ، والقطران هو نوع من عدة مركبات كيماوية يستطيــع بعضها احداث السرطان ، بينما بقية العناصر الأخرى تحدث التخريش أيضاً ، وتجعل الرئة موطناً صالحاًلفتك عصيّات السلوالجراثيم المرضة الفتاكة ...

---

(١) أخــذاً عن مجــلة الحضــارة ، السنة الثانية عشرة العدد : ٣ ـ ٤ ، ص ١٥٨ .

المدخنون أشد تعرضاً للاصابة بالسل والسرطان من الذين لايدخنون، وبالتالي فان عادة التدخين تسيء الى الآفات الرئوية المزمنة : كالتهابات القصبات ، وانتفاخ الرئة والربو والسل •• ، ان التدخين يهيـىء لأمـراض القلب ، فالنيكوتين يزيد ضربات القلب ، ويصيب الأوعية الدموية ؛ فكثير من المدخنين يدفعون الثمن غالياً بتقويض حياتهم ، فإياك والتدخين ، ولابد من الإقلاع عنه لكي تحفظ صحتك)[1] اهـ •

الى غير ذلك من هذه الأضرار البالغة ، والأمراض الخطيرة التـي تنجم عن التدخين ••

الثاني ــ الضرر المالي :

من المؤكد أن صاحب الدخل المحدود ينفق على الدخان يومياً ربـع دخله أو يزيد ، ولايخفى مافي ذلك من اضاعة للمال ، وخراب للبيوت ، وشتات للأسر •• ذلك لأن المدمن يقتطع من قوت نفسه ، وقوت عياله في سبيل شرائه وتحصيله، وربماانحرفعن الطريق السويّ كالرشوة والسرقة•• لجلب ثمنه ، وتأمين وجوده ••

فهل هناك ضرر أضرّ علىالصحةوالأخلاقوالمجتمع من موبقةالتدخين•• ولكن ــ ويااللاسف ــ أكثر الناس لايعلمون ؟!!••

★ ★ ★

اما فيما يتعلق بحكم الشرع في ظاهرة تناول الدخان فيتلخص بما يلي :

أ ــ من المجمع عليه عند أئمة الفقهاء والمجتهدين أن ما يؤدي الـى

---

(١) صفحة (١٥ ــ ١٦) مـن النشرة المذكورة التي هي بعنوان : «تعاونوا للقضاء على مرض السل » •

الضرر ، ويوقع في المهالك .. فاجتنابه واجب ، وفعله حرام للحديث الذي رواه الإمام أحمد وابن ماجه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لاضرر ولاضرار » ، ولعموم قوله تبارك وتعالى :

« ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة » .
(سورة البقرة : ١٩٥)

وقولـه :

« ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيماً »
(سورة النساء : ٢٩)

وباعتبـار أن الدخان قـد ثبت ضرره جسمياً ، وتحقّق خطره صحيـاً ـ كما مر ـ فاجتنابه واجب ، وتناوله حرام .

ب ـ ومن المسلّم به عند أصحاب العقول الراجحة ، والأذواق السليمة أن الدخان يدخل في زمرة الخبائث لضرره على الجسم ، وتسببه الرائحـة الكريهة للفم ، والله سبحانه قد أحل للانسان الطيبات ، وحرم عليه الخبائث للحفاظ على جسمه ، وسلامة خلـُقه وتفكيره ، وظهوره في المجتمـع بمظهـر محبّب جميل ... يقول الله سبحانه :

« ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب » .
(سورة النساء : ٢)

ويقول : « ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث » .
(سورة الأعراف : ١٥٧)

ويقول :

« قل لا يستوي الخبيث والطيّب ولو أعجبك كثرة الخبيث » .
(سورة المائدة : ١٠٠)

ج ــ ثم ان الدخان بالتالي يخدر العقل ، ويفتّر الجسم ، وهذا أمر يشعر به المقدم على تناوله ، والمبتدىء بشربه ، والمتدرج بالاعتياد عليه ولاسيما اذا أفرط وأكثر .

وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كل مفتّر ، كما نهى عن كل مسكر ومخدّر ، وذلك في الحديث الذي رواه الإمام أحمد في مسنده وأبو داود في سننه بسند صحيح عن أم سلمة رضي الله عنها قالت : « نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كل مسكر ومفتّر » أي مخدّر .

فهذه النصوص بمنطوقها ومدلولها تؤكد **أن تناول الدخان حرام ،** واجتنابه واجب ، لضرره البالغ ، وخبثه الظاهر .. هذا عدا عن أن الدخان يسبب اضاعة المال في أضرار يعود أثرها على الفرد والأسرة والمجتمع ، وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن اضاعة المال ــ كما جاء في صحيح البخاري ــ .

والذين قالوا بإباحة الدخان أو كراهته من الفقهاء في الماضي ، قد يكون لهم بعض العذر لكون الطب لم يكشف عن أضراره بعد ، مستندين على قاعدة أصل الأشياء الإباحة ؛ أما بعد أن كشف الطب عن أضراره الجسمية والنفسية ، وأبان المختصون عن خطره البالغ في الفرد والمجتمع فلا مجال للتردد بحرمته أو إباحته ، **بل الحرمة بتناوله ظاهرة ، والاثم بالاعتياد عليه متحقق** والله أعلم .

★ ★ ★

اما معالجة هذه الظاهرة فتعود بالدرجة الأولى على الدولة ، وذلك بشن حملة إعلامية واسعة النطاق ، في الصحف والمجلات ، في الإذاعة وعلى شاشة التلفزيون ، في كل مكان .. تحذر من الدخان ، وتكشف لأبناء هذه الأمة وشبابها بشكل مستمر دائم عن ضرره البالغ ، وخطره الكبير ، مستعينة بأهل

الخبرة والاختصاص ، ورجال الفكر وأصحاب الأقلام . وعلى الدولة كذلك أن تزيد من ضرائبه ، وترفع من أسعاره ؛ وتمنعه منعاً باتاً في الأماكن العامة وازدحام الناس ..

وهذه الاجراءات كخطوة مرحلية لمنعه في المستقبل نهائياً كما يحـــدث الآن في الدول الكبرى كأمريكا وانكلترا وغيرها ..

ثم على الكبار المعتادين شرب الدخان أن يكون عندهم من المراقبة لله عز وجل والخشية منه ما يردعهم عن تناول المحرمات والتي منهـــا الدخان ، وأن يكون عندهم كذلك مـــن الإرادة والعزم والتصميم ما يقويهم على مغالبـــة النفس والهوى ، وأن يكون عندهم أيضا من العقل والحكمة ما يدفعهم على أن يسيروا في الطريق السوي الذي لا عوج فيه ولا التـــواء . ولاشك أن الانسان اذا تحلّى بالإيمان الذي يردع ، والارادة التي تسيطر ، والعقل الذي يوجه .. فإنه سيتصف ـــ لا محالة ـــ بالكمال ، ويرفل في الحياة الهانئـــة الطيبـــة ..

امـــا الصغـــار

الذين اعتادوا عادة التدخين الخبيثة بغفلة عن مراقبة أهليهم ومربيهـــم فإهمـــال أمرهم خطير ، وشرهم على المجتمع ـــ إن تركوا ـــ كبير ومستطير .

فما على الآباء والمربين .. الا أن يرقبوا أوضاع أولادهم ، ويتعرفوا على سلوكهم وتحركاتهم ، ويعالجوا انحرافهم ، حتى يردّوهم الى الجادّة ، ويصلوا بهم الى شاطىء السلامة .

ومما لايختلف فيه اثنان أن الولد منذ نعومة أظفاره اذا اعتاد التدخين، فإنه سيدرج شيئاً فشيئاً الى ما هو أعظم منه قباحة ، وأشنع فساداً وانحرافاً.. لكون الدخان بريد الرذيـــلة ، والطريق الى الفحشاء والمنكر .. ألا فليتذكّر أولو الألباب !!..



٢ ــ ظاهرة العادة السرية :

هذه الظاهرة متفشية ومنتشرة في أوساط المراهقين والشباب ، والعامل الرئيسي في انتشارها وتفشيها هو ما يلحظه أولئك من مظاهر الفتنة والإغراء في أزياء النساء ، ومشيتهن الخليعة ، وتبرجهن المثير ، في الشوارع ، وفي المنتزهات ، وفي كل مكان ..

هذا في محيط المجتمع العام ، أما مايرونه في التمثيليات والأفلام فهو أدهى وأمر .. فماذا يرون ؟ يرون كل ما يهيّج الغريزة ويسقط العفاف والشرف ، ويقتل النخوة والغيرة والحمية ..

أما ما يقرؤنه في الكتب والمجلات من القصص الغرامية ، والإثارات الجنسية .. فهو من أشد المؤثرات على صحة الشباب النفسية والعقلية والخلقية ..

فهذه المثيرات وحدها تكفي في تدرج الشاب والشابة في طريق الزنى والفحشاء ، والانزلاق في متاهات الفساد والرذيلة ..

والمراهق الشاب اذا لم يكن عنده من مراقبة الله ما يردعه ، والخشيةمنه ما يعصمه ، والحسبان للعواقب ما يزجره فإنه سيقع بين أمرين لاثالث لهما :

ــ إمّا أن يشبع غريزته الجنسية في الحرام .

ــ وإمّا أن يخفف من حدّتها بالعادة السرية .

وأخف الأمرين الضرر بالغ ومتحقق .. على الجسم والنسل والعقل والصحة النفسية ..

ولكي تكون الكتابة عن هذه الظاهرة شاملة يحسن التكلم عنها كذلك في أمور ثلاثة :

١ ــ الأضرار التي تنجم عنها •
٢ ــ حكم الشرع فيها •
٣ ــ كيف نعالجهـــا ؟

اما الاضرار التي تنجم عنها فنحصرها في الأمور التالية :

ا ــ اضرار جسمية :

ثبت طبياً أن الذي يدمن على هذه العادة يقع في الأمراض التالية :

إنهـــاك في القــوى ، نحـــول في الجسم ، ارتعاش بالأطراف ، خفقـــان بالقلب ، ضعف بالبصر والذاكرة ، اخلال بالجهاز الهضمي ، اصابة الرئتين بالالتهابات التي تؤدي الى السل في أغلب الأحيان ، وأخيراً تؤثر على الدورة الدموية وتسبب فقر الدم •••

ب ــ اضرار جنسية :

من أهم هذه الاضرار **مرض العنـــة** ، ومعناها عدم قدرة الشاب على الزواج ، ولا شك أن هذا المريض يتسبب عنه نفور المـــرأة من الرجـــل ، ولا يمكن والحال هذه أن تدوم الرابطة الزوجية لتعذر الاتصال •

ومن الأضرار **اشمئزاز كل جنس من الاخر** لاعتياد الرجل في اشبـــاع الشهوة عن طريق هذه العادة الأثيمة ؛ ومعنى هذا أن المرأة لم تجد حصانتها بزواجها من هذا الرجل المريض •• وربما يؤدي الأمر في النهاية الى الفراق ، أو اتخـــاذ المرأة الخـلاّن سراً لإشباع غريزتها •

ج ــ اضرار نفسية وعقلية

قرر العلماء النفسانيون أن المدمن على هذه العادة يصاب بأمراض نفسية وعقلية خطيرة ، وهي مرتبة كما يلي :

الذهول والنسيان ، ضعف الإرادة ، ضعف الذاكرة ، الميل الى العزلة والانكماش ، الاتصاف بالاستحياء والخجل ، الاستشعار بالخوف والكسل، الظهور بمظهر الكآبة والحزن ، التفكير بارتكاب الجرائم والانتحار ... الى غير ذلك من هذه الأضرار التي تشل التفكير ، وتميع الارادة ، وتحطم الشخصية ، وقد أشبعها المختصون دراسة وبحثاً ..

اما حكم الشرع في مزاولتها فإنه الحرمة وارتكاب الاثم وذلك **للأدلة التالية :**

أ ـ يقول الله تعالى في سورة المؤمنين :

« والذين هم لفروجهم حافظون إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين ، فمن ابتغى وراء ذلك فاولئك هم العادون » .

فيدخل في عموم هذه الآية :

« فمن ابتغى وراء ذلك فاولئك هم العادون » .

كل تفريغ للشهوة عن غير طريق الزواج ، وملك اليمين كالزنى ، واللواط ، والاستمناء باليد ..

وقد ثبت عن عطاء ـ وهو من أصحاب ابن عباس رضي الله عنهما ـ أنه قال : « سمعت قوماً يحشرون وأيديهم حبالى ، فأظنهم هؤلاء ـ أي الذين يستمنون بيدهم » ؛ وقال سعيد بن جبير ـ وهو من طبقة التابعين ـ : « عذّب الله أمة كانوا يعبثون بمذاكيرهم » ، وورد كذلك : « سبعة لا ينظر اليهم .. عدّد منهم : الناكح يده »[1] ، فهذه النصوص بجملتها تدل على أن مزاولة هذه العادة حرام .

---

(١) هذه النصوص منقولة من كتاب «ردود على أباطيل» للعلامة المرحوم : الشيخ محمد الحامد ص ٤٠ .

ب ــ سبق أن ذكرنا في مبحث حكم الشرع في التدخين أن ما يؤدي الى الضرر ، ويوقع في المهالك .. فاجتنابه واجب، وفعله حرام لعموم الحديث الذي مر ذكره : « لاضرر ولا ضرار » ، ولعموم قوله تبارك وتعالى :

« ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة » .

وبما أن مزاولة العادة السرية يترتب عليها أضرار جسيمة وجنسية ونفسية وعقلية ..

فإنها محرمة لحديث « لا ضرر ولا ضرار » ، وللآية :

« ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة » .

سؤال وجيه :

اذا كان الاستنماء باليد حراماً ، فما رأي الشرع بإنسان تملكته شهوته، وتحكمت فيه غريزته ، وترجح لديه أنه سيقع في الزنى والفاحشة ؟.

لاشك أن الانسان حين يوازن بين المفاسد ، ويقارن بينها ، سيختار في النهاية ــ إنْ أصبح محرجاً ــ أخفها ضرراً ، وأهونها شراً أخذاً بالقاعدة الاصولية التي تقول : « يختار أخفّ الضررين ، وأهون الشرين » .

فمن المعلوم أن الاستمناء باليد شر ، ولكن الأشد شراً منه فاحشة الزنى واللواط لتهديمها الكيان العام ، وقتلها فضيلة الشرف والعفة .. عدا عماينجم عنها من اختلاط الأنساب ، وإراقة الدماء ، واثارة الضغائن والأحقاد .. اذن يختار في هذه الحالة الاستمناء على ارتكاب الفاحشة باعتبار أنه أخف الضررين وأهون الشرين .

لهذا قال الفقهاء : « ان الاستنماء باليد حرام اذا كان لجلب الشهوة واثارتها وهي هادئة ، أما اذا غلبت الشهوة بحيث شغلت البال ، وأقلقت الخاطر ، وأوقفت على باب الفاحشة ، وتعين الاستنماء طريقا لتسكينها فإن

الأمر جائز ومكافىء بعضه بعضاً ، وينجو صاحبه رأساً برأس أي لا أجر عليه ولا وزر ، فلا يثاب ولا يعاقب »[1] .



أما العلاج الناجع في استئصال هذه الظاهرة فيكون في الوسائل التالية :

١ ـ الزواج في سن مبكرة :

لكونه أنجع الوسائل في استئصال هذه العادة الفتاكة ، بل هو السبيل الطبيعي الوحيد لتصريف هذه الشحنة العارمة من الشهوة ، هذا عدا ماللزواج من فوائد خلقية واجتماعية وصحية ونفسية لا يتسع المجال لذكرها الآن[2].

٢ ـ صوم النفـل :

واذا كانت هنـاك ظروف قاهرة تمنـع من الزواج في سن مبكرة .. فالاسلام أرشد الذين لا يجدون نكاحاً أن يصوموا صيام النفل لما للصيـام من تخفيف لغلواء الشهوة ، وكسر لحدّة الغريزة ، وتقوية لمعنى المراقبة لله، والخشية منه.. وقد جاء هذا الارشاد في الحديث النبوي الذي رواه الجماعة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « يا معشر الشباب : من استطاع منكم البـاءة (تكاليف الزواج) فليتزوج فإنه أغض للبصر ، وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وِجاء (أي قاطع للشهوة) » .

وما أكثر صيام النفل الذي حض الشرع على صيامه ، ونذكر منه على سبيل المثال : صيام داود فكان يصوم يومـاً ويفطر يومـاً ، وصيام الاثنين والخميس ، وصيـام الستـة مـن شـوال ، وصيـام عـاشـوراء ...

(١) هذا النص الفقهي من كتاب « ردود على أباطيل » للعلامـة المرحوم الشيخ محمد الحامد ص ٤٢ .
(٢) ارجع الى كتابنا « عقبات الزواج » تجد ما فيه الكفاية .

ومنه صيـام تسكين الشهوة لقوله عليـه الصلاة والسلام : « ••• ومن لـم يستطع فعليه بالصوم •• » •

٣ ــ الابتعاد عن المثيرات الجنسية :

مما لا يختلف فيه اثنان أن المجتمع الذي نعيش فيـه يعجّ بالمفاسـد والمغريات ، ويتخبط بالانحلال والفجور •• ولا شك أن الشاب حين يجري وراء هذه المثيرات والمفاتن ، ويتيه في حمأة الرذيلة والفاحشة •• فإنه يتأثر ــ ولا شك ــ خلقياً ، وينحرف سلوكياً ، ويكون كالحيوان الأعجم شهوة وانطلاقاً ••

فما على المربين الا أن يقوموا بدور النصح ، وواجب التنبيه والتحذير تجاه من لهم في أعناقهم حق التوجيه والتربية حيث يهمسون في آذانهم **ان النظر** الى النساء الكاسيات العاريات المتبرجات •• **وأن قراءة** القصص الغرامية ، والمجلات الخلاعية التي يقـوم على ترويجها تجـار الغرائز والاعراض •• **وان السماع** الى الأغاني الخليعة الماجنة التي تبثها أمواج الأثير في كل مكان ••

إنّ كل هذا مما يخدّر الغيرة ، ويلوث الشرف ، ويميع الخلق ، ويقتل الكرامة ، ويوهن الجسم ، ويخمل الفهم ، ويضعف الذاكرة ، ويثير الغريزة ، ويفقـد الشخصية ، ويقبر المروءة والفضيلة والاخـلاق !!•• **عسى أن يعي** شبابنا هذا النصح ، ويحسبوا كل الحساب لهاتيك النتائج •• فلا يجدون بداً ــ بعد هذا التذكير والتنبيه ــ **الا أن يحافظوا على توازنهم الارادي وانضباطهم النفسي والخلقي** ، وصحتهم العقلية والجسدية •• فعندئذ يكونون في زمرة الصالحين الأطهار ، والمؤمنين الأبرار !!••

٤ ــ ملء الفراغ بما ينفع :

يقرر علماء النفس والتربية أن الولد اذا اختلى إلى نفسه وقت فراغه تَرِدُ

عليه الأفكار الحالمة ، والهواجس السارحة ، والتخيلات الجنسية المثيرة ..
فلا يجد نفسه ــ إن كان مراهقاً أو شاباً ــ الا وقد تحركت شهوته ، وهاجت غريزته أمام هذه الموجة من التأملات والخواطر .. فعندئذ لايجد بداً الا أن يلجأ الى هذه العادة الخبيثة ليخفف من طغيان الشهوة ، ويحدّ من سلطانها..
اذن ما العلاج للتخلص من سوانح الخواطر ، وشرود الخيال ، حتى لا يقع في هذه النتائج الوخيمة ، والعواقب الأليمة ..؟

العلاج :

أن نعرّف الشاب المراهق كيف يقضي وقته ، ويملأ فراغه ؟

وما أكثر هذه المجالات التي يقضي فيها الوقت ، ويملأ الفراغ!!..

إمّا برياضة بدنية يقوي بها جسمه ؛ أو نزهة بريئة مع رفاق مأمونين يروّح بها عن نفسه ؛ أو مطالعة مفيدة يكمل بها علومه ، أو عمل يدوي ينمي به ميوله ، أو حضور درس ديني توجيهي يهذب خلقه ، أو مباراة ثقافية يروّض بها عقله ، أو تمارين على الرمي ووسائل الجهاد يعد بها نفسه .. الى غير ذلك من هذه المجالات النافعة التي تغذي الفكر ، وتهذب الروح ، وتقوي الجسم ، وتسمو بالخلق !!..

٥ ــ الرفقة الصالحة :

من أهم ما ينبغي أن يحرص عليه المربي تجاه ولده الشاب المراهق أن يختار له رفقاء صالحين مأمونين يذكّرونه إذا نسي ، وينصحونه اذا انحرف ، ويعينونه اذا انصلح ، ويواسونه اذا أصابته أحداث ونوازل !!..

وقد يقال : إن هؤلاء الرفقاء المعنيين قليلون ، ولا سيما في هذا الزمان الذي عزّ فيه الصديق المخلص ، والرفيق المؤمن .. نعم نسلّم أنهم قلة ولكن هذه القلة متوفرة في كل مكان يعرفون بسيماهم من أثر السجود ، ويميزون

بأخلاقهم العالية ، وبنهجهم المستقيم .. فما أجدر الشاب أن يبحث عنهم ، ويتمسك بأذيالهم اذا ظفر بهم .. ليكونوا له السند في الملمات ، والعون على مفاسد الحياة ومفاتنها ، والبطانة الخيّرة التي يثق بها ، ويأوي اليها ، ويعتمد عليهـا ..

ولا شك أن المرء على دين خليله ، وأن القرين بالمقارن يقتدي ، وأن الطيور على أشكالها تقع ، وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم القائل فيما رواه الترمذي : « المرء على دين خليله ، فلينظر أحدكم من يُخالِل » .

ومن المعلوم يقيناً أن الذي يصاحب أهل المنكر والفسوق والعصيان فلا يقودونه الا الى ضلال ، ولا يدفعونه الا الى غواية ، ولا يصحبونه الا الى منافع شخصية ، وغايات دنيوية !!..

فليحذر شبابنا من رفقاء السوء ، وقرناء الشر .. ان أرادوا لإيمانهم رسوخاً وتمكيناً ، ولأخلاقهم سمواً وتهذيباً ، ولأجسادهم سلامة وقوة ..

وليحرصوا على الرفقة الصالحة ، والجماعة المؤمنة ، لتتحقق لهم السعادة في الدارين : الكرامة في الدنيا ، والنجاة في الآخرة ، وصدق الله العظيم القائل في محكم كتابه :

« الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين » .

(سورة الزخرف : ٦٧)

٦ ـ الأخذ بالتعاليم الطبية :

ان مما ينصح به علماء الصحة والطب في التخفيف من سلطان الغريزة، وجموح الشهوة هو ما يلي :

١ ــ الاكثار من الحمامات الباردة في موسم الصيف ، وصب الماء البارد على العضو التناسلي في الفصول الأخرى •

٢ ــ الإكثار من الألعاب الرياضية ، والتمارين الجسمية •

٣ ــ تجنب الأطعمة المحتوية على بهارات وتوابل لكونها مثيرةومهيّجة•

٤ ــ الإقلال ما أمكن من المنبهات العصبية كالقهوة والشاي ••

٥ ــ عدم الاكثار من اللحوم الحمراء والبيض •

٦ ــ عدم النوم على الظهر أو البطن ، بل السنة أن ينام على شقهالأيمن مستقبلا بوجهه القبلة •

٧ ــ وأخيرا استشعار خوف الله تبارك وتعالى :

من المُسَلَّم به أن الشاب حين يستشعر من أعماق وجدانه أن الله سبحانه يرقبه ويراه ، ويعلم سـره ونجواه ، ويعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور •• وأنه سيحاسبه ان قصر وفرّط ، ويعاقبه ان انحرف وزلّ •• لاشك أنه سينتهي عن الموبقات والقبائح، ويكفّ عن المنكرات والفواحش••

ومن المعلوم يقيناً أن حضور مجالس العلم والذكر ، والمداومة على صلاة الفرض والنفل ، والمواظبة على تلاوة القرآن ، والتهجّد في الليلوالناس نيام ، والاستمرار على صيام المندوب والتطوّع ، والاستماع الى أخبار الصحابة والصالحين ، واختيار الرفقة الصالحة والارتباط بالجماعة المؤمنة • وذكر الموت وما بعده كل ذلك يقوي فيالمؤمن جانبالخشية من الله ، والمراقبة له ، والاستشعار لعظمته ••

فحري بالشاب المؤمن أن ينهج هذه الوسائل التي تقوي في نفسه عقيدة المراقبة لله والخشية منه •• حتى لاتتجاذبه المغريات ، ولاتفتنه زينة

الحياة الدنيا ، ولايقع في محظور أو محرم ، وأن يضع نصب عينيه قوله تبارك وتعالى :

« فاما من طغى وآثر الحياة الدنيا فإن الجحيم هي المأوى ، وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى » .

(سورة النازعات : ٣٧ — ٤٠)

اما ظاهرة المسكرات والمخدرات :

فهي ظاهرة خطيرة وأليمة نراها متفشية في البيئات التي لاتقيم للأخلاق الفاضلة وزناً ، ولا للتربية الاسلامية حرمة ..

هذه الظاهرة **نراها** أكثر ما نراها في الأطفال المشردين الذين فقدوا من يعيلهم ويشرف على تربيتهم وتوجيههم ، وفي الاولاد الذين ساروا في طريق الفساد والانحراف بغفلة عن مراقبة آبائهم وأمهاتهم .. فخالطوا الأشرار ، وصاحبوا الفجار ، فاكتسبوا منهم كل مفسدة ورذيلة ..

ولكي نوفي هذه الظاهرة حقها من البحث يحسن التكلم عنها في أمور ثلاثة :

١ — الأضرار التي تنجم عنها .

٢ — حكم الاسلام فيها .

٣ — العلاج الناجع في استئصالها والقضاء عليها .

اما الأضرار التي تنجم عن المخدرات والمسكرات فهي مرتبة كما يلي :

أ — أضرار صحية وعقلية :

فمن المجمع عليه لدى الأطباء وعلماء الصحة أن تعاطي المسكرات

والمخدرات تسبب الجنون ، وتضعف الذاكرة ، وتـورث أمراضاً عصبية ومَعِديّة وَمَعَوِيّة ، وتشل حدة الفكر والذهن ، وتحدث آلاماً في الجهاز الهضمي ، وتفقد الشهية الى الطعام ، وتسبب سوء التغذية والهزال والخمول والضعف الجنسي ، وتؤدي الـى تصلّب الأنسجـة والشرايين •• الى غيـر ذلك من الأمراض الخطيرة • ويكفي أن نعلم عن أضرار هذه الظاهرة أن معهد الإحصاء القومي في فرنسا قرر : « أن الخمور تقتل من الفرنسيين أكثر مما يقتل مرض السـل ، ففي عـام (١٩٥٥) **مات سبعة عشر الفا** من الفرنسيين من تأثير الخمر ، بينما لم يمت من السل سوى اثني عشر ألفاً في السنة نفسها » •

ب ـ أضرار اقتصادية :

من المعلوم أن الذي يتعاطى الخمور والمخدرات يبذل المال في سبيله سهلا رخيصاً بدون حساب •• ولايخفى مافي هذا البذل الرخيص من اتلاف للمال ، وخراب للبيوت ، وايراث للفقر ••• عدا عن أن المدمن يسبب الضعف في الانتـاج ، والخلل في الاقتصـاد ، والتخلّف في ميـادين الحضارة •• لما يصاب به من هزال وخمول وأمراض جسمية ونفسية •• نتيجة الخمـر والمخـدر •

فقد ذكرت جريدة الاهرام القاهرية في عددها الصادر في ١٩٦٥/٥/٣ : « أن (٧٢) مليون أمريكي يتناولون الخمـور ، منهم (٢٠) مليونـاً يكلّفون الدولة بليوني دولار كل سنة ، السبب تغيبهم عن العمل •• » •

ج ـ أضرار نفسية وخلقية واجتماعية :

إن المدمن على تعاطي المسكرات أو المخدرات يتصف بصفـات ذميمة ، ويعتاد على عادات قبيحة كالكذب ، والجبن ، والاستهانة بالقيم الاخلاقية

والمثل العليا •• ويندفع الى ارتكاب الجرائم كالسرقة وتعاطي الدعارة ، والاعتداء على الأنفس •• ويصاب بتمييع الخلق ، وتحلل الارادة ، وضعف الشعور بالواجب ••

هذا عدا عما يقضي وقته في أوكار سرية مع شراذم من الأشرار ،ورفاق من الفجار حيث يستبيح معهم كل موبقة ، وينتهك بخلطتهم كل حرمة !!••

ومن المعلوم أن الدول الاستعمارية تتخذ من ترويج المخدرات سلاحاً فتاكاً لكسر شوكة الشعوب ، وتمييع أخـلاق الأمة ، وإخمـاد جذوة روح الجهاد والمقاومة •• وان مصر مازالت تعاني من حرب المخدرات التي روّج لها ، ووضع بذورها الاستعمار البريطاني منذ ربع قرن من الزمان ، كما أن انكلترا شنت حرباً على الصين التي حظرت تجارة الأفيون فسميت حرب الافيـون •

وأما حكم الاسلام في تعاطي المسكرات والمخدرات فإنه التحريم بالإجماع وذلك للأدلة التالية :

ـ ويقول الله تعالى في تحريم الخمر :

« ياأيها الذين آمنوا إنما الخمـر والميسـر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون ، انما يريد الشيطان أن يوقـع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصـلاة فهل أنتم منتهون »(١) •

---

(١) **المائدة :** بعض الذين في قلوبـهم مـرض يقولـون : ليس في لفـظ « فاجتنبوه » دليل على التحريم ، ولو كانت الخمر محرمة لقال القرآن : فحرّموه ؛ بينما هناك سبعة ادلـة على التحريم : ١ ـ مقارنة الخمر بالميسـر والأنصاب والأزلام ؛ ٢ ـ وصفها أنها رجس ؛ ٣ ـ وصفها أنها من عمل الشيطان ؛ ←

ــ ويقول عليه الصلاة والسلام في تحريمها كما روى أبــو داود : « لعن الله الخمر وشاربها وساقيها ومبتاعها وبائعهــا وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمولة اليه » .

وأما تحريم المخدرات فالأدلة أكثر من أن تحصى :

واليكم شيئاً منها :

أ ــ اندراجها تحت عموم قوله تعالى :

« ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث » .

(سورة الأعراف : ١٥٧)

وقوله عليه الصلاة والســلام : **« لاضرر ولاضرار »** ،رواه أحمــد وابــن ماجــه .

ب ــ تدخل في حديث النهي الذي رواه الامام أحمد في مسنده ، وأبو داود في سننه بسند صحيح عن أم سلمة زوج النبي صلى الله عليــه وسلم أنها قالت : « نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كل مسكــر ومفتّر » . والمخدرات تدخل في النهي باعتبار أنها مفترة ..

ج ــ انها تندرج في أدلة تحريم الخمر باعتبار أنها تخامر العقل وتخرجه عن طبيعته المدركة الحاكمة ، فقد روى البخاري ومسلم أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه أعلن على الناس من فوق منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم : **« الخمر ماخامر العقل »** ، وهذه الكلمة تحدّد مفهــوم

---

٤ ــ الأمر الذي يدلّ على الكف في لفظ « فاجتنبوه » ؛ ٥ ــ إنهــا توقــع فــي العداوة والبغضاء ؛ ٦ ــ إنها تصد عن ذكر الله وعن الصلاة ؛ ٧ ــ صيغــة الاستفهام الانكاري في قوله تعالى : « فهل انتم منتهون ؟ » ، فهل هناك أدلة أقطــع من هذه الأدلة التي تدل على التحريم ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون.

الخمر حتى لاتكثر أسئلة المشتبهين ، فكل مالابس العقل ، وأخرجه عن طبيعته المميزة المدركة الحاكمة فهو من الخمر المحرم الى يوم القيامة .

ومن ذلك تلك المواد التي تعرف باسم المخدرات كالحشيش والكوكايين والأفيون ونحوها ، فإنها تؤثر تأثيراً بالغاً على العقل ، فيرى من يتعاطاها البعيد قريباً ، والقريب بعيداً ، ويتخيل ماليس بواقع ، ويسبح في بحر من الأوهام والأحلام ، ويهيم في أودية من الخيال حتى ينسى نفسه ودينه ودنياه ؛ وقد حكى القرافي وابن تيمية **الاجماع على تحريم الحشيشة ،** وقال ابن تيمية : « من استحلها فقد كفر » .

بقي هناك جانب قد يسأل عنه بعض الناس **وهو استعمال الخمر كدواء ؛** والجواب ماأجاب عنه الرسول صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه مسلم وأحمد وغيرهما حين سأله رجل عن الخمر ، فنهاه عنها ، فقال الرجل : انما أصنعها للدواء قال عليه الصلاة والسلام : **« انه ليس بدواء ولكنه داء »** وروى أبو داود عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إن الله أنزل الداء والدواء ، وجعل لكل داء دواء ، فتداووا ولاتداووا بحرام » ؛ وروى البخاري عن ابن مسعود رضي الله عنه في شأن المسكر أنه قال : « ان الله لم يجعل شفاءكم فيما حرم عليكم » .

فهذه النصوص بجملتها تدل دلالة قاطعة على أن استعمال الخمر وحدها كدواء حرام يأثم من يتناولها .

اما ماخالط بعض الأدوية بنسبة مقدرة من الكحول ـ لضرورة ـ كحفظها من الفساد مثلا فانه يجوز استعمالها اذا تعين الشفاء بها ، وكان الواصف للدواء طبيباً مسلماً ماهراً يخشى الله في السر والعلن ، لأن مبادىء الشريعة

قائمة على اليسر ، ودفع الحرج ، وتحقيق مصالح الناس ، والأصل في ذلك قوله تبارك وتعالى : **« فمن اضطر غير باغ ولاعاد فلا إثم عليه »** .

(البقرة : ١٧٣)

★ ★ ★

اما العلاج الناجع في استئصال هذه الظاهرة فيكون بالوسائل التالية :

آ ـــ بالتربية الصالحة .

ب ـــ بمنع أسبابها .

ح ـــ بمعاقبة مرتكبيها .

اما التربية الصالحة فتتركز بتربية الولد منذ نعومة أظفاره على الإيمان بالله ، والخشية منه ، واستشعاره مراقبة الله في السر والعلن ، لما لهذه التربية القويمة من أثر كبير في تكوين ضميره ، واصلاح نفسه ،وسمو خلقه .. ومن المعروف تاريخياً أن العرب الذين أدركوا الاسلام ، وآمنوا به ، ودخلوا فيه .. لما تربّت ضمائرهم على مراقبة الله ، وترسخت نفوسهم على الخشية منه ، والاستعانة به ، والاعتماد عليه تركوا كل العادات المرذولة التي كانوا عليها في الجاهلية عن طواعية واختيار .

فلنأخذ مثلا تعلق العرب الجاهليين بالخمر قبل الاسلام ، وتمدّحهم بشربها ، وتفننهم في وصفها .. اسمعوا الى ما يقول شاعرهم في التعلق بها :

اذا متّ فادفنّي الى جنب كرمة

تروّي عظامي بعد موتي عروقها

واسمعوا الى مااخترعوا لها من الأسماء والألقاب : « المدامة ،

السلافة ، الراح ، الصهباء ، ابنة العنقـود ، ابنـة الكرم ، بنت الدنان ، بنت الحان •• » الى آخر هذه الأسماء والألقاب التي زادت عن المئة •

ومع كل هذا لما بلغهم أن الخمر قد حرمت قالوا جميعاً : **انتهينا ربنا** ، بل أراقوا ما كان عندهم في القلال في سكك المدينة •• هكذا الإيمان يصنع العجائب حين يخالـط بشاشته القلـوب ، وتترسخ جـذوره في الضمائر والنفوس •• بل يقوم بدوره الكبير في الإصلاح والتهذيب ، مما تعجز عنه دول ، وتفشل في تحقيقه أساطيل ••

فما أحوج المجتمعات الانسانية الى مثل هذا الايمان ، والى مثل هذه التربية الصالحة !!••

ب ــ اما منع أسباب هذه الظاهرة فيرجع الى من بيده السلطة والتنفيذ، فالدولة حين تمنع في الأسواق وفي كل مكان جميع أنواع الخمر ، وتتخذ الأسباب لاستئصالها والقضاء عليها ، عندئذ توصد الأبواب في وجـوه مدمنيها ، فلا يحتسيها شاب ، ولايجد فاسق سبيلا اليها ••

ج ــ اما عقوبة مرتكبيها فإن الاسلام وضع العقوبة الزاجرة لكل من يحتسيها ، وهي مقدرة مابين (٤٠ الى ٨٠) جلدة ، وهذا لايمنع من وضع عقوبات تعزيرية من حبس ، وتغريم ، ومصادرة •• لكل من يبيعها أويحملها أو يتاجر بها ••

وعلى الحكومات ــ ان كانت جادّة ــ أن تنتقي من المباحث الجنائية المعروفة بالنشاط والاخلاص والحزم والاستقامة •• لتزاول عملها على أحسن وجه عسى أن تصل في النهاية الى تطهير المجتمع من موبقات الخمر ، وأخطار المخدّرات ••



اما ظاهرة الزنى واللواط :

فهي أخطر الظواهر الاجتماعية عند الأطفال والمراهقين الشباب .. وكم سمعنا عن أطفال لم يبلغوا الحلم بعد ، سلكوا طريق الفاحشة والفساد بغفلة عن مراقبة آبائهم وذويهم .. حتى هوَوْا في مزالق الشذوذ والانحدار الخلقي ، فقبعوا في حضيض الهلاك والضياع ..

وما أشدّ فاجعة الآباء والأولياء حين يرون أولادهم ، ومن يقومون على أمرهم قد انتكست فطرتهم ، وانحطت أخلاقهم ، وانغمسوا في حمأة الرذيلة والشــذوذ !!.. .

وهل تنفع الآهات ، وتجدي الحسرات ، بعد أن رأوا أفلاذ أكبادهم ، وثمرات قلوبهم وهم يتخبطون في أوحال الخبائث ، ويتعثرون في مستنقعات الفســاد ؟ .

ولو أنهم ربوهم على الاخلاق الفاضلة ، وراقبوا تحركاتهم مراقبــة تامة ، وعرفوا من يصاحبون ، ومن يخالطون لما وصلت حالة أبنائهم الــى هذه النهاية المتفْجِعة ، والى هذه النتيجة المخزية !!..

مــن المسؤول الاول عــن الشذوذ الخلقي ، والانحراف الاجتماعي لدى الأبناء غير الآباء والأولياء ؟

من الذي يراقب أعمالهم ، ويطلع على تصرفاتهم وتحركاتهم غــير الآباء والأولياء ؟

من الذي يوجههم الى مبادىء الفضيلة والاخــلاق ، ويقبّح لهــم الفحشاء والمنكر غير الآباء والأولياء ؟

فالأب والأم هما المسؤولان أولا وآخراً عن تربية الولد ، ثم تأتي بالتالي مسؤولية الدولة ، ومسؤولية المجتمع ..

بعد هــذه اللفتة التوجيهية تتكلم عن هذه الظاهرة في أمور ثلاثة :

١ ــ الأضرار التي تنجم عنها .

٢ ــ حكم الاسلام فيها .

٣ ــ العلاج الناجع في استئصالها والقضاء عليها .

اما عن الأضرار التي تنجم عن ظاهرة الزنى واللواط فإنهـا بالغــة الخطورة ، وهي مرتبة كما يلي :

اضرار صحية وجسمية :

يتسبب عن اقتراف جريمة الزنى واللواط الأمراض التالية :

١ ــ مرض الزهري :

الذي من أعراضه القرحــة والتورّم على أعضــاء التناسل أو الشفة أو اللسان أو الجفن ... وظهور البقع في أنحاء الجسم ، ويسبب هذا المرض الخطير الشلــل ، والعمــى ، وتصلّب الشرايــين ، والذبحــة الصدريــة ، والتشوهات الجسمية ، وســرطان اللسان ، والسّل في بعض الأحيان ، وقــد يتعدى هذا المرض الى الزوجة والأولاد .. وهو من الامراض الساريــة بالعدوى من لمس ولعاب ..

٢ ــ مرض السيلان أو التعقيبة :

من أعراض هذا المرض حدوث ألم وحرقة شديدة عند التبول ، وافراز

سائل صديدي (القيح) في مجرى البول عند الرجال ، ومن عنق الرحم ومجرى البول عند النساء ، ومن مضاعفات السيلان عند الذكور حدوث الالتهابات في الخِصْيَتين والمثانة ، وضيق مجرى البول .. أما عند النساء فيسبب التهاب الرحم والمبايض والكليتين .. ومرض التعقيبة قد يؤدي الى العقم لدى الرجل والمرأة ، واصابة القناة البولية عند الرجل بقروح تؤدي في الغالب الى انحباس البول الذي قد يؤدي الى الوفاة في بعض الأحيان .

٣ ـ انتشار الأمراض المعدية :

ومن أمراض الزنى واللواط أنه يجلب أمراضاً خبيثة معدية بسبب انتقال الجراثيم الفتاكة من المريض الى الصحيح ، وبسبب القذارة الحاصلة أثناء الجماع .

وما أكثر هذه الامراض السارية التي استفحل خطرها ، وتفاقم شرها في المجتمعات التي ينتشر فيها الزنى واللواط ، ويعم في ربوعها الفساد والمنكر !!..

وما أصدق ما قاله الصادق المصدوق محمد بن عبد الله صلوت الله وسلامه عليه حين أخبر أن الفاحشة اذا ظهرت في قوم ابتلاهم الله بالأوجاع والامراض التي لم تكن في أسلافهم ، روى ابن ماجه والبزار والبيهقي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « يامعشر المهاجرين : خمس خصال اذا ابتليتم بهن ، وأعوذ بالله أن تدركوهن ـ عدد منها : ... ولم تظهر الفاحشة في قوم قط يعمل بها علانية الا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن في أسلافهم .. » ، ألا فليتذكر أولوا الألباب !..

ب ـ اضرار اجتماعية وخلقية ونفسية :

يكفي هذه الظاهرة ضرراً وخطراً أنها تؤدي الى اختلاط الأنساب

وضياع النسل ، وهتك الاعراض والحرمات ، وقتل الشهامة والمروءة ، وتفسخ المجتمع ، وفصم أواصر الزوجية ، وتفكك وحدة الاسرة، والانطلاق في حمأة الرذيلة والفساد ، وفقد الرجولة والكرامة ...

ويكفيها شرا وفسادا أن المجتمع بسببها يعجّ بأولاد لا كرامة لهم ولا أنساب ، وأن تيار الإباحية يجتاح شباب الأمة ونساءها .. واذا كان الامر كذلك فلا ترى للأخلاق وزناً ، ولا للفضيلة والشرف أي اعتبار ولاقيمة !!..

وما قيمة مجتمع اندثرت أخلاقه، وضاع حياؤه، وتهدم كيانه واعتباره؟

وما قيمة مجتمع تشرد أطفاله ، وتهتك نساؤه ، وفجر شبابه ؟

وما قيمة مجتمع استبدت به شهواته ، واستحوذت عليه غرائزه ، فلا يعرف هماً سوى الجنس واللذة المحرمة ، ولا غاية سوى الغريزة والشهوة الهابطة ..؟

لاشك أنه مجتمع منحل متفكك مهدد في كل لحظة بالزوال والدمار ؛ وصدق الله العظيم القائل في محكم تنزيله :

« وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا » (الاسراء : ١٦)



اما حكم الاسلام في الزنى واللواط فهو التحريم القطعي بإجماع الفقهاء والمجتهدين وذلك للأدلة التالية :

اما فيما يتعلق بحرمة الزنى فيقول الله تعالى : « ولاتقربوا الزنى إنه كان فاحشة وساء سبيلا » (الاسراء : ٣٢) ؛ **ويقول : « والذين لايدعون مع الله إلهاً آخر ولايقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولايزنون ، ومن يفعل ذلك يلق أثاماً ، يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهاناً »**

(الفرقان : ٦٨)

ويقول عليه الصلاة والسلام في الحديث الذي رواه البخاري ومسلم وغيرهما : « لايزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ... » ؛ وروى الطبراني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ان الزناة تشتعل وجوههم ناراً » ؛ وروى الحاكم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « اذا ظهر الزنى والربا في قرية فقد أحلوا بأنفسهم عذاب الله » ؛ وروى ابن أبي الدنيا والخرائطي عن رسول الله صلى الله عليه رسلم أنه قال : « الزاني بحليلة جاره لاينظر الله اليه يوم القيامة ، ولايزكّيه ، ويقول : ادخل النار مع الداخلين » .

اما فيما يتعلق بحرمة اللواط فيقول الله تعالى : « أتأتون الذُّكرانَ من العالمين ، وتذرون ما خلق ربكم من أزواجكم ؟ بل انتم قوم عادون » .

(الشعراء : ١٦٥)

ويقول : « ولوطاً إذ قال لقومه إنكم لتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من احد من العالمين ، أئنكم لتأتون الرجال وتقطعون السبيل وتأتون في ناديكم المنكر ، فما كان جواب قومه إلا ان قالوا ائتنا بعذاب الله إن كنت من الصادقين ».

(العنكبوت : ٢٩)

ويقول عليه الصلاة والسلام في الحديث الذي رواه الحاكم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ملعون من عَمِل عمل قوم لوط ، ملعون من عمل عمل قوم لوط ، ملعون من عمل عمل قوم لوط .. » قالها

ثالثاً • وروى ابن ماجه والترمذي عنه عليه الصلاة والسلام : « أخوف ما أخاف على أمتي من عَمِلَ عمل قوم لوط » •

وروى الطبراني والبيهقي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أربعة يصبحون في غضب الله ويمسون في سخط الله » ، قال أبو هريرة من هم يارسول الله ؟ قال : « المتشبهون من الرجال بالنساء ، والمتشبهات من النساء بالرجال ، والذي يأتي البهيمة ، والذي يأتي الرجال » •

ولكل من الزنى واللواط عقوبات مقدرة في الشرع مبينة كما يلي :

١ ــ عقوبة الزنى :

للزنى عقوبتان مقدرتان في الشرع :

أ ــ عقوبة الجلد مع التغريب •

ب ــ عقوبة الرجم •

اما عقوبة الجلد مع التغريب فتكون للزاني غير المحصن (أي غير المتزوج) سواء أكان الزاني رجلا أو امرأة ، فيجلد مائة جلدة لقوله تبارك وتعالى :

« الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ، ولاتاخذكم بهما رافة في دين الله ، وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين » • (النور : ٢)

والتغريب عندالحنفية من باب التعزير ، فإن رأى الامام فيه فائدة غرّبه ، وعند باقي الأئمة يجب التغريب بعد الجلد الى مكان لاتُقْصَر فيه الصلاة ، وبالتغريب حكم الخلفاء الراشدون ، وبه قال كثير من الصحابة •

٢ ــ اما عقوبة الرجم فتكون للزاني المحصن (أي المتزوج) ، لقوله

عليه الصلاة والسلام في الحديث الذي رواه البخاري ومسلم وغيرهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال :

« لايحل دم امرىء مسلم يشهد أن لااله الا الله وأني رسول الله الا بإحدى ثلاث : « الثيب (أي المتزوج) الزاني ، والنفس بالنفس . والتارك لدينه المفارق للجماعة » . وقد ثبت في الاحاديث الصحيحة أن الرسول صلى الله عليه وسلم أمر برجم ماعز بن مالك ، والمرأة الغامدية لاعترافهما أمام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالزنى ، وكانا محصنين متزوجين .

٢ ــ عقوبة اللواط :

أجمع العلماء على أن اللواط زنى ، ولكن اختلفوا نسبياً في تحديد العقوبة ، قال البغوي : « اختلف أهل العلم في حدّ اللوطي ، فذهب قوم الى أن حدّ الفاعل هو حد الزنى : ان كان محصناً يرجم ، وان لم يكن محصناً يجلد مائة جلدة وهو أظهر قولي الشافعي ، وذهب قوم الى أن اللوطي يرجم سواء كان محصناً أو غير محصن وهوقول مالك وأحمد ، والقول الثاني للشافعي أنه يقتل الفاعل والمفعول به »[1] ، وذهب الحنفية في وجوب التعزير حسب مايراه الامام رادعاً للمجرم ، فاذا تكرر منه الفعل ولم يرتدع أعدم بالسيف تعزيرا .

وإليكم النصوص التي تدل على قتل الفاعل والمفعول به كما ذهب الى ذلك جمهور الفقهاء والمجتهدين :

ــ روى الترمذي وأبو داود وابن ماجه أن رسول الله صلى الله عليه

(١) النص الفقهي من كتاب الترغيب والترهيب : ج٤ ، صفحة ٣٢٥ ، باب الترهيب من اللواط .

وسلم قال : « من وجدتموه يعمل عمل قوم أهل لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول بـه » .

ـ وروى البيهقي وغيره عن مِفْضَل بن فضالة عن ابن جريج عـن عكرمة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « اقتلوا الفاعل والمفعول به ، والذي يأتي البهيمة » .

★ ★ ★

أما العلاج في استئصال هذه الظاهرة فهو نفس العلاج الذي سبق ذكره في استئصال العادة السرية للحالة المتشابهة في علاج الظاهرتين ، فـلا ضرورة لإعادة الكلام فيه مرة ثانية .

وازيدك ـ ايها القارىء ـ علاجاً آخر وهو أنه لايصلح آخر هذه الأمة الا بما صلح به أولها ، فإن صلح لأمتنا في الماضي رسالة الاسلام نظامـاً وتشريعاً ، ووجدت العزة تحت ظلالها ، والقوة والتمكين والحضارة لمـا سارت على مبادئها وأحكامها .. فلا يصلح لأمتنا اليوم الا ماصلح لها بالأمس ، فعندئذ تعود لامتنا عزتها السليبة ، وقوتها المنيعة ، ودولتهـا العتيدة ، واستقرارها المنشود ؛ وترجع ـ كما كانت ـ خير أمة أخرجت للناس هدياً وقدوة وعطاء وقوة .. ورضي الله عن الخليفة الراشد عمر بن الخطاب القائل : « نحن قوم أعزنا الله بالاسلام ، فمهما ابتغينا العزة بغير ما أعزنا الله به أذلنا الله » رواه الحاكم .

ورحم الله محمد اقبال حين قال :

اذا الإيمان ضاع فلا أمان ولا دنيا لمن لم يُحْيِ دينا
ومن رضي الحياة بغير دين فقد جعـل الفناء له قرينا



انطلاقاً من المبدأ الذي وضعه الرسول صلوات الله وسلامه عليه : « **لاضرر ولاضرار** » ، وامتثالا لقوله تبارك وتعالى : « **ولاتلقوا بايديكم إلى التهلكة** » ، وأخذاً بواجب المسؤولية التي حتمها رسول الاسلام •• وجب على المربين ــ ولاسيما الآباء والأمهات منهم ــ أن يأخذوا بأسباب الوقاية لأولادهم ، وبوسائل الحيطة والحذر لافلاذ أكبادهم •• حتى لايتعرضوا للأخطار المحدقة التي تصيبهم ، ولا للحوادث الأليمة التي تفاجؤهم ، وربما تفضي بهم ــ في أغلب الاحيان ــ الى المــوت أو التشويــه أو المرض أو الجروح •••

وإليكم ــ ايها المربون ــ اهم هــذه الأسباب الوقائية في تقليل الحوادث :

وهي ملخصة مع بعض التصرف من كتاب « المشكلات السلوكية » للدكتور نبيه الغبرة صفحة : ١٧٧ : (ان النظام المنطقي المنسجم المعتدل الــذي نضعه لاطفالنا ضروري لسلامتهم ، كما هــو ضروري لشعورهم بالاطمئنان ، وان حماية الطفل في **السنة الأولى** تقع على عاتق الاهل كاملة وهم مسؤولون عن أي تفريط ، وأما في **السنة الثانية** فيحسن البدء بتعليم الطفل الحذر من المخاطر ، وذلــك بتلقينه بعض الدروس اللطيفة ، فحتى لايلمس المدفأة أو النار أو الأواني الحارة ••• بشكل اعتباطي ، أو أن يقع فيها ، فيحسن أن نقول له **او ننبهه** بأنها حارة مؤلمةعند اللمس بل ومخيفة، وأن نسمح له بلمسها لمساً لطيفــاً سريعاً بشكل لا يؤذي ، وبذا يخافهــا ويحذرها •• واذا ما رأينا طفلا على وشك من أن يقع على كرسي ، وليس في يــده شيء يؤذيه أو لا يوجــد شيء على الأرض قد يؤذيه ان سقط عليــه ، فلا بأس من تركه يسقط ــ مع أخذ الحيطة ــ وننتهز الفرصة لتعليمــه الحذر ، وعلى العموم فيجب **ان يكون هنالك توازن مابين التعليم والحماية** ، وعلى الأهل أن يفطنوا لما يمكن أن يتعرض له الطفل من مخاطر أثناء لعبه ، وأن يأخذوا الاحتياطات اللازمة) •

وفيما يلي بعض الخطوات العملية التي تساعد على الاقلال من الحوادث كما عرضها الدكتور غبرة :

١ ــ يجب وضع السموم في خزانة مغلقة ، وأن يوضع المفتاح في مكان أمين ، كما يجب أن يكتب اسم المادة السامة على الزجاجة بشكل واضح ، وأن لاتوضع الزجاجة حيث يوجد الطعام ، وهذه السموم تشمل أنواعاً عديدة لاستعمالات مختلفة ، وأهمها مبيدات الحشرات ، والقطرونة ..

٢ ــ يجب رمي الأدوية الفائضة عن الحاجة ، وعدم تركها في متناول الاطفال ، وعند استعمال الدواء يحسن ألا يستعمل بوجود الطفل ، لأن الاطفال يحبون التقليد والمحاكاة ، وحوادث تسمم الأطفال بالأدوية ليست بالقليلة ، وإذا ما أردنا أن نعطي طفلا دواء فيجب افهامه أنه دواء وليس شرابا ، والأحسن وضعه في مكان بعيد عن متناول يده ان لم نكن على ثقة منه .

٣ ــ يجب وضع حاجز واق لكل مصادر الاحتراق كالمدافىء بمختلف أنواعها ، وأجهزة التسخين والطبخ والأفران ان كان هناك احتمال وصول الطفل الذي بدأ يحبو ويمشي اليها ، والا فلا بد من وقوع الحوادث ، فكم يحترق أطفال بالمدافىء ، ومواقد الحمامات ، وماشابه ذلك .

ويجب كذلك عدم السماح للطفل باللعب بالأشياء المشتعلة كعود الثقاب (الكبريت) ، بل علينا أن نجعلها في أماكن مرتفعة بعيدة عن متناول يده .

وأما أباريق الشاي ، وأواني أوعية الطبخ فهي مصدر خطر على الاطفال للأشياء الساخنة الموجودة فيها ، **فكم من ام جاهلة** غفلت عن آنية

الطبخ أو القلي وفيها الاشياء المحرقة ، فوقع فيها فلذة كبدها ، فأصيب بالجروح المحرقة ، وسبّبت له التشوهات الدائمة ؟.

وكم من أمٍّ حمقى وضعت ابريق الشاي على حافة الطاولة ، أو علـى الأرض ، أو على الكرسي ، فوقع طفلها على الابريق ، أو وقع الابريق عليه ، فنتج عن ذلك الإصابات الخطيرة ؟.

ويجب الحذر من الالعاب النارية في المواسم والمناسبات خشيـة التأذي بهـا .

ويجب الاحتراس من أخطار الادوات الكهربائية وأسلاكها مخافـة الإصابـة .

٤ ـ **ويجب** ابعـاد كـل الآلات الحـادة كالمقصات ، والسكاكين ، والشفرات ، والدبابيس ، والأواني الزجاجية بحيث لاتصل الى أيـدي الأطفـال .

٥ ـ **ويجب** عدم السماح للأطفال بممارسة الألعاب التي قد تكون خطرة كاللعب بالحبل وشده حول العنق ، أو اللعب بكيس من البلاستيك وادخال الرأس فيه ، فهذا قد يؤدي الى الاختناق ؛ **ويجب** كذلك تجنيب الطفل الركض وفي فمه طعام ، أو قذف بعض الموالح كالقضامة والفستق في الهواء ثم تلقيها بالفم مباشرة خوفاً من دخول الطعام الى مجرى الهواء فيتسبب الاختنـاق .

٦ ـ **ويجب** على الأم ألا تنيم ابنها في سريرها اذ هناك خطر خنقه ؛ وكم سمعنا عن حوادث من هذا النوع ، فقد تنام الأم ، ثم ينام الطفل

والثدي في فمه ، فبمجرد ميلان خفيف من الأم علــى الطفل يؤدي الــى موتــه بالاختناق ؟

٧ ـ **ويجب** التأكد من سلامة نوافذ الطابق العلوي ، وكون الطفل لايستطيع اجتيازها ، **ويجب** أن تكون حواجز الشــرفات من النوع الفني الحديث التي تسمح للطفل بالمشاهدة ولاتسمح له بتسلقها ، أو على الأقل لايخشى عليه من الخطر إنْ تسلقها وكم من حــوادث أليمة ذهبَ ضحيتهــا أطفال في أجمل العمر نتيجة التساهل في هذا الأمر ؟

٨ ـ **ويجب** الانتباه عنــد استعمــال الآلات الميكانيكية ، والأجهزة الكهربائية ، ولاسيما الغسالات ومفارم اللحم والكبيبة .. فحوادث انسحاب أيدي الاطفال في الغسالة ، أو ذهاب أصابعهم بالمفرمة ليست قليلة !!.

٩ ـ **ويجب** الانتباه الى كون الباب الخارجي للمنزل مغلقاً حتى لايخرج الطفل على حين غرة بدون علم أمه خوفاً من وقوع حادث .

١٠ ـ **ويجب** الانتباه على الباب عند اغلاقه مخافة أن يضع الولد أصابعه في طرفه فيتسبب انضغاط على بعض أصابعه ، فيصاب بإصابات أليمة.

الى غير ذلك من هذه الاسباب الوقائية التي لاتخفى على كل ذي عقــل وبصيرة .

تلكم هي أهم الوسائل التي وضعها الاسلام في تربية الولد الجسمية، وهي ـ كما علمت ـ وسائل ايجابية ، وأسباب وقائية لو أخذ بتعاليمها المربون ، ومشى على نهجها الآباء والمعلمون .. لرأينا أبناء هذا الجيــل يرتعون في بحبوحة من الصحة ، ويتمتعون بنعمة القوة ، ويسيرون في طريق الأمن والهناءة والاستقرار ..

ومن المعلوم يقيناً أن أمة الاسلام اذا تمتعت بعقل سليم ، وجسم قوي ، وارادة متينة ، وعزيمة جبارة ، وشجاعة فائقة ، ووعي كامل ... فإنها ستكون المبرّزة في الانتاج ، والسباقة الى الحضارة ، والآخذة بأسباب النصر والمجد ، والعاملة على تحقيق العزة الخالدة للاسلام والمسلمين ، ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الحكيم .

فيا أيها المربون من آباء وامهات ومعلمين ... :

هذا هو وحده طريق الحياة .

هذا هو وحده طريق القوة .

هذا هو وحده طريق المجد .

هذا هو وحده طريق الخلود ...

فما أحوج الجيل اليوم ـ الذي هو أمانة في أيديكم ـ الى تطبيق هذه التعاليم السامية ، والمبادىء الخالدة في اعداده جسمياً ، وتكوينه صحياً ونفسياً .. حتى يستطيع أن ينهض بأعبائه ، ويضطلع بمسؤولياته في حمل الرسالة الاسلامية الى الدنيا كما حملها من قبل جيل الصحابة ، وجيل التابعين ، والاجيال التي تلت من بعدهم ..

عسى أن ينقل جيلنا اليوم الأمم من ظلمات الإلحاد والانحلال والجاهلية الى نور الايمان ، ومكارم الأخلاق ، وهداية الاسلام !!.. وماذلك على الله بعزيز .



الفصل الرابع

٤ـ مسئولية التربية العقلية

المقصود بالتربية العقلية تكوين فكر الولد بكل ماهو نافع من العلوم الشرعية ، والثقافة العلمية والعصرية ، والتوعية الفكرية والحضارية.. حتى ينضج الولد فكرياً ويتكوّن علمياً وثقافياً ...

وهذه المسؤولية لاتقل خطورة وأهمية عن المسؤوليات التي سبق ذكرها : الإيمانية ، والخلقية ، والجسمية ؛ فالتربية الايمانية **تأسيس** ، والتربية الجسمية **إعداد وتكوين** ، والتربية الخلقية **تخليق وتعويد** .. أما التربية العقلية فإنها **توعية وتثقيف وتعليم** ..

وهذه المسؤوليات الأربعة ، ومسؤوليات غيرها مما سنأتي على ذكره متضافرة مترابطة متساندة في تكوين الولد الشامل ، وتربيته المتكاملة ليكون انساناً سوياً يقوم بواجب، ويؤدي رسالة،وينهض بمسؤولية.. فما أحسن الإيمان حين يؤاخي الفكر ، وماأجمل الأخلاق حين تواكب الصحة !!.. وما أعظم الولد حين ينطلق للحياة العملية وقد اعتنى به المربون من كل جانب ، وأحاطوا بتوجيهه وتربيته واعداده من كل ناحية !!...

واذا كان لابد من بيان المراحل التي يجب أن يسلكها المربون في

كل مسؤولية يقومون بها نحو الولد •• فأرى أن مسؤوليتهم في التربية العقلية تتركز في الأمور التالية :

١ ـ الواجب التعليمي •

٢ ـ التوعية الفكرية •

٣ ـ الصحة العقلية •

★ ★ ★

١ ـ مسؤولية الواجب التعليمي :

لاشك أن هذه المسؤولية بالغة الاهمية والخطورة في نظر الاسلام ، لأن الاسلام حمل الآباء والمربين مسؤولية كبرى في تعليم الاولاد ، وتنشئتهم على الاغتراف من معين الثقافة والعلم ، وتركيز أذهانهم على الفهم المستوعب ، والمعرفة المجردة ، والمحاكمة المتّزنة ، والإدراك الناضج الصحيح •• وبهذا تتفتّح المواهب ، ويبرز النبوغ ، وتنضج العقول ، وتظهر العبقرية •• ومن المعلوم تاريخياً أن أول آية نزلت على قلب الرسول الأعظم صلوات الله وسلامه عليه هذه الآيات :

« اقرأ باسم ربك الذي خلق ، خلق الانسان من علق ، اقرأ وربك الاكرم الذي علم بالقلم ، علم الانسان مالم يعلم » •

وما ذاك الا تمجيد لحقيقة القراءة والعلم ، وايذان لرفع منار الفكر والعقل ، وفتح لباب الحضارة على مصراعيه •

واذا أردنا أن نستعرض الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي تحض على العلم ، وترفع من منزلة العلماء نجدها كثيرة ومستفيضة يستظهرها الصغير والكبير ، ويرويها العالم والمتعلم ••

فمن هذه الآيات قوله تعالى : « قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لايعلمون » (الزمر : ٩)

ـ وقوله : « وقل رب زدني علما » (طه : ١١٤)

ـ وقوله : « يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات » (المجادلة : ١١)

ـ وقوله : « ن والقلم ومايسطرون » (القلم : ١ـ٢)

ومن هذه الأحاديث :

روى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ... ومن سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له طريقا الى الجنة » .

ـ وروى الترمذي عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « الدنيا ملعونة ، ملعون ما فيها الا ذكر الله تعالى ، وما والاه[1] ، وعالماً أو متعلماً » .

ـ وروى الترمذي عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من خرج في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع » .

ـ وروى الترمذي عن أبي أمامة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم .. ان الله وملائكته وأهل السموات والأرض حتى النملة في جحرها ، وحتى الحوت ليصلون على معلمي الناس الخير » .

ـ وروى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله

(١) وما والاه : اي أطاع الله .

صلى الله عليه وسلم : « اذا مات ابن آدم انقطع عمله الا من ثلاث : صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له » .

انطلاقا من هذا التوجيه القرآني والإرشاد النبوي انكب المسلمون في عصر الرسالة ، والعصور التي تلت على مدارسة العلوم الكونية ،واعتبروا تعلم كل علم نافع من قبيل الفرض والواجب ، واستفادوا من حضارات الأمم الأخرى في العالم ، فجددوا فيها وهضموها ، وطبعوها بطابع الاسلام المتميز ؛ وظل العالم قروناً طويلة يقتبس من علومهم ، ويستفيد من حضارتهم .. وماتألقت الحضارة المادية في العصر الحديث شرقاً وغرباً الا بفضل ماأخذوه منحضارة المسلمينوعلومهم **عن طريق صقلية ، والاندلس ، والحروب الصليبية** ... فكانت الدولة الاسلامية بحق أستاذاً وإماماً للعالم الضال ، والإنسانية الحائرة ..

وإليكم شهادة المنصفين من فلاسفة الغرب على عظمة المجد العلمي والحضاري الذي أحرزه المسلمون في فترات طويلة من التاريخ :

ـ يقول « شريستي » فيحديثه عنالفن الاسلامي : « ظلت أوربا نحو ألف سنة تنظر الى الفن الاسلامي كأنه أعجوبة من الأعاجيب » .

ـ ويقول « دوزي » المستشرق الهولندي : « ان في كل الاندلس لم يكن يوجد رجل أمي بينما لم يكنيعرف القراءة والكتابة في أوروبا معرفة أولية الا الطبقة العليا من القسس » .

ـ ويقول « لين بول » في كتابه « العرب واسبانيا » : « فكانت أوربا الأمية تزخر بالجهل والحرمان بينما كانت الأندلس تحمل امامة العلم وراية الثقافة » .

ــ ويقول « بريفولت » في كتابه « تكوين الانسانية » : « العلم هو أعظم ما قدمت الحضارة العربية الى العالم الحديث ، ومع أنه لاتوجدناحية واحدة من نواحي النمو الاوربي الا ويلحظ فيها أثر الثقافة الاسلامية النافذ، الا ان أعظم أثر وأخطره هو ذلك الذي أوجد القوة التي تؤلف العامل البارز الدائم في العالم الحديث ، والمصدر الأعلى لانتصاره أعني العلم الطبيعي والروح العلمية .. وهذه الحقائق مؤداها أن الاسلام دين بناء حضاري » .

ــ ويقول « أبو شبكه » في كتابه « روابط الفكر والروح بين العرب والفرنجة » : « ان زوال الحضارة العربية كان شؤماً على أسبانيا وأوروبا ، فالأندلس لم تعرف السعادة الا في ظل العرب ، وحالما ذهب العرب حلّ الدمار محل الثراء والجمال والخصب .. » .

ــ ويقول « هـ ، ر ، جب » في كتابه « الاتجاهات الحديثة في الاسلام » في معرض المذهب التجريبي الذي قام عليه كل العلم الأوربي والذي هو تراث اسلامي أصيل ... يقول ما نصه : « أعتقد أنه من المتفق عليه أن الملاحظة التفصيلية الدقيقة التي **قام بها الباحثون المسلمون** قد ساعدت على تقدم المعرفة العلمية مساعدة مادية ملموسة ، وأنه عن طريق هذه الملاحظات وصل المنهج التجريبي الى أوروبا في العصور الوسطى » .

ــ ويقول « فكتور روبنصن » بعد كلام طويل في موازنته بين الحضارة الاسلامية في الاندلس ، وحضارة أوروبا في القرون الوسطى : « .... وكان أشراف أوروبا لايستطيعون توقيع أسمائهم بينما كان أطفال المسلمين في قرطبة يذهبون إلى المدارس ؛ وكان رهبان أوربا يلحنون في تلاوة سِفْر الكنيسة بينما كان معلمو قرطبة قد أسسوا مكتبة تضارع في ضخامتها مكتبة الاسكندرية العظيمة .. » .

ان هذه الاقوال وأقوالا كثيرة غيرها تؤكد لنا بوضوح ما انطوى عليه الاسلام من قوة دفع حضارية ، ومن اشراقة نور علمية .. بينما كان العلماء في أوروبا — في القرون الوسطى — يقتلون في الساحات العامة جهاراً نهاراً لجراءتهم العلمية والفكرية !!..

★ ★ ★

ولكن ماهو السر في هذا الدفع الحضاري ، والإشراقة العلمية ؟.

السر كامن في المبادىء التي انطوت عليها شريعة الاسلام الخالدة :

أ — ذلك لان الاسلام روح ومادة ، دين ودنيا فلعبادته ، ومعاملاته ، وتشريعاته الاجتماعية ، وأحكامه الدنيوية .. آثار واضحة في بناء الحضارة الانسانية ؛ وشعاره في ذلك قوله تعالى :

« وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولاتنس نصيبك من الدنيا » .

(القصص : ٧٧)

وقوله : « فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله »

(الجمعة : ١٠)

ب — ولانه يدعو الى المساواة والانسانية ، ليساهم في بناء الحضارة الانسانية كل من ينضوي تحت راية الاسلام بغض النظر عن أجناسهم وألوانهم ولغاتهم .. وشعاره في ذلك قوله تبارك وتعالى :

« ان أكرمكم عند الله اتقاكم » (الحجرات : ١٣)

ج — ولانه دين الانفتاح والتعارف إلى كل الأمم والشعوب ، وشعاره في ذلك قوله تبارك وتعالى :

« يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا » (الحجرات : ١٣)

وبناء على هذا النداء انفتح المسلمون على غيرهم ، واستفادوا من حضارات الأمم ، فتكونت لديهم خبرات واسعة في شتى المجالات الصناعية والتجارية والزراعية والفنية .. فصهروها في بوتقة الاسلام ، فجاءت الحضارة فيما بعد مطبوعة بطابعه ، وممهورة بخاتمة .

د ــ **ولأنه دين مستمر متجدد** على أرقى ما يكون من النظم والاحكام والمبادىء .. وحسبه شرفاً وخلوداً أنه تنزيل رب العالمين ، وتشريع أحكم الحاكمين ، وأنه يفي بحاجات البشرية في كل زمان ومكان ، ويمد الإنسانية بتشريعات حيوية راقية متكاملة الى أن يرث الله الارض ومن عليها ؛ وشعاره في ذلك قوله تعالى :

« ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون » (المائدة : ٥٠)

ويكفي هذا الاسلام فخراً وخلوداً أن يشهد عظماء الغرب على عظمته وحيوية تشريعه ، واليكم ما قاله الفيلسوف الانكليزي **« برناردشو »** :
« لقد كان دين محمد موضع تقدير سام لما ينطوي عليه من حيوية مدهشة ، وأنه الدين الوحيد الذي له ملكة الهضم لأطوار الحياة المختلفة .. وأرى واجباً أن يدعى محمد منقذ الانسانية ، وإنّ رجلا كشاكلته لو تولّى زعامة العالم الحديث لنجح في حل مشكلاته » .

ويقول الدكتور **« ايزكو انساباتو »** : « ان الشريعة الاسلامية تفوق في كثير من بحوثها الشرائع الاوربية ، بل هي التي تعطي للعالم أرسخ الشرائع ثباتاً » .

ويقول العلامة **« شبرل »** عميد كلية الحقوق بجامعة « فينا » في

مؤتمر الحقوق سنة (١٩٢٧) م : « ان البشرية لتفتخر بانتساب رجل كمحمد (صلى الله عليه وسلم) اليها ، اذ أنه رغم أميته استطاع قبل بضعة عشر قرناً أن يأتي بتشريع سنكون نحن الأوربيين أسعد مانكون ، لو وصلنا الى قمته بعد ألفي سنة » !!..

جاء النبيون بالآيات فانصرمت وجئتنا بجديد غير منصرمِ

آياته كلما طال المدى جُدُد يزينهن جمال العِتْقِ والقِدم

هـ ــ ولأنه دين يجعل التعليم منذ الصغر الزامياً ومجانياً دون أن يكون تمييز بين العلوم الشرعية والعلوم الكونية الا من ناحية الحاجة والكفاية والاختصاص .

أما أن الاسلام دين يجعل التعليم اجبارياً والزامياً فللأحاديث التالية :

ــ روى ابن ماجه عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « طلب العلم فريضة على كل مسلم » ، ولفظ المسلم في الحديث عام يشمل الذكر والأنثى على السواء .

ــ وروى الطبراني في الكبير عن علقمة عن أبيه عن جده قال : خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فأثنى على طوائف من المسلمين خيراً ثم قال : « ما بال أقوام لايفقهون جيرانهم ، ولايعلمونهم ، ولا يعظونهم، ولايأمرونهم، ولاينهونهم، ومابال أقوام لايتعلمون من جيرانهم، ولايتفقهون، ولايتعظون ، والله ليعلمنّ قوم جيرانهم ، ويفقهونهم، ويعظونهم ، ويأمرونهم ، وينهونهم ، وليتعلمنّ قوم من جيرانهم ، ويتفقّهون ، ويتّعظون، أو لأعاجلنّهم العقوبة » .

ــ وروى ابن ماجه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال

رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ كتم علماً مما ينفع الله به الناس في أمر الدين ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار » •

فإذا كان طلب العلم ـ في نظر الاسلام ـ فريضة على المسلم والمسلمة، واذا كان المستنكف عن تعلم العلم أو تعليمه مهددا ـ من قبل الشرع ـ بالعقوبة ، واذا كان من يكتم العلم النافع ملجماً بلجام من نار يوم القيامة •• أفلا يدل كل هذا على أن الاسلام دين يجعل تعلم العلم أو تعليمه واجباً الزامياً ؟! ••

اما ان الاسلام دين يجعل التعليم بكل اختصاصاته مجانياً

فللمواقف التي وقفها النبي صلى الله عليه وسلم في مجانية التعليم ، وتحذيره الشديد من أخذ الأجر على التعليم لأصحابه •

فقد ثبت تاريخياً أنه عليه الصلاة والسلام كان لايتقاضى على دعوته وتعليمه من أحد أجراً ، ومبدؤه ومبدأ الرسل من قبله قوله تعالى :

« قل لااسالكم عليه من اجر ان اجري الا على الله »•

وثبت تاريخياً كذلك أن مصعب بن عمير الذي أرسله عليه الصلاة والسلام داعياً ومعلماً إلى المدينة ، ومعاذ بن جبل الذي أرسله الى اليمن ، وجعفر بن أبي طالب الذي أرسله الى الحبشة •• وعشرات غيرهم كانوا لايتقاضون من أحد أجراً •

ومن تحذيره عن اخذ الاجر أن عبادة بن الصامت رضي الله عنه ـ كما روى أبو داود عن أبي شيبة ـ قال : « علّمتُ ناساً من أهل الصّفّة الكتاب والقرآن ، فأهدى لي رجل منهم قوساً ، فقلت : ليست بمال ، وأرمي عليها في سبيل الله ، لآتينّ رسول الله صلى الله عليه وسلم فلأسألنّه ، فأتيته ،

فقلت يارسول الله ، رجل أهدى لي قوساً ممن كنت أعلمه الكتاب والقرآن. وليست بمال ، وأرمي عليهـا في سبيل الله ، فقـال : إن كنت تحب أن تكون طوقاً من النار فاقبلها » .

وثبت تاريخياً أيضاً أن أبناء المسلمين الذين كانوا يؤمّون المساجد ، والمدارس .. للعـلم والتعلم كانوا لايبذلون في سبيل تعلمهم أجراً !! ، بـل كانوا يدرسون في بعض العصور على حساب الدولة. ولقد كان **علماء السلف** يحذرون من يتصدى للارشاد والتعليم في أن يأخذ على تعليمه أجراً ، يقول الامام الغزالي رحمه الله : « على المعلم أن يقتدي بصاحب الشرع صلوات الله وسلامه عليه ، فلا يطلب على افادة العلم أجراً ، ولايقصد به جزاء ولا شكوراً ، بل يُعلّمُه لوجه الله تعالى وطلباً للتقرب اليه ، قال سبحانه عـلى لسان أحد أنبيائه :

« ياقوم لا اسالكم عليه مالا ان أجري الا على الله » .

نستنتج من ذلك كله أن الاسلام سنّ مجانية التعليم سواء على صعيد الدولة ، أو على صعيد الافراد حيث يقصد من يتصدى للتعليم في عمله وجه الله ، والتقرب اليه ، وابتغاء مرضاته .. وكان من نتيجة ذلك أن أقبـل الناس على العلم والتعلم بشكل لانظير له في تاريخ البشرية : يقول أحـد المفكرين : « ان الدولة الاسلامية سبقت العالم كله في نشر التعليم مجاناً للمواطنين جميعاً بلا تمييز أو محاباة ، فكانت المدارس مفتوحة على مصاريعها للشعب جميعاً في المساجد ، ودور العلم ، والأماكن العامة .. في كل البلاد التي دخلت الاسلام ؛ ومن بقايا ذلك التعليم الحر المباح التعليم المجانـي القائم بالأزهر الشريف ، وبكلية دار العلوم ، وجميع المدارس الشرعية .. فالطلاب يمنحون فيها اعانات مالية لتوفير الغذاء لهم مما تعمل الدول الآن على تعميمه في أرجائها »[1] .

---

(1) عن مجلة التمدن الاسلامي من مقال « التربية الاسلامية » للأستاذ محمود مهدي استانبولي ص ٤٢٢ .

بقي السؤال اذا كان المعلم متفرغاً للتعليم ، وليس عنده مورد آخر يتكسّب منه هل يجوز له أن يأخذ أجراً على تعليمه ؟

لاشك أن المعلم حينما يكون متفرغاً للعلم والتعليم ، وحينما لاتتيسر له الاسباب في الحصول على بُلْغة العيش ، وحينما تتساهل الدولة ، أو يتساهل المجتمع في كفايته وكفالته .. فإنه يجوز أن يأخذ على تعليمه أجراً يحقق له كرامة النفس ، وبُلغْة الحياة .. والى هذا يشير الامام الغزالي رحمه الله في احيائه : « وكذلك للمدرس أن يأخذ ما يكفيه ليفرّغ قلبه عن المعيشة ، وليتجرد لنشر العلم ، فيكون مقصوده نشر العلم ، وثواب الآخرة، ويأخذ الرزق بُلْغة ميسرة للمقصود » .

قال أبو الحسن — كما روى القابسي — : وقد مرت بي حكاية تذكر عن ابن وهب أنه قال : كنت جالساً عند مالك فأقبل اليه معلم الكتّاب، فقال له : ياأبا عبد الله، اني رجل مؤدّب الصبيان ، وانه بلغني شيء ، فكرهت أن أشارط (أي على الأجر) وقد امتنع الناس عليّ ، وليسوا يعطونني كما كانوا يعطون ، **وقد اضطررت بعيالي وليس لي حيلة الا التعليم** . فقال له مالك : إذهب وشارِط ، فانصرف الرجل، فقال له بعض جلسائه : يا أبا عبدالله، تأمره أن يشترط على التعليم ؟ فقال لهم مالك : نعم فَمَن يُمَحِّطُ (أي يصلح) لنا صبياننا ؟ ومن يؤدبهم لنا ؟ لولا المعلمون أي شيء كنا نكون نحن ؟ .

ويزيد الأمر تاكيداً ، هذا العصر الذي كثر شره ، وتضافرت المخططات الاستعمارية فيه لطمس معالم الاسلام !!. لذا وجب على الآباء والمربين أن يحرصوا على تعليم أولادهم ولاسيما علم التوحيد والعقيدة ، وتلاوة القرآن، وسائر العلوم الشرعية لأنه مالا يتمّ الواجب الا به فهو واجب ؛ واذا لم

يختاروا لأولادهم المعلمين ـ ولو بالأجر ـ فإن الاولاد سينشؤون على الإلحاد والجهل والتحلل والاباحية ...

وقديماً قال ابن مسعود رضي الله عنه ـ كما روى ابن سحنون عن سفيان الثوري ـ : « ثلاث لابد للناس منهم : من أمير يحكم بينهم ، ولولا ذلك لأكل بعضهم بعضاً ؛ ولابد للناس من شراء المصاحف وبيعها ، ولولاذلك لبطل كتاب الله ؛ ولابد للناس من معلم يعلم أولادهم ، ويأخذ على ذلك أجراً ، ولولا ذلك كان الناس أميين .. » .

ونضيف شيئاً آخر يتماشى مع هذا الزمن الذي نعيشه ؛ لابد للناس من معلم يعلم أولادهم مسائل العقيدة ، ومبادىء الاخلاق ، ووقائع التاريخ، وتلاوة القرآن .. ولولا ذلك لكان الاولاد ملحدين ضالين ، سواء أكان هذا التعليم بأجر أم بغير أجر !!..

ويشهد لهذه الملابسة الضرورية في اخذ الاجر ملابسة وقعت لبعض الصحابة في سفرة سافروها ، فنزلوا على حي من أحياء العرب فاستضافوهم فأبوا أن يضيفوهم ، فلُدغ سيد ذلك الحي ، فسعوا اليه بكل شيء لاينفعه شيء ، فقال بعضهم : لو أتيتم هؤلاء الرهط الذين نزلوا ، لعله أن يكون عند بعضهم شيء ؛ فأتوهم ، فقالوا : ياأيها الرهط ، ان سيدنا لُدغ ،وسعينا له بكل شيء لاينفعه شيء ، فهل عند أحد منكم من شيء ؟ فقال بعضهم : نعم والله اني لأرقي ، ولكن والله لقد استضفناكم ، فلم تضيفونا ، فما أنا براقٍ حتى تجعلوا لنا جُعْلا (أي أجراً) ، فصالحهم على قطيع من الغنم ، فانطلق يتْفُل عليه ويقرأ : الحمد لله رب العالمين ، فكأنما نشط من عِقال ، فانقلب يمشي ومابه قَلْبَة (أي مرض) ، فقال : فأوفوهم جُعلهم الذي صالحوهم عليه ، فقال بعضهم : اقسِموا ؛ قال الذي رقى : لاتفعلوا حتى نأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فنذكر له الذي كان ، فننظر ما يأمرنا ، فقدموا

على رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكروا له فقال : ومايدريك أنهارقية ثم قال قد أصبتم ، اقسموا واضربوا لي معكم سهماً ، وضحك النبي صلى الله عليه وسلم ، قال البخاري : وقال ابن عباس : قال النبي صلى الله عليه وسلم : أحق ماأخذتم عليه أجراً كتاب الله »[1] .

فالملابسة على جواز اخذ الأجر في هذا الحديث تتعلق بعدة وجوه :

١ ـ الصحابة في سفرهم هذا كانوا جياعا وبحاجه الى الطعام ، بدليل أنهم استضافوا الحي من العرب فلم يضيفوهم .

٢ ـ سياق الحديث يدل على أن الحي من العرب لم يكن مسلماً بدليل أنهم لم يضيفوهم ، وأحكام دار الحرب[2] تختلف عن أحكام دار الاسلام .

٣ ـ الأجر الذي صالح عليه الصحابة هو مقابل ماطلبه رجال الحي لسيدهم من العلاج والاستشفاء لاأخذاً للأجرة على تعليم القرآن .

لهذه الملابسات جميعها أجاز لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ الأجر ، وقد قال لهم تلطيفاً وتكريماً : « أحق ماأخذتم عليه أجراً كتاب الله » أي أحق ما أخذتم عليه أجراً في معالجة الملدوغ هو الرقية بكتاب الله عز وجل .

والذي نخلص اليه بعد ماتقدم أن الشريعة الاسلامية لاتجيز في الأصل أخذ الأجرة على التعليم اللهم الا اذا كانت هناك ملابسة ضرورية على أخذ

---

(١) الحديث بطوله رواه البخاري .

(٢) فيجوز في ديار الحرب أن نأخذ مال الكفار باي وسيلة بشرط ان يكون برضاهم .

الأجرة كأن يكون المعلم متفرغاً للعلم ، ولم يكن له مورد من الكسب سوى التعليم ، أو كانت حالة الاولاد تستدعي أن يُفرّغ لهم أولياؤهم مؤدبين يحفظونهم من عقائد الإلحاد والكفر ، وينشؤونهم على مبادىء الاسلام والتربية الفاضلة ؛ فلهذه الملابسات وغيرها أجازت الشريعة أخذ الأجرة على التعليم سواء أكان التعليم شرعياً أو كان كونياً والله أعلم .

و ـ ولانه دين يقسم فريضة التعليم الى فريضة عينية وفريضة كفائيـة ، وفي ذلك تفصيـل :

ـ **فإن كان** تحصيل العلم مما له علاقة في تكوين الفرد المسلم روحيا ، وعقليا ،وجسميا وخلقيا ... **فهو من قبيل فرض العين** بالمقدار الذي يحتاج اليه ، ويندرج تحت شعار هذه الفريضة المرأة والرجل ، والصغـير والكبير ، والعامل والموظف ، وجميع طبقات الأمة المسلمة ...

وبناء على هذا فان تعلم تلاوة القرآن ، وأحكام العبادات ، ومبادىء الأخلاق الأساسية ، ومسائل الحلال والحرام ، وقواعد الصحة العامة ، وكل مايحتاجه المسلم في أمر دينه ودنياه هو فرض عيني على كل مسلم ومسلمة في هذه الحياة .

ـ **وإن كان** تحصيل العلم مما له علاقة بالزراعة، والصناعة، والتجارة، والطب، والهندسة ، والكهرباء ، والذرة ، ووسائل الدفاع ، وغيرها من العلوم النافعة .. **فهو من قبيل فرض الكفاية** اذا قام به البعض سقط الاثم عـن الجميع ، واذا لم يقم به أحد فالمجتمع الاسلامي كله آثم ومسؤول .



هذا هو السر في قوة الدفع الحضارية والعلمية في بناء الحضارة الانسانية ، وهذا مما يؤكد عظمة الاسلام ، ومنافسته لروح العصر والتطور، واختصاصه بمقومات الخلود والتجدد والاستمرار ..

واما ما نراه اليوم **من ضعف علمي وتخلف حضاري** .. فيعود الى جهل المسلمين بحقيقة هذا الاسلام العظيم ، والى إبعاد الاسلام عن تطبيق أنظمته في كل مجالات الحياة ، والى تآمر أعداء الاسلام في طمس معالم الاسلام ، وفصل الدين عن الدولة ، وحصر النظام الاسلامي في أمور العبادة ، وقضايا الأخلاق !!..

ويوم يفهم المسلمون حقيقة الاسلام ، ويوم يطبقون نظامه الشامل في شتى مجالات الحياة ، ويوم يتنبهون الى المؤامرات التي يحبكها الاعداء والعملاء .. فعندئذ يستعيدون مكانتهم تحت الشمس ، ويرجعون هداة مرشدين ، بل خير أمة أخرجت للناس ..

« وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولاتتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون » . (الأنعام : ١٥٣)

★ ★ ★

ومن الواجب التعليمي الذي يجب ان يحرص عليه المربون والمعلمون والآباء .. هو التركيز في الدرجة الأولى على تعليم الاولاد ـ وهم في سن التمييز ـ تلاوة القرآن الكريم ، والسيرة النبوية ، وكل مايحتاجون اليه من العلوم الشرعية ، وبعض القصائد الادبية ، وامثال العرب ..

امتثالا لأمر الرسول عليه الصلاة والسلام فيما رواه الطبراني : « أدبوا أولادكم على ثلاث خصال : حب نبيكم ، وحب آل بيته ، وتلاوة القرآن ، فان حملة القرآن في ظلّ عرش الله يوم لاظلّ الا ظلّه » .

فانطلاقاً من هذا الامر النبوي حرص المسلمون في كل العصور عبر التاريخ على تعليم أبنائهم هذه العلوم الاساسية ، والمواد الضرورية ..

واليكم طرفاً من أقوالهم ، وطاقات تدل على حرصهم وعنايتهم :

ـ وصى عتبة بن أبي سفيان عبد الصمد مؤدب ولده بأن يعلمه كتاب الله ، ويروّيه من الشعر أعفّه ، ومن الحديث أشرفه ..

ـ وقد كتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه الى الولاة مايلي : « أما بعد فعلّموا أولادكم السباحة والفروسية ، وروّوهم ماسار من المثل ، وحَسن من الشعر » .

ـ وذات مرة رأى المفضل بن زيد .. ابن أعرابية مسلمة ، فأعجب بمنظره ، فسألها عنه فقالت : « إذا أتم ّ خمس سنوات أسلمتُه إلى المؤدِّب ، فحفّظه القرآن فتلاه ، وعلمه الشعر فرواه ، ورغب في مفاخرة قومه ، وطلب مآثر آبائه وأجداده ، فلما بلغ الحلم حملته على أعناق الخيل فتمرّس وتفرّس ، ولبس السلاح ، ومشى بين بيوت الحي ، وأصغى الى صوت الصارخ » .

ـ وقال الإمام الشافعي رحمه الله : « من تعلم القرآن الكريم عظمت قيمته ، ومن نظر في الفقه نبُل قدره ، ومن كتب الحديث قويت حجته ، ومن نظر في اللغة رقّ طبعه ، ومن نظر في الحساب جزل رأيه » .

ـ وقد أوصى الإمام الغزالي في إحْيائه بتعليم الطفل القرآن الكريم ، وأحاديث الاخبار ، وحكايات الابرار وأحوالهم ، ثم بعض الاحكام الدينية، والشعر الخالي من ذكر العشق وأهله » .

ــ وقد ذكر ابن سينا في كتاب السياسة آراء ثمينة في تربية الأولاد ، ونصح بالبدء بتعليم الطفل القرآن الكريم بمجرد استعداده جسمياً وعقلياً للتعليم ، وفي الوقت نفسه يتعلم حروف الهجاء والقراءة والكتابة ، ويدرس قواعد الدين ، ثم يروي الشعر ، ويبتدىء بالرجز ثم القصيدة ..

ــ وقد أشار ابن خلدون الى أهمية تحفيظ الاولاد القرآن الكريم . وأوضح أن تعليم القرآن هو أساس التعليم في جميع المناهج الدراسية في مختلف البلاد الاسلامية لأنه شعار من شعائر الدين الذي يؤدي الى رسوخ الإيمان .

ومن طريف مايروى كما جاء في كتاب عيون الاخبار لابن قتيبة : « أن رجلا من ثقيف دخل على الوليد بن عبد الملك ، فقال له الوليد : أقرأت القرآن ؟

قال الأعرابي : لا ياأمير المؤمنين شغلتني عنه أمور وهنات .

قال الوليد : أفتعرف الفقه ؟

قال الأعرابي : لا .

قال الوليد : أفرويت من الشعر شيئاً ؟

قال الأعرابي : لا .

فأعرض الوليد عن الأعرابي ، فقال أحد الجالسين ــ وهو عبد الله بن معاوية ــ : ياأمير المؤمنين ــ وأشار الى الرجل ــ

قال الوليد : اسكت فما معنا أحد[1] .

---

(۱) اختصرت القصة وتصرفت فيها بعض التصرف .

ويقصد الوليد من كلامه « اسكت فما معنا أحد » أن الذي لم يقرأ القرآن ، ولم يعرف الفقه ، ولم يروِ الشعر ولم يدرس الدين •• يكون كالعدم لاوجود له ولا اعتبار ، وان كان موجوداً بشخصه وحاضراً بذاته !!••

ومن القواعد التي وضعها الاسلام في تعليم الولد ، **البدء بتعليمه في مراحل الطفولة الأولى** حيث يكون الولد أصفى ذهناً ، وأقوى ذاكرة ، وأنشط تعليماً ••

والى هذا أشار المعلم الاول صلوات الله وسلامه عليه بقوله في الحديث الذي رواه البيهقي والطبراني في الاوسط عن أبي الدرداء مرفوعا : « العلم في الصغر كالنقش في الحجر » ، وقد أثبت علم التربية الحديث هذه الظاهرة وأكدها •

وما أحسن ماقال بعضهم :

أراني َ أنسى ماتعلمت في الكِبَرْ
ولست بناسٍ ماتعلّمتُ في الصِّغرْ

وما العلم الا بالتعلم في الصبا
وما الحلم الا بالتحلّم في الكبر

ولو فُلق القلب المعلَّم في الصبا
لأصبح فيه العلم كالنقش على الحجر

وما العلم بعد الشيب الا تعسّف
إذا كَلّ قلب المرء والسمع والبصر

وما المرء الا اثنان عقل ومنطق
فمَنْ فاته هذا وهذا فقد دَمَرْ



فما حظ المرأة من تعلم هذه العلوم ؟

لقد أجمع العلماء والفقهاء سلفاً وخلفاً أن مايجب تعلمه على سبيل فرض العين فالمرأة به كالرجل على حد سواء وذلك لسببين :

الأول : المرأة كالرجل في التكاليف الشرعية •

الثاني : المرأة كالرجل في نيل الجزاء الأخروي •

اما ان المرأة كالرجل في التكاليف الشرعية فلأن الاسلام كلفها بكل التكاليف التي كلف بها الرجل من صلاة وصيام ، وزكاة وحج ، وبرّ وعدل واحسان •• وبيع وشراء ورهن وتوكيل •• وأمرٍ بمعروف ونهي عن منكر •• وغير ذلك من هذه الأعباء والمسؤوليات **اللهم الا في بعض حالات خاصة اعفاها منها :**

ـ إما لوجود المشقة والإخلال بالصحة كإعفائها من الصوم والصلاة في أيام الحيض والنفاس •

ـ وإما لكون الأعباء والأعمال لاتتفق مع تكوينها الجسماني وطبيعة أنوثتها كأن تمارس عمليات القتال أو تكون بنّاءة وحدّادة ••

ـ وإما أن يكون العمل الذي تزاوله يتعارض مع وظيفتها الطبيعية التي خلقت من أجلها كالقيام بمسؤوليات الأسرة ، وتربية الأولاد ، والإشراف على البيت ••

ـ وإما أن يترتب على عملها فساد اجتماعي خطير كأن توجد في وظائف وأعمال يختلط فيها الرجال بالنساء ••

أما ماعدا ذلك من الأعمال والتكاليف والواجبات فهي كالرجل سواء بسواء •

وفي تقديري وتقدير ذوي البصائر النيرة أن هـذه الإعفاءات للمرأة تقدير لها ورفع لكرامتها ومنزلتها .

والا فمن يرضى أن يزجّ المرأة بأعمال تقعدها عن واجباتها تجاه زوجها وبيتها وأولادها ؟

ورحم الله شوقي حين قال :

ليس اليتيم من انتهى أبواه من　　همّ الحيـاة وخلّفاه ذليـلا

ان اليتيم هـو الـذي تلقى له　　أمّـاً تخلّت أو أبـاً مشغولا

ومن منا يرضى أن يزجّ المرأة بأعمال شاقة ترهق جسمها ، وتفقدها أنوثتها ، وتسبب لها الامراض والعاهات ؟

ومن منا يرضى أن يزج المرأة في وظائف مختلطة تكون سبباً في تلويث عرضها ، وتدنيس شرفها ؟

وهل شيء أغلى عـلى المرأة من العرض والشرف ؟ وكيف تكون تربية الأولاد اذا درجت المرأة في الفساد ، وسارت في طريق الفحشاء ؟ ورحم الله من قـال :

وليس النبتُ ينبت في جنانٍ　　كمثل النبت ينبت في الفلاة

وهل يُرجى لأطفال كمال　　اذا ارتضعوا ثديّ الناقصات

و ليكم ما يقوله فلاسفة الغرب حول خـروج المراة ، وعملها خـارج المنـزل :

قال العلامة الانكليزي **« سامويل سمايلس »** في كتابه « الأخلاق » :

(ان النظام الذي يقضي بأن تشتغل المرأة في المعامل ودور الصناعات مهما نشأ عنه من الثروة ، فإن نتيجته كانت هادمة لبناء الحياة المنزلية ، لأنه

هاجم هيكل المنزل ، وقوّض أركان العائلة ، ومزق الروابط الاجتماعية ...
لأن وظيفة المرأة الحقيقية هي القيام بالواجبات المنزلية : كترتيب مسكنها ، وتربية أولادها ، والاقتصاد في وسائل معيشتها مع القيام بالاحتياجات العائلية ؛ ولكن المعامل سلختها من كل هذه الواجبات بحيث أصبحت المنازل غير المنازل ، وأضحى الاولاد يشبّون على غير التربية الحقيقية لكونهم يلقون في زوايا الاهمال ، وأطفئت المحبة الزوجية ، وخرجت المرأة عن كونها الزوجة الظريفة ، والقرينة المحبة للرجل ، وصارت زميلته في العمل والمشاق ، وباتت عرضة للتأثيرات التي تمحو غالباً التواضع الفكري والخلقي الذي عليه مدار حفظ الفضيلة ..) .

وجاء في مجلة « شجرة الدر » في الجزء السادس من السنة الاولى عن الكاتبة الانكليزية « مس اني رود » مانصه : (اذا اشتغلت بناتنا في البيوت خوادم أو كالخوادم فهو خير ، وأخف بلاء من اشتغالهن في المعامل حيث تصبح البنت ملوثة بأدران تذهب برونق حياتها الى الأبد ؛ ياليت بلادنا كبلاد المسلمين حيث فيها الحشمة والعفاف والطهر .. وحيث المرأة تتنعم بأرغد عيش ، وبصيانة العرض والشرف ..

نعم انه عار على بلاد الانكليز أن تجعل بناتها مثلاً للرذائل بكثرة مخالطة الرجال ، فما بالنا لانسعى وراء مايجعل البنت تعمل ما يوافق فطرتها الطبيعية ــ كما قضت بذلك الديانات السماوية ــ من ملازمة البيت ، وترك أعمال الرجال للرجال ، وفي ذلك سلامة لشرفها ..) .

واما ان المرأة كالرجل في نيل الجزاء الأخروي فحسبنا أن تتصفح القرآن العظيم لننظر الآيات المستفيضة التي تسوي المرأة بالرجل في نيل الاجر والثواب . واليكم طرفاً من هذه الآيات :

ــ « فاستجاب لهم ربهم أني لااضيع عمل عامل منكم من ذكر أو انثى

بعضكم من بعض ، فالذين هاجروا واخرجوا من ديارهم واوذوا في سبيلي وقاتلوا وقتلوا لاكفرن عنهم سيئاتهم ولادخلنهم جنات تجري من تحتها الانهار ثواباً من عند الله والله عنده حسن الثواب » (آل عمران : ١٩٥)

ـ « ومن يعمل من الصالحات من ذكر او انثى وهو مؤمن فاولئك يدخلون الجنة ولايظلمون نقيراً » (النساء : ١٢٤)

ـ « ان المسلمين والمسلمات ، والمؤمنين والمؤمنات ، والقانتين والقانتات ، والصادقين والصادقات ، والصابرين والصابرات ، والخاشعين والخاشعات ، والمتصدقين والمتصدقات ، والصائمين والصائمات ، والحافظين فروجهم والحافظات ، والذاكرين الله كثيراً والذاكرات اعد الله لهم مغفرة واجراً عظيماً » . (الأحزاب : ٣٥)

ومما يدل على أن المرأة كالرجل في نيل الاجر والمثوبة لاتتميز عنه بشيء مارواه عبد البر في الاستيعاب ومسلم في صحيحه أن أسماء بنت يزيد ابن السكن رضي الله عنها أتت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت : إني رسول مَن ورائي من جماعة نساء المسلمين ، كلهن يقلن بقولي ، وعلى مثل رأيي : ان الله بعثك الى الرجال والنساء ، فآمنّا بك واتبعناك ، ونحن معشر النساء مقصورات مخدّرات ، قواعد بيوت ، وان الرجال فُضّلوا بالجُمعات وشهود الجنائز والجهاد ، واذا خرجوا للجهاد حفظنا لهم أموالهم وربّينا أولادهم ، أفنشاركهم في الاجر يارسول الله ؟

فالتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم بوجهه الى أصحابه فقال : « هل سمعتم مقالة امرأة أحسن سؤالا عن دينها من هذه ؟ » ، فقالوا : بلى يارسول الله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « انصرفي ياأسماء ، وأعلمي مَن وراءك من النساء أن حُسْنَ تبعّل احداكنّ لزوجها ، وطلبها لمرضاته ، واتباعها لموافقته يعدل كل ما ذكرت » ، فانصرفت أسماء وهي تهلّل وتكبّر ، استبشاراً بما قال لها عليه الصلاة والسلام .

فيتبين من هذا الحديث النبوي الشريف أن الأجر الذي تناله المرأة في ترتيب مسكنها ، وطاعة زوجها ، وتربية أولادها .. يعدل أجر الرجل في جهاده واختصاصه ..

★ ★ ★

ومما يدل على أن الاسلام **اعتنى بالبنت من ناحية تعليمها** هذه الاحاديث النبوية الصحيحة :

ـ روى الترمذي وأبو داود واللفظ له أنه عليه الصلاة والسلام قال : « من كان له ثلاث بنات أو ثلاث أخوات ، أو بنتان أو أختان فأدبهن وأحسن اليهن وزوجهن فله الجنة » ، وفي رواية ، « وأيما رجل كانت عنده وليدة (أي أمة) فعلمها فأحسن تعليمها ، وأدبها فأحسن تأديبها ، ثم أعتقها وتزوجها فله أجران » .

ـ وقد ثبت في صحيح البخاري ومسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يخص النساء بأيام يعلمهن فيها مما علمه الله ، وذلك لما جاءته امرأة فقالت : يارسول الله ، ذهب الرجال بحديثك ، فاجعل لنا من نفسك يوما نأتي اليك فيه تعلمنا مما علمك الله ، فقال عليه الصلاة والسلام : جتمعن يوم كذا وكذا ، فاجتمعن فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم علمهن مما علمه الله .

ـ وجاء في فتوح البلدان للبلاذري أن أم المؤمنين حفصة بنت عمر ابن الخطاب رضي الله عنهما كانت تتعلم الكتابة في الجاهلية على يد امرأة كاتبة تدعى « الشفاء العدوية » فلما تزوجها عليه الصلاة والسلام طلب الى الشفاء أن تعلمها تحسين الخط وتزيينه كما علمتها أصل الكتابة .

والذي نخلص اليه من هذه النصوص أن الاسلام أمر بتعليم الفتاة العلم النافع ، والثقافة المفيـدة .. واذا وجد مـن العلمـاء قديما من يسنع تعليم المرأة ، فيكون المنع منصباً على تعلم الشعر الفاحش ، والكلام المقذع ، والادب الرخيص ، والعلم الضار .. أما أن تتعلم العلوم التي تنفعها في دينها ودنياها ، وأن تقول الشعر الحكيم الرصين ، والكلام المحكم المجيد .. فلا يوجد من يَنْهى عن ذلك ويمنعه !!..

جاء في مقدمة كتاب المعلمين لابن سحنون : (أن القاضي الورع عيسى ابن مسكين كان يقرىء بناته وحفيداته .. قال عياض : فإذا كان بعد العصر دعا ابنتيه وبنات أخيه ليعلمهن القرآن والعلم ، وكذلك كان يفعل قبله فاتح صقلية « أسد بن الفرات » بابنته أسماء التي نالت من العلم درجة كبيرة .. وروى الخُشني أن مؤدباً كان بقصر الامير محمد بن الاغلب ، وكان يعلم الاطفال بالنهار ، والبنات في الليل ..) .

وقد ثبت تاريخياً أن المرأة في ظل الاسلام وصلت الى أسمى درجات العلم والثقافة ، ونالت أكبر قسط من التربية والتعليم في العصور الاسلامية الاولـى ..

فكان من النساء المسلمات **الكاتبة والشاعرة** كأمثال عُلَيَّة بنت المهدي ، وعائشة بنت أحمد بن قادم ، وولاّدة بنت الخليفة المستكفي بالله ...

وكان منهن **الطبيبة** كأمثال زينب طبيبة بني أوَد التي عرفت بعلاج أمراض العيون ، وأم الحسن بنت القاضي أبي جعفر الطنجالي وقد كانت طبيبة شهيرة مبرزة في الطب ...

وكان منهن **المحدّثات** كأمثـال كريمة المروزية ، والسيدة نفيسة ابنة محمد ، وقد ذكر الحافظ ابن عساكر ــ وهو أحد رواة الحديث ــ أن عدد شيوخه وأساتذته من النساء كان بضعاً وثمانين أستاذة .

وبلغت كثيرات منهن منزلة علمية رفيعة ، فكان منهن الاستاذات والمدرسات للامام الشافعي ، والإمام البخاري ، وابن خلكان ، وابـــن حيان •• وجميعهم من الفقهاء والعلماء والأدباء المشهورين •• وهذا أكبـــر دليل على ماتمتاز به التربية الاسلامية من العناية بالعلم والنبوغ الفكري ، والثقافة الاسلامية المتنوعة ••

★ ★ ★

واذا كان الشرع أذن للمرأة أن تتعلم ماينفعها في أمر دينها ودنياها ••

فيجب ان يكون هذا التعليم بمعزل عن الذكــور ، وبمناى عنهم •• حتى يسلم للبنت عرضها وشرفها ، وحتى تكــون دائماً حسنة السمعة ، كريمة الخلق ، كثيرة الاحترام ••

ولعل أول كاتب تربوي نادى بالفصل بين الجنسين في حقل التعليم وغيره هو الامام القابسي ، فقد ذكر في رسالته عن التعليم « أن من حسن النظر ألاّ يخلط بين الذكران والإناث » ؛ ولما سئل « ابن سحنون » عن التعليم المختلط ذكوراً وإناثاً فقال « أكره أن يُعلّمَ الجـــواري مع الغلمان لأن ذلك فساد لهن » • واذا كان ابن سحنون والقابسي يريان أن تفصل البنات عن الصبيان خشية الفساد •• فرأيهما هذا ــ في الحقيقة ــ مستمد من حكم الشرع ، وحكم الشرع مقدم على كل أمر وحكم في هذه الحياة لقوله تعالى :

« وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمراً ان يكون لهـــم الخيرة من امرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبيناً » •

(الأحزاب : ٣٧)

أما أن رأيهما مستمد من حكم الشرع فللنصوص التالية :

قال تعالى : « واذا سالتموهن متاعا فاسالوهن من وراء حجاب » •

(الأحزاب : ٥٣)

واذا كانت هذه الآية نزلت في أمهات المؤمنين •• فالعبرة ــ كما يقول الأصوليون ــ لعموم اللفظ لا بخصوص السبب ، واذا كانت أمهات المؤمنين المقطوع بعفتهن وطهارتهن مأمورات بالحجاب ، وعدم الظهور أمام الاجانب فالنساء المسلمات بشكل عام مأمورات بالستر وعدم الظهور من باب أولى ، وهذا مايسمى بالمفهوم الأولوي عند الفقهاء وعلماء الاصول •

ــ وقال عز من قائل : « قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك ازكى لهم ان الله خبير بما يصنعون ، وقل للمؤمنات يغضضن من ابصارهن ويحفظن فروجهن ولايبدين زينتهن الا ماظهر منها ، وليضربن بخمرهن على جيوبهن ، ولايبدين زينتهن الا لبعولتهن او آبائهن او آباء بعولتهن او ابنائهن ••• » الآية • (النور : ٣١)

فإذا كان الأمر ــ في هذه الآية ــ يشمل غضّ البصر ، ووضع الخمار على الرأس وفتحة الصدر ، وعدم ابداء الزينة والمفاتن الا للمحارم •• أفليس يدل هذا الشمول على أن المرأة المسلمة مأمورة بالستر والحشمة والعفة وعدم الاختلاط بالاجانب ؟

ــ وقال سبحانه : « ياايها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك ادنى أن يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفورا رحيماً » • (الأحزاب : ٥٩)

فكيف تتصور اختلاط المرأة بالأجنبي ، والمرأة المسلمة في هذه الآية مأمورة بالحجاب ، وارتداء الجلباب ؟

ــ وروى الترمذي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ما خلا رجل بامرأة الا وكان الشيطان ثالثهما » •

ــ وروى البخاري ومسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال :

« اياكم والدخول على النساء ، فقال رجل : يارسول الله ، أفرأيت الحمو (أي أقارب الزوج) ؟ ، قال : الحمو الموت » •

فهذه النصوص القرآنية ، والأحاديث النبوية تحرم اختلاط الرجال بالنساء بشكل قاطع جازم لايحتمل الشك ولا الجدل !!••

★ ★ ★

فالذين يبيحون الاختلاط ، ويبررونه بتعويدات اجتماعية ، ومعالجات نفسية ، وحجج شرعية ، فإنهم في الواقع يفترون على الشرع ، ويتجاهلون الفطرة الغريزية ، ويتجاهلون الواقع المرير الذي آلت اليه المجتمعات الانسانية قاطبة •••

اما انهم يفترون على الشرع — في دعواهم الى الاختلاط — فللنصوص الكثيرة التي سبق ذكرها قبل قليل •

اما انهم يتجاهلون الفطرة الغريزية

فلأن الله سبحانه لما خلق الرجل والمرأة ركّب في كل منهما الميل الجنسي الى الآخر •

« فطرة الله التي فطر الناس عليها لاتبديل لخلق الله » •

فهل يريد دعاة الاختلاط والسفور أن يغيّروا نواميس الكون ، وأن يبدلوا فطرة الانسان ، وأن يحوّلوا سنن الحياة ، ولاسيما اذا كان كل من الرجل والمرأة — في حال اختلاطهما — جائعين جنسياً ، ومائعين خلقياً فإن الفتنة — لاشك — أشد ، والانجذاب الى الفاحشة أبلغ وأقوى !!••

ولو كان الاختلاط منذ الصغر ، وفي جميع مراحل العمر يجعل النظر الى المرأة أمراً مألوفاً عادياً لايحرك في نفسي الرجل والمرأة غريزة ولاشهوة •• لانقلبت المودة بين الزوجين الى عداوة ، والرحمة بينهما الى ظلم ، والاتصال

الجنسي الى برود •• ولما رضي أحدهما البقاء مع الآخر في ظلال الزوجية ، وهذا خلاف المشاهد والواقع !!••

اما انهم يتجاهلون الواقع المرير الذي آلت اليه المجتمعات الانسانية في تجربتها للاختلاط فليسألوا مجتمعات الدول الغربية والشرقية عما وصلت اليه المرأة من تحلل وفساد ، واباحية وفجور •• علما أن الاختلاط أمر شائع في كل الطبقات وعلى مختلف المستويات ، في الشارع ، في المدرسة ، في المتجر ، في الدائرة ، في الجامعة ، في المتنزّهات •• فى كل مكان ••

واليكم شيئاً من واقعهم ، ونتائج من تجاربهم بالوقائع والأرقام :

فمن هذه الوقائع :

● جاء في كتاب « الاسلام والسلام العالمي » للشهيد سيد قطب : « أن نسبة الحبالى من تلميذات المدارس الثانوية في أمريكا بلغت في احدى المدن (٤٨) في المئـــة » •

● ونقلت جريدة الأحد اللبنانية في العدد ذي الرقم (٦٥٠) عن الفضائح الجنسية في الجامعات والكليات الأمريكية مايلي :

ــ « الفضائح الجنسية في الجامعات والكليات الأمريكية بين الطلاب والطالبات تتجدد وتزداد كل عام » •

ــ « الطلاب يقومون بمظاهرة في جامعات أمريكا يهتفون فيها نريد فتيات •• نريد أن نرفه عن أنفسنا » •

ــ « هجوم ليلي من الطلاب على غرف نوم الطالبات ، وسرقة ثيابهن الداخليـــة » •

ــ وقال عميد الجامعة معقباً علـــى الحدَث : « ان معظم الطـــلاب والطالبات يعانون جوعاً جنسيا رهيبا ، ولاشك أن الحياة العصرية الراهنة لها أكبر الأثر في تصرفات الطلاب الشاذة » •

ـ ومما ذكرته الجريدة كذلك : « ودلت الاحصائيات في العام الماضي على أن (١٢٠) ألف طفل أنجبتهم فتيات بصورة غير شرعية لاتزيد أعمارهن على العشرين ، وان كثيرات منهن من طالبات الجامعات والكليات ٠٠ » ٠

ـ واستطردت الجريدة قائلة : « وقال تقرير للشرطة في ولاية « بروفيدنس » أن (٦٦) طالباً وطالبة قضوا في أيار الماضي عطلة نهاية الاسبوع في « رودايلند » ولم يعد الطلاب الى الجامعة ، بل الى سجن الولاية ، حيث اعتقلوا وهم في أوضاع مريبة ، وبعضهم كان يتعاطى المخدرات ٠٠ » ٠

ـ ونقلت الجريدة عن المربية الاجتماعية « مرغريت سميث » حديثاً قالت فيه : « ان الطالبة لاتفكر الا بعواطفها ، والوسائل التي تتجاوب مع هذه العاطفة ، ان أكثر من ستين بالمئة من الطالبات سقطن في الامتحانات ، وتعود أسباب الفشل الى أنهن يفكرن في الجنس أكثر من دروسهن وحتى مستقبلهن ٠٠ وان (١٠) بالمئة منهن فقط مازلن محافظات ٠٠»

● وذكر « جورج بالوشي » في كتابه « الثورة الجنسية » مايلي : « وفي سنة ١٩٦٢ صرح « كنيدي » بأن مستقبل أمريكا في خطر لأن شبابها مائع منحل غارق في الشهوات لايقدر المسؤولية الملقاة على عاتقه ، وأنه من بين كل سبعة شبان يتقدمون للتجنيد يوجد ستة غير صالحين ، لأن الشهوات التي أغرقوا فيها أفسدت لياقتهم الطبية والنفسية» ٠ وفي سنة ١٩٦٢ صرّح « خروشوف » ـ كما صرح كنيدي ـ بأن مستقبل روسيا في خطر وأن شباب روسيا لايؤتمن على مستقبلها ، لأنه مائع منحل غارق في الشهوات »٠

● ويقول « ديل ديورانت » في كتابه « مباهج الفلسفة » :

ـ « اننا نواجه مرة أخرى تلك المشكلة التي أقلقت بال «سقراط» نعني كيف نهتدي الى أخلاق طبيعية تحل محل الزواجر العلوية التي بطل أثرها في سلوك الناس ؟ اننا نبدد تراثنا الاجتماعي بهذا الفساد الماجن » ٠

ــ « واختراع موانع الحمل وذيوعها هو السبب المباشر في تغيـــر أخلاقنا ، فقد كان القانون الاخلاقي قديماً يقيد الصلة الجنسية بالزواج ... لأن النكاح يؤدي الى الأبوة بحيث لايمكن الفصل بينهما ، ولم يكن الوالد مسؤولا عن ولده الا بطريق الزواج .. أما اليوم فقد انحلت الرابطة بـين الصلة الجنسية وبين التناسل ،وخلقت موقفاً لم يكن آباؤنا يتوقعونه ، لأن جميع العلاقات بين النساء والرجال آخذة في التغير نتيجة هذا العامل .. » .

ــ « .. غير أنه من المخجل أن نرضى في سرور نصف مليون فتـاة أمريكية يقدمن أنفسهن ضحايا على مذبح الإباحية ، وهي تعرض علينا في المسارح وكتب الأدب المكشوف ، تلك التي تحاول كسب المال باستثارة الرغبة الجنسية في الرجال والنساء المحرومين من (حصن) الزواج ورعايته للصحة » .

ــ « ... فكل رجل حين يؤجل الزواج يصاحب فتيات الشوارع ممن يتسكعن في ابتذال ظاهر ، ويجد الرجل لإرضاء غرائزه الخاصة في هذه الفترة من التأجيل ، نظاماً دولياً مجهزاً بأحدث التحسينات ، ومنظما بأسمى ضروب الادارة العلمية ، ويبدو أن العالم قد ابتدع كل طريقة يمكن تصورها لإثارة الرغبات واشباعها .. » .

ــ « وأكبر الظن أن هذا التجدد في الاقبال على اللذة قد تعاون أكثر مما ظن مع هجوم دارون على المعتقدات الدينية ، وحين اكتشف الشبان والفتيات أن الدين يشهّر بملاذّهم التمسوا في العلم ألف سبب وسبب للتشهير بالدين .. » .

ــ « .. ولا مفر من أن يأخذ الجسم في الثورة (الجنسية) ، وأن تضعف القوة على ضبط النفس عما كان في الزمن القديم ، وتصبح العفة التي كانت فضيلة موضعاً للسخرية ، ويختفي الحياء الذي كان يضفي على الجمال

جمالا ، ويفاخر الرجال بتعداد خطاياهم ، وتطالب النساء بحقها فى مغامرات غير محدودة على قدم المساواة مع الرجال ، ويصبح الاتصال قبل الزواج أمراً مألوفا ، وتختفى البغايا (أى الزانيات بأجر) من الشوارع بمنافسة الهاويات (أى الزانيات بدافع الهوى) لا برقابة البوليس ... » [1] .

* ونقلت أخبار اليوم القاهرية فى ٢٤/٤/١٩٦٥ هذا الخبر : « خرجت النساء السويديات فى مظاهرة عامة تشمل أنحاء السويد احتجاجاً على اطلاق الحريات الجنسية فى السويد ، اشتركت فى المظاهرات مائة ألف امرأة » .

ونقلت كذلك أنه فى شهر نيسان عام (١٩٦٤) « أثيرت فى السويد ضجة كبرى عندما وجه (١٤٠) طبيباً من الأطباء المرموقين مذكرة الى الملك والبرلمان يطلبون فيها اتخاذ اجراءات للحد من الفوضى الجنسية التى تهدد حقاً حيوية الأمة وصحتها ، وطالب الأطباء بسن قوانين ضد الانحلال الجنسى .. » .

ـ يكتب القاضى « بن لندسى » فى كتابه « تمرد النشء الجديد » : « ان الصبية فى أمريكا قد أصبحوا يراهقون قبل الأوان ، ومن السن الباكرة جداً يشتد فيهم الشعور الجنسى » . وبحث هذا القاضى عن أحوال /٣١٢/ صبية على سبيل النموذج ، فعلم أن / ٢٥٥ / صبية منهن كن أدركن البلوغ فيما بين الحادية عشرة ، والثالثة عشرة من سني أعمارهن ، يوجد فيهن من

---

(١) الجزء الأول من كتاب « مباهج الفلسفة » : ص ٦ ـ ١٣٤ .

أمارات الشهوة الجنسية ، والمطالب الجسدية ما لا يكون عادة الا فى بنات الثامنة عشرة فما فوق ..

ـ ويذكر الدكتور « أديث هوكر » فى كتابه « القوانين الجنسية » : « أنه ليس من الغريب الشاذ حتى فى الطبقات المثقفة أن بنات سبع أو ثمانى سنين يخادن الصبية ، وربما تلوثن معهم بالفاحشة .. » وذكر أمثلة كثيرة على دعواه !! .

ـ ومما نشرته الصحف البريطانية أن مدرسة شابة فى الخامسة والعشرين من عمرها كانت تدرس لمجموعة من الطلاب المراهقين ممارسة الجنس عمليا ، وقد شوهدت وهى تخلع ثيابها قطعة قطعة .. أمام طلابها .. وهكذا حتى انتهت من عمليتها الاباحية الفاجرة !! ..

ـ ونشرت صحيفة « الشرق الأوسط » اللندنية فى عددها الصادر ١٩٧٩/٧/١٥ أن (٧٥ ٪) من الأواج يخونون زوجاتهم فى أوروبا ، وأن نسبة أقل من المتزوجات يفعلن الشىء ذاته ، وفى كثير من الحالات يعلم الزوج بخيانة زوجته ، وتعلم الزوجة بخيانة زوجها ، ومع هذا قد تستمر العلاقات الزوجية الشكلية دون أن يطرأ عليها أى انفصام !! .

أما العلاقات قبل الزواج فان (٨٠ ـ الى ٨٥ ٪) من الرجال البالغين لهم خليلات ، وان لكل واحد منهم خليلة واحدة فقط .. وان ما بقى من أفراد المجتمع غير المتزوجين والذين ليس لهم خليلاتهم من الزناة فهم ينتقلون من امرأة لأخرى اشباعاً لغرائزهم ووطرهم !! ..

ـ ومما نشرته مجلة « الأمان » اللبنانية فى عددها الصادر ١٩٧٩/١١/٣٠

أنَ شاباً من شباب العرب المتفلتين ذهب الى الدينمارك ، وفى أحد المسارح هناك فوجىء بالفنانة (هكذا يسمونها) ، وهى تخلع ثيابها قطعة قطعة •• حتى وقفت عارية تماماً فى وسط المسرح •• ثم دعت كلبهـا ليقارف معهـا الفاحشة أمام الناس ، ثم لم تلبث بعد ذلك أن طلبت من الحاضرين متحدية اياهم أن يفعلوا بها مثل ما فعل الكلب أمام الأضواء الباهرة ، والموسيقى الصاخبة •• ورأى بأم عينيه أحد الأفارقة المخمورين وهو يصعد الى خشبة المسرح يحاول دون جدوى أن يقلد الكلب فى عمليته فلم يفلح !! •

ـ هل أتاكن حديث « لوتروكيه » رئيس الجمعية الوطنية فى فرنسا ؟ الرجل العجوز الذى اقتحم الرابعة والسبعين من عمره ، فلم يمنعه وقار الشيخوخة أن يغوص الى أذنيه فى مستنقعات العهر ، والفوضى الجنسية •• لقد اعترف شرطيه الخاص أنه جند عـدداً من الفتيات تتراوح أعمارهن بين ١٤ ـ ١٨ سنة لاحياء حفلات عارية فى مسكن حكومى بباريس ، وفى بيوت أنيقة لشخصيات باريسية كبيرة •• وهى مشكلة لاتزال بين يدى القضاء الفرنسى !! ••

ـ وجاء فى تقارير « البوليس السرى الأمريكى بشيكاغو » ، وقد نشرت فى ثلاثة عشر مجلداً ما يلى : « ان هذه الحرية الفاسدة ، وحضارة الخنافس • لم تفسد فقط نظام الأسرة فى أمريكا ، ولكنها أيضاً قد جلبت لأمريكا ثقافة لا يمكن معالجتها بالبوليس والقضاء •• » •

ـ ومما نشرته صحيفة « الهيرالدتريبيون » الأمريكية فى عددها ١٩٧٩/٦/٢٩ ملخصاً لأبحاث قام بها مجموعة من الاختصاصيين الأمريكيين حول ظاهرة غريبة ابتدأت فى الانتشار فى المجتمعات الغربية بصورة عامة ،

وفى المجتمع الأمريكى بصورة خاصة ، وهى ظاهـرة اقتراف الفاحشـة مع المحرمات كالبنت والأخت ..

ويقول الباحثون : « ان هذا الأمر لم يعد نادر الحدوث ، وانما هو لدرجة يصعب تصديقها ، فهناك عائلة من كل عشر عائلات يمارس فيها هذا الشذوذ » !! ..

هذا مع المحارم فكيف اذا اجتمع الشاب والشابة مع بعضهما فى دراسة أو عمل أو وظيفة .. ولم يكن بينهما رابطة من نسب ، ولا صلة من قرابة ..؟ فلاشك أن اقترافهما للفاحشة يكون من باب أولى !! ؟

فهـذه الوقائع التى سردناها عن واقع الأمم الغربية وتجربتهم للاختلاط ما هو الا غيض من فيض ، ونقطة من بحر للانحرافات الجنسية والخلقية التى آلت اليها المجتمعات العالمية قاطبة كنتيجة أليمـة للعنـة التبرج والسـفور والاختلاط فى عصور الانتكاس والضلال .. علماً بأن الاختلاط عند الغربيين والشرقيين يبدأ من الروضة الى الابتدائى الى الاعـدادى الى الثانوى الى الجامعى .. بل الاختلاط ـ كما نوهنا ـ شائع وموجود ومطبق فى سائر حياتهم الاجتماعية على الاطلاق .

فهل يصـدق عاقل ذو بصـيرة ـ بعد الذى أوضحناه ـ أن الاختلاط بين الجنسين ـ كما يدعى دعاة الاختلاط اليوم ـ يحد من ثورة الغريزة ، ويخفف من هياج الشهوة ، ويجعل اجتمـاع الرجال بالنسـاء أمراً مألوفا وعادياً ؟ .

ومن طرائف ما ذكره الشيخ زاهد الكوثرى رحمه فى مقالاته : « أن سفير الدولة العثمانية فى بلاد الانجليز اجتمع مرة مع كبراء الدولة البريطانية، فقال له أحد الكبراء الموجـودين : لماذا تصرون أن تبقى المرأة المسـلمة فى

الشرق متخلفة ، معزولة عن الرجال ، محجوبة عن النور ؟ !! فقال له السفير العثمانى : لأن نساءنا فى الشرق لا يرغبن أن يلدن من غير أزواجهن ، فخجل الرجل ولم يُحِرِ جواباً !! » .

فبأى حديث بعد هذا يؤمنون ؟

* * *

وفى الحديث عن الاختلاط ونتائجه أريد أن أضع بين يدى الآباء والمربين هـذه الحقيقـة : ان مخططات الاستعمار والصهيونية ، والمذاهب الماديـة والاباحية .. تستهدف أول ما تستهدف افسـاد المجتمع المسلم ، وتهـديم كيانه ، وفصم عراه .. وذلك بتمزيق القيم الأخلاقية ، والمفاهيم الدينيـة بين الشباب والشابات ، واشاعة الميوعة والانحلال فى كل ناحية من نواحى المجتمع المسلم .. فالمرأة عنـد هؤلاء هى أول الأهداف فى هـذه الدعوة الاباحية ، والميدان الماكر ، فهى العنصر الضعيف والعاطفى لتنفيذ آى مخطط لدعوة اباحية ، ومنهج استعمارى ..

ــ يقول أحد أقطاب المسـتعمرين : « كأس وغانيـة تفعلان فى تحطيم الأمة المحمـدية أكثر ممـا يفعـله ألف مدفع ، فأغرقوها فى حب المـادة والشهوات » .

ــ ويقول كبير من كبراء الماسونية الفجرة : « يجب علينـا أن نكسب المرأة ، فأى يوم مدت الينـا يدها فزنا بالحـرام ، وتبدّد جيش المنتصرين للدين » .

ــ وجاء فى « بروتوكولات حكماء صهيون » ما يلى : « يجب أن نعمل لتنهار الأخلاق فى كل مكان فتسهل سيطرتنا ، ان « فرويد » منا ، وسيظل يعرض العلاقات الجنسية فى ضوء الشمس لكى لا يبقى فى نظر الشاب شىء

مقدس ، ويصبح همه الأكبر هو ارواء غريزته الجنسية ، وعندئذ تنهار أخلاقه » .

فالذين يدعون الى اختلاط الأنثى بالذكر في بلاد الاسلام ، ويريدون أن يكون شائعاً مطبقاً في سائر حياتنا الاجتماعية .. **ماهم في الحقيقة الا اداة دعاية وتنفيذ** لمخططات أعداء الاسلام من أصحاب مذاهب مادية والحادية واباحية ، ودعاة أفكار استعمارية وصهيونية وماسونية .. من حيث يعلمون أولا يعلمون ، ومن حيث يشعرون أولا يشعرون .

فما على الآباء والمربين والمسؤولين اذن الا أن يجنّبوا الإناث عن الذكور في التعليم وغير التعليم حتى ينشأ البنات على الفضيلة والعفاف ، ويسلم المجتمع من المفاسد والانحلال ، ويتحقق للشباب والشابات لياقتهم الطبية والنفسية .. وحتى تتحرر الأمة الاسلامية كذلك من مخططات أعداء الاسلام في افساد المرأة المسلمة ..

وما أحسن ما قالته عائشة التيمورية في الافتخار بعلمها وعفافها وحجابها :

بيد العفاف أصون عِزّ حجابي ... وبهمتي أسمو على أترابي
ما ضرّني أدبي وحسن تعلّمي ... الا بكوني زهرة الألباب
ماعاقني خجلي عن العليا ولا ... سَدْل الخمار بلمّتي ونقابي

★ ★ ★

٢ ــ مسؤولية التوعية الفكرية :

ومن المسؤوليات الكبرى التي جعلها الاسلام أمانة في عنق الآباء والمربين جميعاً توعية الولد فكرياً منذ حداثة سنه ، ونعومة أظفاره .. الى

أن يصل سن الرشد والنضج •• والمقصود بالتوعية الفكرية ارتباط الولد :

بالاسلام ديناً ودولة ••

وبالقرآن العظيم نظاماً وتشريعاً ••

وبالتاريخ الاسلامي عزاً ومجداً ••

وبالثقافة الاسلامية العامة روحاً وفكراً ••

وبالارتباط الحركي للدعوة الاسلامية اندفاعاً وحماسة ••

اذن على المربين ان يُعرّفوا الولد منذ أن يعي ويميز على الحقائق التالية :

أ ــ خلود هذا الاسلام ، وصلاحيته لكل الأزمنة والأمكنة لما يمتاز به من مقومات الشمول والخلود والتجدد والاستمرار •

ب ــ آباؤنا الأولون ما وصلوا الى ماوصلوا اليه من عز وقوة وحضارة •• الا بفضل اعتزازهم بهذا الاسلام ، وتطبيقهم **لأنظمة القرآن ••**

ح ــ الكشف للولد عن المخططات التي يرسمها أعداء الاسلام :

المخططات الصهيونية الماكرة •

والمخططات الاستعمارية الغاشمة •

والمخططات الشيوعية الملحدة •

والمخططات الصليبية الحاقدة •

هذه المخططات التي تستهدف بجملتها محو العقيدة الاسلامية في الأرض ، وغرس بذور الإلحاد في الجيل المسلم ، واشاعة الميوعة والانحلال في الأسرة المسلمة ، والمجتمع المسلم •• والهدف البعيد والقريب من ذلك

اخماد روح المقاومة والجهاد في شباب الاسلام ، واستغلال ثروات البلاد الاسلامية لمصالحهم الذاتية ، ثم بالتالي طمس معالم الاسلام في كل أرجاء المجتمعات التي ينتمي أهلها الى الاسلام !!..

د ــ الكشف عن الحضارة الاسلامية التي كانت الدنيا بأسرها ترتشف من معينها حيناً من الدهر عبر التاريخ .

هـ ــ وأخيراً يجب أن يعرف الولد (أننا أمة لم ندخل التاريخ بأبي جهل ، وأبي لهب ، وأبي بن خلف .. ولكن دخلناه بالرسول العربي صلوات الله عليه وأبي بكر وعمر ...

ولم نفتح الفتوح بحرب البسوس وداحس والغبراء ، ولكن فتحناها ببدر والقادسية واليرموك ...

ولم نحكم الدنيا بالمعلقات السبع ولكن حكمناها بالقرآن المجيد ..

ولم نحمل الى الناس رسالة اللات والعزّى ، ولكن حملنا اليهم رسالة الاسلام ، ومبادىء القرآن)[1] .

والأصل في هذه التوعية الفكرية مارواه الطبراني عن علي كرم الله وجهه مرفوعاً : « أدبوا أولادكم على ثلاث خصال : حب نبيكم ، وحب آل بيته ، وتلاوة القرآن ... » .

ولقد كان السلف الصالح يهتمون كل الاهتمام لهذه التوعية ، ويوجبون تلقين الولد منذ الصغر تعليم القرآن الكريم ، ومغازي الرسول صلى الله عليه وسلم ، ومآثر الجدود والأمجاد ...

واليكم ماقالوه واوصوا به في هذا الصدد :

● يقول سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه : « كنا نعلم أولادنا

---

(1) من خطبة للأستاذ عصام العطار حفظه الله وشفاه .

مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم كما نعلمهم السورة من القرآن الكريم » .

● وأوصى الإمام الغزالي في احيائه : « بتعليم الطفل القرآن الكريم ، وأحاديث الاخبار ، و حكايات الابرار ، ثم بعض الأحكام الدينية » .

● وأشار ابن خلدون في مقدمته الى أهمية تعليم القرآن الكريم للأطفال وتحفيظه ، وأوضح أن تعليم القرآن الكريم هو أساس التعليم في جميع المناهج الدراسية في مختلف البلاد الاسلامية لأنه شعار من شعائر الدين الذي يؤدي الى رسوخ الإيمان ...

● وقد نصح هشام بن عبد الملك مؤدب ولده أن يعلمه كتاب الله ، والشعر الجيد ، والخطابة ، وتاريخ الملاحم ، ويعنى بتعليمه الاخلاق ، ويروضه على مخالطة الناس ...

فهذه الأقوال وأقوال غيرها تعطينا صورة صادقة عن التوعية الكاملة التي كان عليها المجتمع المسلم في الماضي حكاماً ومحكومين ، علماء وعامة ، معلمين ومتعلمين !!..

ولكن ماالسبيل الى هذه التوعية ؟

السبيل اليها يتصل بعدة وجوه :

١ ــ التلقين الواعي .

٢ ــ القدوة الواعية .

٣ ــ المطالعة الواعية .

٤ ــ الرفقة الواعية .

● والمقصود من **التلقين الواعي** أن يلقن الولد من قبل أبويه ومربيه

حقيقة الاسلام وماينطوي عليه من مبادىء وتشريعات وأحكام ، وأنه الدين الوحيد الذي له ملكة الخلود ، ومقومات البقاء ، وطبيعة الاستمرار الى أن يرث الله الارض ومن عليها • وعلى المربي — ولاسيما الأب — أن يحرص على إفهام الولد أنْ لاعز الا بالاسلام ، ولا نصر الا بتعاليم القرآن ، ولا قوة ولا حضارة ولانهوض الابشريعة المصطفى عليه الصلاة والسلام ، وعليه كذلك أن يبصره بكل المخططات اليهودية ، والاستعمارية ، والشيوعية ، والصليبية ••• التي تستهدف القضاء على الاسلام ، وتشويه حقائقه الناصعة ، ومعالمه المشرقة •• وتستهدف كذلك اجتثاث روح المقاومة والجهاد في نفوس المسلمين ، وتربية الجيل الحاضر على الإلحاد والضلال والاباحية ••

كما عليه أن يلقنه حضارة الاسلام الزاهية التي بقيت مئات السنين تشع على الانسانية نور الحق والمدنية والعرفان ، والتي ظلت أوربا عبر القرون تستقي من معينها ، وتستهدي بنورها وضيائها !!••

ولاشك أن الولد بفضل هذا التلقين الواعي المستمر يرتبط بالاسلام ديناً ودولة ، وبالقرآن الكريم نظاماً وتشريعاً ، وبالتاريخ الاسلامي اعتزازاً وقدوة ، وبالعمل الحركي والجهادي اندفاعاً واقداماً !!••

فما أحوج الاولاد الى مثل هذا التوجيه السامي ، والتلقين الواعي ، والتربية الهادفة !!••

● والمقصود من **القدوة الواعية** أن يرتبط الولد بمرشد مخلص واعٍ فاهم للاسلام ، مندفع له ، مجاهد في سبيله ، مطبق لحدوده ، لاتأخذه في الله لومة لائم ••

وآفة من يتصدون للارشاد اليوم أنهم يعطون لتلامذتهم ومريديهم الصورة المقلوبة المشوهة عن الاسلام الا من رحم ربك وقليل ماهم •

فمنهم من يركز توجيهه وعنايته على اصلاح النفس وتزكيتها .. ويهمل واجب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ؛ والمناصحة للحكام ، والوقوف أمام الظلم والظالمين ...

ومنهم من يجعل جُلّ اهتمامه للمظاهر التي أمر الاسلام بها من لحية وجلباب ولباس رأس ... ويهمل جانب العمل الحركي ، والتجمع الاسلامي لإقامة حكم الله في الارض ..

ومنهم من يولي كل عنايته بالعلم الشرعي ، ويهمل جانب التوجيه الدعَوي ، والتحرك الجهادي .. وهو يظن أنه ينصر الاسلام .. ومنهم .. ومنهم ...

علماً بأن الاسلام كل لايتجزأ فلا يجوز لمرشد ولا لعالم ، ولا لمن يتخذه الناس قدوة أن يكتموا واجباً أمر الله به ، وأن يتغاضوا عن منكر نهى الله عنه .. لعموم قوله تبارك وتعالى :

« إن الذين يكتمون ماأنزلنا من البينات والهدى من بعد مابيناه للناس في الكتاب اولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون الا الذين تابوا وأصلحوا وبينوا فاولئك أتوب عليهم وأنا التواب الرحيم » .

(البقرة : ١٥٩ — ١٦٠)

ولإنذار ما ثبت عنه عليه الصلاة والسلام فيما رواه ابن ماجه عن أبي سعيد الخدري : « من كتم علماً مما ينفع الله به الناس في أمر الدين ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار » .

ومن ملامح انحراف بعض من يتصدون للارشاد اليوم أنهم يدّعون العصمة لأنفسهم ويربطون الحق بأشخاصهم الفانية غير مكترثين بما يحكم

الشرع لهم أو عليهم ظناً منهم أنهم وصلوا المرتبة التي تنزههم عن الخطأ ، والمقام الذي يجنبهم الوقوع في الزلل •• فلا يجوز لأحد من الناس أن ينتقدهم اذا أخطأوا ، ولايصح لمريد أن يراجعهم اذا أمروا •• لوصولهم الى مرتبة الحفظ والعصمة •• علماً بأن العصمة خاصة بالانبياء عليهم الصلاة والسلام ، فهذا الإمام مالك رحمه الله وقف مرة أمام قبر الرسول صلى الله عليه وسلم وقال : « ما منا الا من رَدّ ورُدّ عليه الا صاحب هذا القبر » ، وأشار الى قبر النبي صلى الله عليه وسلم ؛ •

ومن المواقف الخالدة التي كان يقفها العلماء الواعون المخلصون موقف عالم العصر ومرشده الشيخ « سعيد النورسي » التركي ، الملقب بـ « بديع الزمان » رحمه الله وأجزل مثوبته ؛ هذا الموقف يتلخص أنه حين أحس ذات مرة أن من بين طلابه ومريديه من يذهب في تقديسه وتعظيمه حداً عظيماً ، ويربط معالم الحق بشخصه الفاني ، قال لهم موصياً وموجهاً وناصحاً : « اياكم أن تربطوا الحق الذي أدعوكم اليه بشخصي المذنب الفاني ، ولكن عليكم أن تبادروا فتربطوه بينبوعه الأقدس : كتاب الله ، وسنّة نبيه صلى الله عليه وسلم ، ولتعلموا أنني لست أكثر من دلاّل على بضاعة الرحمن جل جلاله ، ولتعلموا أنني غير معصوم ، قد يفرط مني ذنب أو يبدو مني انحراف ، فيتشوّه مظهر الحق (الذي ربطتموه بي) بذلك الذنب أو الانحراف ، فإما أن أكون بذلك قدوة للناس في هذا الانحراف ، وارتكاب الآثام ، أو صارفاً لهم عن الحق بما شوّهه واختلط به من انحرافي وآثامي » •

فما على المربين إذن الا أن يربطوا أولادهم بمرشد عالم واعٍ مخلص **يعطيهم الاسلام منهاجاً شاملا عاما** سواء مايتعلق في العقيدة والتشريع ، أو مايتصل بالدين والدولة ، أو مايرتبط بالتزكية والجهاد ، أو مايختص بالعبادة والسياسة ••

ويعطيهم التلقين التربوي والاصلاح النفسي توجيهاً سليماً واعيا يربطهم بالحق والشرع وتوجيهات السلف •• لابوجوده الفاني ، وشخصه المذنب ••

ولاشك أن الاولاد حين يرتبطون بالقدوة الواعية ــ بهذا الشكل الذي بيناه ــ فيتربون على التقوى والجهاد ، وينشؤون على الإخبات لله ، والجرأة في الحق ، ويدرجون على التعبد في المحراب ، وعلى مقارعة الاعداء في ميادين القتال عندئذ يكونون من نمط الذي قال عنهم الشاعر الاسلامي :

شباب ذلّلوا سبل المعالي	وماعرفوا سوى الاسلام دينا
تعهدهم فأنبتهم نباتاً	كريماً طاب في الدنيا غصونا
اذا شهدوا الوغى كانوا كماة	يدكّون المعاقل والحصونا
وانْ جَنّ المساء فلاتراهم	من الإشفاق الا ساجدينا
كذلك أخرج الاسلام قومي	شباباً مخلصاً حراً أمينا
وعلّمه الكرامة كيف تبنى	فيأبى أن يُقيّد أو يهونا

وحين يكونون على هذه الشاكلة يتحقق على أيديهم كل عزة ونصر وسيادة للاسلام والمسلمين •

● والمقصود من **المطالعة الواعية** أن يضع المربي بين يدي الولد منذ أن يعقل ويميز مكتبة ــ ولو صغيرة ــ تشمل مجموعة من القصص الاسلامية تتكلم عن سيرة الابطال ، وحكايات الأبرار ، وأخبار الصالحين ••

وتشمل كذلك مجموعة من الكتب الفكرية تتحدث عن كل مايتعلق بالنظم الاسلامية سواء كانت عقديّة أو أخلاقية أو اقتصادية أوسياسية ••

وعن كل ما يتعلق في توضيح المؤامرات التـي تحيكها الصهيونيـة والماسونية والشيوعية والصليبية ، والمذاهب المادية ضد الاسلام والمسلمين.

وتشمـل أيضاً مجموعة من المجلات الاسلامية الواعية التي تعرض الاسلام ، وتنقل الاخبار ، وتعالج المشكلات ، وتكتب المواضيع بعَرْضٍ شيّق وأسلوب جذاب ..

وعلى المربي أن يختار للولد من هذه الكتب والمجلات والقصص ما يتناسب مع سنه وثقافته حتى تكون الفائدة أنفع ، والثمرة التي يجنيها أجدى وأحسن .. تحقيقاً لاشارات الرسول صلوات الله وسلامه عليه فيما رواه البخاري عن علي كرم الله وجهه : « حدثوا الناس بما يعرفون .. » ، وفيما رواه الديلمي ، والحسن بن سفيان عن ابن عباس رضي الله عنهما : « أمرت أن أخاطب الناس على قدر عقولهم » .

ولاشك أن المربين حينما ينهجون بأولادهم هذا النهج ، ويسلكون معهم هذه السبيل فإنهم يتثقفون بالثقافة الاسلامية الكاملة ، ويدرجون على الوعي الناضج الصحيح .

● والمقصود من **الرفقة الواعية** أن يختار المربون لأولادهم رفقـاء صالحين مأمونين متميزين من غيرهم بالفهم الاسلامي الناضج ، والوعي الفكري النابه ، والثقافة الاسلامية الشاملة .

ولاشك أن الولد منذ أن يعقل ويدرك ، حينما يصاحب البليدين ذهنياً وفكرياً فإنه يكتسب منهم البلادة ؛ وحينما يخالط القاصرين عن ادراك حقيقة الاسلام ونظرته الكلية الى الكون والحياة والانسان فانه يكتسب منهم القصور والمحدودية ...

فلايكفي أن يكون الرفيق صالحاً قانتاً مصلياً •• ولا أن يكون مثقفا ذكيا عبقريا •• بل ينبغي أن يجمع مع فضيلة الصلاح والتقوى فضيلة النضج العقلي ، والوعي الاجتماعي والفهم الاسلامي ••• حتى يكون رفيقاً سوياً ، وصاحباً ناضجا تقيا ••

وقد قالوا قديما : (الصاحب ساحب) •

وقل أهل المعرفة : لاتقل لي من أنا ؟ بل قل لي : من أصاحب ؟ فتعرف من أنـا ؟

وما أحسن ماقاله الشاعر :

عن المـرء لا تسَلْ وسل عن قرينـه
فكـل قَرين بالمقـارن يَقتـدي

وما أصدق ماقاله عليه الصلاة والسلام فيما رواه الترمذي : « المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل » •

فما على المربـين الا أن يهيئوا لأولادهم وهـم في سن التمييز الرفقة الصالحة الواعية التي تبصرهم حقيقة الاسلام ، وتعرفهم مبادئه الشاملة ، وتعاليمه الخالدة ، وتعطيهم الصورة الصادقة عن هذا الدين الذي حمـل لواءه أبطال كرام ، وجدود أمجاد •• فكانوا بحق خير أمة أخرجت للناس••

واخيراً اريد ان اهمس في أذن المربين والأولياء والآباء بهذه الحقيقة !!••

أليس من المؤسف المؤلم أن يصل شبابنا الى سن التكليف ولم يعلموا أن الاسلام دين ودولة ، ومصحف وسيف ، وعبادة وسياسة •• وأنه الدين الوحيد الذي له ملكة الشمول والخلود والبقاء للزمن المتحضّر ، والحياة المتطـورة ؟••

أليس من المؤسف المؤلم أن يتعلم أبناؤنا في المدارس كل شيء عن رجالات الغرب ، وفلاسفة الشرق ، وعن أفكارهم وآرائهم ، وتاريخ حياتهم، ومآثر أعمالهم •• ولم يعرفوا عن حياة أبطالنا وعظمائنا في التاريخ ، وأخبار الفاتحين ••• سوى النذر القليل ؟؟••

ثم أليس من العار والشنار أن يتخرج أولادنا من المدارس وقد مسختهم الثقافات الأجنبية ، والمبادىء الغربية أو الشرقية •• حتى أصبح الكثير منهم أعداء لدينهم وتاريخهم وحضارتهم ؟

ثم بالتالي أليس مما يفتت القلب والكبد أن تنساق الفئة المؤمنة من الشباب وراء أدعياء الإرشاد يعطلون لهم تفكيرهم ، ويقطعونهم من كل صلة ثقافية اسلامية واعية ، ويمنعونهم من كل مرشد عالم مخلص ، يوضح لهم حقيقة الاسلام ونظرته الكلية الشاملة ؟•

واخـــيرا أليس من المخزي المؤسف أن يقتني أبناء هذا الجيل الكتب الإلحادية ، والمجلات الخلاعية ، والقصص الغرامية •• ولم يكن عندهم أدنى اهتمام بالكتب الفكرية التي توضح نظم الاسلام ، وترد على شبهات الأعداء ، وتعرفهم بمفاخر التاريخ ؟!!•

فما عليكم ــ ايها المربون والآباء ــ الا أن تقوموا بواجب المسؤولية تجاه أفلاذ أكبادكم ، وأن تسعوا جاهدين في تصحيح أفهامهم وأفكارهم إن كانت مشوبة بأفكار دخيلة ، وآراء ضالة !!•• كما عليكم أن تلقنوهم صباح مساء الردّ على دسائس الملحدين والمبشرين ، وافتراءات الماديين والمستشرقين ••

وفي هذا ــ لاشك ــ توعية لأفكارهم ، وصيانة لعقيدتهم من أن تتأثر بالدسائس المغرضة ، والمبادىء الهدامة ، والعقائد المنحرفة ••

فإن نهجتم هذا النهج ، وسلكتم هذا السبيل اعتز أبناؤكم بدينهم ، وافتخروا بأمجادهم وتاريخهم ، وما عرفوا سوى الاسلام عقيدة وشريعة ، ومصحفاً وسيفاً ، وديناً ودولة ، وعبادة وسياسة .. وكانوا من الجيل الأول الذي قال عنهم الشاعر :

خلّفت جيلا من الأصحاب سيرتهم
تضوع بين الورى رَوْحاً وريْحانا
كانت فتوحهمو برّاً ومرحمه
كانت سياستهم عدلا واحسانا
لم يعرفوا الدين أوراداً ومسبحة
بل أُشْبِعُوا الدين محراباً وميدانا

★ ★ ★

٣ ــ الصحة العقلية :

ومن المسؤوليات التي جعلها الله أمانة في عنق الآباء والمربين جميعاً الاعتناء بصحة عقول أبنائهم وتلامذتهم .. فما عليهم الا أن يقدروها حق قدرها ، ويرعوها حق رعايتها ، حتى يبقى تفكيرهم سليماً ، وذاكرتهم قوية، وأذهانهم صافية ، وعقولهم ناضجة ..

ولكن ماهي حدود مسؤولية الآباء والمربين في صحة الاولاد العقلية ؟

المسؤولية تتركز في تجنيبهم المفاسد المنتشرة في المجتمع هنا وهناك لما لها من تأثير على العقل والذاكرة والجسم الانساني بشكل عام .

وقد أفضنا في الحديث عنها في فصل « مسؤولية التربية الجسمية » من هذا الكتاب ، والآن نلخصها ، ونشير اليها ليكون ــ كل من له في عنقه حق التربية ــ على بينة وهدى وذكرى .

مما أجمع عليه الاطباء ، وحذر منه علماء الصحة أن **المفاسد** التي تؤثر على العقل والذاكرة ، وتخمل الذهن ، وتشلّ عملية التفكير في الانسان ، وتحدث أضراراً بالغة في الجسم هي مايلي :

١ — **مفسدة تناول الخمور** بشتى أشكالها وأنواعها ، فإنها تقتل الصحة ، وتورث الجنون •••

٢ — **مفسدة العادة السرية** فإن الإدمان عليها يورث السل ، ويضعف الذاكرة ، ويسبب الخمول الذهني ، والشرود العقلي ••

٣ — **مفسدة التدخين** ، فإن من تأثيره على العقل : أن يهيج الأعصاب، ويؤثر على الذاكرة ، ويضعف ملكة إحضار الذهن والتفكير ••

٤ — **مفسدة الاثارات الجنسية** كمشاهدة الافلام الخلاعية ، والتمثيليات الماجنة ، والصور العارية •• فإنها تعطل وظيفة العقل ، وتسبب الشرود ، وتقضي على ملكة الاستذكار والتركيز الذهني •• فضلا عن الإلهاء ، واضاعة الوقت الثمين •

يقول الدكتور « ألكيس كارليل » في كتابه « **الانسان ذلك المجهول** »: « عندما تتحرك الغريزة الجنسية لدى الانسان تفرز غدده نوعاً من المادة التي تتسرب بالدم الى دماغه وتخدّره فلا يعود قادراً على التفكير الصافي » •

الى غير ذلك من هذه المفاسد الخطيرة الضارة التي تضر بعقول الاولاد، وتسبب لهم الآفات والأخطار ••



والذي نخلص إليه بعد ماتقدم من بحوث هذا الفصل ان :

الواجب التعليمي

والتوعية الفكريـــة
والصحة العقلية

هي أبرز المسؤوليات في تربية الأولاد العقلية ؛ فإن قصر الآباء والمربون والمعلمون في القيام بهذه الواجبات ، وفرطوا في هاتيك المسؤوليات •• فان اللـــه سبحانه سيحاسبهم علـــى تقصيرهم ، ويسألهم عـــن نتائـــج اهمالهم •• **فياخجلتهم من الله** اذا وقع عليهم الحق وكانوا من المفرّطين •

وياويلهم من مشهد يوم عظيم اذا كان جوابهم أمام رب العالمين :

« ربنـــا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيـــلا ، ربنا آتهـــم ضعفين من العذاب والعنهم لعناً كبيراً » (الأحزاب : ٦٧ — ٦٨)

وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم القائل فيما رواه ابن حبان : « ان الله سائل كل راع عما استرعاه حَفِظَ أم ضيّع » •

اللهم اجعلنا ممّن يطيعون الله ورسوله ، وممّن تبيض وجوههم يوم الحساب ، وممّن أدّوا مسؤولية أولادهم وأهليهـــم خير أداء •• إنـــك خير مأمول ، وأكرم مسؤول ••



الفصل الخامس

٥ ـ مَسْؤليّة التربيةِ النّفسيّة

المقصود بالتربية النفسية تربية الولد منذ أن يعقل على الجرأة والصراحة ، والشجاعة ، والشعور بالكمال ، وحب الخير للآخرين ، والانضباط عند الغضب ، والتحلي بكل الفضائل النفسية والخلقية على الإطلاق …

والهدف من هذه التربية تكوين شخصية الولد وتكاملها واتزانها .. حتى يستطيع ـ اذا بلغ سن التكليف ـ أن يقوم بالواجبات المكلف بها على أحسن وجه ، وأنبل معنى .

واذا كان الولد ـ منذ أن يولد ـ أمانة بيد مربّيه فالإسلام يأمرهم ويحتم عليهم أن يغرسوا فيه منذ أن يفتح عينيه أصول الصحة النفسية التي تؤهله لأن يكون انساناً ذا عقل ناضج ، وتفكير سليم ، وتصرّف متّزن ، وارادة مستعلية ..

وكذلك عليهم أن يحرروا الولد من كل العوامل التي تغض من كرامته واعتباره ، وتحطم من كيانه وشخصيته ، والتي تجعله ينظر الى الحياة نظرة حقد وكراهية وتشاؤم ..

وأرى أن من أهم العوامل التي يجب على المربين أن يحرروا أولادهم وتلامذتهم منها هي الظواهر التالية :

١ ــ ظاهرة الخجل

٢ ــ ظاهرة الخوف

٣ ــ ظاهرة الشعور بالنقص

٤ ــ ظاهرة الحسد

٥ ــ ظاهرة الغضب[١] .

وان شاء الله في هذا الفصل فسنستعرض كل ظاهرة على حدة بشيء من التفصيل ، ثم نتطرق للعلاج على ضوء ماجاء في الاسلام ، ثم نرشد الى ظاهرة الفضيلة التي تحل محلها ، والله الموفق وهو المستعان .



١ ــ ظاهرة الخجل :

من المعلوم أن ظاهرة الخجل من طبيعة الأطفال « ولعل أولى أماراته تبدأ في سن الأربعة أشهر ، وأما بعد كمال السنة فيصبح الخجل واضحاً في الطفل ، اذ يدير وجهه أو يغمض عينيه أو يغطي وجهه بكفيه إن تحدث شخص غريب اليه »[٣] .

---

(١) اقترح بعض الأخوة ان اضيف الى هذه الظواهر « ظاهرة التسيب » (اللامبالاة) ، « وظاهرة التهور » ، ولكن جاء هذا الاقتراح اثناء تقديم هذا الكتاب للطبع ، وإن شاء الله فستكون الاضافة في الطبعات القادمة إن وفق الله .

(٢) من كتاب المشكلات السلوكية عند الأطفال للدكتور نبيه الغبرة ص ١٥٣ .

« وفي السنة الثالثة يشعر الطفل بالخجل عندما يذهب الى دار غريبة ، فهو قد يجلس هادئاً في حجر أمه أو الى جانبها طوال الوقت لاينبس ببنت شفــة »[1] .

وتلعب الوراثة دورها في شدة الخجل عند الأطفال ، ولاينكر ماللبيئة من أثر كبير في ازدياد الخجل أو تعديله ، فإن الاطفال الذين يخالطون غيرهم ، ويجتمعون معهم يكونون أقل خجلا من الاطفال الذين لايخالطون ولايجتمعون !!..

المعالجة لاتتم الا أن نعوّد الاولاد على الاجتماع بالناس سواء جلب الأصدقاء الى المنزل لهم بشكل دائم، أو مصاحبتهم لآبائهم في زيارة الاصدقاء والأقــارب ، أو الطلب منهــم برفق ليتحدّثوا أمــام غيرهم ســواء كــان المُتَحَدَّث اليهم كباراً أو صغاراً !!..

وهذا التعويد ــ لاشــك ــ يضعف في نفوسهم ظاهرة الخجل ، ويكسبهم الثقة بأنفسهم ، ويدفعهم دائماً الى أن يتكلموا بالحق لايخشون في سبيل ذلك لومة لائم ..

وهذه بعض الأمثلة التاريخية والاحاديث النبوية التي تعطي للمربــين جميعاً القدوة الصالحة في تربية السلف الصالح أبناءهم على الجرأة ،ومعالجة ظاهرة الخجل في نفوسهم :

أ ــ روى البخاري وغيره عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ــ وكان دون الحلم ــ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ان من الشجر شجرة لايسقط ورقها ، وانها مثل المسلم ، فحدثوني ما هي ؟ فوقع الناس في شجر البواد ي ، قال عبد الله : ووقع في نفسي أنها النخلة ، فاستحييت ، ثم قالوا : حدثنا ما هي يارسول الله ؟ قال: هي النخلة » .

---

(١) من كتاب « المشكلات السلوكية » .. ص ١٥٣ .

وفي روايـة : فأردت أن أقـول : « هي النخلـة » ، فـإذا أنـا أصغر القوم .

وفي رواية : « ورأيت أبا بكر وعمر لايتكلمان ، فكرهت أن أتـكلم ، فلما قمنا حدثت أبي بما وقع في نفسي ، فقال : لأن تكون قلْتَها أحبّ الي من أن يكون لي حُمْرُ النّعَم » .

ب ــ وروى مسلم عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتي بشراب ، فشرب منه ، وعن يمينه غلام ، وعن يساره أشياخ (أي مسنّين) .

فقال للغلام : أتأذن لي أن أعطي هؤلاء ؟

فقال الغلام : لا والله ، لاأوثر بنصيبي منك أحداً .

ج ــ وروى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما ــ وكان دون الحلم ــ أنه قال : كان عمر رضي الله عنه يدخلني ــ أي في أيام خلافته ــ مع أشياخ بدر (أي في المشورة) ، فكأنّ بعضهم وجد في نفسه (أي غضب) ، فقال : لِمَ يدخُل هذا معنا ولنا أبناء مثله ؟

فقال عمر : انه من حيث قد علمتم[١] !!..

فدعاني ذات مرة ، فأدخلني معهم ، فمـا رأيت أنـه دعاني يومئـذ الا لـيريهـم .

---

(١) اي ممن خصه عليه الصلاة والسلام بالدعاء له : « اللهم فقهه فـي الدين وعلمه التأويل » .

قال : ماتقولون في قوله تعالى : « اذا جاء نصر الله والفتح •• » ؟

فقال بعضهم : أمرنا أن نحمد الله ونستغفره اذا نصرنا وفتح علينا ، وسكت بعضهم فلم يقل شيئاً •

فقال لي : أكذلك تقول : ياابن عباس ؟

فقلت : لا •

قال : فما تقول ؟

قلت : هو أجل رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلمه له ، قال : « اذا جاء نصر الله والفتح •• » ، وذلك علامة أجلك « فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توّابا » •

فقال عمر رضي الله عنه : ماأعلم منها الا ماتقول •

د ـــ ومرّ أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه مرة في طريق من طرق المدينة ، وأطفال هناك يلعبون ، وفيهم عبد الله ابن الزبير وهو طفل يلعب ، فهرب الاطفال هيبة من عمر ، ووقف ابن الزبير ساكتاً لم يهرب •

فلما وصل اليه عمر قال له : لِمَ لم تهرب مع الصبيان ؟

فقال على الفور : لست جانياً فأفرّ منك ، وليس في الطريق ضيق فأوسّعَ لك •

انه جواب جريء وسديد •

د ـــ ورأى عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه ولداً له في يوم عيد ، وعليه ثوب خَلَق ـــ أي قديم ـــ فدمعت عيناه ، فرآه ولده ، فقال : مايبكيك يا أمير المؤمنين ؟

قال : يابني ، أخشى أن ينكسر قلبك اذا رآك الصبيان بهذا الثوب الخَلَق ؟!!.

قال : ياأمير المؤمنين ، انما ينكسر قلب من أعدمه الله رضاه ، أو عق أمه وأباه ، واني لأرجو أن يكون الله تعالى راضياً عني برضاك .

و ـ ودخل على عمر بن العزيز رضي الله عنه في أول خلافته وفود المهنئين من كل جهة ، فتقدم من وفد الحجازيين للكلام غلام صغير لم تبلغ سنّه احدى عشر سنة .

فقال له عمر : ارجع أنت ، وليتقدم من هو أسنّ منك !!..

فقال الغلام : أيّد الله أمير المؤمنين ، المرء بأصغريه قلبه ولسانه ، فإذا منح الله العبد لساناً لافظاً ، وقلباً حافظاً ، فقد استحق الكلام ، ولو أن الأمر ـ ياأمير المؤمنين ـ بالسنّ لكان في الأمة من هو أحق منك بمجلسك هذا !!..

فتعجب عمر من كلامه وأنشد :

تعلم فليس المرء يولد عالماً	وليس أخو علم كمن هو جاهل
وان كبير القوم لا علم عنده	صغير، اذا التفّت عليه المحافل

ز ـ ومما تناقلته كتب الادب أن صبياً تكلم بين يدي الخليفة المأمون فأحسن الجواب .

فقال له المأمون : ابن مَنْ أنت ؟
فقال الصبي : ابن الأدب ياأمير المؤمنين !!.
فقال المأمون : نعم النسب ، وأنشد يقول :

كن ابن من شئت واكتسب أدباً　　يُغنيك محمودُه عن النسب

ان الفتى من يقول : ها أنذا　　ليس الفتى من يقول : كان أبي

ح ــ ودخل المأمون مرة بيت الديوان فرأى غلاماً صغيراً على أذنه قلم.

فقال له : من أنت ؟

قال : أنا الناشيء في دولتك ، المُتقلّب في نعمتك ، المؤمّل لخدمتك أنا الحسن بن رجاء .

فعجب المأمون من حسن اجابته ، وقال : بالإحسان في البديهة تفاضلت العقول ، ارفعوا هذا الغلام فوق مرتبته .

ط ــ قحطت البادية في أيام (هشام بن عبد الملك) ، فقدمت عليه العرب فهابوا أن يتكلموا وكان فيهم « ورداس بن حبيب » وهو اذ ذاك صبي فوقعت عليه عين هشام ، فقال لحاجبه : ما يشاء أحد يدخل عليّ إلا دخل حتى الصبيان ؟.

فقال الصبي : ياأمير المؤمنين : إنا أصابتنا سنون ثلاث : سنة أذابت الشحم ، وسنة أكلت اللحم ، وسنة نقّت العظم (أي أخرجت مخه) وفي أيديكم فضول أموال ، فإن كانت لله ففرّقوها على عباده ، وان كانت لهم فعَلامَ تحبسونها عنهم ؟ ، وان كانت لكم فتصدّقوا بها عليهم ، فإن الله يجزي المتصدقين ، ولايضيع أجر المحسنين .

فقال هشام : ما ترك لنا هذا الغلام في واحدة من الثلاث عذراً ، فأمر للبوادي بمائة دينار ، وله بمائة ألف درهم .

فقال الصبي : اردها يا أمير المؤمنين الى جائزة العرب ، فإني أخاف أن تعجز عن بلوغ كفايتهم .

فقال هشام : أما لك حاجة ؟

قال الصبي : مالي حاجة فيّ خاصة دون عامة المسلمين !

فخرج الصبي وهو من أنبل القوم وأكرمهم .

فيؤخذ من هذه الأمثلة التي سردناها أن أبناء السلف كانوا يتربون على التحرر التام من ظاهرة الخجل ، ومن بوادر الانكماش والانطوائية ، وذلك بسبب تعويدهم على الجرأة ، ومصاحبة الآباء لهم لحضور المجالس العامة ، وزيارة الاصدقاء ، ثم بالتالي تشجيعهم على التحدث أمام الكبار ، ثم دفع ذوي النباهة والفصاحة منهم لمخاطبة الخلفاء والأمراء ، ثم استشارتهم في القضايا العامة ، والمسائل العلمية في مجمع من المفكرين والعلماء .

ظاهرة الجرأة الأدبية ، وهذا كله مما ينمّي في الأولاد ويغرس في نفوسهم أنبل معاني الفهم والوعي ، ويهيب بهم في أن يتدرجوا في مدارج الكمال وتكوين الشخصية ، والنضج الفكري والاجتماعي ..

فما على المربين اليوم ــ ولاسيما الآباء ــ الا أن يأخذوا بقواعد هذه التربية الفاضلة حتى ينشأ الاولاد على الصراحة التامة ، والجرأة الكاملة ضمن حدود الادب والاحترام . ومراعاة شعور الآخرين ، وانزال الناس منازلهم .. والاّ فإن الجرأة ستنقلب الى وقاحة ، والصراحة الى قلة أدب مع الآخرين .



وعلينا أن نميز بين الحياء والخجل للفرق الواضح بينهما :

فالخجل ــ كما مر ــ هو انكماش الولد وانطواؤه وتجافيه عن ملاقاة الآخرين .

اما الحياء فهو التزام الولد مناهج الفضيلة وآداب الاسلام •

فليس من الخجل في شيء أن نعوّد الولد منذ نشأته على الاستحياء من اقتراف المنكر ، وارتكاب المعصية •

وليس من الخجل في شيء حين نعود الولد على توقير الكبير ، وغض البصر عن المحرمات ، وكف الأذن أن تسترق سراً ، أو تكتشف خبئاً •

وليس من الخجل في شيء حين نعوده على تنزيه اللسان بأن يخوض في باطل ، وعلى فطم البطن عن تناول المحرمات ، وعلى صرف الوقت في طاعة الله ، وابتغاء مرضاته !!••

وهذا المعنى من الحياء هو ماأوصى به رسول الاسلام صلوات الله وسلامه عليه حين قال : ـ فيما رواه الترمذي ـ « استحيوا من الله حق الحياء ، قلنا : انا نستحيي من الله يارسول الله ـ والحمد لله ـ قال : ليس ذلك •• الاستحياء من الله حق الحياءأن تحفظ الرأس وما وعى ، والبطن وماحوى ، وتذكر الموت والبلى ، ومن أراد الآخرة ترك زينة الحياة، وآثر الآخرة على الأولى ، فمن فعل ذلك استحيا من الله حق الحياء » •

وقال ـ فيما رواه الامام أحمد ـ : « اللهم لايدركني زمان لايُتبَعُ فيه العليم ، ولايُستحيا فيه من الحليم » •

وقال ـ فيما رواه الامام مالك ـ : « ان لكل دين خُلُقاً ، وخُلُق الاسلام الحياء » •

٢ ـ ظاهرة الخوف :

ظاهرة الخوف حالة نفسية تعتري الصغار والكبار ، والذكور والإناث •• وقد تكون هذه الظاهرة مستحبةان كانت ضمن الحدودالطبيعية

لدى الأطفال ، لأنها تكون وسيلة في حماية الطفل من الحوادث ، وتجنّبه كثيراً من الاخطار ..

ولكن اذا ازداد الخوف عن الحد المعتاد ، وتجاوز حدود الطبيعة .. فإنه يسبب في الأطفال قلقاً نفسياً ، فعنده يعتبر مشكلة نفسية يجب معالجتها والنظر فيها .

يقول المختصون بعلم نفس الأطفال : « إنّ الطفل في السنة الأولى قد يبدي علامات الخوف عند حدوث ضجة مفاجئة أو سقوط شيء بشكل مفاجىء أو ماشابه ذلك ، ويخاف الطفل من الأشخاص الغرباء اعتباراً من الشهر السادس تقريباً ؛ وأما الطفل في سنته الثالثة فإنه يخاف أشياء كثيرة من الحيوانات والسيارات والمنحدرات والمياه وما شابه هذا ..

وبوجه عام فان الإناث أكثر اظهاراً للخوف من الذكور ؛ كما تختلف شدة تبعاً لشدة تخيل الطفل ، فكلما كان أكثر تخيلاً كان أكثر تخوّفاً »[1].

ولازدياد الخوف لدى الأطفال عوامل وأسباب ، نذكر أهمها :

- تخويف الأم وليدها بالأشباح أو الظلام أو المخلوقات الغريبة .
- دلال الأم المفرط ، وقلقها الزائد ، وتحسسها الشديد .
- تربية الولد على العزلة والانطوائية والاحتماء بجدران المنزل .
- سرد القصص الخيالية التي تتصل بالجن والعفاريت .

الى غير ذلك من هذه العوامل والأسباب ..

---

(1) من كتاب المشكلات السلوكية عند الأطفال للدكتور نبيه الغبرة ص ١٥٠ .

ولعلاج هذه الظاهرة في الأطفال يجب مراعاة الأمور التالية :

١ ــ تنشئة الولد منذ نعومة أظفاره على الإيمان بالله ، والعبادة له ، والتسليم لجنابه في كل ما ينوب ويروع •• ولاشك أن الولد حين يُربّى على هذه المعاني الإيمانية ، ويعوّد على هذه العبادات البدنية الروحية •• فإنه لايخاف اذا ابتلي ، ولا يهلع اذا أصيب •• والى هذا أرشد القرآن الكريم حين قال :

« إن الانسان خلق هلوعاً اذا مسه الشر جزوعاً ، واذا مسه الخير منوعاً الا المصلين الذين هم على صلاتهم دائمون » (المعارج : ٢٣)

٢ ــ اعطاؤه حرية التصرف ، وتحمل المسؤولية ، وممارسة الأمور على قدر نموّه ، ومراحل تطوره ، ليدخل في عموم قوله عليه الصلاة والسلام في الحديث الذي رواه البخاري ومسلم « كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته » •

٣ ــ عدم اخافة الولد ــ ولاسيما عند البكاء ــ بالغول والضبع ، والحرامي ، والجني ، والعفريت ••• ليتحرر الولد من شبح الخوف وينشأ على الشجاعة والإقدام •• ويدخل في عموم الخيرية التي وجه اليها النبي صلى الله عليه وسلم بقوله ــ فيما رواه مسلم ــ : « المؤمن القوي خير وأحب الى الله من المؤمن الضعيف •• » •

٤ ــ تمكين الطفل منذ أن يعقل بالخلطة العملية مع الآخرين ، واتاحة المجال له للالتقاء بهم ، والتعرف عليهم ، ليشعر الطفل من قرارة وجدانه أنه محل عطف ومحبة واحترام ••• مع كل من يجتمع به ، ويتعرف عليه ، ليكون من عداد من عناهم الرسول صلوات الله وسلامه عليه بقوله : ــ فيما رواه الحاكم والبيهقي •• ــ : « المؤمن آلف مألوف ، ولاخير فيمن لايألف ولا يؤلف ، وخير الناس أنفعهم للناس » •

ومما ينصح به علماء النفس والتربية : « ولابأس بأن نجعل الطفل أكثر تعرفاً للشيء الذي يخيفه ، فإذا كان يخاف الظلام فلا بأس بأن نداعبه باطفاء النور ثم اشعاله ، وان كان يخاف الماء فلا بأس بأن نسمح له بأن يلعب بقليل من الماء في اناء صغير أو ما شابهه ، وان كان يخاف من آلة كهربائية كمكنسة كهربائية مثلاً فلا بأس بأن نعطيه بعض أجزائها ليلعب بها ثم نسمح له بأن يلعب بها كاملة ، وهكذا ... »[1] .

٥ - تلقينهم مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومواقف السلف البطولية ، وتأديبهم على التخلّق بأخلاق العظماء من القواد والفاتحين، والصحابة والتابعين .. ليتطبّعوا على الشجاعة الفائقة ، والبطولة النادرة وحب الجهاد ، واعلاء كلمة الله .

ولنستمع الى مايقوله سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه في هذا المعنى : « كنا نعلّم أولادنا مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم كما نعلمهم السورة من القرآن » .

وسبق أن ذكرنا وصية عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - للآباء في تعليم أولادهم مبادىء الفتوّة والفروسية ، ووسائل الحرب والجهاد - حين قال : « علموا أولادكم الرماية والسباحة ، ومروهم فليثبوا على الخيل وثباً » .

وسبق أن ذكرنا كذلك في مبحث « مسؤولية التربية الإيمانية » الحديث الذي رواه الطبراني : « أدّبوا أولادكم على ثلاث خصال : حب نبيكم ، وحب آل بيته ، وتلاوة القرآن ... » . وما هذه التوجيهات من رسول الاسلام صلوات الله وسلامه عليه ، وأصحابه الكرام من بعده ..

---

(١) من كتاب المشكلات .. ص ١٥٢ للدكتور نبيه الغبرة .

الا برهان قاطع على اهتمام الاسلام بتربية الاولاد على الشجاعة ، وحثّهم على الاقدام .. ليكونوا في المستقبل جيل الاسلام الصاعد في إشادة صرح الاسلام الشامخ ، ورفع منار العزة الأسلامية في العالمين .

★ ★ ★

وفي المناسبة نقتطف **من سيرة أبناء الصحابة الكرام مواقف بطولية خالدة** كان لها في التاريخ ذكر ، وفي الأجيال قدوة .. ومازالت أخبارهم مضرب الأمثال ، وسيرتهم مفخرة الاجيال ، ومواقفهم أعجوبة التاريخ :

أ ـ لما خرج المسلمون الى أحُد للقاء المشركين ، استعرض النبي صلى الله عليه وسلم الجيش ، فرأى فيه صغاراً لم يبلغوا الحُلم حشروا أنفسهم مع الرجال ، ليكونوا مع المجاهدين في اعلاء كلمة الله ، فأشفق عليهم النبي صلى الله عليه وسلم وردّ من استصغر منهم .

وكان فيمن ردّه عليه الصلاة والسلام رافع بن خديج ، وسُمرة بن جندب ، ثم أجاز رافعاً لما قيل له : انه رامٍ يحسن الرماية .

فبكى سمرة وقال لزوج أمه : أجاز رسول الله صلى الله عليه وسلم رافعاً وردّني مع أني أصرعه ؛ فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر ، فأمرهما بالمصارعة ، فكان الغالب سُمرة ، فأجازه عليه الصلاة والسلام .

ب ـ لما هاجر النبي صلى الله عليه وسلم وصاحبه أبو بكر رضي الله عنه الى المدينة المنورة ، وأقاما في غار ثور ثلاثة أيام ، عملت عائشة وأسماء بنتا أبي بكر رضي الله عنهم في تهيئة الزاد لهما ، وقطعت أسماء قطعة

من نطاقها ــ وهومايشد به الوسط ــ فربطت به على فم وعاء الطعام الذي كانت تحمله ، فسميت لذلك : ذات النطاقين ، وعمل عبد الله بن أبي بكر رضي الله عنهما على نقل الاخبار ؛ فلا يسمع من قريش أمراً يبيّتونه من المكروه لهما الا وعاه رضي الله عنه حتى يأتيهما في المساء بخبره ، ويبقى عندهما بعض الوقت ، ثم يخرج من عندهما بالسّحَر ، ويصبح مع قريش بمكّة كأنه كان نائماً فيها ؛ ومن المعلوم أن عائشة وعبد الله رضي الله عنهما لم يبلغا الحلم بعد .

وهذه شجاعة نادرة لم يقو عليها كثير من الرجال !!..

ج ــ أخرج الشيخان عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال : اني لواقف يوم بدر في الصف ، فنظرت عن يميني وشمالي فإذا أنا بين غلامين من الأنصار حديثة أسنانهما ..

فغمزني أحدهما فقال : يا عماه !!. أتعرف أبا جهل ؟ فقلت : نعم ، وما حاجتك اليه ؟ قال : أُخبرت أنه يسبّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ والذي نفسي بيده ، لئن رأيته لا يفارق سوادي سواده (أي شخصي شخصه) حتى يموت الأعجل منا ، فتعجب لذلك ؛ فغمزني الآخر فقال لي أيضاً مثلها ، فلم ألبث أن نظرت الى أبي جهل وهو يجول في الناس .

فقلت : ألا تريان ؟ هذا صاحبكما الذي تسألاني عنه ، فابتدراه بسيفيهما فضرباه حتى قتلاه ، ثم انصرفا الى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبراه ، فقال : أيكما قتله ؟

قال كل منهما : أنا قتلته ، قال : هل مسحتما سيفيكما ؟ قالا : لا .

قال : فنظر النبي صلى الله عليه وسلم في السيفين فقال : كلاكما قتله.

وقضى بسَلَبه[1] لمعاذ بن عمرو بن الجموح ، والآخر معاذ ابن عفراء رضي الله عنهما •

د ـ و أخرج ابن أبي شيبة عن الشعبي : أن امرأة دفعت الى ابنها يوم أحُد السيف فلم يُطق حمله ، فشدته على ساعده بسير مضفور ، ثم أتت به النبي صلى الله عليه وسلم ، فقالت : يارسول الله هذا ابني يقاتل عنك ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أي بنيّ ، احمل ها هنا ، أي بنيّ احمل ها هنا (أي اهجم ها هنا) ، فأصابته جراحة ، فصُرع ، فأتي به النبي صلى الله عليه وسلم فقال : أي بنيّ ، لعلك جزعت !!• قال الولد : لا يا رسول الله !!••

هـ ـ وأخرج ابن سعد في طبقاته ، والبزار وابن الأثير في الإصابة عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال : رأيت أخي عُمير ابن أبي وقاص قبل أن يعرضنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر يتوارى ، فقلت : مالك يا أخي ؟ قال : اني أخاف أن يراني رسول الله صلى الله عليه وسلم فيردّني ، وأنا أحب الخروج لعل الله أن يرزقني الشهادة ، قال : فعُرض على رسول الله صلى الله عليه وسلم فردّه لصغره ، فبكى فأجازه عليه الصلاة والسلام •

فكان سعد رضي الله عنه يقول : فكنت أعقد حمائل سيفه من صغره ، فقتل وهو ابن ست عشرة سنة رضي الله عنه وأرضاه •

فيؤخذ من هذه الأمثلة التاريخية الخالدة وغيرها •• أن أبناء الصحابة رضي الله عنهم ، كانوا على جانب عظيم من الشجاعة الفائقة ، والبطولة النادرة ، والجهاد الجريء •• وما ذاك الا بفضل التربية القويمة التي تلقوها من مدرسة

---

(١) السلب : مايملكه المقتول كعدة للحرب ونحوها .

النبوة ، والبيت المسلم ، والمجتمع المؤمن المجاهد الشجاع !!.. بل كان الأمهات يدفعن بأولادهن الى ساحات الفداء والجهاد ، ويوم يسمعن خبر النعي ، ونبأ الاستشهاد تقول احداهن قولتها الخالدة : « الحمد لله الذي شرفني بقتلهم ، وأرجو من الله أن يجمعني واياهم يوم القيامة في مقر رحمته ».

وبالتالي كان الآباء يربّون أولادهم منذ الصغر على الفروسية والشجاعة والرجولة والإقدام واقتحام الاخطار والشدائد .. حتى اذا بلغوا سن الحركة والانطلاق ــ وهم لم يناهزوا الحلم بعد ــ مضوا في مواكب التحرير والجهاد وابتغاء الرزق دعاة صادقين ، وأبطالا مجاهدين ، وطلاباً للكسب عاملين !!..

ونذكر على سبيل المثال موقفاً نبيلا لغلام مؤمن يسأل أباه أن يمكنه ليجوب مناكب الأرض ويسعى في أرجائها عسى أن يفتح لنفسه طريق المجد ، ويصل الى قمة السعادة والكرامة .. بل كان يخاطب أباه بأبيات من الشعر تفيض عزة وأنفة واباء !! :

اقذف السرج على المُـ ـهر وقرّطه اللجاما
ثم صبّ الدرع في رأ سي وناولني الحساما
فمتى أطلب ان لم أطلب الرزق غلاما
سأجوب الأرض أبغيـ ـه حلالاً لا حراما
فلعل الظّعن ينفي الفـ ـقْر أو يُدني الحِماما

ونشأ هذا الجيل الفريد على هذه الخصال ، ودرجوا على هذه المكارم :

لأنهم تربوا منذ نعومة أظفارهم على الرماية والسباحة وركوب الخيل..
لانهم لم يتربوا على الدلال المفرط ، والانطوائية القاتلة ..

لأنهم كانوا يشعرون بمسؤولياتهم ، والثقة بأنفسهم ..

لأنهم تعودوا على الاخشيشان ، وألعاب الفروسية ، وركوب متن الأسفار ..

لأنهم أُدّبوا على أن يخالطوا من كان في سنهم من أبناء عمومتهم وعشيرتهم ..

لأنهم كانوا يتلقنون سيرة الابطال والشجعان ، وأخبار الفاتحين والقواد ..

الى غير ذلك من هذه المكارم التي رضعوها ، والتربية القويمة التي تلقنوها !!..

وهل يُنبت الخطيّ الا وشيجُه
وتُغرَس الا في منابتها النخل

ويوم يمشي الآباء والمربون على هذا المنهج العظيم الذي مشى عليه جدودنا البواسل الأمجاد ..

ويوم يتربى أولادنا على هذه الخصال ، وهاتيك المكارم ..

ويوم يأخذون بقواعد التربية الصحيحة في تحرير الاولاد من الخوف والجبن والخور ..

يوم يفعلون كل هذا ، يتحول الجيل يومئذ من القلق الى الثقة ، ومن الخوف الى الشجاعة ، ومن الخور الى العزيمة ، ومن الخنوع والذلّة إلى حقيقة العزة والكرامة ..

ويكون متحققاً بقوله تبارك وتعالى : ((ولله العــزة ولرسوله وللمؤمنين ولكــن المنافقين لايعلمون)) . (المنافقون : ٨)

★ ★ ★

٣ ــ ظاهرة الشعور بالنقص :

الشعور بالنقص حالة نفسية تعتري بعض الاولاد لأسباب خَلْقِيّــة ومرضية ، أو عوامل تربوية ، أو ظروف اقتصادية ...

وهذه الظاهرة هي من أخطر الظواهر النفسية في تعقيد الولد وانحرافه وتحوّله الى حياة الرذيلة والشقاء والإجرام ..

واذا كنا نبحث في أسباب كل ظاهرة وعلاجها عــلى ضوء الاسلام .. فعلينا أن نخصّ هــذه الظاهرة بالتفصيل أسباباً وعلاجاً لأهميتها وخطرها وآثارهــا ..

عسى أن يولي الآباء والأمهات والمربون جميعــاً اهتمامهم في اتخــاذ الأسباب الوقائية ، والوسائل العلاجية في تحرير الولــد من كــل مركبات النقص ، والعُقد النفسية .. ليضمنوا لأولادهم تربيــة نفسية صحيحــة ، وتكويناً خلقياً سليماً !!..

والعوامل التي تسبب ظــاهرة الشعور بالنقص في حيــاة الولد هي كما يأتي :

١ ــ التحقير والإهــانة .
٢ ــ الدلال المفرط .
٣ ــ المفاضلة بين الأولاد .

٤ ــ العاهــات الجسدية ٠
٥ ــ اليتــم ٠
٦ ــ الفقر ٠

وان شاء الله في هــذا البحث فسنفند كل عامــل بشيء من التفصيل، ثم نعرّج الى ذكر العلاج على ضوء الاسلام ، والله المستعان ، ومنه نستمد التأييد والسداد ٠

أما عامــل التحقير والاهانة فهو من أقبح العوامل في انحرافات الولد النفسية ، بل هو من أكبر العوامل في ترسيخ ظاهرة الشعور بالنقص لــدى الأطفال ٠٠ فكثيراً ما نسمع أن الأم أو الأب (شهّر بالولد حين ينحرف أول مرة عن سنن الاخلاق الكريمة ، فــإذا كذب مرة نادينــاه دائمــاً بالكذاب ، واذا لطم أخاه الصغير مرة واحدة ناديناه بالشرير ، واذا احتال على أختــه الصغيرة فأخذ منها تفاحة كانت بيدها ناديناه بالمحتال، واذا أخذ من جيب أبيه قلماً ناديناه بالسارق ، واذا طلبنا منه كأس ماء للشرب فأبى ناديناه بالكسول، وهكذا نشهر به أمام اخوته وأهله من الزلّة الأولى ٠٠)[1] ٠

ومن مظاهر التحقير والاهانة في بيئاتنا مناداة الولــد بكلمات نابية ، وعبارات قبيحة أمام الإخوة والأقارب، وفي بعض الأحيان أمام أصدقاء الولد، أو أمام غرباء ما سبق أن رآهم واجتمع بهم ؛ وهذا ــ لاشك ــ مما يجعل الولد ينظر الى نفسه أنه حقير مهين ، ومن سقط المتاع لاقيمة له ولااعتبار، وهذا ــ أيضاً ــ مما يولّد في نفسه العُقَد النفسية التي تدفعه الى أن ينظر الى الآخرين نظرة حقد وكراهية ٠٠ وأن ينطوي على نفسه فارّاً من أبنــاء الحياة ، منهزماً من تكاليفها ومسؤولياتها !!٠٠

(١) مــن كتاب « أخلاقنا الاجتماعيــة » للمرحــوم الدكتــور مصطفى السباعي ص ١٥٩ ٠

ومن هنا نعلم أية جناية نجنيها على أبنائنا وبناتنا حين نزجّ بهم الى الحياة في جو هذه التربية الفاسدة المليئة بالأخطاء والمعاملة القاسية .

فكيف نرجو من الأولاد طاعة وبراً ، وتوقيراً واحتراماً ، واتزاناً واستقامة .. ونحن قد غرسنا في نفوسهم وهم صغار بذور هذا الانحراف أو العقوق أو التمرد ..؟

جاء رجل الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه يشكو اليه عقوق ابنه ، فأحضر عمر الولد وأنبه على عقوقه لأبيه ، ونسيانه لحقوقه عليه ، فقال الولد: يا أمير المؤمنين أليس للولد حقوق على أبيه ؟

قال عمر : بلى !

قال : فما هي يا أمير المؤمنين ؟

قال عمر : أن ينتقي أمه ، ويحسّن اسمه ، ويعلمه الكتاب (القرآن).

قال الولد : يا أمير المؤمنين ان أبي لم يفعل شيئاً من ذلك ، أما أمي فإنها زنجية كانت لمجوسي .. ، وقد سماني جُعَلاً (أي خنفساء) ، ولم يعلمني من الكتاب حرفاً واحداً .

فالتفت عمر الى الرجل ، وقال له : جئت إلي تشكو عقوق ابنك وقد عَقَقْتَه قبل أن يعقّك ، وأسأت اليه قبل أن يسيء اليك .

ومن طرائف ما ذكر أن أباً عيّر ولده يوماً بأمه ، وقال له : أتخالفني وأنت ابن أمَة ؟ فقال الولد لأبيه : ان أمي والله خير منك يا أبي !!.

قال الأب : لمَ ؟

قال الولد : لأنها أحسنت الاختيار فولدتني من حر ، وأنت أسأت الاختيار فولدتني من أمَة !!..

ونحن لا نشك أن الكلمات النابية القبيحة التي تنزلق من الأب للولد لم تصدر الا عن غاية تأديبية اصلاحية .. لذنب كبير أو صغير وقع فيه وبدر منه !!..

ولكن المعالجة لارتكاب هذا الذنب لا تصلح بهذه الحالة الغضبية ، والطريقة التعنيفية .. التي تترك آثاراً خطيرة في نفسية الولد وسلوكه الشخصي .. وبالتالي تجعل منه انساناً يتطبع على لغة السبّ والشتائم ، ويتخلق بأخلاق المنحرفين الحمقى .. ونكون بهذه المعاملة القاسية قد جنينا على الولد ، وحطمناه نفسياً وخلقياً من حيث نعلم أو لا نعلم ، بدل أن نعدّه انساناً متزناً عاقلا سوياً يمشي في دروب الحياة على نور العقل والاتزان والاستقامة والحق المبين ..

ولكن ماهي معالجة الاسلام للولد اذا وقع منه خطأ أو صدرت هفوة ؟

المعالجة الصحيحة أن ننبهه على خطئه **برفق ولين** ، ونقنعه بالحجج الدامغة ، وأن الذي صدر منه لايرضى به انسان عاقل ذو فهم وبصيرة وفكر ناضج رزين ..

فإن فهم واقتنع وصلنا الى ما نريد في اصلاح خطئه ، ومعالجة انحرافه .. والا فالمعالجة ستكون بأسلوب آخر كما سيأتي بيانه في بحث « التربية بالعقوبة » في القسم الثالث من كتاب « تربية الأولاد في الإسلام » ان شاء الله .

وهذه الطريقة الرفيقة اللينة في التأديب هي طريقة الرسول صلوات الله وسلامه عليه .

وإليكم بعض النماذج في معاملته ولينه ووصاياه :

أ ـ روى الإمام أحمد بإسناد جيد عن أبي أمامة أن غلاماً شاباً أتى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا نبي الله ، أتأذن لي في الزنى ؟ فصاح الناس به .. فقال النبي صلى الله عليه وسلم قربوه ادنُ .. فدنا حتى جلس بين يديه ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أتحبه لأمك ؟

قال : لا ، جعلني الله فداك ، قال : كذلك الناس لا يحبونه لأمهاتهم .

أتحبه لابنتك ؟

قال : لا ، جعلني الله فداك ، قال : كذلك الناس لا يحبونه لبناتهم .

أتحبه لأختك ؟

قال : لا ، جعلني الله فداك ، قال : كذلك الناس لا يحبونه لأخواتهم .

ثم ذكر له العمة والخالة ... وهو يقول في كل واحدة : لا ، جعلني ـاك ...

ـوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده على صدره ، وقال : «اللهم ِ قلبه ، واغفر ذنبه ، وحصّن فرجه » فقام من بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس شيء أبغض عليه من الزنى .

ب ـ وروى مسلم في صحيحه عن معاوية بن الحكم السّلمي رضي الله عنه قال : بينا أنا أصلي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ عطس رجل من القوم ، فقلت له : يرحمك الله ، فرماني القوم بأبصارهم ، فقلت : واثُكْلَ أمّيـاه !! ما شأنكم تنظرون اليّ ؟ فجعلوا يضربون بأيديهم على أفخاذهـم فلما رأيتهم يصمّتونني سكتّ ، فلما انتهى عليه الصلاة والسلام من صـلاته

دعاني ، فبأبي هو وأمي ما رأيت معلماً قبله ولا بعده أحسن تعليماً منه، فو الله ما كهرني ، ولا ضربني ، ولا شتمني .. لكن قال : ان هذه الصلاة لايصلح فيها شيء من كلام الناس انما هو التسبح والتكبير وقراءة القرآن.

ج ـ وروى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : بال أعرابي في المسجد ، فقام الناس اليه ليقعوا فيه ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « دعوه وأريقوا على بوله سَجْلاً[1] من ماء ، فإنما بعثتم ميسّرين ، ولم تبعثوا مُعسّرين » .

ومن وصاياه عليه الصلاة والسلام في الرفق واللين :

ـ روى البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله » .

ـ وروى مسلم عن عائشة كذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ان الرفق لا يكون في شيء الا زانه ، ولا ينزع من شيء الا شانه » .

ـ وروى مسلم عن جرير بن عبد الله قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من يُحرَم الرفق يُحرَم الخير كلّه » .

فالذي نخلص إليه بعد ماتقدم أن تحقير الولد وتعنيفه بشكل مستمر دائم ـ ولا سيما أمام الحاضرين ـ هو من أكبر العوامل في ترسيخ ظاهرة الشعور بالنقص ... ومن أعظم الأسباب في انحرافات الولد النفسية والخلقية .. وخير علاج لهذه الظاهرة هو تنبيه الولد على خطئه اذا أخطأ برفق ولين مع تبيان الحجج التي يقتنع بها في اجتناب الخطأ ؛ وعلى المربي إن أراد زجر الولد وتوبيخه ألا يكون ذلك أمام الحاضرين ، كما يجب أن نسلك معه في بادىء الأمر الأسلوب الحسن في اصلاحه وتقويم

(١) السجل : الدلو في البئر .

اعوجاجه ؛ وهذه الطريقــة هي طريقــة الرسول عليه الصــلاة والســلام في الاصلاح والتربية وتقويم الاعوجاج ..

★ ★ ★

أما عامــل الدلال المفرط فهو أيضاً مــن العوامــل الخطيرة في انحــراف الولــد النفسي والخلقي .. لمــا يؤول في الغــالب الى استشعــاره بمركب النقص ، ونظرته الحاقدة الى الحياة ..

ومن نتائجه في الأحوال العادية الخجل ، والخنوع ، وفقدان الرجولة والشجاعة ، وضعف الثقــة بالنفس ، والتدرج نحو الميوعة ، والتخلف عــن الأقران ..

أما كون الدلال المفرط يولد في نفس الطفل ظاهرة الشعور بالنقص ، والنظرة الحاقدة الى الحياة فللاعتبارات التالية :

يرى الناس يتقدمون وهو في ذيل القافلة .

يرى الناس في إقدام وشجاعة وهو في خوف وجبن .

يرى الناس في حركة وعراك ومجاهدة .. وهــو في صمت وسكــون وجمــود ..

يرى الناس في تلاق واجتماع وهو في انطوائية وعزلة ..

يرى الناس يبسمون للمصاعب .. وهو في بكاء وجزع اذا أصابته أدنى مصيبــة ...

فولد هذا شأنه ، وهذه حاله •• هل يكون انساناً سوياً ؟ وهل يكون عضواً نافعاً للمجتمع ؟ وهل تكون نظرته الى الحياة نظرة أمل وتفاؤل ؟ وهل يكون انساناً ذا شخصية استقلالية يثق بنفسه ، ويعتمد عليها ؟

فإذا كان الجواب لا !!••

فلماذا يغالي الأبوان في تدليل الولد ؟ ، ولماذا يدلّعانه هـذا الدّلع ؟ ولماذا يتعلقان به هذا التعلق الزائد ؟ ولا سيما الأم ، فإن عندهـا من الرعاية المفرطة لوليدها أو من الوسوسة اذا صح التعبير •• ما يدفعها الى أن تفرط في احتضان ابنها وتدليله بشكل يخرجها عن المألوف وحدود الاعتدال ••

وهذه ظاهرة خطيرة نراها في كثير من الأمهات اللواتي لا يعرفن قواعد التربية الاسلامية في تربية الولد :

- فمن مظاهر هذه التربية الخاطئة عند الأم عدم السماح للولد بأن يقـوم بالأعمال التي أصبح قادرا عليها اعتقاداً منها أن هذه المعاملة من قبيل الشفقة والرحمة للولد •

- ومن مظاهر هذه التربية الخاطئة احتضان الولـد بشكل دائـم ، فهي لا تسمح لنفسها ــ ان كانت فارغة ــ أن تتركه أبداً سواء أكان الاحتضان له مبرّراته أم لم يكن ؟

- ومن مظاهر هذه التربية الخاطئة أن لا تترك الأم ولدها يغيب عن ناظريها لحظة واحدة مخافة أن يصاب بسوء •

- ومن مظاهرها أيضا عدم محاسبتها لولدها حينما يفسد أثاث المنزل ، أو عندما يتسلق المنضدة . أو عندما يسوّد الجدار بقلمه •••

وتزداد **ظاهرة التدليل المفرط** في نفس الأبوين سوءاً عندما يرزقان الطفل بعد سنوات كثيرة ، أو أنجبت الأم هذا الطفل بعد عدة اجهاضات مستمرة ، أو كان الطفل ذكراً بعد عدة اناث ، أو أن شُفي الطفل من مرض شديد هدد حياته بالخطر المحدق ...

ولكن ما العلاج الذي وضعه الاسلام للتخفيف من هذه الظاهرة ؟ :

١ ـ تعميق عقيدة القضاء والقدر في نفس الأبوين ، حتى يعتقدا أن ما يصيبهم ويصيب أولادهم من صحة أو مرض ، أو ما يعرض لهم من نعمة أو شقاء ، أو ما يقدر الله عليهم من نسل أو عقم ، أو مايبتليهم به من غنى أو فقر .. كل ذلك بمشيئته الله سبحانه ، وبقضائه وقدره ..

ـ قال تعالى : ((ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير ، لكي لا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم ، والله لا يحب كل مختال فخور)) .

(الحديد : ٢٣)

ـ وقال جل جلاله : ((لله ملك السموات والأرض يخلق ما يشاء يهب لمن يشاء إناثاً ويهب لمن يشاء الذكور ، أو يزوجهم ذكراناً وإناثاً ، ويجعل من يشاء عقيماً إنه عليم قدير)) .

(الشورى : ٥٠)

ـ وقال عز من قائل : ((ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين الذين اذا أصابتهم مصيبة قالوا : إنا لله وإنا اليه راجعون ، أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون)) .

(البقرة : ١٥٦)

٢ ـ التدرج في تأديب الولد ، فإن كان ينفع مع الولد النصح والوعظ فلا يجوز للمربي أن يلجأ الى الهجر ، وان كان ينفع الهجر فلا يجوز له أن يلجأ

الى الضرب .. واذا عجز المربي عن اصلاح الولد وتقويم اعوجاجه بعد أن اتخذ كل الوسائل التأديبية والزجرية فعندئذ يلجأ الى الضرب غير المبرّح.

وان شاء الله سيكون البحث وافياً مستفيضاً في مبحث « التربية بالعقوبة » في فصل « وسائل التربية المؤثرة في الطفل » في القسم الثالث من كتاب « تربية الأولاد في الاسلام » .

٣ ـ تربية الولد منذ نعومة أظفاره على الاخشيشان ، والثقة بالنفس ، وتحمل المسؤولية ، والجرأة الأدبية ... حتى يشعر الولد بكيانه ، ووجوده ، وحتى يتحسس بواجبه ومسؤوليته ..

ـ اما ان تكون التربية للولد **قائمة على الاخشيشان** فللحديث الذي رواه الامام أحمد وأبو نعيم عن معاذ بن جبل رضي الله عنه مرفوعاً : « اياكم والتنعّم فإن عباد الله ليسوا بالمتنعّمين » .

ـ واما ان تكون التربية قائمة على **الثقة بالنفس وتحمل المسؤولية** فلعموم الحديث الذي سبق ذكره : « كلكم راعٍ ، وكل راع مسؤول عن رعيته » فهو يشمل الصغير والكبير ، والمرأة والرجل ، والحاكم والمحكوم ...

ولتوجيه عمر رضي الله عنه فيما رواه البيهقي : « علموا أولادكم السباحة والرماية ، ومروهم فليثبوا على ظهور الخيل وثباً » ؛ ومن المعلوم أن الولد ـ وهو صغير ـ حين يتعلم كيف يسبح ؟ ، وكيف يرمي ؟ ، وكيف يركب الخيل ؟ ، يكون قد وثق بنفسه ، وشعر بوجوده وشخصيته ، وبالتالي تدرج على تحمل المشاق والمسؤوليات ..

ـ واما ان تكون التربية قائمة **على الجرأة الأدبية** فلحديث عبادة ابن الصامت رضي الله عنه : « بايعنا رسول الله (صلى) على الطاعة فى المنشط والمكره في العسر واليسر ... وعلى أن نقول الحق أينما كنا لا نخشى في

الله لومة لائم ••• » • ولا شك أن هذه المبايعة تشمل الصغار والكبار ، والرجال والنساء •••

وسبق أن ذكرنا في فصل « مسؤولية التربية الجسمية » أهم الوصايا النبوية ، وأبرز التعاليم الاسلامية في تربية أجسام الأولاد •• وكلها — لا شك — تعويد لهم على الثقة بالنفس ، وتحمل الأمانة والمسؤولية ، وإشعار للواحد منهم أنه انسان ذو شخصية وكرامة وكيان !!••

٤ — الاقتداء بالرسول صلى الله عليه وسلم وهو صغير الى أن ترعرع شاباً الى أن بعثه الله نبياً لأن الله سبحانه ادّبه فأحسن تأديبه ، وشمله برعايته، وصنعه على عينه ••

وها نحن أولاء سنسرد بعض النماذج في كل مراحل حياته — ولا سيما سن الطفولة والشباب — لتكون للمربين هداية ونبراساً ، وللأجيال المؤمنة قدوة وأسوة :

— كان عليه الصلاة والسلام في صفره **يرعى الغنم** ، يقول صلى الله عليه وسلم عن نفسه فيما رواه البخاري : « ما بعث الله نبياً الا رعى الغنم ، **نعم** كنت أرعاها على قراريط[1] **لأهل مكة** » •

— وكان صلى الله عليه وسلم في صفره **يلعب مع الغلمان** ؛ روى ابن كثير عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لقد رأيتني في غلمان من قريش ننقل الحجارة لبعض ما يلعب الغلمان ، كلنا قد تعرّى وأخذ ازاره ، وجعله على رقبته يحمل عليه الحجارة ، فإني لأقبل معهم كذلك وأدبر اذ لكمني لاكم — ما أراه — لكمة وجيعة ثم قال : شدّ عليك ازارك ؛ قال : فأخذته فشددته عليّ ، ثم جعلت أحمل الحجارة على رقبتي ، وازاري عليّ من بين أصحابي » •

(١) المراد بالقيراط جزء من الدرهم (عملة عصر النبوة) .

ـ وكان صلى الله عليه وسلم **يقوم بعملية البنـاء**؛ روى البخاري ومسلم : « ولما شبّ صلى الله عليه وسلم وبنيت الكعبة ذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم ينقل الحجارة مع أشراف قريش لبنائها ، فقال العباس لرسول الله صلى الله عليه وسلم : اجعل ازارك على عاتقك من الحجارة ، ففعل فخرّ الى الأرض، وطمحت عيناه الى السماء ، ثم قام ، فقال : « ازاري ، ازاري » ، فشدّ عليه ازاره ، وقال : « اني نهيتُ أن أمشي عرياناً » ، وهذا دليل عصمته قبل النبـوة .

ـ وكان صلى الله عليـه وسلم **يخرج للسفر للتجـارة** ، وقد ثبت انه عليه الصلاة والسلام سافر مرتين : مرة قبل البلوغ مع عمه أبي طالب، والمرة الثانية بعد البلوغ بتوجيه خديجة رضي الله عنها .

ـ وكان صلى الله عليـه وسلم في صبـاه **ذا جرأة متناهيـة** ، ذكرت كتب السِّيَر أنه عليه الصلاة والسلام استُحلف باللات والعزّى وهـو صبيّ ، فقال للمستحلف : لا تسألني بهما شيئاً ، فو الله ما بغضت شيئاً بغضي لهما.

ـ وكان صلى الله عليه وسلم **قد شارك في الحرب وهو دون الحلم** ، فممـا ذكرته كتب السير أنه كان عليه الصلاة والسلام يُنْبِل على أعمامه في حرب الفجـار .

ـ وكان صلى الله عليه وسلم **ذا راي وحصافة** ، فاحتكم اليه وهو شاب؛ فمما تناقلته كتب السير أن قريشاً حكمته في وضع الحجر الأسود، ولقد أعجبت برأيه وحكمه وحصا فته !!..

ويكفيه صلوات الله وسلامه عليـه فخراً وشرفـاً أن يتربى ـ وهـو اليتيم الصغير ـ على خير ما تتحلى به النفوس من كريم الخصال ، وحميد

الصفات ، وجميل العادات •• فلم يسجد لصنم ولـم يشارك الجاهليـة في مفاسدها ، ولم يذق شيئاً من لحوم قرابينها ••

ولا عجب أن ينسب ذلك الى ربه الذي أحاطه بعنايته ، وصنعه علـى عينه ، وتولى تأديبه فقال عليه الصلاة والسلام : « أدبني ربي فأحسن تأديبي» رواه العسكري •

فهذه اللمحات الخاطفة عن حياة الرسول صلى الله عليه وسلم في طفولته • وعن عصمته وأخلاقه في شبابه •• مشاعل هداية في تبيان المنهج التربوي الذي يجب أن يسلكه المربون مع أبنائهم •• ولا شك أنه عليه الصـلاة والسلام قدوة صالحة في طفولته وشبابه ، وفي رجولته وكهولته ، فأولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده •

والذي نخلص إليه بعدما تقدم أن ظاهرة الدلال المفرط هي من أكبر العوامل في انحراف الولد النفسي ، لكونهـا تؤدّي في كثير مـن الأحيـان الى مركب الشعور بالنقص في حياة الطفولة وبعدها ••

فما على الأبوين ــ ولا سيمـا **الأم** ــ الا أن يمشوا على السنن التي وضعها الاسلام في تربية الأولاد •

والتي منهـا الاعتدال في محبة الولد ، والتعلق به ، والتسليم لله في كـل ما ينوب ويروع •

والتي منهـا أن يكون التأديب للولد في سن التمييز على حسب ما تقتضيه مصلحة التربية بالعقوبة •

والتي منهـا أن تكون التربية للولـد قائمـة عـلى أسس الاخشيشان ، والاعتماد على النفس ، وتحمل المسؤولية ، وتنمية الجرأة الأدبية ••

والتي منها التأسي بشخصية النبي صلى الله عليه وسلم الطفل باعتبارأنه قدوة قبل النبوة وبعدها .

ويوم يسير المربون على هذه السنن ، ويلتزمون هذه القواعد يكونون قد حرّروا من لهم عليهم حق التربية من العوامل التي تؤدي الى تحطيم الشخصية ، وهدر الكرامة الانسانية ، ويكونون كذلك قد رفعوا من مستوى الولد النفسي والأخلاقي والعقلي ، وأصبح في الحياة انساناً سوياً !!..

★ ★ ★

أما عامل المفاضلة بين الأولاد فهو كذلك من أعظم العوامل في انحراف الولد النفسي سواء أكانت المفاضلة في العطاء أم في المعاملة أم في المحبة ؟..

وهذه الظاهرة لها أسوأ النتائج في انحرافات الولد السلوكية والنفسية.. لأنها تولد الحسد والكراهية، وتسبّب الخوف والحياء، والانطواء والبكاء... وتورث حب الاعتداء والمشاجرة والعصيان .. وتؤدي الى المخاوف الليلية، والاصابات العصبية ، ومركبات الشعور بالنقص ...

وكم كان المربي الأول صلوات الله وسلامه عليه حكيماً ، ومربيّاً اجتماعياً عظيماً حين أمر الآباء أن يتقوا الله ، ويعدلوا بين أولادهم ؟!. :

ــ روى ابن حِبّان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « رحم الله والداً أعان ولده على برّه » .

ــ وروى الطبراني وغيره : « ساووا بين أولادكم في العطية » .

ــ وروى البخاري ومسلم عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما أن أباه أتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : اني نحلتُ ابني هذا ــ أي أعطيته ــ غلاماً كان لي .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أكُلَّ ولدك نحلْتَه مثل هذا ؟

فقال لا •

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فارجعه •

وفي رواية : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أفعلت هذا بولدك كلهم ؟ ، قال : لا •

قال عليه الصلاة والسلام : « اتقوا الله واعدلوا في أولادكم » •

فرجع أبي فردّ تلك الصدقة •

وفي رواية : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :« يابشير ، ألك ولد سوى هذا ؟

فقال نعم •

قال : أكلهم وهبت له مثل هذا ؟

قال : لا •

قال : فلا تشهدني اذن فاني لاأشهد على جور ـ أي ظلم ـ

ثم قال : أيسرّك أن يكونوا اليك في البر سواء ؟

قال : بلى •

قال : فلا اذن •

ـ وروى أنس أن رجلا كان عند النبي صلى الله عليه وسلم فجاء ابن له فقبّله وأجلسه على فخذه ، وجاءت ابنة له فأجلسها بين يديه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ألا سويت بينهما ؟ » •

فيؤخذ من هذه التوجيهات النبوية الكريمة **مبدأ تحقيق العدل** ،

والمساواة ، والمحبة .. فيما بين الأولاد .. دون أن يكون لعنصر التفريق او التمييز مكان بينهم .

نعم !.. قد يكون لعدم محبة الطفل ، والعناية به أسباب ظاهرة :

كأن يكون الطفل من الجنس غير المرغوب فيه جهلاً لكونه أنثى .

أو يكون قليل الحظ من الجمال أو الذكاء ..

أو يكون مصاباً بعاهات جسمية ظاهرة . أو .. أو ..

ولكن كل هذه الأسباب الخَلْقية والخلُقية لاتعد مبررات ــ في نظر الشرع ــ لكراهية الولد ، وتفضيل اخوته عليه .

وكم يكون الأبوان ظالمين وجائرين حينما ينهجان مع الولد هذا النهج السيء ، ويعاملانه هذه المعاملة القاسية ؟

ما ذنب الطفل إن ولد في الحياة وهو أنثى ؟

وماجريمته ان كان دميم الوجه ؟

وما جريرته ان لم يخلق على ذكاء فارط ؟

وما الذي جناه ان كان بطبعه كثير الحركة والتنقل والمشاغبة ؟

وما مسؤوليته اذا قُدِّر له ــ وهو صغير ــ أن يصاب بعاهات جسدية ظاهرة ؟

فإذا كان المربون حريصين على سلامة ابنائهم من العقد النفسية . ومركبات الشعور بالنقص ، وآفات القلوب من حقد وحسد وفساد طويّة .. فليس أمامهم من سبيل سوى أن ينفذوا أمر الرسول صلى الله عليه وسلم القائل : « اتقوا الله واعدلوا في أولادكم » ؛ وأن يرضوا بما قسمه الله لهم من معطيات البنين أو البنات ؛ وعليهم كذلك أن يسعوا جهدهم في اشعار

أولادهم جميعاً روح المحبة والأخوة والتسامح والمساواة .. حتى ينعموا في ظلال العدل الشامل ، والنظرة الرحيمة ، والعطف الصادق ، والمعاملة العادلة ..

وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم القائل في الحديث الذي رواه ابن حبان : « رحم الله والداً أعان ولده على بِرّه » .



أما عامل العاهات الجسدية فهو ايضاً من العوامل الكبيرة في انحراف الولد النفسي لما يؤول في الغالب الى الشعور بالنقص ، والنظرة الحاقدة للحياة ..

فالولد حين يصاب – منذ الصغر – بعاهة جسدية كالعور ، أو الصمم، أو العته ، أو التهتهة ونقص النطق .. فينبغي أن يلقى ممن يعيشون حوله من أب وأم واخوة وأقرباء وجيران وأصدقاء وأهل .. كل رعاية وعطف ومحبة ، وأخلاق سمحة رضية ، وتعاطف حسن جميل .. تحقيقاً لقوله عليه الصلاة والسلام فيما رواه الترمذي وأبو داود : « الراحمون يرحمهم الرحمن ، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء » ، وقوله فيما رواه البخاري ومسلم : « لايؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » ؛ وقوله فيما رواه الترمذي وابن حبا ن : « أكمل المؤمنين ايماناً أحسنهم خلُقاً » .

ولكن حين يخاطب المصاب بعاهة العور يا أعور ، وبعاهة الصمم يا أطرش، وبعاهة العَته ياأجدَب ، وبعاهة نقص النطق يا أخرس ...

فمن البديهي أن تتولد لدى الولد الواعي المميز مركبات الشعور بالنقص ، وآفات العُقد النفسية .. فلا عجب أن نراه في حالة يرثى لها من الصراع النفسي ، والحقد الاجتماعي ، والنظرة المتشائمة للحياة ..

لهذا وجب على المربين أن يعالجوا مشكلة عاهات أبنائهم بالأسلوب الحكيم ، والتربية الصالحة ، والمعاملة الرحيمة ، والمراقبة التامة .. على أساس أن قيمة الانسان في دينه وأخلاقه لافي شكله ومظهره .

● **فأول خطوات هذه المعالجة** ان ينظروا اليهم نظرة حب ورحمة ، وأن يخصوهم بالعناية والرعاية . وأن يشعروهم أنهم متميزون عن غيرهم بالذكاء والمواهب ، والعلم والخبرة ، والنشاط والحيوية .. فهذه النظرة اليهم ، والإشعار لهم يزيل في نفوسهم آفة الشعور بالنقص ، بل يندفعون بكليتهم ـ بكل ثقة واطمئنان ـ نحو العمل البناء ، والانتاج المثمر .

● **وثاني خطوات هذه المعالجة** ان يقوم المربون بواجب النصح والتحذير لكل من كان حول المصاب من خلطاء سواء أكانوا أقارب أم أباعد ؟ حيث يحذرونهم مغبة التحقير والإهانة ، ونتائج الاستهزاء والسخرية ، وما تتركه من أثر سيء في نفوسهم ، وماتحدثه من مضاعفات أليمة في أعماق أحاسيسهم ومشاعرهم ..

وعلى المربين حين يوجهون وينصحون أن يبينوا لكل من يجتمع بالمصاب منهج المربي الاول صلوات الله عليه في دعوته الكبرى الى وحدة اجتماعية متينة متراصة تقوم دعائمها على الصفاء والمحبة ، وتتركز أسسها على التوقير والاحترام ..

وهذه أسس منهجه عليه الصلاة والسلام في تحذيراته من كل ما يمس الكرامة الانسانية ، ويحطم الشخصية المسلمة ، ويمزق الوحدة الاجتماعية المتراصة ...

ـ فمن تحذيراته عليه الصلاة والسلام **من آفات اللسان** قوله فيما رواه البخاري : « وان العبد ليتكلم بالكلمة لايلقي لها بالاً يهوي بها في جهنم » ؛

وقوله : « ان العبد ليتكلم بالكلمة مايتبين فيها يزلّ الى النار أبعد مما بين المشرق والمغرب » •

ب ـ ومن تحذيراته صلى الله عليه وسلم **من التحقير بالشماتة** قوله فيمارواه الترمذي : « لاتظهر الشماتة لأخيك ، فيرحمه الله ويبتليك » •

ـ ومن تحذيراته صلى الله عليه وسلم **من التحقير بالاشارة** توجيهه لعائشة

رضي الله عنها فيما رواه أبو داود والترمذي ، قالت عائشة : قلت للنبي صلى الله عليه وسلم : حسبك من صفيّة كذا وكذا (تشير أنها قصيرة) فقال عليه الصلاة والسلام : « لقد قلت كلمة لو مُزِجت بماء البحر لمَزَجتْه[1] » •

وتندرج هذه التحذيرات كلها تحت قوله تبارك وتعالى :

« يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم ، ولا نساء من نساء عسى أن يكنّ خيراً منهن ، ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الايمان ، ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون»•

(الحجرات : ١١)

● **وثالث خطوات هذه المعالجة** ان يهيّيء المربون لأولادهم المصابين رفقة من الأصحاب حسنة آدابهم ، مرضية عاداتهم •• حيث يجتمعون بهم ، ويلعبون معهم ، ويتبادلون أحاديث المحبة فيما بينهم •• ليشعروا في أعماق وجدانهم محبة الناس لهم ، واهتمامهم بهم وعطفهم عليهم ؛ يقول ابن سينا ـ في معرض تنمية شخصية الطفل ، واشباع غريز حب الاجتماع في نفسه ـ : « أن يكون

(١) أي خالطته مخالطة يتغير بها طعمه او ريحه لشدة نتنها وقبحها .

مع الصبي في مكتبه صِبْيَة حسنة آدابهم ، مرضية عاداتهم لأن الصبي عن الصبي ألقن ، وهو عنه آخذ ، وبه آنس » .

ويقول عليه الصلاة والسلام فيما رواه الترمذي في نوادره : « عُرامة[1] الصبي في صغره زيادة في عقله في كبره » .

والذي نخلص إليه بعدما تقدم أن المربي لا يعدم وسيلة في معالجة مشكلة العاهة الجسدية في ولده المصاب سواء مايتعلق بنظرة الحب والرحمة ، أو تخصيصه بالعناية والرعاية ، أو تحذير البيئة التي يعيش فيها من الهزء والتحقير والإهانة ، أو اعداد الرفقة الصالحة التي يجتمع بها ، ويلتقي معها .. وبهذا يكون قد أزال من نفسه عقدة الشعور بالنقص ، وهيّأه ليكون عضواً نافعاً في المجتمع ، يبني بساعديه صرح الحضارة ، ويشيد بعزمه مجد أمته ومستقبل بلاده ...

★ ★ ★

أما عامل اليتم فهو عامل خطير في انحراف الولد النفسي ، ولاسيما اذا وجد اليتيم في بيئة لاترعاه ، ولاتكفكف أحزانه ، ولاتنظر اليه بعين العطف والرحمة والمحبة ...

والاسلام اهتم بشأن اليتيم الاهتمام البالغ من ناحية تربيته ومعاملته ؛ وضمان معيشته .. حتى ينشأ عضواً نافعاً في المجتمع ، ينهض بواجباته ،ويقوم بمسؤولياته ، ويؤدي ماله وما عليه على أحسن وجه ، وأنبل معنى ...

فمن اهتمام القرآن الكريم بشأن اليتيم امره بعدم قهره ، والحط من شأنه وكرامته ..

ــ **« فأما اليتيم فلا تقهر »**

(الضحى : ٩)

---

(١) عرامة الصبي : أي انطلاقته وحيويته وقوة الاجتماع مع غيره .

ـ « أرأيت الذي يكذب بالدين فذلك الذي يدّع[1] اليتيم » .

(الماعون : ١ ـ ٢)

ومن اهتمام الرسول صلى الله عليه وسلم بشأنه حضه على كفالته ، وأمره بوجوب رعايته ، وبشارته الأوصياء ـ ان أحسنوا الوصاية ـ أنهم مع الرسول صلى الله عليه وسلم في الجنة :

ـ روى الترمذي أنه عليه الصلاة والسلام قال : « أنا وكافل اليتيم في الجنة » ، وأشار بأصبعيه ـ يعني السبابة والوسطى ـ .

ـ روى الامام أحمد وابن حبان عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من وضع يده على رأس يتيم رحمة ، كتب الله له بكل شعرة مرت على يده حسنة » .

ـ وروى النسائي بإسناد جيد عن النبي صلى الله عليه وسلمأنه قال : « اللهم اني أُحرّج حقّ الضعفين : اليتيم والمرأة » ، ومعنى أحرّج : أُلحق الحرج والإثم بمن ضيّع حقهما .

ورعاية اليتيم وكفالته واجبة في الأصل على ذوي الارحام والأقرباء ، فعلى هؤلاء إن أرادوا أن يعالجو أحوال اليتامى النفسية والخلقية .. فما عليهم الا أن يخصوهم بمزيد من الرحمة والعطف والعناية ، وأن يشعروهم أنهم كأولادهم حباً ومعاملة وملاطفة ..

وفي حال عدم وجود الأوصياء من الاقارب والأرحام **فعلى الدولة المسلمة** أن ترعاهم وتتولى أمرهم ، وتشرف على تربيتهم وتوجيههم ، وترفع من كيانهم وقَدْرهم في الحياة ..

---

(١) أي يزجره وينهره .

فهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم ــ باعتبار أنه الممثل الاول للدولة الاسلامية في المدينة ــ كان يخصّ اليتيم بمزيد من العطف والمعاملة والرحمة، فقد روت السيدة عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى يتيماً يوم عيد ، فلاطفه ، وبشّ له ، وأحسن اليه ، وأخذه الى بيته ، وقال له :

« أما ترضى أن أكون لك أباً ، وتكون عائشة لك أماً ؟ » .

وكذلك يجب على الدولة **أن ترعى اللقيط** ، وتقوم على امره وكفالته في حين وجوده والعثور عليه ، كما فعل عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين جاءه رجل بلقيط ، فقال له : « نفقته علينا وهو حرّ » .

وبهذه المعاملة الحسنة التي ينهجها الاسلام في معاملة كل من اللقيط واليتيم يكون قد قدّم للمجتمع الاسلامي مواطنين صالحين ينهضون بواجباتهم، ويضطلعون بمسؤولياتهم ، فلا يشعرون بنقص ، ولا يتيهون في لجة الهواجس والافكار والتصورات المنحرفة ...

أما عامل الفقر فهو عامل كبير في انحراف الولد النفسي ، ويقوى جانب هذا الانحراف فيه حين يفتح عينيه ، ويرى أباه في ضائقة ، وأسرته في بؤس وحرمان .. ويزداد الأمر لديه سوءاً حين يرى بعض أقربائه أو أبناء جيرانه ، أو رفاقه في المدرسة .. وهم في أحسن حال ، وأبهى زينة ، وأكمل نعمة .. وهو كئيب حزين لايكاد يجد اللقمة التي تشبعه ، والثوب الذي يستره ..

فولد هذه حاله ماذا ننتظر منه أن يكون نفسياً ؟ حتماً سينظر الى المجتمع نظرات الحقد والكراهية ، وحتماً سيصاب بأمراض من مركبات النقص ، والعُقد النفسية ، وحتماً سيتبدل أمله الى يأس ، وتفاؤله الى

تشاؤم .. وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم القائل فيما رواه أحمد بن منيع والبيهقي .. : « كاد الفقر أن يكون كفراً » ، بل كان عليه الصلاة والسلام يستعيذ من الفقر في دعائه ، فقد روى النسائي وابن حبان عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعا أنه صلى الله عليه وسلم كان يقول : « اللهم اني أعوذ بك من الكفر والفقر » .

والاسلام عالج مشكلة الفقر بأمرين أساسيين :

الأول : احترامه الكرامة الانسانية .

الثاني : سَنّه لمبادىء التكافل الاجتماعي .

أما احترامه الكرامة الانسانية فلأنه سوّى بين جميع الأجناس والألوان والطبقات في الاعتبار والكرامة الانسانية ، واذا كان لابد من المفاضلة فلتكن بالتقوى والانتاج والعمل الصالح ...

والمبدأ الذي طبعه الاسلام في ضمير الزمان الى يوم القيامة قوله تعالى :

« يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم .. » .

ولأنه لم ينظر الى الصور والأجسام ، وانما جعل النظرة الى القلوب والاعمال ؛ فقد روى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة : « ... ان الله لاينظر الى صوركم وأجسادكم ولكن ينظر الى قلوبكم وأعمالكم » .

ولأنه رفع من قدر الضعفاء والفقراء ، واعتبر إغضابهم وتحقيرهم اغضاباً للرب سبحانه ، فقد روى مسلم أن أبا سفيان أتى على سلمان وصهيب وبلال في نفر ، فقالوا : ما أخذت سيوف الله من عدوّ الله مأخذها ، فقال أبو بكر رضي الله عنه : أتقولون هذا لشيخ قريش وسيدهم ؟ فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره ، فقال : « يا أبا بكر لعلك أغضبتهم ، لئن

كنت أغضبتهم ، لقد أغضبت ربك » ، فأتاهم فقال : يا اخوتاه أأغضبتكم ؟ قالوا : لا ، يغفر الله لك يا أخي ... !..

أما سنته لمبادىء التكافل الاجتماعي فلا شك أن الاسلام سن من مبادىء التكافل في حل مشكلة الفقر ما يعتبر من أرقى وأسمى ما وصل اليه الجهد البشري في العصر الحديث .

وإليكم بعض هذه اللمحات في معالجة الاسلام لمشكلة الفقر في المجتمع :

● انه شرع بيت مال للزكاة تتولاه الدولة المسلمة ، وجعل مصارفه على المستحقين من الفقراء ، والمساكين ، وأبناء السبيل ، والمديونين ، وتحرير الأرقاء .. قال تعالى :

« إنما الصدقات للفقراء ، والمساكين ، والعاملين عليها ، والمؤلفة قلوبهم، وفي الرقاب ، والغارمين ، وفي سبيل الله ، وابن السبيل ، فريضة من الله ، والله عليم حكيم » .

(التوبة : ٦٠)

وروى الطبراني عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إن الله فرض على أغنياء المسلمين في أموالهم بقدر الذي يسع فقراءهم ، ولن يجهد الفقراء اذا جاعوا وعروا الا بما يصنع أغنياؤهم ، ألا وان الله يحاسبهم حساباً شديداً ، ويعذبهم عذاباً أليما » .

● انه لم يعتبر المسلم مسلماً اذا بات شبعان ، وجاره جائع الى جنبه وهو يعلم به ، فقد روى البزار والطبراني عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ما آمن بي مَن بات شبعان ، وجاره جائع الى جنبه وهو يعلم به » ؛ بل اعتبر اسعافه وادخال السرور عليه من أحسن القربات ، وأفضل الاعمال .. فقد روى الطبراني في الاوسط عن عمر رضي الله عنه مرفوعاً :

« أفضل الأعمال ادخال السرور على المؤمن ، كسوتَ عورته ، أو أشبعت جوعته ، أو قضيت له حاجة » .

● انه جعل اسعاف الجائع والمحروم في وقت الشدة من أهم الواجبات ؛ فقد روى البخاري عن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنهما أن أصحاب الصفّة كانوا أناساً فقراء ، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « من كان عنده طعام اثنين فليذهب بثالث ، ومن كان عنده طعام أربعة فليذهب بخامس أو سادس » .

وروى مسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من كان معه فضل ظهر (أي مركوب) فليعد به على من لاظهر له ، ومن كان له فضل زاد فليعد به على من لازاد له ، فذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم من أصناف المال ماذكره حتى رأينا أنه لاحق لأحد منا في فضل » .

● انه أوجب على الحاكم أن يهيىء سبيل العمل لكل من كان قادراً عليه ، فقد روى أبو داود والنسائي والترمذي : « أن رجلا من الانصار جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم يسأله عطاء ، فقال له : أما في بيتك شيء ؟ قال : بلى يارسول الله ، حِلْس نلبس بعضه ونبسط بعضه ، وقعب نشرب فيه من الماء ، قال : ائتني بهما ، فأتاه بهما ، فأخذهما عليه الصلاة والسلام ، وقال : من يشتري مني هذين ؟ قال رجل : أنا آخذهما بدرهم ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من يزيد على درهم ؟ قال رجل : أنا آخذهما بدرهمين ، فأعطاهما اياه ، فأخذ الدرهمين فأعطاهما الانصاري ، وقال : اشتر بأحدهما طعاماً فانبِذْه الى أهلك ، واشترِ بالآخر قدّوماً فأتني به ، فأتاه به ، فشد فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم عوداً بيده ، ثم قال : اذهب واحتطب وبع ، ولأ رينّك خمسة عشر يوماً ، ففعل ، فجاء ، وقد أصاب

عشرة دراهم . فاشترى ببعضها طعاماً ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هذا خير من أن تجيء . والمسألة نكتة في وجهك يوم القيامة » .

● انه سن قانون التعويض العائلي لكل مولود يولد في الاسلام سواء أكان المولود ابناً لحاكم أو موظف أم كان ابناً لعامل أو سوقة ... فقد روى أبو عبيد في كتابه « الاموال » (عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه كان يفرض لكل مولود عطاء الى عطاء أبيه يقدر « بمائة درهم » ، وكلما نما الولد زاد العطاء ، وقد جرى عليه من بعده عثمان وعلي والخلفاء ..) .

هذا عدا عن التربية الوجدانية التي يغرس الاسلام جذورها في قلوب المسلمين ، وفي أعماق مشاعرهم ، وحنايا ضمائرهم .. ليندفع الجميع الى تحقيق التعاون ، والتكافل ، والإيثار ... عن رغبة وايمان ، وطواعية واختيار ..

والواقع التاريخي اكبر شاهد على ما نقول ، واليكم بعض النماذج في تكافل المجتمع المسلم ، وفي تعاطفه وتراحمه وتعاونه :

١ ــ قال محمد بن اسحاق : « كان أناس بالمدينة يعيشون ولايدرون من أين يعيشون ؟ ومن يعطيهم ؟ فلما مات زين العابدين ابن الحسين فقدوا ذلك فعرفوا أنه هو الذي كان يأتيهم بالليل بما يأتيهم به ، ولما مات وجدوا في ظهره وأكتافه أثر حمل الجراب (أي الكيس) الى بيوت الارامل والمساكين » .

٢ ــ وكان الليث بن سعد ذا غلّة سنوية تزيد على سبعين ألف دينار يتصدق بها كلها حتى قالوا انه لم تجب عليه زكاة قط ، واشترى مرة داراً بيعت بالمزاد ، فذهب وكيله يتسلمها فوجد فيها أيتاماً وأطفالا صغاراً ، سألوه

بالله أن يترك لهم الدار ، فلما بلغ ذلك الليث أرسل اليهم أن الدار لكم ، ومعها ما يصلحكم كل يوم .

٣ ــ وكان عبد الله بن المبارك الإمام الكبير المحدّث كثير الصدقات تبلغ صدقاته في السنة أكثر من مائة ألف دينار ، خرج مرة الى الحج مع أصحابه ، فاجتاز ببعض البلاد فمات طائر ، فأمر بالقائه على مزْبَلَة هناك ، وسار أصحابه أمامه ، وتخلف هو وراءهم ، فلما مر بالمزبلة اذا جارية قد خرجت من دار قريبة منها ، فأخذت ذلك الطائر الميت ، فأخبرته أنها وأخاها فقيران لايعلم بهما أحد ، ولايجدان شيئاً ، فأمر ابن المبارك بردّ الاحمال ، وقال لوكيله : كم معك من النفقة ؟ قال : ألف دينار ، فقال له : عُدّ منها عشرين ديناراً تكفينا الى « مرو » ، وأعطها الباقي فهذا أفضل من حجنا في هذا العام ، ثم رجع فلم يحج[1] .

ويوم تتضافر جهود الدولة ، وجهود المجتمع ، وجهود الافراد في حل مشكلة الفقر ، لايبقى في المجتمع الاسلامي فقير ، ولا محتاج ، وتنعم الأمة الاسلامية بظلال الأمن ، والرفاهية ، والتكافل والاستقرار .. ويتحرر أبناء المجتمع من كل العوامل الاجرامية ، والانحرافات النفسية .. ونرى بأم أعيننا راية العزة الاسلامية ترفرف في علياء المجد والكرامة ، ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله .

★ ★ ★

٤ ــ ظاهرة الحسد :

الحسد هو تمني زوال النعمة عن الغير ، وهو ظاهرة اجتماعية خطيرة

---

(١) ومن أراد المزيد في معالجة الاسلام للفقر فليرجع الى كتابنا « التكافل الاجتماعي في الاسلام » فإن فيه ما يشفي الغليل .

ان لم يعالجها المربون في أطفالهم ستؤدي حتماً الى أسوأ النتائج ، وأخطر الآثار ..

وقد لا تكون ظاهرة الحسد واضحة لأول وهلة بالنسبة للأهل ، فيظنون أن أولادهم لا يتوقع منهم الحسد ، ولا يشعرون به ، ولا يقعون فيه.. لذا وجب على كل من يقوم بمسؤولية التربية أن يعالج الحسد بالحكمة ، والتربية القويمة حتى لا يؤدي الى مشاكل صعبة ، ونتائج وخيمة ، ومضاعفات نفسية أليمة .

وقبل أن أتعرض للوقاية والعلاج في استئصال هذه الظاهرة يحسن أن أتعرض **للأسباب التي تؤجج نار الغيرة والحسد** في نفوس هؤلاء الأطفال .

وأرى أن هذه الأسباب تتركز في الأمور التالية :

● خوف الطفل أن يفقد بين أهله بعض امتيازاته كالمحبة والعطف وكونه شخصاً مراداً ، ولا سيما عند مقدم مولود جديد يتصور أنه سيزاحمه في هذه المحبة والعطف .

● المقارنة السيئة بين الأولاد كوصف أحدهم بالذكاء ، والآخر بالغباوة..

● الاهتمام بأحد الأولاد دون الآخرين ، كولد يُحمل ويُداعب ويُعطى.. وآخر يزجر ويهمل ويحرم ..

● الإغضاء والتسامح عن ولد محبوب يؤذي ويسيء ، والترصد بالعقاب لولد آخر تصدر منه أدنى اساءة .

● وجود الولد في بيئة غنية مترفة وهو في فقر شديد ، وحالة من العيش سيئة .

الى غير ذلك من هذه الأسباب التي تؤدّي الى أسوأ الآثار في شخصية

الطفل ، وربما يصاب بآفة من مركب النقص ، أو الأنانية القاتلة ، أو الحقد الاجتماعي .. عدا عن اصابته بمضاعفات نفسية كالقلق ، والتمرد ، وعدم الثقة بالنفس ..

والاسلام قد عالج ظاهرة الحسد بمبادىء تربوية حكيمة لو اخذالمربون بأسبابها اليوم لنشأ الأولاد على التوادد ، والإيثار ، والمحبة ، والصفاء .. ولأضمروا كل تعاون ، وخير ، وتعاطف .. بالنسبة للآخرين .

وأرى أن هذه المبادىء التربوية لعلاج ظاهرة الحسد تتجسّد في الأمور التالية :

١ ـ اشعار الطفل بالمحبة :

وهذا ما كان عليه الصلاة والسلام يفعله ، ويأمر أصحابه به ، ويحضهم عليه ، ويراقب تنفيذه هنا وهناك .

وإليكم بعض الأمثلة :

ـ روى الترمذي وغيره عن عبد الله بن بريدة عن أبيه رضي الله عنهما أنه قال : رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يخطب فجاء الحسن والحسين رضي‌الله عنهما ، وعليهما قميصان أحمران يمشيان ويعثران . فنزل النبي صلى الله‌عليه وسلم فحملهما ، ووضعهما بين يديه ، ثم قال : « صدق الله عز وجل :

« **إنما أموالكم وأولادكم فتنة ..** » ، نظرت الى هذين الصبيين يمشيان ويعثران ، فلم أصبر حتى قطعت حديثي ورفعتهما .

ـ وكان عليه الصلاة والسلام يداعب الحسن والحسين رضي الله عنهما ،

فيمشي على يديه وركبتيه ، ويتعلقان به من الجانبين ، فيمشي بهما ، ويقول: « نعم الجمل جملكما ، ونِعم العِدْلان أنتما » .

ــ وروى البخاري في الأدب المفرد عن عائشة رضي الله عنها قالت : جاء أعرابي الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : أتقبلون صبيانكم فما نقبلهم ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : «أو أملك لك أن نزع الله منقلبك الرحمة»؟

ــ وروى البخاري في أدبه كذلك عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : جاءت امرأة الى عائشة رضي الله عنها ، فأعطتها ثلاث تمرات ، فأعطت كل صبي لها تمرة ، وأمسكت لنفسها تمرة ، فأكل الصبيان التمرتين ، ونظرا الى أمهما ، فعمدت الأم الى التمرة فشقتها فأعطت كل صبي نصف تمرة ، فجاء النبي صلى الله عليه وسلم فأخبرته عائشة ، فقال : وما يعجبك من ذلك ؟ لقد رحمها الله برحمتها صبيَّيْها » !!..

وينبغي ألا يغرب عن البال أن الأخذ بالاحتياطات اللازمة للحيلولة دون اشتداد الحسد عند مقدم طفل جديد من أهم ما ينبغي أن يعتني به المربون ولا سيما الأم ..

هذه الاحتياطات يجب أن تبدأ قبل عدة أشهر من الولادة كتغيير سرير الطفل الأكبر ، أو ارساله الى الروضة .. ولا بأس بالسماح للأخ الكبير بالمساعدة في شؤون الطفل الجديد عند الباسه ، أو تغسيله ، أو اطعامه ، ولا بأس كذلك بالسماح له بأن يلاعب أو يداعب أخاه الصغير ولكن مع شيء من المراقبة مخافة ايذائه ، وعندما تحمل الأم الطفل الوليد لإرضاعه ، فيستحسن من الأب أن يداعب أخاه الأكبر ، أو يحادثه ويلاطفه ليشعره بالمحبة والعطف والاهتمام ..

والمقصود على العموم اشعار الأخ الأكبر بأنه محبوب ، وأنه المراد ، وأنه محل العطف والعناية كأخيه الوليد سواء بسواء •

وهذا ما كان يوجه اليه المربي الأعظم صلوات الله وسلامه عليه في الأحاديث التي مر ذكرها ، وسبق تعدادها ••

ألا فلينهج المربون طريقة رسول الله صلى الله عليه وسلم في اشعار الطفل بالمحبة إن أرادوا تكوين شخصيات أطفالهم على الحب والتعاون والايثار ، وتحريرهم من الحقد والأثرة والأنانية ••

٢ ـ تحقيق العدل بين الأولاد :

فمن المعروف بداهة أن المربين حين يسوّون بين الأولاد في المعاملة ، ويحققون العدل بينهم في العطاء تتلاشى ظاهرة الحسد في نفوسهم ، وتزول آفات الضغائن والأحقاد من قلوبهم ، بل يعيش الابناء مع اخوتهم ومربيهم في تفاهم تام ، ومحبة متبادلة ، بل ترفرف على البيت أجنحة المودة ، والاخلاص ، والصفاء •••

فلا عجب أن نرى المعلم الأول ، والمربي الأكبر صلوات الله وسلامه عليه وهو يحض الآباء والمربين جميعاً على تحقيق مبدأ العدل بين الإخوة ، بل كان عليه الصلاة والسلام يستنكر كل الانكار على الذين لا يحققون عدلا ولا رحمة بين أولادهم ، ولا يسوّون بينهم في القسمة والعطاء !!•• واليكم طرفاً من توجيهاته واستنكاراته ، ليعرف من يريد أن يعرف حرص الرسول صلوات الله وسلامه عليه على التربية القويمة ، والاصلاح الاجتماعي !!••
سبق أن ذكرنا في معالجة ظاهرة الشعور بالنقص عند الأولاد هذه الأحاديث ، والآن نكرر اعادتها زيادة في الفائدة :

ـ « ساووا بين أولادكم في العطية » الطبراني •

ــ وروى أنس أن رجلا كان عند النبي صلى الله عليه وسلم فجاء ابن لــه فقبّله وأجلسه على فخذه ، وجاءت ابنة له فأجلسها بين يديه . فقال صلى الله عليه وسلم للرجل : « ألا سوّيت بينهما ؟ » .

ــ وروى البخاري ومسلم عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما أن أبــاه أتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقــال : اني نحلت ابني هُــذا ــ أي أعطيته ــ غلاماً كان لي .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أكلّ ولدك نحلتَه مثل هــذا ؟ فقال : لا .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فارجعه .

وفي رواية : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا بشير . ألك ولد سوى هذا ؟

فقال : نعم .

قال : أكلّهم وهبت لهم مثل هذا ؟

قال : لا .

قال : فلا تشهدني اذن ، فإني لا أشهد على جور ــ أي ظلم ــ

ثم قال : أيسرّك أن يكونوا اليك في البر سواء ؟

قــال : بلى .

قال : فلا اذن .

٣ ــ إزالة الأسباب التي تؤدي الى الحسد :

فعلى المربي أن يكون حكيماً في تربية الولد ، وذلك باتباع أنجع الوسائل في ازالة ظاهرة الحسد من نفسه :

فإذا كان مجيء الوليد الجديد يشعره فقــدان محبة أبويه وعطفهما ●● فعلى الأبوين أن يسعيا جهدهما في اشعاره أن هذه المحبة باقيــة على مــدى الأيــام ●●

وإذا كان رمي الأبوين له بالغبــاوة ، والألفاظ القارعة ●● يؤجج فــي صدره نيران الحقد والحسد ●● فعلى الأبوين أن ينزها ألسنتهما عن التقريع المؤلم ، والكلمات الجارحة ●●

وإذا كان تفضيل أحد الأولاد عليــه في معامــلة أو عطــاء ●● يغيظه ، ويولد في نفسه ظاهرة الحسد ●● فعلى الأبوين أن يحققا بين الأولاد العدل والمساواة ●●

وهكذا يجب على المربين والآباء والأمهات أن يكونوا حذرين كل الحذر من أن يتعرض الولد لآفة من هــذه الآفات النفسية وعلى رأسها الحسد ●● حتى تكتمل شخصيته ، وينشأ انساناً سويا في ظلال التربية الصالحة ●●

وبما أنللحسد آفات نفسية ، وآثاراً اجتماعيةحذر عليه الصلاةوالسلام منه ونهى عنه ●● واليكم طائفة من تحذيراته وأقواله :

ــ روى أبو داود عن أبي هريرة مرفوعا أن رسول الله صلى الله عليهوسلم قال : « اياكم والحسد فإن الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب »●

ــ وأخرج الطبراني عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : «لايزال الناس بخير ما لم يتحاسدوا » ، وأخرج كذلك : « ليس مني ذو حسد » ●

ــ وأخرج الديلمي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « الحسد يفسد الإيمان كما يفسد الصبر[1] العسل » ●

---

(١) الصبر : مادة مرّة المذاق كالعلقم .

فما أحوج الآباء والمربين الى هذه المبادىء التربوية في معالجة الحسد عند الأولاد •• ولا شك أنهم اذا التزموها ، وأخذوا بتوجيهاتها •• نشأ الأولاد على خير ما ينشؤون من الصفاء والمحبة والاخلاص !!••

★ ★ ★

٥ ــ ظاهرة الغضب :

الغضب هو حالة نفسية ، وظاهرة انفعالية يحس بها الطفل في الأيام الأولى من حياته ، وتصحبه في جميع مراحل العمر الى الممات •

وما دامت ظاهرة الغضب خلقاً متأصلا في الانسان منذ ولادته ، فمن الخطأ أن نعد الغضب من الظواهر المستقبحة ، والحالات الانفعالية السيئة•• لأن الله سبحانه لما خلق الانسان ، وركب فيه الغرائز ، والميول ، والمشاعر •• كان ذلك لحكمة بالغة ، ومصلحة اجتماعية ظاهرة •

فمن فائدة الغضب :

المحافظة على النفس ، والمحافظة على الدين ، والمحافظة على العرض ، والمحافظة على الوطن الاسلامي من كيد المعتدين ، ومؤامرات المستعمرين•••

ولولا هذه الظاهرة التي أودعها الله في الانسان لما ثار المسلم وغضب اذا انتهكت محارم الله ، أو امتهن دينه ، أو أراد عدو أن يغتصب أرضه ، ويستولي على بلاده ••

وهذا لاشك من الغضب المحمود الذي كان مصاحباً لفعله عليه الصلاة والسلام في بعض الحالات :

فقد ثبت في الصحيح أنه عليه الصلاة والسلام قد جاءه من يشفع في حدّ

من حدود الله فغضب ، وظهرت على وجهه أسارير الغضب ، وقال قولته الخالدة : « انما أهلك الذين من قبلكم أنه اذا سرق فيهم الشريف تركوه ، واذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد ، وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها » .

وأخرج الطبراني عن أنس رضي الله عنه أنه قال : « ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم انتقم لنفسه من شيء الا اذا انتهكت لله حرمة ، فإن انتهكت لله حرمة كان أشد الناس غضباً ، وما عُرِض عليه أمران الا اختار أيسرهما ما لم يكن فيه سخط الله ، فإن كان فيه لله سخط كان أبعد الناس منه » .

واذا كان كثير من علماء الاجتماع والتربية عدّوا الغضب من الرذائل الممقوتة ، والعادات المذمومة .. فإنما يقصدون من وراء ذلك الغضب المذموم الذي يؤدي الى أسوأ الآثار . وأوخم العواقب .. وذلك حين الانفعال والغضب من أجل المصالح الشخصية . والبواعث الأنانية .. ولا يخفى ما في هذا الغضب من تمزيق للوحدة ، وتصديع للجماعة ، واستئصال لمعاني الأخوة . والمحبة . والصفاء .. في ربوع المجتمع .

فلا عجب **أن يهتمّ رسول الاسلام** صلوات الله وسلامه عليه **لظاهرة الغضب**، وأن يمتدح الذين يكظمون الغيظ ، ويملكون أنفسهم عند الغضب :

ـ أخرج البخاري أن رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم : **أوصني** ، قال : لا تغضب . فردّد مراراً ، قال : لا تغضب .

ـ وأخرج الامام أحمد في مسنده عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له : ما يباعدني من غضب الله عز وجل ؟ قال : لا تغضب .

ـ وآخرج البخاري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من كظم غيظاً وهو يستطيع أن ينفذه دعاه الله يوم القيامة على رؤوس الخلائق حتى يخبره في أي الحور العين شاء » .

ـ وروى البخاري ومسلم عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ماتعدّون الصُّرَعَة فيكم ؟ قالوا : الذي لاتصرعه الرجال ، قال : ولكن الذي يملك نفسه عند الغضب » .

ولا غرابة ايضاً **أن يأمر القرآن العظيم** المؤمنين والمؤمنات بكظم الغيظ . والدفع بالتي هي أحسن ، والإعراض عن الجاهلين .. حتى يتحقق للمجتمع مودته ، ويتم للمسلمين تآلفهم :

ـ « ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن ، فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه وليّ حميم » .

(فصلت : ٣٤)

ـ « وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً ، وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً » .

(الفرقان : ٦٣)

ـ « الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين » .

(آل عمران : ١٣٤)

ـ « وإذا ما غضبوا هم يغفرون » .

(الشورى : ٣٧)

★ ★ ★

واذا كان لظاهرة الغضب المذموم آثار سيئة على شخصية الانسان ، وعقله ، واتزانه .. وعواقب وخيمة على وحدة المجتمع وترابطه ، وتماسكه..

فما على المربين الا أن يهتموا بعلاج هذه الظاهرة منذ نعومة أظفار الولد الى أن يصل مرحلة التمييز ، الى أن يتدرج الى سن المراهقة ..

وإن خير علاج تقدمه لمعالجةظاهرة الغضب في الولد **تجنيبه دواعي الغضب وأسبابه** حتى لا يصبح له خلقاً وعادة ، وصدق من قال : « درهم وقاية خير من قنطار علاج » .

● فإذا كان من دواعي الغضب وأسبابه **الجوع** ، فعلى المربي أن يسعى الى اطعام الولد في الوقت المخصص ، لأن اهمال غذائه يؤدي الى أمراض جسمية، وانفعالات نفسية.. وكم يكون المربي آثماً اذا ضيع من يعيل ؟ ؛ روى أبوداود وغيره عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « كفى بالمرء اثماً أن يضيّع من **يقوت** » .

● واذا كان من دواعي الغضب وأسبابه **المرض** ، فعلى المربي أن يسعى الى معالجة الولد طبياً ، واعداده صحياً .. امتثالا لتوجيهاته صلى الله عليه وسلم فيما رواه مسلم وأحمد : « لكل داء دواء فإذا أصاب الدواء الداء برأ باذن الله عز **وجل** » .

● واذا كان من دواعي الغضب وأسبابه **تقريع الولد وإهانته** بدون موجب ، فعلى المربي أن ينزه لسانه عن كلمات التحقير والإهانة .. حتى لاتترسخ في نفس الولد الآفات النفسية ، والانفعالات الغضبية .. ولا شك أن هذا من حسن التربية ، والاعانة على البر .. فقد روى ابن ماجه عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أدبوا أولادكم وأحسنوا أدبهم » ؛ ويقول أيضاً فيما رواه ابن حبان : « رحم الله والداً أعان ولده على برّه » .

● واذا كان من دواعي الغضب وأسبابه **محاكاة الولد لأبويه في ظاهرة الغضب**،

فعلى الأبوين أن يعطيا الولد القدوة الصالحة في الحِلْم ، والأناة ، وضبط النفس عند الغضب •• تحقيقاً لقوله تبارك وتعالى :

« والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين » :

وتنفيذاً لوصية الرسول صلى الله عليه وسلم القائل في الحديث الذي مرذكره: « ••• ولكن الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب » •

● وإذا كان من دواعي الغضب وأسبابه لدى الولد **الدلال المفرط والتنعم البالغ** ،

فعلى المربين أن يكونوا معتدلين في محبة الأولاد ، وأن يكونوا طبيعيين في الرحمة بهم والانفاق عليهم تحقيقاً لما ينسب الى علي كرم الله وجهه : « أحبب حبيبك هوناً ما عسى أن يكون بغيضك يوماً ما ، وأبغض بغيضك هوناً ماعسى أن يكون حبيبك يوماً ما » ؛ وتطبيقاً لما حذر منه عليه الصلاة والسلام فيما رواه الامام أحمد •• « اياكم والتنعم فإن عباد الله ليسوا بالمتنعمين »•

● وإذا كان من دواعي الغضب وأسبابه **الهزء والسخرية والتنابز بالألقاب** ،

فعلى المربين أن يجتنبوا هذه المسببات الغضبية •• حتى لا تتأصل ظاهرة الغضب في نفسية الولد ••

وما أعظم تربية القرآن الكريم حين نهى عن السخرية ، وسوء الظن ، والتجسس ، والتنابز بالألقاب •• حين قال في سورة الحجرات :

« يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ، ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيراً منهن ، ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الايمان ، ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون » •

ومن العلاج الناجع في معالجة الغضب لدى الطفل تعويده على المنهج النبوي في تسكين الغضب ••

وإليكم مراحل هذا المنهج :

١ ـ تغيير العادة التي يكون عليها الغضبان :

روى الامام أحمد وغيره عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : اذا غضب أحدكم وهو قائم فليجلس ، فان ذهب عنه الغضب .. والا فليضطجع » .

٢ ـ اللجوء الى الوضوء في حالة الغضب :

أخرج أبو داود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « الغضب من الشيطان ، وان الشيطان خلق من النار ، وانما تطفأ النار بالماء ، فإذا غضب أحدكم فليتوضأ » .

٣ ـ اللجوء الى السكوت في حالة الغضب :

روى الامام أحمد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « اذا غضب أحدكم فليسكت » .

٤ ـ التعوذ بالله من الشيطان الرجيم :

جاء في الصحيحين أنه استبّ رجلان عند النبي صلى الله عليه وسلم وأحدهما يسب صاحبه مغضباً قد احمرّ وجهه ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : اني لأعلم لو قال : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم لذهب عنه ما يجد » .

هذه هي أهم الوصايا التي وجه اليها رسول الاسلام صلوات الله وسلامه عليه في تسكين الغضب ، والتخفيف من حدته ..

فما على الآباء والمربين الا أن يؤدبوا أولادهم وتلامذتهم عليها ، عسى أن يعتادوا الحلم ، والأناة ، وضبط النفس عند الغضب ..

وأخيراً على المربين أن يقبّحوا لأطفالهم ظاهرة الغضب ، كأن يُروهم حالة انسان غضبان كيف تتسع عيناه ، وتنتفخ أوداجه ، وتتغير ملامحه ، ويحمرّ وجهه ، ويرتفع صوته .. ولا شك أن اظهار هذه الصورة الحسية لدى الطفل أدعى للزجر والاعتبار ..

وكذلك عليهم أن يحذروهم آفات الغضب ، وأخطاره البالغة ، وعواقبه الوخيمة ...

فهذا التقبيح والتجسيد والتحذير لظاهرة الغضب هي الطريقة التي كان ينهجها رسول الله صلى الله عليه وسلم في تربية المجتمع ، ومعالجة النفوس؛ فقد روى الامام أحمد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ألا ان الغضب جمرة تتوقد في قلب ابن آدم ، ألا ترون الى انتفاخ أوداجه ، واحمرار عينيه ؟ ، فمن أحس من ذلك شيئاً فالأرضَ الأرضَ .. » .

والذي نخلص اليه بعدما تقدم أن المربين حين يجنبون أولادهم منذ الصغر دواعي الغضب وأسبابه ، وحينما يأخذون بالمنهج النبوي في معالجة الغضب وتسكينه ، وحينما يقبّحون لأطفالهم ظاهرة الغضب تجسيداً وتحذيراً .. فإن الأولاد — لا شك — ينشؤون على الحلم ، والأناة ، والاتزان العقلي ، وضبط النفس .. بل يعطون الصورة الصادقة عن أخلاق المسلم ، وسلوكه السويّ في الحياة !!..

★ ★ ★

وحين يحرر المربون أبناءهم وطلابهم ، ومن لهم حق التربية عليهم :

من ظاهرة الخجل

ومن ظاهرة الخوف

ومن ظاهرة الشعور بالنقص

ومن ظاهرة الحسد

ومن ظاهرة الغضب

يكونون قد غرسوا في أنفسهم الأصول النفسية النبيلة التي تتحقق :

بالثبات والجرأة الأدبية

وبالشجاعة والاقدام

وبالشعور بالواجب والكمال

وبالإيثار والمحبة

وبالحلم والأناة .

بل يكونون بهذه التخلية والتحلية قد أعدوا أولاداً ليكونوا شباب الغد ، ورجال المستقبل .. يواجهون الحياة بابتسامة متفائلة ، وعزيمة جبارة ، وهمة قعساء ، وأخلاق سمحة كريمة ..

فما أحوجنا الى مربين يعرفون طريقة الاسلام في التربية النفسية، ومنهج الرسول صلوات الله وسلامه عليه في الإصلاح .. ليؤدوا ما عليهم من واجب ومسؤوليات .. عسى أن نجد أبناء الجيل وقد اكتملت شخصياتهم، وصلحت سريرتهم ، وسمت أخلاقهم ، وتحررت من الآفات النفسية نفوسهم وقلوبهم .. وما ذلك على الله بعزيز إن جاهد المصلحون ، وقام بمسؤولياتهم المربون !!..



الفصل السادس

٦- مَسْؤوليَّة التربيَةِ الاجْتماعيَّة

المقصود بالتربية الاجتماعية تأديب الولد منذ نعومة اظفاره على التزام آداب اجتماعية فاضلة ، وأصول نفسية نبيلة .. تنبع من العقيدة الاسلامية الخالدة ، والشعور الإيماني العميق ، ليظهر الولد في المجتمع على خير مايظهر به من حسن التعامل ، والأدب ، والاتزان ، والعقل الناضج ، والتصرف الحكيم ...

ولا شك أن هذه المسؤولية من أهم المسؤوليات في اعداد الولد لدى المربين والآباء ، بل هي حصيلة كل تربية سبق ذكرها سواء أكانت التربية ايمانية أم خلقية أم نفسية ... لكونها الظاهرة السلوكية والوجدانية التي تربي الولد على أداء الحقوق ، والتزام الآداب، والرقابة الاجتماعية، والاتزان العقلي ، وحسن السياسة والتعامل مع الآخرين .

ومن الثابت تجربة وواقعاً أن سلامة المجتمع ، وقوة بنيانه وتماسكه... مرتبطتان بسلامة أفراده واعدادهم .. ومن هنا كانت عناية الاسلام بتربية الأولاد اجتماعياً وسلوكياً .. حتى اذا تربّوا وتكوّنوا وأصبحوا يتقلّبون على مسرح الحياة أعطوا الصورة الصادقة عن الانسان الانضباطي المتّزن العاقل الحكيم ..

فما علـى المربـين الا ان يشمروا عن ساعد الجـد والعزيمـة ، ليقوموا بمسؤوليتهم الكبرى في التربية الاجتماعية على وجهها الصحيح **عسى أن** يساهموا في بناء مجتمع اسلامي أفضل تقوم ركائزه على الإيمان ، والأخلاق ، والتربية الاجتماعية الفاضلة ، والقيم الاسلامية الرفيعة .. وما ذلك على الله بعزيز .

واذا كان لكل تربية وسائل يسير المربون عليها ، فما هي الوسائل العملية التي تؤدي الى تربية اجتماعية فاضلة ؟

الوسائل في – نظري – تتركز في أمور أربعة :

١ – غرس الأصول النفسية النبيلة .

٢ – مراعاة حقوق الآخرين .

٣ – التزام الآداب الاجتماعية العامة .

٤ – المراقبة والنقد الاجتماعي .

★ ★ ★

١ ــ غرس الأصــول النفسية

آقـــام الاسلام قواعد التربية الفاضلة في نفوس الافراد صغاراً وكباراً . رجالا ونساء . شيباً وشباناً •• على أصول نفسيّة نبيلة ثابتة . وقواعد تربوية باقية •• لا يتم تكوين الشخصية الاسلامية الا بها ، ولا تتكامل الا بتحقيقها. وهي في الوقت نفسه قيم انسانية خالدة . ولغرس هذه الأصول النفسية في نفسيات الأفراد والجماعات أصدر الاسلام توجيهـــاته التيـــة . ووصاياه الرشيدة •• لتتم التربية الاجتماعية على أنبل معنى . وأكمل غــاية •• حتى ينشأ المجتمع على التعاون المثمر . والترابط الوثيق . والأدب الرفيع . والمحبة المتبادلة . والنقد الذاتي البناء ••

وإليكم اهم هذه الأصول النفسية التي يسعى الاسلام لغرسها :

١ ــ التقـــوى :

هي نتيجة حتمية . وثمرة طبيعية للشعور الإيماني العميق الذي يتصل بمراقبة الله عز وجل . والخشية منـــه . والخوف من غضبه وعقابه . والطمع بعفوه وثوابه •• وهي ــ كما عرفها العلماء ــ أن لا يراك الله حيث نهـــاك . وأن لا يفقدك حيث أمرك . أو هي ــ كما قال البعض ــ : « اتقـــاء عذاب الله سبحانه بصالح العمل ، والخشية من الله تعالى في السر والعلن •• » •

ومن هنا كان اهتمام القرآن الكريم بفضيلة التقوى والأمر بها ، والحض عليها في كثير من آياته البينات ، حتى ان القارىء لا يمر على قراءة صفحة أو

صفحات من القرآن الكريم الا ويجد لفظة التقوى منسابة في الذكر الحكيم هنا وهنـــاك .

ومن هنا كان اهتمام الصحابة الكرام ، والسلف الصالح بالتقــوى ، والتحقق بها ، والاجتهاد لها ، والسؤال عنها .. فقد ورد أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه سأل أبيّ بن كعب عن التقوى ، فقـــال له : أما سلكت طريقـــاً ذا شوك ؟ قال : بلى ! قال : فما عملت ؟ قال : شمرت واجتهدت ، قال : فذلك التقـــوى .

« فذلك التقوى ، حساسية في الضمير ، وشفافية في الشعور ، وخشية مستمرة ، وحذر دائم ، وتوقٍّ لأشواك الطريق .. طريق الحياة .. الـــذي تتجاذبه أشواك الرغائب والشهوات ، وأشواك المطامع والمطامح ، وأشـــواك المخاوف والهواجس ، وأشواك الرجاء الكاذب فيمن لايملك رجاء ، والخوف الكاذب ممن لايملك نفعاً ولا ضراً ، وعشرات غيرها من الأشواك .. »[1] .

وتقوى الله ــ فضلا عن أنها تملك قلب المؤمن بخشية الله ، والمراقبة له ــ هي منبع الفضائل الاجتماعية كلها ، والسبيل الوحيد في اتقاء المفاسد والشرور والآثام والأشواك .. بل هي الوسيلة الأولى التي توجد في الفرد وعيه الكامل لمجتمعه ، ولكل من يلتقي معهم من أبناء الحياة .

ولعل في تكرار الرسول صلى الله عليه وسلم قـــوله : « التقوى ههنا » ثلاث مرات ــ كما سيأتي ــ ما يؤكد أهمية هذا الأصل النفسي في التربيـــة الاجتماعية ، ولا سيما في النهي عن مساس الكرامة ، والإضرار بالناس .

وهذه بعض النماذج عن أثر التقوى في سلوك الفرد ومعاملته :

أ ــ يروي الغزالي في احيائه أنه كان عند يونس بن عبيد حُلَل مختلفة

---

(١) من كتاب الظلال لسيد قطب رحمه الله ج ١ ص ٤٠ .

الأثمان ، منها ضرب قيمة كل حلة منه أربعمائة درهم ، وضرب كل حلة مائتان، فسر الى الصلاة ، وخلّف ابن أخيه في الدكان ، فجاء أعرابي وطلب حلّة بأربعمائة فعرض عليه من حلل المائتين ، فاستحسنها ورضيها ، فاشتراها ـ أي بأربعمائة درهم ـ فمشى بها وهي على يديه فاستقبله يونس ، فعرف حلّته ، فقال للأعرابي بكم اشتريت ؟ فقال : بأربعمائة ، فقال : لاتساوي أكثر من مائتين فارجع حتى تردها ، فقال : هذه تساوي في بلدنا خمسمائة وأناأرتضيها، فقال له يونس : انصرف معي فإن النصح في الدين خير من الدنيا بما فيها . ثم رده الى الدكان ورد عليه مائتي درهم ، وخاصم ابن أخيه في ذلك وقاتله . وقال : أما استحييت ؟ أما اتقيت الله ؟ تربح مثل الثمن وتترك النصح للمسلمين ؟ فقال : والله ما أخذها الا وهو راضٍ بها ، قال : فهلا رضيت له بما ترضاه لنفسك !!..

ب ـ وقال عبد الله بن دينار : خرجت مع عمر بن الخطاب رضي اللهعنه الى مكة فعرّسنا في بعض الطريق ، فانحدر بنا راعٍ من الجبل ، فقال له : يا راعي ، بعني شاة من هذا الغنم .

فقال : اني مملوك .

فقال له ـ اختباراً ـ : قل لسيدك أكلها الذئب .

فقال الراعي : فأين الله ؟

فبكى عمر رضي الله عنه ثم غدا مع المملوك ، فاشتراه من مولاه وأعتقه ، وقال : أعتقتك في الدنيا هذه الكلمة ، وأرجو أن تعتقك فيالآخرة.

ج ـ وكثير من الناس يعرفون قصة الأم مع ابنتها : الأم تريد أن تخلط اللبن طمعاً في زيادة الربح ، والبنت تذكرها بمنع أمير المؤمنين .

الأم تقول : أين نحن من أمير المؤمنين ؟ انه لا يرانا ..

وترد الابنة بالجواب المفحم : ان كان أمير المؤمنـين لا يرانا فرب أمير المؤمنين يرانـا !!..

فعلى فضيلة التقوى والمراقبة لله يجب أن ننشيء أبناءنا !!

٢ ـ الأخـوّة :

هي رابطة نفسية تورث الشعور العميق بالعاطفة والمحبة والاحترام .. مع كل من تربطه واياه من أواصر العقيـدة الاسلامية ، ووشائج الايسـان والتقوى .. فهـذا الشعور الأخوي الصادق يولد في نفس المسلم أصدق العواطف النبيلة في اتخاذ مواقف ايجابية من التعاون ، والايثار ، والرحمة ، والعفو عند المقدرة ... واتخاذ مواقف سلبية من الابتعاد عن كل ما يضـر بالناس في أنفسهم و أموالهم وأعراضهم والمساس بكراماتهم .. ولقد حثّ الاسلام على هذه الأخوة في الله ، وبيّن مقتضياتها وملتزماتها في كثير مـن الآيات القرآنية والاحاديث النبوية :

ـ **قال تعالى : ((إنما المؤمنون إخوة))** .

(الحجرات : ١٠)

ـ **وقال أيضا : ((سنشد عضدك بأخيـك))** .

(القصص : ٣٥)

ـ **وقال كذلك : ((واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فالف بين قلوبـكم فأصبحتم بنعمته إخوانا))** .

(آل عمران : ١٠٣)

ـ **وقـال عليـه الصلاة والسلام** ـ فيمـا رواه مسلم ـ : ((المسلم اخـو المسلم لا يظلمه ولا يُسلمه ولا يخذله ولا يحقره بحسب امرىء من الشر أن يحقر أخاه المسلم ، كل المسلم على المسلم حرام ، دمـه ، ومـاله ، وعرضه ، التقوى ههنا (ثلاث مرات) ، ويشير الى صدره ..)) .

ـ وأخرج البخاري ومسلم : « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » •

ـ وأخرج مسلم وأحمد : « مثل المؤمنين في توادهم وتعاطفهم وتراحمهم كمثل الجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمّى » •

ـ وروى مسلم في صحيحه : « ان الله تعالى يقول يوم القيامة : أين المتحابون بجلالي ؟ اليوم أظلهم في ظلّي يوم لا ظلّ الا ظلّي » •

وكان من نتيجة هذه الأخوة والمحبة في الله أن تعامل أفراد المجتمع الاسلامي عبر التاريخ ، وخلال العصور على أحسن ما تعامل الناس مواساةً وايثاراً وتعاوناً وتكافلا ••

وإليكم بعض النماذج :

أ ـ روى الحاكم في المستدرك أن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه بعث بثمانين ألف درهم الى عائشة رضي الله عنها ، وكانت صائمة ، وعليها ثوب خلَق ، فوزعت هذا المال من ساعتها على الفقراء والمساكين •• ولم تبق منه شيئاً ، فقالت لها خادمتها : يا أم المؤمنين ما استطعت أن تشتري لنا لحماً بدرهم تفطرين عليه ، فقالت : يا بنيّة لو ذكرتِني لفعلت •

ب ـ وروى الطبراني في الكبير أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أخذ أربعمائة دينار ، فجعلها في صرة ، ثم قال لغلامه : اذهب بها الى أبي عبيدة ابن الجراح ، ثم تشاغَلْ في البيت ساعة حتى تنظر ما يصنع ، فذهب بها الغلام اليه •• فقال : يقول لك أمير المؤمنين : اجعل هذه في بعض حاجتك ، فقال أبو عبيدة : وصل الله عمر ورحمه ، ثم قال : تعاليْ يا جارية ، اذهبي بهذه السبعة الى فلان ، وبهذه الخمسة الى فلان ، وبهذه الخمسة الى فلان ••

حتى أنفدها ، ورجع الغلام الى عمر فأخبره ، فوجده قد أعـد مثلها لمعاذ ابن جبل ، فقال : اذهب بها الى معاذ وتشاغل في البيت حتى تنظر ماذا يصنع، فذهب بها اليه ، فقال : يقول لك أمير المؤمنين : اجعل هذه في بعض حاجتك، فقال : رحمه الله ووصله ، تعالي يا جارية ، اذهبي الى بيت فلان بكذا ، اذهبي الى بيت فلان بكذا .. فاطلعت امرأة هي امرأة معاذ وقالت : نحن والله مساكين فأعطنا ، فلم يبق في الخرقة الا ديناران فرمى بهما اليها ، ورجع الغلام الى عمر فأخبره ، فسرّ بذلك فقال : « انهم اخوة بعضهم من بعض » .

ج ــ وفي عهد عمر ــ رضي الله عنه ــ أصاب الناس قحط وشدة ، وكانت قافلة من الشام مكوّنة من ألف جمل عليها أصناف الطعام واللباس قد حلت لعثمان رضي الله عنه ، فتراكض التجار عليه يطلبون أن يبيعهم هذه القافلة ، فقال لهم : كم تعطونني ربحاً ؟ قالوا خمسة في المائة ، قال : اني وجدت من يعطيني أكثر ، فقالوا ما نعلم في التجار من يدفع أكثر من هذا الربح ؟ فقال لهم عثمان : اني وجدت من يعطيني على الدرهم سبعمائة فأكثر ، اني وجدت الله يقول :

« مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة ، والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم » .

(البقرة : ٢٦١)

أشهدكم ــ يا معشر التجار ــ أن القافلة وما فيها من برّ ، ودقيق ، وزيت ، وسمن .. قد وهبتها لفقراء المدينة ، وانها صدقة على المسلمين .

روى البخاري في الأدب المفرد عن ابن عمر رضي الله عنهما : « لقد أتى علينا زمان وما أحد أحق بديناره ودرهمه من أخيه المسلم » .

فعلى خلق الأخوة والمحبة يجب أن ننشىء أبناءنا !!..

٣ ـ الرحمـــة :

هي رقــة في القلب ، وحساسية في الضمير ، وارهــاف في الشعور .. تستهدف الرأفة بالآخرين ، والتألم لهم ، والعطف عليهم ، وكفكفة دمــوع أحزانهم وآلامهم .. وهي التي تهيب بالمؤمن أن ينفر من الايذاء ، وينبو عن الجريمة ، ويصبح مصدر خير وبر وسلام للناس أجمعين .

ولقد جعل رسول الاسلام صلوات الله وسلامه عليه رحمة الناس بعضهم بعضاً لرحمة الله اياهم ، فقد أخرج الترمذي وأبو داود وأحمد عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال : « الراحمون يرحمهــم الرحمن ، ارحموا مَنْ في الأرض يرحمكم من في السماء » .

وحَكَمَ صلى الله عليــه وسلم على العارين من الرحمة بأنهــم هــم الأشقياء ، فقد روى الترمذي وأبو داود وغيرهما عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال : « لاتُنْزَعُ الرحمة الا من شقي » .

ورحمة المؤمن لا تقتصر على اخوانه المؤمنين ، وانما هو ينبوع يفيض بالرحمة على الناس جميعاً ، وقد قال رسول الاسلام صلوات الله وسلامه عليه لأصحابه مرة ــ فيما رواه الطبراني ــ : « لن تؤمنوا حتى ترحموا ، قالوا : يا رسول الله ، كلنا رحيم ، قال : انه ليس برحمة أحدكم صاحبه ، ولكنهــا رحمة العامة » .

بل هي رحمة تتجاوز الانسان الناطق الى الحيوان الأعجم :

فالمؤمن وحده هو الذي يرحمه ، ويتقي الله فيه ، ويعلم أن الله سبحانه سيحاسبه ويسأله إذا قصّر في حقّه أو تسبب في ايذائه ؛ وقد أعلن النبي صلى الله عليه وسلم أن الجنة فتحت أبوابها لبغيٍّ سقت كلباً فغفر الله لهــا ؛ وأن

النار فتحت أبوابها لامرأة حبست هرة حتى ماتت ، فلا هي أطعمتها ، ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض .

ورأى عمر رضي الله عنه رجلا يسحب شاة برجلها ليذبحها فقال له : « ويلك قُدْها الى الموت قوداً جميلا » .

وإليكم بعض النماذج من آثار الرحمة في المجتمع الاسلامي :

أ ــ يروي المؤرخون أن عمرو بن العاص في فتح مصر نزلت حمامة بفسطاطه (أي خيمته) فاتخذت من أعلاه عشاً ، وحين أراد عمرو الرحيل رآها ، فلم يشأ أن يهيجها بتقويضه الفسطاط ، فتركه وتكاثر العمران من حوله ، فكانت مدينة « الفسطاط » .

ب ــ وهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه الذي كان معروفاً في الجاهلية بالشدة والقسوة .. فلما فجر الاسلام ينابيع الرحمة في قلبه .. كان يرى نفسه مسؤولا أمام الله عن بغلة عثرت بأقصى العراق لأنه لم يعبّد لها الطريق.

ح ــ وهذا أبو بكر رضي الله عنه يودّع جيش أسامة بن زيد ويوصيهم قائلا : « لا تقتلوا امرأة ولا شيخاً ولا طفلا ، ولا تعقروا نخلا ، ولا تقطعوا شجرة مثمرة ، وستجدون رجالا فرّغوا أنفسهم في الصوامع ، فدعوهم ما أفرغوا أنفسهم له .. » .

د ــ ومن الأمثلة **« الوقف الخيري عند المسلمين »** :

١ ــ وقف الكلاب الضالة حيث توضع في أماكن مخصوصة للرعاية استنقاذاً لها من عذاب الجوع ، حتى تستريح بالموت أو الاقتناء .

٢ ــ وقف الأعراس : حيث يستعير الفقراء من وقف الحلى والزينة في مناسبات الاعراس والافراح . وبهذا يتيسر للفقير أن يظهر يوم الفرح بحلة رائقة ، وبمظهر جميل ، فيكتمل شعوره ، وينجبر خاطره ..

٣ ـ **وقف مؤنس المرضى والغرباء :** وذلك بتعيين من كان رخيم الصوت. حسن الأداء ، ليرتلوا الأناشيد الفكاهية ، والقصائد الشعرية طـول الليل ، بحيث يرتل كل منهم ساعة حتى مطلع الفجر سعياً وراء التخفيف عن المريض الذي ليس له من يخفف عنه ، وايناس الغريب الذي ليس له من يؤنسه .

٤ ـ **وقف الزبادي :** فكل خـادم كسرت آنيته، وتعرض لغضب مخدومه، له أن يذهب الى ادارة الوقف ، فيترك الإناء المكسور ، ويأخذ اناء جديداً بدلاً منه ، وبهذا ينجو من الغضب أو العقاب ...

هذا عدا عن وقف اطعام الجائع ، وسقاية الظمـآن ، وكسوة العاري ، وايواء الغريب ، ومعالجة المريض ، وتعليـم الجاهل ، ودفن الميت ، وكفـالة اليتيم ، واغاثة الملهوف ، ومواساة العاجز ..

ولا شك أن هذه الأوقاف والمبرات ودور العلم وغيرها ما هي الا أثر من آثار نوازع حب الخير ، وعاطفة الرحمة التي أودعها الله في قلوب المؤمنين الرحماء ، ونفوس المسلمين الاتقياء .. وهي مفخرة من مفاخر حضارتنا فـي التاريخ !..

فعلى هذه المعاني النبيلة من الرحمة يجب أن ننشىء أبناءنا !!..

٤ ـ الايثـار :

وهو شعور نفسي يترتب عليـه تفضيـل الانسان غيره على نفسه في الخيرات والمصالح الشخصية النافعة ..

والإيثار خلق نبيل اذا قصد به وجه الله تعـالى كان من أول الاصول النفسية على صدق الايمان ، وصفاء السريرة ، وطهارة النفس .. وهو فـي

الوقت نفسه دعامة كبيرة من دعائم التكافل الاجتماعي ، وتحقيق الخير لبني الانسان ..

وحسبنا أن القرآن الكريم سجل للأنصار ــ وهم جمهور المجتمع الاسلامي بها ــ هذه الصور الراقية من صور الإخاء والمواساة والايثار والنبل والتعاطف .. فقال :

« والذين تبوّؤوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولايجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ، ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة ، ومن يُوقَ شح نفسه فأولئك هم المفلحون » .

(الحشر : ٩)

هذا الإيثار الطوعي ، والتعاطف الاجتماعي الذي تجلى في أخلاق الأنصار لن تجد له مثيلا في تاريخ البشرية ، وفي أخبار الأمم ..

لقد شارك الأنصار اخوانهم المهاجرين الذي اضطهدوا في دينهم ، وأخرجوا من ديارهم ، وأضحوا لا يملكون شيئاً من متاع الحياة وزينتها .. لقد كان الأنصاري يؤاخي المهاجر ويناصره ، بل ويؤثره على نفسه في كثير من حظوظ الحياة . واذا مات أحدهما ورثه الآخر ..

وإليكم بعض الصور من مظاهر الايثار في المجتمع الاسلامي الاول :

أ ــ ذكر الغزالي في الإحياء عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : أُهديَ الى رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم رأس شاة فقال : فلان أحوج اليه مني ، فبعث به اليه ، فبعث هو أيضاً الى آخر يراه أحوج منه ، فلم يزل يبعث به واحد الى آخر حتى رجع الى الأول بعد أن تداوله سبعة .

ب ــ وهذه زينب بنت جحش الأسدية أم المؤمنين التي كانت تلقّب « بأم المساكين » لإيثارها ومواساتها .

فقد روى ابن سعد في طبقاته أن برزة بنت باتــع حدّثت أنه لما خرج العطاء أرسل عمر بن الخطاب رضي الله عنه نصيبها منــه ، فلما دخل عليهــا حامل المال ، قالت : غفر الله لعمر ! غيري من أخواتي كان أقوى على قسم هذا مني ، فقالوا : هذا كله لك ، قالت : سبحان الله ، واستترت منه بثوب ثم قالت: صبّوه واطرحوا عليه ثوباً •

قالت راوية القصة : ثم قالت لي : أدخلي يدك فاقبضي منه قبضة فاذهبي بها الى بني فلان ، وبني فلان من أهل رحمها وأيتامها ، فقسمت حتى بقيت منه بقية تحت الثوب ، فقالت لها برزة بنت باتع : غفر الله لك يا أم المؤمنين ، والله لقد كان لنا في هذا حق ، فقالت : فلكم ما تحت الثوب •• قــالت : فكشفنا الثوب فوجدنا خمسة و ثمانين درهماً •

وقبل قليل روينــا خبر عائشة رضي الله عنها التي وزعت عطاءهــا الذي بلغ ثمانين ألف درهم على الفقراء والمساكين ولم تـُبـْقِ لنفسهــا درهماً تفطر عليه ، ولو ذكرتها الخادمة لفعلت ، فنسيت نفسها في سبيل اسعاد غيرها •

ج ــ ومن عجائب الإيثار ما ذكره العدوي ــ كما روى القرطبي ــ حين قال : « انطلقت يــوم اليرموك أطلب ابنَ عمّ لي ــ ومعي شيء من الماء ــ وأنا أقول ان كان به رمق سقيته ، فإذا أنا به ، فقلت : أسقيك ؟ فأشار برأسه أنْ نعم ، فإذا برجل يقول : آه •• آه ! فأشار اليّ ابن عمي أن انطلق اليه ، فإذا هو هشام ابن العاص ، فقلت : أسقيك ؟ فأشار أنْ : نعم ، فسمع آخر يقوه : آه •• آه ! فأشار هشام أن انطلق اليه فإذا هو قد مات ، فرجعت الى هشام فإذا هو قد مات ، فرجعت الى ابن عمي فاذا هو قد مات » ولم يشرب أحد الماء لإيثار كل واحد منهم صاحبه •

فعلى هذه المعاني الكريمة من الايثار والتضحية ونكران الــذات يجب أن ننشىء أبناءنــا ••

٥ ـ العفـــو :

هو شعور نفسي نبيل يترتب عليه التسامح والتنازل عن الحق مهما كان المعتدي ظالماً وجائراً •• بشرط أن يكون المعتدى عليه قادراً على الانتقام ، وأن لا يكون الاعتداء على كرامة الدين ، ومقدسات الاسلام •• وإلاّ •• كان العفو ذلة ومهانة واستسلاماً وخضوعاً •• والعفو بهذا المعنى وبهذه الشروط شيمة خلقيـــة أصيلة تدل على ايمان راسخ ، وأدب اســـلامي رفيع •• فلا عجب أن نرى القرآن العظيم يأمر به ، ويحض عليه في أكثر مـــن آية في كتاب الله عز وجل :

ـ « **وأن تعفوا أقرب للتقوى ، ولا تنسوُا الفضل بينكم ••** » •

(البقرة : ٢٣٧)

ـ « **ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه وليّ حميم** » •

(فصلت : ٣٤)

ـ « **وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً** » •

(الفرقان : ٦٣)

ـ « **والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين** » •

(آل عمران : ١٣٤)

ومن المعلوم بداهة أن نفسية المؤمن حينما تكون متخلّقة بأخلاق الحلم والعفو والتسامح •• فإنه يكون مثلا يحتذى في الملاطفة وسموّ الخلق ، ولين الجانب ، وحسن المعشر •• بل يكون كالملك يمشي على الأرض نبـــلا وطهراً وصفـــاء !!••

وإليكم بعض الصور والنماذج في الحلم والعفو والسماحة في سيرة السلف عبر التاريخ :

أ ــ قال عبد الله بن طاهر : كنت عند المأمون يوماً ، فنادى بالخادم : ياغلام ، فلم يجبه أحد ، ثم نادى ثانياً وصاح : يا غلام ، فدخل غلام تركي وهو يقول : أما ينبغي للغلام أن يأكل ويشرب ؟ كلما خرجنا من عندك تصيح : ياغلام ، ياغلام ، الى كم ياغلام !؟.. فنكس المأمون رأسه طويلا ــ فما شككت في أن يأمرني بضرب عنقه ــ ثم نظر الي ، فقال : يا عبدالله، ان الرجل اذا حسنت أخلاقه ، ساءت أخلاق خدمه ، وانا لا نستطيع أن نسيء أخلاقنا لنحسن أخلاق خدمنا ..!!

ب ــ ومما يروى أن زين العابدين بن الحسين رضي الله عنهما استدعى غلاماً له ، وناداه مرتين فلم يُجبه ، فقال له زين العابدين : أما سمعت ندائي؟ فقال : بلى ، قد سمعت ، قال : فما حملك على ترك اجابتي ؟ قال : أمِنْت منك ، وعرفت طهارة أخلاقك فتكاسلت ، فقال : الحمد لله الذي أمِنَ مني غلامي !..

ومما يروى عنه أيضاً انه خرج مرة الى المسجد فسبّه رجل ، فقصده غلمانه ليضربوه ويؤذوه ، فنهاهم زين العابدين وقال لهم : كفّوا أيديكم عنه، ثم التفت الى ذلك الرجل وقال : يا هذا ، أنا أكثر مما تقول ، وما لا تعرفه مني أكثر مما عرفته ، فإن كان لك حاجة في ذكره ذكرته لك، فخجل الرجل واستحيا، فخلع زين العابدين قميصه ، وأمر له بألف درهم ، فمضى الرجل وهو يقول : أشهد أن هذا الشاب ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ومما يروى عنه كذلك ان غلامه كان يصب له الماء بإبريق مصنوع من خزف (من طين) فوقع الابريق على رجل زين العابدين فانكسر ، وجرحت رجله ، فقال الغلام على الفور ــ يا سيدي ــ يقول الله تعالى :« والكاظمين

الغيظ » ، فقال زين العابدين : لقد كظمت غيظي ، ويقول : « والعافين عن الناس » ؛ فقال : لقد عفوت عنك ، ويقول : « والله يحب المحسنين » ، فقال زين العابدين : أنتَ حر لوجه الله !!..

ج ـ وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : لما قدم عُيَيْنَةَ ابن حصين نزل على ابن أخيه الحرّ بن قيس ، وكان من النفر الذين يدنيهم عمر اذ كان القراء أصحاب مجلس أمير المؤمنين ومشاورته ، كهولا كانوا أو شباناً ..

فقال عيينه : استأذن لي على أمير المؤمنين ، فاستأذن له فلما دخل قال: هيه يا ابن الخطاب ، فو الله ما تعطينا الجزل (أي الكثير) ، ولا تحكم بيننا بالعدل ، فغضب عمر حتى همّ أن يوقع به .

فقال الحرّ : يا أمير المؤمنين ، ان الله يقول لنبيه : « خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين » ، وان هذا من الجاهلين ، فو الله ما جاوزها عمر حين تلاها عليه ، وكان وقّافاً عند كتاب الله عز وجل !!..[1] .

د ـ ومما جاء في أسباب النزول أن قريباً لأبي بكر رضي الله عنه اسمه « مسطح » كان يعيش على احسان أبي بكر وكفالته ، لم يتورّع عن الخبط في عرض السيدة عائشة لما شيّع عليها المنافقون ما شيّعوا في حادثة الإفك ، فنسي مسطح بذلك حق الاسلام ، وحق القرابة ، وحق التكافل .. مما أثار حفيظة أبي بكر رضي الله عنه ، وجعله يحلف أن يهجر قريبه هذا ، ولايصله ؛ فنزل قوله تعالى :

« ولا يأتل[2] أولو الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله ، وليعفوا وليصفحوا ألا تحبّون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم » .

(التوبة : ٨٠)

---

(١) رواه البخاري .
(٢) ولا يأتل : ولا يحلف .

فعفا أبو بكر رضي الله عنه وصفح ، وعاد الى عطائه الأول قائـلا : اني أحب أن يغفر الله لي ...!

وما هذا الخلق العظيم من العفو والصفح والتسامح والحلم .. الا بفضل ما اقتبسوه تأسياً من أخلاق الداعية الأول صلوات الله وسلامه عليه ، وبفضل ما امتثلوه من توجيهاته الكريمة عليه الصلاة والسلام .. حتى تسمو أخلاقهم من توجيهاته الكريمة التحلي بخصال التسامح والحلم .. حتى تسمو أخلاقهم على أخلاق السوقة والعبيد ، وتتميز مكارمهم من مكارم الخاصة والعامة ..

روى أبو داود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من كظم غيظاً وهو يستطيع أن ينفذه دعاه الله يوم القيامة على رؤوس الخلائق حتى يخيّره في أي الحور العين شاء » .

وروى الطبراني عن عبادة بن الصامت قال : قال رسول الله صلى اللهعليه وسلم : « ألا أنبئكم بما يشرف الله به البنيان ، ويرفع الدرجات » ؟ ، قالوا: نعم يارسول الله ، قال : « تحلم على من جهل عليـك ، وتعفو عمن ظلمك . وتعطي مـن حرمك ، وتصل من قطعك » .

فعلى هذه الفضائل من الحلم والتسامح والعفو يجب أن ننشىء أبناءنا !!

٦ ــ الجــرأة :

هي قوة نفسية رائعة يستمدها المؤمن من الايمان بالواحد الأحد الذي يعتقده ، ومن الحق الذي يعتنقه ، ومن الخلود الذي يوقن به ، ومن القدر الذي يستسلم اليه ، ومن المسؤولية التي يستشعر بها ، ومن التربيـة التي يُنَشَّأ عليها ..

وعلى قدر نصيب المؤمن من الإيمان بالله الذي لايغلب ، وبالحق الذي لايخذل ، وبالقدر الذي لايتحول ، وبالمسؤولية التي لاتكل ، وبالتربية التي

لاتسل ·· بقدر هذا كله يكون نصيبه من قوة الشجاعة والجرأة ، وقول كلمـــة الحـــق ··

ونرى هذا بارزاً في شخصية أبي بكر رضي الله عنه الذي كان أرجح المؤمنين ايماناً بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقد تمثل ايمانه فيمواقف جعلت عمر القوي الشديد يقول عنه : « والله لو وزن ايمان أبي بكر بإيمان هذه الأمة لرجح ايمان أبي بكر ·· » ·

موقفــه : يــوم توفي الرسول صلوات الله وسلامه عليـــه فذهل المسلمون ، وأخرجتهم الفجيعة عن وعيهم ورشدهم ، حتى روي أن عمر قال : من قال إن محمداً مات ضربت عنقه بسيفي هذا ! · هناك وقف أبو بكر رضي الله عنه يؤذن في الناس بصوت جهير ويقول : « من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ، ومن كان يعبد الله فان الله حي لايموت » ، وتلا قوله تبارك وتعالى :

« وما محمد إلا رسول قـــد خلت من قبله الرسل ، أفإن مـــات أو قتـــل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضـــر الله شيئـــاً وسيجزي الله الشاكرين » ·

(آل عمران : ١٤٤)

وموقفـــه بعد ذلك يوم تردّد المسلمون في إنفـــاذ جيش اسامة الذي جهزه النبي صلى الله عليه وسلم الى الشام قبل مرض موته ، فقد طلبوا من أبي بكر أن يوقف مسيرهذا الجيش، بسبب أن الغد مليء بالاحداث والاحتمالات، ولايدري أحد ماذا يفعل العرب في القبائل والقرى اذا علموا أن النبي صلى الله عليه وسلم قد مات ·· ولكن أبا بكر أجابهم في حزم عازم ، وقال : « والذي نفس أبي بكر بيده ، لو ظننت أن السباع تختطفني لأنفذت بعث أسامة كما أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ما كنت أحلّ عقدة عقدها رسول الله بيده ، ولو لم يبق في القرى غيري لأنفذته ·· » ·

وموقفه رضي الله عنــه في حرب المرتدين وما نعي الزكاة في الوقت الذي برزت فيه قرون العصبية الجاهلية كأنها قرون الشياطين ، وكان المسلمون ــ بعد موت الرسول صلى الله عليه وسلم ــ كالغنم في الليلة المطيرة ، كما وصفتهم السيدة عائشة رضي الله عنها ، وحتى قال بعض المسلمين لأبي بكر : يا خليفة رسول الله . لا طاقة لك بحرب العرب جميعاً .. الزم بيتك ، وأغلق بابك ، واعبد ربك حتى يأتيك اليقين .. ولكن هذا الرجل الخاشع البكّاء ، الرقيق كالنسيم ، اللّين كالحرير ، الرحيم كقلب الأم ، ينقلب في لحظات الــى رجل ثائر كالبحر ، زائر كالليث ، يصيح في وجه عمر : أجبار في الجاهلية . وخوّار في الاسلام ؟ لقد تمّ الوحي واكتمل .. أفينقص الدين وأنا حي ؟ والله لو منعوني عقال بعير كانوا يؤدونه لرسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم عليه ، والله لأقاتلنهم مااستمسك السيف بيدي ، فما كان من عمر رضي الله عنه الا أن قال : لقد شرح الله صدر أبي بكر للقتال فعلمت أنــه الحــق[1] .

ومن هنا كانت فضيلة **الجرأة بالحــق من أعظم الجهــاد** لما روى ابو داود والترمذي وابن ماجه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر » .

ومن هنا كان الذي يستشهد في سبيل كلمة الحق سيد الشهداء لــما روي عن الحاكم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب ، ورجل قام الى امام جائر فأمره ونهاه فقتله » .

ومن هنا كان صلى الله عليه وسلم **يأخذ العهد من أصحابه علــى أن يقولوا بالحق أينما كانوا :** فقد روى مسلم في صحيحه عن عبادة بن الصامت رضي الله

---

(١) من كتاب « الايمان والحياة » للاستاذ يوسف القرضاوي ص ٢٧٤ مــع شيء من التصرف .

عنه أنه قال : « بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة في العسر واليسر ، والمنْشَط والمكْره ، وعلى أثَرَةٍ علينا ، وعلى ألاّ ننازع الأمر أهله الا أن تروا كفراً بَواحاً عندكم من الله فيه برهان ، وعلى أن نقول بالحق أينما كنا لانخاف في الله لومة لائم » .

ومن هنا كان امتداح الله سبحانه للذين يبلغون رسالات ربهم ولا يخشون أحداً إلا الله ، قال تعالى : « الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ، ولا يخشون أحداً إلا الله وكفى بالله حسيباً » .

(الأحزاب : ٣٩)

ولو أردنا أن نتصفح سِفْر رجال الاسلام في التاريخ لرأيناه سفراً حافلا بالامجاد والبطولات، زاخراً بالجرأة الادبيةفي سبيل الحق والاسلام ..

وإليكم بعض الأمثلة الحية من مواقفهم البطولية :

أ ـ من مواقف **العزّ بن عبد السلام** أنه قال مرة لسلطان مصر « نجم الدين أيوب » ، وكان في مجلس حافل برجال الدولة : يا أيوب !.. ماحجتك عند الله اذا قال لك : ألم أبوِّيء لك ملك مصر ثم تبيح الخمور ؟ فقال : هل جرى هذا ؟ فقال : نعم ، الحانة الفلانية يباع فيها الخمور ، وتستباح فيها المنكرات ، وأنت تتقلب في نعمة هذه المملكة ، فقال : هذا أنا ماعلمته هذا من زمان أبي ، فقال العز بن عبد السلام : أنت من الذين يقولون :

إنا وجدنا آباءنا على أمّة(١) وإنا على آثارهم مقتدون » .

(الزخرف : ١٣)

فرسم السلطان بإبطال تلك الحانة واغلاقها ..

ب ـ كان سلمة بن دينار **المكنّى بأبي حازم** يدخل على معاوية ، فيقول :

---

(١) أمّة : طريقة ودين .

السلام عليك أيها الأجير ، فإذا حاولوا أن يقولوا لأبي حازم قل : السلام عليك أيها الامير ، أبى عليهم ذلك ، ثم التفت الى معاوية فقال له : « انما أنت أجير هذه الأمة ، استأجرك ربك لرعايتها » .

ج ـ واليكم هـذه المحاورة التي جرت **بينه وبين سليمان بن عبد الملك :**

قال سليمان : يا أبا حازم مالنا نكره الموت ؟

قال : لأنكم خربتم آخرتكم ، وعمرتم الدنيا ، فكرهتم أن تنتقلوا من العمران الى الخراب .

قال سليمان : فكيف القدوم غداً على الله ؟

قال : أما المحسن فكالغائب يقدم على أهله ، وأما المسيء فكالعبد الآبق يقدم على مولاه .

قال سليمان : أي القول أعدل ؟

فقال : قول الحق عند من تخافه أو ترجوه .

قال سليمان : فأي المؤمنين أكْيَس ؟ (أي أعقل) .

قال : رجل عمل بطاعة الله ، ودلّ الناس عليها .

قال سليمان : فأيّ المؤمنين أحمق ؟

قال : رجل انحطّ في هوى أخيه وهو ظالم ، فباع آخرته بدنيا غيره .

قال سليمان : هل لك يا أبا حازم أن تصحبنا ، فتصيب منا ، ونصيب منك ؟

قال : أعوذ بالله !..

قال سليمان : ولِمَ ذاك ؟

قال : أخشى أن أركن اليكم قليلا ، فيذيقني الله ضعف الحياة ، وضعف الممـات •

فقال له سليمان وقد قام ليذهب : أوصني ياأبا حازم ••

فقال : سأوصيك وأوجز : « عظّم ربك ، ونزّهه أن يراك حيث نهاك ، أو يفقدك حيث أمرك » !!••

فعلى هذه الفضيلة من الثبات والجرأة في الحق يجب أن ننشيء أولادنا!!..

★ ★ ★

تلكم هي أهم الاصول النفسية التي يسعى الاسلام جهده الى غرسها في نفس المؤمن ، وكلها تتضافر في تكوين الشخصية المسلمة ، وكلها تشير الى أن الاسلام في تحقيق التربية الاجتماعية لدى الأفراد يجب أن يبدأ من نقطة بناء الفرد بناء صحيحاً ، وان أي تربية أو تكوين لايقوم على هـذه الأصول النفسية التي وضع قواعدها الاسلام فإن التربية تكون فاشلة ، وان ارتباط الفرد بالمجتمع يكون أوهن من بيت العنكبوت •

لـذا وجب عـلى الآبـاء والمربـين جميعاً وعلى الأمهـات بشكل خـاص أن يرسّخوا في نفوس أطفالهم عقيدة الايمان والتقوى ، وفضيلة الأخوة والمحبة ، ومعاني الرحمة والإيثار والحلم •• وخُلق الإقدام والجرأة في الحق •• وغيرها من الاصول النفسية النبيلة •• حتى اذا شبّ الاولاد عن الطوق ، وبلغوا السنّ التي تؤهلهم أن يخوضوا خضمّ الحياة •• أدّوا ما عليهم من واجبـات ومسؤوليات دون تواكل أو تردد أو قنوط •• ثم بالتالي قاموا بكل الالتزامات نحو الآخرين دون اهمال لحق أو تقصير في الواجب •• بل كانت معاملاتهم وآدابهم وأخلاقهم الاجتماعية على أحسن ما رأى الناس ، وأسمى مما يتصوره الخيال •

وأي نظام في التربية لايقوم على هذه الأصول النفسية ، والأسس التربوية ، يكون كمن رأى شجرة بدأ يدب فيها الاصفرار والذبول فأخذ يعالجها من أوراقها ، ولم يلتفت الى اصلاح الجذر الذي اذا صلح صلحت الشجرة كلها ..

وبعبارة أوضح أن الذي يقوم بمسؤولية التربية الاجتماعية اذا لم تَبْنِ تربيته على هذه الأصول النفسية الثابتة كان كمن يرقم على ماء ، ينفخ في رماد ، ويصرخ في واد دون فائدة أو جدوى ..



مراعاة حقوق الآخرين

سبق أن ذكرنا في مبحث « غرس الاصول النفسية النبيلة » أن الاسلام أقام قواعد التربية الفاضلة على أصول نفسية نبيلة تتصل بالعقيدة ، وترتبط بالتقوى ... لتتم التربية الاجتماعية لدى الفرد على أنبل معنى ، وأكمل غاية ... حتى ينشأ المجتمع على التعاون المثمر ، والترابط الوثيق . والأدب العالي ، والمحبة المتبادلة ، والنقد الذاتي البناء ..

وكنا ألمحنا الى أن من أميزالأصول التي يجبأن يقوم التعامل الاجتماعي على أساسها هي : عقيدة الايمان والتقوى . وفضيلة الأخوة والمحبة . ومبادىء الرحمة والإيثار والحلم .. وخُلق الإقدام والجرأة في الحق ..

وكنا أكدنا أن المربين جميعاً اذا لم يرسخوا هذه الاصول النفسية في نفوس أطفالهم منذ الصغر .. فإنهم ــ ولاشك ــ سيسيرون في المجتمع في طريق الشذوذ والانحراف .. بل يكونون أداة هدم واجرام وتخريب لكيان المجتمع وتماسكه .. واذا شبّوا على هذا الفساد والانحراف .. لاينفع معهم توجيه ولا تربية ولا اصلاح !!..

فالذي نخلص اليه بعد هذه التقدمة أن مراعاة حقوق المجتمع متلازمة كل التلازم مع الأصول النفسية النبيلة ، بل بعبارة أوضح أن الاصول النفسية معنى، وان مراعاة حقوق المجتمع مظهر، وان شئت فقل : الأولى روح،

والثانية جسم ، فلا يمكن استغناء الاولى عن الثانية بحال •• والا كان الخلل والفوضى والاضطراب ••

ولكن ماهي أهم هذه الحقوق الاجتماعية التي يجب أن نرشد الولد اليها ، وننشئه عليها ، ونأمره بها •• حتى يعتاد عليها ويقوم بأدائها خير قيام ؟••

أهم هذه الحقوق هي :

١ ـ حق الأبوين •

٢ ـ حق الأرحام •

٤ ـ حق المعلم •

٥ ـ حق الرفيق •

٦ ـ حق الكبير •

ولنتكلم عن كل حق من هذه الحقوق بشيء من التفصيل ، ليقوم المربي على غرسها وترسيخها في الولد منذ نشأته وعلى الله التكلان ، وهو المستعان:

١ ـ حق الأبوين :

ان من أهم ما يجب أن يحرص المربي عليه تعريف الولد بحق والديه عليه وذلك ببرّهما وطاعتهما والاحسان اليهما والقيام بخدمتهما ، ورعاية شيخوختهما ، وعدم رفع الصوت فوق صوتهما ، والدعاء لهما بعد مماتهما •• الى غير ذلك من هذه الحقوق الواجبة ، والآداب الأبوية اللازمة ••

وهذه طائفة **من وصايا النبي صلى الله عليه وسلم** في برّ الوالدين ، فعلى الآباء والمربين أن يعلّموها أولادهم منذ الصغر حتى يأخذوا بها ، ويعملوا على ارشاداتها •

أ ـ رضي الله في رضاهما : روى البخاري (في الأدب المفرد) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : « ما من مسلم له والدان مسلمان يصبح اليهما محتسباً الا فتح الله له بابين ـ يعني الجنة ـ وان كان واحداً فواحد ، وان غضب أحدهما لم يرض الله عنه حتى يرضى عنه ، قيل : وان ظلماه ؟ قال : وان ظلماه » .

وجاء في سبل السلام عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « رضي الله في رضى الوالدين، وسخط الله في سخط الوالدين » .

ب ـ برهما مقدم على الجهاد في سبيل الله : روى البخاري عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : قال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم : أجاهد ، قال : لك أبوان ؟ قال : نعم ، قال : ففيهما فجاهد .

وروى أحمد والنسائي عن معاوية بن جاهمة السلمي أن جاهمة رضي الله عنه أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يارسول الله أردت الغزو وجئت أستشيرك ، فقال : هل لك من أم ؟ قال نعم ، قال : « الزمها فان الجنة عند رجليها » .

وروى مسلم في صحيحه عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال : أقبل رجل الى نبي الله صلى الله عليه وسلم فقال : أبايعك على الهجرة والجهاد أبتغي الاجر من الله ، قال : فهل من والديك أحد حيّ ؟ قال : بل كلاهما قال : فتبتغي الأجر من الله ؟ قال : نعم ، قال : « فارجع الى والديك فأحسن صحبتهما » .

ح ـ من البر الدعاء لهما بعد مماتهما وإكرام صديقهما : امتثالا لأمر الله

تبارك وتعالى : « واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقــل رب ارحمهما كمــا ربياني صغيراً » .

(الاسراء : ٢٤)

وروى البخاري في (الادب المفرد) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : « ترفع للميت بعد موته درجته فيقول : أي ربي أي شيء هــذا ؟ فيقول له : ولدك استغفر لك » .

وروى أبو داود وابن ماجه والحاكم عن مالك بن ربيعــة قال : بينمــا نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ جاءه رجل من بني سلمة ، فقال : يارسول الله ، هل بقي علي من برّ أبوي شيء أبرّهما به بعــد وفاتهما ؟ قال : نعم ، « الصلاة عليهما ، والاستغفار لهما ، وانفاذ عهدهما ، واكرام صديقهما ، وصلة الرحم التي لاتوصل الا بهما » .

هذا عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما يضرب لنا المثل الصالح في الولد الصالح البار ؛ ويروي لنا ذعبد الله بن دينار ذلك فيقول : ــ كما روى مسلم في صحيحه ــ ان عبد الله ابن عمر لقيه رجل بطريق مكة فسلّم عليه عبد الله ، وحمله على حمار كان يركبه ، وأعطاه عمامة كانت على رأسه ، قال ابن دينار : فقلنا له : أصلحك الله انهم الأعراب ، وانهم يرضون باليسير ، فقال عبد الله : ان أبا هذا كان ودّاً لعمر بن الخطاب ، واني سمعت رســـول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ان أبرّ البر صلة الرجل أهل ودّ أبيه » .

وجاء في (مجمع الزوائد) عن أنس رضي الله عنه أن رسول اللــه صلى الله عليه وسلم قال : « من البرّ أن تصل صديق أبيك » .

د ــ تقديم الأم بالبر على الأب : لمــا روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يارسول الله ،

من أحق بحسن صحابتي ؟ قال : أمك . قال : ثم مَنْ ؟ قال : أمك . قال : ثم من ، قال : أمك . قال : ثم من ؟ قال : أبوك .

وروى ابن كثير في تفسيره عن سليمان بن بريدة عن أبيه أن رجلا كان في الطواف حاملا أمه يطوف بها ، فسأل النبي صلى الله عليه وسلم هل أديت حقها ؟ قال : لا ، ولا بزفرة[1] واحدة .

وجاء في (مجمع الزوائد) عن بريدة أن رجلا جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يارسول الله اني حملت أمي على عنقي فرسخين في رمضاء شديدة لو ألقيت فيها بضعة لحم لنضجت فهل أديت شكرها ؟ فقال : لعله أن يكون لطلقة واحدة .

والاسلام قدم الأم بالبر على الأب لسببين :

الأول : ان الأم تعاني بحمل الولد وولادته وارضاعه والقيام على أمره وتربيته أكثر مما يعانيه الاب ، وجاء ذلك صريحاً في قوله تبارك وتعالى :

« ووصينا الانسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفصاله في عامين أن اشكر لي ولوالديك إليّ المصير » .

وقبل قليل سمعنا قول الرجل الذي قال للرسول صلى الله عليه وسلم اني حملت أمي على عنقي ... فهل أديتُ شكرها ؟ وسمعنا جوابه عليه الصلاة والسلام : « لعله أن يكون لطلقة واحدة » .

ومن طرائف مايذكر في هذا أن رجلا سمع أعرابياً حاملا أمه في الطواف وهو يقول :

---

(١) يقصد التوجع الذي تلاقيه الأم اثناء الحمل والولادة .

انّي لهــا مطية لا أذعرُ[1] اذا الركاب[2] نفرت لا أنفر

ماحملت وأرضعتني أكثرُ الله ربي ذو الجــلال أكبرُ

ثم التفت الى ابن عباس وقال : أتراني قضيت حقّها ؟ .

قال لا والله ولا طلقة من طلقاتها .

الثاني : ان الأم ــ بما جبلت عليه من عاطفة وحب وحنان ــ أكثر رحمة وعناية واهتماماً من الأب .. فالولد قد يتساهل في حق أمه عليه لما يرى من ظواهر عطفها ورحمتها وحنانها .. لهذا جاءت الشريعة الغراء موصية الولد بأن يكون أكثر براً بها ، وطاعة لها .. حتى لايتساهل في حقها ، ولايتغاضى عن برها واحترامها واكرامها ..

ومما يؤكد حنان الأم وشفقتها ان الولد مهما كان عاقاً لها ، مستهزئاً بها، معرضاً عنها .. فإنها تنسى كل شيء حين يصاب بمصيبة ، أو تحل عليــه كارثــة ..

ذكر أبو الليث السمرقندي عن أنس رضي الله عنه : (أن شاباً كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمى علقمة ، فمرض واشتد مرضه ، فقيل له : قل لا اله الا الله فلم ينطق لسانه ، فأخبر بذلك النبي صلى اللــه عليه وسلم فقال : هل له أبوان ؟ فقيل : أما أبوه فقد مات ، وله أمّ كبيرة ، فأرسل اليها ، فجاءت ، فسألها عن حاله فقالت : يارسول الله كان يصلي كذا وكذا ، وكان يصوم كذا وكذا ، وكان يتصدق بجملة دراهم ماندري ماوزنها وما عددها ؟ قال : فما حالك وحاله ؟ قالت : يارسول الله أنا عليه ساخطــة

---

(١) لا اذعر : لا افزع .

(٢) الركاب : الابــل .

واجِدَة ، قال لها : ولمَ ذلك ؟ قالت : كان يؤثر عليّ امرأته ويطيعها في الاشياء ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « سخط أمه حجب لسانه عن شهادة أن لااله الا الله » •

ثم قال : يا بلال ، انطلق واجمع حطباً كثيراً حتى أحرقه بالنار ، فقالت : يا رسول الله ! ابني وثمرة فؤادي تحرقه بالنار ، بين يدي ؟ وكيف يحتمل قلبي ذلك ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يسرّك أن يغفر الله له فارضي عنه ؟ فوالذي نفسي بيده لاينتفع بصلاته ولا بصدقته •• مادُمتِ ساخطة ، فرفعت يدها وقالت : أُشهد الله تعالى في سمائه ، وأنت يارسول الله ومن حضر أني قد رضيت عنه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا بلال ، انطلق فانظر هل يستطيع علقمة أن يقول : لا اله الا الله فلعل أمه قد تكلمت بما ليس في قلبها حياء من رسول الله ؛ فانطلق بلال ، فلما انتهى الى الباب سمعه يقول : لا اله الا الله ؛ ومات من يومه وغسل وكفن ، وصلّى النبيّ عليه الصلاة والسلام عليه ، ثم قام على شفير القبر ، وقال : يامعشر المهاجرين والانصار من فضل زوجته على أمه فعليه لعنة الله ، ولايقبل منه صرف[1] ولاعَدل[2]) وروى الحديث بلفظ آخر الطبراني وأحمد • لهذين السببين كان بر الأم مقدماً على بر الأب ••

ألا فليعلم المربون هذا ، ليقوموا بمهمتهم الكبرى في تلقين الولد حقيقة البر ، والعطف على الأم ، والعناية بها ، والقيام بحقها ••!!

هـ ــ آداب البر بالأبوين : على المربين أن يلقنوا الأولاد هذه الآداب السلوكية مع آبائهم وأمهاتهم وهي مرتبة كما يلي : ألا يمشوا أمامهم ، وألا ينادون بأسمائهم ، وألا يجلسوا قبلهم ، وألا يتضجروا من نصائحهم ، وألا

---

(١) الصرف : التوبة .
(٢) العدل : الفدية .

يأكلوا من طعام ينظرون اليه ، وألا يَرْقَوا مكاناً عالياً فوقهم ، وألا يخالفوا أمرهم ...

والأصل في مراعاة هذه الآداب قوله تبارك وتعالى :

« وقضى ربك ألا تعبدوا الا إياه وبالوالدين احساناً ! إما يبلغنّ عندك الكِبَرَ احدهما أو كلاهما فلا تقل لهما اف(١) ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريماً واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيراً » .

(الاسراء : ٢٣ ـ ٢٤)

وقوله عليه الصلاة والسلام :

ـ « ما برّ أباه من سدّد اليه الطرف بالغضب » (مجمع الزوائد) ج : ٨ .

ـ عن عائشة رضي الله عنها قالت : أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل ومعه شيخ فقال له : يا هذا من هذا الذي معك ؟ قال : أبي ، قال : فلا تمش أمامه ، ولاتجلس قبله ، ولاتَدْعُهُ باسمه ، ولاتستسب له » (مجمع الزوائد) ج : ٨ .

وهذه طائفة من اخبار السلف في التزام هذه الآداب مع آبائهم :

● ذكر صاحب عيون الأخبار هذا الخبر : قيل لعمر بن زيد : كيف برّ ابنك بك ؟ قال : ما مشيت نهاراً قط إلاّ وهو خلفي، ولا ليلا إلاّ مشى أمامي، ولا رقى سطحاً وأنا تحته .

---

(١) افّ : كلمة تضجر وتأفف .

● وذكر صاحب (مجمع الزوائد) هذه القصة : عن أبي غسان الضبّي قال : خرجت أمشي مع أبي بظهر الحرة ، فلقيني أبو هريرة فقال : مــن هذا ؟ قلت : أبي ، قال : « لاتمش بين يدي أبيك ولكن امش خلفه أو الى جانبه . ولا تَدَعْ أحداً يحول بينك وبينه . ولاتمش فوق اجّار (سطح) أبيك . ولا تأكل عَرْقاً[1] قد نظر أبوك اليه لعلّه اشتهاه » .

● ومما جاء في (عيون الاخبار) : قال المأمون رحمه الله : لم أر أحداً أبرّ من الفضل بن يحيى بأبيه ، بلغ من بره أن يحيى كان لايتوضأ الا بماء مسخن ، وهما في السجن ، فمنعهما السجان من ادخال الحطب في ليلة باردة . فقام الفضل ــ حين أخذ أبوه يحيى مضجعهُ ــ الى قمقم كان يسخن فيه الماء ، فملأه ثم أدناه من نار المصباح ، فلم يزل قائماً وهو في يده حتى أصبح . فعل كل هذا بِرّاً بأبيه ليتوضأ بالماء الساخن .

● وحضر صالح العباسي مجلس المنصور مرة ، وكان يحدثه ، ويكثــر من قوله : (أبي رحمه الله) ، فقال له حاجبه الربيع : لاتكثر من الترحم على أبيك بحضرة أمير المؤمنين ، فقال : لاألومك فانك لم تذق حلاوة الآباء ، فتبسم المنصور وقال : هذا جزاء من تعرض لبني هاشم .

● وروى ابن حبان في صحيحه : أن رجلا أتى أبا الدرداء ، فقال : ان أبي لم يزل بي حتى زوّجني ، وانه الآن يأمرني بطلاقها ؟ قال : ماأنا الذي آمرك أن تَعُقّ والديك ، ولا بالذي آمرك أن تطلّق امرأتك غير أنــك ان شئت حدثتُك بما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، سمعته يقول: الوالد أوسط أبواب الجنة ، فحافظ على ذلــك الباب ان شئت أو دَعْ[1] . قال : فأحسب عطاء قال : فطلّقها .

---

(١) العَرْق : العظم اذا اخذ عنه معظم اللحم

(١) دعْ : اي اترك وتجنب .

وفي رواية ابن ماجه والترمذي أن رجلا أتى أبا الدرداء فقال : ان لي امرأة ، وان أمي تأمرني بطلاقها ؟ ، فقال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : الوالد أوسط أبواب الجنة ، فإن شئت فأضع هذا الباب أو احفظه .

● وروى ابن ماجه وابن حبان في صحيحه عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : كان تحتي امرأة أحبها ، وكان عمر يكرهها ، فقال لي : طلقها فأبيت ، فأتى عمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فذكر ذلك له ، فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : طلقها .

و ـ **التحذير من العقوق** : العقوق معناه العصيان والمخالفة وعدم أداء الحقوق .. فمن العقوق أن ينظر الولد الى أبيه نظرة شزر عند الغضب .

ومن العقوق أن يعتبر الولد نفسه مساوياً لأبيه .

ومن العقوق أن يتعاظم الولد عن تقبيل يدي والديه أو لاينهض لهما احتراماً واجلالا ..

ومن العقوق أن يستحوذ الغرور على الولد فيستحيي أن يُعرّف بأبيه لاسيما اذا كان الولد في مركز اجتماعي مرموق .

ومن العقوق ألا يقوم الولد بحق النفقة على أبويه الفقيرين فيضطرهما الى اقامة الدعوى عليه ليلزمه القاضي الانفاق عليهما .

ومن أكبر العقوق أن يتأفف الولد من أبويه ويتضجر منهما ويعلو صوته عليهما ، ويقرّعهما بكلمات مؤذية جارحة ، ويجلب الاهانة لهما ، والمسبة لشخصهما ..

فلا عجب أن يحذر عليه الصلاة والسلام من العقوق ، وأن يبين ما للعاق من الإثم والوزر وحبوط العمل ، والانتقام في العاجلة والآجلة :

ــ روى البخاري ومسلم عن أبي بكر رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ثلاثاً ؟ قلنا : بلى يارسول الله ، قال : الإشراك بالله ، وعقوق الوالدين ، وكان متكئاً فجلس ، فقال : ألا وقول الزور ، وشهادة الزور ، فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت (رحمة به واشفاقاً عليه) .

ــ وروى أحمد والنسائي والبزار والحاكم عن عبد الله ابن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ثلاثة حرّم الله تبارك وتعالى عليهم الجنة : « مدمنُ الخمر ، والعاق لوالديه ، والديّوث الذي يقر الخبث في أهله » .

ــ وروى البخاري ومسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من الكبائر شتم الرجل والديه ، قال : يا رسول الله ، وهل يشتم الرجل والديه ، قال : نعم يسبّ أبا الرجل فيسب أباه ، ويسب أمه فيسب أمه » .

ــ وروى أحمد وغيره عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال : أوصاني رسول الله صلى الله عليه وسلم بعشر كلمات ، قال : « لاتشرك بالله شيئاً وان قتلت وحرّقت ، ولاتعقّنّ والديك وان أمراك أن تخرج من أهلك ومالك ... » .

ــ وروى الحاكم والأصبهاني عن أبي بكرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « كل الذنوب يؤخر الله ما شاء الى يوم القيامة الا عقوق الوالدين ، فإن الله يعجّله لصاحبه في الحياة قبل الممات » .

ـــ وسبق أنذكرنا حديث علقمة في بحث « تقديم الأم على الأب في البر » فارجع اليه لترى نتيجة من يعق والديه •

ـــ وروى الاصبهاني وغيره عن أبي العباس الأصم عن العوّام بن حوشب رضي الله عنه قال : نزلت مرة حيّاً ، والى جانب ذلك الحي مقبرة ، فلما كان بعد العصر انشق منها قبر فخرج رجل رأسه رأس حمار ، وجسده جسد انسان ، فنهق ثلاث نهقات ، ثم انطبق عليه القبر ، فإذا عجوز تغزل شعراً أو صوفاً ، فقالت امرأة : ترى تلك العجوز ؟ قلت : مالها ؟ قالت : تلك أم هذا ، قلت : وماكانت قصته ؟ قالت كان يشرب الخمر فاذا راح تقول له أمه : يابنيّ اتق الله الى متى تشرب هذه الخمر ؟ فيقول لها : انما أنت تنهقين كما ينهق الحمار ، قالت : فمات بعد العصر ، قالت : فهو ينشق عنه القبر بعد العصر كل يوم ، فينهق ثلاث نهقات ثم ينطبق عليه القبر •

★ ★ ★

هذه هي أهم الأسس التي يجب على المربي أن ينشيء ولده عليها ، ويلقنه اياها حتى يتدرج الولد على البر ، ويفهم منذ نعومة أظفاره حق الابوين ••

واذا كان الولد منذ الصغر يقوم بهذا الحق على الوجه الصحيح الذي يريده الاسلام فان قيامه بالحقوق الاخرى من أرحام وجيران ومعلمين •• يكون أرغب وآكد •• لأن فضيلة بر الوالدين هي منبع الفضائل الاجتماعية جميعاً ، فمن السهل على الولد الذي تربى على البر واحترام الأبوين •• أن يتربى على احترام الجار ، واحترام الكبير ، واحترام المعلم ، واحترام الناس جميعاً •••

لهذا كله ـــ كان تركيزي في البحث على حق الوالدين أكثر من أي

حق من الحقوق الاجتماعية التي سيأتي التفصيل عنها ، ذلك لأن فضيلة البر بالأبوين هي أسّ الفضائل جميعاً ، بل هي منطلق لكل حق اجتماعي في هذا الوجود !!..

فاستنتاجاً مما ذكر نضع بين يدي المربي أهم التوجيهات التي يجب أن يلقن عليها الولد :

١ ــ اطاعة الأم والأب في كل ما يأمران به الولد الا المعصية .

٢ ــ مخاطبتهما بلطف وأدب .

٣ ــ النهوض لهما اذا دخلا عليه .

٤ ــ تقبيل يديهما صباحاً ومساء وفي المناسبات .

٥ ــ المحافظة على سمعتهما وشرفهما ومالهما .

٦ ــ اكرامهما واعطاؤهما كل ما يطلبان .

٧ ــ مشاورتهما في كل الاعمال والامور .

٨ ــ الإكثار من الدعاء والاستغفار لهما .

٩ ــ اذا كان عندهما ضيف فالجلوس بقرب الباب ، ومراقبة نظراتهما لعلهما يأمران بشيء خفية .

١٠ ــ العمل على مايسرهما من غير أن يأمرا الولد به .

١١ ــ عدم رفع الصوت عالياً أمامهما .

١٢ ــ عدم مقاطعتهما أثناء الكلام .

١٣ ــ عدم الخروج من الدار اذا لم يأذنا .

٤١ ــ عدم ازعاجهما اذا كانا نائمين .

١٥ ـ عدم تفضيل الزوجة والولد عليهما .

١٦ ـ عدم لومهما اذا عملا بعمل لايعجبك .

١٧ ـ عدم الضحك بحضرتهما اذا لم يكن ثمّة موجب للضحك .

١٨ ـ عدم تناول الطعام مما يليهما .

١٩ ـ عدم مد اليد الى الطعام قبلهما .

٢٠ ـ عدم النوم والاضطجاع وهماجالسان الا اذا أذنا بذلك .

٢١ ـ عدم مد الرجلين أمامهما .

٢٢ ـ عدم الدخول قبلهما ، أو المشي أمامهما .

٢٣ ـ تلبية ندائهما بسرعة في حال ندائهما .

٢٤ ـ اكرام أصحابهما في حياتهما وبعد موتهما .

٢٥ ـ عدم مصاحبة انسان غير بارّ بوالديه .

٢٦ ـ الدعاء لهما ولاسيما بعد الموت فإنهما ينتفعان به ، والإكثار من قوله تعالى : « رب ارحمهما كما ربياني صغيراً » .

حق الأرحام:

الأرحام هم ممن ترتبط بهم ـ أيها الانسان ـ بصلة القرابة والنسب ، وهم على الترتيب التالي : الآباء والأمهات ، والاجداد والجدات ، والإخوة والأخوات ، والأعمام والعمات ، وأولاد الاخ ، وأولاد الأخت ، والأخوال والخالات ، ثم من يليهم من الاقرباء ، الاقرب فالأقرب ..

وهؤلاء سمّوا في الشرع أرحاماً لسببين :

الأول : لاشتقاق الرحم من اسم الرحمن ؛ وهذا ماأكده النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه أبو داود والترمذي عن عبد الرحمن ابن عوف رضي الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « أنا الله وأنا الرحمن خلقت الرحم ، وشققت لها اسماً من اسمي ، فمن وصلها وصلته ، ومن قطعها قطعته » .

ولايخفى ما في هذا الاشتقاق من باعث إلى الرحمة ، ومن دافع الى العطف والحنان نحو من له حق الصلة من ذوي القرابة والنسب .

الثاني : لانحدار القرابة من الأصل الذي ينتمي اليه الانسان ، وهذا ماعناه النبي صلى الله عليه وسلم في توجيهاته الكريمة في وجوب الصلة ، والتحذير من القطيعة ..

وهذا ـ لاشك ـ مما يحرك عاطفة القرابة من أعماقها ، ويثير في الحنايا مشاعر أخوية ما أسماها !!..

فما على المربين اذن ـ بعد تبيان هذه الحقائق ـ الا أن يشمروا عن ساعد الجد والعمل ، ليبَصِّروا الولد منذ سن الوعي والتمييز بحقوق القرابة والرحم .. لتنمو في نفسية الولد نزعة التطلع الى الاجتماع بالآخرين، وتتأصل في ذاتيته محبة من تربطه واياهم رابطة النسب .. حتى اذا بلغ الولد سن الرشد والنّضج العقلي قام بواجب العطف والاحسان لهم ،واحترم كبيرهم ، ورحم صغيرهم ، وكفكف دموع الحزن عن مصابهم ، ومدّ يد العون والاحسان الى مكروبهم وفقيرهم .. وهذا لايتأتى الا بتأديب الولد على هذه الخصال ، وتعويده على هاتيك الفضائل والمكارم .

فلا عجب حين تتلو كتاب الله عز وجل أن نمرّ على الآيات التي تحض على صلة الرحم ، وتأمر بالإحسان الى ذي القربى ..

واليكم ـ أيها المربون ـ طاقة من هذه الآيات :

ـ « واتقوا الله الذي تساءلون به الأرحام إن الله كان عليكم رقيباً »
(النساء : ١)

ـ « وآتِ ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبُذّر تبذيراً » .
(الاسراء : ٢٦)

ـ « واعبدو الله ولا تشركوا به شيئاًوبالوالدينإحسانا وبذيالقربىواليتامى والمساكين والجار ذي القربى ... »
(النساء : ٣٦)

وبالمقابل القرآن الكريم يحذر من قطيعة الرحم ، ويعتبر هذه القطيعة بغياً وافساداً في الأرض يستحق صاحبها اللعنة وسوء الدار ، قال تعالى :

ـ « والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ، ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض أولئك لهم اللعنة وسوء الدار » .
(الرعد : ٢٥)

ـ وقال أيضاً : « فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا ارحامكم ، اولئك الذين لعنهم الله وأعمى أبصارهم » .
(محمد : ٢٣)

فإذا كانت هذه نهاية ومصير من يقف من رَحِمِهِ هذا الموقف الظالم المعادي .. فما على المربين الا أن يبينوا لمن كان لهم عليهم حق التربية مغبّة القطيعة ، ومايترتب عليها من نتائج وخيمة لاتحمد عقباها ، كما عليهم أن يبصروهم بالثمرات التي يجنونها من صلتهم للرحم ، وقيامهم بحق القرابة ..

واليكم ــ أيها المربون ــ أفضل الثمرات في صلة الرحم ، أرشد اليها المربي الاول صلوات الله وسلامه عليه عسى أن تعلموها أولادكم ، وتلقنوها لمن كان له حق التربية عليكم :

● **صلة الرحم شعار الايمان بالله واليوم الآخر** لما روى الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت » .

● **صلة الرحم تزيد في العمر ، وتوسع في الرزق** لما روى الشيخان عن انس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من أحبّ أن يبسط له في رزقه وينسأ له في أثره (يزاد له في عمره) فليصل رحمه » .

● **صلة الرحم تدفع عن الواصل ميتة السوء** لما روى ابو يعلى عن انس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم سمعه يقول : « ان الصدقة وصلة الرحم يزيد الله بهما في العمر ، ويدفع بهما ميتة السوء ، ويدفع بهما المكروه والمحذور » .

● **صلة الرحم تعمّر الديار وتثمّر الأموال** لما روى الطبراني والحاكم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان الله ليعمّر بالقوم الديار ، ويثمّر لهم الاموال ، ومانظر اليه منذ خلقهم بغضاً لهم ، قيل وكيف ذاك يارسول الله ؟ قال : بصلتهم الرحم » .

● **صلة الرحم تغفر الذنب وتكفّر الخطايا** لما روى ابن حبان والحاكم عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : أتى النبي صلى الله عليه وسلم رجل فقال : اني أذنبت ذنباً عظيماً فهل لي من توبة ؟ فقال : هل لك من أم ؟ قال : لا ، قال : فهل لك من خالة ؟قال : نعم ، قال : فبرّها .

● **صلة الرحم تيسر سبيل الحساب وتدخل صاحبها الجنة** لما روى البزار

والطبراني والحاكم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ثلاث من كنّ فيه حاسبه الله حساباً يسيراً وأدخله الجنة برحمته ، قالوا : وماهي يارسول الله بأبي أنت وأمي ؟ قال : تعطي من حرمك ، وتصل من قطعك ، وتعفو عمن ظلمك ، فإذا فعلت ذلك يدخلك الله الجنة » .

وروى الشيخان عن جبير بن مطعم رضي الله عنه أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول : « لايدخل الجنة قاطع رحم » .

● **صلة الرحم ترفع الواصل الى الدرجات العلى يوم القيامة** لما روى البزار والطبراني عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ألا أدلكم على ما يرفع الله به الدرجات ؟ قالوا : نعم يارسول الله ، قال : تحلـّم على من جهل عليك ، وتعفو عمن ظلمك ، وتعطي من حرمك ، وتصل من قطعك » .

فحينما يضع المربي بين يدي الولد هذه الفضائل التي تنال من يصل رحمه .. فلا شك أن الولد يندفع بكليته الى محبة أقربائه ، وصلة أرحامه ، فيعرف لهم فضلهم ، ويؤدي اليهم حقهم ، ويشاركهم في آلامهم وأفراحهم ، ويفرّج عن مكروبهم وفقيرهم .. وهذا لعمري غاية البر ، ومنتهى الصلة ..

فما أحوجنا الى مربين يعلـّمون الاولاد هذه الحقائق ، ويرشدونهم الى هاتيك المكارم والخصال !!..

٣ ـ حق الجار :

ومن الحقوق التي يجب أن يهتم المربون لها ، ويعتنوا بها حق الجار ولكن من هو الجار ؟ هو كل مجاور لك عن اليمين والشمال ، والفوق والتحت .. الى أربعين داراً .. فكل هؤلاء جيرانك ، لهم عليك حقوق.

وعليهم لك واجبات .. وهذا المعنى للجوار مستفاد من الحديث الذي رواه الطبراني عن كعب بن مالك رضي الله عنه قال : أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل فقال : يارسول الله اني نزلت في محلّة بني فلان ، وان أشدهم اليّ أذى أقربهم لي جواراً ، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر وعمر وعلياً رضي الله عنهم يأتون المسجد ، فيقومون على بابه ، فيصيحون : ألا ان أربعين دارا جار ، ولايدخل الجنة من خاف جارُه بوائقه (شروره) .

وحقوق الجار — في نظر الاسلام — ترجع الى أربعة أصول : هي ألا يلحق الرجل بجاره أذى ، وأن يحميه ممن يريده بسوء ، وأن يعامله باحسان، وأن يقابل جفاءه بالحلم والصفح ..

أ — كف الأذى عن الجار :

والأذى أنواع منها : الزنى ، والسرقة ، والسباب ، والشتائم ، ورمي الأوساخ .. وأخطرها الزنى ، والسرقة ، وانتهاك الحرمة ، وهذا مما أكده رسول الاسلام صلوات الله وسلامه عليه لما كان يوجه أصحابه اكرم الخصال وينهاهم عن أقبح الفعال .. روى الامام أحمد والطبراني عن المقداد بن الأسود رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه : ما تقولون في الزنى ؟ قالوا حرام حرمه الله ورسوله فهو حرام الى يوم القيامة ، قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لأن يزني الرجل بعشرة نسوة أيسر عليه من أن يزني بامرأة جاره ، قال : ماتقولون في السرقة ؟ قالوا : حرمها الله ورسوله فهي حرام ، قال : لأن يسرق الرجل من عشرة أبيات أيسر عليه من أن يسرق من جاره .

أما أذى اليد وأذى اللسان فيدخل في مضمون قوله عليه الصلاة

والسلام : « والله لايؤمن ، والله لايؤمن ، والله لايؤمن » قيل : مَنْ يارسول الله ؟ قال الذي لايأمن جاره بوائقه (شروره) » رواه الشيخان .

ويروى عن عبد الملك بن مروان قال : لمؤدّب ولده : اذا روّيتَهم شعراً فلا ترو ّهم الا مثل قول « العُجَير السلولي » :

يبين الجـار حين يبـين عني ولم تأنس اليّ كـلاب جاري

وتظعن جارتي من جنب بيتي ولـم تستتر بستر من جـدار

وتأمن أن أطـالع حـين آتي عليهـا وهي واضعة الخمـار

كذلك هـدي آبائي قديمـاً توارثه النجـار عن النجـار

ويشبهه قول حاتم الطائي في الحفاظ على عرض الجار :

اذا ما بتّ أختـل[1] عرس جـاري

ليُخْفِيني الظـلام فمـا خفيـتُ

أ أفضح جـارتي وأخـون جـاري

فـلا واللـه أفعـل مـا حييـتُ

وكذلك قول عنترة :

وأغض طـرفي ان بـدت لي جـارتي .

حتـى يـواري جـارتـي مأواهـا

ومما يؤذي الجار النظر اليه بعين الاحتقار ، مثلمـا يفعل من لم يتربوا تربية فاضلة اذ يزرون جارهم الفقير ، ويحتقرون ابن حيّهم المسكين ، قـال حسان بن ثابت رضي الله عنه :

(١) أختل : أرقب العرس من حيث لايشعرون .

فما أحد منا بمُهْدٍ لجـاره أذاة ولا مُزْرٍ به وهو عائـد
لأنا نرى حقّ الجوار أمـانة ويحفظـه منا الكريم المعاهد

ب ـ حماية الجـار :

حماية الجار ، وكف الظلم عنه ، أثر من آثار طهارة النفس ، بل مكرمة من أنبل المكارم الخلقية في نظر الاسلام ، ومما ينبه لشرف همة الرجل نهوضه لإنقاذ جاره من مصيبة نالته ، أو بلاء حلّ به ، وكانت حماية الجار من أشهر مفاخر العرب التي ملأت أشعارهم ، وسطرتها دواوينهم .

قال حسان بن ثابت رضي الله عنه :

ولا ضيفنـا عنـد القـرى بمدفّـع

وما جـارنا في النائبـات بمُسْلَمِ

وقال أيضاً :

يواسـون مولاهُمْ في الغِنـا

ويحمـون جـارَهم إنْ ظُلـمْ

وقال حسان بن نشية :

أبوا أن يُبيحوا جارَهم لعدوِّهم

وقد ثار نقعُ المـوتِ حتى تكوثرا

وكان لأبي حنيفة جار بالكوفة اذا انصرف من عمله يرفع صوته فـي بيته منشداً :

أضـاعوني وأي فتـى أضاعـوا

ليـوم كريهـة وسِـداد ثَغْرٍ

فيسمع أبو حنيفة غناءه بهذا البيت ، فاتفق أن أخذ الحرس في ليلة من الليالي هذا الجار وحبسوه ، ففقد أبو حنيفة صوته تلك الليلة ، وسأل عنه في الغد فأخبروه بحبسه ، فركب الى « الأمير عيسى بن موسى » وطلب منه اطلاق الجار ، فأطلقه في الحال ، فلما خرج الفتى دعا به أبو حنيفة ، وقال له سراً : فهل أضعناك يا فتى ؟ قال : لا ، ولكن أحسنتَ وتكرمتَ ، أحسن الله جزاءك ، وأنشد :

وما ضرّنا أنّا قليل وجارُنا
عزيز وجارُ الأكثرين ذليل

والأصل في حماية الجار ، ودفع الظلم عنه ، وعدم خذلانه ما رواه الشيخان عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « المسلم أخو المسلم لا يظلمه ، ولا يُسلمه (يخذله) ؛ من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته ، ومن فرّج عن مسلم كُرْبة فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ، ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة » .

فإن كان هذا في حق المسلم واجباً ولازماً فانه في حق الجار أوجب وألزم .. لما للجار على الجار من واجبات وحقوق .

ج ـ الاحسان الى الجار :

لا يكفي المرء في حسن الجوار أن يكف أذاه عن الجار ، أو يدفع عنه بيده أو جاهه يداً طاغية ، بل يدخل في حسن الجوار أن يجامله بنحو التعزية عند المصيبة ، والتهنئة عند الفرح ، والعيادة عند المرض ، والبداءة بالسلام ، وارشاده الى ما ينفعه بعلمه ونصحه من أمر دينه ودنياه .. وعلى العموم أن يواصله بما استطاع من اكرام ..

والأصل في هذا الإحسان ما رواه الخرائطي والطبراني عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من أغلق بابه دون جاره مخافة على أهله وماله ، فليس ذلك بمؤمن ، وليس بمؤمن من لم يأمن جاره بوائقه ، أتدري ما حق الجار ؟ : اذا استعانك أعنته ، واذا استقرضك أقرضته ، واذا افتقر عدت عليه ، واذا مرض عدته ، واذا أصابه خير هنأته ، واذا أصابته مصيبة عزّيته ، واذا مات اتبعت جنازته ، ولا تستطل عليه بالبنيان فتحجب عنه الريح الا بإذنه . ولا تؤذه بقتار ريح قدرك الا أن تغرف له منها . وان اشتريت فاكهة فاهد له ، فإن لم تفعل فأدخلها سراً ، ولا يخرج بها ولدك ليغيظ بها ولده » .

وقد عدّ رسول الله صلى الله عليه وسلم اكرام الجار في خصال الإيمان فقال : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره » . الشيخان .

وقال تعالى : « وبالوالدين إحسانا وبذي القربى واليتامى والمساكين والجار ذي القربى والجار الجنب(١) والصاحب بالجَنْب(٢) وابن السبيل »

(النساء : ٣٦)

ومما يؤكد هذه الحقوق للجار القريب ، والجار البعيد ... ما رواه الطبراني عن جابر رضي الله عنه : « الجيران ثلاثة : جار له حق : وهو المشرك ؛ وجار له حقان : وهو المسلم ، له حق الجوار ، وحق الاسلام ؛ وجار له ثلاثة حقوق : مسلم له رحم ، فله حق الجوار والاسلام والرحم » .

قال مجاهد : كنت عند عبد الله بن عمر ، وغلام له يسلخ شاة ، فقال : يا غلام اذا سلخت فابدأ بجارنا اليهودي ، حتى قال ذلك مراراً ، لأني سمعت

---

(١) الجار البعيد الذي لايمت اليك بقرابة .
(٢) من يرافقك في نحو سفر أو تعلم أو صناعة ..

رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ما زال جبريل عليه السلام يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورّثه » البخاري ومسلم .

والمتأدبون بأدب القرآن يحافظون على حقوق الجار حق الرعاية ؟ قالت عائشة رضي الله عنها : « لاتبالي المرأة اذا نزلت بين بيتين من الانصار صالحين الا أن تنزل بين أبويها » .

ومن الاحسان الى الجار بذل ما يطلبه من نحو النار والملح والماء ، واعارته ما اعتاد الناس استعارته من أمتعة البيت ، وحاجات المنزل .. كالقدر، والصفحة ، والسكين ، والقدوم ، والغربال .. وحمل كثير من المفسرين الماعون في قوله تعالى : « ويمنعون الماعون » . على هذه الأدوات ونحوها ، ذلك أن منعها دليل لؤم الطبيعة ، ودناءة النفس ؛ قال مهيار :

لجارهم من دارهم مثلُ ما لَهم
على راحةٍ من عيشهم ولُغوبِ

وكان العرب يضربون المثل في حسن الجوار بأبي دؤاد ، وهو كعب ابن أمامة فيقولون : « جار كجار أبي دؤاد » وكان أبو دؤاد هذا ان هلك لجاره بعير أو شاة أخلفها عليه ، واذا مات الجار أعطى أهله مقدار ديّته من ماله .

قال الخوارزمي في(مفيد العلوم) : كان لعبد الله بن المبارك جاريهودي، فأراد أن يبيع داره فقيل له : بكم تبيع ؟ قال : بألفين ، فقيل له : لاتساوي الا ألفاً ، قال : صدقتم ، ولكن ألف للدار ، وألف لجوار عبد الله بن المبارك، فأخبر ابن المبارك بذلك فدعاه فأعطاه ثمن الدار ، وقال : لاتبعها . ولولا ما لقيه اليهودي من ابن المبارك من حسن الخلق ، وكريم المعاملة لما وقف من بيع الدار هذا الموقف !!.

د ــ احتمال أذى الجار :

للمرء فضل في أن يكف عن جاره الأذى ، وله الفضل في أن يجيره ويدفع عنه يد السوء ، وله فضل في أن يواصله بالإحسان جهده ، وهناك فضل رابع هو أن يتجاوز عن أخطائه . ويتغاضى عن هفواته ، ويتلقى كثيراً من اساءاته بالصفح والحلم ، ولاسيما اساءة صدرت من غير قصد ، أو اساءة ندم عليها، وجاء معتذراً منها ؛ قال الحريري في مقاماته : « وأراعي الجار ولو جار » .

ولا شك أن الذي يحلم على من جَهِل عليه ، ويحسن الى من أساءاليه، ويعفو عمن ظلمه يكون في أعلى مراتب الكرامة ، وفي أرفع منازل السعادة يوم القيامة .. روى البزار والطبراني عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال : « ألا أدلكم على ما يرفع الله به الدرجات ؟ قالوا : نعم يا رسول الله ، قال : تحلُم على من جهل عليك ، وتعفو عمن ظلمك ، وتعطي من حرمك ، وتصل من قطعك » .

وكثيراً ما يكون الصفح عن المذنب ، والعفو عن المسيء ، دواء لسوء خلُقه ، وتقويماً لانحرافه واعوجاجه ، فيعود الجفاء الى إلْفَة ، والمناوأة الى مسالمة ، والبغضاء الى محبة .. ، وصدق الله العظيم القائل في محكم تنزيله :

« ولاتستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن ، فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه وليّ حميم »

(فصلت : ٣٤)

ومن المسلّم به عند علماء التربية والاخلاق أن التسرع الى دفع السيّئة بمثلها أو بأشد منها دون نظر الى ما يترتب عليها من الأثر السيء ، والنتائج الوخيمة دليل واضح على ضيق الصدر ، والعجز عن كبح جماح الغضب ، وانما يتفاضل الناس في الاخلاق والسيادة .. على قدر تدبّرهم للعواقب ، وتبصرهم للنتائج ، واسكاتهم لثورة الانفعال اذا طغت .. ومن هنا كان الذي

يملك نفسه عند الغضب من أقوى الأقوياء ، ومن أعظم الابطال في نظر النبي العظيم صلوات الله وسلامه عليه[1] .

تلكم أهم الاصول في حقوق الجوار ، وأميز الأسس في معاملة الجار .. فما على المربين الا أن يسعوا جهدهم في تخليق الولد ـ منذ التمييز ـ على فضيلة حسن الجوار ، ومراعاة حقوق الجار .. حتى اذا بلغ السن التي تؤهله لأن يتعامل مع الآخرين ، ويساكنهم ، ويكون بجوارهم .. كف الأذى عنهم ، وحماهم من كل ظلم واعتداء ، وواصلهم بالبر والإحسان ، واحتمل منهم كل ما يلقاه من اساءة وأذى ..

وتخليق الولد على هذه الاصول الأربعة في حقوق الجوار لا يتم الا بشيئين :

الأول : تلقينها شفوياً في المناسبات وغير المناسبات ..

الثاني : تطبيقها عملياً مع من كان من سنه من أبناء الجيران ..

ولا شك أن الولد حينما يتخلق على هذه الخصال الكريمة منذ الصغر تنمو في نفسه نزعة التطلع الى الاجتماع بالآخرين ، بل يصبح انساناً اجتماعياً بكل ما في هذه الكلمة من معنى ، بل تتلاشى من نفسيته آفات العزلة والانكماش والانطوائية .. فيثبت وجوده حيثما كان ، ويبرز شخصيته أينما وجد .. وما ذاك الا بفضل التربية الاجتماعية التي تخلّق بها ، وتدرّج عليها، وسلك وسائلها وأسبابها ..

---

(١) في الحديث : « ليس الشديد بالصّرَعة إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب » .

ألا فلينتبه المربون الى الأسس والوسائل التي تنمي شخصية الولـد ، وتجعله من أماجد الناس وفضلائهم !!

٤ ـ حق المعلم :

ومن الحقوق الاجتماعية الهامة التي يجب أن يتنبّه المربون لها ، ويذكّروا بها ، ويلحوا عليها تربية الولد على احترام المعلم ، وتوقيره ، والقيام بحقه •• حتى يتنشّأ الولد على الأدب الاجتماعي الرفيع تجاه من له عليه حق التعليم والتوجيه والتربية ولا سيما ان كان المعلم يتصف بالصلاح ، ويتّسم بالتقوى ، ويتميز بمكارم الأخلاق ••

ولقد وضع نبي الاسلام صلوات الله وسلامه عليه أمام المربين وصايا كريمة ، وتوجيهات سامية في اكرام العلماء ، واجلال المعلمين ، ليعلم الناس لهم فضلهم ، وليقوم من كان له شرف التّلمذة بحقهم ، ويلتزم التلاميذ الأدب معهم ••

وإليكم هذه الطاقة العطرة من الوصايا والتوجيهات :

ـ روى أحمد والطبراني والحاكم عن عبادة بن الصامت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ليس من أمتي من لم يُجِلّ كبيرنا ، ويرحم صغيرنا ، ويعرف لعالمنا (حقه) » •

ـ وروى الطبراني في (الأوسط) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تعلموا العلم ، وتعلموا للعلم السكينة والوقار ، وتواضعوا لمن تعلّمون منه » •

ـ وروى الطبراني في (الكبير) عن أبي أمامة عن رسول الله صلى الله

عليه وسلم قال : « ثلاث لا يستخف بهم الا منافق : ذو الشيبة في الاسلام ، وذو العلم ، وامام مُقْسِط » .

— روى الامام أحمد عن سهل بن سعد الساعدي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « اللهم لا يدركني زمان، لايُتْبَع فيه العليم[1]، ولايستحيا فيه من الحليم ، قلوبهم قلوب الأعاجم ، وألسنتهم ألسنة العرب » .

— وروى البخاري عن جابر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم « كان يجمع بين الرجلين من قتلى أحُد (يعني في القبر) ، ثم يقول : أيُّهما أكثر أخذاً للقرآن ؟ ، فإذا أشير الى أحدهما قدّمه في اللحد » .

ونستخلص من مجموعة هذه الوصايا الأمور التالية :

● على المتعلم **أن يتواضع لمعلمه** ، ولايخرج عن رأيه وتوجيهه ، بل يكون معه كالمريض مع الطبيب الماهر ، فيشاوره فيما يقصده ، ويتحرى رضاه فيما يعتمده ، بل عليه أن يعلم أن ذله لمعلمه عزّ وخضوعه له فخر ، وتواضعه له رفعة .

ومما يقال : ان الشافعي رضي الله عنه عوتب على تواضعه للعلماء ، فقال :

أُهين لهم نفسي فهمْ يُكرِمونَها

ولن تُكْرَمَ النفس التي لا تُهينُها

وأخذ ابن عباس رضي الله عنه مع جلالة قدره ، وعلو منزلته بركاب زيد بن ثابت الانصاري وقال : « هكذا أمرنا أن نفعل بعلمائنا » .

---

(١) يتعوذ من زمن يعرض فيه الناس عن العالم الفقيه .

وقال الإمام أحمد بن حنبل لخلف الأحمر : « لا أقعد الا بين يديك، أمرنا أن نتواضع لمن نتعلم منه » .

وقال الامام الغزالي : « لا ينال العلم الا بالتواضع ، والقاء السمع .. » .

● وعلى المتعلم ان ينظر الى معلمه **بعين الاجلال ، ويعتقد فيه درجةالكمال** فإن ذلك أقرب الى الاستفادة منه ، والنفع به .

وكان الإمام الشافعي رحمه الله يقول : « كنت أصفح الورقة بين يدي مالك صفحاً رقيقاً هيبة لئلا يسمع وقعها » .

وقال الربيع : « والله ما اجترأت أن أشرب الماء والشافعي ينظر الي ّ هيبة له » .

وحضر أحد أولاد الخليفة المهدي عند شريك ، فاستند الى الحائط ، وسأله عن حديث فلم يلتفت اليه شريك، ثم عاد، فعاد شريك بمثل ذلك ، قال ابن الخليفة : تستخف بأولاد الخلفاء هذا الاستخفاف ؟ قال : لا ، ولكن العلم أجلّ عند الله من أن أضيعه[1] .

وينبغي ألا يخاطب معلمه بتاء الخطاب أو كافه ، بل يناديه بقوله : يا سيدي ، ويا معلمي ، ويا أستاذي ... وكذلك لايذكر اسم معلمه في غيبته الا مقروناً بما يشعر السامع بإجلاله وتوقيره كقوله : قال : معلمنا الفاضل كذا ، أو قال : أستاذنا فلان كذا .. أو قال مرشدنا الفلاني كذا ..

(١) لكونه مستندا غير متأدب بجلسته في حلقة العلم .

● وعلى المتعلم ان يعرف **لمعلمه حقه ، ولاينسى له فضله** ، قال شعبة : « كنت اذا سمعت من الرجل الحديث كنت له عبداً ما يحيا » ، وقال : « ما سمعت من أحد شيئاً الا واختلفت[1] اليه أكثر مما سمعت منه » .

ورحم الله شوقي حين قال :

قم للمعلم وفّه التبجيلا
كاد المعلم أن يكون رسولا
أعلمتَ أشرف أو أجلّ من الذي
يبني ويُنشيء أنفساً وعقولا

وينبغي للولد المتعلم أن يدعو لأستاذه مدةحياته ، ويرعى ذريتهوأقاربه وأهل ودّه بعد وفاته ، ويعتمد زيارة قبره ، والاستغفار له ، والصدقة عنه في كل فرصة سانحة ، ويراعي في العلم والدين والأخلاق عادته ، ويقتدي بحركاته وسكناته ، ويتأدب بآدابه باعتباره الأسوة الحسنة ، والقدوة الصالحة ..

● وعلى المتعلم ان **يصبر على سوء خلق معلمه وجفوته** .. ولايصده عن ذلك ملازمته ، والاستفادة منه ، ويبدأ هو عند جفوة المعلم وغضبه بالاعتذار والتوبة مما وقع منه ، وينسب موجب الغضب اليه ، ويجعل العتب عليه ، فإن ذلك أبقى لمودة أستاذه ، وأحفظ لقلبه ، وأنفع للطالب في دينه ودنياه وآخرته ..

ومما ينقل عن بعض السلف : « من لم يصبر على التعليم ، بقي عمره في عماية الجهالة ، ومن صبر عليه آل أمره الى عز الدنيا والآخرة » .

---

(١) ترددت اليه للخدمة .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما : « ذَللْتُ طالباً فعززتُ مطلوباً » .

وقال الشافعي رحمه الله : قيل لسفيان بن عيينة : ان قوماً يأتونك من أقطار الأرض تغضب عليهم يوشك أن يذهبوا أو يتركوك ، فقال للقائل : « هم حمقى اذا هم تركوا ماينفعهم لسوء خلقي » .

ولبعضهم قوله :

ان المعلم والطبيب كلاهما
لا ينصحان[1] اذا هما لم يُكرَما
فاصبرْ لدائك ان جفوتَ طبيبه
واصبرْ لجهلك ان جفوتَ معلماً

● وعلى المتعلم أن **يجلس بين يدي معلمه جلسة الأدب** بسكون وتواضع واحترام .. مصغياً الى أستاذه ، ناظراً اليه ، مقبلا بكليته عليه ، غير ناظر الى يمينه أو شماله أو فوقه أو قدامه بغير حاجة ...

وعلى المتعلم كذلك أن يكون متجنباً في حضرة معلمه كل ما يخل بالوقار، وينافي الأدب والحياء . فلا ينبغي أن ينظر اليه ، ولايضطرب لضجة يسمعها أو يلتفت اليها ولا سيما عند القاء درسه .. ولا يعبث بيديه أو رجليه أو غيرهما من أعضائه ، ولا يعبث بيده في أنفه أو يستخرج منها شيئاً ، ولا يفتح فاه ولا يقرع سنه ولا يضرب الأرض براحته أو يخط عليها بأصابعه ، ولا يشبّك بيديه أو يلعب بإزاره ، ولا يكثر كلامه من غير حاجة ، ولا يحكي ما يضحك لغير عجب ولا لعجب رافعاً صوته في الضحك ، فإن غلبه تبسم تبسماً بغير

---

(١) ليس ذلك على اطلاقه لأن بعض المعلمين والأطباء يعملون لوجه الله ، لايريدون من وراء عملهم جزاء ولاشكورا .

صوت البتّة ، ولا يكثر التنحنح من غير حاجة اليه ، ولا يبصق ولا يتنخّم ما أمكنه ، فإن اضطر الى اخراج النخامة من فيه يأخذها بمنديل أو ورقة تستعمل لذلك ، واذا اضطر للعطاس خفّض صوت عطاسه جهده ، وستروجهه بمنديل أو نحوه ، واذا تثاءب ستر فاه بيده بعد ردّه جهده ، ومما قاله علي كرم الله وجهه في تبيان حق العالم على المتعلم :

« من حق العالم عليك أن تسلم على القوم عامة ، وتخصّه بالتحية ، وأن تجلس أمامه ، ولا تشيرنّ عنده بيديك، ولا تغمز بعينيك غيره ولا تقولنّ: قال فلان خلاف قوله ، ولا تغتابنّ عنده أحداً ، ولا تطلبنّ عثرته ، وان زلّ قبلت معذرته ، وعليك أن توقره لله تعالى ، وان كانت له حاجة سبقت القوم الى خدمته ، ولا تسارر أحداً في مجلسه ، ولا تأخذ بثوبه ، ولا تلح عليه اذا كسل ، ولا تشبع من طول صحبته ، فإنما هو كالنخلة تنتظر متى يسقط عليك منها شيء .. » .

ولقد جمع رضي الله عنه في هذه الوصية ما فيه الكفاية ، وما يشفي الغليل !..

● **وعلى المتعلم ألا يدخل على معلمه في الفصل أو البيت أو المكان المخصص له إلا باستئذان** سواء كان المعلم وحده أو كان مع غيره ، فإن استأذن ولم يأذن له انصرف ولا يكرر الاستئذان ، وان شك في علم المعلم به فلا يزيد في الاستئذان فوق ثلاث مرات ، وليكن طرق الباب خفيفاً بأدب بأظفار الأصابع ثم بالحلقة ثم بالجرس قليلا .. فإن كان الموضع بعيداً عن الباب فلا بأس برفع ما يُسْمع لضرورة الأمر .

وينبغي أن يدخل على المعلم كامل الهيئة ، متطهر البدن ، نظيف الثياب .. لاسيما ان كان يقصد مجلس العلم ، فإنه مجلس ذكر ، واجتماع عبادة ..

وينبغي أن يدخل على المعلم ، وقلبه فارغ من الشواغل ، ونفسه صافية من الاحوال النفسية .. ليعي مايقول ، وينشرح صدره لما يسمعه ؛ واذا حضر مكان المعلم فلم يجده جالساً انتظره كيلا يفوّت على نفسه درسه ، ولايطرق عليه ليخرج اليه ، وان كان نائماً صبر حتى يستيقظ أو ينصرف ثم يعود ..

فقد روي أن ابن عباس رضي الله عنهما كان يجلس في طلب العلم على باب زيد بن ثابت حتى يستيقظ ، فيقال له : ألا نوقظه لك ؟ ، فيقول : لا ، وربما طال مقامه وقرعته الشمس ، وكذلك كان السلف يفعلون .

● **وعلى المتعلم اذا سمع المعلم يذكر دليلا لحكم ، أو فائدة مستغربة ، أو يحكي حكاية أو ينشد شعراً .. وهو يحفظ ذلك أصغى إليه إصغاء مستفيد** له في الحال ، متعطش اليه فرح به كأنه لم يسمعه قط .

قال عطاء : « اني لأسمع الحديث من الرجل وأنا أعلم به منه ، فأريه من نفسي أني لاأحسن منه شيئاً » ؛ وعنه قال : « ان الشاب ليتحدث بحديث فأسمع له كأني لم أسمعه ، ولقد سمعته قبل أن يولد » .

وقال أبو تمام في صفات الصديق وآداب الصداقة :

مَنْ لي بإنسان اذا أغضبته
وجهلتُ كان الحلم ردّ جوابه
واذا طربتُ الى المدام شربت من
أخلاقه وسكرتُ من آدابه
وتراه يصغي للحديث بسمعه
وبقلبه ولعله أدرى به

هذا مما يستحب في معاملة الصديق للصديق ، ومعاملة المعلم أولى وأوجب .

ولاينبغي لطالب العلم أن يكرر سؤال مايعلمه ، ولااستفهام مايفهمه فإنه يضيع الوقت ، وربما أضجر المعلم ؛ قال الزهري : « اعادة الحديث أشد من نقل الصخر » .

وينبغي ألاّ يقصر في الإصغاء والفهم أو يشتغل ذهنه بفكر أو حديث ثم يستعيد المعلم ما قاله لأن ذلك اساءة أدب ، بل يكون مصغياً لكلامه ، حاضر الذهن من أول مرة .

واذا لم يسمع كلام المعلم لبعده أو لم يفهمه بعد الإصغاء اليه ، فله أن يسأل المعلم اعادته وتفهيمه بعد بيان عذره بسؤال لطيف .

★ ★ ★

تلكم أهم الآداب التي يجب أن يتلقنها الولد من معلميه ومربيه ، وهي آداب تربوية نبيلة ، وحقوق اجتماعية كريمة ..

ومن المعلوم أن الولد حينما يفتح عينيه على تلقين هذه الآداب ، ويتربى منذ نعومة أظفاره على التخلق بهاتيك الحقوق .. فلا شك أن الولد أدى ما عليه من حقوق تجاه من كانوا له سبباً في العلم ، والتربية ، والاخلاق ، وتكوين الشخصية ...

ومما لاجدال فيه أن التركيز من قبل المعلمين والمربين في اعداد الولد خلقياً واجتماعياً يجب أن يكون مقدماً على تكوينه العلمي والثقافي ، لأن التحلي بالمكارم ــ كما يقولون ــ مقدم على تعليم المسائل ..

لهذا كان السلف الصالح رضوان الله عليهم يهتمون بأدب أطفالهم وتلامذتهم أكثر مما يهتمون في تلقينهم العلم ، وتزويدهم المعرفة ..

قال الحبيب بن الشهيد لابنه : « يا بني اصحب الفقهاء والعلماء ؛ وتعلم منهم ، وخذ من أدبهم ، فإن ذلك أحب الي من كثير من الحديث » .

وقال مخلد بن الحسين لابن المبارك : « نحن الى كثير من الأدب أحوج الى كثير من الاحاديث » .

وقال بعض السلف لابنه : « يابني لأن تتعلم باباً من الادب أحب الي من أن تتعلم سبعين باباً من أبواب العلم » .

وقال سفيان بن عيينة : « ان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الميزان الاكبر ، وعليه تعرض الاشياء على خلقه وسيرته وهديه .. فما وافقها فهو الحق ، وما خالفها فهو الباطل » .

وقال ابن سيرين : « كانوا يتعلمون الهدى(١) كما يتعلمون العلم » .

ومما يجب التنبه له أن هذه الآداب التي يجب التزامها هي في حق المعلمين ، الاتقياء في أنفسهم ، الأوفياء لدينهم ، الذين يرجون لله وقاراً ، ويؤمنون بالاسلام عقيدة وشريعة ، وبالقرآن منهاجاً ودستوراً .. هؤلاء يجب أن يلقن الولد احترامهم ، وأن يعرف فضلهم ، وأن يؤدي لهم حقهم .. ما داموا على الهدى والصراط المستقيم ..

أما المعلمون الملحدون ، والمربون اللادينيون فهؤلاء ليس لهم في القلوب اجلال ، ولا في النفوس احترام .. لكونهم أهدروا انسانيتهم بالإلحاد ، وأسقطوا اعتبارهم ومهابتهم بالكفر والضلال ..

---

(١) الهدى : أي هدي محمد صلى الله عليه وسلى ، وسيرة السلف .

فعلى الأب أن يغضب لله ، حين يعلم أن معلماً ملحداً يلقن ولده مبادىء الكفر ، ومفاهيم الزيغ والإلحاد •• بل عليه أن يقيم الدنيا ويقعدها ، وأن تغلي في عروقه حمية الاسلام •• تجاه هذه الشراذم الباغية ، والحثالات العميلة الخائنة •• حتى يرى هذه الجراثيم البشرية قبعت في جحورها ، وتوارت في أوكارها •• فما عاد يرتفع لهم رأس ، أو ينطق لهم لسان !!••

« بل نقذف بالحقّ على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهقٌ ولكم الويل مما تصفون ».

(الأنبياء : ١٨)

ورحم الله من قال :

ان عادت العقرب عُدْنا لها

وكانتِ النعلُ لها حاضره

ولايكفي الأب أن يغضب لله في الوقوف أمام معلم ملحد ، ومربٍّ ضال خائن •• بل عليه أن يغرس في ولده خلق الجرأة الادبية ، والمجاهرة بالحق •• لينشأ الولد على مقاومة أعداء الاسلام مهما كان لهم من القوة والتسلط والنفوذ ••

وحينما يعلم أعداء الله والاسلام من معلمين وغير معلمين •• أن الأمة لهم بالمرصاد ، وأن الاستنكار والمواجهة لأفعالهم وأقوالهم منبعث من الكبار والصغار !!••

هل يتجرأ أحد منهم على أن يجهر بإلحاد ؟

هل يستطيع مجرم من هؤلاء أن يتهجم على الاسلام ؟

هل نسمع أو نرى أن عدواً تطاول على ذات الله ، أو طعن بشخصية لرسول عليه الصلاة والسلام ؟ حتماً الجواب ، لا !!•

اذن فما على الآباء الا أن يفهموا هذه الحقيقة ، وأن يؤدوا ماعليهم من واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وأن يقفوا في وجه كل عميل خائن ، وأن يُخَلِّقوا أولادهم بخلق الجرأة والمجابهة .. حتى لايتمادى العملاء ، ولايخرج من جحورهم الأعداء والجبناء ، وحتى تبقى دائماً العزة لله ولرسوله وللمؤمنين ..

ورحم الله امرءاً أراهم من نفسه قوة ، ومن جهاده عزة ، ومن جرأته قولة حق !!..

٥ ــ حق الرفيق :

من الأمور الهامة التي يجب أن يلحظها المربون في الولد اختيار الرفيق المؤمن ، والجليس الصالح .. لما له من تأثير كبير في استقامة الولد ، وصلاح أمره ، وتقويم أخلاقه .. وقد صدق من قال : « الصاحب ساحب » ، وصدق من مثّل : « لاتقل لي من أنا ؟ بل قل لي من تصاحب ، تعرفني مَن أنا !! » .

ورحم الله الشاعر الذي يقول :

عن المرء لاتسَلْ وسل عن قرينه

فكل قرينٍ بالمُقارنِ يقتدي

ولنستمع الى المربي الأول عليه أفضل الصلاة والتسليم كيف يوجه الآباء والمربين في اختيار الرفقة الصالحة لأولادهم ، ومن لهم حق التربية عليهم :

ــ روى البخاري ومسلم عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « مثل الجليس الصالح ، والجليس

السوء كمثل حامل المسك ، ونافخ الكير ، فحامل المسك اما أن يُحذِيَك[1] ، أو تشتري منه ، أو تجد منه ريحاً طيبة ؛ ونافخ الكير اما أن يحرق ثيابك ، أو تجد منه ريحاً منتنة » •

ــ وروى أبو داود والترمذي عنه عليه الصلاة والسلام : « لاتصاحب الا مؤمناً ولا يأكل طعامك الا تقي » •

ــ وروى ابن عساكر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « اياك وقرين السوء فإنك به تُعرَف » •

ــ وروى الترمذي وأبو داود عنه عليه الصلاة والسلام « المرء على دين خليله ، فلينظر أحدكم من يخالل » •

من هذا كله وجب على المربي أن ينتقي للولد ــ ولاسيما بعد أن يبلغ سن التمييز ــ أن ينتقي له الزمرة الصالحة من الرفقاء من سنه ، يختلط بهم ، ويلهو معهم ، ويدرس واياهم ، ويتفقدهم بالزيارة ، ويعودهم اذا مرضوا ، ويقدم لهم الهدية اذا نجحوا ، ويذكرهم اذا نسوا ، ويعينهم اذا احتاجوا •• وهذا ــ لاشك ــ ينمي في الولد النزعة الاجتماعية التي فطر عليها ، ويجعل منه في المستقبل رجلا متوازناً سوياً يؤدي حق المجتمع على الوجه الصحيح الذي يرضي الله عز وجل ، ويأمر به الاسلام !!••

ولكن ماهي أهم حقوق المصاحبة التي يجب على المربين أن يرسخوها في الولــد ؟

---

(١) يحذيك : يعطيــك .

الحقوق هي كما يـلي :

أ ـ السلام[1] إذا لقيه :

لما روى الشيخان عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن رجلا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أي الاسلام خير ؟ قال : « تطعم الطعام ، وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف .

وروى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لاتدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ، ولاتؤمنوا حتى تحابوا ، أولا أدلكم على شيء اذا فعلتموه تحاببتم ؟ أفشوا السلام بينكم » .

ب ـ عيادته إذا مرض :

لما روى البخاري عن أبي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « عودوا المريض ، وأطعموا الجائع ، وفكّوا العاني (الأسير) » .

وروى الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « حق المسلم على المسلم خمس : رد السلام ، وعيادة المريض ، واتباع الجنائز ، واجابة الدعوة ، وتشميت العاطس » .

ج ـ تشميته إذا عطس :

لما روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « اذا عطس أحدكم فليقل : الحمد لله ، وليقل له

---

(1) وكيفية السلام وآدابه ستأتي في مبحث « التزام الآداب الاجتماعية » ان شاء الله .

آخوه أو صاحبه : يرحمك الله ، فاذا قال له يرحمك الله ، فليقل : يهديكم الله ويصلح بالكم » •

د ـ زيارته في الله :

لما روى ابن ماجه والترمذي •• عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من عاد مريضاً أو زار أخاً في الله ناداه منادٍ بأن طبْتَ وطاب ممشاك ، وتبوأت من الجنة منزلا » •

وروى مسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم : « أن رجلا زار أخاً له في الله في قرية أخرى ، فأرصد الله تعالى له على مدرجته (الطريق) ملكاً فلما أتى عليه قال : أين تريد ؟ قال : أريد أخاً لي في هذه القرية ، قال : هل لك من نعمة تربّها عليه (تقوم بها) ؟ قال : لا ، غير أني أحببته في الله تعالى ، قال : فإني رسول الله اليك بأن الله قد أحبك كما أحببته فيه » •

هـ ـ إعانته وقت الشدة :

لما روى الشيخان عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « المسلم أخو المسلم لايظلمه ولايُسْلِمُه (لايترك نصرته) ، من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته ، ومن فرّج عن مسلم كُرْبة فرّج الله عنه كربة من كُرَب يوم القيامة ، ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة » •

و ـ اجابة دعوته اذا دعاه :

لما روى الشيخان عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « حق المسلم على المسلم خمس : رد السلام ، وعيادة المريض ، واتباع الجنائز، واجابة الدعوة ، وتشميت العاطس » •

ز ـ التهنئة بالشهور والأعيــاد مما اعتاده الناس :

لما روى الديلمي عن ابن عباس رضي الله عنهما : « من لقي أخـاه عند الانصراف من الجمعة فليقل تقبل الله منا ومنك » .

وروى صاحب المقاصد عن خالد بن معـد أنّه لقي واثلة بن الأسقع في يوم عيد فقال له : تقبل الله منا ومنك ، فقال له واثلة : مثل ذلك .

وجاء في الصحيحين أن طلحة قام لكعب بن مالك وهنأه بتوبة اللـه عليـه .

وروى صاحب (الجامع الكبير) عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جـده مرفوعاً الى النبي صلى الله عليه وسلم : « أتدرون ماحق الجار (ويدخل الرفيق) ؟ ان استعان بك أعنته ، وان استقرضك أقرضته ، وان أصابه خير هنأته ، وان أصابته مصيبة عزيته .. » .

ح ـ المهاداة في المواسم والمناسبات :

لما روى الطبراني في (الاوسط) عن النبي صلى الله عليه وسلم أنـه قال : « تهادوا تحابوا » ؛ وللطبراني في (الأوسط) عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يانساء المؤمنين تهادين ولو فرسن[1] شاة فإنه ينبت المودة ،ويذهب الضغائن » ؛ وللديلمي عـن أنس مرفوعاً : « عليكم بالهدايا فإنها تورث المودة ، وتذهب بالضغائن » ؛ وأخرج الإمام مالك في الموطأ « تصافحوا يذهب الغِل ّ (الحقد) ، وتهادوا تحابوا وتذهب الشحناء » .

★ ★ ★

---

(١) فرسن : ظلف الشاة (أي المقدَم) .

ومما يتفرع عن حق الرفيق المؤمن الدائم حق الرفيق المؤقت ، وهو الذي يصحبك في سفر أو دراسة أو وظيفة .. وهو الذي عبر عنه القرآن الكريم حين قال : « والصاحب بالجنب » . هذا الرفيق ينبغي أن ينال ممن جاوره كل عطف ورعاية واكرام ، وتعاون وايثار ، ولين جانب . وكرم أخلاق . وهذا هو رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ وهو القدوة الصالحة ـ كان يعطي لأمته الأسوة الحسنة في ملاطفة أصحابه في السفر والحضر ، والسلم والحرب ، والحلّ والترحال ..

أسند الطبري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان معه رجل من أصحابه وهما على راحلتين ، فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم غَيْضة (مجتمع شجر) ، فقطع قضيبين أحدهما معوجّ ، فخرج وأعطى لصاحبه القويم (أي الجيد منه) ؛ فقال الرجل : كنتَ يارسول الله أحقّ بهذا ! فقال : كلا يافلان ان كل صاحب يصحب آخر فإنه مسؤول عن صحابته ولو ساعة من نهار » .

وقال ربيعة بن أبي عبد الرحمن : « للسفر مروءة وللحضر مروءة ؛ فأما المروءة في السفر فبذل الزّاد ، وقلة الخلاف على الأصحاب ، وكثرة المزاح في غير مساخط الله ؛ وأما المروءة في الحضر فالادمان الى المساجد ، وتلاوة القرآن ، وكثرة الإخوان في الله عز وجل » .

ومما ينسب لبعض بني أسد قولهم :

اذا ما رفيقي لم يكن خلفَ ناقتي

له مركب فضلا فلا حمِلَت رِجْلي

ولم يك من زادي له شطرُ مِزوَدي

فلا كنتُ ذا زادٍ ولا كنتُ ذا فضلِ

شريكانِ فيما نحن فيه وقد أرى
عليّ له فضلا بمـــا نال من فضلي

★ ★ ★

تلكم ــ أيها المربون ــ أهم الأسس والقواعد في تلقين الولد ــ منذ أن يفتح عينيه ــ حق الرفيق ، واحترام الصديق .. وهي من أعظم العوامل في تنمية النزعـــة الاجتماعية ، وتقوية ظاهرة المحبة في الله لدى الولد ، هذه النزعة حينما تقوم على أسس المحبة والاخلاص ، والوفاء والايثار ، والبذل والتعاون .. فإن دعائم التكافل والسلام والاستقرار تترسخ في المجتمع المسلم ، وان مبادىء العدل والإخاء والمساواة .. تنتشر في ربوع الارض ، وأطراف المعمورة .. لماذا ؟ لأن الفرد المسلم أعطى لكل ذي بصيرة النموذج الحي عن الاسلام في سلوكه وأخلاقه ، وملاطفته ومعاملته ..

فما أحوج المجتمع الاسلامي الى مربين أفاضل ، وآباء أكارم ... يغرسون في الولد منذ نشأته هذه الأسس من التربية الفاضلة ، والأخـــلاق القويمـــة .. حتى ينشأ الولد على كريم الخصال ، ويترعرع على أفضـــل المكارم ، وانكار الذات !!..

٦ ــ حـــق الكبـــير :

الكبير هو من كان أكبر منك سنـــاً ، وأكثر منك علماً ، وأرفع تقـــوى وديناً ، وأسمى جاهاً وكرامة ومنزلة ..

فهؤلاء ان كانوا مخلصين لدينهم ، معتزين بشريعة ربهم .. فيجب على الناس أن يعرفوا لهم فضلهم ، ويؤدوا لهم حقهم ، ويقوموا بواجب احترامهم ... امتثالا لأمر النبي صلى الله عليه وسلم الذي عرّف المجتمع فضلهم ، وأوجب على الناس حقهم ...

وإليكم طاقة عطرة من توجيهاته الكريمة في توقير الكبير :

ـــ روى الترمذي عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ماأكرم شاب شيخاً لسنّه الا قيّض الله (أي قدّر) له من يكرمه عند سنّه » .

ـــ وروى أبو داود والترمذي عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رضي الله عنهم قال : « ليس منّا من لم يرحم صغيرنا ، ويعرف حق كبيرنا » .

ـــ وروى أبو داود عن أبي موسى رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان من اجلال الله تعالى اكرام ذي الشيبة المسلم، وحامل القرآن غير العالي فيه والجافي عنه (أي التارك له) ، واكرام ذي السلطان المقسط (العادل) » .

ـــ وروى أبو داود عن ميمون بن أبي شبيب رحمه الله أن عائشة رضي الله عنها مرّ بها سائل فأعطته كِسْرة (قطعة خبز) ، ومرّ بها رجل عليه ثياب وهيئة فأقعدته فأكل فقيل لها في ذلك ؟ فقالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أنزلوا الناس منازلهم » وفي رواية : « أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ننزل الناس منازلهم » .

روى مسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « أراني في المنام أتسوّك بسواك فجاءني رجلان أحدهما أكبر من الآخر ، فناولت السواك الاصغر (منهما) ، فقيل لي كبّر فدفعته الى الاكبر منهما » .

ونستخلص من مجموعة هذه الأحاديث الصحيحة الأمور التالية :

١ ـ انزال الكبير منزلته اللائقة به :

كأن يستشار في الأمور ، ويقدم في المجلس ، ويبدأ به بالضيافة ..

تحقيقاً لقوله عليه الصلاة والسلام : « أنزلوا الناس منازلهم » • ومما يؤكد هذا مارواه الامام أحمد بإسناد صحيح عن شهاب بن عبّاد أنه سمع بعض وفد عبد القيس وهم يقولون : قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاشتدّ فرحهم ، فلما انتهينا الى القوم أوسعوا لنا ، فقعدنا ، فرحب بنا النبي صلى الله عليه وسلم ، ودعانا ، ثم نظر الينا ، فقال : من سيدكم وزعيمكم ؟ فأشرنا جميعنا الى المنذر بن عائذ ••• فلما دنا منه المنذر أوسع القوم له حتى انتهى إلى النبي صلى الله عليه وسلم •• فقعد عن يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فرحب به وألطفه ، وسأله عن بلادهم ••• الى آخر الحديث•

ومن الأمور المسلم بها والمجمع عليها لدى أهل الحديث أن الصحابة رضي الله عنهم كانوا يبدؤون بالضيافة الرسول صلى الله عليه وسلم ، ثم من كان على يمينه • فظل هذا الفعل سنة متبعة من هديه عليه الصلاة والسلام •

ب ـ البدء بالكبير بالأمور كلها :

كأن يتقدم الكبير على الصغير في صلاة الجماعة ، وفي التحدث الى الناس ، وفي الأخذ والعطاء عند التعامل ••• لما روى مسلم عن أبي مسعود قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسح مناكبنا في الصلاة ويقول : « استووا ولاتختلفوا فتختلف قلوبكم • لِيَلِيَني منكم أولو الأحلام والنُّهى (هم الرجال البالغون) ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم » •

وروى الشيخان عن أبي يحيى الأنصاري قال : انطلق عبد الله بن سهل ومحيّصة بن مسعود الى خيبر وهي يومئذ صُلح ، فتفرقا فأتى محيّصة الى عبد الله وهو يتشحّط في دمه قتيلا ثم قدم المدينة ، فانطلق عبد الرحمن بن سهل ومحيّصة وحويّصة ابنا مسعود الى النبي صلى الله عليه وسلم ، فذهب عبد الرحمن يتكلم ، فقال عليه الصلاة والسلام : « كبّر كبّر » (أي يتكلم

الأكبر سناً) ، وهو ـ أي عبد الرحمن ـ أحدث[1] القوم .. الى آخر الحديث وسبق أن كرنا قبل قليل حديث السواك ، وأنه عليه الصلاة والسلام أمر في المنام أن يناوله الى الرجل الأكبر .

ج ـ الترهيب من استخفاف الصغير من الكبير :

كأن يهزأ منه ، ويسخر عليه ، ويوجه كلاماً سيئاً اليه ، ويسيء الأدب في حضرته ، وينهر في وجهه ... لما روى الطبراني في الكبير عن أبي أمامة

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ثلاث لا يستخف بهم الا منافق: الشيبة في الاسلام ، وذو العلم وامام مقسط » .

ويتفرع عن هذه المعاني في توقير الكبير فضائل اجتماعية شرعية ترتبط بالاحترام ، فعلى المربين أن يُخلّقوا أولادهم عليها ، ويأمروهم بها :

أ ـ الحيـــاء :

وهو خُلُق يبعث على ترك القبيح ، ويمنع من التقصير في حق الكبير ، ويدفع الى اعطاء ذي الحق حقه ...

لهذا « كان الحياء خيرا كله » كما روى الشيخان عن عمران بن حصين .

ومما يدل على فضيلة الحياء ما رواه الطبراني عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا عائشة « لو كان الحياء رجلا لكان رجلا صالحاً ، ولو كان الفحش رجلا لكان رجل سَوْء » .

وروى ابن ماجه والترمذي عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول

---

(١) اي اصغرهم سناً .

الله صلى الله عليه وسلم : « ما كان الفحش في شيء الا شانه ، وما كان الحياء في شيء الا زانه » .

وروى مالك وابن ماجه عن زيد بن طلحة بن ركانة يرفعه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان لكل دين خلقاً ، وخلق الاسلام الحياء » .

وروى البخاري ومسلم عنه عليه الصلاة والسلام : « .. والحياء شعبة من الإيمان » .

فلا عجب بعد هذا التوجيه النبوي في بيان فضيلة الحياء أن يتخلّق أبناء الصحابة بهذا الخلق الرفيع ، وأن تظهر بوادره أمام من يكبرهم سناً ، ويعلوهم منزلة ..

روى الشيخان عن أبي سعيد رضي الله عنه قال : « لقد كنت على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم غلاماً فكنت أحفظ عنه فما يمنعني من القول الا أن ههنا رجالا هم أسنّ مني » .

ب ـ القيام للقادم :

القيام للقادم كالضيف أو المسافر أو العالم أو الكبير .. أدب اجتماعي نبيل يجب أن يؤمر الولد به ، ويتخلّق عليه للأدلة التالية :

أ ـ روى البخاري وأبو داود والترمذي عن عائشة رضي الله عنها قالت : « ما رأيت أحداً أشبه سمتاً ودلاً وهدياً برسول الله صلى الله عليه وسلم ـ في قيامها وقعودها ـ من فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، قالت : وكانت اذا دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم قام اليها فقبلها

وأجلسها في مجلسه ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم اذا دخل عليها قامت من مجلسها وقبلته وأجلسته في مجلسها » .

ب ـ وروى النسائي وأبو داود عن أبي هريرة رضي الله عنه : « كان النبي صلى الله عليه وسلم يحدثنا فإذا قام قمنا قياماً حتى نراه دخل الى بعض أزواجه » .

ج ـ وروى أبو داود عن عمر بن السائب أنه بلغه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان جالساً فأقبل أبوه من الرضاعة فوضع له بعض ثوبه فقعد عليه ، ثم أقبلت أمه فوضع لها شق ثوبه من الجانب الآخر فجلست عليه ، ثم أقبل أخوه من الرضاعة فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فأجلسه بين يديه .

د ـ وروى الشيخان أن سعد بن معاذ لما دنا الى المسجد قال النبي صلى الله عليه وسلم للأنصار : « قوموا الى سيدكم أو خَيْركم » .

هـ ـ ومن الاحاديث الصحيحة الثابتة الدالة على جواز القيام ماجاء في حديث ابن مالك المتفق عليه ، وهو يقص خبر تخلّفه عن غزوة تبوك قال : فانطلقت أتأمّم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتلقاني الناس فوجاً فوجاً يهنئوني بالتوبة ، ويقولون : لتَهْنِك توبة الله عليك ، حتى دخلت المسجد ، فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس حوله الناس ، فقام اليّ طلحة بن عُبَيد الله رضي الله عنه يهرول حتى صافحني وهنأني ..

وقد استدل أهل العلم والاجتهاد من مجموع هذه الاحاديث وغيرها على جواز القيام لأهل العلم والفضل في المواسم والمناسبات .

وأما ماثبت أنه صلى الله عليه وسلم نهى عن القيام فمحمول على من

قصد القيام لذاته ، واستشرفه وتطلّع اليه ، ومحصول كذلك على تقليد صفة خاصة من القيام فيها معنى الكبر والتعظيم كان ينتهجها الأعاجم في تعظيم بعضهم بعضاً كأن يقعد المعظّم مكرماً مبجلا والناس حوله واقفون .

ج ـ تقبيل يد الكبير :

ومن الآداب الاجتماعية التي ينبغي أن يعتادها الولد ، ويحرص المربي على تلقينها والتخلق بها أدب تقبيل يد الكبير ، لما لهذا الأدب الاجتماعي من أثر كبير في تعليم الولد التواضع والاحترام وخفض الجناح وإنزال الناس منازلهم ..

ومما يدل على هذا حديث الرسول صلى الله عليه وسلم ، وعمل الصحابة ، واجتهاد الأئمة :

أ ـ أخرج أحمد والبخاري في (الأدب الصغير) ، وأبو داود ، وابن الأعرابي عن زارع وكان في وفد (عبد القيس) قال : لما قدمنا المدينة جعلنا نتبادر من رواحلنا ، فنقبّل يد النبي صلى الله عليه وسلم ورجله .

ب ـ وروى البخاري في الادب المفرد عن الوازع بن عامر قال : قدمنا ، فقيل ذلك رسول الله ، فأخذنا بيده ورجليه نقبلها .

د ـ وأخرج ابن عساكر عن أبي عمار : أن زيد بن ثابت قرّبت له دابة ليركبها فأخذ ابن عباس بركابها ، فقال زيد : تنحّ ياابن عمّ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : هكذا أمرنا أن نفعل بكبرائنا وعلمائنا ، فقال زيد : أرني يدك ! فأخرج يده فقبلها فقال : هكذا أمرنا أن نفعل بأهل بيت نبيّنا !!.

هـ ـ وروى البخاري في الادب المفرد عن صهيب قال : رأيت علياً يقبل يد العباس ورجليه .

و ــ وأخرج الحافظ أبو بكر المقري عن أبي مالك الأشجعي قال : قلت لابن أبي أوفى ناولني يدك التي بايعت بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فناولنيها فقبّلتها •

هذا غيض من فيض مما ثبت في تقبيل يد أهل العلم والفضل ••فما على المربين الا أن يعوّدوا أطفالهم على هذا الخلق الكريم ، والأدب الرفيع •• حتى ينشؤوا على التواضع الجمّ ، والاخلاق العالية الندية •• في احترامهم الكبار ، وتوقيرهم العلماء ، وتعاملهم مع الآخرين ••

ولكن على المربين أن ينتبهوا في تخليق الولد على القيام والتقبيل الى أمرين هامين :

الأول : ألا يُغالوا[1] في ذلك ، لما للمغالاة من تغاضٍ عن المساوىء ، ومجافاة للحق ، وانتكاس لحقيقة الاحترام ، وتحطيم لشخصية الولد النفسية •

الثاني : ألا يزيدوا عن الحد الذي أمر به الشرع الاسلامي كالانحناء أثناء القيام ، أو الركوع أثناء التقبيل •

★ ★ ★

تلكم أهم الأسس التي وضعها الاسلام في مراعاة حقوق الآخرين ؛ فما على المربين الا أن ينشّئوا الاولاد عليها ، ويلقنوهم اياها ، ويرشدوهم اليها ، حتى يتدرج الولد على احترام الكبير ، واكرام ذي الشيبة •• وحتى يفهم منذ نعومة أظفاره حق من يكبره سناً ، وأدب من يفوقه علماً وفضلا ومنزلة ••

ولاشك أن المربي حين يضع بين يدي الجيل هذه القواعد في تخليق الولد

---

(١) المغالاة : هو الافراط في القيام والتقبيل عن الحد المعتاد المتعارف عليه.

على احترام الآخرين ، والتأدب معهم ، والإحسان اليهم .. فالولد يندفع بكليته الى توقير ذوي الفضل . واجلال ذي الشيبة .. وهذا لعمري غايـه

★ ★ ★

الأدب . ومنتهى التوقير والاحترام . فما أحوجنا الى مربين أكارم . ومعلمين أفاضل .. يفهمون حقائق التربية في الاسلام ، ثم ينطلقون جادين عازمين الى تعويد هذا الجيل هاتيك المكارم . وتخليقهم على هذه الفضائل ، وتأديبهم على هذه الخصال !!..

فإن هم انطلقوا في هذا السبيل . وصسوا على تنفيذ هذا المنهج وصلت الأمة الاسلامية الى الذروة في الخلق الاجتماعي النبيل . والأدب الاسلامي الرفيع .. وعندئذ يفرح المؤمنون بالجيل الناشيء . والمجتمع الفاضل . والاستقرار المنشود .

٣ - التزام الآداب الاجتماعية العامة

ومن القواعد التي وضعها الاسلام في تربية الولد اجتماعياً تعويده منذ نعومة أظفاره على آداب اجتماعية عامة . وتخليقه على مبادىء تربوية هامة .. حتى اذا شبّ الولد عن الطوق . وتدرّج في سني الطفولة . وأصبح يدرك حقائق الاشياء .. كان تعامله مع الآخرين في غاية البر والاحسان . وكان سلوكه في المجتمع في منتهى المحبة والملاطفة ، ومكارم الأخلاق ..

ولاشك أن هذه الآداب الاجتماعية التي سأفصل عنها في هذا البحث . مرتبطة كل الارتباط ببحث « غرس الاصول النفسية » الذي فصلنا عنه في أول هذا الفصل . لأن التعامل الاجتماعي . أو التزام الآداب العامة حينما يقوم على عقيدة الإيمان والتقوى . ومبادىء الاخوة والرحمة . ومكارم الإيثار والحلم .. فإن تربية الولد الاجتماعية تبلغ مراتبها العالية ، وغاياتها المثلى .. بل يظهر الولد في سلوكه وأخلاقه وتعامله في المجتمع على أحسن ما يظهر به انسان سويّ ، وعاقل ذكي ، وامرؤ حكيم ، ورجل متوازن ..

وهذا ما حرص عليه الاسلام في وضع المناهج التربوية لتكوين الولد خلقياً . واعداده سلوكياً واجتماعياً ..

واذا كنا نضع لكل مبحث في التربيـة الاجتماعية خطوطاً عريضـة توضح للمربين السبيل ، وتنير لهم الطريق ،

الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من أحب أن يكثر الله خير بيته فليتوضأ اذا حضر غذاؤه واذا رفع » .

ب ـ التسمية في أوله والحمد في آخره :

لما روى أبو داود والترمذي عن عائشة رضي الله عنها قالت :
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اذا أكل أحدكم فليذكر اسم الله تعالى ، فإن نسي أن يذكر اسم الله تعالى في أوله فليقل : باسم الله أوله وآخره » .

وروى الامام أحمد وغيره أن النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا أكل وشرب قال : « الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا وجعلنا مسلمين » .

ج ـ الا يعيب طعاماً قدم اليه :

لما روى الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : « ما عاب رسول الله صلى الله عليه وسلم طعاماً قط : ان اشتهاه أكله ، وان كرهه تركه » .

د ـ أن ياكل بيمينه ومما يليه :

لما روى مسلم عن عمر بن أبي سلمة رضي الله عنهما قال : كنتُ غلاماً في حجر[1] رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكانت يدي تطيش في الصحفة (تتحرك في الإناء) ، فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ياغلام سَمِّ الله ، وكل بيمينك ، وكل مما يليك » .

هـ ـ الا ياكل متكئاً :

لما فيه من الضرر الصحي وظواهر الكِبر ، روى البخاري عن أبي

---

(1) اي تحت نظره .

الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من أحب أن يكثر الله خير بيته فليتوضأ اذا حضر غداؤه واذا رفع » .

ب ــ التسمية في أوله والحمد في آخره :

لما روى أبو داود والترمذي عن عائشة رضي الله عنها قالت :
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اذا أكل أحدكم فليذكر اسم الله تعالى ، فإن نسي أن يذكر اسم الله تعالى في أوله فليقل : باسم الله أوله وآخره » .

وروى الامام أحمد وغيره أن النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا أكل وشرب قال : « الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا وجعلنا مسلمين » .

ج ــ الا يعيب طعاماً قدم اليه :

لما روى الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : « ما عاب رسول الله صلى الله عليه وسلم طعاماً قط : ان اشتهاه أكله ، وان كرهه تركه » .

د ــ أن ياكل بيمينه ومما يليه :

لما روى مسلم عن عمر بن أبي سلمة رضي الله عنهما قال : كنتُ غلاماً في حجر[1] رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكانت يدي تطيش في الصحفَة (تتحرك في الإناء) ، فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ياغلام سَمِّ الله ، وكل بيمينك ، وكل مما يليك » .

هـ ــ الا ياكل متكئاً :

لما فيه من الضرر الصحي وظواهر الكِبر ، روى البخاري عن أبي

---

(1) اي تحت نظره .

جحيفة وهب بن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا آكل متكئاً » .

وروى مسلم عن أنس رضي الله عنه قال : « رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم جالساً مُقْعِياً[1] يأكل تمراً » .

و ـ يستحب التحدث على الطعام :

لما روى مسلم عن جابر رضي الله عنه « أن النبي صلى الله عليه وسلم سأل أهله الأُدُمَ ، فقالوا : ماعندنا الا خلّ ، فدعا به فجعل يأكل منه ويقول : نعم الأدم الخل ، نعم الأدم الخل » . وقد صح عنه عليه الصلاة والسلام أنه كان يتحدث الى أصحابه وهو يأكل على المائدة في أكثر من مناسبة .

ز ـ يستحب أن يدعو لمضيفه اذا فرغ من الطعام :

لما روى أبو داود والترمذي عن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم جاء الى سعد بن عبادة ، فجاء بخبز وزيت[2] فأكل ، ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم : أفطر عندكم الصائمون ، وأكل طعامكم الأبرار ، وصلت عليكم الملائكة » .

ح ـ الا يبدأ بالطعام ويوجد من هو أكبر منه :

لما روى مسلم في صحيحه عن حذيفة رضي الله عنه قال : « كنا اذا حضرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم طعاماً لم نضع أيدينا حتى يبدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم فيضع يده » .

ط ـ الاّ يستهتر بالنعمة :

لما روى مسلم عن أنس رضي الله عنه قال : كان رسول

---

(١) المقعي : هو الذي يلصق إليتيه بالأرض وينصب ساقيه .

(٢) عند احمد والطبراني : فقرب اليه زبيباً وهو الصواب ؛ قال الحافظ : وما الزيت الا تصحيفاً عن الزّبيب .

الله صلى الله عليه وسلم اذا أكل طعاماً لَعِقَ أصابعه الثلاث . وقال اذا سقطت لقمة أحدكم فليأخذها ولْيُمِطْ عنها الأذى ولْيأكلها ولايدعها للشيطان . وأمرنا أن نسلُتَ القصعة . وقال : « انكم لاتدرون في أي طعامكم البركة » .

اما أدب الشراب فهو كما يلي :

أ ــ استحباب التسمية والحمد والشرب ثلاثاً :

لما روى الترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لاتشربوا واحداً كشرب البعير . ولكن اشربوا مثنى وثلاث ، وسمّوا اذا أنتم شربتم ، واحمَدوا اذا أنتم رفعتم » . أي انتهيتم من الشرب .

ب ــ كراهية الشرب من فم السقاء :

لما روى الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : « نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يُشْرَب مِنْ في السقاء أو القربة (أي فمها) » . لمنافاة الشرب للذوق الاجتماعي ، ومخافة أن يكون قد وقع في الماء ما يضر بالصحة .

ج ــ كراهيــة النفخ في الشراب :

لما روى الترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما « أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى أن يُتَنَفّس في الإناء أو يُنفخ فيه » . ولايخفى ما في هذا النفخ والتنفس من الأضرار الصحية ،والمنافاة للآداب الاجتماعية ..

د ــ استحباب الشرب والأكل في حال الجلوس :

لما روى مسلم عن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم « أنه نهى أن يشرب الرجل قائماً ، قال قتادة : فقلنا لأنس : فالأكل ؟ قال :

ذلك أشرّ » • وفي رواية لمسلم عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لايشربنّ أحد منكم قائماً ، فمن نسيَ فليستقىء » (أي يتقيأ) •

وما صح عنه عليه الصلاة والسلام أنه شرب قائماً فلبيان الجواز . كأن يكون الشارب في حالة يكون الشرب فيها قائماً أفضل من الشرب جالساً كشربه عليه الصلاة والسلام من ماء زمزم تحقيقاً لمبدأ « يريد الله بكم اليسر ولايريد بكم العسر » •

هـ ــ النهي عن الشرب من آنية الذهب والفضة :

لما روى الشيخان عن أم سلمة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «الذي يشرب في آنية الفضة فإنما يجرجر في بطنه نار جهنم» وفي رواية لمسلم : « من شرب في اناء من ذهب أو فضة فإنما يجرجر في بطنه ناراً من جهنم » • لما لاستعمال هذه الآنية من مظهر الكبر والاستعلاء ، وجرح كرامـــة الفقـــير •

و ــ النهي عن امتلاء المعدة في الأكل والشرب :

لما روى الامام أحمد والترمذي وغيرهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ما ملأ آدمي وعاء شراً من بطنه ، بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه . فإن كان لابد فاعلا ، فثلث لطعامه ، وثلث لشرابه ، وثلث لنَفَسِه » •

فعلى المربين أن يتقيدوا بهذه الآداب ، وأن يعلموها أولادهم .. ليعتادوها في حياتهم الاجتماعية ، وفي تعاملهم مع الناس •

٢ ــ أدب الســلام :

للسلام آداب ، فعلى المربي أن يرسخها في الولد ، ويعوده اياها ، وهي مرتبة كما يلي :

أ ــ أن يعلمه أن الشرع أمر بالسلام :

امر الله به في قرآنه حين قال :

« يا ايها الذين آمنوا لاتدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها » .

(النور : ٢٧)

« فإذا دخلتم بيوتاً فسلموا على أنفسكم تحيةً من عند الله مباركة طيبة » .

(النور : ٦١)

وأمر به عليه الصلاة والسلام في تأديبه لأمته : روى الشيخان عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رجلا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أيّ الاسلام خير ؟ قال : « تطعم الطعام وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف » .

وروى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لاتدخلوا الجنة حتى تؤمنوا . ولاتؤمنوا حتى تحابّوا . أو لا أدلكم على شيء اذا فعلتموه تحاببتم ؟ أفشوا السلام بينكم » .

ب ــ أن يعلمه كيفية السلام :

وهو أن يقول المبتدىء بالسلام : « السلام عليكم ورحمة الله وبركاته » ، ويقول المجيب بصيغة الجمع : « وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته » ولو كان المسلَّم عليه واحداً .

وهذا التعليم لكيفية السلام مستفاد من الأحاديث الصحيحة : روى أبو داود والترمذي عن عمران بن الحصين رضي الله عنهما قال : جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : السلام عليكم ، فرد عليه ثم جلس ، فقال

النبي صلى الله عليه وسلم « عشر » ، ثم جاء آخر فقال : السلام عليكم ورحمة الله ، فرد عليه فجلس ، فقال « عشرون » ، ثم جاء آخر فقال : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، فرد عليه فجلس ، فقال « ثلاثون » .

وروى الشيخان عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : « هذا جبريل يقرأ عليك السلام » ، قالت : وعليه السلام ورحمة الله وبركاته .

ج ـ أن يعلمه أدب السلام :

وهو تسليم الراكب على الماشي ، والماشي على القاعد ، والقليل على الكثير ، والصغير على الكبير ، لما روى الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يسلم الراكب على الماشي ، والماشي على القاعد ، والقليل على الكثير » ؛ وفي رواية البخاري : « يسلم الصغير على الكبير » .

د ـ أن ينهاه عن السلام الذي فيه تشبه بالأجانب :

لما روى الترمذي عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ليس منا من تشبّه بغيرنا ، لاتشبهوا باليهود ولا بالنصارى ، فإن تسليم اليهود الإشارة بالأصابع ، وتسليم النصارى الإشارة بالأكف » ، وفي هذا النهي تمييز لخصائص هذه الأمة الاسلامية من الامم الاخرى في آدابها الاجتماعية ، ومزاياها السلوكية والأخلاقية .

هـ ـ على المربي ان يبدأ الأولاد بالسلام :

تعليماً منه وتعويداً ، اقتداء بالمربي الاول عليه الصلاة والسلام حيث كان يسلم على الصبيان اذا مر بهم ؛ روى الشيخان عن أنس رضي الله

عنه « أنه مرّ على الصبيان فسلم عليهم وقال : كان النبي صلى الله عليه وسلم يفعله » ، وفي رواية لمسلم : « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مرّ على غلمان فسلم عليهم » . وفي رواية أبي داود « أن النبي صلى الله عليه وسلم مرّ على غلمان يلعبون فسلم عليهم » . وفي رواية ابن السنّي قال لهم : « السلام عليكم يا صبيان » .

و ـ ان يعلمه ان يرد على غير المسلم بلفظ « وعليكم » :

لما روى الشيخان عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اذا سلم عليكم أهل الكتاب فقولوا : وعليكم » . كما عليه أن يعلمه ألا يبدأ أهل الكفر بالسلام لحديث مسلم « لاتبدؤوا اليهود والنصارى بالسلام ... » .

ز ـ أن يعلمه أن الابتداء بالسلام سنة ، والردّ واجب :

لما روى ابن السني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من أجاب السلام فهو له ، ومن لم يُجِب فليس منا » .

وروى الترمذي عن أبي أمامة قيل : يا رسول الله ، الرجلان يلتقيان أيهما يبدأ بالسلام ؟ قال : أولاهما بالله تعالى ، وفي رواية أبي داود : « ان أولى الناس بالله من بدأهم بالسلام » .

وعلى المربي أن يعلم الولد أن هناك أحوالا خاصة يكره فيها السلام : من هذه الأحوال : المتوضيء ، ومَن في الحمام ، ومن يأكل ، ومن يقاتل ، وعلى تالٍ للقرآن ، وذاكر لله ، وملبٍّ في الحج ، وخطيب في الجمعة أو غيرها ، وواعظ في مسجد أو غيره ، ومقرر فقه ، ومشتغل في درس ، وباحث في علم ، ومؤذن أو مقيم للصلاة ، ومن علـى حاجته ، أو مشتغل بالقضاء ،

أو ما شاكل ذلك .. فمن سلّم في حالة لايُسْتَحبّ فيها السلام لم يستحق المسلِّم جواباً .

فعلى المربين أن يتقيدوا بآداب السلام ويعلموها أولادهم . ليعتادوها في حياتهم الاجتماعية ، وفي تعاملهم مع الناس .

٣ ـ أدب الاستئذان :

وللاستئذان آداب فعلى المربي أن يرسخها في الولد . ويعلمها اياه امتثالا لقوله تبارك وتعالى :

« يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلاة العشاء ثلاث عورات لكم ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن طوافون عليكم بعضكم على بعض كذلك يبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم ، وإذا بلغ الأطفال منكم الحلم فليستأذنوا كما استأذن الذين من قبلهم .. » .

(النور : ٥٨ ـ ٥٩)

يأمر الله سبحانه المربين في هذا النص القرآني أن يرشدوا أطفالهم الذين لم يبلغوا سن البلوغ الى أن يستأذنوا على أهليهم في ثلاثة أحوال :

الأول : من قبل صلاة الفجر لأن الناس اذ ذاك يكونون نياماً في فرشهم .

الثاني : وقت الظهيرة (أي القيلولة) لأن الانسان قد يضع ثيابه في تلك الحال مع أهله .

الثالث : من بعد صلاة العشاء لأنه وقت نوم وراحة .

وشرع الاستئذان في هذه الاوقات الثلاثة لما يخشى أن يكون الرجل او المرأة في حالة لا يحب أن يطلع عليها أحد من أولاده الصغار .

أما اذا بلغ الاطفال سن البلوغ والرشد فعليهم أن يستأذنوا في هذه الاوقات الثلاثة وفي غيرها امتثالا لقوله تبارك وتعالى :

« وإذا بلغ الأطفال منكم الحلم فليستأذنوا كما استأذن الذين من قبلهم..»

ولايخفى مافي هذه اللفتات القرآنية من اهتمام الاسلام في تربية الولد اجتماعياً وتكوينه سلوكياً وخلقياً .. حتى اذا بلغ سن الشباب كان النموذج الحي عن الانسان الكامل في أدبه وخلقه . وتصرفه واتزانه ..

وللاستئذان آداب أخرى وهي مرتبة كما يلي :

ا ـ أن يسلم ثم يستأذن :

لما روى أبو داود أن رجلا من بني عامر استأذن على النبي صلى الله عليه وسلم وهو في بيت فقال : أألج ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لخادمه : « أخرج الى هذا فعلمه الاستئذان . فقل له : قل : السلام عليكم . أأدخل ؟ فسمعه الرجل فقال : السلام عليكم . أأدخل ؟ فأذن له النبي صلى الله عليه وسلم فدخل » .

ب ـ ان يعلن عن اسمه او صفته أو كنيته :

لما جاء في الصحيحين في حديث الإسراء المشهور قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ثم صعد بي جبريل الى السماء الدنيا فاستفتح (قرع الباب) ، فقيل من هذا ؟ قال : جبريل . قيل : ومَنْ معك ؟ قال : محمد . ثم صعد بي الى السماء الثانية والثالثة وسائرهن . ويقال في باب كل سماء : مَنْ هذا ؟ فيقول : جبريل » .

وفي الصحيحين عن أبي موسى لما جلس النبي صلى الله عليه وسلم على

بئر البستان ، وجاء أبو بكر فاستأذن ، فقال أبو موسى من ؟ قال : أبو بكر ثم جاء عمر فاستأذن ، فقال : من ؟ قال : عمر ، ثم عثمان كذلك .

وفي الصحيحين عن جابر رضي الله عنه قال : « أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فدققت الباب فقال : مَنْ ذا ؟ فقلت : أنا ، فقال عليه الصلاة والسلام : أنا أنا ؟ كأنه كرهها » .

ج ـ أن يستأذن ثلاث مرات :

لما في الصحيحين عن أبي موسى الاشعري رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الاستئذات ثلاث ، فإن أُذِن لك والا فارجع » .

ويحسن أن يكون بين استئذان المرة الاولى والثانية انتظار مقدار صلاة أربع ركعات مظنّة أن يكون المستأذن عليه في صلاة أو في قضاء حاجة ...

د ـ أن لا يدقّ الباب بعنف :

ولاسيما ان كان رب المنزل أباه أو أستاذه أو ذا فضل .. أخرج البخاري في (الأدب المفرد) عن أنس رضي الله عنه « أن أبواب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت تقرع بالأصابع » . وكان السلف يقرعون أبواب أشياخهم بالاظافر . وهذا يدل على مبالغتهم في الاحترام والأدب . وهوحسن لمن قرُب محله من بابه ، وأما من بعد عن الباب فيقرع بحسب ما يحصل به المقصود ، وأما اذا كان على الباب جرس كما جرى العرف اليوم . فيقرع المستأذن بقرعة خفيفة لطيفة لتدل على لطفه وكرم أخلاقه ومعاملته .

هـ ـ أن يتحوّل عن الباب عند الاستئذان :

مظنّة وقوف امرأة أجنبية أثناء فتح الباب ، والاستئذان شرع من أجل

النظر ، وهذا ما أكده عليه الصلاة والسلام لأصحابه حين قال : ـ كما روى الشيخان ـ « انما جعل الاستئذان من أجل البصر » .

وروى الطبراني عن عبد الله بن بسر رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « لا تأتوا البيوت من أبوابها ولكن ائتوها من جوانبها فاستأذنوا . فإن أذن لكم فادخلوا والا فارجعوا » ; وروى أبو داود « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أتى باب قوم لم يستقبل الباب من تلقاء وجهه ، ولكن من ركنه الأيمن أو الأيسر ويقول : السلام عليكم ، السلام عليكم » .

وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من اطلع في بيت قوم فقد حلّ لهم أن يفقؤوا عينه » ، وفي رواية للنسائي أنه صلى الله عليه وسلم قال : « من اطلع في بيت قوم ففقؤوا عينه فلا ديّة ولا قصاص » .

و ـ ان يرجع إذا قال له رب المنزل ارجع :

لقوله تبارك وتعالى :

« يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون ، فإن لم تجدوا فيها أحداً فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أزكى لكم » .

(النور : ٢٧ ـ ٢٨)

وعلى المستأذن ألا يجد في ذلك حرجاً ولا غضاضة لامتثاله أمر الله سبحانه في الرجوع .

قال قتادة : قال بعض المهاجرين : لقد طلبت عمري كله هذه الآية ، فما

أدركتها أن أستأذن على بعض اخواني فيقول لي : ارجع ، فأرجع وأنا مغتبط .

هذه أهم القواعد التي وضعها الاسلام في آداب الاستئذان ، فما على المربين إلا أن يتقيدوا بها ، ويعلموها أولادهم ، ليعتادوها في حياتهم الاجتماعية ، وفي تعاملهم مع الناس .

٤ ــ أدب المجلس :

للمجلس آداب ، فعلى المربي أن يعلمها الولد ، ويرشده اليها ، ويلاحظه عند تطبيقها ، وهي مرتبة كما يلي :

أ ــ أن يصافح من يلتقي بهم في المجلس :

لما روى ابن السني وأبو داود عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال : اذا التقى المسلمان ، فتصافحا وحمدا الله تعالى ، واستغفرا غفر الله عز وجلّ لهما » .

وروى الترمذي وابن ماجة وغيرهما عن البراء رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما من مسلمين يلتقيان فيتصافحان الا غفر لهما قبل أن يتفرقا » .

وفي الموطأ للامام مالك عن عطاء الخرساني قال : « قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : تصافحوا يذهب الغِلّ (الحقد) ، وتهادوا تحابّوا وتذهب الشحناء » .

ب ــ أن يجلس في المكان الذي يخصصه له رب المنزل :

لكون رب المنزل أعرف بالمكان الذي يجلس فيه ضيفه . وهو صاحب الحق في ذلك ، وقد قيل قديماً « أهل مكة أدرى بشعابها » وقيل حديثاً : « وربّ البيت أدرى بالذي فيه » . وهذا يتفق مع قوله تبارك وتعالى :

« فإن لم تجدوا فيها أحداً فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم ، وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أزكى لكم » .

فالضيف ــ كما قررت الآية ــ رهن اشارة مضيفه في كــل شيء حتى الرجوع ، ويتفق مع قوله عليه الصلاة والسلام : « ومن دخل دار قوم فليجلس حيث أمروه فإن القوم أعلم بعورة دارهم » • مجمع الزوائد •

ج ــ أن يجلس في محاذاة الناس لا في وسطهم :

وهذا أدب اجتماعي كريم لأنه اذا جلس في الوسط استدبر بعض الناس بظهره فيؤذيهم بذلك ويسبونه ويلعنونه •

روى أبو داود بإسناد حسن عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليــه وسلم « لعن مــن جلس في وسط الحَلْقَة » ؛ وروى الترمذي عن أبي مِجْلَز « أن رجلا قعد وسط حلقة فقال حذيفة : ملعون على لسان محمد صلى الله عليه وسلم من جلس وسط الحلقة » •

وهذا محمول ان كان في المجلس سعة ، وأما ان كان في المجلس ضيق واضطر الناس أن يجلسوا في الوسط فلا اثم ولا حرج لقوله تبارك وتعالى : « وما جعل عليكم في الدين من حرج » •

د ــ أن لا يجلس بين اثنين إلا بإذنهما :

لما رواه الترمذي وأبو داود عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جــده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قــال : « لا يحل لرجــل أن يفرق بين اثنين الا بإذنهما » ، وفي رواية لأبي داود : « لا يجلس بين رجلين الا بإذنهما » •

هـ ــ أن يجلس القادم حيث ينتهي به المجلس :

لما روى أبو داود والترمذي عن جابر بن سمرة رضي الله عنهمــا قال : « كنا اذا أتينا النبي صلى الله عليه وسلم جلس أحدنا حيث ينتهي » •

وهذا محمول ان كان القادم رجلا عادياً ، أما ان كان ذا قــدر من علم ، أو منزلة من جاه • • فلا بأس مـــن الحاضرين أو ربّ المنزل أن يضعوه في المكان المناسب لقوله عليه الصلاة والسلام : « أنزلوا الناس منازلهم » ،وسبق أن ذكرنا[1] أن وفد عبد القيس حينما قدموا على النبي صلى الله عليه وسلم كيف رحب بهم ، وأوسع لهم ، وقرب زعيمهم المنذر بن عائذ اليه ، وأقعـــده عليه الصلاة والسلام على يمينه بعد أن رحّب به وألطفه •

و ـ ألاّ يتسارّ اثنان في حضرة ثالث في المجلس :

لما روى الشيخان عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنـــه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « اذا كنتم ثلاثة فــلا يتناجى[2] اثنان دون الثالث من أجل أن ذلك يحزنه » •• والعلة في النهي أن الثالث يظن الظنون ، ويحزن لعدم الاكتراث به ، أما اذا تناجى اثنان دون اثنين أو أكثر فانه يجوز ان لـــم يورث ذلك شبهة •

ز ـ من خرج من مجلسه لحاجة ثم رجع اليه فهو أحق به :

لما روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى اللهعليه وسلم قال : « اذا قام أحدكم من مجلس ثم رجع اليه فهو أحق به » •

ح ـ أن يستأذن قبل انصرافه من المجلس :

لقوله عليـــه الصلاة والسلام ـــ كما روى الشيخان ـــ : « انما جعـــل الاستئذان من أجل البصر » ، وهذا يشمل استئذان الدخول ، واستئـــذان الانصراف •• وهذا غاية ما حرص عليه الإسلام في الحفاظ على حرمة البيوت. وصيانة الأعراض والحرمات ••

---

(١) ذكرنا ذلك في مبحث « حق الكبير » فارجع اليه ص ٤٢٧ .
(٢) يتناجى اثنان : يتكلمان سراً .

ط ـ أن يقرأ دعاء كفارة المجلس :

لما روى الحاكم عن أبي برزة رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أراد أن يقوم من المجلس قال : « سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا اله الا أنت أستغفرك وأتوب اليك » ، فقال رجل يا رسول الله إنك لتقول قولا ما كنت تقوله فيما مضى ؟ قال : « ذلك كفارة لما يكون في المجلس » .

هذه أهم القواعد التي وضعها الاسلام في آداب المجلس ، فما على المربين إلا أن يلتزموها ، ويتقيدوا بها ، ويعلموها أولادهم ، ليعتادوها في حياتهم الاجتماعية ، وفي تعاملهم مع الناس .

٥ ـ أدب الحديث :

ومن الآداب الاجتماعية الهامة التي ينبغي على المربين أن يعيروها اهتمامهم تعويد الولد منذ الصغر على أدب الكلام ، وأسلوب الحديث ، وأصول الحوار .. حتى اذا ترعرع الولد ، وبلغ سن البلوغ عرف كيف يحدث الناس ، وكيف يستمع منهم ؟ وعلم كيف يحاورهم ويدخل السرور عليهم ؟

وهذه جملة آداب من أدب الحديث نسردها لتكون للمربين تبصرة وذكرى:

أ ـ التكلم باللغة العربية الفصحى :

لكون اللغة العربية هي لغة القرآن الكريم ، ولغة نبينا عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم ، ولغة الرعيل الأول من أصحابه الكرام رضوان الله عليهم أجمعين ، ولغة من تبعهم بإحسان الى يوم الدين .

فمن الجحود لهذه اللغة أن نعدل عنها ، ونتكلم بلغة عامية لا تمت الى

العربية بصلة ولا بنسب ؛ وزينة الانسان فصاحة لسانه ، وجمال الرجل حلاوة **منطقــه ..**

روى الحاكم في مستدركه عن علي بن الحسين رضي الله عنهما : أقبل العباس رضي الله عنه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه حلّتان ، وله ضفيرتان ، وهــو أبيض ، فلما رآه تبسّم ، فقــال العباس : يا رسول الله ما أضحكك ؟ أضحك الله سنّك ، فقال : « أعجبني جمال عمّ النبي » صلى الله عليه وسلم ، فقال العباس : ما الجمال ؟ قال : «اللسان» ؛ وعندالعسكري: ما الجمال في الرجل ؟ قال : « فصاحة لسانه » .

روى الشيرازي والديلمي عن أبي هريرة رضي الله عنــه قال : قلنــا : يا رسول اللهما رأينا أفصحمنك ؟ قال : « إن الله تعالىلم يخلقني لحّاناً ، اختار لي خير الكلام : كتابه القرآن » .

ب ــ التمهّل بالكلام أثنــاء الحديث :

ومن أدب الحديث التمهــل في الكلام حتى يفهم المستمع المراد منــه ، ويعقل مَن في المجلس مغزى الحديث ويتدبروه ، وهــذا ما كان يفعله النبي صلى الله عليه وسلم تعليماً لأمته ؛ روى الشيخان عن عائشة رضي الله عنها : « ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يســرد الحديث كسردكم هــذا ، يحدّث حديثاً لو عــدّه العادّ لأحصاه » وزاد الإسماعيلي في روايته : « انما كان حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فهما تفهمه القلوب » .

وروى أبو داود عن عائشة رضي الله عنها قالت : « كان كلامه صلى الله عليه وسلم فصلا يفهمه كل من سمعه » .

ج ــ النهي عن التكلف في الفصاحة :

ومن أدب الحديث الابتعاد عن التنطّع في الكلام ، والتكلف في فصاحة

اللسان . لما روى أبو داود والترمذي بالسند الجيد عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ان الله عز وجل يُبغض البليغ من الرجال : الذي يتخلل بلسانه كما تتخلّل البقر بلسانها »[1] .

وفي الصحيحين عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم « كان اذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثاً حتى تفهم عنه ، واذا أتى على قوم فسلّم عليهم .. وكان صلى الله عليه وسلم يتكلم بكلام فصل لا هزْرَ[2] ولا نَزْر ، ويكره الثرثرة في الكلام والتشدّق به (أي التكلّف) » .

د ـ المخاطبة على قدر الفهم :

ومن أدب الحديث أن يتحدث المتكلم بأسلوب يناسب ثقافة القوم . ويتفق مع عقولهم وأفهامهم وأعمارهم لقوله عليه الصلاة والسلام : « أمرنا معاشر الأنبياء أن نحدث الناس على قدر عقولهم »[3] .

وفي صحيح البخاري عن علي موقوفاً : «حدثوا الناس بما يعرفون أتحبون أن يُكذّب الله ورسوله » .

وفي مقدمة صحيح مسلم عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : « ما أنت بمحدّث قوماً حديثاً لا تبلغه عقولهم الا كان لبعضهم فتنة » .

وللديلمي عن ابن عباس رضي الله عنهما رفعه : « لاتحدثوا أمتي من أحاديثي الا ما تحمله عقولهم ، فيكون فتنة عليهم » .

(١) قال في النهاية : « هو الذي يتشدق في الكلام ، ويفخم به لسانه ويلفه ، كما تلف البقرة الكلأ بلسانها لفاً » اهـ .

(٢) الهزر والنزر : الكثير والقليل .

(٣) رواه الديلمي بسند ضعيف وله شواهد كثيرة مما رفع الحديث الى مرتبة الحسن لغيره ، ارجع الى كتاب « كشف الخفاء » للعجلوني لفظ «أمرنا» .

هـ ـ التحدث بما لا يُخِلّ ولا يُمِلّ :

ومن أدب الحديث إعطاء الحديث حقه حيث لا يصل الأمر الى الاختصار المخلّ . ولا الى التطوال المملّ . ليكون الحديث أوقع في نفوس السامعين. وأشوق الى قلوبهم .. روى مسلم عن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال : كنت أصلي مع النبي صلى الله عليه وسلم ، فكانت صلاته قصداً ، وخطبته قصداً. (أي وسطاً) . وروى الامام أحمد وأبو داود من حديث حكيم ابن حزام رضي الله عنه قال : شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الجمعة ، فقام متوكئاً على عصا ـ أو قوس ـ فحمد الله وأثنى عليه ، فكانت كلمات خفيفات طيبات مباركات .

وفي الصحيحين : « كان ابن مسعود يذكرنا في كل خميس ، فقال له رجل : يا أبا عبد الرحمن لوددت أنك ذكّرتنا كل يوم ، فقال : أما انه يمنعني من ذلك أني أكره أن أملّكم ، واني أتخوّلكم (أتعهدكم) بالموعظة كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخوّلنا مخافة السآمة علينا » .

ولا بأس بالاستشهاد بشواهد الشعر ، وطرائف الحكمة ، لقول علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه : « إنّ القلوب تملّ كما تملّ الابدان ، فابتغوا لها طرائف الحكمة » .

و ـ الاصغاء التام الى المتحدث :

ومن أدب الحديث الإصغاء التام الى المتحدث ، ليَعي السامع ما يقول، ويستوعب ما يحدث .. فكان الصحابة حينما يحدثهم النبي صلى الله عليه وسلم بحديث كأنّ على رؤوسهم الطير من فرط المهابة ، وشدة الاهتمام ..

وفي مقابل هذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يُصغي كل الإصغاء الى من يحدثه أو يسأله ، بل يقبل عليه بكليته ويلاطفه ، روى أبو داود عن أنس

رضي الله عنه قال : ما رأيت رجلا التقم أذن النبي صلى الله عليه وسلم ــ يعني يكلّمه سراً ــ فينحّي رأسه عنه (أي يرفعه عنه) حتى يكون الرجل هو الذي يُنحّي رأسه . وما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ بيد رجل فترك يده ، حتى يكون الرجل هو الذي يدع يده .

ز ــ اقبال المتحدث على الجلساء جميعا :

ومن أدب الحديث أن يقبل المتحدث بنظراته وتوجيهاته على الجلساء جميعاً ، حيث يشعر كل فرد منهم أنه يريده ويخصّه .

روى الطبراني بإسناد حسن عن عمرو بن العاص قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل بوجهه وحديثه على شرّ القوم ، يتألفه بذلك . وكان يقبل بوجهه وحديثه عليّ حتى ظننت أني خير القوم ، فقلت : يا رسول الله أنا خير أم أبو بكر ؟ فقال : أبو بكر ، قلت يا رسول الله أنا خير أم عمر؟ قال : عمر . قلت يا رسول الله أنا خير أم عثمان ؟ قال : عثمان ، فلما سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم صدّ عني ، فوددت أني لم أكن سألته .

ح ــ مباسطة الجلساء أثناء التحدث وبعده :

ومن أدب الحديث مباسطة المتحدث جلساءه أثناء الحديث وبعده ، حتى لايشعروا بالسأم ، ولا ينتابهم الملل أثناء الحديث .

روى الامام أحمد عن أم الدرداء رضي الله عنها قالت : كان أبو الدرداء اذا حدّث حديثاً تبسّم ، فقلت : لا ، يقول الناس : انك أحمق ــ أي بسبب تبسمك في كلامك ــ فقال أبو الدرداء : ما رأيت أو سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدّث حديثاً الا تبسّم ، فكان أبو الدرداء اذا حدث حديثاً تبسم اتباعاً لرسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك .

وروى مسلم عن سماك بن حرب قال : قلت لجابر بن سمرة رضي الله

عنه : أكنت تجالس رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال جابر : نعم كثيراً. كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقوم من مصلاّه الذي فيه يصلي الصبح حتى تطلع الشمس ، فإذا طلعت قام ، وكانوا يتحدثون ـ والرسول جالس ـ فيأخذون في أمر الجاهلية فيضحكون، ويتبسم صلى الله عليه وسلم •

هذه أهم القواعد التي وضعها الاسلام في آداب الحديث ، فما على المربين الا أن يأخذوا بها ، ويعلموها أبناءهم ، ليعتادوها في حياتهم الاجتماعية وفي تعاملهم مع الناس •

٦ ـ أدب المـزاح :

ما أجمل المسلم في الحياة حينما يجمع مع الجدّ ـ الذي يسعى اليه ـ روح الدعابة ، وفكاهة الحديث ، وعذوبة المنطق ، وطرافة الحكمة !!••

وما أحسنه وأكرمه حينما يملك القلوب بجاذبية حديثه ، ويأسر النفوس بلطيف معشره ، وكريم مداعبته !!•• ذلك لأن الاسلام بمبادئه السمحة يأمر المسلم أن يكون آلفاً مألوفاً بسّاماً مرحاً خلوقاً ، كريم الخصال ، حميد الفعال ، حسن المعشر •• حتى اذا خالط الناس ، واجتمع بهم ، رغبوا به ، وانجذبوا اليه ، والتفوا حوله •• وهذا غاية ما يحرص عليه الاسلام في تربية الأفراد ، وتكوين المجتمعات ، وهداية الناس ••

ولكن هل للمسلم أن ينطلق في المرح والمداعبة والمزاح كما يشاء وحيث أراد أم لهذا آداب وضوابط ؟

نعم للمزاح والمداعبة آداب وضوابط وهي مرتبة كما يلي :

أ ـ عدم الاكثار منه والافراط فيه :

لما روى البخاري في (الأدب المفرد) والبيهقي عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لست من دَدٍ ، ولا الدّدُ مني » أي : لست من أهل اللعب واللهو ، ولا هما مني •

لأن الاكثار من المزاح . والإفراط في المرح والمداعبة يخرج المسلم عن مهمته الاساسية التي خلق من أجلها ألا وهي عبادة الله . واقامة حكم الله في الأرض . وتكوين المجتمع الصالح .. والصحابة الكرام الذين تربوا في مدرسة النبوة كانوا يتمازحون فيما بينهم ولكن اذا جدّ الجد كانوا هم الرجال ؛ روى البخاري في (الأدب المفرد) : « كان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يتبادحون (يترامون) بالبطيخ ، فإذا كانت الحقائق كانوا هم الرجال » .

وفي الإكثار من المزاح كذلك اماتة للقلب ، وتوريث للعداوة ، وتجريىء للصغير على الكبير ، وقد قال عمر رضي الله عنه : « من كثر ضحكه قلّت هيبته ، ومن مزح استُخِفّ به » .

ب ـ عدم الأذى فيه والاساءة لأحد :

فالمزاح مندوب اليه بين الأهل والاقرباء ، والإخوان والاصدقاء بشرط ألا يكون فيه أذى لأحد ، أو استخفاف بمخلوق ، أو حزن للغير ..

واليكم طرفا من هديه عليه الصلاة والسلام في نهيه الأصحاب عن المزاح الذي فيه اساءة :

ـ في (سنن أبي داود) و (الترمذي) : عن عبد الله بن السائب عن أبيه عن جده أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « لا يأخذنّ أحدكم متاع أخيه لاعباً ولا جاداً ، ومن أخذ عصا أخيه فليردّها » .

ـ وروى أبو داود عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال : حدثنا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم أنهم كانوا يسيرون مع النبي صلى الله عليه وسلم ، فنام رجل منهم ، فانطلق بعضهم الى حبل معه فأخذه ، ففزع ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يحلّ لمسلم أن يروّع مسلماً » .

— وفي يوم الخندق كان زيد بن ثابت رضي الله عنه ينقل التراب مع المسلمين فنعس . فجاء عمارة بن حزم فأخذ سلاحه ، وهو لا يشعر . فنهاه رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك .

— وروى البزار والطبراني وابن حبان عن عامر بن ربيعة رضي الله عنه أن رجلا أخذ نعل رجل ، فغيّبها وهو يمزح ، فذُكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « لاتروّعوا المسلم . فإن روعة المسلم ظلم عظيم » .

فما بالك بالذي يستهزيء مازحاً ، ويغتاب مازحاً ، ويحقّر مازحاً . وينتهك حرمة الدين مازحاً ، فإنه آثم وواقع في الحرام من حيث يعلم أو لا يعلم ؟!!..

ج — تجنب الكذب وقول الزور :

كثير ممن يتصدرون المجالس ويمزحون يلفقون القصص المضحكة ، والحكايات المثيرة لإضحاك الناس ، ومباسطتهم ، وادخال السرور عليهم .. ولاشك أن هذه التلفيقات من الكذب أو الزور .. وهي مما نهى الاسلام عنه . وهدّد الرسول عليه الصلاة والسلام من يفعلها ، روى أبو داود والترمذي والنسائي والبيهقي عن بَهز بن حكيم عن أبيه عن جده رضي الله عنهم قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ويل للذي يحدث بالحديث ليضحك به القوم فيكذبَ ويل له ، ويل له » .

— وروى أحمد وأبو داود عن النواس بن سمعان رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كبُرتْ خيانة أن تُحدّث أخاك حديثاً هو لك مصدّق ، وأنت له كاذب » .

— وروى أحمد والطبراني عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول

الله صلى الله عليه وسلم : « لا يؤمن العبدُ الإيمان كله حتى يترك الكذب في المَزاحة ، والمِراء (الجدال) وإن كان صادقاً » .

ومن البدع الشائعة في بلادنا بدعة العادة الفاشية بين الناس المسماة بـ « كذبة نيسان » .. وهي بدعة قبيحة مسقوتة ذميمة أخذناها عن الغربيين وليست من أخلاقنا الاسلامية ، وتقاليدنا الصالحة .. ولا شك أنها من الكذب المحرم ، والزّور السافر ، والمزاح الباطل ..

واذا كان عليه الصلاة والسلام يعطي أصحابه القدوة الصالحة في كل شيء **فاليكم نماذج من مزاحه صلى الله عليه وسلم ، لنعرف كيف يمزح ولايقول الا حقـا :**

ــ روى الترمذي عن أنس رضي الله عنه أن رجلا من أهل البادية كان اسمه زاهراً ، وكان يُهدي الى النبي صلى الله عليه وسلم هدية من البادية. فيجهزه النبي صلى الله عليه وسلم اذا أراد أن يخرج الى البادية . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « ان زاهراً باديتنا ونحن حاضروه » . وكان النبي يحبه ، وكان زاهر رجلا دميماً ، فأتاه النبي صلى الله عليه وسلم يوماً وهو يبيع متاعه . فاحتضنه من خلفه وهو لا يبصره . فقال زاهر : مَنْ هذا ؟ أرسلني . فالتفت زاهر فعرف النبي صلى الله عليه وسلم . فجعل لا يألو ما ألصق ظهره بصدر النبي صلى الله عليه وسلم حين عرفه . فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يقول : « من يشتري هذا العبد ؟ » ، فقال : يا رسول الله اذاً والله تجدُني كاسداً . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « لكن عند الله لست بكاسد أو قال : أنت عند الله غالٍ » .

ــ وفي (سنن أبي داود) عن عوف بن مالك الأشجعي قال : أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك . وهو في قبة من أدم (من جلد)

ــ صغيرة ــ فسلّمت فردّ ، وقال : « أدخُلْ » فقلت : أكلّي يا رسول الله؟ قال : « كلّكِ » فدخلت •

ــ وروى الترمذي وأحمد عن أنس رضي الله عنه أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم يستحمله ــ أي يطلب منه دابة ــ فقال له صلى الله عليه وسلم. « اني حاملك على ولد الناقة » (ظنّ الصغير) فقال : يا رسول الله ماأصنع بولد الناقة ؟ فقال : « وهل يلد الإبل الا النوق » ؟

ــ وروى ابن بكار عن زيد بن أسلم أن امرأة يقال لها أم أيمن الحبشية، جاءت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : إنّ زوجي يدعوك ، فقال: « من هو ؟ أهو الذي بعينيه بياض ؟ » فقالت : ما بعينيه بياض ، فقال : « بلى بعينيه بياض » ، فقالت : لا والله ، فقال صلى الله عليه وسلم : ما من أحد الا « بعينيه بياض » • (ويقصد البياض المحيط بحدقة العين) •

ــ وروى الترمذي عن الحسن البصري رضي الله عنه قال : أتت عجوز الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت : يا رسول الله ادعُ الله أن يدخلني الجنة ، فقال : « يا أم فلان ان الجنة لا يدخلها عجوز » قال : فولّت ــ أي ذهبت ــ وهي تبكي ، فقال صلى الله عليه وسلم : « أخبروها أنها لاتدخلها وهي عجوز ، ان الله تعالى يقول :

« انا أنشأناهنّ انشاءً ، فجعلناهنّ أبكاراً عُرباً أترابا(١) »

ويقصد أنها تدخل الجنة وهي شابة •

فما على المربين الا أن يأخذوا بهدي النبي عليه الصلاة والسلام في ادب المزاح ، ويعلموها أبناءهم ، ليعتادوا في حياتهم الاجتماعية ، وفي تعاملهم مع النـاس •

---

(١) والمراد انهن مستويات في سن واحد ، العُرب : المفصحة عن محبة زوجها ، والأتراب : الفئة التي يكون أفرادها في سن واحدة .

٧ ــ أدب التهنئــة :

ومن الآداب الاجتماعية التي يجب مراعاتها في اعداد الولد تربويـاً . وتكوينه اجتماعياً •• تعويده على أدب التهنئة، وتعريفه على كيفيتها وأصولها. لتنمو في شخصيته نزعة حب الاجتماع ، وتتوثق روابط المحبة والأخوة مع من يصلهم ، ويلتقي معهم ، ويرتبط بهم •• واذا كانت المناسبـات التي يعتادها الناس في التهاني كثيرة •• فعلى المربين بشكل عام ، والآباء بشكل خاص أن يصحبوا تلامذتهـم وأولادهم الى من يقدمون اليـه أحرّ التهاني بمناسبة سعيدة ، أو فرح ميمون•• حتى تنطبع الحالة والكيفية في قلوبهم وذاكرتهم•• فتصبح في نفوسهم مع الأيام خلقاً وعادة ••

واذا كان لابد من أي عمل صالح يقوم به المسلم في الحياة ، من ثمرة يجنيها ، ومن مثوبة عند الله ينالها •• فإن تهنئة المسلم ، وملاطفته ، وادخال السرور عليه هو من أعظم القربات في نظر الاسلام ، وأحب الاعمال الى الله بعد الفرائض ، بل هو من موجبات المغفرة ، والطريق الى الجنة •

ــ روى الطبراني في (الصغير) عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول صلى الله عليه وسلم : « من لقي أخاه بما يحب ليسرّه بذلك سرّه الله عز وجل يوم القيامة » •

ــ وروى الطبراني في (الكبير) عن الحسن بن علي رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ان من موجبات المغفرة ادخالك السرور على أخيك المسلم » •

ــ وروى الطبراني في (الأوسط والكبير) عـن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ان أحب الاعمال الى الله تعالى بعد الفرائض ادخال السرور على المسلم » •

ــ وروى الطبراني عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صلى

الله عليه وسلم : « من أدخل على أهل بيت من المسلمين سروراً لم يرضَ الله له ثواباً دون الجنة » .

وللتهنئة آداب نلخصها فيما يلي :

أ ــ اظهار الفرح والاهتمام في مناسبة التهنئة :

لما جاء في الصحيحين في قصة توبة كعب بن مالك رضي الله عنه ، قال كعب : « سمعت صوت صارخ يقول : بأعلى صوته : يا كعب بن مالك أبشر ، فذهب الناس يبشروننا ، وانطلقت أتأمّم (أقصد) رسول الله صلى الله عليه وسلم يتلقاني الناس فوجاً فوجاً يهنئونني بالتوبة ، ويقولون : « لِيَهْنِكَ توبة الله تعالى عليك » حتى دخلت المسجد ، فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم حوله الناس ، فقام طلحة بن عبيد الله يهرول حتى صافحني وهنأني ، وكان كعب لا ينساها لطلحة ، قال كعب : فلما سلمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ــ وهو يبرق وجهه من السرور ــ : أبشر بخيرِ يومٍ مرّ عليك منذ ولدتك أمك »[1] .

ب ــ التلفظ في المناسبة بعبارات لطيفة وأدعية مأثورة :

السنة النبوية أرشدتنا الى كلمات بالتهنئة لطيفة ، وجمل من الدعاء رقيقة وطريفة ، على المسلم أن يتعلمها ، ويحسن أداءها ، ليقوم على تطبيقها في الوقت المناسب ، ولا بأس أن نأتي على بعض هذه الطرائف والكلمات التي أرشد النبي عليه الصلاة والسلام اليها ، وأُثِرَتْ عن أصحابه الكرام والسلف الصالح :

---

(١) تتلخص قصة كعب أنه تخلف عن غزوة تبوك من غير عذر ، فأمر النبي صلى الله عليه وسلم بمقاطعته خمسين يوما ، وبعد الخمسين نزلت الايات في توبته وتوبة صاحبيه ، وكان ماكان من أمر التهنئة . ارجع الى رياض الصالحين تجد القصة بتمامها في باب « التوبة » .

١ ـ تهنئة من ولد له مولود :

يستحب أن يقـال له : « بورك لك بالموهـوب ، وشكرت الواهب ، ورزقت برّه ، وبلغ أشدّه » .

ويستحب أن يردّ المهنيء فيقول : « بارك الله لـك ، وبارك عليـك ، ورزقك الله مثله » .

وهـذه العبارات مروية عن سيدنا الحسين بن علـي ، والامام الحسن البصري رضي الله عنهم .

٢ ـ تهنئة لمن قدم من سفر :

يستحب أن يقال له : « الحمد لله الذي سلّمك ، وجمـع الشمل بـك وأكرمك » ، مروي عن السلف .

٣ ـ تهنئـة لمـن قـدم مـن الجهـاد :

يستحب أن يقال له : « الحمد لله الذي نصرك ، وأعزك وأكرمك » . لما روى مسلم والنسائي وغيرهما عن عائشة رضي الله عنها قالت : « كـان رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزو ، فلما دخل استقبلته فأخذت بيـده فقلت : « الحمد لله الذي نصرك ، وأعزك ، وأكرمك » ، ولا بأس أن يقـال له كذلك : « الحمد لله الذي سلّمك ، وجمع الشمل بك وأكرمك » .

٤ ـ تهنئة لمن قدم من حج :

يستحب أن يقال له : « قبل الله حجّك ، وغفر ذنبك ، وأخلف نفقتك » ، لما روى ابن السني عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : « جاء غلام الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : اني أريد الحج ، فمشى معه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا غلام ، زوّدك الله التقوى ، ووجهك في الخير ، وكفاك الهمّ . فلما رجع الغلام على النبي صلى الله عليه وسلم فقـال : « يا غـلام قبل الله حجّك ، وغفر ذنبك ، وأخلف نفقتك » .

٥ ـ تهنئة عقد النكاح :

يستحب أن يقال لكل من الزوجين بعد النكاح : « بارك الله لك ، وبارك عليك ، وجمع بينكما في خير » ؛ لما روى أبو داود والترمذي وغيرهما عن أبي هريرة رضي الله عنه : « أن النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا رفّأ الانسان اذا تزوج قال : بارك الله لك، وبارك عليك، وجمع بينكما في خير» .

ويكره أن يقال له : « بالرِّفاء[1] والبنين » ، لأن ذلك من تهاني الجاهلية ، روى أحمد والنسائي وغيرهما عن عقيل بن أبي طالب أنه تزوج امرأة من جشم ؛ فدخل عليه القوم ، فقالوا : بالرِّفاء والبنين ، فقال : لاتفعلوا ذلك ، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن ذلك ، قالوا : فما نقول يا أبا زيد ؟ قال : قولوا : بارك الله لكم ، وبارك عليكم ، انا كذلك كنا نؤمر .

٦ ـ التهنئة بالعيد :

يستحب أن يقول المسلم للمسلم بعد صلاة العيد : « تقبل الله منا ومنك » .

قال في (المقاصد) مروي في العيد : أن خالد بن معدان لقي واثلة بن الأسقع في يوم عيد فقال له : « تقبل الله منا ومنك » ، فقال له مثل ذلك ، وأسنده الى النبي صلى الله عليه وسلم .

٧ ـ تهنئة من صنع اليه معروفا :

يستحب أن يقال لمن صنع اليه معروفاً : « بارك الله لك في أهلك ومالك ، وجزاك الله خيراً » ؛ لما روى النسائي وابن ماجه عن عبد الله بن أبي

---

(١) الرفاء : بكسر الراء وبالمد : وهو الاجتماع .

ربيعة قال : « استقرض النبي صلى الله عليه وسلم مني أربعين ألفاً . فجاءه مال فدفعه الي وقال: «بارك الله في أهلك ومالك، انما جزاء المسلف (المقرض) الحمد والثناء » .

وروى الترمذي عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « مَنْ صُنع اليه معروف فقال لفاعله : « جزاك الله خيراً » . فقد بلغ في الثناء » .

والأفضل في حق المهنّيء أن يتقيد بالمأثور . واذا أحب أن يزيد بتعابير من عنده فيها رقة ولطافة ، ودعاء .. فله ذلك بشرط ألا تكون هذه التعابير مقتبسة من أصل أجنبي ، ومأخوذة من تقليد جاهلي لتتّسم بالتميّز العقيدي، والأصالة الاسلامية ..

ج ـ تستحب المهاداة مع التهنئة :

ومن الامور المستحبة في التهنئة تقديم الهدية لأهل المولود أو القادم من سفر أو الذي دخل ليلة الزفاف أو غيرها من المناسبات للأحاديث التي تحض على المهاداة وترغب فيها :

ـ روى الطبراني والعسكري عن عائشة رضي الله عنها مرفوعاً : «تهادوا وهاجروا تورثوا أبناءكم مجداً ، وأقيلوا الكرام عثراتهم » .

ـ وللطبراني في (الأوسط) عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا نساء المؤمنين تهادين ولو فرسن[1] شاة فإنه ينبت المودة ، ويذهب الضغائن » .

---

(١) فرسن شاة : ظلف شاة (اي المقدم) .

ـ وروى البخاري في (الأدب المفرد) وأحمد •• عن أبي هريرة مرفوعاً: « تهادوا فإن الهدية تذهب وَحَرَ[1] الصدر » •

ـ وللديلمي عن أنس مرفوعاً : « عليكم بالهدايا فإنها تورث المودة . وتذهب الضغائن » •

ـ وروى الطبراني في (الأوسط) عن عائشة مرفوعاً : « تهادوا تحابّوا » •

فإذا كانت هذه الأحاديث تؤكد ظاهرة المهاداة بين أبناء المجتمع في غير المناسبات•• فتأكيدها المهاداة في مناسبات التهنئة والأفراح أظهر وأبلغ•• لما لهذه المهاداة من أثر بالغ في تماسك الأمة ، ووحدة الجماعة ، وزرع بذور المحبة أو الإخاء والصفاء في تربية المجتمع المسلم ، والشعب المؤمن ••

فما على المربين الا أن يرسخوا أدب التهنئة في أسرهم وأولادهم ، حتى يعتادوها في حياتهم الاجتماعية ، وفي تعاملهم مع الناس ••

٨ ـ أدب عيادة المريض :

ومن الآداب الاجتماعية الهامة التي يجب على المربين أن يعيروها اهتمامهم، ويعوّدوها أطفالهم أدب عيادة المريض ، لتتأصل في نفس الطفل منذ نعومة أظفاره ظاهرة المشاركة الوجدانية، وظاهرة التحسس بآلام الآخرين ، ولا يخفى أن هذه الظاهرة اذا نمت وتعمّقت في نفوس الصغار منذ نشأتهم درجوا على الحب والإيثار والتعاطف •• بل تصبح هذه المعاني في نفوسهم خلقاً وعادة •• فلا يقصرون في حق ، ولا يتقاعسون عن واجب •• بل يشاركون أبناء المجتمع في سرائهم وضرائهم، ويتحسسون آمالهم وآلامهم، ويقاسونهم

(١) وحر الصد : غشه وحقده .

أفراحهم وأحزانهم .. وهذا لعمري غاية ما يحرص عليه الاسلام في تكوين المجتمع ، وتربية الأفراد .. على خصال الخير، ومبادىء الفضيلة والأخلاق ..

من أجل هذا كله أمر الاسلام بعيادة المريض . بل جعل هذه العيادة من حق المسلم على المسلم :

— روى الشيخان عن البراء بن عازب رضي الله عنهما : « أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بعيادة المريض ، واتباع الجنازة ، وتشميت العاطس، وابرار المقسم ، ونصرة المظلوم ، واجابة الداعي ، وافشاء السلام » .

وروى الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « حق المسلم على المسلم خمس : رد السلام ، وعيادة المريض ، واتباع الجنائز ، واجابة الدعوة ، وتشميت العاطس » .

ومن أجل هذا كان الصحابة رضوان الله عليهم يتسابقون الى الخيرات. والتي منها عيادة المريض ليحظوا بالجنة في مقعد صدق عند مليك مقتدر ؛ روى البخاري في (الأدب المفرد) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من أصبح اليوم منكم صائماً ؟ قال أبو بكر : أنا ، قال : من عاد منكم اليوم مريضاً ؟ قال أبو بكر : أنا ، قال من شهد منكم جنازة ؟ قال أبو بكر : أنا ، قال : من أطعم اليوم منكم مسكيناً ؟ قال أبو بكر : أنا » ، قال « مروان » أحد رواة الحديث : بلغني أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ما اجتمعت هذه الخصال في رجل الا دخل الجنة » .

ولعيادة المريض آداب نرتبها فيما يلي :

۱ ـ المسارعة الى عيادته :

لقوله عليه الصلاة والسلام : « إذا مرض فعده » ، فينبغي أن تكون العيادة ـ كما دل عليه الحديث ـ من أول المرض .

ولكن هناك أحاديث تدل على أن العيادة بعد ثلاثة أيام ، فمن هـذه الأحاديث :

ما رواه ابن ماجـه والبيهقي قـال : « كان النبي صلى الله عليـه وسلم **لايعود مريضاً الا بعد ثلاث** » .

وروى الطبراني في (الأوسط) عن ابن عباس رضي الله عنهما : «العيادة بعد ثلاث سُنّة » .

ومما يروى عن الأعمش : « كنا نقعد في المجلس فإذا فقدنا الرجل ثلاثة أيام سألنا عنه فإن كان مريضاً عدناه » ؛ وللتوفيق بين هذه الأحاديث أقول : اذا كان المرض خطيراً فالمسارعة مطلوبة ، وأما اذا كان عادياً فبعد ثلاثة أيـام لمـا ورد .

ب ـ تخفيف العيادة أو اطالتها على حسب المريض :

فإن كان المريض في حالة خطيرة يحتاج الى من يتعهده ويقوم على أمره ولا سيما النساء فالعيادة ينبغي أن تكون خفيفة للغاية ؛ وان كان المريض في حالة مرضيّة ، يستأنس بالذين يجلسون معـه ، ويتحدثون اليـه فلا بأس بالإطالة المعتدلة .. أما الدخول الى المريض فالأفضل أن يكون يوماً بعديوم ان كانت حالة المريض حسنة ؛ للحديث الذي رواه البزار والبيهقي والطبراني والحاكم عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « زُرْ غِبّاً[1] تزدد حبّاً » .

وما أحسن قول ابن دريد :

عليـكَ بإغبـاب[2] الزيـارة انهـا
إذا كثـرتْ كانت الـى الهجـر مسلكا

---

(١) غبا : الغب الزيارة فترة بعد فترة ، وقيل اسبوعا بعد اسبوع .
(٢) باغباب : باقلال .

فإني رأيتُ الغيثَ يُسأم دائباً
ويُسأل بالأيدي اذا هو أمسكا

ج ـ الدعاء للمريض عند الدخول عليه :

روى الشيخان عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يعود بعض أهله يمسح بيده اليمنى ويقول : « اللهم ربَّ الناس . أذهب البأس (المرض) ، اشفِ أنت الشافي ، لاشفاء الا شفاؤك ، شفاء لا يغادر سقماً » .

وروى أبو داود والترمذي والحاكم عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من عاد مريضاً لم يحضره أجله فقال عنده سبع مرات : « أسأل الله العظيم ربَّ العرش العظيم أن يشفِيَك » الا عافاه الله من هذا المرض .

د ـ تذكير المريض بوضع يده على موضع الألم والدعاء لنفسه بالمأثور :

لما روى مسلم عن أبي عبد الله عثمان بن أبي العاص أنه شكا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعاً يجده في جسده ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ضع يدك على الذي يألم من جسدك وقل : بسم الله ـ ثلاثاً ـ وقل سبع مرات : أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر » .

هـ ـ استحباب سؤال اهل المريض عن حاله :

لما روى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما أن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه خرج من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم في وجعه الذي توفي فيه عليه الصلاة والسلام ، فقال الناس : يا أبا الحسن كيف أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : « أصبح بحمد الله بارئاً » .

و ـ استحباب قعود العائد عند راس المريض :

لما روى البخاري في (الأدب المفرد) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا عاد المريض جلس عند رأسه ثم قال سبع مرات : « أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يشفيَك » . فان كان في أجله تأخير عوفي من وجعه •

ز ـ استحباب تطييب نفس المريض بالشفاء والعمر الطويل :

لمـا روى الترمذي وابن ماجـه عن أبي سعد الخدري رضي الله عنـه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اذا دخلتم عـلى مريض فنفّسوا له في أجله (بطول العمر) ، فان ذلك لايردّ شيئاً ، ويطيّب نفسه »، ويقال له : « لابأس طَهور ان شاء الله » كما جاء في حديث ابن عباس •

ح ـ استحباب طلب العوّاد الدعاء من المريض :

لما روى ابن ماجه وابن السني عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اذا دخلت على مريض فمره فليدعُ لك ، فإن دعاءه كدعاء الملائكة » •

ط ـ تذكيره بلا اله الا الله ان كان في حال الاحتضار :

لما روى مسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لقّنوا موتاكم لا اله الا الله » •

وروى أبو داود والحاكم عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ كان آخر كلامه لا اله الا الله دخل الجنة » •

هذه أهم الاداب التي شرعها الاسلام في عيادة المريض ، فعلى المربين ان يقوموا على تنفيذها ، ويعلموها أبناءهم حتى يعتادوها في حياتهم الاجتماعية ، وفي تعاملهم مع الناس !!..

٩ ــ ادب التعزيــة :

ومن الآداب الاجتماعية التي يجب على المربين أن يعتنوا بها ويهتموا لها أدب التعزية لمن مات لهم ميت أو فقدوا عزيزاً غالياً .. ومعنى التعزية تصبير أهل الميت بكلمات لطيفة أو بعبارات مأثورة تسلي المصاب ، وتخفف حزنه . وتهوّن عليه المصيبة . والتعزية مستحبة ولو كان ذمياً لما روى ابن ماجه والبيهقي عن عمرو بن حزم رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «ما من مؤمن يعزّي أخاه بمصيبته الا كساه الله عز وجل من حُلل الكرامة».

وروى الترمذي والبيهقي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « مَنْ عزّى مصاباً فله مثل أجره » .

وينبغي أن تكون التعزية لجميع أهل البيت وأقاربه الكبار والصغار ، والرجال والنساء[1] .. سواء أكان ذلك قبل الدفن أو بعده الى ثلاثة أيام ، الا اذا كان المعزّي أو المعزّى غائباً فلا بأس بالتعزية بعد الثلاث .

وللتعزية آداب اهمها :

أ ــ التلفظ بالمأثور ان أمكن :

يقول الامام النووي في كتابه (الأذكار) : وأحسن مايعزّى به ، ماروينا في صحيحي البخاري ومسلم عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال : « أرسلت

---

(١) استثنى العلماء المراة الشابة فقالوا : لايعزيها الا محارمها .

احدى بنات النبي صلى الله عليه وسلم اليه تدعوه وتخبره أن صبياً لها في الموت ، فقال لمن أرسلته : ارجع اليها فأخبرها (أن لله ماأخذ ، وله ما أعطى . وكل شيء عنده بأجل مسمى) ، فمرها فلتصبر ولتحتسب .. » .

ويقول الإمـــام النووي : وأما لفظ التعزية فــلا حجر فيه . فبأي لفظ عزّاه حصلت ، واستحب أصحابنا أن يقول في تعزية المسلم للمسلم : « أعظم الله أجرك ، وأحسن عزاءك ، وغفر لميتك » ، وفي تعزية المسلم بالكافر : « أعظم الله أجرك ، وأحسن عزاءك » ، وفي تعزية الكافر بالمسلم : « أحسن الله عزاءك ، وغفر لميتـــك » ، وفي تعزية الـــكافر بالـــكافر : « أخلف اللـــه عليك » .

ب ــ استحباب صنع الطعام لأهل الميت :

استحب الشرع الاسلامي صنع الطعام لأهل الميت لأنه من البر والإحسان وتقويـــة الصلات الاجتماعية ، ولأن أهـــل الميت مشغولـــون بصاحبهم ، ومكلومون بمصابهم ، روى أبو داود وابن ماجـــه والترمذي عن عبد اللـــه بن جعفر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اصنعوا لآل جعفر طعاماً[1] ، فإنه قد أتاهم أمر يشغلهم » . واتفق الأئمة على كراهة صنع أهل الميت طعاماً للناس يجتمعون عليه لحديث جرير قال : « كنا نعد الاجتماع الى أهل الميت ، وصنيعة الطعام بعد دفنه من النياحة »[2] .

وأما مايفعله بعض الناس اليوم من صنع طعام ، أو تقديم ضيافة أثناء

---

(١) أمر النبي صلى الله عليه وسلم بهذا بعد ان أعلم آل جعفر بمقتل جعفر بن أبي طالب في غزوة مؤتة .

(٢) استثنى الفقهاء من يحضر من اماكن بعيدة للتعزية ، ولايمكن لاهل الميت الا ان يضيفوه .

التعزية فمن البدع السيئة التي ما أنزل الله بها من سلطان ، وعلى المعزّي أن يرفض أي ضيافة تقدم اليه لكونها تتنافى مع الهدي النبوي ، والأدب الاسلامي •

ج ـ اظهار التاسي لمن يواسيهم ويعزيهم :

وذلك بالتخشع عند الإنصات الى القرآن الكريم ، والتحدث بأحاديث تتفق مع المصيبة . والتلفظ بألفاظ التعزية المأثورة ، والمروية عن السلف ، الى غير ذلك مما يتفق مع هـول المناسبة ، وترتبط بالتعزية ••

أما أن يبتسم ، أو يضحك ، أو يلغو بكلام باطل ، أو يخوض في أحاديث غير مناسبة ، أو يأتي بنكات مضحكة •• فيكون قد أساء الأدب في حضرة من يُعزّيه ، ووقع في الإثم من حيث يعلم أو لا يعلم •

فالترحم على الميت ، واظهار الحزن عليه ، وتعداد مآثره •• هو أفضل ما يعزّى به أهل الميت ، وهكذا كان السلف يفعلون ، وعلى هذا المنهج يواسون ويُعزّون : روى أبو داود والنسائي عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما حديثاً طويلاً فيه : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لفاطمة رضي الله عنها : « ما أخرجك يافاطمة من بيتك ؟ قالت : أتيت أهل هـذا الميت ، فترحمت اليهم ميتهم أو عزّيتهم به » •

د ـ النصح بالمعروف عند رؤية المنكر :

قد يفاجأ المعزّي بوجود بدع ومنكرات في المكان الذي تكون فيه التعزية ، كتصدير صورة الميت ، أو تدخين الناس والقارىء يقرأ ، أو عزف موسيقى حزينة، أو تقديم ضيافة الى المعزّين ، أو غير ذلك من المنكرات المنهيّ عنها في الدين ، فما هو موقفه منها ، بل ما هو الواجب الذي يحتمه عليه الاسـلام ؟

الواجب عليه أن يكون جريئاً بالحق ناصحاً بالمعروف لاتأخذه في الله لومة لائم .. ولايمنعه هول المناسبة في أن يتكلم الحق ، ويأمر بالمعروف ، وينهى عن المنكر . ولايمنعه خشية الناس أن ينصح ويقول ، ويأمر وينهي ، فالله سبحانه أحق أن يخشاه .

روى ابن ماجه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لايحقرن أحدكم نفسه ، قالوا : يا رسول الله : وكيف يحقر أحدنا نفسه ؟ قال : يرى أن عليه مقالا ثم لايقول فيه . فيقول الله عز وجل يوم القيامة : ما منعك أن تقول فيّ كذا وكذا ؟ فيقول : خشية الناس ، فيقول : فإياي كنتَ أحقّ أن تخشى .

والنبي صلى الله عليه وسلم لما كان يبايع أصحابه يبايعهم على السمع والطاعة والنصح لكل مسلم ، روى الشيخان عن جرير رضي الله عنه قال : « بايعت النبي صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة والنصح لكل مسلم » .

وقد أنذر النبي صلى الله عليه سلم الذين يقدرون أن يغيروا المنكر ولايغيرونه أنذرهم بعقاب من الله قبل أن يموتوا ، روى أبو داود عن جرير بن عبد الله قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ما من رجلٍ يكون في قوم يُعمَلُ فيهم بالمعاصي يقدرون أن يُغيّروا عليه ، ولايغيّرون الا أصابهم الله منه بعقاب قبل أن يموتوا » .

ولاشك أن الأمر بالمعروف ينبغي أن يكون بالرفق واللين ، والموعظة الحسنة ، والأسلوب المناسب الحكيم .. عسى أن تنفتح للموعظة قلوب ، وتتأثر بها نفوس .. وربّ كلمة لينة رفيقة حكيمة مخلصة بدلت السامع الى انسان آخر ، فأصبح من زمرة عباد الله الصالحين المؤمنين ، وصدق

الله العظيم القائل : « ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن » .

هذه أهم القواعد التي وضعها الاسلام في أدب التعزية ، فما على المربين الا أن يرشدوا اليها أبناءهم حتى يعتادوها في حياتهم الاجتماعية وفي تعاملهم مع النـاس !!

١٠ ـ أدب العطاس والتثاؤب :

ومن الآداب الاجتماعية التي أمر الاسلام بها وحض عليها أدب العطاس ، وأدب التثاؤب ، فعلى المربين أن يعوّدوها أبناءهم ، ويعيروها اهتمامهم ... ليظهر الاولاد في المجتمع بمظهر لائق كريم بالتزامهم هذه الآداب ، وتحققهم بهاتيك الاخـلاق .

ولكن ماهو أدب العطاس الذي ارشد اليه نبي الاسلام عليه الصـلاة والسـلام ؟

أ ـ التقيد بالفاظ الحمد والرحمة والهداية كما ثبت في السنة :

لما روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « اذا عطس أحدكم فليقل : الحمد لله ، وليقل له أخوه أو صاحبه : يرحمك الله ، فاذا قال له : يرحمك الله ، فليقل : يهديكم الله ويصلح بالكم » ، وفي رواية أبي داود والترمذي فليقل : « يغفر الله لنا ولكم » .

فنستنتج من هذه الاحاديث الامور التالية :

• يقول العاطس : « الحمد لله » أو « الحمد لله رب العالمين » أو الحمد لله على كل حال »[1] .

---

(١) كما جاء في بعض الروايات عن النبي صلى الله عليه وسلم ارجع الى كتاب « الأذكار » للنووي « تشميت العاطس وحكم التثاؤب » .

ويقول له صاحبه : « يرحمك الله » •

ويجيب العاطس : « يهديكم الله ويصلح بالكم » أو « يغفر الله لنا ولـكم » •

وعلى المسلم أن يتقيد بهذه الكلمات لأنها مأثورة عن النبي صلى الله عليه وسلم •

ب ــ لا يشمت العاطس إذا لم يحمد الله :

لما روى مسلم عن أبي موسى رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « اذا عطس أحدكم فحمد الله فشمّتوه ، فإذا لم يحمد الله فلاتشمتوه » •

وروى الشيخان عن أنس رضي الله عنه قال : « عطس رجلان عند النبي صلى الله عليه وسلم فشمَّت أحدهما ولم يُشمِّت الآخر ، فقال الذي لم يشمته : عطس فلان فشمتّه وعطست فلم تشمتني ؟ فقال عليه الصلاة والسلام : « هذا حَمِد الله ، وانك لم تحمد الله » •

ولا بأس أن يتلفظ بعض الحاضرين بالحمد ، ليتذكر العاطس حمد الله بعد عطاسه •

ج ــ وضع اليد أو المنديل على الفم والتخفيض من الصوت ما أمكن :

لما روى أبو داود والترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا عطس وضع يده أو ثوبه على فمه ، وخفّض ــ أو غضّ ــ بها صوته » •

وروى ابن السني عن عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان الله عز وجل يكره رفع الصوت بالتثاؤب والعطاس » •

د ـ التشميت إلى ثلاث مرات :

اذا تكرر العطاس من انسان بشكل متتابع ، فمن السنة أن يشمّته الى أن يبلغ ثلاث مرات • لما روى مسلم وأبو داود والترمذي عن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه : « عطس رجل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنا شاهد ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يرحمك الله ، ثم عطس الثانية أو الثالثة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يرحمك الله ، هذا رجل مزكوم » أي مصاب بالزكام (الرشح) •

ولايشمّت بعد ثلاث مرات لما روى ابن السني عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « اذا عطس أحدكم فليشمّته جليسه ، واذا زاد عن ثلاثة فهو مزكوم ، ولايشمّت بعد ثلاث » •

واستحب كثير من العلماء أن يدعو له جليسه بالعافية والسلامة بعد ثلاث مرات ، ولايكون من باب التشميت •

هـ ـ يشمت غير المسلم بيهديكم الله :

لما روى أبو داود والترمذي عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : كان اليهود يتعاطسون عند رسول الله صلى الله عليه وسلم يرجون أن يقول لهم : « يرحمكم الله » ، فيقول : « يهديكم الله ويصلح بالكم » •

و ـ لا تشمّت المراة الشابة الاجنبية :

ذهب أكثر أهل العلم والاجتهاد أنه « يكره كراهة تحريم أن يشمّت الرجل المرأة الأجنبية اذا عطست ولايكره ذلك للعجوز » •

قال ابن الجوزي : وقد روينا عن أحمد بن حنبل رضي الله عنه « أنه كان عنده رجل من العبّاد ، فعطست امرأة الامام أحمد ، فقال لها العابد : يرحمك الله ، فقال الامام أحمد : عابد جاهل » • ويقصد أنه جاهل بكراهية تشميت المرأة الأجنبية •

أما ادب التثاؤب فهو كما يلي :

أ ـ ردّ التثاؤب ما استطاع :

لما روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ان الله تعالى يحب العطاس ، ويكره التثاؤب ، فاذا عطس أحدكم وحمد الله تعالى ، كان حقاً على كل مسلم سمعه أن يقول له : يرحمك الله ، وأما التثاؤب فإنما هو من الشيطان ، فاذا تثاءب أحدكم فليردّه ما استطاع ، فان أحدكم اذا تثاءب ضحك منه الشيطان » •

ب ـ وضع اليد على الفم اذا ملكه التثاؤب :

لما روى مسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اذا تثاءب أحدكم فليمسك بيده على فيه (فمه) فإن الشيطان يدخل » ، وذهب كثير من أهل العلم والاجتهاد الى استحباب وضع اليد على الفم عند التثاؤب سواء أكان التثاؤب في الصلاة أو خارجها •

ج ـ يكره رفع الصوت عند التثاؤب :

لما روى مسلم وأحمد والترمذي ••• عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ان الله يحبّ العطاس ويكره التثاؤب ، فإذا تثاءب أحدكم فلا يقل : هاه هاه ، فان ذلك من الشيطان يضحك منه » •

وروى ابن السني عن عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما قال : قال رسول

الله صلى الله عليه وسلم : « ان الله عز وجل يكره رفع الصوت بالتثاؤب والعطاس » .

فائدة : مما يروى عن السلف أن من ملكه التثاؤب وتخيّل بذاكرته أنه عليه الصلاة والسلام لم يتثاءب قط يذهب عنه التثاؤب بإذن الله .

هذه اهم القواعد التي وضعها الاسلام في أدب العطاس والتثاؤب فما على المربين إلا ان يحرصوا على تطبيقها في أسرهم وبين أولادهم وأهليهم ، حتى يعتادوها في حياتهم الاجتماعية وفي تعاملهم مع الناس !!..



تلكم أظهر القواعد والأسس في أدب الاجتماع ، وفي أصول التعامل واللقاء ..

وكم يحظى المسلم بالاحترام ، ويكون محل تقدير واجلال ، حينما يطبق هذه الآداب عملياً ، ويظهر فيها اجتماعياً ، ويحققها سلوكياً ..؟

وكم يبلغ قمة المثل والأخلاق حينما يعرف المسلم الأدب في طعامه وشرابه ، وفي سلامه واستئذانه ، وفي مجالسته وحديثه ، وفي طرائفه ومزاحه ، وفي تهنئته وتعزيته وفي عطاسه وتثاؤبه ..؟ وهي آداب أوجبها الاسلام على الصغير والكبير ، والمرأة والرجل ، والحاكم والمحكوم ، والأمير والسوقة ، والعالم والعامي .. لتظهر في الوجود الإنساني معالم المجتمع الفاضل متجسدة في المسلمين على اختلاف أجناسهم ولغاتهم ، وتباين ألوانهم وثقافاتهم ..

وقد تجسدت هذه الآداب في المجتمع الاسلامي حقبة من الزمن لمّا كان للمسلمين دولة وكيان ، وحكومة وسلطان .. ولمّا كان الخليفة المسلم يفرض هذه الآداب فرضاً ، ويراقب من يقوم على تطبيقها أو يقصر فيها .. ولمّا كان المجتمع الاسلامي متكافلا متضامناً في النصح والتناصح ، والرقابة والنقد

الاجتماعي ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر •• وكان الناس في هذه الحقبة يدخلون في الاسلام أفواجاً وجماعات •• لأنهم كانوا حينما ينظرون الى المسلمين يرون الاسلام متجسداً في أدبهم وأخلاقهم ، متمثلا في سلوكهم ومعاملتهم ، متحققاً في أخذهم وعطائهم •• فمن الطبيعي أن يدخل الناس في عدل الاسلام ، وأن يؤمنوا برسالته الخالدة عن طواعية واختيار ، وهذه هي أخلاق المسلمين وآدابهم الاجتماعية !!••

وانه لايصلح آخر هذه الأمة الا بما صلح عليه أولها •• فما على المربين اليوم الا أن يشحذوا هممهم ، ويجمّعوا قواهم ، ويطلقوا نشاطهم وعزائمهم في تربية هذا الجيل المسلم الناشيء على هذه الآداب الاجتماعية الفاضلة . وأن يبدؤوا معهم منذ الصغر ، لتكون الثمرات أفضل ، والنتائج أحسن ؛ والله سبحانه سيثيبهم خيراً ، ويدّخر لهم يوم القيامة أجراً اذا هم قاموا بهذه المسؤولية ، وأدوا ما عليهم من واجب ، والله يجزي العاملين الصادقين المخلصين ، ولايضيع أجر من أحسن عملا •

وفي الختام أحب أن أشير الى مسألتين هامتين :

أ ــ هذه الآداب الاجتماعية ــ التي سبق ذكرها ــ لم يعتن بها دين أو عقيدة أو مجتمع كالاسلام والمسلمين •

ب ــ هذه الآداب تدل على أن الاسلام دين اجتماعي جاء لإصلاح المجتمعات الانسانية لادينا فرديا ، ولاتشريعا كهنوتيا •• كما أنه ليس حبرا على ورق أو كتاباً على الرف •

« هذا خلق الله فاروني ماذا خلق الذين من دونه بل الظالمون في ضلال مبين » • (لقمان : ١١)

٤ – المراقبة والنّقد الاجتماعي

ومن المبادىء الاجتماعية الهامة في تكوين الولد سلوكيا ، وتربيته اجتماعياً •• تعويد الولد منذ نعومة أظفاره على رقابة المجتمع ، والنقد والاجتماعي البناء لكل من يعايشهم ، وينتمي اليهم ، ويلتقي معهم ، والنصح لكل انسان يرى منه شذوذا أو انحرافا ••

وبالاختصار تعويد الولد منذ نشأته على واجب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي هو من قواعد الاسلام الاساسية في حراسة الرأي العام ، وفي محاربة الفساد والانحراف ، وفي الحفاظ على قيم الأمة الاسلامية ومثلها وأخلاقها ••

فما أحوجنا الى مربين جادين وواعين يغرسون في الطفل منذ أن يفتح عينيه خلق الجرأة والشجاعة وقولة الحق •• حتى اذا بلغ الولد السن التي تؤهله في أن ينقد ، وأن ينصح ، وان يقول •• قام بواجب النصح ، ومسؤولية النقد خير قيام ، بل انطلق في مضمار الدعوة الى الله . وفي تبليغ رسالة الاسلام . وفي تقويم الاعوجاج والانحراف •• دون أن يأخذه في الله لومة لائم ، ودون أن يصده عن اعلان كلمة الحق مستبد أو ظالم •

ولكن ماهي الاصول والمراحل في تكوين الولد على النقد الاجتماعي . وحراسة الرأي العام ؟

الآن أضع بين يدي المربين جميعاً أهم هذه الأصول والمراحل حتى يقوموا بسؤوليتهم بواجب التربية والإعداد والتكوين :

١ ـ حراسة الرأي العـام وظيفة اجتماعية :

فرض الاسلام حراسة الرأي العام الذي يتمثل في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على مجموع الامة على اختلاف أصنافها وأنواعها دون أن يكون بينها تفريق أو تمييز ، فرضها على الحكام والعلماء ، على الخاصة والعامة ، على الرجال والنساء ، على الشيب والشباب ، على الصغار والكبار ، عـلى الموظفين والعمال . على الكل على حد سواء ، واعتبر هذه المهمة وظيفة اجتماعية لايعفى منها أي انسان ، كل عـلى حسب حاله ، وحسب طاقته ، وحسب ايمانــه ..

والأصل في هذا قوله تبـارك وتعالى : **« كنتم خير امـة اخرجت للنـاس تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله »** .

(آل عمران : ١١٠)

وقوله في وظيفة المؤمنين الاجتماعية : **« والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم »** .

(التوبة : ٧١)

والنبي صلوات الله وسلامه عليه حين كان يأخذ البيعة من أصحابه ، ومن كل من ينتمي الى جماعة المسلمين .. كان عليه الصلاة والسلام يعاهدهم على السمع والطاعة في العسر واليسر ، والمنشط والمكره ... وعلى أن يقولوا بالحق أينما كانوا لايخافون في الله لومة لائم ..

روى الشيخان عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال : « بايعنا رسول

الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة في العسر واليسر ، والمنشط والمكره ، وعلى أثَرَةٍ علينا (الإيثار) ، وألاّ نتازع الأمر أهله الا أن تروا كفراً بَوَاحاً عندكم من الله فيه برهان ، وعلى أن نقول بالحق أينما كنّا، لانخاف في الله لومة لائم » .

وقد مثّل لهم عليه الصلاة والسلام رقابة المجتمع للفرد ، ورقابة الفرد للمجتمع بمثال السفينة ، ليؤكد لكل مسلم وظيفته الاجتماعية في الرقابة والنقد الاجتماعي ، والأخذ على يد الظالم ، حتى تسلم للأمة عقيدتها وأخلاقها ،ويتحقق لها كيانها ووجودها ، وتكون دائماً في مأمن من عبث العابثين ، واستبداد الطغاة الظالمين . روى البخاري والترمذي عن النعمان ابن بشير رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا (اقترعوا) على سفينة فأصاب بعضهم أعلاها ، وبعضهم أسفلها ، فكان الذين في أسفلها اذا استقَوْا من الماء مرّوا على من فوقهم ، فقالوا : لو أنّا خرقنا في نصيبنا خرقاً ، ولم نؤذ من فوقنا ، فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً ، وإنْ أخذوا على أيديهم نجوْا ونجوا جميعاً » .

ــ ومما يؤكد وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على جميع أبناء الأمة الاسلامية ، وأنه وظيفة اجتماعية على كل فرد مسلم استحقاق بني اسرائيل لعنة الله لعدم تناهيهم عن المنكر ، ولايستحق الانسان لعنة الله الا اذا ترك أمراً واجباً في عنقه ، فدلت آية : « لُعِنَ الذين كفروا من بني اسرائيل ... » على وجوب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر على كل مسلم رجالا ونساء ، شيباً وشباناً ، صغاراً وكباراً .. ويدل على هذا الوجوب أيضاً قوله عليه الصلاة والسلام فيما رواه الترمذي : « لما وقعت بنو اسرائيل في المعاصي نهاهم علماؤهم فلم ينتهوا ، فجالسوهم في مجالسهم ، وواكلوهم وشاربوهم ، فضرب الله قلوب بعضهم ببعض ولعنهم على لسان داود وعيسى

ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ، فجلس النبي صلى الله عليه وسلم وكان متكئاً ، فقال : لا والذي نفسي بيده حتى تأطروهم (تُلزموهم) على الحقّ أطراً » •

ـ ومما يؤكد هذا الوجوب كذلك شمول الهلاك لكل متقاعس عن حق الاسلام والمجتمع في التقويم والاصلاح، والضرب على يد العابثين المفسدين •• روى الشيخان عن زينب بنت جحش رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل علينا فَزِعاً يقول : لا اله الا الله ، ويل للعرب من شرٍّ قد اقترب ، فُتِح اليوم من رَدْمِ يأجوج ومأجوج مثلُ هذه ، وحلّقَ بين أصبعيه : الابهام والتي تليها ، فقلت : يارسول الله : أنهلك وفينا الصالحون ؟ قال : نعم اذا كثر الخَبَث (الفسوق والمنكر) •

ـ ومما يؤكد هذا الوجوب كذلك أن الله سبحانه لايستجيب الى دعاء أحد من الأمة حتى الخيار منهم لكونهم تقاعسوا عن واجب مجاهدة الضالين، ومقاومة الظالمين • روى الترمذي عن حذيفة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « والذي نفسي بيده لتأمُرُنّ بالمعروف ، ولتنهَوُنّ عن المنكر ، أو ليوشِكنّ الله يبعث عليكم عذاباً منه ، ثم تدعونه فلا يستجيب لكم » •

وروى ابن ماجه وابن حبان عن عائشة رضي الله عنها قالت : « دخل النبي صلى الله عليه وسلم فعرفت في وجهه أنه قد حضره شيء فتوضأ ، وما كلّم أحداً ، فلَصِقْتُ بالحجرة استمع ما يقول ، فقعد على المنبر ، فحمد الله ، وأثنى عليه ، وقال : ياأيها الناس : انّ الله يقول لكم : مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر قبل أن تدعوا فلا أجيب لكم ، وتسألوني فلا أعطيكم ، وتستنصروني فلا أنصركم ، فما زاد عليهم حتى نزل » •

وأما مايحتجّ به البعض من حديث النبي صلى الله عليه وسلم ـ فيما

رواه مسلم .. — : « من رأى منكم منكراً فليغيره بيده ، فان لم يستطع فبلسانه ، فان لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الايمان » أن الأمر بالمعروف باليد على الأمراء . وباللسان على العلماء ، وبالقلب على عوام الناس .. فهذا الاحتجاج لاينهض على دليل ، ولايستند على حجة لأن لفظ « مَنْ » في قوله عليه الصلاة والسلام : « من رأى منكم ... » هو لفظ يدل على العموم . ويشمل كل من استطاع تغيير المنكر باليد أو اللسان أو الإنكار بالقلب سواء أكان المنكِر من الأمراء أو العلماء أو عامة الناس اذا فقهوا الخطر الذي يترتب عليه تفشّي المنكر ، وذلك للعموم الذي يدل عليه الحديث الذي سبق . ولعموم كلمة « أمة » الواردة في قوله تعالى : « ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون »، فإن كلمة « أمة » تشمل الأمة بأسرها على اختلاف طبقاتها ومستوياتها سواء أكانوا حكاماً أم علماء أم عامة ..؟ والا فكيف يتأتى للأمة أن تكون واقفة بالمرصاد للذين يتآمرون على دينها وأخلاقها ، ويعبثون بعقائدها ومقدساتها . ويعيثون في الارض ظلماً وفساداً ، ويريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم .. كيف يتأتى لهم الوقوف اذا لم تتضافر الأمة بأسرها على مقاومة المنكر . وتقف صفاً واحداً أمام العابثين والظالمين !!؟.

الا فليغرس المربون في نفوس الناشئة بذور الجرأة الأدبية ، والشجاعة النفسية في القول والعمل .. حتى ينشأ الولد منذ نعومة أظفاره على حراسة الرأي العام ، وواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والنقد الاجتماعي البناء الحكيم لكل انسان ..

٢ ـ الأصول المتبعة في هذه الحراسة :

للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أصول متبعة ، وشروط لازمة ، فعلى المربين أن يأخذوا أنفسهم بها ، ويعلموها أبناءهم ، ويلقنوها صغارهم ..

حتى يعقل الولد هذه الأصول ، ويسير على هذه القواعد ، فإذا قام بمهمة الدعوة الى الله وأمر غيره بالمعروف ، ونهاه عن المنكر كانت الاستجابة له أكثر ، والتأثير به أقوى ..

والأصول المتبعة ــ كما يراها كثير من العلماء والدعاة ــ هي ما يلي :

أ ــ أن يكون فعله مطابقا لقوله :

لأن الله سبحانه وتعالى يقول :

« يا أيها الذين آمنوا لِمَ تقولون مالا تفعلون كبُر مقتاً عند الله أن تقولوا مالا تفعلون » .

(الصف : ٣)

ويقول : « أتأمرون الناس بالبِرّ وتنسَون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون » .

(البقرة : ٤٤)

ولقوله عليه الصلاة والسلام ــ فيما رواه الشيخان عن أسامة ــ قال : « سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : يؤتى بالرجل يوم القيامة ، فيلقى في النار . فيقولون : يافلان ! مالك ؟ ألم تكن تأمر بالمعروف ، وتنهى عن المنكر؟ فيقول: بلى كنت آمرُ بالمعروف ولاآتيه، وأنهى عن المنكر وآتيه» .

ولقوله صلوات الله وسلامه عليه فيما رواه ابن أبي الدنيا والبيهقي : « أتيت ليلة أسرِيَ بي على قوم تُقْرَض شفاههم بمقاريض من نار ، فقلت : من هؤلاء ياجبريل ؟ قال : خطباء أمتك الذين يقولون مالا يفعلون ، ويقرؤون كتاب الله ولايعملون به » .

وكان السلف رضوان الله عليهم يتحرجون من الدعوة الى الله ، وتعليم الغير قبل أن يحاسبوا أنفسهم وأولادهم وأهليهم . ويأمروهم بالبر والتقوى والعمل الصالح !!..

فهذا عمر بن الخطاب رضي‌الله عنه كان قبل ان‌يأمر الناس بأمر ، وينهاهم عن نهي ، يجمع أهل بيته ويقول لهم « أما بعد ، فاني سأدعو الناس الى كذا وكذا وأنهاهم عن كذا وكذا ، واني أقسم بالله العظيم لايبلغني عن أحد منكم أنه فعل مانهيت الناس عنه ، أو ترك ما أمرت الناس به الا نكّلت به نكالا شديداً » ثم يخرج رضي الله عنه فيدعو الناس الى مايريد فما يتأخر أحـد عن السمع والطاعة .

وهذا مالك بن دينـار اذا حدث الناس بهذا الحديث : « ما من عبديخطب خطبة الا الله سائله عنها يوم القيامة ماأردْتَ بها»[1] بكى ، ثم يقـول : أتحسبون أن عيني تقرّ بكلامي عليكم ، وأنا أعلم أن الله سائلي عنه يوم القيامة ، قال : ما أردتَ به ، فأقول أنت الشهيد على قلبي لو لم أعلم أنه أحبّ اليك لم أقرأ على اثنين أبداً .

ألا فليتأدب الدعاة بهذا الأدب الاسلامي الرفيع ، ليقبل الناس قولهم . ويستجيبوا الى موعظتهم وارشادهم !!..

ب ــ أن يكون المنكر الذي ينهى عنه مجمعاً على إنكاره :

من الأمور التي لايختلف فيها اثنان من رجال العلم والاصلاح أن المنكر الذي ينهى عنه المسلم يجب أن يكون مما أجمع على انكاره لدى أهل الفقه . وأئمة الاجتهاد .. أما ما كان من خلاف بين المجتهدين الثقاة فلا يعد في الشرع منكراً ، فلا يجوز لمن كان حنفيّ المذهب أن ينكر على من كان شافعي المذهب ، ولايجوز كذلك لمن كان متمذهباً على مذهب الامام أحمد أن ينكر على من كان متمذهباً على مذهب الإمام مالك ، لأن كل واحد من هؤلاء الأئمة قد بذل أقصى مافي وسعه ليصل الى الحكم الصحيح عن طريق الدليل ؛ وكل

---

(١) رواه البيهقي وابن ابي الدنيا .

إمامٍ من هؤلاء يستقي مذهبه من المصادر التشريعية المعروفة : الكتاب ، والسنة ، والقياس ، والإجماع .. فلماذا الانكار على متبع المذهب وهو يقلد اماما جبلا في العلم ، وقدوة في الصلاح والورع ، وآية في الذكاء والفهم والنبوغ ..؟! وقد قالوا قديماً : « من قلّد عالماً لقي الله سالماً » .

أما هؤلاء الذين ينكرون على غيرهم لكونهم مقلدين بدعوى أنهم مجتهدو هذا الزمان ، فهؤلاء في موقفهم المتعنّت هذا مفرّقون لوحدة الأمة . ومعوّقون لمسيرة الجماعة الاسلامية نحو العز والنصر ..

فنصيحتنا الى هؤلاء أن يعدّلوا من موقفهم ، ويخففوا من غلوائهم وحدّتهم ، وأن يقدّروا ظرف المسلمين العصيب الذي يتهددهم ، والاخطار الأليمة التي تحيط بهم ، وأن يأخذوا بالمبدأ الذي يقول : « نعمل فيما اتفقنا عليه ، ويعذر بعضنا بعضاً فيما اختلفنا فيه » ، فإذا هم أخذوا بهذه النصيحة بعين الاعتبار فيكونون ممن ساهموا في وحدة الأمة وتماسكها ، بل أصبحوا ردءاً وسنداً لمسيرة جماعة المسلمين نحو النصر . بل وحدوا جهودهم مع العاملين المخلصين لإقامة دولة الاسلام .. وما ذلك على الله بعزيز .

ج ـ أن يكون متدرّجاً في إنكار المنكر :

فعلى المنكِر أن يتدرج بإزالة المنكر على مراحل : (فيبدأ **بالتعرف على المنكر ابتداء من غير تجسس ،ثم تعريف فاعل المنكر بانه منكر ، ثم النهي بالوعظ والارشاد والنصح والتخويف بالله تعالى ، ثم التعنيف بالقول الغليظ لمن لاينفع فيه النصح والارشاد ، ثم التهديد والتخويف بقول المنكر لأفعلن كذا وكذا ، ثم التغيير باليد** ككسر الملاهي ، وخرق زقاق الخمر ، ومنع الاعتداء على الناس .. ، **ثم تغيير المنكر بالجماعة** وغيرها من غير سلاح ، وهذا جائز للآحاد للضرورة والاقتصار على الحاجة ، وشرط أن لايترتب عليه

فتنة بين الناس ، ثم تغيير المنكر بالجماعة أي قيام الشعب أو جزء منه بالسلاح. ولايستقل به الأفراد لأنه يؤدي الى مزيد الفتن ، وهيجان الفساد ، وخراب البلاد ..)[1] .

والمبدأ المتبع في تغيير المنكر ــ كما ذكر الفقهاء ــ أنه لايجوز أن يلجأ الى الأشد اذا كان ينفع الأخف ، فإذا وصل المنكِر الى التغيير مثلا بالملاطفة والنصح فلا يجوز له أن يلجأ الى التعنيف بالقول الغليظ ، واذا كان ينفع التعنيف فلا يجوز له أن يلجأ الى التغيير باليد ، وهكذا ..

فعلى المُنْكِر أن يكون حكيماً عالماً بالأصول المتبعة في انكار المنكر حتى لايقع في عثرات قد تؤدي الى نتائج لاتحمد عقباها « ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً » .

د ــ أن يكون لطيفاً رفيقاً حسن الخلق :

من الصفات الكريمة التي يجب أن يتحلى بها من يتصدى لدعوة الناس الى الخير ، ونهيهم عن الشر لين الجانب وحسن الخلق ، ليكون التأثير أبلغ، والاستجابة أقوى ، وهذه الصفة من اللطف والرفق واللّين هي من أميز ما يجب أن يظهر به الداعية في طريق الاصلاح والتبليغ والدعوة الى الله .. بل كان عليه الصلاة والسلام يأمر بها ، ويعطي لأصحابه القدوة فيها ..

ــ روى البيهقي عن عمرو بن شعيب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من أمر بمعروف فليكن بمعروف » .

ــ وروى مسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ان الرفق لايكون في شيء الا زانه ، ولايُنزع من شيء الا شانه » .

---

(١) إحياء العلوم للغزالي ٢ : ٢٩٢ مع بعض التصرف .

ـ وفي رواية لمسلم : « إنّ الله رفيق يحب الرفق ، ويعطي على الرفق مالا يعطي على العنف ، ومالا يعطي على سواه » .

أما قدوته عليه الصلاة والسلام في الرفق واللين فتتجسد في الأمثلة التالية :

ـ روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : « بال أعرابي في المسجد فقام الناس اليه ليقعوا فيه ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : دعوه ، وأريقوا على بوله سَجْلا (دلواً) من ماء ، فإنما بعثتم مُيسِّرين ، ولم تبعثوا مُعسِّرين » .

ـ روى الإمام أحمد بإسناد جيد عن أبي أمامة رضي الله عنه أن غلاما شابا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : « يانبي الله أتأذن لي في الزنى » ، فصاح الناس به ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « قرّبوه ، ادْنُ » ، فدنا حتى جلس بين يديه فقال عليه الصلاة والسلام : « أتحبه لأمك ؟ » قال : لا ، جعلني الله فداك ، قال : « كذلك الناس لايحبونه لأمهاتهم » . « أتحبّه لابنتك ؟ قال : لا ، جعلني الله فداك ، قال : « فكذلك الناس لايحبّونه لبناتهم » ، وزاد الراوي ابن عوف حتى ذكر العمة والخالة ، وهو يقول في كل واحد : لا ، جعلني الله فداك ، والنبي صلى الله عليه وسلم يقول : « كذلك الناس لايحبونه » ، ثم وضع الرسول صلى الله عليه وسلم يده على صدره ، وقال : « اللهم طَهِّر قلبه ، واغفر ذنبه ، وحصّن فرجه » ، فلم يكن شيء أبغض اليه من الزنى .

ـ روى مسلم أن معاوية بن الحكم السلمي حدث يوماً فقال : بينا أنا أصلي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ عطس رجل من القوم فقلت : يرحمك الله ، فرماني القوم بأبصارهم ، فقلت : واثُكْل أمّياه !.. ماشأنكم تنظرون الي ، فجعلوا يضربون بأيديهم على أفخاذهم ، فلما رأيتهم يصمّتونني سكتُّ ، فلما صلى عليه الصلاة والسلام ، فبأبي هو وأمي ، ما رأيت معلماً

قبله ولابعده أحسن تعليماً منه ، فوالله ما كهرني ، ولاضربني ، ولاشتمني ..
وانما قال : إنّ هذه الصلاة لايصلح فيها شيءٌ من كلام الناس انما هو التسبيح
والتكبير وقراءة القرآن ..

ـ دخل واعظ الى أبي جعفر المنصور ، فأغلظ عليه في الكلام، فقال أبو
جعفر : ياهذا ارفق بي ، أرسل الله سبحانه من هو خير منك الى من هو شرّ
مني أرسل الله موسى الى فرعون ، فقال له :

« فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى » .

فخجل الرجل على مابدر منه ، وعرف أنه لم يكن أفضل من موسى
عليه السلام ، وأن أبا جعفر لم يكن أشرّ من فرعون ؛ وصدق الله العظيم
حين أدّب نبيه عليه الصلاة والسلام بهذا الخطاب :

**« فبما رحمة من الله لنتَ لهم ، ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من
حولك ، فاعفُ عنهم ، واستغفر لهم وشاورهم في الأمر ، وإذا عزمت فتوكل على
الله إن الله يحب المتوكلين » .**

(آل عمران : ١٥٩)

هـ ـ أن يكون صابراً على الأذى :

من البديهي أن يتعرض الناقد للمجتمع ، أو الداعية الى الله .. لأصناف
الأذى . وأنواع الالم لما يلقاه من تعنّت المستكبرين ، وحماقة الجاهلين ،
واستهزاء الساخرين .. وهذا ـ لاشك ـ سنةُ الله في الأنبياء والدعاة
والمصلحين في كل زمان ومكان .

**« الم احسب الناس ان يتركوا ان يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ، ولقد فتنا
الذين من قبلهم فليعلمنّ الله الذين صدقوا وليعلمنّ الكاذبين » .**

(العنكبوت : ٣)

« أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثَلُ الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزُلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ؟ ألا إن نصر الله قريب » .

(البقرة : ٢١٤)

ومن هنا كانت وصية لقمان لابنه وهو يعظه :

« يابني أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانْهَ عن المنكر واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور » .

(لقمان : ١٧)

ومن هنا كان الابتلاء في سبيل الله سبيلا الى الجنة ، وتكفيراً للخطايا الماضية :

« فالذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم وأوذوا في سبيلي وقاتلوا وقتلوا لأكفرنّ عنهم سيئاتهم ولأدخلنهم جنات تجري من تحتها الأنهار ثواباً من عند الله والله عنده حسن الثواب » . (آل عمران : ١٩٥)

وروى الترمذي وابن ماجه وابن حبان والحاكم عن سعد ابن أبي وقاص قال : قلنا يارسول الله : أي الناس أشد بلاء ؟ قال : « الأنبياء ثم الامثل فالأمثل يبتلي الرجل على حسب دينه ، فان كان دينه صلباً اشتد بلاؤه ، وان كان في دينه رقّة ابتلاه الله على حسب دينه ، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض وما عليه خطيئة » .

وروى مسلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « حفّت الجنة بالمكاره ، وحُفّت النار بالشهوات» . وحسبالداعية الناصح ،والمجاهد الناقد .. أن يتأسى بسيد الدعاة صلوات الله وسلامه عليه الذي أصابه من الأذى والمكروه والاتهام ما لم يُصِب داعية قبله ولابعده: سلك معه المشركون

طريق الإغراء والاغواء ليصدوه عن تبليغ الدعوة فما استكان وما خضع ؛ وسلكوا معه طريق المقاطعة الشاملة له ولمن آزره ليصدوه عن تبليغ الدعوة فما استكان وما خضع ؛ وقرروا آخيراً اغتياله وملاحقته ليصدوه عن تبليغ الدعوة فما استكان وما خضع ••وظل عليه الصلاة والسلام مثابراً في طريق الدعوة ، متحملا أصناف الأذى ، صامدا ثابتاً راسخاً •• الى أن جاء نصر الله والفتح •

فما أجدر الذين يحملون بأيديهم لواء الرسالة الاسلامية ، ويهدفون الى اقامة حكم الله في الأرض !• ما أجدرهم أن يوطّنوا نفوسهم على الصبر، وأن يتحملوا المشاق والأذى في سبيل الله !!• إن أرادوا نجحاً على الأيام مضموناً •• ونصراً في المستقبل محققاً موجودا ••

وهنا قد يعترض سؤال : هل يجوز لمنكِر المنكَر اذا خاف على نفسه الضرر ولم يرجُ زواله هل يجوز له التغيير ؟

الظاهر أنه يجوز له تغيير المنكر لقوله تبارك وتعالى على لسان لقمان الحكيم :

« وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك ان ذلك من عزم الأمور » • (لقمان : ١٧)

فالنص القرآني لم يقيد الأمر الإلهي في تغيير المنكر بخوف نفس أو رجاء ازالة ••، وهذا يدل على أن النية اذا خلصت لله ، فليقتحم المسلم تغيير المنكر كيف كان ولا يبالي لأن هذا الاقتحام والاقدام من عزم الأمور . ومن منطلقات الايمان ••

يقول أبو بكر بن العربي : « ان من رجا زواله (أي المنكر) وخاف

على نفسه من تغييره الضرب أو القتل جاز له عند أكثر العلماء الاقتحام عند هذا الضرر ، وان لم يرجُ زواله فأي فائـدة عنده ؟ » ويعلق ابن العربي على ما أورده عن العلماء بقوله : « والذي عندي أن النية اذا خلصت فليقتحم كيف ما كان ولا يبالي »[1] .

وجاء في شرح شرعة الاسلام للشيخ علي زاده : « ولايتحبب الى الناس بالمداهنة ، ولا يخاف لوماً ولا شتماً ولاضرباً بل ولايخاف قتلا ، فان السلف كانوا ينكرون على الأمة والأمراء .. ولايبالون أصلا .. » .

هذا عدا عن **العلم** الذي يجب أن يتصفه به الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر حتى يكون نقده ونصحه وأمره ونهيه .. على وفق أحكام الشريعة ومبادئها العامة الشاملة ..

تلكم أهم الأصول المتبعة في حراسة الرأي العام ، والنقد الذاتي لأفراد المجتمع ، فعلى المربين أن يحققوها في أنفسهم ، ويعلموها أبناءهم .. حتى يلتزم الولد هذه الآداب حين يدخل مدرسة الحياة ، ويخوض معاركهـا ، ويقوم بمهامها ومسؤولياتها !..

٣ ــ التذكير الدائم بمواقف السلف :

ومن العوامل التي ترَسِّخُ في المسلم خلق الجرأة والشجاعة ، وتهيب به نحو حراسة الرأي العام ، واتخاذ مواقف حاسمة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عرض المواقف التاريخية التي وقفها السلف الصالح والجدود البواسل الأمجاد في تغيير المنكر ، وتقويم المعوجّ .. وهي لاشك ــ ان

---

(١) شرح شرعة الاسلام للشيخ علي زادة ص ٤٩٧ ، وأبو بكر بن العربي من علماء المالكية .

أحسن عرضها ــ تركت أفضل الأثر في نفوس الناشئة . وفي عزائم الشباب . بل تدفعهم دفعاً الى أن يقفوا ببسالة واقدام في وجه المنحرفين والمفسدين والملحدين .. الذين لايقيسون للاسلام حرمة ، ولا للأخلاق الفاضلة وزناً أو قيمة .. وما أكثرهم في هذا الزمن الذي نعيش فيه ، وتتطلع اليه !!..

واليكم نماذج من مواقفهم الحاسمة لتكون للشباب ذكرى وعبرة :

أ ــ رُوي أن أبا غياث الزاهد كان يسكن المقابر ببخارى ، فدخل المدينة ليزور أخاً له ، وكان غلمان الأمير (نصر بن أحمد) ومعهم المغنون والملاهي يخرجون من داره ، وكان يوم ضيافة الأمير ، فلما رآهم الزاهد . قال : « يانفس وقع أمر ، ان سكتِّ فأنت شريكة » . فرفع رأسه الى السماء ، واستعان بالله ، وأخذ العصا ، فحمل عليهم حملة واحدة ، فولوا منهزمين مدبرين الى دار السلطان ، وقصّوا على الأمير . فدعا به وقال له : « أما علمت أنه من يخرج على السلطان يتغدّى في السجن ؟ » فقال له أبو غياث : « أما علمت أنه من يخرج على الرحمن يتعشى في النيران ؟ » ، فقال له : « مَنْ ولاّك الحِسبة[1] ؟ » ، فقال : « الذي ولاّك الإمارة » ، فقال الأمير : « ولاني الخليفة » ، فقال أبو غياث : « ولاني الحسبة ربّ الخليفة » ، فقال الأمير : « ولّيتُكَ الحسبة بسمرقند » ، فقال : « عزلت نفسي عنها » . قال الأمير : « العجب في أمرك تحتسب حين لم تؤمر ، وتمتنع حيث تؤمر » ، قال : « لأنك ان وليتني عزلتني ، واذا ولاني ربي لم يعزلني أحد » ، فقال الأمير : « سل حاجتك » ، فقال : « حاجتي أن تردّ عليّ شبابي » ، فقال : « ليس ذلك اليّ » ، قال : « هل لك حاجة أخرى ؟ » ، قال : « أن تكتب الى مالك خازن النار أن لايعذبني » ، قال : « ليس لي ذلك أيضاً » ، قال : « هل لك حاجة أخرى ؟ » قال : « أن تكتب الى رضوان خازن الجنان يدخلني

---

(1) اي وظيفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

الجنة » ، قال : « ليس ذلك الي أيضاً » . قال آبو غياث : فانها مع الرب الذي هو مالك الحوائج كلها لاأسأله حاجة الا أجابني اليها » ، فخلّى الأمير سبيله[1] .

ب ــ وذكر الغزالي في احيائه : عن الأصمعي قال : « دخل عطاء بن أبي رباح على عبد الملك بن مروان . وهو جالس على سريره ، وحوله الأشراف من كل بطن ، وذلك بمكة في وقت حجه في خلافته . فلما بصر به قام اليه . وأجلسه معه على السرير ، وقعد بين يديه ، وقال له : ياأبا محمد ماحاجتك ؟ فقال : يا أمير المؤمنين . اتق الله في حرم الله ، وحرم رسوله . فتعاهده بالعمارة ؛ واتق الله في أولاد المهاجرين والأنصار ؛ فانك بهم جلست هذا المجلس ؛ واتق الله في أهل الثغور فانهم حصن المسلمين . وتفقد أمور المسلمين فانك وحدك المسؤول عنهم ؛ واتق الله فيمن على بابك فلا تغفل عنهم ، ولاتغلق بابك دونهم ، فقال : أجل ، أفعل ؛ ثم نهض وقام . فقبض عليه عبد الملك فقال : ياأبا محمد انما سألتنا حاجة لغيرك وقد قضيناها فما حاجتك أنت ؟ فقال : مالي الى مخلوق حاجة ، ثم خرج ، فقال عبد الملك : هذا وأبيك الشرف » .

ج ــ وقد جاء في كتاب الشقائق النعمانية لعلماء الدولة العثمانية ، أن السلطان سليم خان أمر بقتل مائة وخمسين رجلا من حفّاظ الخزائن ، فتنبه لذلك المفتي العالم (علاء الدين علي بن أحمد المفتي) ، فذهب الى الديوان العالي ، ولم يكن من عادتهم أن يذهب المفتي الى الديوان العالي الا لحادث عظيم ، فتحيّر أهل الديوان ، ولما دخل الديوان سلّم على الوزراء فاستقبلوه وأجلسوه في صدر المجلس ، ثم قالوا له : أي شيء دعا المولى الى المجيء الى الديوان العالي ؟ فقال : أريد أن أدخل على السلطان ، ولي معه كلام ،

---

(1) من كتاب شرح شرعة الاسلام للشيخ علي زادة ص ٤٩٧ .

فعرضوه على السلطان خان ، فأذن له وحده ، فدخل وسلّم عليه وجلس ، ثم قال : وظيفة أرباب الفتوى أن يحافظوا على آخرة السلطان ، وقد سمعت أنك أمرت بقتل مائة وخمسين رجلا لايجوز قتلهم شرعاً ، فعليك بالعفو عنهم، فغضب السلطان وكان صاحب حدّة . وقال : إنّك تتعرض لأمر السلطنة وليس ذلك من وظيفتك ، قال : لا . بل أتعرض لأمر آخرتك وأنه من وظيفتي . فان عفوت فلك النجاة . والا عليك عقاب عظيم . فانكسرت عند ذلك ثورة غضبه . وعفا عن الكل ، ثم تحدث معه ساعة . ولما أراد أن يقوم ، قال له : تكلمت في أمر آخرتك . وبقي لي كلام يتعلق بالمروءة . قال السلطان وماهو ؟ قال : ان هؤلاء من عبيد السلطان فهل يليق بعرض السلطنة أن يتكفّفوا الناس ؟ قال : لا . قال : فقرّرهم في مناصبهم ، فقبله السلطان ، وقال : ألا اني أعذبهم لتقصيرهم في خدمتهم ، قال المفتي : هذا جائز ، لأن التعزير مفوض الى السلطان ، ثم سلم عليه وانصرف وهو مشكور •

د ــ وروى الشيخ محمد سليمان نائب المحكمة العليا الشرعية بمصر رحمه الله قال : « حدثني صديقي الكريم محمد فهمي الناضوري باشا عن أحمد أفندي بدوي عن أبيه عن جده . وكان من الشيوخ بالأزهر في زمن الخديوي اسماعيل قال : لما وقعت الحرب بين مصر والحبشة ، وتوالت الهزائم على مصر لوقوع الخلاف بين قواد جيوشها ، ضاق صدر الخديوي بذلك . فركب يوما مع شريف باشا وهو محرج . فأراد أن يفرّج عن نفسه فقال الشريف باشا : ماذا تصنع حينما تلمّ بك مُلِمّة . تريد أن تدفعها ؟ فقال : ياأفندينا ان الله عوّدني اذا حاق بي شيء من هذا أن ألجأ الى صحيح البخاري يقرؤه لي علماء أطهار الأنفاس فيفرّج الله عني ، قال : تكلم شيخ الأزهر ، وكان الشيخ العروسي ، فجمع له من صلحاء العلماء جمعاً أخذوا يتلون في البخاري أمام القِبْلة القديمة في الأزهر ، قال : ومع ذلك ظلت أخبار الهزائم تتوالى ، فذهب الخديوي ، ومعه شريف باشا الى العلماء ، وقال لهم

غضباً : إمّا هذا الذي تقرؤونه ليس صحيح البخاري ، أو انكم لستم العلماء الذين نعهدهم من رجال السلف الصالح ؛ فان الله لم يدفع بكم ولابتلاوتكم شيئاً ، فوجم العلماء لذلك ، وابتدره شيخ من آخر الصف يقول له : منك يا اسماعيل ، فإنا روينا عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لتأمُرنّ بالمعروف ، ولتنهونّ عن المنكر ، أو ليسلطنّ الله عليكم أشراركم ، فيدعو خياركم فلا يستجاب لهم » أو كما قال ، فزاد وجوم المشايخ ، وانصرف الخديوي ومعه شريف باشا ولم يتكلما بكلمة ؛ وأخذ العلماء يلومونه ويؤنّبونه ، فبينما هم كذلك اذا بشريف باشا عاد يسأل : أين الشيخ القائل للخديوي ما قال ؟ ، فقال : « أنا » ، فأخذه وقام ، وانقلب العلماء بعد أن كانوا يلومونه يودعونه وداع من لايأمل أن يرجع ، وسار شريف باشا الى أن دخلا على الخديوي في قصره ، فاذا به قاعد في البهو ، وأمامه كرسي أجلس عليه الشيخ ، وقال له : أعد ماقلته لي في الأزهر ، فأعاد الشيخ كلمته ، وردد الحديث وشرحه ، فقال له الخديوي : وماذا صنعنا حتى ينزل بنا هذا البلاء؟، قال له : ياأفندينا ، أليست المحاكم المختلطة قد فتحت بقانون يبيح الربا ؟، أليس الزنى برخصة ؟ أليس الخمر مباحاً ؟ أليس .. أليس .. ؟، وعدّد له منكرات تجري بلا إنكار ، وقال : كيف ننتظر النصر من السماء ؟ فقال الخديوي : وماذا نصنع وقد عاشرنا الاجانب وهذه مدنيتهم ؟ قال : اذن فما ذنب البخاري ، وماحيلة العلماء ؟ ففكر الخديوي ملياً ، وأطرق طويلا ثم قال : صدقت .. صدقت ... وعاد الشيخ بعد هذا الى الازهر ، واخوانه قد يئسوا منه ، فكأنما قد ولد جديداً »[1] .

هـ ــ وذكر صاحب (كنز الجوهر في تاريخ الازهر) أنه في سنة (١٢٠٩) هـ « حضر الى الشيخ الشرقاوي شيخ جامع الازهر أهل قرية « بشرقية بلبيس » .. وذكروا له أن أتباع « محمد بك الألفي » ظلموهم ،

(١) من أخلاق العلماء للشيخ محمد سليمان ص ٩٧ .

وطلبوا منهم مالا قدرة لهم عليه ، فاغتاظ الشيخ من ذلك ، وحضر الى الازهر وجمع المشايخ ، وقفلوا أبواب الجامع ، وذلك بعد أن خاطب (مراد بك ، وإبراهيم بك) وهما صاحبا الامر والنهي ، ولكنهما لم يبديا شيئاً ، ولم يحركا ساكناً في هذا الأمر الهام ..

وكان من نتيجة ذلك أن أمر المشايخ الناس بغلق الأسواق والحوانيت احتجاجاً على هذا الظلم ، ثم ركبوا ثاني يوم الى بيت (مراد بك ، وابراهيم بك) وتبعهم كثير من العامة ، وازدحموا أمام الباب والبِركة ، بحيث يراهم (ابراهيم بك) ، فأرسل اليهم سكرتيره الخاص (أيوب بك) ، فوقف بين أيديهم وسألهم عن مرادهم ، فقالوا : « نريد العدل ، وابطال الحوادث ، والمكوسات (الضرائب الكثيرة) التي ابتدعتموها » ؛ فقال : « لايمكن الاجابة الى كل هذا ، فانا ان فعلنا ذلك لضاقت علينا المعايش » ، فقالوا: «ليس هذا بعذر عند الحال ، وما الباعث على الاكثار من النفقات والمماليك ، والأمير يكون أميراً بالإعطاء لا بالأخذ » ، فقال : حتى أبلّغ ، وانصرف . وانفض المجلس وركب المشايخ الى الجامع الازهر ، واجتمع أهل الاطراف ، فبعث (مراد بك) يقول : « أجيبكم الى جميع ماذكرتموه الا شيئين : ديوان بولاق، وطلبكم المتأخر في الجامكية » ، ثم طلب أربعة من المشايخ عينهم بأسمائهم، فذهبوا اليه بالجيزة ، فلاطفهم ، والتمس منهم السعي في الصلح ، وفي اليوم الثالث اجتمع الأمراء والمشايخ في بيت (ابراهيم بك) ، وفيهم الشرقاوي ، وانعقد الصلح على رفع المظالم ، وأن يسيروا في الناس سيرة حسنة ، وكتب القاضي كتابا في ذلك ، وقّع عليه الباشا والأمراء ، وانجلت الفتنة » .

والأمثلة[1] على مواقف السلف كثيرة ، وتدل كلها على قيام الناس

---

(١) من اراد المزيد من هذه المواقف فليرجع الى كتابنا « الى ورثة الأنبياء » والى كتاب « الاسلام بين العلماء والحكام » للشيخ المجاهد الشهيد « عبد العزيز البدري »، والى كتاب « من اخلاق العلماء » للشيخ محمد سليمان ، والى ماكتبه الامام الغزالي في الاحياء .. يجد فيها من المواقف البطولية ما يشفي الغليل .

بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر صيانة للمجتمع من أن يتطرق اليه عبث أو فوضى ، وتثبيتاً لترابط الامة وتماسكها ؛ وما الفرد في المجتمع الا لبنة من لبناته ، فعليه أن يوجه الرأي العام الى مافيه جلب للمصالح ، ودرء للمفاسد .. وأن يتفاعل مع الناس في اقامة الصرح الاجتماعي على أساس من العقيدة الاسلامية الخالصة ، والمبادىء الخلقية الفاضلة ، واعلان كلمة الحق دون أن تأخذه في الله لومة لائم ، والاسلام ــ بتوجيهاته الكريمة ــ جعل أي مسلم رقيباً على نفسه ، ورقيباً على غيره ، ليقوم بالدور الكبير ، والمهمة العظمى في البناء والاصلاح ، والتواصي بالحق ، والتواصي بالصبر .. وصدق الله العظيم القائل في محكم تنزيله :

« والعصر ان الانسان لفي خسر الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر » (سورة العصر)

★ ★ ★

تلكم أهم الأسس التي وضعها الاسلام في النقد الاجتماعي ، ورقابة المجتمع ، وحراسة الرأي العام المتجسدة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ..

وأضيف أمراً آخر أضعه بين يدي المربين ، ليوجّهوا اليه ، ويذكّروا فيه ، ويركزوا عليه ألا وهو تصحيح مفهوم التصور عن شمولية الاسلام لأنظمة الحياة ، هذه الشمولية التي توفق بين مطالب الفرد ومصالح الجماعة ، وتؤمن سيادة الأمة وسلامة العالم .. هذه الشمولية التي تجمع بين الدين والدنيا ، والروح والمادة ، والمصحف والسيف ، والعبادة والجهاد ...

هذه الشمولية التي تتجسد في العقيدة والإيمان ، والتقوى والاحسان، والصلاة والصوم ، والخير والبر ، والصبر على الضر ، والصدق والوفاء ،

والحب والإخاء ، والبذل والسخاء ، والعهد والوعد ، والعزم والقصد، والحرب والسلم ، والعقوبة والقصاص ..

وهذه آيات الله تنطق بالحق ، وتصحّح المفهوم ، وترشد الى خصيصة الشمول والعموم :

« ليس البرّ أن تولوا وجوهكم قِبَل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين ، وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب ، وأقام الصلاة وآتى الزكاة ، والموفون بعهدهم اذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس ، أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون . يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى الحر بالحر ، والعبد بالعبد ، والأنثى بالأنثى ، فمن عُفي له من أخيه شيء فاتباع بالمعروف وأداء اليه باحسان ، ذلك تخفيف من ربكم ورحمة فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم . ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب لعلكم تتقون » (البقرة : ١٧٦ ـ ١٧٩)

وكم يكون المسلم جاهلا حين يظن أن الاسلام دين عبادة ، وليس دين جهاد ؟

وكم يكون الانسان واهماً حين يتصور أن الاسلام لايدعو الى نظام حكم ، ولاينظم شؤون الحياة ؟

« أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض ، فما جزاء من يفعل ذلك منكم الا خزي في الحياة الدنيا ، ويوم القيامة يردون الى أشد العذاب » ؟

وأخيراً : أريد أن ألفت نظر المربين الى أن الولد لايتربى على المراقبة

والنقد الاجتماعي إلا أن نعالج فيه ظاهرة الخجل والخوف .. وقد عالجناها في مبحث « مسؤولية التربية النفسية » : فارجع اليه ـــ أخي المربي ـــ لتعرف منهج الاسلام في تربية الولد على الجرأة والشجاعة . وتحرره من ظواهـــر الخجل والخوف والانطوائية .. وعلى الله قصد السبيل !!.



الفصل السابع

٧- مسئولية التربية الجنسية

المقصود بالتربية الجنسية تعليم الولد وتوعيته ومصارحته منذ أن يعقل القضايا التي تتعلق بالجنس ، وترتبط بالغريزة ، وتتصل بالزواج .. حتى اذا شب الولد وترعرع وتفهّم أمور الحياة عرف مايحل ، وعرف مايحرم، وأصبح السّلوك الاسلامي المتميز خلُقاً له وعادة ، فلا يجري وراء شهوة ، ولايتخبط في طريق تحلل ..

وأرى أن هذه التربية الجنسية التي يجب أن يهتم المربون لها، ويركزوا عليها تقوم على المراحل التالية :

- في سن مابين (٧ — ١٠) سنوات الذي يسمى بسن التمييز يُلقن الولد فيه آداب الاستئذان ، وآداب النظر .
- وفي سن مابين (١٠ — ١٤) سنة الذي يسمى بسن المراهقة يُجنّب الولد فيه كل الاستثارات الجنسية .
- وفي سن مابين (١٤ — ١٦) سنة الذي يسمى بسن البلوغ يعلّم الولد فيه آداب الاتصال الجنسي اذا كان مهيأً للزواج .

- وفي سن مابعد البلوغ الذي يسمى بسن الشباب يعلّم الولدفيهآداب الاستعفاف اذا كان لايقدر على الزواج •

- وأخيرا : « هل يجوز مصارحة الولد جنسيا » وهو في سن التمييز ؟

والآن أضع بين يديك — أخي المربي — هذه البحوث مرتبة مفصلة . لتعرف كيف تأمر ولدك بها . وتوجهه اليها ؟ ولتعلم أيضا أن هذا الاسلام العظيم لم يترك جانبا من جوانب التربية الا وقد أرشد المربين اليه . ودلهم عليه !!• لتقوم بمسؤوليتك كاملة تجاه من جعل الله في عنقك حق التربية والتوجيه •••

واليك هذه البحوث مرتبة في مراحلها وعلى الله قصد السبيل :

١ — آداب الاستئذان :

لا أريد أن أبحث معك — أخي المربي — أدب الاستئذان في هذا الفصل الذي بين يديك لكوني بحثته مفصلا في الفصل الذي قبله •

ولكن الذي أريد أن أتعرّض له هو تعويد الولد أصول الاستئذان على الأهل في أوقات يكون الرجل أو المرأة في حالة لايحب أن يطلع عليها أحد من الأولاد الصغار •

والقرآن الكريم قد فصل هذا الأدب الأسري بأوضح بيان حين قال :

« يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات : من قبل صلاة الفجر ، وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ، ومن بعد صلاة العشاء ثلاث عورات ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن طوافون عليكم بعضكم على بعض كذلك يبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم ، واذا بلغ الاطفال الحلم فليستأذنوا كما استأذن الذين من قبلهم •• »

(النور : ٥٨ — ٥٩)

فالله سبحانه يرشد المربين في هذا النص الى أصول التربية المنزلية في استئذان الصغار على أهليهم حينما يكونون في سن ما قبل البلوغ .

وهذا الاستئذان يكون في ثلاثة أحوال :

الأول : من قبل صلاة الفجر لأن الناس اذ ذاك يكونون نياما في فرشهم .

الثاني : وقت الظهيرة لأن الانسان قد يضع ثيابه في تلك الحال مع أهله .

الثالث : من بعد صلاة العشاء لكون الوقت وقت نوم وراحة .

ولايخفى مافي هذا الاستئذان في هذه الأوقات الثلاثة من تعليم الولد أصول الأدب مع الاهل حتى لايفاجأ الولد اذا دخل باطلاع على حالة لايحسن أن يرى أهله فيها ..

أما اذا بلغ الاولاد سن الرشد والبلوغ فعلى المربين أن يعلموهم آداب الاستئذان في هذه الأوقات الثلاثة وفي غيرها امتثالا لقوله تبارك وتعالى :

((واذا بلغ الأطفال منكم الحلم فليستأذنوا كما استأذن الذين من قبلهم)) .

والذي عنده دراية في أصول التربية وقواعدها يعلم بيقين أن هذه اللفتات القرآنية تدل دلالة واضحة على أن الاسلام أهتم اهتماما بالغا في تربية الولد منذ أن يعقل على الحياء الممدوح ، والسلوكية الاجتماعية الخيّرة، والأدب الاسلامي الرفيع .. حتى اذا بلغ الولد سن الشباب كان النموذج الحي في كريم أخلاقه ، وحميد فعاله !!.

وكم تكون الفضيحة بالغة حين يدخل الولد الى غرفة النوم فجأة ويرى أبويه في اتصال جنسي ، ثم يخرج ويحدث أصدقاءه الصغار بما رأى ؟ وكم تكون الولد منذهلا كلما عادت الصورة الى ذهنه ، وتخيل المشهد في خاطره ؟

وكم ينحرف الولد اذا تحسس الميل الى الجنس الاخر وسبق أن رأى كيف يكون الاتصال ، وتتم اللذة ؟

فما على المربين الا أن يأخذوا بأدب القرآن الكريم في تلقين الولد منذ أن يعقل آداب الاستئذان اذا أرادوا لأولادهم الخلق الفاضل ، والشخصية الاسلامية المتميزة ، والسلوك الاجتماعي الخير !!٠٠

٢ ــ آداب النظر :

ومن القضايا الهامة التي يجب أن يركز المربي عليها ، ويهتم لها أن يعود الولد في سن تمييزه آداب النظر حتى يعلم الولد مايحل من النظر اليه ومايحرم ٠٠ وفي ذلك صلاح أمره ، واستقامة أخلاقه اذا شارف على البلوغ ، وبلغ سن التكليف ٠٠

وهذه الآداب من النظر التي يجب أن يُلَقّنها ويعود عليها مرتبة كما يلي:

آ ــ أدب النظر الى المحارم :

كل امرأة تحرم على الرجل حرمة مؤبدة فهي من ذوات محارمه ٠

وكل رجل حرم على المرأة الزواج منه حرمة مؤبدة فهو من ذوي محارمها٠

وعلى هذا يدخل في المحارم :

● **المحرمات بسبب النسب** : وهن سبع نسوة ذكرهن الله تعالى بقوله : ((**حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الأخ وبنات الأخت**)) (النساء : ٢٣)

● **والمحرمات بسبب المصاهرة** : وهن اربع من النسوة :

١ ــ زوجة الأب لقوله تعالى : ((**ولاتنكحوا مانكح آباؤكم من النساء ٠٠**)) (النساء : ٢٢)

٢ ــ زوجة الابن لقوله تعالى : ((**وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم**)) (النساء : ٢٣)

٣ ــ أم الزوجة لقوله تعالى : « **وأمهات نسائكم** »

(**النساء : ٢٣**)

٤ ــ بنت الزوجة لقوله تعالى : « **وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن فان لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم** »

(النساء : ٢٣)

● **والمحرمات بسبب الرضاع**[١] : لقوله تعالى : « **وأمهاتكم اللاتي أرضعنكم واخواتكم من الرضاعة** » .

وقوله عليه الصلاة والسلام : ــ فيما رواه مسلم وأصحاب السنن ــ « يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب » .

فما حُرم عن طريق النسب من أم وبنت وأخت وعمة وخالة وبنت الأخ وبنت الأخت حرم نظيره عن طريق الرضاع كالام من الرضاع ، والبنت من الرضاع ، والاخت من الرضاع .. وهلمّ جرا .

فالمَحْرَم الذكر يحل له أن يرى من محارمه النساء الصدر ومافوق ، وما تحت الركبتين الى أسفل إنْ أمن شهوته وشهوتها .. وان لم يأمن الشهوة فلا يحل له النظر سدا للذرائع .

وبناء على هذا يباح للذكر المَحْرَم النظر من ذوات محارمه الى مواضع زينتها الظاهرة والباطنة وهي . الراس ، والشعر ، والعنق ، والصدر ، والأذن، والعضد، والساعد، والكف، والساق الذي تحت الرّكبة الى القدم، والوجه، والثــدي ..

أما ما عدا ذلك من البطن والظهر والفخذ .. فلا يحل له النظر اليه أبدا .

---

(١) الرضاع المحرّم ولو مصّة عند فقهاء الحنفية ، وخمس رضعات معلومات عند فقهاء الشافعية والأحوط ماذهب اليه الحنفية .

والأصل في ذلك قوله تعالى : ((**ولايبدين زينتهن الا لبعولتهن او آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن او اخوانهن أو بني اخوانهن أو بني اخواتهن ...))** (النور : ٣١)

فيحرم على المحرم الذكر ولاسيما اذا بلغ سن المراهقة أن يرى أحد محارمه من النساء وقد ارتدت الثياب القصيرة التي ارتفعت الى ما فوق الركبتين . وكشفت عن الفخذين .. أو ارتدت ثوبا يصف أو يشفّ ما تحته وبدت العورة التي يحرم النظر اليها . كما يحرم على البنت أو المرأة أن ترى ذلك ــ بين السّرة والركبة ــ من أحد محارمها ولو كان ابنها . أو أخاها . أو أباها .. وان أمنت الفتنة ولم تخف الشهوة ولو من أجل التغسيل والتدليك في الحمام ..

((تلك حدود الله فلا تعتدوها ومن يتعدّ حدودالله فأولئك هم الظالمون))

ب ــ أدب النظر الى المخطوبة :

الشريعة الاسلامية أجازت للخاطب أن ينظر الى مخطوبته . كما أجازت للمخطوبة أن تنظر الى خاطبها ليكون كل من الاثنين على بينة من الأمر في اختيار شريك الحياة. والأصل في ذلك قول النبيّ صلى الله عليه وسلم ــ فيما رواه مسلم .. ــ للمغيرة بن شعبة : «أنظر اليها فانه أحرى أن يؤدم بينكما» أي هذا النظر أدعى لدوام المحبة والالفة .

وروى مسلم والنسائي أن رجلا جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره أنه تزوج امرأة من الانصار ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنظرت اليها ؟

قال : لا ، قال : « فانظر اليها فان في أعين الأنصار شيئاً » (يعني الصغر) . ولكن لهذا النظر آداب فعلى الخاطب أن يراعيها :

١ ــ لايجوز أن ينظر الخاطب الا الى الوجه والكفين بعد أن يعزم على الزواج منهـــا •

٢ ــ يجوز تكرار النظر اذا دعت الحاجة حتى تنطبع الصورة الحسية في الذهن •

٣ ــ يجوز أن تحدثه ، ويجوز أن يحدثها في جلسة الخطوبة والنظر •

٤ ــ لايجوز مصافحة المخطوبة بحال لكونها أجنبية قبل اجراء العقد ، والأجنبية يحرم مصافحتها لما روى البخاري عن عائشة : ما مست يد رسول الله صلى الله عليه وسلم يد امرأة في المبايعة قط ، وانما مبايعتها كانت كلاماً •

٥ ــ لايجوز أن يجتمعا الا بوجود أحد محارم المخطوبة لأن الاسلام يحرم الخلوة بالأجنبية ، لما روى الشيخان عنه عليه الصلاة والسلام : « ألا لايخلونّ رجل بامرأة ، ولاتسافرنّ امرأة الا ومعها ذو محرم » •

هذا ولابد من الاشارة هنا الى أن ماانتشر في بعض الاوساط المتحللة من أن الخاطب يختلط بخطيبته بلا حدود ولاقيود بدعوى التعرف على أخلاقه وأخلاقها •• إنّ هذه الدعوى يرفضها الاسلام ، بل يحاربها •• لكونها تتنافى مع أبسط مبادىء الفضيلة والأخلاق •• لأن هذه الخلطة تسيء الى سمعـــة المخطوبة أكثر من أن تسيء الى سمعة الخاطب ، فقد لايتم الزواج فتصبـــح الفتاة عرضة للتهمة ، ومثارا للشبهة •• مما يجعل الكثير من الناس في اعراض تام عن الزواج منها •• ومعنى هذا أنها أصبحت عانسا في سوق الكساد • ومن ناحية أخرى فان هذه الخلطة الآثمة لن تحقق أهدافها للتكلّف الظاهر الذي يبديه كل واحد منها الى الاخر ، وكم سمعنا عن رجال ونساء بقـــوا في الخطوبة سنين ، فلم تمض فترة زمنية على الزواج من بعضهم بعضا وإذ تحدث الفرقة ، ويقع الطلاق !!•• فأين التعرف على الأخلاق بخلطة الخطوبة ؟ ألا فليتذكر أولو الألباب ••

ج ـ أدب النظر الى الزوجة :

فيجوز للزوج أن يرى من زوجته كل شيء بشهوة أو بغير شهوة ..
لأنه لما جاز المس والجماع فلأن يجوز ما دونهما وهو النظر الى جميع بدنها من باب أولى ، وان كان الافضل ألا ينظر أحدهما الى عورة صاحبه لحديث عائشة رضي الله عنها : « قُبِضَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم ير مني ولم أر منه »[1] ، والأصل في جواز الرؤية لكل شيء ما رواه أبو داود والترمذي والنسائي عن معاوية بن حيدة قال : قلت يارسول الله : عوراتنا ما نأتي منها ومانذر ؟ قال : « احفظ عورتك الا من زوجتك أو ما ملكت يمينك » .

وقال تعالى : **« والذين هم لفروجهم حافظون الا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين »** . (المؤمنون : ٥ ـ ٦)

د ـ أدب النظر الى المرأة الاجنبية :

لايجوز للرجل البالغ أن ينظر الى امرأة أجنبية ولو كانت غير مشتهاة ولكن ماهي المرأة الأجنبية وما هو الرجل الأجنبي ؟

الرجل الأجنبي : هو من يحلّ للمرأة الزواج منه كابن عمها ، وابن عمتها ، وابن خالها ، وابن خالتها ، وزوج أختها ، وزوج خالتها ..

والمرأة الأجنبية : هي من يحلّ للرجل الزواج منها كابنة عمه ، وابنة عمته ، وابنة خاله ، وابنة خالته ، وزوجة أخيه ، وزوجة عمه ، وزوجة خاله ، وأخت زوجته وعمتها وخالتها ...

ويلحق بالرجل الصبيّ إنْ كان مراهقاً أو مميزاً يفرّق بين الشوهاء والحسناء ، فلا يجوز لأحدهما النظر الى المرأة الأجنبية ..

---

(١) انظر فتح القدير ج ٨ « كتاب الحظر ، فصل النظر » .

والأصل في تحريم النظر قوله تبارك وتعالى : « **قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم ان الله خبير بما يصنعون ، وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ...** »

(النور : ٣١)

أما الأحاديث :

ـ فقد روى الطبراني والحاكم ، وقال الحاكم صحيح الإسناد عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه عز وجل : « النظرة سهم من سهام ابليس ، من تركها من مخافتي أبدلته ايما نا يجد حلاوته في قلبه » .

ـ وروى أحمد والطبراني عن أبي أمامة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ما من مسلم ينظر الى محاسن امرأة ثم يغض بصره الا أحدث الله له عبادة يجد حلاوتها في قلبه » .

ـ وروى أحمد وابن حبان في صحيحه والحاكم عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « اضمنوا لي ستا من أنفسكم أضمن لكم الجنة : اصدقوا اذا حدثتم ، وأوفوا اذا وعدتم ، وأدوا اذا ائتمنتم ، واحفظوا فروجكم وغضوا أبصاركم ، وكفوا أيديكم » .

ـ وروى الشيخان .. عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « كتب على ابن آدم نصيبه من الزنى فهو مدرك لامحالة، العينان زناهما النظر ، والأذنان زناهما الاستماع ، واللسان زناه الكلام ، واليد زناها البطش ، والرجل زناها الخطى ، والقلب يهوى ويتمنى ، ويصدق ذلك الفرج أو يكذبه » .

ـــ وروى مسلم والترمذي •• عن جرير رضي الله عنه قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نظر الفجاءة فقال : « اصرف بصرك » •

ـــ وروى أبو داود والترمذي عن أم سلمة رضي الله عنها قالت : كنت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ،وعنده ميمونة . فأقبل ابن أم مكتوم . وذلك بعد أن أمرنا بالحجاب . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « احتجبا منه » . فقلنا : يارسول الله أليس هو أعمى لايبصرنا ولايعرفنا ؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « أفعميا وان أنتما ألستما تبصرانه ؟ »

فهذه النصوص تؤكد تأكيدا تاما بما لايقبل الجدل أن نظر الرجل الى المرأة الأجنبية حرام ، وأن نظر المرأة الى الرجل الأجنبي حرام أيضا اذا كانا في مجلس واحد وترتب من النظر فتنة •

(ولاشك أن الغاية التي يهدف إليها الاسلام من غض البصر ـــ كما يقول صاحب الظلال ـــ هو اقامة مجتمع نظيف لاتهاج فيه الشهوات في كل لحظة ، ولاتستثار فيه الغرائز في كل حين •

فعمليات الاستثارة المستمرة تنتهي بالانسان الى سعار شهواني لاينطفيء ولايرتوي ، والنظرة الخائنة . والحركة المثيرة ، والزينة المتبرجة ، والجسم العاري •• كلها لاتصنع شيئاً الا أن تهيج ذلك السّعار الشهواني المجنون •• واحدى وسائل الاسلام الى انشاء مجتمع نظيف هي الحيلولة دون هــذه الاستثارة وابقاء الدافع الفطري العميق بين الجنسين سليماً وبقوة الطبيعــة دون استثارة مصطنعة •

لقد شاع في وقت من الأوقات أن النظرة البريئة ، والحديث الطلق ، والاختلاط الميسور . والدعابة المرحة بين الجنسين ، والاطلاع على مواضــع الفتنة المخبوءة ••• شاع أن هذا تنفيس وترويح ، واطلاق للرغبات الحبيسة،

ووقاية من الكبت ومن العقد النفسية : وتخفيف من حدّة الضغط الجنسي وما وراءه من اندفاع غير مأمون ... ولكن نسي هؤلاء الذين يتمسكون بمثل هذه النظريات والأفكار أن الميل الفطري بين الرجل والمرأة ميل عميق في التكوين الحيوي ؛ لأن الله سبحانه قد ناط به امتداد الحياة على هذه الأرض ، وتحقيق الخلافة لهذا الانسان فيها ؛ فهو ميل دائم يسكن فترة ثم يعود ، واثارته في كل حين تزيد من عرامته ، وتدفع الى الإفضاء المادي للحصول على الراحة . فاذا لم يتم هذا تعبت الأعصاب المستثارة وكان هذا بمثابة عملية تعذيب مستمرة .

فالنظرة تثير ، والحركة تثير ، والضحكة تثير ، والدعابة تثير ، والنبرة المعبرة عن هذا الميل تثير ... والطريق المأمون هو تقليل هذه المثيرات بحيث يبقى هذا الميل في حدوده الطبيعية ثم يلبى تلبية طبيعية عن طريق الزواج المشروع ؛ وهذا هو المنهاج الذي اختاره الاسلام وارتضاه للجنس البشري ليتم له هدوءه النفسي . واستقراره الفكري ، وراحته العصبية ، ورباطه السليم الذي يربط بين سائر أبناء الانسان ...) ! ـ أهـ .

وما أحسن ما قال بعضهم في استثارة النظر :

كل الحوادث مَبْداها من النظر ومعظم النار من مستصغر الشرر

كم نظرةٍ فعلت في قلب صاحبها فعل السّهام بلا قوس ولا وتَر

والمرء مادام ذا عين يقلّبها في أعين الغيد موقوف على خطر

يسرّ مقلته ما ضرّ مهجتَه لا مرحباً بسرور عاد بالضَّرر

وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم القائل : ـ فيما رواه الطبراني « ثلاثة لاترى أعينهم النار : عين حرست في سبيل الله ، وعين بكت من خشية الله ، وعين كفّت عن محارم الله » .

هـ ــ أدب نظر الرجل الى الرجل :

لايجوز أن ينظر الرجل الى الرجل فيما بين سرّته الى ركبته سواء أكان الرجل المنظور اليه قريبا أم بعيدا وسواء أكان مسلما أو كافرا ..؟

أما ماعدا ذلك كالبطن والظهر والصدر .. فانه يجوز اذا أمن الناظر الشهوة ..

والأصل في حرمة هذا النظر ما رواه مسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لاينظر الرجل الى عورة الرجل ، ولا المرأة الى عورة المرأة .. »

وما رواه أحمد وأصحاب السنن .. « احفظ عورتك الا من زوجتك أو ماملكت يمينك » .

وأخرج الحاكم عنه عليه الصلاة والسلام : « مابين السرة والركبة عورة » .

وروى الحاكم أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى رجلا مكشوف الفخذ ، فقال له موّجهاً ومرشدا : « غط فخذك فان الفخذ عورة » ، وفي رواية للترمذي : « الفخذ عورة » .

فمن هذه النصوص يتبين :

أنه لايجوز للرجل أن يكشف جزءا من سرته الى ركبته لافي رياضة ، ولا في سباحة ، ولا في تدريب ، ولا في حمام .. وإن أمن الشهوة .. واذا أمره أحد في كشف جزء من عورته فعليه ألا يطيعه للحديث : « لاطاعة لمخلوق في معصية الخالق » .

أما مانسب الى المالكية بأن العورة هي السوأتان فقط،وماعدا السوأتان يجوز كشفه .. فهذا الادعاء غير صحيح بل هو من الجهل والتضليل .

ان العورة عند المالكية تقسم الى قسمين :

١ ــ عورة بالنسبة للصلاة .

٢ ــ وعورة بالنسبة للنظر .

أما العورة بالنسبة للصلاة فتنقسم الى قسمين :

عورة مغلظة : وهي السواتان (القبل والدبر) .

عورة مخففة : وهي مابين السرة الى الركبة .

ــ فالعورة المغلظة اذا كشفت في الصلاة تعاد مطلقا سواء أخرج وقتها أم لم يخــرج ؟

ــ والعورة المخففة اذا كشفت في الصلاة تعاد في الوقت فقط ، أما اذا خرج وقتها فلا تعاد .

أما العورة بالنسبة للنظر : فيحرم كشفها سواء أكانت مغلظة ام كانت مخففة .

ــ فعورة الرجل مع رجل آخر مابين سرته الى ركبته .

ــ وعورة المرأة مع المرأة اذا كانتا مسلمتين مابين السرة والركبة .

ــ وعورة المرأة المسلمة مع المرأة الكافرة كلها عورة ماعدا الوجه والكفان في قول ، وجميع بدنها في قول آخر .

ــ وعورة المرأة مع محارمها هي غير الوجه وغير اليدين وغير الرأس وغير العنق وغير ظهر القدمين .. أما ماعدا ذلك فهو عورة لايحــل النظر اليــه[1] ...

---

(١) هذا هو مذهب المالكية ، انتهى ملخصاً من « حاشية الدسوقي على الشرح الكبير » .

فيتبين من هذا النص الفقهي المالكي أن الأئمة الاربعة رضي الله عنهم متفقون على أنّ عورة الرجل مع الرجل هي مابين السرة الى الركبة ، وبناء على هذا يحرم النظر فيما بينهما ، ويحل النظر فيما عدا ذلك[1] .

و ـ أدب نظر المرأة الى المرأة :

لايجوز أن تنظر المرأة الى المرأة مابين سرتها الى ركبتها سواء أكانت المرأة المنظورة اليها قريبة أم بعيدة ؟ وسواء أكانت مسلمة أم كافرة ؟

والأصل في ذلك الحديث الذي سبق ذكره : « لاينظر الرجل الى عورة الرجل ولا المرأة الى عورة المرأة » وحديث الذي رواه الحاكم : « مابين السرة والركبة عورة » ، وحديث « الفخذ عورة » .

---

(١) ثبت في الصحيحين عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم غزا خيبر ، قال (اي انس) : فصلينا عندها صلاة الغداة، فركب نبي الله صلى الله عليه وسلم ، وركب أبو طلحة وانا رديف أبي طلحة ، فأجرى نبي الله صلى الله عليه وسلم في زقاق خيبر ، وان ركبتي لتمس فخذ نبي الله صلى الله عليه وسلم ، وانحسر الازار عن فخذ نبي الله صلى الله عليه وسلم واني لأرى بياض فخذ نبي الله صلى الله عليه وسلم ...

حديث انس هذا محمول ـ كما قال الامام النووي في شرح مسلم ـ : « على أن فخذه عليه الصلاة والسلام انحسر (أي انكشف) بغير اختياره لضرورة الإغارة والإجراء .. وليس فيه أنه استدام كشف الفخذ مع امكان الستر ، واما قول أنس فاني لأرى فخذه صلى الله عليه وسلم فمحمول على انه وقع بصره عليه فجأة لا انه تعمده » اهـ .

واحتج ابن حزم الظاهري بحديث أنس على أن فخذ الرجل ليس بعورة ولكن الفقهاء ردوا عليه بوجوه :

١ ـ ثبت من عدة أحاديث أن فخذ الرجل عورة ، اقواها ما رواه مالك واحمدوابوداودوالترمذيوذكره البخاري فيصحيحه معلقاعن جرهد قال: ←

فمن هذه النصوص يتبين :

يحرم على المراة أن تنظر الى فخذ ابنتها أو اختها أو أمها أو جارتها او صديقتها .. لا في حمام ولا في غيره ..

والحكمة في هذا التحريم لتكون المرأة مصونة من هياج الغريزةوتوقدها حين ترى منظرا مثيرا . أو مشهدا فيه فتنة .. وقد تؤدي هذه الاستثارة الجنسية بالمرأة الى « السحاق » الذي هو اتصال المرأة بالمرأة اطفاء لثورة الغريزة فيها . واخمادا لعرامها ..

ومن علامات الساعة ــ كما صح في الأحاديث ــ : « اكتفاء الرجال بالرجال (أي اللواط) . واكتفاء النساء بالنساء (أي السحاق) » .

مرّ علي رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلي بردة وقد انكشفت فخذي ، فقال: غط فخذيك فان الفخذ عورة » ..

٢ ــ قال علماء الأصول : اذا تعارض حديثان ، فاذا أمكن التوفيق بينهما وفق ، وقد وفق النووي بين حديث انس وحديث جرهد حيث حمل حديث انس على كشف النبي صلى الله عليه وسلم فخذه بغير اختياره لضرورة الاغارة على يهود خيبر كما سبق ذكره ..

٣ ــ على فرض أنه ما أمكن التوفيق بين الحديثين المتعارضين قال علماء الأصول : **((اذا تعارض المحرّم والمبيح رجح المحرم))** ؛ فبناء على هذه القاعدة المعتبرة لدى علماء الأصول اخذ العلماء بجانب حرمة كشف الفخذ من غير ما ضرورة .

٤ ــ ثبت في الصحيحين أن الله سبحانه عصم نبيّه عليه الصلاة والسلام من كشف العورة قبل النبوة في حال الصبا . فكيف يقر كشف فخذه بعد النبوة بقصد منه واختيار ؟ .

٥ ــ الأئمة المجتهدون مجمعون على أن فخذ الرجل عورة . وان النظر اليه حرام ولم يشدّ سوى الظاهرية ومن ذهب مذهبهم .. والأئمة الاعلام ــ كما رايت ــ ردوا مزاعمهم . وفندوا آراءهم ..

٦ ــ كشف الفخذين من غير ما ضرورة لا ينفق مع الذوق السليم ، بل يصطدم مع الحياء الاسلامي النبيل . ويتنافى مع أدب الاجتماع ، واخلاقية الاسلام ..

فعلى المسلمات الغيورات أن يتجنبن النظر الى عورات نساء مثلهن سواء أكان ذلك أثناء خلع الثياب للاستحمام ، أو التّدليك في الحمام ، أو في حفلات الأعراس حيث العري السافل والتكشف الممقوت الذي يندى له جبين الحياء !!.

وعلى الرجال الغيورين أن لايأذنوا لزوجاتهم ولا لبناتهم في دخول الحمامات العامة لاشتمالها على التكشف والعري والمفاسد كما هو شائع في أوساطنا الاجتماعية اليوم .

والرسول عليه الصلاة والسلام نهى عن ذلك :

ــ روى النسائي والترمذي وحسنه والحاكم عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدخل حليلته (زوجته) الحمام » .

ــ وروى الطبراني أن نساء حمص أو الشام دخلن على عائشة رضي الله عنها فقالت : أنتن اللاتي تدخلن نساءكن الحمامات ؟ سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ما من امرأة تضع ثيابها في غير بيت زوجها الا هتكت الستر بينها وبين ربها » .

ــ وروى ابن ماجه وأبو داود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ستفتح عليكم أرض العجم ، وستجدون فيها بيوتا يقال لها الحمامات فلا يدخلها الرجال الا بإزار ، وامنعوها النساء الا مريضة أو نفساء » .

ز ــ أدب نظر المرأة الكافرة الى المرأة المسلمة :

يحرم على المرأة المسلمة أن تكشف شيئا من مفاتنها أمام امرأة كافرة الا ما يبدو عند المهنة ــ أي الخدمة ــ كاليدين والوجه والرجلين لعموم قوله تعالى كما جاء في سورة النور : « **ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن .... او نسائهن ....** » .

فمن قوله تعالى : ((**أو نسائهن**)) يفهم أن المرأة المسلمة لايجوز أن تبدي زينتها الا اذا كان بحضرتها نساء مسلمات صالحات ، أما اذا كان في المجلس نساء غير مسلمات أو نساء مسلمات فاجرات فلا يجوز لها ابـداء الزينـة .

والحكمة في هذا التحريم هو ماجاء في حاشية الدسوقي : « .. فعورة الحرة المسلمة مع الحرة الكافرة ما عدا الوجـه واليدان على المعتمـد ؛ (والحكمة) : لئلا تصفها لزوجها الكافر ، فالتحريم لعارض لا لكونها عورة ».

ويحرم كذلك على المرأة المسلمة أن تكشف شيئاً من مفاتن جسمها أمام امرأة مسلمة فاجرة أيضا حتى لاتصف محاسنها عند الرجـال .. جـاء « في الهدية العلائية » ما يلي : « ... ولاينبغي للمرأة الصالحة أن تنظر اليها الفاجرة لأنها تصفها عند الرجال فلا تضع (أي المرأة الصالحة) جلبابها ولا خمارها » أهـ .

وللشيخ الوقور العلامة أبي الاعلى المودودي فهم خاص في قوله تعالى : ((**أو نسائهن**))نذكره كما ورد في كتابه « تفسير سورة النور » : (ان المراد بقوله تعالى : ((**أو نسائهن**)) النساء المختصات بهن بالصحبة والخدمةوالتعارف سواء أكنّ مسلمات أو غير مسلمات . وأن الغرض من الآية أن تخرج من دائرة الأجنبيات اللاتي لايعرف شيء عن أخلاقهن وآدابهن وعاداتهن ؛ أوتكون أحوالهن الظاهرة مشتبهة لايوثق بها . فليست العبرة في هذا الشأن بالاختلاف الديني . بل هي بالاختلاف الخلقي . فللنساء المسلمات أن يظهرن زينتهن بدون حجاب ولاتحرج للنساءالكريمات المنتميات الى البيوت المعروفة الجديرة بالاعتماد على أخلاق أهلها سواء أكنّ مسلمات أو غير مسلمات .

وأما الفاسقات اللاتي لاحياء عندهن ولايعتمد على أخلاقهن وآدابهن

فيجب أن تحتجب عنهن كل امرأة مؤمنة صالحة ولو كن مسلمات لأن صحبتهن لاتقل عن صحبة الرجال ضرراً على أخلاقها ••!) أهـ •

ولكن أين هؤلاء النساء الكريمات غير المسلمات ذوات الاخلاق والفضل في هذا العصر ؟ في تقديري أن هذا لايوجد الا في بيئات محدودة ، فعلى المرأة المسلمة أن تحتاط لدينها وسمعتها مخافة التأثر بأخلاق غير دينها ، أو بأخلاق مسلمات مستهترات لايرعين شرفاً ولا حرمة !!••

ح ـ أدب النظر الى الأمرد :

الأمرد هو الشاب الذي لم تنبت لحيته بعد ، وهو الذي يتراوح عمره مابين (١٠ إلى ١٥) سنة •

والنظر الى الأمرد جائز اذا كان لضرورة كالبيع والشراء ، والأخذ والعطاء ، والتطبيب والتعليم ونحوها من مواضع الحاجة •

أما اذا كان النظر من أجل الالتذاذ بالجمال فهو حرام لكونه يجر الى الشهوة ويؤدي الى الفتنة ••

ودليل الحرمة قوله تعالى : **« قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم •• »**

ولقد بالغ السلف الصالح في الإعراض عن المرد الحِسَان والنظر اليهم ومجالستهم :

ـ قال الحسن بن ذكوان : « لاتجالسوا أولاد الاغنياء فان لهم صورا كصور العذارى وهم أشد فتنة من النساء » •

ـ ودخل سفيان الثوري الحمام فدخل عليه صبي حسن الوجه فقال : « أخرجوه عني فاني أرى مع كل امرأة شيطانا . ومع كل أمرد سبعة عشر شيطانا » •

ـ وجاء رجل الى الامام أحمد ومعه صبي حسن الوجه فقال له :

مَنْ هـذا منك ؟

قال : ابن أختي •

قال : « لاتجيء به الينا مرة أخرى ، ولاتمش معه بطريق لئلا يظن بك من لايعرفك ويعرفه بسوء » •

ـ وقال سعيد المسيب : « اذا رأيتم الرجل يحدّ النظر الى الغـلام الأمرد فاتهموه » •

والحكمة في تحريم النظر الى الأمرد من غير ما ضرورة هي مخافة الوقوع في الفاحشة سدا للذرائع ، وحسما للفساد ••

والمسلم التّقي الورع هو الذي يحتاط دائما لدينه وخلُقه وسمعته ، ويتقي بحذر مواطن التهم ••

ط ـ أدب نظر المرأة الى الاجنبي :

يجوز للمرأة المسلمة أن تنظر الى الرجال وهم يمشون في الطرقات ، أو هم يلعبون ألعابا غير محرمة ، أو هم يتعاطون البيع والشراء ، أو غير ذلك • والدليل على هذا ما ثبت في الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل ينظر الى الحبشة وهم يلعبون في حرابهم في المسجد يوم العيد ، وعائشة رضي الله عنها تنظر اليهم من ورائه وهو يسترها منهم حتى ملّت ورجعت وذلك سنة سبع هجريـة •

وأما حديث : « احتجبا منه » ••• « أفعمياوان أنتما ألستما تبصرانه ؟ » فمحمول على اجتماع أم سلمة وميمونة مع ابن أم مكتوم في مجلس واحد ، وتحديق بصرهن اليه مقابلة ومواجهة !!•

يقول العلامة أبو الأعلى المودودي في كتابه « الحجاب » : (ان هناك فرقا دقيقا بين نظر المرأة الى الرجال ، ونظر الرجال الى النساء من حيـث

الخصائص النفسية للصنفين ، وذلك أن في طبيعة الرجل الاقدام فهو اذا أحب شيئاً يسعى في احرازه والوصول اليه ، ولكن في طبيعة المرأة التمنع والفرار (لحيائها) ، وهي مادامت على فطرتها ولم تنسلخ منها ، لايمكن أن يكون فيها من الجرأة والوقاحة والاقدام ما تتقدم به بنفسها الى شيء تحبه وتعجب بـه ، وقد راعى الشارع عليه الصلاة والسلام هذا الفرق بين طبعي الصنفين فلم يشدد في النهي عن نظر المرأة الى الأجنبي تشديده في النهي عن نظر الرجل الى الأجنبية ، وقد اشتهر حديث عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أراها لعب الحبشة بحرابهم في المسجد مما يفيد أنه ليس في نظر النساء الى الرجال بمحظور على الاطلاق ، وانما المكروه اجتماع النساء والرجال في مجلس واحد وتحديق بعضهم الى بعض ، كنهي أم سلمة وميمونة أن يحتجبا من ابن أم مكتوم ــ وأيضا لايجوز من النظر ما يخاف منه الفتنة) .

ويقول العلامة ابن حجر القسطلاني في شرح البخاري : « واستدل بهذا الحديث ــ أي حديث نظر عائشة الى الحبشة ــ على جواز رؤية المرأة الأجنبية للرجل الاجنبي دون العكس ، ويدل له استمرار العمل على خروج النساء الى المساجد والأسواق والاسفار متنقبات لئلا يراهن الرجال ، ولم يؤمر الرجال قط بالانتقاب لئلا يراهم النساء ، فدل على اختلاف الحكم بين الفريقين .

وبهذا احتج الامام الغزالي للجواز فقال : لسنا نقول إنّ وجه الرجل في حق المرأة عورة كوجه المرأة في حق الرجل ، فيحرم نظر المرأة الى الرجل عند خوف الفتنة ، وان لم تكن فتنة فلا ، إذْ لم تزل الرجال على مر الزمان مكشوفي الوجوه ، والنساء يخرجن متنقبات .. فلو استووا لأُمِرَ الرجال بالتنقب أو منعن من الخروج ... »

والذي أخلص بعد ما تقدم أن نظر المرأة الى الاجنبي جائز بشرطين :
الاول : أن لايترتب على النظر مما يخشى منه الفتنة .
الثاني : أن لايكون التحديق في مجلس واحد مواجهة ومقابلة .

ي ــ أدب النظر الى عورة الصغير[1] **:**

قال الفقهاء : الصغير سواء أكان ذكراً أو أنثى لاعورة له إذا كان ابن أربع سنين فما دونها، ثم إذا زاد على الأربع فعورته القُبل والدُبر وما حولهما.. حتى إذا بلغ حدّ الشهوة صارت عورته كعورة البالغ على التفصيل الذي سبق ذكره وكلما عودناه الستر وهو صغير كان أفضل .

ك ــ حالات ضرورية يباح فيها النظر :

سبق أن ذكرنا أنه لايجوز للرجل أن ينظر الى امرأة أجنبية ولو كانت دميمة غير مشتهاة .. سواء أكان النظر بشهوة أو بغير شهوة ؟

لعموم قوله تعالى : **((قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم))** ولشمول قوله عليه الصلاة والسلام : « اصرف بصرك »[2] .

ولكن يستثنى من هذا النظر حالات ضرورية ، وأمور طارئة .. نذكرها على الترتيب التالي :

١ ــ **النظر بقصد الخطبة :** سبق الكلام عليه بشكل مفصل في بحث : « أدب النظر الى المخطوبة » .

٢ ــ **النظر بقصد التعليم :** يجوز النظر الى وجه المرأة الأجنبية من غير زينة بقصد التعليم بشرط :

ــ أن يكون العلم الذي تتعلمه معتبرا شرعاً فيه صلاح الدين والدنيا .

---

(١) انظر « ردّ المحتار » لابن عابدين ج١ باب شروط الصلاة .
(٢) روى مسلم انه عليه الصلاة والسلام حين سئل عن نظر الفجاءة قال : « اصرف بصرك » .

ـ وأن يكون في حدود اختصاصها كتعليمها أصول التمريض ، وفن الولادة ..

ـ وأن لايخشى من النظر الى وجهها فتنة .

ـ وأن لايترتب على التعليم خلوة .

ـ وأن لايوجد نساء يقمن بالتعليم مقا مالرجال .

ولا شك أن الاسلام حين وضع هذه القيود .. أراد تكوين مجتمع نظيف طاهر .. لاتحوم حوله الشبه ، ولاتوجه اليه التهم .. حتى تبقى الفتاة صيّنة طاهرة ، لاتستد اليها يد بإثم ، ولاتنظر اليها عين بخيانة !! .

وصدق الله العظيم القائل : ((**ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين**))

٣ ـ **النظر بقصد المداواة :** يجوز أن ينظر الطبيب من الأجنبية الى المواضع التي يقوم على علاجها ، لما روى مسلم عن أم سلمة رضي الله عنها أنها استأذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحجامة فأمر النبي صلى الله عليه وسلم أبا طيبة أن يحجمها .

ومعالجة الطبيب للمرأة الأجنبية لاتجوز الا بشروط :

١ ـ أن يكون الطبيب تقيا أمينا عدلا ذا اختصاص وعلم .

٢ ـ أن لايكشف من أعضاء المرأة الا قدر الحاجة اذا تعين النظر .

٣ ـ أن لاتكون هناك امرأة مختصة تقوم مقام الطبيب في علمه واختصاصه .

٤ ـ أن تكون المعالجة بوجود محرم ، أو زوج ، أو امرأة ثقة كأمها أو أختها أو جارتها ..

٥ ـ أن لايكون الطبيب كافرا مع وجود مسلم .

فاذا توفرت هذه الشروط فيجوز للطبيب أن ينظر أو يلمس موضع العورة بالنسبة للمرأة لأن الاسلام دين يدفع عن الناس الحرج . ويجلب

لهـم المصلحة والتيسير •• فمبدؤه في ذلك **((وما جعل عليكم في الدين من حرج))** •

((يريد الله بكم اليسر ولايريد بكم العسر))

٤ ــ **النظر بقصد المحاكمة والشهادة :** يجوز للقاضي والشاهد أن ينظر من المرأة الى الوجه والكفين وإنْ خافا الفتنة •• لما يترتب من النظر احقاق حق ، ودفع ظلم •• وانما جاز النظر لكون المتنقبة غير معروفة لدى القاضي ، ولدى الشاهد •• فتكشف عن وجهها في هذه اللحظات لتُعْرَف أنها هي المعنيّة حتى لاتلتبس الأمور ، وتضيع في المجتمع الحقوق ••

وما ذاك الا لأن الاسلام دين الواقع والحياة ، يحقق للناس مصالحهم ، ويحفظ لهم حقوقهم **((ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون ؟))** •

وفي هذا المقام أسوق هذه القصة التاريخية الخالدة . ليعرف أهل الحسبة والغيرة من الرجال والنساء كيف كان السلف الصالح يتحرجون في أن تكشف المرأة وجهها أمام الرجال ، ولو كان الكشف جائزاً شرعاً ؟

جلس موسى ابن اسحاق قاضي الريّ والأهواز في القرن الثالث الهجري ينظر في قضايا الناس . وكان بين المتقاضيَيْن امرأة ادعت على زوجها أن عليـه خمسمائة دينار مهرا لها ، فأنكر الزوج أن لها في ذمته شيئا •

فقال له القاضي : هات شهودك •

فقال : قد أحضرتهم •

فاستدعَى القاضي أحدهم وقال له : أنظر الى الزوجة لتشير اليها في شهادتك ، فقام الشاهد وقال للزوجة : قومي •

فقال الزوج : ماذا تريدون منها ؟

فقيل له : لابد أن ينظر الشاهد الى امرأتك وهي مُسْفِرة لتصح عنده معرفته بها .

فكره الرجل أن تضطر زوجته الى الكشف عن وجهها للشهود أمام الناس .

فصاح : اني أشهد القاضي على أن لزوجتي في ذمتي هذا المهر الذي تدعيه ولاتسفر عن وجهها .

فلما سمعت الزوجة ذلك أكبرت في رجلها أنه يضن بوجهها على رؤية الشهود ، وأنه يصونها عن أعين الناس !!.

فصاحت تقول للقاضي : اني أشهدك على أني قد وهبت له هذا المهر ، وأبرأته منه في الدنيا والآخرة !!.

فقال القاضي لمن حوله : « اكتبوا هذا في مكارم الأخلاق » !!.

فما على المربين الا أن يأخذوا بآداب الاسلام في النظر سواء ما يتعلق : في أدب النظر الى المحارم ، أو في أدب النظر الى المخطوبة ، أو في أدب نظر الزوج الى زوجته ، أو في أدب نظر الرجل الى المرأة الأجنبية ، أو في أدب نظر الرجل الى الرجل ، أو في أدب نظر المرأة الى المرأة ، و في أدب نظر المرأة الكافرة الى المرأة المسلمة ، أو في أدب نظر الرجل الى الأمرد ، أو في نظر المرأة الى الأجنبي ، أو في أدب النظر الى عورة الصغير ، أو في أدب النظر بقصد التعليم ، أو في أدب النظر بقصد المداواة ، أو في أدب النظر بقصد المحاكمة أو الشهادة ..

كل هذه الآداب من النظر يجب على الاباء والأمهات والمربين جميعا أن يعطوا لأبنائهم القدوة العملية فيها ، ثم يلقنوها ابناءهم تعليما وتوعية .. ان أرادوا لهم الخلق الفاضل ، والشخصية الاسلامية المتميزة ، والسلوك الاجتماعي

الخير ، والتربية الاسلامية السامية . . والله سبحانه لن يترهم أعمالهم ، ولن ينقصهم أجورهم وثوابهم في يوم لاينفع فيه مال ولابنون !!. .

★ ★ ★

٣ ــ تجنيب الولد الاثارات الجنسية :

من المسؤوليات الكبرى التي أوجبها الاسلام على المربي أن يجنب ولده كل ما يثيره جنسيا ، ويفسده خلقيا .. وذلك حينما يبلغ الولد سن المراهقة ، وهو السن الذي يتراوح مابين العاشرة الى البلوغ .

ولقد أجمع علماء التربية والأخلاق أن مرحلة المراهقة هي من أخطر المراحل في حياة الانسان ، فاذا عرف المربي كيف يربي الولد ؟ . وكيف ينتشله من أوحال الفساد ، وبيئات الانحلال ؟ وكيف يوجهه التوجيه الأمثل ؟ فعلى الأغلب أن الولد ينشأ على الخلق الفاضل . والأدب الرفيع . والتربية الاسلامية السامية ..

ومما يدل على أن الاسلام أمر الأولياء والمربين في أن يَجنّبوا أولادهم إثارة الجنس وهياج الغريزة هذه النصوص التالية :

ــ قال تعالى في سورة النور : **« وليضربْن بخمُرهنّ على جيوبهن ولا يبدين زينتهنّ إلا لبعولتهنّ أو أبنائهن . . . أو الطفل الذين لم يَظهروا على عورات النساء . . . »** .

فيؤخذ من هذا النصّ أن الولد إذا كان صغيراً لايفهم أحوال النساء وعوراتهن وإثارتهن فلا بأس بدخوله على النساء ، فأما إن كان مراهقاً أو قريباً منه ــ وهو السنّ الذي بعد التاسعة ــ فلا يمكّن من الدخول على النساء لكونه يفرّق بين الشوهاء والحسناء ، وتتحرك الشهوة في نفسه إذا رأى منظراً مثيراً ..

يقول الإمام ابن كثير في تفسير آية : **«أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء»** (يعني لصغرهم لايفهمون أحوال النساء وعوراتهن من كلامهن الرخيم ، وتعطفهن في المشية . وحركاتهن وسكناتهن .. فاذا كان الطفل صغيراً لايفهم ذلك فلا بأس بدخوله على النساء . فأما إن كان مراهقا أو قريباً منه بحيث يعرف ذلك ويدريه . ويفرّق بين الشوهاء والحسناء . فلا يمكّن من الدخول على النساء . وقد ثبت في الصحيحين عن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إياكم والدخول على النساء » قيل يا رسول الله : أفرأيت الحمو ؟ (أي قريب الزوج) قال : « الحمو الموت ») .

ـ روى الحاكم وأبو داود عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين ، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر، **وفرقوا بينهم في المضاجع»** .

فيؤخذ من هذا النص أن الآباء والأمهات مأمورون شرعاً بأن يفرّقوا بين أبنائهم في المضجع إذا بلغوا سنّ العاشرة ؛ مخافة ـ اذا اختلطوا في فراش واحد ، وهم في سنّ المراهقة أو ما يقاربها ـ أن يروا من عورات بعضهم البعض في حال النوم أو في اليقظة .. ما يثيرهم جنسياً ، أو يفسدهم خلقياً..

وهذا دليل قاطع على أن الاسلام يأمر الأولياء بأن يتخذوا التدابير الإيجابية ، والأسباب الوقائية .. في تجنيب الولد الهياج الغريزي ، والإثارة الجنسية .. حتى ينشأ على الصلاح ، ويتربّى على الفضيلة والخلق الفاضل!!

ـ روى البخاري أن النبي صلى الله عليه وسلم أردف الفضل بن العباس رضي الله عنهما يوم النّحر خلفه ـ وكان الفضل قد ناهز البلوغ ـ فطفق الفضل ينظر الى امرأة وضيئة من خثعم كانت تسأل النبي صلى الله عليه وسلم عن أمور دينها ، فأخذ النبي صلى الله عليه وسلم بذقن الفضل ، فحوّل وجهه عن النظر اليها ..

وفي رواية للترمذي : أن العباس قال للرسول صلى الله عليه وسلم : لوَيْتَ عنقَ ابن عمك ؟ فقال عليه الصلاة والسلام : « رأيتُ شاباً وشابّة فلم آمَنْ عليهما الفتنة » .

يؤخذ من فعل النبي صلى الله عليه وسلم في تحويل وجه الفضل عن النظر إلى المرأة ، ومن قوله : « .. فلم آمن عليهما الفتنة » .

يؤخذ من هذا كله أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يهتم في توجيه الولد المراهق ، أو البالغ الشاب .. في كل ما يصلحه خلقياً ، ويضبطه غريزياً .. مخافة أن يقع في الفتنة أو يتردّى في الفساد والانحلال !! ..

وهذه لفتة تربوية كريمة من نبيّ الإسلام صلوات الله وسلامه عليه في إصلاح الجيل وتربية الأولاد . وتقويم اعوجاج المجتمع ..

وماأكثر مواقفه الإصلاحية ، ولفتاته التربوية عليه الصلاة والسلام !!.

فنستخلص من هذه النصوص التي أوردناها آنفاً أنه يجب على المربي أن يجنّب ولده كل ما يثيره غريزياً ، ويهيّجه جنسياً .. حتى لايقع في حبائل الفاحشة ، ويتردّى في مهاوي الرذيلة ، ويتقلّب في حمأة الفساد والانحلال .. ومسؤولية المربي في تجنيب الولد الإثارات الجنسية تتحقق في جانبين :

الأول : مسؤولية الرقابة الداخلية .

الثاني : مسؤولية الرقابة الخارجية .

ـ أما الرقابة الداخلية :

فيجب أن يتبع المربّي قواعد الاسلام في منع كلّ ما يهيّج الولد غريزياً ، ويثيره جنسياً :

● فدخوله على أهله وهو في سن التمييز فيأوقات الراحة والنوم : من قبل صلاة الفجر ، ووقت الظهيرة ، ومن بعد صلاة العشاء بدون استئذان •• مما يثيره جنسياً •• لأن الولد ــ على الغالب ــ يفاجـأ باطلاع على حالة مـن تكشّف العورات لايحسن أن يرى أهله فيها •

لذا وجب على المربّي ــ كما مرّ ــ أن يعلّم ولده الصغير أدب الاستئذان في هذه الأوقات الثلاثة •

أما إذا بلغ الولد سنّ البلوغ فعلى المربّي أن يعلّمه أدب الاستئذان في هذه الأوقات الثلاثة وفي غيرها ••

● ودخوله على النساء الأجنبيات وهنّ في أجمل زينة وهو في سن المراهقة ــ وهو السن ما بعد التاسعة ــ مما يثير الولد جنسياً ••

لذا وجب على المربّي ــ كما مرّ ــ أن يمنع ولده المراهق من الدخـول على النساء الأجنبيات •

● ونومه مع إخوته البنين أو البنات في مضجع واحد وهو في سنّ العاشرة وما بعدها •• مما يثير الولد جنسياً ولا سيما حينما يضمّه وإيّاهم لحـاف واحـد •

لذا وجب على المربّي ــ كما مرّ ــ أن يفرّق بينهم في المضاجع •

● وتحديق نظره إلى مكان العورة المكشوفة من المرأة وهو في سنّ التمييز وما بعده •• مما يثير الولد جنسياً ••

لذا وجب على المربّي ــ كما مرّ ــ أن يعلم الولد منـذ نشأته آداب النظـر •

● وإفساح المجال له ليرى في البيت من شاشة التلفزيون المناظر المثـيرة ، والتمثيليات الماجنة والدعايات الفاجرة •• مما يثير الولد جنسيّاً ••

لذا وجب على المربّي ــ كما مرّ ــ أن يمنع من البيت وجود التلفزيون لخطره الكبير على الفضيلة والأخلاق .

● وترك الحبل له على غاربه في أن يقتني ما شاء من الصور العارية ، والمجلات الماجنة ، والقصص الغرامية المهيجة والتسجيلات الغنائية المثيرة .. دونما سؤال ولا رقيب . مما يثير الولد جنسياً ..

لذا وجب على المربّي ــ كما مرّ ــ أن يراقب الولد ، وأن يلقي نظرة الى مكتبه ، ليعرف كيف يرشده وكيف يوجهه إذا رآه اقتنى شيئاً محرّماً ؟

● وإتاحة المجال له في أن يصادق من قريباته أو من بنات الجيران وهو في سنّ المراهقة من شاء بحجة الدراسة والاجتهاد .. مما يثير الولد جنسياً .. لذا وجب على المربّي أن لا يفسح المجال لولده ولا لابنته في توثيق العلاقة بين الذكور والإناث ، لما لهذه العلاقات من خطر كبير على الفضيلة والأخلاق ، الى غير ذلك من هذه المثيرات التي تفسد أخلاق الولد ، وترمي به في متاهات الانحلال والميوعة والإباحية ..

فعلى المربي أن يجنّبها الولد بتوجيهه الزكيّ ، وإرشاده السديد ، وحكمته الرشيدة . ولا يعدم وسيلة في اصلاح الولد ، وتربيته التربية الفاضلة .

ــ أما الرقابة الخارجية :

فهي لاتقل عناية واهتماما عن الرقابة الداخلية ، ذلك لأن وسائل إفساد الولد خلقياً أكثر من أن تحصى ، ولا بأس في أن أضع بين يديك ــ أخي المربي ــ أخطر هذه الوسائل التي تثير الولد جنسياً ، وتهيّجه غريزيّاً .. لتكون على رؤية تامة في كل ما يسبب إفساد الولد ، ويوقعه في مهاوي الهلاك :

١ ـ مفسدة السينما أو المسرح :

لما يعرض فيهما من مفاتن الجنس ، واستثارات الشهوة ، ومظاهر الفساد والإباحية ..

حتى ان السينما أو المسرح اليوم أصبحتا ـ ويا للأسف ـ وسيله للتحلل ، ومرتعاً للمجون والميوعة .. بل صارت التجارة بالأعراض والجنس ـ عن طريق السينما أو المسرح ـ باباً للرزق، وميداناً للسبق.. عند أصحاب المطامع الخسيسة ، وذوي النفوس الهابطة الدنيئة .. من يهود وغير يهود ، من مسلمين ينتسبون ظلماً وزوراً إلى الإسلام ومن غير المسلمين ..

٢ ـ مفسدة أزياء النساء الفاضحة :

لما تستلفت نظر المراهقين والشباب ، فلا يملك أحدهم أن يشعر بشيء من الاستقرار أمام هذه المفاتن المبتذلة ، وأمام هذه الأزياء الفاضحة .. إنه لايستطيع ملاحقة مواكب الحسان الفاتنات الكاشفات عن الجسد ببصره فضلا عما يندفع بغريزته إلى ما وراء ذلك .

فماذا يفعل المراهق أو الشاب أمام هذا التيار الجارف من المفاسد ؟

إن ذلك يرهق الأعصاب ، ويفسد الأخلاق ، ويصرف عن الجد والعمل البنّاء .

من الذي يخترع هذه الأزياء ؟

إنهم حفنة من التجار أكثرهم من اليهود الذين يريدون أن تعمّ الفوضى كل الأنحاء ، وأن يجتثّوا أصول الأخلاق الفاضلة من المجتمعات .. لتنحل قواها ويسهل السيطرة عليها وامتلاك زمامها !!..

إن أولئك يصدرون عن عقائد غير عقائدنا ، وأخلاق غير أخلاقنا .

إن شعور التبعية النفسية ، والإحساس بالنقص .. والانخراط في بوتقة

التقليد الأعمى •• هو الذي يحمل النساء غير الواعيات في بلدنا أن ينسقن بحكم عواطفهن وأهوائهن في تيار الأزياء الفاضحة التي تستهدف الفتنة والإغراء ••

ولست أدري كيف ترضى المرأة المسلمة أن تنقاد وراء ذلك التيار الآسن الذي يسلبها خصائصها وأصالتها ، ويحيلها إلى مِسْخٍ شائه باسم الرقيّ والتحضر والتقدمية •• ومما يجسّم الخطر أن تيار العبث بالأزياء لا يقف عند حدّ ، بل إنه يولع بكل غريب ، ويتجه إلى كل ما يلفت الأنظار ويثير العجب !!•

لقد تفنّنت الأزياء في إبراز الفتنة والإغراء بالانحراف فلم تدع لذلك وسيلة الا اتجهت اليها مهما بدت معيبة مسجوجة ، ومهما امتهنت كرامة الانسان، وأحالته الى سلعة أقلّ من الحيوان !!••

والمرأة المعاصرة طائعة ذليلة لكل ما يختاره لها العابثون ، وقد وقَرَ في أذهان النساء أن التخلف عن هذه « الأزياء العالمية » كما يصفونها انقطاع عن الحضارة وتأخر عن موكب المدنية والتقدم ••

ولئن كانت المرأة الأوربية أو الأمريكية ••• لاترى بأساً في اتباع هذا التيار الجارف من فوضى الأزياء ، فان المرأة المسلمة لابد أن ترى في هذا التيار بأساً وأي بأس !!؟

أن ترى فيه بأساً لما يصيب العزّاب من كَبْتٍ ؛ وما يجرّهم الى الفوضى الجنسية والانحلال • أن ترى فيه بأساً لما يدفع النساء الجاهلات الفقيرات إلى أن يتعاطين الزنى سرّاً لتحصل على المال ، حتى تظهر بمظهر فاتن جميل حين ترتدي هذه الأزياء !!••

أن ترى فيه بأساً لما يقع بين الأزواج والزوجات من مشاجرات وخصومات من أجل أن تشبع المرأة نهمها في ارتداء الزي الجديد .

إذ المرأة المسلمة مطالبة أن تحيا في حدود أخلاقها ومبادئها وأصالتها الإسلامية ، وأن تحافظ على استقامة المجتمع ، وطمأنينته ، وأن ترحم المراهقين والعزّاب بما تظهر به من مظهر الحشمة والكمال ، وبما ترتديه من زيّ الجلابيب والحجاب .. وإلا .. فانها تعتبر شرعاً حائدة عن مبادىء الاسلام، ومسترسلة في متاهات الفسوق والعصيان، خاضعة للهوى ، منقادة للضلال..

« وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم » . (الأحزاب : ٣٦)

٣ ـ مفسدة المواخير السرية والعلنية :

لما تحتويه من رجال فقدوا في رؤوسهم معاني النخوة والشرف والغيرة.. ونساء فقدن في نفوسهن رباط الكرامة والحياء والعفاف .. يجتمعون معاً في هذه الأوكار الآثمة لينطلقوا في حلبة الإباحية كالخنازير في الخسة والدناءة، وكالبهائم في السّفاد وهياج الغريزة ..

إنها ساحات للاباحية والمفاسد ، إنها أماكن للدعارة والخنا ... يغشاها في كل آن طلاّب المتعة والجسد ، وعشّاق الميوعة والانحلال ..

وهي عدوى أصابتنا من جراثيم التقليد الجاهل للحضارة الغربية ، أو رؤية قشورها دون جوهرها ، وهي دلالة على قتل الوقت بالعبث . وضياع قيمة الحياة ..

وإلاّ .. فما معنى أن يبدّد الانسان الأحمق .. وقته وماله في سبيل

الاطلاع على العورات ، وارتكاب المآثم ، والتدرّج نحو الإباحية ، واقتراف المنكرات .. وكلّها لاتستقيم معها أُولَى أو أخرى ؟!! .

وهذه المواخير سواء أكانت سرية أم علنية باب واسع لفوضى الغريزة ، والاتصال بالجنس .. فهي بيئات آسنة قذرة تنمو فيها جراثيم الخطيئة والإثم وتتعدد ألوانها . وفي مشاهدها المثيرة يفقد الإنسان زمام نفسه ، ويفسق عن أمر ربه . ويتدرّج على سلّم الإباحية .. حين يرى الوجوه الآثمة ، والأجساد العارية ، والمفاتن المغرية ..

وفي ظلال المسكرات والمخدّرات تفتح الأبواب المغلقة ، وتوقظ الفتن لنائمة ، وينصرف الناس عن الجد والاستقامة وأداء الرسالة .. إلى ألـوان النزوات واللهو الحقير . والاتصال الحرام ..

وفي العلاقات المنحرفة التي تنبت جذورها في هــذه البيئات الفاسدة ، والمواخير الآثمة تتهدّم أسَر ، وتتقوّض بيوت ، وتنحرف نساء ، وتُقبَر مروءات ، وتنتهك حرمــات ، وتبدّد أموال !!.

ولا يقف خطر هذه المواخير عند هذا الحدّ ، بل إنها تمتد بيــد الفساد إلى كثير من البنات اللائي تنزلق أقدامهن إلى هذه الهاوية ، استجابة لإغراء المــال . وإشباع الوطر ، والتمتع باللذة العارضة التي يعقبها المصائب والآلام: وأريد في هذا المجال أن أضــع بين يديك ــ أخي المربي ــ هــذه الصور من انزلاق البنات في هاوية الرذيلة ، لتكون الرؤية لديك ظاهرة واضحة :

آ ــ بينما كانت معلمــة الرياضة تعطي درس الرياضة لطالبات الصف العاشر في إحدى المدارس الثانوية للبنات وإذ بطالبة تقع على الأرض فجــأة لدوار أصابها . وفوراً تنقل الى المستشفى لإسعافها ، وبعــد فحصٍ طبّي لجسمها تبيـّن أن الطالبة حبلى من الزنى .

ولما أخذ التحقيق مجراه تبيـّن أن الطالبة هذه مرتبطة بوكرٍ من أوكار

الدعارة السريّة في البلد مع خمس طالبات من سنّها ، والأهل والمدرسة لايعلمون من أمرهن شيئاً !!•

وتبيّن أيضاً نتيجة التحقيق أن طالبة من هذه الطالبات كانت ممتهنة الدعارة السرية قبل دخولها الى المدرسة بوحي من أمّها الداعرة •• واستطاعت بأساليبها المغرية أن تزيّن لرفيقاتها طريق الفحشاء والمنكر حتى أوقعتهن في هذا المصير المخزي ، والنهاية الأليمة ••

والمسؤولون في التعليم لفّوا الموضوع ، وطمسوا على الحادثة مخافة الفضيحة • **ولا شك أن للصحبة الفاسدة اثرها الاكبر في الإفساد والإغواء ••**

ب ــ أب ماجن متحلل ليس له من هم سوى أن يجري وراء اللذة والجنس إشباعا لشهوته الآثمة •• ساقته نزوته الحيوانية يوماً الى وكرٍ من أوكار الدعارة السريّة ، فدخله وإذ بالقوّاد المشرف على الوكر يعرض على زبائنه صور البغايا الزانيات ، فخطفت عينه صورة ابنة من بناته المتعلّمات فانذهل لجسامة المفاجأة ولكن ضبط أعصابه ريثما يتبيّن الأمر على حقيقته ••

فقال للقوّاد : أرغب صاحبة هذه الصورة •

فقال له : أدخل غرفة (كذا) سوف تراها حاضرة مهيّأة لك •

فدخل وإذ بابنته على أتم استعداد لاستقبال الزبائن !!••

ولكن الفتاة حين رأت أباها ماثلا أمامها سيطر عليها الذعر ، وملكها الخوف ، وصُدمت صدمة شديدة •• فما كان منها إلا أن أسرعت نحو الباب وهي في ذعرٍ أليم ، وصياح هائج •• تريد انقاذ نفسها من أبيها ••

أما الأب فقد تفجّرت في رأسه ينابيع النخوة والغيرة ، وسرى في عروقه دم الانتصار للعرض والشرف •• فهجم على ابنته ــ بدون وعي ــ كالأسد

الكاسر يريد خنقها •• ولكن تواجُد الناس السريع حال دون ذلك •• وحتى هنا انسدل الستار ، وما عُرف ماذا تمّ في مصير الفتاة ؟

والذين عندهم دراية في ملابسات الحادثة قالوا : ان سبب انزلاق هــذه الفتاة هو الرفقة الفاسدة •• فابنة الجيران التي كانت ترافقها الى المدرسةهي التي زيّنت لها طريق الشر . وصيّرتها هذا المصير الآثم ••

ولم يَدُر بخلَد أحد من أهلها أن ابنتهم استعاضت عن المدرسة وكراً للدعارة قبرت فيه شرفها وعفافها !!••

ولا شك أن للصحبة الفاسدة أثرها الأكبر في الإغواء والافساد ..

ج ـــ حدثني من أثق به من المدرسين المخلصين الغيورين أنه دخل احدى المقاهي في البلد ، ليبحث عن صديق له هناك ، وفي أثناء دخــوله لفت نظره دخول طلاب وطالبات يصعدون تباعاً إلى الطابق العلوي في المقهى الذيتواجد فيه : فدفعه حب الاطلاع لأن يعرف لماذا والى أين ؟

وما أن وصل بهو الطابق حتى اندهل من هول ما رأى •• رأى أكثر من يؤمّون الطابق طلاباً وطالبات ، رآهم في عناق ، في قبــلات ، في غزل ، في ضحكات فاجرة ، في إثارات داعرة ••

فتساءل كيف وصل هؤلاء الى بعضهم بعضا ؟ كيف تمت العلاقات ؟ من الذي أتى بهم الى هذا المكان ؟

دروس من العهر والانحلال يتلقونها من التلفاز ، ويتلقونها من السينما . ويتلقونها من المجلة المائعة ، ويتلقونها من القصة المثيرة ، ويتلقونها منالأغاني الرقيعة •• ويتلقونها من الشارع •• فكان من نتيجة ذلك هذا المصيرالمحزن، والنهاية الأليمة • والأهل لايعلمون من أمر أولادهم وبناتهم شيئاً !!•

شك أن للبيئة الفاسدة أثرها الأكبر في الاغــواء والإفساد ..

د ــ حدثني أكثر من واحد من مديرين ومديرات وإداريين وإداريات.. أنهم اطلعوا وهم في أعمالهم الإدارية على رسائل كثيرة تأتي الى المدرسة بواسطة البريد . تحمل في طيّاتها عبارات الغزل والعشق والغرام .. تدبّجها أقــلام طلاب أو طالبات قتلوا من دراستهم الوقت الكثير في سبيل ماذا ؟ في سبيــل رسالة يكتبها عاشق لعشيقته، أو تكتبها عشيقة لعشيقها.. وما ذاك إلا لإهمال الرقابة المنزلية من الأبوين . أو لإهمال التوجيه التربوي الواعي من المدرسة.. أو لتأثيرات الفساد الاجتماعي الذي استشرى في المجتمع في كل مكان .

فالولد سواء أكان ذكراً أم أنثى إذا كان خاوي العقيدة . فارغ الخلق. ميت الضمير .. يخالط الأشرار ، ويصاحب الفجار .. فلا بــد أن ينتهي إلى هذا المصير المخزي ، والنهاية الأليمة ..

ولا شك أن للبيئة الفاسدة والصحبة الفاجرة أثرها الأكبر في الإغواء والافساد .

٤ ــ مفسدة المظاهر الخليعة في المجتمع :

يتلفت الشاب أو المراهق في الشارع وفي الساحات العامة فماذا يرى؟

يرى الصور العارية التي تملأ السينما والصحف والمجلات والإعلانات والشوارع والمنازل والنوادي والمسارح ..

يرى النساء الكاسيات العاريات وهن في أبهى زينــة . وأفتن منظر .. يرى الأزياء الفاضحة من نساء لايرعين للشرف حرمة ، ولا للأخلاق وزناً ..

يرى الطلاب والطالبات عند ذهابهم الى المدرسة وعند انصرافهم منهــا كأنهم جراد منتشر في اختلاطهم وازدحامهم .. وكم سمعنا كلمــات قــذرة وجهها طالب ماجن وضيع الى طالبة ماجنة مستهترة وهي سائرة في الطريق ؟

يرى المراهقين والمراهقات متجمعين على باب السينما ينظرون الى صور العُهْر والتحلل ، وقد يغري المراهق المراهقة ــ على موعد أو غير موعد ــ بدفع ثمن البطاقة ، حتى يشهدا معاً فيلماً ماجناً ، أو مسرحية مائعة ..

يرى كل ذلك وأكثر من ذلك وهو في سنّ المراهقة ، وثورة الشباب!!.

ولاشك أن للبيئة الفاسدة أثرها الاكبر في الإغواء والإفساد ..

٥ ــ مفسدة الصحبة السيئة :

سبق أن ذكرنا في القسم الأول في فصل : « أسباب الانحراف عند الأولاد .. » ما يلي : « ومن العوامل الكبيرة التي تؤدي الى انحراف الولد رفاق السوء والخلطة الفاسدة ، ولاسيما اذا كان الولد بليد الذكاء ، ضعيف العقيدة ، متميع الخلق .. فسرعان ما يتأثر بمصاحبة الفجار ، ومرافقة الأشرار .. وسرعان ما يكتسب منهم أحطّ العادات ، وأقبح الأخلاق .. بل يسير معهم في طريق الشقاوة بخطى سريعة ، حتى يصبح الإجرام طبعاً من طباعهم ، والانحراف عادة متأصلة من عاداتهم ، ويصعب بعد ذلك ردّه الى الجادّة المستقيمة ، وانقاذه من وهدة الضلال ، وهوّة الشقاء .. » .

ولقد رأيت ــ أخي المربي ــ حين تكلمنا عن « مفسدة المواخير .. » ما للصحبة الفاسدة من خطر كبير في جرّ المراهق أو المراهقة .. الى الفاحشة، وسوقهما الى بيئة الفساد والانحلال .. لأن الصاحب كما يقول الصادق المصدوق عليه الصلاة والسلام : ــ فيما رواه ابن حبان ــ « المرء على دين خليله فلينظر أحدكم مَنْ يخالل » ، وكما قال أيضاً : ــ فيما رواه ابن عساكر ــ « إيّاك وقرين السوء فإنك به تُعْرف » .

ورحم الله من قال :

عن المرء لاتسأل وسل عن قرينه ... فكل قرين بالمقارن يقتدي

٦ ـ مفسدة الاختلاط بين الجنسين :

لما لاختلاط البنين والبنات وهم في سن التمييز والمراهقة من أثر كبير على الفضيلة والأخلاق والعلم والاقتصاد والجسم والأعصاب •

وقد قامت بدعة الاختلاط بين الجنسين في المدارس ومكاتب الوظائف•• في بعض البيئات الاسلامية اليوم بحجة أن الاختلاط ما بين الجنسين يهذب الغريزة ، ويصرف كوامن الشهوة ويجعل اجتماع النساء بالرجال أمرا مألوفا وعاديا ••

وسبق أن ذكرنا في فصل « مسؤولية التربية العقلية » الردّ المقنع المدعوم بالحجة والدليل على كلّ مَنْ يزعم أن الاختلاط ما بين الجنسين يهذّب الغريزة . ويحدّ الشهوة، ويجعل اللقاء بين الرجل والمرأة أمراً طبيعياً مألوفاً••

ارجع ــ أخي المربي ــ الى الفصل المذكور ، واقرأ فيه بحث « الردّ على دعاة الاختلاط » تجد ما يشفي الغليل إن شاء الله •

تلكم ــ أيها المربون ــ أهم وسائل الإفساد في تمييع الولد خلقياً ، وإثارته جنسياً ؛ وهي وسائل مدمّرة ، وأسباب مهلكة كما رأيتم !!••

فما عليكم ــ إذن ــ إلا أن تقوموا بمسؤولياتكم كاملة في رقابة الولد وملاحظته سواء أكانت الرقابة داخلية أو خارجية ••

ولكن هل الرقابة وحدها تجدي أم هناك وسائل ايجابية أخرى يجب أن ينتهجها المربون في اصلاح الولد ؟

في تقديري أن هناك ثلاث وسائل ايجابية اذا انتهجها المربون انصلح الولد خلقيا ، وانضبط غريزيا •• وكان كالملك في طهره وصفائه ، وكالنبي في قدوته وأخلاقه ، وكالمرشد الرباني في روحانيته وتقواه •• وهذه الوسائل مرتبة كما يلي :

١ ــ وسيلة التوعية .

٢ ــ وسيلة التحذير ..

٣ ــ وسيلة الربط .

١ ــ وسيلة التوعيـــة :

مما لايختلف فيه اثنان أن الولد اذا لقن منذ نعومة أظفاره أن هـــذا الفساد الاجتماعي ، والانحلال الأخلاقي .. الذي عم المجتمعات الاسلامية في كل مكان هو من مخططات اليهودية والشيوعية والصليبية والاستعمارية .. فان الولد ــ اذا ما كبر ــ يصبح عنده من النضج والفهم والوعي مايردعه عن الاسترسال في الشهوات ، ومايرده عن كثير من المفاتن والمفاسد .. ولاشك أن وسائل هذا الإفساد عندهم **هو الجنس ، والسينما ، والمسرح ، والمجلة ، والصحيفة ، وبرامج التلفزيون والاذاعــة ، والأزيــاء ، ونشر الصور العارية ، ومواخير الدعارة السرية والعلنية .. وما شابه ذلك .. وسوف تجد ــ أخي المربي ــ هذه المخططات موسعة مع شواهدها .. في بحث ((الاستشعار بالمسؤولية)) من هذا الكتاب .**

وسبق أن ألمحنا عن هذه المخططات في فصل « مسؤولية التربية العقلية » في آخر الفصل المذكور .

فارجع ــ أخي المربي ــ الى هذين البحثين تجد مايشفي الغليل ان شاء الله . ولابأس في هذا المقام أن أعرض لك باختصار ــ أخي المربي ــ عن الخطوط العريضة لهذه المخططات لترسخ في ذاكرتك مكائد أعداء الاسلام في افساد المجتمع الاسلامي .

● **اليهــود والماسونية :**

ــ انهم تبنوا آراء ((**فرويد**)) الذي يفسر كل شيء في سلوك الانسان عن طريق الغريزة الجنسية ، والاسترسال في طريق الشهوة واللذة ..

ـ انهم تبنوا آراء اليهودي **« كارل ماركس »** الذي أفسد على الكثير عقائدهم وأخلاقهم ، وألغى الاديان وهاجم عقيدة الالوهية . ولما قيل لكارل ماركس : ما هو البديل عن عقيدة الألوهية ؟ قال : البديل هو المسرح . أشغلوهم عن عقيدة الالوهية بالمسرح .

ـ انهم تبنوا آراء **« نيتشه »** الذي ألغى الأخلاق ، وأباح لكل انسان أن يفعل ما يؤدي الى استمتاعه ...

ـ انهم يعملون لتنهار الاخلاق في كل مكان .. عن طريق الجنس والمرأة .. فمن أقوالهم وأقوال الماسونيين : « يجب علينا أن نكسب المرأة ، فأي يوم مدت الينا يدها فزنا بالحرام ، وتبدد جيش المنتصرين للدين » .

● **الاستعمار والصليبيــة :**

ـ يقول أحد أقطاب المستعمرين الكبار : « كأس وغانية ، تفعلان في تحطيم الأمة المحمدية أكثر مما يفعله ألف مدفع ، فأغرقوها في حب المــادة والشهوات » .

ـ ومما قاله « الفس زويمر » في مؤتمر المبشرين في القدس : « انكم أعددتم نشئا في ديار المسلمين لايعرف الصلة بالله .. وبالتالي جاء النشء الاسلامي طبقا لما أراد له الاستعمار ، لايهتم بالعظائم ، ويحب الراحــة والكسل ، ولايصرف همه في دنياه الا في الشهوات . فاذا تعلم فللشهوات ، واذا جمع المال فللشهوات ، وان تبوأ أسمى المراكز ففي سبيل الشهوات يجود في كل شيء ... »

● **الشيوعية والمذاهب المادية :**

سوف تجد ـ أخي المربي ـ ما قاله الشيوعيون في وثيقتهم السرية

مفصلا في بحث « الاستشعار بالمسؤولية » . ولكننا نجتزىء هذا القول لارتباطه بموضوعنا :

« ونجحنا في تعميم ما يهدم الدين من القصص ، والمسرحيات ، والمحاضرات ، والصحف ، والمجلات ، والمؤلفات التي تروّج للالحاد وتدعو اليه ، وتهزأ بالدين ورجاله ، وتدعو للعلم وحده ، وجعله الاله المسيطر » .

(فمن هذه الأقوال والمخططات يتبين : أن اليهودية ، والماسونية ، والشيوعية والصليبية . والتبشير . والاستعمار .. متضافرون متفاهمون متعاونون .. على افساد المجتمعات الاسلامية عن طريق الخمر . والجنس ، والمسرح . والمجلات . والصحف . والبرامج التلفزيونية والاذاعية ، ونشر الكتب والمؤلفات اللادينية .. وترويج القصص والمسرحيات اللاأخلاقية ..

وقد وصلوا — ويالاسف — الى هدفهم الخبيث . وغايتهم الدنيئة .. حتى رأينا شبابا وشابات من جلدتنا ، ويتكلمون بألسنتنا ، وينتسبون الى اسلامنا .. قد انطلقوا وراء الغرائز والشهوات . وانزلقوا في مزالق التحلل والميوعة والتقليد الأعمى .. وأصبحوا في حالة يرثى لها لاهمّ لهم ولا غاية سوى التقلب في حمأة الرذيلة والشهوة . والانصراف الى مشاهدة فيلم داعر ، أو مسرحية فاجرة ، أو تمثيلية ماجنة . أو ارتياد صالة يذبحون على أعتابها معاني النخوة والرجولة والشرف !!.. وهكذا يفعلون ..)[1]

فما عليك — أخي المربي — الا أن تقوم بدور التوعية تجاه أولادك وأفلاذ أكبادك .. حتى يعرفوا مايخطط لهم الاعداء ، ومايبيته المتآمرون .. ولا بأس أن تلقي في روعهم أنهم اذا تقلبوا في حمأة الفساد ، وانساقوا وراء

---

(١) من كتابنا « حكم الاسلام في وسائل الاعلام » ص ٥٨ — ٥٩ .

التحلل والاباحية •• فيكونون منفذين من حيث يعلمون أو لا يعلمون مؤمرات اليهودية والصليبية والشيوعية •• ومخططات الماسونية والتبشير والاستعمار •• في أرض الاسلام ، وبلاد المسلمين •• وفي تقديري أن هذا التلقين الواعي يلعب دورا كبيرا في اقناعهم العقلي والوجداني ، وبالتالي في كفهم عن الفواحش والمحرمات !! •

٢ ــ وسيلة التحذير :

هذه الوسيلة ــ في نظري ــ اذا انتهجها المربون في توجيههم وتوعيتهم تعد من أعظم الوسائل الايجابية في كف الولد عن المحرم . وزجره عن الفاحشة •• هذه الوسيلة تصور للولد حقيقة الاخطار التي تنجم عن الاسترسال في الشهوات والانزلاق في متاهات التحلل والاباحية •

وها أناذا أضع بين يديك ــ أخي المربي ــ أهم الاخطار التي تنجم عن الزنى والاتصال الحرام والعلاقات المشبوهة لتكون الرؤية لديك واضحة •• عسى أن تقوم بواجب التوعية والتحذير لولدك فيكف تلقائياً عن الفاحشة المحرمة ، والتحلل الممقوت ••

واليكم ــ أيها المربون ــ أخطار الفاحشة(١) :

آ ــ الخطر الصحي :

- **مرض السيلان :**

ينتقل بعملية الزنى •• ويسبب التهاباً حاداً أو مزمنا في الرحم والخصيتين ، وقد يؤدي الى العقم ، والى التهابات في المفاصل ، وقد يؤثر على المولود ، فيحدث التهابات في عينيه تؤدي الى العمى ••

---

(١) من كتاب « خطر الاختلاط والتبرج » للمؤلف عبد الباقي رمضون مع بعض التصرف .

● **مرض الزّهري :**

وسمي عاميا بداء الافرنجي لصدوره عن المجتمعات الافرنجية التي يكثر فيها الزنى ، وتفشو بين أبنائها الفاحشة .

● **مرض التقرّحات الجنسية :**

ينتقل بالمرض الجنسي المحرم ، ويسبب التهابات في العُقَد البلغمية ،قد تؤدي الى خرّاجات قيحيّة مزمنة ، والتهابات في المجاري البوليّة ، وآلاماً مفصلية ، وتورّمات في الأطراف ..

● **مرض القرح اللين :**

ينتقل عن طريق الزّنى ، ويسبّب تقرّحاً مؤلماً في الجهاز التناسلي قد ينتشر ليكتسح الجلد .

● **مرض النضج الجنسي المبكر :**

يصاب به بعض الأولاد نتيجة لتهيج الشهوة قبل أوانها ، واستثارة الغريزة قبل اكتمال غددها .. ويسبب تشوهات بدنية ، وأمراضا عصبيـة ونفسـية ..

الى غير ذلك من هذه الأمراض الصحية والجسمية ..

ب ـ الخطر النفسي والخلقي :

قد يصاب هذا الشهواني المندفع نحو البهيمية بالأمراض التالية :

● **بمرض الشذوذ الجنسي** (اللواط أو السحاق) ، وهـو مرض خطير ، من نتائجه : اكتفاء الرجال بالرجال ، والنساء بالنساء ، هذا المرض أصيبت به مجتمعات كثيرة تدعي التقدم والحضارة كأمريكا وانكلترا .. فهناك نصف مليون من الرجال والنساء المصابين بهذا الشذوذ في مدينة « نيويورك » بأمريكا ، وهؤلاء علنيون مجاهرون محترفون ..

أما المتستّرون المستخفون فحدّث عن كثرة عددهم ولاحرج .

● **بمرض الهوس الجنسي** حيث ترى المريض مشغولا في جميع اوقاته بتخيلات شهوانية غريزيّة .. من نكاح ، وتقبيل ، وضم ، وعناق ، وتصورات لأعضاء المرأة من وجه ، وعينين ، وعنق ، وشفتين ، ونهدين ، وسوأة ، وفخذين ... وتراه منصرفاً من كل شيء .. فيكثر نسيانه ، ويقل اهتمامه ، وتشتد غفلته ، ويضعف انتباهه .. وتراه كأنه غبي مخمور ، أو كأنه مكروب محزون ... وتسبب هذه الظاهرة الأليمة نحولا في الجسم ، وضعفاً في الذاكرة ، وقلقاً في النفس ..

ومن أخطار الزنى الخلقية في المجتمعات الانسانية بشكل عام :

ــ الشباب الشارد السادر في الشهوة ، والمخمور في الحشيش والخمر والأفيون ..

ــ الجيل المتحلل المائع المريض جسمياً وعقلياً وخلقياً ونفسياً ..

ــ عصابات القتل والخطف والاغتصاب الجنسي ..

ــ عصابات التهريب للمخدرات كالأفيون والحشيش .

ــ تجار الشهوات والغرائز ، وبيع الفتيات ، وتأجير البغايا ..

ــ عصابات من الأطباء والمحامين والحكام ورجال القانون .. لتغطية الجرائم ، وهضم الحقوق لقاء الرشوة بالجنس والمال .

ــ نوادي العراة العلنية .. يتعرى فيها روادها من كل رداء للفضيلة بلا حياء ولا خجل ..

ــ مواخير مرخصة منتشرة هنا وهناك لتأجير العاهرات ..

ــ أفواج من المومسات يحترفن الزنى للعيش الكفاف ..

ــ الأغاني الفاحشة ، والموسيقى الراقصة المثيرة ، والمسرحيات الآثمه المهيجة ..

ــ كتب الجنس ، ومجلات العري ، وكباريهات الرقص والمجون ..

ــ أفواج (الهيبيين) الاباحيين المتشبهين بالحيوانات والخنافس ..

ــ أفواج (البوب) اللامنتمين الغارقين في السكر والزنى والفاحشة ..

ــ اباحيون مستهترون يكفرون بكل فضيلة ، ويستبيحون كل رذيلة ، ويسيرون مع الأهواء والنزوات ..

الى غير ذلك من مظاهر الفساد والاباحية التـــي لايمكن حصرها ولاتعدادها ..

وكان من نتيجة ذلك : أن صرح « خروتشوف » سنة (١٩٦٢) بــأن مستقبل روسيا في خطر ، وأن شباب روسيا لايؤتمن على مستقبلها لأنه مائع منحل غارق في الشهوات .

وفي الوقت نفسه صرح « كنيدي » أيضا بأن مستقبل أمريكا في خطر لأن شبابها منحل غارق في الشهوات ، لايقدر المسؤولية الملقاة على عاتقه ، وأنه من بين كل سبعة شبان يتقدمون للتجنيد يوجد ستة غير صالحين ، لأن الشهوات التي أغرقوا فيها أفسدت لياقتهم الجسمية والنفسية ..

وقد سرى عدوى هذه الموجات الاباحية في المجتمعات الغربية والشرقية على المجتمعات الاسلامية ــ ويااللاسف ــ حتى أصبحنا نسمع عن كثير من أقبية الزنى ، ومواخير الفاحشة ، وأندية القمار ، ومسارح المجون ، وأوكار الخمر والحشيش ، وصالات العري والرقص .. منتشرة هنا وهناك تحت سمع وبصر المسؤولين ورجالات الحكم في أكثر البلاد الاسلامية ولاحول ولاقوة الا باللــه .

وأصبحنا نسمع ــ والأسى يحزّ في نفوسنا ــ عن تجار للغرائز والشهوات لشراء الفتيات وتأجير البغايا .. وهذا منتشر في طول البلاد وعرضها دونما نكير ولا نذير !! .

وأقبل كثير من شبابنا نحو اللذة والجنس والخمر دونما سائل ولا رقيب! .

وهذا يعرفه القاصي والداني من المسلمين والناس أجمعين

ج ـ الخطر الاجتماعي :

من القضايا المسلم بها أن الاسترسال في الفاحشة يضر بمصلحة الفرد والأسرة على حد سواء ، بل خطر على المجتمع بشكل عام .

● من هذه الاخطار تهديده الاسرة بالزوال ، لأن الشباب العزَب حين يشبع نهمه الحيواني بالحرام لايمكنه بحال أن يفكر بتكوين أسرة وإنجاب أولاد .. وكذلك الزانية ، فانها لاترغب بالحمل ، ولاترضى بالولد لضرر الحمل الجسمي والنفسي عليها ، فهي تحاول التخلص منه بأية وسيلة !! .

● من هذه الأخطار ظلم المواليد والأطفال ، لأن المجتمع الذي يهرب من الزواج ، وينساق أبناؤه وراء الانحلال والاباحية .. يعج بأولاد لاكرامة لهم ولا أنساب .. وفي ذلك ظلم للاولاد وأي ظلم ؟!

ــ ظلم لهم لأن الولد محروم عطف الأبوين ، وأين له الحب والعطف والحنان وهو تربية المحاضن والمستشفيات ؟

ــ وظلم لهم لأن الولد حين يعي ويستشعر بأنه ابن الزنى والعار فانه يتعقد نفسيا ، وقد ينحرف سلوكياً ، وعلى الغالب يكون أداة اجرام على الفرد والمجتمع بل على الأمن والاستقرار !! .

● من هذه الأخطار شقاء الرجل وشقاء المرأة على السواء ، ذلك لأن المرأة والرجل لايجدان الحياة الهانئة السعيدة ، والعيش المستقر الكريم الا

في ظلال الزوجية القائمة على المودة والرحمة .. وهذا الأمر تراه معدوما في المجتمع الذي لايروج فيه سوق الزواج . وفي الأمة التي تسير وراء التميع والانحلال !!.

● من هذه الأخطار قطع صلة الرحم والقرابة لأن العزب حين ينساق وراء شهوته وغريزته في سوق الملذات والمحرمات .. تراه منبوذا محتقرا لدى الصلحاء من قرابته وَرَحِمِه .. وهذا ولاشك مما يؤصل في نفسيته روح التمرد والعقوق ، ويؤجج بينه وبينهم نيران العداوة والبغضاء ..

وليس هناك ثمة من ذنب ــ بعد الاشراك بالله ــ يعدل العقوق وقطيعة الرحم في نظر الاسلام ؟

الى غير ذلك من الأخطار والمضار التي لاتخفى على كل ذي عقل وبصيرة ..

د ــ الخطـر الاقتصـادي :

مما لايختلف فيه اثنان أن الذين يقضون أوقاتهم في سوق الملذات والشهوات هم ممن تخلوا عن الزواج المشروع ، وانساقوا وراء الفاحشة الآثمة .. فهؤلاء يسببون انهيار الاقتصاد في الأمة وذلك :

لضعف القـوى .

وقـلة الإنتـاج .

واتخـاذ الكسب غير المشروع .

● **اما ضعف القـوى :**

فلأن العَزَب الذي ينساق وراء اللذة والفاحشة يمرض عقليا ، ويمرض جسميا ، ويمرض خلقيا ، ويمرض نفسيا ...

ولاشك أن المريض حين يمرض تضعف قواه ، وينحط جسمه ، وتنهار

عزيمته •• فلا يستطيع أن ينهض بمسؤولية على وجهها الأكمل ، ولا أن يضطلع بواجب على النهج الصحيح !!•

وفي ذلك تعطيل للاقتصاد ، وانهيار للحضارة ••

● **أما قلة الانتــاج :**

فلأن الأموال تبدد في طريق الميوعة والشهوات ، واشباع نهم الغريزة والجنس •• لا في طريق الانتاج ، ومصلحة الاقتصاد •• ولأن المتحلل الماجن لايخلص في عمله ، ولاينهض بمسؤوليته •• لانعدام الرادع الديني ،والزاجر الأخلاقي في قلبه وضميره •• وفي ذلك فساد للاخلاق ، وطعنة للاقتصاد ••

● **أما اتخــاذ الكسب غير المشروع :**

فلأن الماجن الوضيع الذي ليس له من تقوى الله رادع يريد أن يحصل على المال لإشباع نهمه المادي من أي طريق •• طريق الربا والميسر ، طريق اللهو والترف ، طريق الرشوة والاختلاس ، طريق الاتجار بالأعراض ، والاتجار بالمصورات العارية ، والاتجار بالمجلات الماجنة ، والاتجار بالأفلام الخليعة ، والاتجار بالمسكرات والمخدرات ، والاتجار بالكتب الفاحشــة والقصص الغراميــة ••

الى غير ذلك من هذه الوسائل غير المشروعة في جمع المال التي لاتعود على المجتمع الا بالخسران والضرر ، والفقر والبطالة ، وقتل القيم ومكارم الأخلاق •• اذ بها تهدر الطاقات المنتجة ، وتتعطل المكاسب المشروعة ، ويعيش المجتمع أسير الاستغلال واللصوصية ، وسجين الأنانية والمحسوبية ، وعبد الشهوة واللذة والهوى !!•

وفي ذلك تحطيم لتقــدم الأمــة ، وتضعيف لاقتصادها وانتاجها ••

هـ ــ الخطر الديني والأخروي :

وأخيرا فإنّ العَزَب الذي لايستعفف عن محارم الله ، ولايصون نفسه

عن مزالق الشهوة والفتنة •• فانه يصاب بأربع خصال ذميمة عدد معالمها النبي عليه الصلاة والسلام •

روى الطبراني في الأوسط عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إيّاكم والزنى فانفيه أربع خصال : يذهب البهاء عن الوجه ، ويقطع الرزق، ويسخط الرحمن ، ويسبب الخلود في النار » •

ومن خطره الأخروي : أن الزاني حين يزني ينسلخ من ربقة الايمان ، فقد روى البخاري ومسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لايزني الزاني حين يزني وهو مؤمن •• »

ومن خطره الأخروي : أن الزاني اذا بقي مصّراً على المعصية من غير توبة حتى أدركه الموت فالله سبحانه يضاعف له العذاب يوم القيامة • قال تعالى في سورة الفرقان :

« والذين لايدعون مع الله إلهاً آخر ولا يقتلون النفس التي حرّم الله إلاّ بالحق ولا يزنون ، ومن يفعل ذلك يلقَ أثاماً يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلُد فيه مهاناً » •

تلكم — أيها المربون — أهم الأخطار التي تنجم عن الزنى وارتكاب الفاحشة •• وهي أخطار أليمة — كما رأيتم — تضر بالصحة ، وتضر بالأخلاق، وتضر بالنفس ، وتضر بالعقل ، وتضر بالدين ، وتضر بالأسرة ، وتضر بالمجتمع ، وتضر بالاقتصاد ••

فالولد حينما يحذر — منذ نعومة أظفاره — من هذه الأخطار ، ويبصر هذه الأضرار •• فانه ينشأ حين ينشأ على الحَصَان والعفاف ، ويكف عن الفواحش والمحرمات ، ويتبع سبيل الاسلام في سلوكه وأخلاقه ، ولايفكرّ في اشباع الغريزة الا بالزواج المشروع ، والاتصال الحلال امتثالا لأمر النبي

صلى الله عليه وسلم القائل : « يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج •• » رواه الجماعة •

ومن التحذيرات التي يجب أن يتلقنها الولد ممن يشرفون على تربيته وتوجيهه :

تحذيره من الـــردة •

وتحذيره من الالحـــاد ••

وتحذيره من اللهـــو والمحـــرم •

وتحذيره من التقليد الأعمى •

وتحذيره من رفقة الســـوء •

وتحذيره من مفاسد الأخلاق •

وتحذيره من الحرام بشكل عام •

وسوف تجد ـ أخي المربي ـ تفاصيل هذه التحذيرات في « قاعدة التحذير » في القسم الثالث من هـــذا الكتاب فارجع إليه تجد فيه ما يبـــل الصدى ان شاء الله •

ولاشك أن التحذير من الردة والالحاد يجنب الولد الانخراط في بوتقة الكفر والضلال والاباحيـــة ••

وأن التحذير من اللهو المحرم يجنب الولد الاسترسال في حمأة الشهوات والملذات ••

وأن التحذير من التقليد الاعمى يجنب الولد تميع الشخصية وانتهاك الكرامـــة ••

وأن التحذير من رفقة السوء يجنب الولد الانحراف النفسي والشذوذ الخلقي ..

وأن التحذير من مفاسد الأخلاق يجنب الولد التقلب في أوحال الرذيلة ومستنقع الفحشاء ..

وأن التحذير من الحرام يجنب الولد التعرض للمفاسد والأمراض والآفات النفسية ... وفي هذا اصلاح للولد ، وتثبيت لعقيدته ، وتقويم لخلقه ، وتقوية لجسمه ، ونضج لعقله ، وتكوين عظيم لشخصيته ..

وعلى مثل هذا فليعمل العاملون .

٣ ـ وسيلة الربط :

من المؤكد يقيناً أن الولد اذا ارتبط بروابط اعتقادية ، وروابط روحية ، وروابط فكرية ، وروابط تاريخية ، وروابط اجتماعية ، وروابط رياضيّة .. منذ سن التعقل والتمييز الى أن يتدرّج يافعا ، الى أن يترعرع شابا .. فان الولد ـ ولاشك ـ ينشأ على الايمان ، ويتربى على التقوى .. بل يصبح عنده من مناعة العقيدة الربانية مايستعلي بها على الجاهلية ، وينتصر على الهوى ، ويستقيم على الحق والهدى ..

وهل من ارتباط أعظم من ارتباط العقيدة والفكر والروح ؟

وهل من صحبة أفضل من صحبة المرشد الرباني ، والرفيق الصالح ؟

وهل من سلوك أسمى من سلوكية الأنبياء والصحابة والسلف ؟

اذن فما على المربي الا أن يربط الولد بالعقيدة ، وأن يربطه بالعبادة ، وأن يربطه بالمرشد ، وأن يربطه بالصحبة الصالحة ، وأن يربطه بالدعوة والداعية ، وأن يربطه بالمسجد والذكر والمراقبة والقرآن الكريم ، وأن يربطه بالتاريخ والأمجاد وسيرة الأنبياء والصحابة والصالحين ...

واذا اردت – أخي المربي – أن تقوم بمسؤولية الربط على وجهها الأكمل فاقرأ تفاصيل هذا كله في ((**قاعدة الربط**)) في القسم الثالث من هذا الكتاب تجد فيها مايوصلك الى المنهج الأقوم في تربية الولد ايمانيا ، واعداده خلقياً .. ان شاء الله .

ومما ألفت نظرك اليه أن للتربية الايمانية[1] الأثر الأكبر في اصلاح الولد ، وتقويم خلقه وسلوكه .. ذلك لأن الولد اذا تربى على الايمان بالله سبحانه ، ومراقبته في السر والعلن ، وخشيته في المتقلب والمثوى .. فانه يصبح انسانا سويا ، وينشأ شابا تقيا .. لاتستهويه مادة ، ولاتستعبده شهوة ، ولايتسلط عليه شيطان ، ولاتلتعج في أعماقه وساوس النفس الامارة ... فاذا دعته امرأة ذات منصب وجمال قال : اني أخاف الله رب العالمين ، واذا وسوس له شيطان قال : ليس لك علي سلطان ، واذا زين له قرناء السوء طريق الفحشاء والمنكر .. قال : لاأبتغي الجاهلين !!.

هذا هو منهج الاسلام في الاصلاح والتربية ، فانه يبدأ باصلاح الفرد من داخل النفس الانسانية لا من خارجها ، يبدأ الاصلاح والتربية بطهارة الضمير ، وتهذيب الوجدان ، وإرهاف الشعور .. والتدرج على مراقبة الله عز وجل في السر والعلن ، والتحسس من أعماق القلب بأن الله سبحانه مع الانسان يرقبه ويراه ، ويعلم سره ونجواه ، ويعلم خائنة الأعين وماتخفي الصدور .. وعلى مثل هذا فلينهج المربون ، وليعمل العاملون ..

والذي أخلص اليه بعد ما تقدم :

أن المربين جميعا من آباء وأمهات ومصلحين ومعلمين .. إذا أخذوا بوسائل الاسلام الايجابية : من توعية وتحذير وربط .. في اصلاح الولد وتربيته واعداده .. فان الولد يتجنب كل ما يثيره جنسيا ، ويفسده خلقيا ..

---

(١) ارجع الى فصل ((مسؤولية التربية الايمانية)) تجد فيه ما يشفي الغليل ان شاء الله .

ويبتعد عن أسباب الزيغ والفساد ، وعن عوامل الميوعة والانحراف .. بل يكون في المجتمع قمر هداية ، وشمس اصلاح ، وملكا يمشي على الارض .. لصفاء نفسه ، وطهارة قلبه ، وكريم أخلاقه ، وجميل معاملته ، ولطف معاشرته ومظهر تقواه ..

اللهم وفق المربين جميعا لأن يأخذوا بمنهج الاسلام في تربية الاولاد .. حتى ينجوا من المسؤولية بين يديك في يوم لاينفع فيه مال ولابنون .. وحتى يروا الجيل المسلم في تطبيق للاسلام شامل ، وفي التزام لمبادىء القرآن كامل، وفي جهاد في سبيل الله دائم ، وفي عزة من المجد والكيان سامقة ، ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله .

★ ★ ★

٤ ـ تعليم الولد أحكام المراهقة والبلوغ :

ومن المسؤوليات الكبرى التي أوجبها الاسلام على المربين من آباء وأمهات ومعلمين ومرشدين .. تعليم الولد منذ أن يُميِّز الأحكام الشرعية التي ترتبط بميله الغريزي ، ونضجه الجنسي .. والذكر والأنثى في هذا التعليم سواء لكونهما مكلفين شرعاً ، ومسؤولين عن عملهما أمام الله عز وجل ، وأمام المربين ، وأمام المجتمع .. لذا وجب على المربي أن يصارح الصبي اذا بلغ سن المراهقة وهو السن الذي يتراوح مابين ١٢ الى ١٥ سنة أن يصارحه أنه اذا نزل منه منيٌّ[1] ذو دفق وذو شهوة .. أصبح بالغاً ومكلفاً شرعاً ، يجب عليه ما يجب على الرجال الكبار من مسؤوليات وتكاليف ..

---

(١) المنيّ من الرجل يوصف انه غليظ أبيض كرائحة الطلع اي طلع النخلة وهي قريبة من رائحة العجين ، أما عند يبسه فرائحته كرائحة بياض البيض .

ووجب على المربي أيضا أن يصارح البنت اذا بلغت سن التاسعة فما فوق وتذكرت احتلاماً[1] ورأت الماء الرقيق الأصفر على ثوبها بعد الاستيقاظ ، أصبحت بالغة ومكلفة شرعاً ، يجب عليها مايجب على النساء الكبار من مسؤوليات وتكاليف .

وكذلك وجب على المربي أيضاً أن يصارح البنت أيضا أنهااذا بلغت سن التاسعة فما فوق ورأت دم الحيض أصبحت بالغة ومكلفة شرعاً . يجب عليها ما يجب على النساء الكبار من مسؤوليات وتكاليف ..

فالاسلام يحمّل الأبوين أولا وآخرا مسؤولية مصارحة الاولاد في هذه الأمور الهامة .. حتى يكونوا على توعية كاملة ، وفهم عميق في كل ما يتصل بحياتهم الجنسية ، وميولهم الغريزية .. وكل ما يترتب عن ذلك من واجبات دينية ، وتكاليف شرعية ..

وكم سمعنا عن بنات بقين سنين عدة وهن غير طاهرات لكونهن لايعلمن ماذا يترتب عن الجنابة والحيض من أحكام ؟

وكم سمعنا عن بنين بلغوا سن الشباب وهم في جنابة دائمة لكونهم لايعلمون ماذا يترتب عن الاحتلام والجنابة من أحكام ؟

وربما تصلي البنت ، ويصلي الولد وهما في جنابة أو في حال عذر ويظنان أنهما يؤديان حق الله في الطاعة والعبادة ..

اذن فمن المسؤول عن مصارحة الولد جنسيا ، وتوعيته غريزيا قبل أن يناهز الولد سن الاحتلام ، ويشارف على البلوغ ؟

---

(١) الاحتلام : هو ما يراه النائم في نومه والمراد به الجماع .

لاشك أن الأبوين مسؤولان أولا ، ثم من يشرفون على تعليمه وتربيته من المعلمين والمرشدين •• مسؤولون ثانيا ••

وإلاّ •• فالولد يكون أجهل مايكون في الأحكام التي تتصل بحق ربه، وحق نفسه ،وحق دينه ، وهو يظن أنه يحسن صنعا !!•

الآن أضع بين يديك ــ أخي المربي ــ أهم الأحكام الشرعية التي تتصل ببلوغ الولد ، ودخوله سن الاحتلام •• لتعلمها الصبي قبل أن يصل الى مقام الرجال ، وتعلمها البنت قبل أن تصل الى مقام النساء •

وإليك هذه الأحكام :

١ ــ الولد سواء أكان ذكرا أو أنثى اذا ذكر احتلاما ولم يجد على ثوبه بعد استيقاظه بللا لايجب عليه الغسل ،لما روى أحمد والنسائي عن خولة بنت حكيم أنها سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن المرأة ترى في منامها مايرى الرجل ، فقال : « ليس عليها غسل حتى تُنْزِل ، كما أن الرجل ليس عليه غسل حتى ينزل » •

وفي رواية النسائي : أنها سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن المرأة تحتلم في منامها ، فقال : « اذا رأت الماء فلتغتسل » •

٢ ــ الولد سواء أكان ذكرا أو أنثى اذا رأى على ثوبه بعد استيقاظه بللا ولم يذكر احتلاماً وجب عليه الغسل ، لما روى الخمسة الا النسائي عن عائشة رضي الله عنها قالت : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الرجل يجد البلل ولايذكر احتلاما فقال : يغتسل ، وعن الرجل يرى أن قد احتلم ولايجد البلل ، فقال : « لاغسل عليه » ، فقالت أم سليم : المرأة ترى ذلك عليها الغسل ؟ قال : « نعم ، انما النساء شقائق الرجال » •

٣ ــ نزول المني من الرجل أو المرأة على سبيل الدفق والشهوة بالعادة

السرية أو غيرها .. يوجب الغسل ، لما روى أحمد وابن ماجه والترمذي عن علي كرم الله وجهه قال : « كنت رجلا مذاء ، فسألت النبي صلى الله عليه وسلم فقال : في المذي[1] الوضوء ، وفي المني الغسل » .

وفي رواية لأحمد : « اذا حذفت الماء[2] فاغتسل من الجنابة ، فاذا لم تكن حاذفا فلاتغتسل » .

والحذف هو قذف المني من الذكر بشهوة ، وفي الحديث تنبيه أن مايخرج لغير شهوة إمّا لمرض أو بردة أو ضرب على الظهر أو حمل شيء ثقيل لايوجب الغسل .

٤ ـ وغيبة رأس الذكر (وهو مافوق موضع الختان ويسمى بالحشفة) في قـُبـُل أو دُبـُر على الفاعل والمفعول به يوجب الغسل سواءأنزل أم لم ينزل .. لما روى مسلم عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اذا جلس بين شـُعَبِـها الأربع (هي اليدانوالرجلان) ومس الخِتانُ الخِتانَ فقد وجب الغسل » .

وفي مسند عبد الله بن وهب أنه قال عليه الصلاة والسلام : « اذا التقى الختانان وغابت الحشفة وجب الغسل أنزل او لم ينزل » .

٤ ـ وانقطاع مدة الحيض[3] والنفاس[4] يوجب الغـُسْل على المرأة ،

---

(١) المذي : ما يخرج من الرجل عند الملاعبة مع اهله أو يخرج عند رؤية ما يثيره من النساء .

(٢) المـاءَ : المنيّ .

(٣) الحيض : هو الدم الذي ينفضه رحم امراة بالغة لاداء بها ولا إياس (بنت خمسين سنة) ، واقل الحيض ثلاثة أيـام ولياليها ، واكثره عشرة ، واقل الطهر خمسة عشر يوماً ، ولا حدّ لاكثره .

(٤) النفاس : هو دمرحمامراة يعقبولادة الولد، ولا حد لاقله ، واكثره اربعون يوماً .

لقوله تبارك وتعالى : « **ولاتقربوهن حتى يطهرن** » بتشديد الطاء أي يغتسلن.
وروى البخاري عن عائشة رضي الله عنها أن فاطمة بنت حُبَيْش كانت تستحاض(١) ، فسألت النبي صلى الله عليه وسلم فقال :«ذلك عِرْق" وليست بالحيضة ، فاذا أقبلت الحيضة فدعي الصلاة، واذا أدبرت فاغتسلي وصلّي» .

وثبت الغسل من النفاس بالاجماع ، وبالقياس على الحيض .

٦ ــ فمن البديهي بعد أن تعلم الولد موجبات الغسل وجب أن يتعلم فرائضه وسننه وكيفتيته ، حتى اذا وقع الولد في الجنابة عرف كيف يغتسل حتى يصبح طاهرا ؟ واليك ــ أخي المربي ــ فرائض الغسل ، وسننه ،وكيفيته حتى تعلمها ولدك :

أما الفرائض فغسل فمه وأنفه وجميع بدنه .

لقوله تبارك وتعالى :« **وان كنتم جنبا فاطهروا** » فما في غَسْلِهِ حرج كداخل العين يسقط ، وما لاحرج فيه يجب غسله ، وغسل داخل الفم والانف مما لاحرج فيه .

وروى أبو داود والترمذي عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال : « تحت كل شعرة جنابة ، فبلّوا الشعر ، وأنقوا البشرة » أي أنقوا بالماء جميع أجزاء البدن .

فبناءً على هذه الأوامر الشرعية يجب غسل كل جزء من أجزاء البدن

---

(١) الاستحاضة : هو الدم الذي تراه المراة قبل ثلاثة ايام وبعد عشرة ايام في الحيض ، وبعد اربعين يوما في النفاس .
هذه الأحكام على فقه أبي حنيفة رحمه الله .

بما لاحرج في غسله كالسرة ، وفرج المرأة الظاهري ، وتحت مافي الخاتم الضيق ، وظاهر الأذنين ، وما تحت الإبطين ..

أما السنن والكيفية : فيبدأ بغسل يديه ، وفرجه ، ويزيل النجاسة ، ثم يتوضأ وضوءه للصلاة ، الا رجليه فانه يؤخرهما الى آخر الغسل ، ثم يفيض الماء على بدنه ثلاثا ، ثم يغسل الرجلين في مكان لايجتمع فيه الماء ..

وأصل ذلك ماروى أصحاب « الكتب الستة » (عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : حدثتني خالتي ميمونة قالت : أدنيت (أي قربت) لرسول الله صلى الله عليه وسلم غسله من الجنابة (أي مايغتسل به) فغسل كفيه مرتين أو ثلاثا ، ثم أدخل يده في الاناء ، ثم أفرغ على فرجه وغسله بشماله ، ثم ضرب بشماله الأرض فدلكها دلكا شديدا (لنقائها من النجاسة) ، ثم توضأ وضوءه للصلاة ، ثم أفرغ على رأسه ثلاث حفنات ، كل حفنة ملء كفيه ، ثم غسل سائر جسده ، ثم تنحى عن مقامه ذلك فغسل رجليه ،ثم أتيته بالمنديل فرده) .

والرجل اذا كان له ضفائر من الشعر فيجب عليه حلّها حتى يصل الماء أثناء الشعر . أما المرأة فلا يجب عليها حل ضفائرها بل يكفيها أن يصل الماء الى أصول شعرها لما روى أبو داود من أنهم استفتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال : « أما الرجل فلينشر رأسه (أي ينشر شعره) فليغسل حتى يبلغ أصول الشعر ، وأما المرأة فلا عليها أن تنقضه . فلْتَغرِفْ على رأسها ثلاث غرفات بكفّيها » وفي رواية لمسلم : « أفأنقضه، للحيضة والجنابة ؟ قال : لا إنّما يكفيك أن تحثي على رأسك ثلاث حثيات ثم تفيضي عليك الماء فتطهري » .

ومن سنن الغسل : البداءة بالنية ، والتسمية ، والسواك ، وتخليل اللحية والأصابع ، ودَلْكُ ما أمكن دلكه من الجسم ..

واذا لم يجد من يجب عليه الغسل الماء لبعده نصف ساعة ، أو خاف زيادة المرض باستعمال الماء ، أو ماوجد مايسخن به الماء في البرد ، أو خاف عدوا أو عطشا •••

فانه يجوز له في مثل هذه الاحوال التيمم وكيفيته : ضربتان على كل طاهر من جنس الارض كالرمل والحجر والتراب •• : ضربة لمسح وجهه ، وضربة ليديه مع مرفقيه ، لقوله تبارك وتعالى في سورة المائدة : **((فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه))** ، ولقوله عليه الصلاة والسلام — فيما رواه الدارقطني والحاكم وصححه — : « التيمم ضربتان : ضربة للوجه ، وضربة للذراعين الى المرفقين » •

ويشترط في التيمم النية من أجل أداء عبادة مقصودة لاتصح الا بالطهارة. وكيفيته واحدة لرفع الحدثين : الأصغر والأكبر أي للوضوء وللغسل •

٧ — ومن البديهي أن يتعلم الولد أيضا ما يحرم عليه اذا كان في حال جنابة حتى لايقع في المحرم •

واليك — أخي المربي — أهم هذه المحظورات التي حظرها الاسلام على الجنب وذوات الأعذار من النساء :

— يحرم على الحائض والنفساء الصوم والصلاة باجماع المسلمين . وبالنسبة للقضاء فانها تقضي الصوم ولاتقضي الصلاة ، لما روى الستة عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : « •• كان يصيبنا ذلك فنؤمر بقضاء الصوم ، ولانؤمر بقضاء الصلاة » •

— ويحرم عليهما دخول المسجد ، لما روى أبو داود •• « •• فاني لا أحل المسجد لجنب ولا حائض » •

ـ ويحرم عليهما الطواف بالكعبة لأنه من المسجد للحديث الذي سبق ذكره .

ـ ويحرم على الازواج الاستمتاع من الحائض والنفساء ماتحت الازار فيما بين السرة والركبة .

لقوله تعالى : « **فاعتزلوا النساء بالمحيض** » .

ولما روى أبو داود عن عبد الله بن سعدقال : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يحل لي من امرأتي وهي حائض ؟ فقال : « لك مافوق الازار » ، وفي المتفق عليه « أنه صلى الله عليه وسلم كان لايباشر احداهن حتى يأمرها أن تأتزر » .

ـ ويحرم على الجنب والحائض والنفساء قراءة شيء من القرآن الكريم، لما روى الترمذي وابن ماجه عن ابن عمر رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لاتقرأ الحائض والجنب شيئا من القرآن » .

هذا اذا كانت القراءة على قصد التلاوة ، أما اذا كانت القراءة على قصد الذكر والثناء نحو : « بسم الله الرحمن الرحيم » ، « الحمد لله رب العالمين » ، « هو الله أحد .. » أو علمت الحائض أو الجنب حرفا حرفا بقصد التعليم فلا بأس به بالاتفاق لأجل العذر والضرورة .

هل يجوز للحائض والنفساء أن تقرأ القرآن وتمسّ المصحف اذا كانت معلّمة أو متعلّمة ؟

في مذهب الامام أحمد قول ورواية عنه أن الحائض والنفساء يجوز لها قراءة القرآن ، واختاره الشيخ ابن تيمية كما في « الانصاف » .

وعند الامام مالك يجوز للحائض والنفساء قراءة القرآن الكريم ، ومس

المصحف اذا كانت عالمة أو متعلمة كما في « الشرح الصغير » للدردير بحاشية الصاوي (ج١ : ٦٥ و ٩٢ ــ ٩٣) وفي ذلك يسر كبير على الطالبات والمعلمات .

ويجوز عند مالك أيضا للجنب ــ ومن باب أولى الحائض والنفساء ــ قراءة اليسير من القرآن للتعوذ عند النوم ، أوخوف ، أو للتبرك ، أو للرقيا (من ألم أو اصابة عين) ، أو للاستدلال على حكم شرعي[1] .

ــ ويحرم على غير المتوضىء والجنب والحائض والنفساء مس المصحف الا بغلاف منفصل ، لقوله تبارك وتعالى : « **لايمسّه إلا المطهرون** » . ولما روى الحاكم في المستدرك وصححه عن حكيم بن حزام قال : لما بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اليمن قال : « لاتمس القرآن إلاّ وأنت طاهر » ، وفي البخاري عن أبي وائل أنه كان يرسل جاريته وهي حائض الى أبي رَزين لتأتيه بالمصحف فتمسك بعلاقته (أي بالخيط الذي يُعَلّق به كيس المصحف) ، وأبو وائل ، وأبو رزين من كبار التابعين رضي الله عنهم وعن الصحابة .

ــ ويحرم على الجنب الصلاة لما فيها من قراءة القرآن كما سبق ذكره قبل قليل ، ويحرم عليه دخول المسجد ، ويحرم عليه الطواف ، للحديث الذي سبق : « لاأحل المسجد لجنب ولاحائض » .

أما صوم الجنب فانه صحيح ولكن يأثم صاحبه اذا كانت الجنابة سببا في تأخير الصلاة .

ــ المحتلم الذي استيقظ ورأى على ثوبه منياً ، فان كان رطبا فلا يطهر الا بالغسل ، وان كان يابسا فيطهر بالفرك ، لما روى الدارقطني في «سننه»

---

(١) ارجع الى ما كتبه العلاّمة الشيخ عبد الفتاح ابو غدة في تحقيقه لكتاب « فتح باب العناية » بشرح كتاب النقاية ج١ ص : ٢١٧ ــ ٢١٨ .

والبزار في « مسنده » عن عائشه رضي الله عنها قالت : « كنت أفرك المني من ثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كان يابسا، وأغسله اذا كان رَطْباً»، وفي رواية : « فيخرج الى الصلاة وإنّ بُقَعَ الماء لفي ثوبه » •

فاحرص ـ أخي المربي ـ على تعليم هذه الأحكام لأولادك وهم في سن التمييز والتعقل حتى اذا بلغوا سن التكليف وأصبحت العبادة فرضا عليهم •• عرفوا ما يجوز فعله وما يحرم ، وعرفوا حكم الشريعة في كل ما يتعلق بالغريزة ، ويتصل بالبلوغ ، بل تشملهم خيرية التفقه بالدين ، ويحظون بفضيلة العلم والتعليم •• وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم القائل في الحديث الذي رواه الشيخان : « من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين » •

* * *

٥ ـ الزواج والاتصال الجنسي :

الله سبحانه خلق الانسان وأودع فيه عدّة ميول وغرائز كلها ضرورية لحفظ جنسه ، وبقاء نوعه •• وأنزل من التشريعات والأحكام ما يلبّي حاجات هذه الميول والغرائز ، وما يكفل لها الاستمرار والنماء والبقاء ••

وما الزواج الذي شرعه الاسلام إلاّ تلبية لغريزة الميل الى الجنس الآخر •• ليسير الانسان مع فطرته الجنسية ، وميله الغريزي بكل تلاؤم وتجاوب واتّساق • دون أن تعترضه عقبة ، ودون أن يتأثر من فتنة الحياة ، وهياج الغريزة ، وأشواق الفطرة •• والآن أريد أن أضع بين يديك ـ أخي المربي ـ هذه الحقائق التي تتصل بالغريزة الجنسية ، وترتبط بحكمة الزواج •• وهذه الحقائق تتعلق بشيئين :

أ ـ نظرة الاسلام الى الجنس •

ب ـ لماذا شرع الله الزواج ؟ •

أما نظرة الاسلام الى الجنس :

١ ــ فقائمة ــ كما ذكرنا في القسم الأول ــ على إدراك فطرة الإنسان[1]، ورامية الى تلبية أشواقه وميوله .. حتى لا يتجاوز أي فرد في المجتمع حدود فطرته ، ولا يسلك سبيلا منحرفا يصطدم مع غريزته .. بل يسير على مقتضى المنهج القويم السوي الذي رسمه الاسلام ألا وهو الزواج . وصدق الله العظيم القائل في محكم تنزيله :

« ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودّة ورحمة .. » .

(الروم : ٢١)

ومن هنا يجب أن نعلم أن الاسلام حرّم العزوف عن الزواج والزهد فيه بنية التفرغ للعبادة ، والتقرب الى الله .. ولا سيما اذا كان المسلم قادرا على الزواج متيسرا له أسبابه ووسائله .. بل نجد في شريعة الاسلام أن الشريعة حاربت بشدة لاهوادة فيها كل دعوة الى رهبانية بغيضة ، وعزوبة ذميمة لكونها تتعارض مع فطرة الانسان ، وتصطدم مع غرائزه وميوله .

فقد روى البيهقي في حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه : « إن الله أبدلنا بالرهبانية الحنيفيّة السّمحة » .

وروى الطبراني والبيهقي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « مَنْ كان موسِراً لأن ينكح ثم لم ينكح فليس منّي » .

---

(١) ارجع الى ما كتبناه في كتابنا « عقبات الزوج » في فصل « لارهبانية في الاسلام » ص ١٩ الطبعة الثانية ، وارجع الى ما كتبناه أيضا في القسم الأول من كتاب التربية تحت عنوان « الزواج فطرة انسانية » تجد البحث فيهما وافياً .

ومن مواقف الرسول صلى الله عليه وسلم في تربية المجتمع ، ومعالجة آفات النفوس هذا الموقف : روى البخاري ومسلم عن أنس رضي الله عنه : « جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم يسألون عن عبادته ، فلما أُخْبِروا كأنّهم تقالّوها (وجدوها قليلة) ، فقالوا : وأين نحن من النبي صلى الله عليه وسلم قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ؟..

قال أحدهم : أمّا أنا فإني أصلّي الليل أبداً !!..

وقال آخر : أنا أصوم الدهر ولا أُفْطِر !!.

وقال آخر : أنا أعتزل النساء فلا أتزوّج أبداً !!..

فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « أنتم قلتم كذا وكذا ؟ أمّا والله إني لأخشاكم لِلّه وأتقاكم له، ولكنّي أصوم وأُفطر ، وأصلّي وأرقُد، وأتزوّج النساء ، فمن رغب عن سنّتي فليس منّي » .

وهذا الموقف من رسول الله صلى الله عليه وسلم أعظم برهان على أن هذا الاسلام دين الفطرة ، وشريعة الحياة ، ورسالة الخلود .. الى أن يرث الله الأرض ومن عليها . ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون ؟

٢ ـ ومن نظرات الإسلام الصائبة الى الجنس اعتباره تصريف الشهوة بالحلال ، وإشباع الغريزة بالزواج .. من الأعمال الصالحة التي يستأهل صاحبها رضوان الله ، ويستحق الأجر والثواب ..

روى مسلم في صحيحه عن أبي ذر رضي الله عنه أن أناساً من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قالوا للنبيّ : يا رسول الله ذهب أهل الدّثور (الغنى) بالأجور، يصلّون كما نصلّي ، ويصومون كما نصوم ، ويتصدّقون بفضول أموالهم ..

قال عليه الصلاة والسلام : أو ليس الله قد جعل لكم ما تصدّقون ؟ إن بكل تسبيحة صدقة ، وبكل تكبيرة صدقة ، وبكل تهليلة صدقة ، وبكل تحميدة صدقة ، وأمر بالمعروف صدقة ، ونهي عن المنكر صدقة ، وفي بُضْع أحدكم صدقة (أي الجماع) .

قالوا يا رسول الله : أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر ؟.

قال عليه الصلاة والسلام : أرأيتم لو وضعها في حرام كان عليه وزر ؟

قالوا : بلى !!.

قال : فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له فيها أجر .

ألا فليفهم من يتهمون الإسلام بالكبت الجنسي هذه الحقائق في نظرة الاسلام الى الجنس ، وموقفه الصريح من الزواج ؟!!.

٣ — ومن الأمور التي يجب أن يعرفها الأزواج ألاّ يجعلوا من مفهوم « وفي بُضْع أحدكم صدقة » ميلاً كلياً إلى إشباع الشهوة وقضاء الوطر . والتقلب في مضاجعة الزوجات حيث يقعدهم ذلك عن واجبات دعوية ، ومهمات جهادية في سبيل الله ، ونصرة الاسلام .. ذلك لأن الإسلام أنتج لنا الإنسان القويّ المتوازن الذي يؤدي كل ذي حق حقه في الحياة ، دون أن يغلّب حقاً على حق ، أو واجباً على واجب .. بل إذا تعارضت مصلحة الاسلام والجهاد والدعوة إلى الله مع مصلحة المعاش والزوجة والولد والمال .. فينبغي على المسلم أن يغلّب مصلحة الجهاد والدعوة على كل مصلحة دنيوية ، ومنفعة شخصية ، ومشاعر نسبية ووطنية وأسريّة .. لأن إقامة المجتمع الاسلامي ، وتثبيت دعائم الدولة المسلمة ، وهداية الانسانية التائهة الى الاسلام .. هي غاية الغايات ، بل هي أسمى الاهداف والأمنيات في نظر المسلم .. وهذا صريح في موقف ربعي بن عامر حين وقف أمام رستم في حرب القادسية

ليقول له : « ابتعثنا الله لنخرج الناس من عبادة العباد الى عبادة الله ، ومن ضيق الدنيا الى سعتها . ومن جور الأديان الى عدل الاسلام » .

واليك — أخي المربي — بعض النماذج في تغليب السلف الصالح مصلحة الاسلام والجهاد على كل مصلحة ذاتية ، ومنفعة شخصية . ومشاعر أسرية ونسبية .. ولاسيما مشاعر الركون الى الأهل والزوجات :

أ — هذا الصحابي المؤمن حنظلة بن أبي عامر الذي تزوج جميلة بنت أبي" ليلة الجمعة ، وفي صباح ذلك اليوم نادى المنادي « حي على الجهاد »، فما أن سمعها حنظلة حتى تقلد سيفه ، ولبس درعه ، وامتطى جواده ، ثم سار الى القتال في غزوة أحد ، فلما بدأت الحرب قاتل قتال الأبطال . ثم انكشف المسلمون ، فأخذ حنظلة يقاتل وهو يسر بعينيه بين صفوف المشركين في أحد حتى يجد أبا سفيان ، فلما وجده هجم عليه ، فوقع أبو سفيان ، وحنظلة يريد ذبحه بالسيف ، فصاح أبو سفيان مستنجدا بقريش ، فسمع الصوت رجال ، فهجموا على حنظلة وضربوه ضربة قاتلة حتى استشهد رضي الله عنه .

وهاهو ذا النبي صلى الله عليه وسلم يطلعه الله سبحانه على عالم الغيب فيقول لأصحابه : « اني رأيت الملائكة تغسل حنظلة بين السماء والأرض بماء المزن في صحاف الفضة »(١) ، ويسرع الصحابة الى حنظلة ينظرون اليه فاذا رأسه يقطر ماء .. فأرسلوا الى امرأته يسألونها فأخبرتهم انه ماسمع هيعة الحرب حتى خرج وهو جنب لم يغتسل فغسلته الملائكة !!.

ب — تزوج عبد الله بن أبي بكر رضي الله عنهما « عاتكة بنت زيد » ، وكانت حسناء جميلة ذات خلق بالغ ، وأدب رفيع ، فشغلته عن مغازيه وجهاده، فأمره أبوه الصديق رضي الله عنه بطلاقها ، وقال معللا : « انها شغلتك عن مغازيك فطلقها » ، فطلقها ، فمر به أبوه وهو ينشد :

---

(١) حديث حنظلة رواه الترمذي والامام أحمد .

فلم أر مثلي طلّق اليـوم مثلها   ولا مثلها في غيـر ذنب تطلّـق
لها خُلقٌ جزل ورأي ومنصب   على كبر مني واني لوامـق[1]

فرقّ له أبوه ، فأمره أن يراجعها فراجعها ، ثم شهد مع النبي صلى الله عليه وسلم غزوة بالطائف فأصابه سهم . فمات بعده بالمدينة رضي الله عنه .

ج ــ روى الطبراني وابن اسحق .. أن أبا خيثمة رجع من سفر ــ بعد أن سار مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدة أيام ــ الى أهله في يوم حار ، فوجد امرأتيه في عريشين (أي خيمتين) لهما في بستان له ، قد رشت كل واحدة منهما عريشها ، وبردت له ماء فيه . وهيأت له فيه طعاما ؛ فلما دخل قام على باب العريش فنظر الى امرأتيه وما صنعتا له ، فقال : رسول الله صلى الله عليه وسلم في الشمس والريح والحر ، وأبو خيثمة في ظل بارد ، وطعام مهيأ ، وامرأة حسناء في ماله مقيم ؟!!. ماهذا بالنصف ؟

ثم قال : والله لاأدخل عريش واحدة منكما حتى ألحق برسول الله صلى الله عليه وسلم .. فهيأتا له زادا ، ثم قدّم ناضحه (أي بعيره) فارتحله وخرج في طلب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أدركه حين نزل تبوك ..

ولاشك أن أمة الاسلام ، وشباب الاسلام حين يقدمون حب الله سبحانه . وحبّ رسوله عليه الصلاة والسلام وحب الجهاد في سبيل الله . وحب الدعوة الى الله على كل غال ورخيص في الحياة .. فالله سبحانه يمكن لهم في الارض ، ويبدّلهم من بعد خوفهم أمنا . ومن بعد ضعفهم قوة .. وتصبح الدنيا تحت سلطانهم ، والانسانية كلها منقادة لأمرهم أو نهيهم ... والا .. فليتربصوا حتى يأتي الله بأمره ، وينزل بهم نقمته وعذابه ؛ والله لايهدي القوم الخارجين عن طاعته ، الحائدين عن هديه وصراطه !!.

---

(١) لوامق : محبّ .

وصدق الله العظيم القائل في محكم تنزيله :

((قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربّصوا حتى يأتي الله بأمره والله لايهدي القوم الفاسقين)) .

(التوبة : ٢٤)

وعلينا ألاّ نغفل دور المرأة في واجب الدعوة والجهاد .. فالاسلام كلّفها بمهمة الخروج الى الجهاد كلما سنحت الحاجة ، ودعت الضرورة .

وقد وقفت المرأة المسلمة فيما مضى الى جانب رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته تقاتل بالسيف دونهم ، وتسعف الجرحى ، وترعى المرضى ، وتنقل القتلى ، وتصنع الطعام ..

وإليكم الشواهد :

أ ـ روى مسلم عن الربيع بنت معوّذ قالت : « كنا نغزو مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ونردّ الجرحى والقتلى الى المدينة » ، وفي رواية أم عطية الأنصارية قالت : « غزوت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سبع غزوات أخلفهم في رحالهم ، أصنع لهم الطعام ، وأداوي الجرحى ، وآقوم على الزمنى (أي المرضى) » .

ب ـ وروى ابن هشام في سيرته أن أم سعد بنت سعد بن الربيع دخلت على ام عمارة فقلت لها : ياخالة أخبريني خبرك ـ أي في غزوة أحد ـ فقالت : خرجت أول النهار ، وأنا أنظر ما يصنع الناس ، ومعي سقاء فيه ماء ، فانتهيت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في أصحابه والدولة للمسلمين (أي النصر) . فلما انهزم المسلمون انحزت الى رسول الله صلى الله عليه

وسلم فقمت أباشر القتال ، وأذبّ عنه بالسيف ، وأرمي عن القوس ، حتى خلصت الجراح اليّ ..

ج ــ وروى ابن هشام .. أن صفية بنت عبد المطلب رضي الله عنها حين رأت يهودياً يطوف في الحصن شدت وسطها وأخذت عمودا ثم نزلت من الحصن فضربته حتى قتلته .

والأمثلة على ذلك كثير أعظم من أن تحصى ، وأكبر من أن تستقصى!!.

أما واجبها في تبليغ الدعوة الى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.. فانها كالرجل سواء بسواء قال تعالى :

« والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم » .

تلكم ــ أخي المربي ــ أهم النظرات الاسلامية التي يجب أن يتلقنها الولد وهو في سن التمييز حتى اذا تم أمر الخطوبة ، ودخل عتبة الزواج عرف أن الاتصال بالجنس هو وسيلة لتحقيق غاية نبيلة ألا وهي اقامة دولة الاسلام، وعندئذ يتوازن بعد الزواج ليؤدي كل ذي حق حقه في الحياة دون أن يتساهل في مسؤولية أو يتقاعس عن واجب ..

وهذا هو الاسلام في حقيقته وصفائه ومفاهيمه !!.

أما لماذا شرع الله الزواج ؟(١)

فسبق أن ذكرنا في القسم الاول من هذا الكتاب تحت عنوان « الزواج

---

(١) ارجع الى كتابنا « عقبات الزواج » تجد فيه البحث مفصلا وافيا إن شاء الله .

مصلحة اجتماعية » الحكمة من مشروعية الزواج ، وها نحن أولاء نأتي على أهم الفوائد التي يجنيها المتزوج من الزواج باختصار للاستذكار والعبرة :

ـ من الفوائد المحافظة على الأنساب ، قال تعالى :

« والله جعل لكم من انفسكم أزواجا ، وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة »

(النحل : ٧٢)

ـ ومن الفوائد سلامة المجتمع من الانحلال الخلقي ، قال عليه الصلاة والسلام : « يامعشر الشباب : من استطاع منكم الباءة[1] فليتزوج فانه أغض للبصر ، وأحصن للفرج •• » (رواه الجماعة) •

ـ ومن الفوائد تعاون الزوجين على مسؤولية الأسرة ، قال عليه الصلاة والسلام : « والرجل راع في أهله ومسؤول عن رعيته ، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها •• » (رواه الشيخان) •

ـ ومن الفوائد سلامة المجتمع من الأمراض والآفات ، قال عليه الصلاة والسلام : « لاضرر ولاضرار » (رواه مالك وابن ماجه ••)

ـ ومن الفوائد السكن الروحي والنفسي ، قال تعالى :

« ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم ازواجاً لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة •• » •

(الروم : ٢١)

ـ ومن الفوائد انجاب ذرية الاسلام الصالحة ، قال عليه الصلاةوالسلام: « تناكحوا تناسلوا تكثروا فاني مباه بكم الأمم يوم القيامة » (رواه عبد الرزاق والبيهقي) •

---

(١) **البـاءة : القدرة على الزواج •**

فالولد — أخي المربي — حين يفهم هذه الحقائق عن الزواج فانه يندفع اليه بكليته ، ويسعى اليه ما استطاع الى ذلك سبيلا ..

وأريد أن أهمس في أذنك — أخي المربي — هذه النصيحة :

ان كنت ميسورا — أيها الأب — من الناحية المادية (فينبغي أن تساهم مساهمة فعالة في تسهيل أسباب الزواج لولدك لتنقذه من الهواجس النفسية، والتأملات الجنسية .. التي تسيطر على عقله وتفكيره ، وتقف عائقا في طريق غايته أو تعليمه .. وتنقذه أيضا من الانحلال الخلقي الذي يفتك بصحته ، ويسيء الى سمعته .. ولايتأتى هذا الا بتيسير أسباب الزواج من ناحية ، وامداده بالنفقة من ناحية أخرى ، وكل تهاون أو تقصير فيهذهالسبيل يعرّض ولدك الشاب الى أوخم النتائج ، وأخطر العواقب !!.

وكثيرا مانسمع عن آباء أغنياء ميسورين يبخلون في تقديم المساعدات المادية والمعنوية لأبنائهم ، متذرعين بأن أبناءهم بلغوا السن التي تسقط عنهم تقديم المعونة ، ووجوب النفقة .. ولكنهم لو دروا أن المال الذي يقدمونه هو بمثابة قوارب انقاذ مما يعانونه من اضطراب بالتفكير . وفساد في الخلق، وقلق في النفس .. لما بخلوا وتقاعسوا في تقديم أقصى المؤازرة ، وتيسير أسباب الزواج !!.

ولماذا يبخل الأب الميسور على ولده ، ولماذا لاييسر له طريق الزواج ؟

هل سيخلد في الحياة ؟

هل المال الذي بحوزته سيأخذه معه الى الاخرة ؟

انه سيموت لا محالة ، وسيوضع في حفرة صغيرة ليس فيها أثاث ولا رياش ولازينة .. وسيؤول المال الى ورثته لامحالة ..

اذن فليجُدْ **الأب** الموسر بماله ، ولينفق مما جعله **الله** مستخلفا فيه وليبدأ بمن يعول ، وليسع جهده في تسهيل أسباب الزواج لولده ، وليستمع الى ما يقوله عليه الصلاة والسلام في الحديث الذي رواه مسلم : « دينار أنفقته في سبيل الله ، ودينار أنفقته على رقبة (اعتاق عبد) ، ودينار تصدقت به على مسكين ، ودينار أنفقته على أهلك ، أعظمها أجرا ما أنفقته على أهلك » .

والله سبحانه لايضيع أجر من أحسن عملا .)[1] .

واذا أردت ــ أخي المربي ــ أن تعرف منهج الاسلام في اختيار الزوجة فارجع الى ماكتبناه في القسم الاول من هذا الكتاب تحت عنوان « الزواج انتقاء واختيار » تجد فيه ان شاء الله البحث وافيا كاملا .. فلا تجد بدا الا أن تختار لولدك الزوجة الصالحة التي اذا نظر اليها سرته ، واذا أمرهاأطاعته، واذا غاب عنها حفظته في ماله وعرضه ، فاذا رزقه الله منها غلاما دعا ربه بهذا الدعاء **« ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين اماما »** ، واعانته على تربيته واعداده ليكون عضوا نافعا في الحياة ..

بعد هذا كله نوضح **المراحل التي يجب أن يسير عليها المتزوج ليلة الزفاف** من حين أن يخلو بعروسه الى أن تتم العملية الجنسية .. ليعلم من يريد أن يعلم أن الاسلام بتشريعه الشامل قد علمنا كل شيء حتى آداب الزفاف ، وأصول المعاشرة الزوجية !!.

والمراحل هي اتباع الخطوات التالية :

١ ــ يستحب **أن يضع اليد على رأس العروس ويسمي الله سبحانه**

(١) من كتاب « عقبات الزواج » ص ٦٤ للمؤلف .
انصح كل اب ان يقرأ كتاب « عقبات الزواج » وطرق معالجتها على ضوء الاسلام ، ليعرف الحلول العملية التي وضعها الاسلام في تذليل عقبات الزواج .

ويدعو لها بالبركة ، لما أخرج البخاري وأبو داود وغيرهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « اذا تزوج أحدكم امرأة .. فليأخذ بناصيتها ، وليسمّ الله عز وجل ، وليدع بالبركة وليقل : (اللهم اني أسألك من خيرها وخير ماجبلتها عليه — أي خلقتها وطبعتها عليه — ، وأعوذ بك من شرها وشر ما جبلتها عليه) » .

٢ — ويستحب للعروسين أن **يصليا ركعتين ويدعوا الله سبحانه بعد الصلاة ،** لما أخرج ابن أبي شيبة بسند جيد عن شقيق قال : « جاء رجل يقال له : أبو حريز فقال : اني تزوجت جارية شابة (أي بكرا) واني أخاف أن تفركني (أي تبغضني) ، فقال عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه : « ان الإلفَ من الله ، والفِرْكَ من الشيطان يريد (أي الشيطان) أن يكره اليكم ما أحل الله لكم ، فاذا أتتك فأمرها أن تصلي وراءك ركعتين ، وقل : « اللهم بارك لي في أهلي وبارك لهم فيّ ، اللهم اجمع بيننا ماجمعت بخير ، وفرق بيننا اذا فرقت الى خير » .

٣ — ويستحب للزوج **أن يلاطف عروسه ويقدم لها شيئا تشربه أو تاكله** ... لما أخرج أحمد في مسنده أن أسماء بنت يزيد ابن السكن قالت : قيّنتُ (زيّنت) عائشة رضي الله عنها لجَلْوَتِها (للنظر اليهامجلوةمكشوفة) فجاء عليه الصلاة والسلام الى جنبها فأتي بعُس لبن (قدح كبير) فشرب ، ثم ناولها النبي صلى الله عليه وسلم فخفضت رأسها واستحيت ... »

وروى الترمذي والنسائي بسند جيد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقا وألطفهم بأهله » .

وروى الترمذي عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال : « خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي » .

ولا شك أن في هذه الملاطفة ايناساً لها وزوالا لوحشتها ، وتمتينا لأواصر المودة والمحبة بينهما .. لأنه — كما يقولون — لكل داخل دهشة ، ولكل غريب وحشة .

٤ — من آداب المباشرة **أن ينخلعا من ثيابهما** ، لما للتجريد من الثياب من الراحة للبدن ، والسهولة في التقلب، والزيادة في المتعة، والأنس للزوجة..

والأفضل أن يكون التعري الكامل تحت لحاف واحد ، لما روى أحمد والترمذي وأبو داود عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ان الله تعالى حَيِيٌّ سِتِّير يحب الحياء والسِّتر » .

وأخرج الترمذي عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال : « اياكم والتعري فان معكم من لايفارقكم الا عند الغائط (قضاء الحاجة) وحين يفضي الرجل الى أهله (أي الجماع) فاستحيوهم وأكرموهم » .

وسبق أن ذكرنا حديث عائشة رضي الله عنها حين قالت : «قُبِضَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ولم يرَ مني ولم أرَ منه » .

ومما يؤكد أفضلية الستر ، مارواه الترمذي بسند ضعيف : « اذا جامع أحدكم أهله فلا يتجرّدان تجرد العَيْرَيْنِ » أي الحمارين .

٥ — ومن آداب المباشرة **الملاعبة والعناق والقبلة قبل أن يأتيها** ، لما روى ابو منصور الديلمي في مسند الفردوس عنه عليه الصلاة والسلام : « لايقعنّ أحدكم على امرأته كما تقع البهيمة ، ليكن بينهما رسول » ، قيل : وما الرسول ؟ قال : « القُبْلَة والكلام » وروى أبو منصور أيضا عنه عليه الصلاة والسلام : « ثلاثة من العجز :... وعدد منها : وأن يقارب الرجل

جاريته أو زوجته فيصيبها قبل أن يحدثها ويؤنسها ويضاجعها فيقضي حاجته منها قبل أن تقضي حاجتها »[1] .

من هذا الحديث نستدل : أن على الزوج أن يلاحظ أثناء العملية الجنسية توافق زوجته معه في الحصول على اللذة والانزال .

يقول الامام الغزالي في احيائه : « .. ثم اذا قضى وطره (أي الزوج) فليتمهل على أهله حتى تقضي هي أيضا نهمتها ، فان انزالها ربما يتأخر فيهيج شهوتها ، ثم القعود عنها ايذاء لها ، والاختلاف في طبع الانزال يوجب التنافر مهما كان الزوج سابقا الى الانزال ، والتوافق في الانزال ألذ عندها .. »[2] .

٦ ــ ومن آداب الجماع **أن يدعو الزوج بهذا الدعاء ،** وذلك ما روى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : (لو أن أحدكم أتى أهله قال : « بسم الله ، اللهم جنبنا الشيطان ، وجنّب الشيطان مارزقتنا » ، فان قضى بينهما ولد لم يضره الشيطان أبدا) .

٧ ــ يجوز أن يأتي أهله **في اية كيفية شاء مادام الاتيان في الفرج ،** لقوله تبارك وتعالى **« نساؤكم حرث لكم فاتوا حرثكم أنى شئتم »** ، والمعنى ائتوا نساءكم في موضع الحرث وهو الفرج كيف شئتم سواء أتيتموهن من أمام أو من خلف أو على جنب ..

روى البخاري عن جابر رضي الله عنه قال . « كانت اليهود تقول : إذا أتى الرجل امرأته من دُبُرها في قُبُلها (أي الفرج) كان الولد أحول!! .

---

(١) الحديثان وان كان فيهما ضعف فمعناهما صحيح ، لما للملاعبة من الملاطفة للزوجة ، والاستثارة للغريزة ، وتهيئة نفسية للمباشرة ، وتلذذ في الجماع ..

(٢) من كتاب « احياء علوم الدين » ج٢ ص : ٥٠ باب ادب المعاشرة .

فنزلت : **« نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم »** ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مقبلة ومدبرة اذا كان ذلك في الفرج » .

وأفضل هيئات الجماع أن يعلو الرجل المرأة ، وهي مستلقية رافعة رجليها ، ثم يحتضنها مابين يديها ورجليها .. حتى يقضي لذته ولذتها .

وهذه الهيئة من الجماع مأخوذة من وصف السيدة عائشة رضي الله عنها لحالة الجماع المعهودة ، وذلك في الحديث الذي رواه مسلم عن أبي موسى الأشعري قال: اختلف رهط من المهاجرين والأنصار، فقال الأنصاريون: لايجب الغسل الا من الدفق أو الماء (أي المني) ، وقال المهاجرون : بل اذا خلط فقد وجب الغسل ، وقال أبو موسى : أنا أشفيكم من ذلك ، قال : فاستأذنت على عائشة فأذن لي ، فقلت : يا أماه اني أريد أن أسألك عن شيء وأنا أستحييك قالت : لاتستحيي أن تسألني عما كنت سائلا عنه أمك التي ولدتك فانما أنا أمك ، قلت : فما يوجب الغسل ؟

قالت : على الخبير سقطت ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا جلس بين شعبها الأربع (أي بين يديها ورجليها) ، ومس الختان الختان فقد وجب الغسل » .

٨ ـ **واذا أراد العود في الجماع فيستحب له الوضوء لكونه أنشط ،** لما روى مسلم وأبو داود .. عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « اذا أتى أحدكم أهله ثم أراد أن يعود فليتوضأ بينهما وضوءا فانه أنشط للعود ».

والغُسْلُ أفضل ، لما روى أبو داود والنسائي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه طاف ذات يوم على نسائه ، يغتسل عند هذه . وعند هذه ، قال أبو رافع ــ راوي الحديث ــ : يا رسول الله ألا تجعله غسلا واحدا ؟ قال : « هذا أزكى وأطيب وأطهر » .

٩ — **الأفضل في حقهما المسارعة الى الاغتسال .. واذا تكاسلا فيستحب أن يتوضأا قبل النوم** ، لما روى مسلم عن عبد الله بن قيس قال : سألت عائشة رضي الله عنها قلت : كيف كان يصنع رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجنابة ؟ أكان يغتسل قبل أن ينام أم ينام قبل أن يغتسل ؟

قالت : كل ذلك قد كان يفعل ، ربما اغتسل فنام ، وربما توضأ فنام .

قلت : الحمد لله الذي جعل في الأمر سعة .

وانما كان الغسل أفضل لأن أحدهما اذا استيقظ سارع الى صلاة الفجر دون تكاسل أو فوات أو مشقة .. ولاسيما في فصل الشتاء حيث البرد والزكام ..

١٠ — ويجوز للزوجين أن يغتسلا معا في مكان واحد ، لما روى الشيخان عن عائشة رضي الله عنها قالت : « كنت أغتسل أنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم من إناء بيني وبينه واحد تختلف أيدينا فيه ، فيبادرني حتى أقول: دَعْ لي ، دَعْ لي ، قالت : وهما جنبان » .

ويجوز أن يغتسلا عريانيْن مع بعضهما ، ولكن الستر أفضل لحديث : « الله أحق أن يستحيا منه » رواه أصحاب السنن الا النسائي ..

على الزوجين أن يتنبها للمحظورات التالية :

١ — **يحرم على الزوجين التحدث الى الناس بما مارسا من عملية الوقاع اشارة أو كلاما** ، لما روى مسلم وابو داود عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « شر الناس منزلة عند الله يوم القيامة الرجل يفضي[1] الى المرأة ، وتفضي اليه ثم ينشر سرها » .

---

(١) يُفضي : كناية عن الجماع .

وروى أحمد وأبو داود عن أبي هريرة رضي الله عنه صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما سلّم (انتهى من صلاته) أقبل علينا فقال : « مجالِسَكم ، هل منكم الرجل اذا أتى أهله أغلق بابه وأرخى ستره ، ثم يخرج فيحدث فيقول : فعلت بأهلي كذا ، وفعلت بأهلي كذا ؟ فسكتوا .. فأقبل على النساء ، فقال : هل منكن من تحدث ؟ فجثت فتاة كَعَاب" (شابة) على احدى ركبتيها وتطاولت ليراها رسول الله صلى الله عليه وسلم ويسمع كلامها .

فقالت : إي والله ، انهم يتحدثون وانهن يتحدثن ، فقال عليه الصلاة والسلام : هل تدرون ما مثل من فعل ذلك ؟

ان مثل من فعل ذلك مثل شيطان وشيطانة لقي أحدهم صاحبه بالسكة (بالطريق) ، فقضى حاجته منها والناس ينظرون اليه » .

٢ ــ يحرم على الزوج ان يأتي أهله في الدّبُر ، لما أخرج النسائي وابن حبّان بسند جيد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لاينظر الله الى رجل يأتي امرأته في دبرها » .

وروى ابن عدي وأبو داود وأحمد عنه عليه الصلاة والسلام : « ملعون من يأتي النساء في محاشهن" » يعني أدبارهن .

وروى أصحاب السنن الا النسائي وسنده صحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من أتى حائضاً أو امرأة في دبرها أو كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد » .

وروى النسائي عن طاووس قال : «سئل ابن عباس عن الذي يأتي امرأته في دبرها ؟ فقال : هذا يسألني عن الكفر » ، وسنده صحيح .

ولاشك ان اتيان الدبر مضر بالصحة والجسم ، ومناف لمبادىء الفضيلة والأخلاق ، وشارة فارقة من شارات الشذوذ والانحراف .. وقد فصلنا القول عن هذه الظاهرة الخبيثة في مسؤولية التربية الجسمية فارجع اليه ــ أخي المربي ــ تجد البحث وافيا كافيا مقنعا ان شاء الله .

٣ ــ **يحرم على الزوج أن يأتي أهله أيام الحيض والنفاس** ، لقوله تعالى : ((**فاعتزلوا النساء في المحيض**)) ، وسبق أن ذكرنا حديث « من اتى حائضاً ... فقد كفر بما أنزل على محمد » .

أما تحريم اتيان المرأة في النفاس فقد ثبت في القياس ، وذلك قياس النفاس على الحيض لاشتراكهما في العلة والسبب ، وثبت في الاجماع أيضا .

ولقد ذكرنا في البحث السابق أنه يجوز للزوج أن يستمتع من المرأة ما فوق الازار بين السرة والركبة في حالتي الحيض والنفاس ، ويحرم عليه الاستمتاع ما تحت الازار ، والحكمة في هذا التحريم الحد من انطلاقة النفس الأمّارة من أن تقع فيما هو محظور شرعا ومضر جسما .. ومن حام حول الحمى أو شك أن يقع فيه ، والمسلم عليه أن يحتاط لدينه وصحته ، ويأخذ بجانب الأتقى والأورع في سلوكه وتصرفاته ومعاملته ..

وقد ثبت طبياً أن الوقاع في زمن الحيض والنفاس يحدث الأضرار الآتية :

((١ ــ آلام أعضاء التناسل في الأنثى ، وربما أحدثت التهابات في الرحم في المبيض أو في الحوض حيث تضر صحتها ضررا بالغا ، وربما أدى ذلك الى تلف المبيض وأحدث العقم ..

٢ ــ إنّ دخول مواد الحيض في عضو التناسل عند الرجل ، قد يحدث التهاباً صديدياً يشبه السيلان ، وربما امتد ذلك الى الخصيتين فآذاهما ،

ونشأ من ذلك عقم الرجل ، وقد يصاب (بالزهري) اذا كانت جراثيمه في دم المرأة .

وعلى الجملة فقربانها في هذه المدة قد يحدث العُقْم في الذكر أو في الأنثى ، ويؤدي الى التهاب أعضاء التناسل ، واضعاف الصحة ، وكفى في ذلك ضرر وأيّ ضرر !!.

ومن ثم أجمع الأطباء المحدثون في بقاع المعمورة على وجوب الابتعاد عن المرأة في هذه المدة كما نطق بذلك القرآن الكريم المنزل من لدن حكيم خبير :
« ويسألونك عن المحيض قل هو أذىً فاعتزلوا النساء في المحيض ... »[1] اهـ .

ومن ابتلي بوقاع زوجته وهي حائض أو نفساء فليكفر عن ذنبه بالتوبة الصادقة النصوح، واستغفار الله عز وجل والندم على ما فعل وهذا هو مذهب جمهور الفقهاء . وفي مذهب ابن عباس ، وقتادة والأوزاعي ، واسحق ، وأحمد في الرواية الثانية ، والشافعي في قوله القديم .. يتصدق ما يعادل دينارا أو نصف دينار[2] .. على حسب حاله من اليسر أو العسر ، أو على حسب حال الدم أحمر أو أصفر .. للحديث الذي رواه أصحاب السنن والطبراني .. عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم في الذي يأتي امرأته وهي حائض قال : « يتصدق بدينار أو نصف دينار » ، وفي لفظ للترمذي : « اذا كان دماً أحمر فدينار ، وان كان دماً أصفر فنصف دينار » .

---

(١) تفسير « المراغي » من تفسير قوله تعالى : « ويسألونك عن المحيض قل هو أذىً ... » (البقرة : ٢٢٢) ، ونقل الشيخ المراغي هذه الأضرار عن كبار الأطباء المحدّثين .

(٢) الدينار يقدر بـ/١٢/درهما من فضة، والدرهم يساوي/٣/غرامات، وغرام الفضة يساوي بالعملة السورية بـ (١١٠) ق.س تقريباً .

ومما ينصح به الاطباء وأهل العلم والاختصاص :

١ ــ أن يكون معتدلا في قضاء الشهوة ، واشباع الوطر .. وحدود الاعتدال مرتان في كل أسبوع ، وله أن يزيد أو ينقص بحسب حاجته وحاجتها في الاعفاف والإحصان .. ولكن عليه ألا يُفْرِط ، لأن الكثرة تؤدي الى الإضرار بالجسم ، وانهيار في العقل ، وتعطيل عن العمل ، والانصراف عن حمل مسؤولية الاسلام ..

٢ ــ المداعبة أولا ثم قضاء الشهوة وقد سبق ذكر ذلك .

٣ ــ أن يتحين الزوج الوقت المناسب للوقاع ، لأن مزاج المرأة حساس . فاذا أتاها في وقت لايتفق مع مزاجها كأن تكون مريضة أو متعبة .. فربما آل الأمر الى الكره ، وزرع البغضاء والشحناء ، وأحيانا الى الفراق ..

٤ ــ على الزوج قبل أن ينزع أن يراعي حال زوجته في الحصول على اللذة ، واشباع الشهوة ، وقد سبق ذكر ذلك أيضا .

٥ ــ الجماع جائز في كل الشهور والأوقات والأيام ، وفي كل ساعة من ليل أو نهار الا ماحرمته الشريعة كأن يكونا صائمين صيام الفرض مثلا . أو كانت الزوجة في حالة الحيض أو النفاس ..

ولكن من السنة الوقاع يوم الجمعة وليلته .. للحديث الذي رواه البخاري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة ثم راح ، فكأنما قرب بَدَنَةً (جملا) ، ومن راح في الساعة الثانية فكأنما قرب بقرة ، ومن راح في الساعة الثالثة فكأنما قرب كبشا أقرن . ومن راح في الساعة الرابعة كأنما قرب دجاجة . ومن راح في الساعة الخامسة فكأنما قرب بيضة . فاذا خرج الامام حضرت الملائكة يستمعون الذكر » .

وفي الحديث الذي رواه أبو داود والنسائي •• « من غَسَّلَ[1] يــوم الجمعة واغتسل . وبكر وابتكر (أي الى الصلاة) ومشى ولم يركب ، ودنا من الامام واستمع ولم يَلْغُ كان له بكل خطوة عمل سَنَةٍ : أجر صيامهــا وقيامهــا » •

٦ ــ على الزوجة أن تراعي مزاج زوجها فيما يرغب من تزين ، وملاطفة، ووقاع في أوقات مخصوصة ، فلا يحل لها أن تقف دون رغبته . أو تصوم نفلا بدون إذْنِه •• روى البخاري ومسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم أنــه قال : « اذا دعا الرجل امرأته الى فراشه فلم تأته فبات غضبان عليها لعنتهــا الملائكة حتى تصبح » وفي رواية : « حتى يرضى عنها » •

وروى البخاري عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال : « لايحل لامرأة أن تصوم (أي نفلا) ، وزوجها شاهد (أي) حاضر مقيم في البلد الا بإذنه » •

تلكم أهم النظرات الى الجنس من وجهة نظر الاسلام ••

وتلكم أميز الآداب في الاتصال الجنسي من زاوية الشريعة الربانية الغراء ••

فاحرص ــ أخي المربي ــ أن تلقنها أولادك وهم في السن التي تؤهلهم للزواج حتى اذا دخلوا عتبته، وعصموا أنفسهم به عرفوا كيف يكون الاتصال؟ وكيف يتم الزواج ؟

الله أسأل أن يهيىء لشبابنا الزوجات الصالحات ، اذا نظر أحدهم الى زوجته سرته ، واذا أمرها أطاعته ، واذا غاب عنها حفظته بنفسها وماله •• اللهم آمــين •



(١) من غسل : أي جامع امرأته فأحوجها الى الغسل .

٦ ــ وليستعفف الذين لايجدون نكاحا[١] :

مما لايختلف فيه اثنان أن المال أساس السعادة ، وعصب الحياة .. اذا تيسر للانسان فانه يحل كل عقدة ، ويذلل في طريقه كل عقبة ، ويوصله الى كل غاية ..

وصدق من قال :

ان الدراهم في المواطن كلها تكسو الرجال مهابة وجمالا
فهي اللسان لمن أراد فصاحة وهي السلاح لمن أراد قتالا

وربما يوجد انسان ذو علم وخلق .. في بيئة اجتماعية متغطرسة ، تعتبر المال كل شيء ، فتراه غير مكترث به ، وغير مأبوه له .. لكونه فقير الحال ، ضيق اليد .. ولو كان امام الحرمين ، وعالم الثقلين .. ورحم الله من قال :

فصاحة حسان وخط ابن مقلة وحكمة لقمان وزهد ابن أدهم
اذا اجتمعت في المرء والمرء مفلس ونودي عليه لايباع بدرهم

ولقد صدق الشاعر حين صور لنا اعتبار المال في بيئته الجهل والغنى هو الاعتبار الأول حين قال :

تموت الأُسْدُ جوعا في البرايا ولحم الطير ملقى للكلاب
وذو جهل ينام على حرير وذو علم ينام على التراب

---

(١) هذا البحث منقول طبق الأصل مع بعض التصرف والاختصار من كتابنا « عقبات الزواج » . . . الطبعة الثانية من ص ١٥٣ الى اخر الفصل ، وقد آثرت نقله لارتباطه ببحث « التربية الجنسية » الذي نحن بصدده الآن ، وستلحظ ــ أخي المربي ــ عند الانتهاء من قراءته وجه هذا الارتباط .

فالمال اذن ــ كما هو مشاهد ــ هو العصب الحساس لارتقاء سلم الحياة ، وهو الوسيلة الأساسية للوصول الى أي غاية . وهو الاعتبار الاول لدى أهل الجهل والضلال !!.

ولكن ماذا يفعل الشباب اذا رغبوا في الزواج . والمال غير متيسر لديهم. وماذا يصنعون إذا لم يروا ممن يعايشونهم تكافلا ولا عطفا ؟

انهم يريدون أن يعصموا أنفسهم بالزواج ولكن لايجدون السبيل اليه!

انهم يريدون أن يستجيبوا لدواعي الغريزةبالرباط المقدس ولكن تحول دونهم عقبات وعقبات[1] !!.

انهم يريدون أن يلبوا نداء الرسول صلى الله عليه وسلم في دعوة الشباب الى الزواج ولكن لم يجدوا المال . ولم يجدوا من البيئة التي يعايشونها عطف الانسان على أخيه الانسان !!..

اذن ما السبيل الى احصان نفوسهم ، والحد من ثورة غرائزهم الجامحة ،

السبيل الى ذلك هو أن يستجيبوا لدعوة القرآن الكريم في التمسك بحبل الإعفاف والتسامي ، وهذا هو الطريق الوحيد في اصلاح نفوسهم ، وإحصان فروجهم ، والترفع عن هواجس نفوسهم الامارة بالسوء .

قال تعالى : « وليستعفف الذين لايجدون نكاحا حتى يغنيهم الله من فضله » . (النور : ٣٣)

هذه الدعوة القرآنيةالى العفة تربية نفسية كريمة . تقوي في نفوس

---

(١) ارجع الى كتابنا « عقبات الزواج » وطرق معالجتها على ضوء الاسلام تجد ــ أخي المربي ــ العلاج الاسلامي الناجع لكل عقبة تقف في طريق الزواج . ولعلك تستأنس بها وتسير على نهجها . .

الشباب الارادة ، وترسخ في قلوبهم العزيمة ، وتجعل منهم أناسي كالملائكة ، وتمنحهم دائماً الطمأنينة والاستقرار !!.

ولكن ماهو المنهج الذي وضعه الاسلام في وصول الشاب الى قمة العفة والتسامي ؟

كنا تعرضنا لأصول هذا المنهج ـ أخي المربي ـ في « علاج ظاهرة العادة السرية واستئصالها »[1] في الفصل الثالث من هذا الكتاب .

وهاأناذا أستعرض معك العناوين العريضة لأصول هذا المنهج مع ماجدّ لي من اضافات جديدة لاستكمال البحث . وعلى الله قصد السبيل .

أما العناوين العريضة فهي على الترتيب التالي :

١ ـ الزواج في سن مبكرة .

٢ ـ الاستمرار في صوم النفل .

٣ ـ الابتعاد عن المثيرات الجنسية .

٤ ـ ملء الفراغ بما ينفع .

٥ ـ الرفقة الصالحة .

٦ ـ الأخذ بالتعاليم الطبية .

٧ ـ استشعار خوف الله تبارك وتعالى .

أما الاضافات الجديدة لاستكمال المنهج فتتركز في نقطتين :

الأولى : غض البصر عن المحرمات .

الثانية : تقوية الوازع الديني .

---

(١) ارجع الى البحث ص ٢٣٠ من هذا الكتاب .

أما غض البصر عن المحرمات فكنا أفضنا القول عنه في بحث **((أدب النظر))** . .

وها أنا ذا ألفت ذهن القارىء مرة ثانية الى الخطر الذي يترتب عليه النظر باختصار ، ليكون المربي دائما على توعية واستذكار :

مما لاجدال فيه أن النظرة الى المرأة الأجنبية سهم من سهام ابليس ، فمن تركها مخافة الله أبدله الله ايمانا يجد حلاوته في قلبه ..

ومما لاشك فيه أن النظرة التي تتبعها النظرة تؤدي الى الانجذاب الشهواني نحو المرأة أو نحو الرجل ، وهذا الانجذاب يتبعه الابتسامة ، والابتسامة يتبعها السلام ، والسلام يتبعه الكلام ، والكلام قد يتبعه الموعد واللقاء ، واللقاء يؤدي لا محالة الى نتائج وخيمة لاتحمد عقباها !!..

فقديما قال الشاعر :

كل الحوادث مَبْداها من النظر ومعظم النار من مستصغر الشرر

وحديثا قال :

نظـرة فابتسامـة فسـلام فكـلام فموعـد فلقـاء

ويكفي النظرات الخائنة الى المرأة ضررا أنها تسد في الانسان منافذ التفكير الصافي ، وتشغله عن كثير من الواجبات . وتؤدي الى تفسخ الأمة وانحلالها ، وتجعل من الشباب المتفسخ المتميع .. شباب لهو وعبث .. يسيرون في الحياة بلاهدف ولا غاية !!..[1] بل هـم أخطر مايكونون عـلى الأمن والاستقرار ، وأضر مايكونون على الفضيلة والأخلاق !! .

(١) ارجع الى رسالتنا « الى كل أب غيور يؤمن بالله » تجد مايشفي الغليل في الحكمة من تحريم النظر والاختلاط ..

من أجل هذا أمر القرآن الكريم المؤمنين والمؤمنات بأن يغضوا أبصارهم، ويحفظوا فروجهم ...

قا تعالى في سورة النور : ((**قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم ان الله خبير بما يصنعون ، وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ..**))

فالعلاج الوحيد اذن في الوصول الى قمة العفة والتسامي هو غض البصر عن المحرمات ألا فليتذكر أولو الالباب !!.

أما تقوية الوازع الديني : فانا عرضنا في مواضع كثيرة من هذا الكتاب عن الوسائل في غرس العقيدة الربانية في نفس الولد ، وعن المراحل المتدرجة التي تؤدي الى ترسيخ التربية الايمانية في الطفل حتى اذا درج نحو المراهقة . وشارف سنّ البلوغ ، ودخل عتبة الشباب .. انصلح حاله ، وازدانت أخلاقه .. وكان كالملك يمشي على الأرض . وكالعابد المتبتل يسير في الناس.

ومن المعلوم أن ربط الولد بالعقيدة الربانية ، وتربيته على مراقبة الله في السر والعلن ، وحضور مجالس العلم والذكر ، والمداومة على الفروض وصلاة النفل ، والمواظبة على تلاوة القرآن ، والتهجد في الليل والناس نيام ، والاستمرار على صيام المندوب والتطوع ، والاستماع الى أخبار الصحابة والسلف ، واستذكار الموت وما بعده ، والارتباط بالرفقة الصالحة والجماعة المؤمنة ..

كل ذلك اذا فعله الشاب قوي في نفسه الوازع الديني ، وتجنب مواطن الفساد ، وابتعد عن الميوعة والتحلل ، ووصل الى قمة العفة والتسامي .

واليكم ـ ياشباب ـ نموذجين عظيمين من العفة والتسامي للتأسي والاقتداء:

الأول : (يوسف عليه السلام شاب في ريعان الشباب مكتمل الرجولة ،

رائع الفتوة ، تدعوه الى نفسه امرأة ذات منصب وجمال ، والأبواب مغلقة . والسبل ميسرة كما حكى القرآن :

« وراودته التي هي في بيتهـاعن نفسه وغلقت الأبواب وقـالت هيت لك » ،
فماذا كان موقفه أمام هذا الاغراء ، وتلك الفتنة التي تخطف الابصار ؟

ألانت قناتـه فاستسلم وخان عرضا أؤتمن عليـه ؟ كلا انما قال :
« معاذ الله انـه ربي أحسن مثواي انه لايفلح الظالمون » .

ولقد حاولت امرأة العزيز بكيدها ومكرها ، وبكل مالديها من ألوان الاغراء والتهديد أن تذيب من صلابته ، وتضعضع من شموخه ، وأعلنت ذلك للنسوة في ضيق وغيظ :

« ولقد راودته عن نفسه فاستعصم ولئن لم يفعل ما آمـره ليسجنن وليكونن من الصاغرين » .
ولكن الشاب يوسف عليه السلام اتجه بكليته الى الله يسأله المعونة والعصمـة :

« رب السجن أحب الي مما يدعونني اليه ، وإلا تصرف عني كيدهن أصب اليهن وأكن من الجاهلين » .

كان فتنة بين ضمير المؤمن وخشيته الربانية .. ومغريات الاثم ،ففشلت المغريات ، وانتصر الايمان !!)[1] .

الثاني : وهذه امرأة في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه ذهب زوجها الى الجهاد ، وغاب عنها كثيرا ، فتخيم عليها كآبة الوحشة ، وتهجم عليها

---

(1) من كتاب « الاسلام والمشكلة الجنسية » للدكتور مصطفى عبد الواحد .

هواجس الوحدة ، ويثور في عرقها دم الأنوثة ، وتتأجج فيها نار الغريزة .. فلا يصدها عن ارتكاب المحرم الا حاجز الايمان ، ووازع المراقبة لله .. وفي جنح الليل البهيم سمعها عمر رضي الله عنه تنشد :

لقد طال هذا الليل واسود جانبه   وأرقني ألا حبيب ألاعبه
فوالله لولا الله تخشى عواقبه   لحرك من هذا السرير جوانبه

وفي اليوم الثاني دخل عمر رضي الله عنه على ابنته حفصة أم المؤمنين، وقال لها : كم تصبر الزوجة على زوجها اذا غاب ؟

قالت : أربعة أشهر .

فأرسل الخليفة الراشد الى قواده المرابطين في جبهات القتال يأمرهم : ألا يحبسوا جنديا عن أهله أكثر من أربعة أشهر .

كانت فتنة بين استشعار هذه المرأة المؤمنة خشية الله .. وبين الدافع الى الاثم والفاحشة فهمدت الدوافع وانتصر الايمان !!.

* * *

تلكم أهم بنود المنهج في وصول الشاب المسلم الى قمة العفة والتسامي .. ولاشك أن الشاب اذا اتبّع أصول هذا المنهج ، وسار على بنوده بدقة وإحكام وتطبيق ومثابرة .. فانه ينتصر في الحياة على كل الوساوس الشيطانية والنفسية التي تعتلج بين جوانحه ، ويتغلب على كل الدوافع الغريزية التي تتوهج في أعماق كيانه .. بل يكون كالأنبياء في الأخلاق ، وكالملائكة في الطهر ، وكالسلف الصالح في العفّة .. حتى يأتي اليوم الذي يغنيه الله من فضله ، ويسهل عليه أسباب الرزق والمعاش .. والله سبحانه دائما يتولى المتقين الأبرار ويجعل لهم من كل هم فرجا ، ومن كل ضيق مخرجاً . لأنه القائل في محكم تنزيله :

« **ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لايحتسب** ».

والقائل أيضا : « **وليستعفف الذين لايجدون نكاحا حتى يغنيهم الله من فضله** » (النور : ٣٣)

وهذه العفة والتسامي ليس من الكَبْت في شيء ــ كما يتوهم البعض ــ لأن الكَبْت كما عرفه علماء النفس والتربية « هو استقذار العملية الجنسية، والاستشعار بالاثم لمن يزاولها ولو كان مزاولتها عن طريق الزواج » .. وهذا معناه هو الترهبن ، ولقد عقدنا بحثا خاصا في بحث « الزواج والاتصال الجنسي » ، ولقد رأيت ــ أخي المربي ــ كيف أن الاسلام ذم العزوبة ، ونفّر من الرهبانية ..؟ وكيف أنه شرع الزواج تلبية للفطرة ، واستجابة للغريزة .. فأين الكبت وهذا هو الاسلام في مبادئه وواقعيته ؟.

((وبناء على هذا فان الفتى الشاب حين يحس بالرغبة الغريزية فانه لايحتاج ــ في الاسلام ــ أن يستعيذ بالله من هذا الاحساس المجرد ، لأن الاسلام يقرر في صراحة أن هذه الرغبة أمر طبيعي لانكران له ولاخلاف عليه.

وعلى ذلك لايحتاج أن يكبت الشعور بهذه الرغبة ، لكي يتطهر في نظر الناس ونظر نفسه .. ولايحتاج كذلك أن يستشعر بالاثم من مجرد هذا الاحساس ، ومن ثم تنتفي كل الاضطرابات النفسية والعصبية التي تنشأ من الشعور بالاثم والتي تؤدي الى الجريمة في حالات الشذوذ .

ولكننا نعلم أن الاسلام لم يبح للفرد أن يطيع هذا الهاتف الغريزي حسبما اتفق .. وانما وضع لذلك الحدود الشرعية التي يكون مباحا في داخلها ، محرما فيما وراءها .

هذا صحيح ، ولكن هذا شيء والكبت شيء آخر .. فهذا التحريم

لما وراءها تعليق ينظم النشاط ولكن لايقطعه من منبته ، ولايُحرّم الاحساس به في أية لحظة بين الانسان ونفسه ..)[1] .

ومما يؤكد أن الكبت ليس له وجود في ظلال التربية الاسلامية أن انسانا ما ــ وهو في حياة العزوبة ــ اذا تملكته الشهوة ، وتحكمت فيه الغريزة ، وترجح لديه أن سيرتمي في أحضان الفاحشة .. فيجوز له شرعا أن يلجأ الى العادة السرية لتسكين غريزته والتخفيف من حدة شهوته .. أخذا بالقاعدة الأصولية التي تقول : « يختار أخفّ الضررين ، وأهون الشرّين »

لهذا قال الفقهاء : « ان الاستمناء باليد حرام اذا كان لجلب الشهوة وإثارتها وهي هادئة ، أما اذا غلبت الشهوة بحيث شغلت البال ، وأقلقت الخاطر ، وأوقفت على باب الفاحشة ، وتعين الاستمناء طريقا لتسكينها فان الأمر جائز ومكافيء بعضه بعضاً ، وينجو صاحبه رأسا برأس أي لاأجر عليه ولا وزر ، فلا يثاب ولايعاقب »[2] .

ألا فلتخرس ألسنة الذين يقولون إنّ الاسلام دين الكبت والرهبانية ، وإنّ نظرته الى الجنس نظرة استقذار وترفع وكراهية !!..

ولقد رأيت ــ أخي القارىء ــ أن هذا الادعاء ليس له أصل في مبادىء الاسلام الخالدة ..



---

(١) من كتاب « الاسلام والمشكلة الجنسية » للدكتور مصطفى عبد الواحد .

(٢) هذا النص الفقهي من كتاب « ردود على اباطيل » للعلامة المرحوم الشيخ محمد الحامد ص٤٢ وسبق أن ذكرناه في بحث « حكم العادة السرية » من هذا الكتاب .

وفي مسك الختام :

أثبت كلمة طريفة للكاتب الكبير الاستاذ علي الطنطاوي تشل لونا من الوعي الاسلامي المعاصر للشباب ، فهي نموذج فريد للفهم البصير ، والاقناع الهادىء الذي يدعو الى الحق بالحكمة والموعظة الحسنة .

يقول حفظه الله في رسالة له « يابني » :

(لماذا تكتب الي على تردد واستحياء ؟

تحسب أنك أنت وحدك الذي يحس هذه الوقدة في أعصابه من ضرم الشهوة ، وانك أنت وحدك الذي اختص بها دون الناس أجمعين ؟!.

لا يابني ، هون عليك ، فليس الذي تشكو داءك وحدك ، ولكنه داء الشباب . ولئن أرّقك هذا الذي تجد ، وأنت في السابعة عشرة ، فلطالما أرّق كثيرين غيرك ، صغارا وكبارا ، ولطالما نفى عن عيونهم لذيذ الكرى، ولطالما صرف عن درسه التلميذ ، وعن عمله العامل ، وعن تجارته التاجر ..

فماذا يصنع الفتى في هذه السنوات ، وهي أشدّ سنيّ العمر اضطرام شهوة ، واضطراب جسد ، وهياجا وغليانا ؟

ماذا يصنـــع ؟

هذه هي المشـــكلة !.

أما سنّة الله ، وطبيعة النفس ، فتقول له : تزوج .

وأما أوضاع المجتمع ، وأساليب التعليم فتقول له : اختر احدى ثلاث كلها شر ، ولكن اياك أن تفكر في الرابعة التي هي وحدها الخير ، وهي الزواج !.

١ ــ إمّا أن تنطوي على نفسك ، على أوهام غريزتك ، وأحــلام

شهوتك ، تدأب على التفكير فيها ، وتغذيها بالروايات الداعرة ، والأفلام الفاجرة ، والصورة العاهرة حتى تملأ وحدها نفسك ، وتستأثر بسمعك وبصرك ، فلا ترى حيثما نظرت الا صور الغيد الفواتن ، تراهن في الكتاب إنْ فتحته ، وفي طلعة البدر ان لمحته ، وفي حمرة الشفق ، وفي سوادالليل ، وفي أحلام اليقظة وفي رؤى المنام ..

أريد لأنسى ذكرها فكأنما تمثل لي ليلى بكل سبيل

ثم لاتنتهي بك الحال الا الى الهوس أو الجنون أو انهيار الاعصاب .

٢ ـ وإمّا أن تعمد الى ما يسمونه « الاستمناء » (العادة السرية) .. وقد تكلم في حكمه الفقهاء ، وقال فيه الشعراء ... وهو إنْ كان أقل الثلاثة شرا وأخفها ضررا ، لكنه ان جاوز حده ركب النفس بالهم ، والجسم بالسقم ، وجعل صاحبه الشاب كهلا محطما ، كئيبا مستوحشا ، يفرّ من الناس ويجبن عن لقائهم ، ويخاف الحياة ويهرب من تبعاتها ، وهذا حكم على المرء بالموت وهو في رباط الحياة .

٣ ـ وإمّا أن تغرف من حمأة اللذة المحرمة ، وتسلك سبل الضلال ، وتؤم بيوت الفحش ، تبذل صحتك وشبابك ومستقبلك ودينك في لذة عارضة ، ومتعة عابرة ، فاذا أنت قد خسرت الشهادة التي تسعى اليها ، والوظيفة التي تحرص عليها ، والعلم الذي أملت فيه ، ولم يبق لك من قوتك وفتوتك ما تضرب به في لُجّ العمل الحر .

ولاتحسب بعد أنك تشبع .. كلا انك كلما واصلت واحدة زادك الوصال نهما ، كشارب الماء الملح لايزداد شربا الا ازداد عطشا ، ولو أنك عرفت منهن آلافا منهن ثم رأيت أخرى متمنعة عليك ، معرضة عنك ، لرغبت

فيها وحدها ، وأحسست من الألم لفقدها مثل الذي يحسه من لم يعرف امرأة قط !!٠

وهبك وجدت منهن كل ماطلبت ؛ ووسعك السلطان والمال ، فهل يسعك الجسد ، وهل تقوى الصحة على حمل مطالب الشهوة ؟

دون ذلك وتنهار أقوى الأجساد ، وكم من رجال كانوا أعاجيب في القوة ، وكانوا أبطالا في الرَّبْع والصَّرْع والرمي والسَّبْق ، ما هي الا أن استجابوا الى شهواتهم ، وانقادوا الى غرائزهم حتى أمسوا حطاما ٠٠

ان من عجائب حكمة الله ، أنه جعل مع الفضيلة ثوابها : الصحة والنشاط ٠٠ وجعل مع الرذيلة عقابها : الانحطاط والمرض ٠٠ ولرب رجل ماجاوز الثلاثين ، يبدو مما جار على نفسه كابن ستين ، وابن ستين يبدو من العفاف كشاب في الثلاثين ٠

ومن أمثال الافرنج التي سمعناها وهي حق وصدق : « من حفظ شبابه حفظت له شيخوخته »[1] ٠

وكأني أسمعك تقول : هذا الداء فما الدواء ؟

الدواء أن تعود الى سنة الله وطبائع الاشياء التي طبعها الله عليها ؛ ان الله ما حرم شيئا الا أحل شيئا مكانه ، حرم المرابأة وأحل التجارة ، وحرم الزنى وأحل الزواج ، فالدواء هو الزواج ٠

فاذا لم يتيسر لك الزواج ٠٠ فليس الا التسامي ، وأنا لاأريد أن

---

(١) يذكرني هذا المثل ما روي عن أحد السلف الصالح قوله : « هذه اعضاء حفظناها في الصغر فحفظها الله في الكبر » .

أعقّد هذا الفصل الذي كتبته ليكون مفهوما واضحا ، بمصطلحات علم النفس لذلك أعمد الى مثال أمثّله لك .

أترى الى ابريق الشاي الذي يغلي على النار ؟!

انك ان سددته فأحكمت سده ، وأوقدت عليه ، فجره البخار المحبوس، وان خرقته سال ماؤه فاحترق الابريق ، وان وصلت به ذراعا كذراع القاطرة. أدار لك المصنع ، وسير القطار ، وعمل الأعاجيب !..

فالاولى حالة من يحبس نفسه على شهوته ، يفكر فيها ويعكف عليها .

والثانية حال من يتبع سبيل الضلال ، ويؤم مواطن اللذة المحرمة .

والثالثة حالة المتسامي (المستعف) .

فالتسامي هو أن تنفس عن نفسك بجهد روحي أو عقلي أو قلبي أو جسدي .. يستنفد هذه القوة المدخرة ، ويخرج هذه الطاقة المحبوسة .. بالالتجاء الى الله والاستغراق في العبادة ، أو بالانقطاع الى العمل والانغماس في البحث ، أو بالتفرغ للفن والتعبير عن هذه الصور التي تصورها لك غريزتك ، بالالفاظ شعرا ، أو بالألوان لوحة ، أو بالجهد الجسدي والاقبال على الرياضة ، والعناية بالتربية الدينية أو البطولة الرياضية .. والانسان ـ يابني ـ محب لنفسه لايقدم أحدا عليها ، فاذا وقف أمام المرآة ، ورأى استدارة كتفيه ، ومتانة صدره ، وقوة يديه ، كان هذا الجسم الرياضي المتناسق القوي .. أحب اليه من كل جسد أنثى ، ولم يرض أن يضحي به ، ويذهب قوته ، ويعصر عضلاته ، ويعود به جلدا على عظم من أجل سواد عيني فتاة ولا من أجل زرقتهما ..

هذا هو الدواء : الزواج وهو العلاج الكامل ، فان لم يمكن فالتسامي وهو مسكن مؤقت ، ولكنه مسكن قوي ينفع ولايؤذي ..

أما ما يقوله المغفلون أو المفسدون ..

من أن دواء هذا الفساد الاجتماعي هو تعويد الجنسين الاختلاط حتى تنكسر بالاعتياد حدة الشهوة ، وفتح « المحلات العمومية » حتى يقضى بها على البغاء السري ، فكلام فارغ .. وقد جربت الاختلاط أمم الكفر كلها فما زادها الا شهوة وفسادا .. أما المحلات العمومية فاننا اذا أقررناها وجب أن نوسعها حتى تكفي الشبان جميعا ، واذن فينبغي أن يكون في القاهرة أكثر من عشرة آلاف بغي ، لأن في القاهرة مائة ألف شاب[1] على الأقل ..

واذا نحن جوزنا للشباب ارتيادها فاستغنوا بذلك عن الزواج ، فماذا نصنع بالبنات ؟ هل نفتح لهن أيضامحلات عمومية فيها «بغايا» من الذكور؟! كلام فارغ يابني والله ..

وماتقوله عقولهم ، ولكن غرائزهم ، ومايريدون اصلاح الاخلاق ، ولاتقدم المرأة ، ولانشر المدنية ، ولا الروح الرياضية ، ولا الحياة الجامعية ، انما هي ألفاظ يتلمظون بها ، ويبتدعون كل يوم جديدا منها ، يهولون بها على الناس ، ويروجون به لدعوتهم ، ومايريدون الا أن نخرج لهم بناتنا وأخواتنا ليستمتعوا برؤية الظاهر والمخفي من أجسادهن ، وينالوا الحلال والحرام من المتعة بهن ، ويصاحبونهن منفردات في الأسفار ، ويراقصونهن متجملات في الحفلات ، وينخدع مع ذلك بعض الآباء فيضحون بأعراضهم ليقال انهم من المتمدّنين ..

وبعد ، فيا ابني عليك بالزواج ، ولو أنك طالب لاتزال ، فان لم تستطعه فاعتصم بخوف الله ، والانغماس في العبادة والدرس ، والاشتغال بالفن وعليك بالرياضة فانها نعم العلاج)أه .

---

(١) هذا الاحصاء منذ /٢٥/ سنة في الحين الذي نشر المؤلف رسالته « يابني » .

أيها الشباب والشابات :

هذا هو الحل الوحيد لمشكلتكم الجنسية ، فاياكم أن تسمعوا الى أدعياء التقدمية الذين يزينون لكم المنكر ، ويحسنون الفجور بقولهم إنّ حل المشكلة هو تهذيب الغريزة بالاختلاط منذ الصغر[1] ، أو إشباع الغريزة بالحرام .. فهؤلاء الهارفون بما لايفهمون ، والمتبجّحون بما لايعقلون .. ماهم في الحقيقة الا منفذون من حيث يعلمون أو لايعلمون مخططات اليهودية والصليبية ، ومؤامرات الماسونية والشيوعية .. لجر الشباب والشابات في المجتمعات الاسلامية الى وجودية فاجرة . واباحية داعرة ..

أتدرون من أجل ماذا ؟

من أجل أن ينصرف شباب الاسلام عن الجبهات المرسومة للكفاح والجهاد .

من أجل أن يطأطؤوا رؤوسهم لحكم الطغاة والمستبدين ..

من أجل أن يصفقوا لكل ناعق ، ويقبلوا حكم كل ملحد ..

من أجل أن يكونوا قطعانا تسوقها عصا العبيد ..

فحذار – ياشباب – من هذه الادعاءات الكاذبة .. فتحصنوا بالصبر . واربطوا قلوبكم بالله ، وتوجوا رؤوسكم بعزة الاسلام .. وارفضوا بكليتكم دعوة كل اباحي فاجر ، وتبجح كل وجودي ملحد .. واسمعوا الى مايقوله سبحانه في محكم تنزيله :

« ولاتتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل ، وأضلوا كثيرا ، وضلوا عن سواء السبيل » (المائدة : ٧٧)

★ ★ ★

---

(١) ارجع الى رسالتنا « الى كل اب غيور يؤمن بالله » **فان فيها الرد** القاطع على هذا الافتراء بشكل لايترك شبهة لمرتاب .

٧ ـ هـل يجوز مصارحة الولد جنسيا ؟

يتساءل الكثير من المربين من آباء وأمهات .. هل يجوز للمربي أن يصارح الولد في كل ما سيطرأ عليه من ارهاصات المراهقة ، وظواهر البلوغ ؟

وهل له أن يحدّثه عن العضو التناسلي ووظيفته ، وعن الحمل والولادة وكيفيتهما ؟

وهل له أن يعرفه بكيفية الاتصال الجنسي اذا دخل عتبة الزواج ؟
كل هذه التساؤلات يتوقف الكثير عن الاجابة عليها لتحيرهم بين الجواز وعدمه .

الذي يبدو من الأدلة الشرعية التي سنعرضها فيما بعد أنه يجوزللمربي أن يصارح ابنه أو ابنته في القضايا التي تتعلق بالجنس ، وترتبط بالغريزة .. بل أحيانا تكون المصارحة واجبة اذا ترتب عليها حكم شرعي كما سيأتي بيانه .

واليكم هذه الأدلة مرتبة :

١ ـ آيات كثيرة تتحدث عن الاتصال بالجنس ، وعن خلق الانسان ، وعن الفاحشة :

ـ « والذين هم لفروجهم حافظون الا على ازواجهم او ما ملكت أيمانهم فانهم غير ملومين ، فمن ابتغى وراء ذلك فاولئك هم العادون » .

(المؤمنون : ٥ ـ ٧)

ـ « احل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم » . (البقرة : ١٨٧)

ـ « ويسالونك عن المحيض قل هو اذى فاعتزلوا النساء في المحيض ، ولا تقربوهن حتى يطهرن فاذا تطهرن فاتوهن من حيث امركم الله .. »

(البقرة : ٢٢٢)

ـ ((نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم ..))
(البقرة : ٢٢٣)

ـ ((وان طلقتم النساء من قبل أن تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم)) (البقرة : ٢٣٧)

ـ ((ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ..)) (المؤمنون : ١٣)

ـ ((انا خلقنا الانسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا))
(الدهر : ٢)

ـ ((وصينا الانسان بوالديه احسانا حملته أمه كرها ووضعته كرها وحمله وفصاله ثلاثون شهرا)) (الأحقاف : ١٥)

ـ ((ولاتقربوا الزنى انه كان فاحشة وساء سبيلا)) (الاسراء : ٣٢)

ـ ((الزاني لاينكح الا زانية أو مشركة ، والزانية لاينكحها الا زان أو مشرك وحرم ذلك على المؤمنين)) (النور : ٣)

ـ ((ولوطا اذ قال لقومه أتأتون الفاحشة ماسبقكم اليها من أحد من العالمين ، انكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل أنتم قوم مسرفون))
(الأعراف : ٨٠ ـ ٨١)

فهذه الآيات القرآنية تتحدث بوضوح عمن يحفظ الانسان فرجه وعمن لايحفظه ، وعن الرفث (الجماع) ليلة الصيام ، وعن المحيض واعتزال النساء فيه ، وعن الموضع الذي يكون فيه منبت الولد ، وعن طلاق المرأة قبل مسها . وعن النطفة وتكوينها في رحم المرأة ، وعن خلق الانسان من أخلاط النطفتين الرجل والمرأة ، وعن حمل الولد في بطن أمه ومدة ارضاعه وعن الزنى وكونه فاحشة وساء سبيلا ، وعمن يأتون الرجال شهوة من دون النساء .. الى آخر هذه المعاني التي تتصل بالجنس ، وترتبط بالغريزة ..

فكيف يفهم الولد وهو في سن التمييز والتعقل تفسير هذه الآيـات وأمثالها اذا لم تتوضح لديه من قبل معلمه أو مربيه حقائقها وما يراد منها ؟

ولايمكن أن يقول متبصر عاقل : إنّ على المعلم أو المربي أن يطمس معاني هذه الآيات بتفسيرات أخرى لا تمت الى المعنى المراد بصلة ، أو أن يمر عليها مرور الكرام دون توضيح لها ، أو تفسير لمضمونها .. لأن هـذا المسلك غير سليم يتنافى مع قواعد التربية الاسلامية الأصيلة ، ويتناقض مع دعوة القرآن الكريم الى فهمه وتدبره .

قال تعالى : ((كتاب أنزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته وليذكر أولـوا الألباب)) (ص : ٢٩)

بل نجد القرآن الكريم ينكر على من يقرؤون القرآن ولايتدبرون آياته .. ويعتبر من يفعل ذلك خاوي الروح ، مقفل القلب ، قاسي النفس ..

قال تعالى : **((أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها))** .

(محمد : ٢٤)

ومن هنا نعلم أن القرآن الكريم اشتمل على جملة ما اشتمل على ثقافـة جنسية لابأس بها بما فتح من آفاق ، ووضح من معالم ..

وهذه الثقافة ينبغي أن يتفهمها الصغار والكبار ، والشيب والشبان . والنساء والرجال ..

ومن ثمرات هذه الثقافة أن المسلم يعلم مايحل وما يحرم ، ويعـرف ما يأتي وما يذر .. حينما يريد إشباع الوطر ، وقضاء الشهوة .. .

ومن ثمرات هذه الثقافة أن المسلم يزداد قناعة وايمانا بالابداع الالهـي حينما يمر على الآيات التي تتحدث عن خلق الانسان وتكوينه ، وعن تطوره وهو في رحم امه من نطفة الى علقة . ثم الى مضغة ثم الى بشر سوي ..

ومن ثمرات هذه الثقافة أن المسلم يؤمن ايمانا جازماً يوما بعد يوم بصلاحية هذا الاسلام . وخلود مبادئه الشاملة على مدى الزمان والايام .. وأنه الدين الوحيد الذي يلبي حاجات النفس الانسانية ، ويواكب أطوار الحضارة والمدنية الى أن يرث الله الارض ومن عليها !!.

٢ ـ ومن الأدلة القوية التي تدل على أن المصارحة في قضايا الجنس أمر ضروري للولد تعليم الولد وهو في سن التمييز أحكام البلوغ ، وارهاصات المراهقة .. حتى اذا ظهرت عليه الظواهر عرف ماوجب عليهفعله ، وماوجب عليه تركه .. بل عرف الحلال والحرام ..

ولقد فصلنا القول فيه ـ في بحث سبق ذكره ـ تحت عنوان : « تعليم الولد أحكام المراهقة والبلوغ » .

ارجع اليه ـ أخي المربي ـ تجد فيه مايبل الصدى .

٣ ـ ومن الادلة القوية أيضا التي تدل على أن المصارحة في قضايا الجنس أمر لازم للولد تعليمه حينما يشارف على البلوغ ويدخل عتبة الزواج « أصول الاتصال الجنسي ، وآداب الاشباع الغريزي » .

ولقد فصلنا القول في هذه المسائل في بحث سبق ذكره قبل قليل تحت عنوان : « الزواج والاتصال الجنسي » .

ارجع اليه ـ أخي المربي ـ تجد مايشفي الغليل .

تلكم أظهر الأدلة في جواز مصارحة الولد وهو في سن التمييز عن قضايا الجنس ، ومسائل الغريزة .

فبعد هذا البيان قم ـ أخي المربي ـ بواجب التوعية الجنسيّة لأولادك . لأن الشرع يحتم عليك أن توضح لهم هذه الحقائق حتى لايقعوا في حبائل الجهل ، وموبقات الاثم ، ومتاهات الفوضى ...

ولكن أذكرك بشيئين هامين :

١ ــ أعط لكل مرحلة من مراحل السن حكمها في التعليم ، فلا يعقل أبدا أن تعلمه مثلا أصول الاتصال الجنسي ، وهو في سن العاشرة ، وتهمل تعليمه أحكام المراهقة والبلوغ .

٢ ــ من الأفضل أن تشرف الأم على تعليم البنت في هــذه القضايا الجنسية لأن أخذ البنت عن الام آخذ وألقن وأوعى .. وفي حال عدم وجود الأم تقوم بالمهمة أية مرشدة أخرى تقوم مقامها .

* * *

تلكم ــ أيها المربون ــ أهم الخطوط الرئيسية التي وضعها الاســلام في تربية الولد جنسيا ، وتكوينه سلوكيا ، وضبطه غريزيا ..

فما أحوج أهل الفكر والتربية والاصلاح أن يأخذوا بمنهج الاســلام في التربية الجنسية ، وأن يسيروا على هدي القرآن في الانضباط الغريزي .. عسى أن نجد أبناء الجيل الاسلامي وقد اكتملت شخصيتهم ، وصلحت سريرتهم ، وتقومت أخلاقهم ، وتحررت من الآفات النفسية والمفاسد الاجتماعية نفوسهم وقلوبهم .. وعندئذ يستطيعون أن ينهضوا برسالة ، ويقومــوا بمسؤولية ، ويرفعوا من سماء الوجود الانساني راية التوحيد ، وشعــار الاسلام ..

وأريد أن يفهم كل ذي عقل وبصيرة أن هذا الاسلام العظيم حــين عالج مشاكل الانسان وآفات المجتمع كان العلاج شاملا لكل الجوانب ، ومهيمنا على كل النواحي .. لأن الاسلام شرع الله الخالد أنزله الله سبحانه ليكون للعالمين هاديا ومبشرا ونذيرا .. فمن حكم به عدل ، ومن اهتدى به سعد . ومن دعا اليه هدى الى صراط مستقيم .

ولن ينْقِذ العالم اليوم من فوضى الغريزة المتفلتة . والانحدار الخلقي الجارف .. الا النظرة الاسلامية الى الجنس ، لكونها تضع كل شيء موضعه وتتيح للانسان الحياة المتوازنة المتكاملة التي تحقق معنى الانسانية وترضي أشواق الانسان .

ولعل المسلمين يفقهون دينهم ، ويعيشون تحت ظلاله آمنين مطمئنين عسى أن يستعيدوا مكانتهم بين الأمم ، وكرامتهم تحت الشمس وماذلك على الله بعزيــز .



وبعد فيا أيها المربون :

اعرفتم مدى المسؤولية الشاقه الثقيلة الملقاة على عاتقكم ؟

أعرفتم أن مسؤولية التربية الايمانية هي الركيزة الاساسية التي يجب أن توجهوا اليها اهتمامكم ؟

أعرفتم آن مسؤولية التربية الخلقية هي من المسؤوليات الهامة التي يجب أن تعيروها نظرتكم ورعايتكم ؟

أعرفتم أن مسؤولية التربية الجسمية هي من وسائل القوة التي يجب أن تركزوا عليها جهودكم وعزائمكم ؟

أعرفتم أن مسؤولية التربية العقلية هي من ركائز المجد والمدنية والحضارة في أمتكم ووطنكم ؟

اعرفتم أن مسؤولية التربية النفسية هي من دعائم النّضج والاتزان في اعداد أولادكم ؟

اعرفتم آن مسؤولية التربية الاجتماعية هي من أميز هذه المسؤوليات التي يجب أن تلقنوها أفلاذ أكبادكم ؟

اعرفتم أن مسؤولية التربية الجنسية هي من القضايا الهامة الكبرى التي يجب أن تنشّؤوا عليها مَنْ لهم حق التربية في أعناقكم ؟

اذا عرفتم هذا كله فعليكم أن تنطلقوا في مضمار التربية ، وتحمل المسؤولية .. غير متوانين ولا متواكلين ، حتى تروا زهرات حياتكم ، وثمرات قلوبكم كالملائكة طهراً ، وكالصحابة عزائم ، وكالأسود شجاعة ، وكالبدور نورا واشراقا ...

وبقدر العطاء الذي تعطونه ، والجهد الذي تبذلونه ، والعزيمة التي تطلقونها ، والمسؤولية التي تستشعرونها .. يتحقق الخير لأمتكم ، والصلاح لأبنائكم ، والتربية المثلى لذراريكم وأجيالكم !!..

ثم أتدرون ـــ يامعشر المربين ـــ كيف يتحقق هذا كله ؟ ، وكيف يتم الوصول الى قمة التربية الفاضلة ؟

بتقديري أن هذا يتحقق بأمرين أساسيين هامين :

الأول : بظاهرة المراقبة والملاحظة •

الثاني : بالاستفادة من الفراغ •

فبالمراقبة والملاحظة يتربى الولد ايمانياً ، ويتكون خلقياً ، ويقوى جسمياً ، وينضج عقلياً وعلمياً ، ويكتمل نفسياً واجتماعيا ••

وبالمراقبة والملاحظة ينجو الولد من رفاق السوء ، والخلطة الفاسدة ، وقرناء الفتنة والانحراف ••

وبالمراقبة والملاحظة يتحرر الولد من كل العوامل التي تؤدي الى انحرافه وشقائه : يتحرر من مشاهدات السينما ، والرائي (التلفزيون) لما يعرضانه من أفلام جنسية خليعة ، وروايات بوليسية محرّضة ، وتمثيليات موجهة ماجنة •• ويتحرر من قراءة المجلات الخلاعية المثيرة ، والقصص الجنسية المهيجة ، والمسرحيات اللا أخلاقية الهابطة •• التي تفتك بالفضيلة ، وتطعن الأخلاق الاسلامية في الصميم •

وبالمراقبة والملاحظة يسلم الولد من المذاهب الاجتماعية الضالة ، والعقائد الفكرية الكافرة •• بل يرتبط بالاسلام عقيدة وفكراً ومنهاجاً وسلوكاً •

وبالمراقبة والملاحظة يصل الولد الى قمة التربية الاسلامية الفاضلة ، ويكتمل روحاً وعقلا وأخلاقاً وعلما •• فيعطي لغيره القدوة الصالحة في الأخلاق ، والأسوة الحسنة في المعاملة •• بل يكون كتألّق البدر في السماء ، وكالملك حين يمشي على الأرض •

أما الاستفادة من الفراغ فيتركز في بذل الجهد ، وتوجيه الطاقة حين يأوي المربي الى بيته ، ويجلس بين أهله وأولاده ، ففي هذه الأوقات من الفراغ يجب على المربي أن يضع البرنامج المناسب في اعداد الولد علمياً ، وتكوينه عقيدياً ، وتوجيهه خلقياً ..

فما أحسن الأب ، وما أجمل الأم !.. حين يقضيان سهرتهما عند المساء مع أولادهما ، وينظمان البرامج الهادفة في تلقين أفلاذ أكبادهما .. بل ما أعظم أجرهما عند الله عز وجل حين يجلسان مع الأولاد لسماع درس يحفظونه أو تفهيم مسألة يكتبونها ، أو عرض قصة يتعلمونها ، أو تلقين فضيلة يتوجهونها، أو تحسين تلاوة يلتقّونها ، أو اثارة مداعبة أدبية أو ممازحة ترفيهية يمرحون بها ويضحكون منها ...

وهذا المسلك الحق ـ والله ـ يحقق الخير كل الخير للولد، ويرتفع به نحو مدارج العز ، ومكارم الأخلاق ، بل يجعل منه انساناً سوياً ، ورجلا حكيماً ، ومسلماً فاضلا كريما ...

وهذا هو في الحقيقة سبيل التربية المثلى في اعداد الولد للحياة ، وتهيئته ليكون اللبنة الصلبة المتينة في بناء المجتمع الفاضل ، وتكوين الأجيال الصالحة المؤمنة.. وكم يكون الأب أو الأم أو المربي.. ظالماً للولد ، مستهتراً في حقه ، قاتلا لانسانيته ، حين يقضي أوقات فراغه في سهرة عابثة مع أصدقائه، أو في مقهى لاغية مع اللاهين والفارغين من أبناء حيه وجيرانه ، أو في مسرح آثم خليع .. مع المنحرفين والمتحللين من أبناء بلده وأقرانه ..؟

من لتربية الولد على الإيمان الحق والعقيدة الصحيحة الثابتة غير الأب والأم ؟.

ومن لتربية الولد على الخلق الفاضل والأدب الرفيع غير الأب والأم ؟.

ومن لتربية الولد علىَ العقل السليم والجسم السليم والقوة المتينة غير الأب والأم ؟•

ومن لتربية الولد على تحصيل العلم ، والثقافات النافعة غير الأب والأم؟

ومن لتربية الولد على الأصول النفسية ومبادىء التعقل والاتزان •• غير الأب والأم ؟•

ومن لتربية الولد على مراعاة حقوق الآخرين والتزام آداب المجتمع •• غير الأب والأم ؟•

فمن يربي الولد على هذه الخصال ، ويغرس في نفسه هاتيك الفضائل اذا كان الأب لاهياً ، والأم عابثة ؟••

ورحم الله شوقي حين قال :

ليس اليتيم من انتهى أبواه من
هم ّ الحياة وخلّفاه ذليلا
ان اليتيم هو الذي تلقى له
أمّاً تخلّت أو أباً مشغولا

فالأبوان اذن هما المسؤولان أولا وآخراً في إعداد الولد على الإيمان والخلق ، وتكوينه على النّضج العقلي ، والاتزان النفسي •• وتوجيهه الى التزود بالعلوم النافعة ، والثقافات المفيدة المتنوعة ••

وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم القائل : « والرجل راعٍ فيبيت أهله ومسؤول عن رعيته ••• والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها •• » • (البخاري ومسلم)

والقائل : « ان الله سائل كل راعٍ عما استرعاه حفظ أم ضيع ... »

(ابن حبان)

والقائل : « ما نحل والد ولداً أفضلَ من أدب حسن » .

(الترمذي)

فما على الأبوين الا أن يستشعرا بمسؤوليتهما الكاملة ، وأن يستفيدا من أوقات فراغهما للنهوض بهذه الواجبات ، والقيام بهاتيك المسؤوليات ..

وعليهما أن يعلما أن أي تقصير في مسؤولية من هـذه المسؤوليات التي سبق الحديث عنها ، والتفصيل فيها .. يعرضهما للعقوبة بين يدي الله سبحانه وتعالى في يوم لاينفع فيه مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم .

وحسب الأبوين أن يضعا نصب أعينهما قوله تبارك وتعالى :

« يا أيها الذين امنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجـارة عليها ملائكة غلاظ شداد لايعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون »

(التحريم : ٦)

ولا شك أنهما اذا استذكرا هذه الآية ، واستشعرا مراقبة الله في تفسيهما .. يكون اندفاعهما للتربية أقوى ، ونهوضهما بهذه المسؤوليات أكبر .. ألا فليعلم المربون واجبهم ، وليستفيدوا من أوقات الفراغ في تربية أولادهم ، وعليهـم أن يعلموا أن الوقت كالسيف إنْ لم يقطعوه قطعهم ، وأن الواجبات أكثر من الأوقات ، وأن العُمُر ينقضي بالسرعة الفائقة .. فإذا لم يقدروا الأمانة الملقاة على عاتقهم حق قدرها ، وان لم يرعوا هذه المسؤوليات حق رعايتها .. فقد يفاجؤهم الموت بغتة وهم لا يشعرون ، بل يأتيهم العذاب فجأة ثم لا ينصرون . وصدق الله العظيم القائل في محكم التنزيل :

« وانيبوا الى ربكم وأسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لاتنصرون ، واتبعوا أحسن ما أنزل اليكم من ربكم من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لاتشعرون » (الزمر : ٥٥)

وأخيراً أريد أن ألفت نظر المربين جميعاً على اختلاف درجاتهم . وتباين مسؤولياتهم • ولا سيما الآباء والأمهات منهم أن هذه المناهج التي وضعتها في التربية ولا سيما التربية الاجتماعية تصلح للكبار والصغار ، والشيب والشباب ، والرجال والنساء ••

فاحرصوا – أيها المربون – على التزام مناهج الاسلام في التربية لأنفسكم قبل أن تلقنوها أولادكم . لتعطوا في ذلك القدوة الحسنة لمن لهم في أعناقكم حق التربية والمسؤولية . ثم بالتالي ابذلوا الجهد في تعليمها أولادكم ، وتلقينها أفلاذ أكبادكم •• حتى ينشؤوا على العقيدة الصحيحة والاسلام الكامل . والخلق الرفيع •• وبذلك تكونون قد أعددتموهم لخوض غمار الحياة . وتحمل أشق المسؤوليات بقلوب مؤمنة ، ونفوس صابرة ، وأرواح طاهرة زكية ، وعقول ناضجة متزنة ، وأجسام جلدة قوية ••••

فابذلوا جهدكم . واجمعوا أمركم ، وسيروا على بركة الله ، فعين الله ترعاكم . والأجيال المقبلة تبارك لكم جهودكم وأعمالكم ، والله عز وجل يثيبكم خيراً ، ويدخر لكم في القيامة أجراً •

« وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون » •

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين •

✶ ✶ ✶

بعونه تعــالى

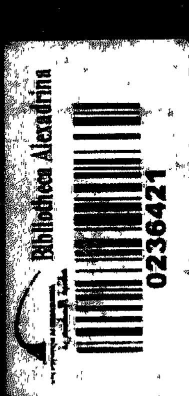
تم الجزء الأول من كتاب تربية الأولاد فى الاسلام

ويليه الجزء الثانى بإذن الله



Printed at

Kyodo-Shing Loong Printing Industries Pte Ltd Singapore


Bibliotheca Alexandrina
0236421



دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع

عبد القادر محمود البكار

حلب ص.ب ١٨٩٣ هاتف ١٧٧٦٤

Dar Al-Salam

PRINTING PUBLICATION & DISTRIBUTION

ALEPPO P.O.BOX 1893 Tel Home 17764 SYRIA

للطباعة والنشر والتوزيع

Dar Al-Salam
PRINTING PUBLICATION
& DISTRIBUTION
ALEPPO P.O BOX 1893 Tel Home 17764
SYRIA

الناشر
دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع
عبد القادر محمود البكار
حلب ص ب ١٨٩٣ هاتف ١٧٧٦٤

للطباعة والنشر والتوزيع

قالَ عليه الصَّلاة والسَّلام :

«إنَّ اللّه سائِلٌ كُلَّ راعٍ عمَّا استرعاه حفظ أمْ ضيَّعَ»

الناشر

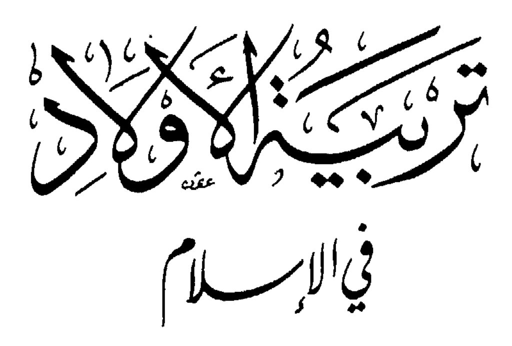
دار السلام
للطباعة والنشر والتوزيع

بيروت ص.ب ١٣٥٣٣٧ ـ حلب ص.ب ١٨٩٣

اهداءات ٢٠٠١

الأستاذ الدكتور / عبد الفتاح منصور

عبد الله علوان



الجزء الثاني

دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت ص.ب ١٣٥٢٣٧ - حلب ص.ب ١٨٩٣


بسم الله الرحمن الرحيم



القسم الثالث

ويتناول ثلاثة فصول :

الأول : وسائل التربية المؤثرة في الولد

الثاني : القواعد الأساسية في تربية الولد

الثالث : اقتراحات تربوية لا بد منها

بسم الله الرحمن الرحيم

الفصل الأول

الأول : وسائل التربية المؤثرة في الولد

مر بك – أيها القارىء الكريم – في القسم الثاني من كتاب « تربية الأولاد » مسؤوليّات المربين الكبرى في تربية الولد . سواء أكانت إيمانية أم أخلاقية . عقلية أم جسمية . نفسية أم اجتماعية .. ولاشك أن هــذه المسؤوليات التي سبق الكلام عنها . والتفصيل فيها هي من أضخم المسؤوليات في مجال التربية . وإعداد الولد . وكم يكون الآباء في سعادة : والمربون في سرور .. حين يحصدون في المستقبل ثمرات سعيهم . ويستظلون في ظــلال غرسهم ؟

وكم تكون نفوسهم هنيئة ، وأعينهم قريرة ، حين يرون أفلاذ أكبادهم ملائكة يمشون على الارض . وثمرات فؤادهم مصاحف متحركة تسير في النــاس ؟.

ولكن هل يكفي المربي أن ينهض بهذه المسؤوليات . ويضطلع بهذه الواجبات .. وهو يظن أنه برّأ الذمة . وأدّى المهمة . واستنفد الجهد .. أم عليه أن يستزيد في الوسائل . ويبحث دائماً عن الكمال والافضل ؟

لاشك أن المربي الواعي المنصف يستزيد دائماً في الوسائل المجدية . والقواعد التربوية المؤثرة في إعداد الولد عقيدياً وخلقياً . وفي تكوينه علمياً ونفسياً واجتماعياً .. حتى يبلغ الولد أسمى آيات الكمال ، وأعلى ذرى النضج ، وأزهى مظاهر التعقل والاتزان !!..

ولكن ماهي هذه الوسائل المجدية ، والقواعد التربوية المؤثرة في تكوين الولد واعداده ؟

في تقديري أنها تتركز في أمور خمسة :

١ ــ التربية بالقدوة .

٢ ــ التربية بالعادة .

٣ ــ التربية بالموعظة .

٤ ــ التربية بالملاحظة .

٥ ــ التربية بالعقوبة .



١- التربية بالقدوة

القدوة في التربية هي من أنجع الوسائل المؤثرة في إعداد الولد خلقياً . وتكوينه نفسيا واجتماعيا .. ذلك لأن المربي هو المثل الأعلى في نظر الطفل . والأسوة الصالحة في عين الولد . يقلده سلوكياً . ويحاكيه خلقياً من حيث يشعر أو لايشعر .. بل تنطبع في نفسه وإحساسه صورته القولية والفعلية والحسية والمعنوية من حيث يدري أو لايدري !! ..

ومن هنا كانت القدوة عاملا كبيرا في صلاح الولد أو فساده : فإن كان المربي صادقاً أميناً خلوقاً كريماً شجاعا عفيفا .. نشأ الولد على الصدق والأمانة والخلق والكرم والشجاعة والعفة .. ، وإن كان المربي كاذباً خائنا متحللاً بخيلا جبانا نذلا .. نشأ الولد على الكذب والخيانة والتحلل والجبن والبخل والنذالة ..

ان الولد مهما كان استعداده للخير عظيماً . ومهما كانت فطرته نقيّةً سليمة .. فانه لايستجيب لمبادىء الخير . وأصول التربية الفاضلة ما لم يرَ المربي في ذروة الأخلاق . وقمة القيم . والمثل العليا ... من السهل على المربي أن يلقّن الولد منهجاً من مناهج التربية . ولكن من الصعوبة بمكان أن يستجيب الولد لهذا المنهج حين يرى من يشرف على تربيته . ويقوم على توجيهه غير متحقّق بهذا المنهج . وغير مطبق لأصوله ومبادئه !..

ومن هنا كان تقريع شاعرنا العربي أليماً في المعلم الذي يخالف فعلهُ قولَه

يا أيها الرجُل المعلّم غيرَه
هلاّ لنفسك كان ذا التعليمُ

تصف الدواء لذي السقام وذي الضنى
كيما يصح به وأنت سقيم

ابدأ بنفسك فانْهَهَا عن غيّها
فإذا انتهت عنه فأنتَ حكيم

فهناك يُقبَل ما وعظت ويُقتدى
بالعلم منك ويَنفع التعليم

ولقد علم الله سبحانه ــ وهو يضع لعباده المنهج السماوي المعجز ــ أن الرسول المبعوث من قبله بأداء الرسالة السماوية لأمة من الأمم، ينبغي أن يكون متصفاً بأعلى الكمالات النفسية والخلُقية والعقلية .. حتى يأخذ الناس عنه، ويقتدوا به . ويتعلموا منه ؛ ويستجيبوا اليه . وينهجوا نهجه في المكارم والفضائل والخلق العظيم ...

ومن أجل هذا كانت النبوة تكليفية ولم تكن اكتسابية . لأن الله سبحانه أعلم حيث يجعل رسالته ؛ وهو أدرى بمن يصطفي من البشر ليكونوا رسلا مبشرين ومنذرين !.

لذلك بعث الله محمداً (صلى الله عليه وسلم) ليكون للمسلمين على مدار التاريخ القدوة الصالحة . وللبشرية في كل زمان ومكان السراج المنير . والقمر الهادي ..

« لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة .. » (الأحزاب : ٢١).

« يا أيها النبي انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا ، وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا » (الأحزاب : ٤٥ ــ ٤٦) .

ووضع الله سبحانه في شخص محمد عليه الصلاة والسلام الصورة

الكاملة للمنهج الاسلامي ، ليكون للأجيال المتعاقبة الصورة الحية الخالدة في كمال خلقه وشمول عظمته ..

سئلت السيدة عائشة رضي الله عنها ، عن خلق رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، فقالت : « كان خلقه القرآن » .

إنها لإجابة دقيقة مختصرة شاملة ، ضمت في معانيها منهج القرآن الشامل ، ومبادىء الأخلاق الفاضلة .. حقاً إن النبي (صلى الله عليه وسلم) كان الترجمان الحي لفضائل القرآن ، والصورة المتحركة لتوجيهاته الخالدة !..

من يستطيع أن يحوم حول حماه ، أو يصل الى نقطة من بحره العظيم ؟

يكفيه عليه الصلاة والسلام فخرا وشرفاً وخلوداً أن يعلن عن نفسه أن الله سبحانه صنعه على عينه ، وأدبه فأحسن تأديبه ليكون دائماً كالعافية للأبدان ، والشمس للاكوان ، والبدر المتألق في بحار الظلمات .

روى العسكري وابن السمعاني عن النبي (صلى الله عليه وسلم) أنه قال : « أدبني ربي فأحسن تأديبي »[1] .

ومما يدل على تأديب الله له ، وأنه صلى الله عليه وسلم محوط بالعناية الربانية اتصافه بصفات النبوة الأساسية قبل النبوة وبعدها .

فمن المعلوم يقيناً أنه صلى الله عليه وسلم لم يقترف إثماً من آثام الجاهلية بل كان معروفاً بالمتعفف الطاهر .

أما من ناحية صدقه وأمانته فكانت الجاهلية تناديه بالصادق الأمين . وهي التي قالت له في مجمع كبير من الناس : ما جربنا عليك كذباً .

---

(١) الحديث في سنده ضعف ولكن معناه صحيح .

أما من ناحية ذكائه وفطانته فكان لايدانيه أحد . ويكفيه عليه الصلاة والسلام شرفاً وفخراً وخلوداً أن استطاع بتدبيره وحكمته أن يضع لقومه الحل المناسب في وضع الحجر الأسود . وأن يخلّص الناس من حرب طاحنة مدمّرة لايعلم مداها إلا الله وحده .

أما من ناحية تبليغ الدعوة فكان عليه الصلاة والسلام لايطيب له نوم . ولا يهنأ له عيش . ولا يرتاح له بال .. حتى يرى الأمة قد استجابت لدعوة الاسلام . ودخلت في دين الله . وكثيراً ما كانت الآيات تنزل حاضّة النبي صلى الله عليه وسلم على أن يخفف من همه وحزنه . ويهدّىء من حركته وتبليغه حتى لاتذهب نفسه حسرات . وحتى لايتعرض جسمه للهلاك . فمن هذه الآيـــات :

- « **فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث اسفا** » (الكهف : ٦) .

- « **انك لاتهـدي من احببت ولكن الله يهدي من يشـــاء** » (القصص : ٥٥).

- « **فلا تذهب نفسك عليهم حسرات** » (فاطر : ٨).

ومع كل هذا كان عليه الصلاة والسلام مضرب المثل في صموده وثباته. وصبره واحتماله ومثابرته وجهاده . وهكذا الرسل من أولي العزم يجهدون ويجاهدون حتى يروا أقوامهم دخلوا في دين الله أفواجاً !..

★ ★ ★

أما القدوة التي أعطاها النبي صلى الله عليه وسلم في مجال العبـــادة والأخلاق فقد بلغت في مراتبها أعلاها . وكلما توالت الدهور . وتعاقبت

العصور . وجد الناس في عبادة النبي صلى الله عليه وسلم وأخلاقه الشاملة المثل الكامل ؛ والأسوة الصالحة ؛ والمنار الهادي .

اما عن **قدوة العبادة** فقد روى البخاري ومسلم عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوم من الليل حتى تتورّم قدماه . ولما قيل له : أليس قد غفر الله لك ماتقدم من ذنبك وما تأخر ؟ قال : « أفلا أكون عبداً شكوراً ؟ » .

وأخرج الشيخان عن علقمة قال : سألت عائشة رضي الله عنها : أكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخصّ شيئاً من الأيام (يقصد الزيادة في العبادة) قالت : لا . كان عمله دِيْمَة (أي دائماً مستمراً) . وأيّكم يطيق ما كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يطيق ..

وهكذا فقد تعلق قلب النبي (صلى الله عليه وسلم) بالله . وشغف بالعبادة والمناجاة .. فهو يقوم الليل . ويصرف فيها جزءاً من النهار . ويجد في الصلاة لذته. وفي العبادة قرّة عينه .. وينهى أصحابه أن يقلدوه ويتأسّوا به فيما لاطاقة لهم به .

تقول عائشة رضي الله عنها : كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يدع العمل وهو يحب أن يعمل به . خشية أن يعمل الناس به فيفرض عليهم .

ويروي أنس أن النبي (صلى الله عليه وسلم) واصَلَ : أي صام مواصلا الليل بالنهار . والنهار بالليل يومين أو ثلاثة . وكان ذلك في آخر رمضان . فواصل الناس معه فبلغه ذلك . فقال : « لو مُدّ لنا الشهر لواصلنا وصالا يدع له المتعمّقون « أي المبالغون » تعمّقهم . إني لست مثلكم . اني أظلّ يطعمني ربي ويسقيني « أي يعينني ويقويني » .

وكيف لايكون (صلى الله عليه وسلم) في أعلى مراتب العبادة وهو المنفّذ لكل ما أمره الله به من تهجّد وعبادة وتسبيح وذكر ودعاء ..

« يا أيها المزمل قم الليل الا قليلاً نصفه أو انقص منه قليلا ، أو زِدْ عليه ورتل القرآن ترتيلا ، انا سنلقي عليك قولا ثقيلا ، إن ناشئة الليل هي أشدّ وطئاً وأقوم قيلاً » . (المزمل : ١ ــ ٦)

ــ **« ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا »** (الاسراء : ٧٩)

ــ **« واذكر اسم ربك بكرة وأصيلا ومن الليل فاسجد له وسبحه ليلا طويلا »** (الدهر : ٢٦)

أما عن قدوة(١) الأخلاق الفاضلة فحسبي أنأذكر ولو أنموذجاً واحدا عن كل مايتصل بأخلافه الشريفة ، وجوانب عظمته الشاملة سواء ما يتعلق بالكرم والزهد ، أو ما يرتبط بالتواضع والحلم ، أو مايختص بالقوة والشجاعة . أو ما يتصل بحسن السياسة والثبات على المبدأ ..

اما عن قدوة الكرم فكان عليه الصلاة والسلام يعطي عطاء من لايخشى الفاقة ، وكان أجود بالخير من الريح المرسلة ، وكان أجود ما يكون في رمضان .

روى الحافظ أبو الشيخ عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : لم يُسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً قط على الاسلام الا أعطاه . وان رجلا أتاه فسأله ، فأعطاه غنما بين جبلين . فرجع الى قومه . فقال : أسلموا ، فان محمدا يعطي عطاء من لايخشى الفاقة .

وعن أنس : « ما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً قط . قال : لا » .

اما عن قدوة الزهد فيقول عبد الله بن مسعود : دخلت على الرسول

---

(١) بحث القدوة في الأخلاق مقتبس معظمه من كتابنا «حتى يعلم الشباب» مع بعض **التصرف** .

صلى الله عليه وسلم وقد قام على حصير ، وقد أثّر في جنبه الشريف ، فقلت : يا رسول الله ، لو اتخذنا لك وطاء تجعله بينك وبين الحصير يقيك منه ! ، فقال : « مالي وللدنيا ، ما أنا والدنيا الا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها » . وهو القائل : « اللهم اجعل رزق آل محمد كفافاً » .

وروى ابن جرير عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : « ما شبع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) من خبز بُرٍّ (حنطة) ثلاثة أيام تباعاً منذ قدم المدينة حتى مضى لسبيله » .

وأخرج أحمد عن أنس رضي الله عنه قال : إن فاطمة رضي الله عنها ناولت النبي صلى الله عليه وسلم كسرة من خبز الشعير ، فقال لها عليه الصلاة والسلام : « هذا أول طعام أكله أبوك منذ ثلاثة أيام » .

وكيف لايكون عليه الصلاة والسلام في أعلى مراتب الزهد ، وهو المنفّذ لما أراده الله منه ، وما خاطبه به :

« ولاتمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى » (طه : ١٣١)

وعلينا ألا نفهم أنه صلى الله عليه وسلم كان زاهدا لفقر أو ضيق يد أو قلة طعام .. ولو أراد عليه الصلاة والسلام مباهج الحياة ، والاكثار من الطيبات ، والتمتع بزهرة الحياة الدنيا لجاءته الدنيا طائعة صاغرة راغبة .. ولكن أراد من زهده وتعففه عليه الصلاة والسلام أمورا وأمورا أذكر أظهرها وأهمها :

● أراد أن يعلم الأجيال المسلمة بزهده معنى التعاون والبذل والايثار ..

روى البيهقي عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : « ما شبع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة أيام متوالية ولو شئنا شبعنا ولكنه يُؤْثِر على

نفسه » . وسبق أن ذكرنا أنه عليه الصلاة والسلام كان يعطي عطاء من لايخشى الفاقـــة .

● أراد أن تتأسى الاجيال المسلمة بالعيش الكفاف القنوع .. مخافة أن تقعدهم زهرة الحياة الدنيا وفتنتها عن واجب الدعوة وإعلاء كلمة الله : ومخافة أن تبسط عليهم الدنيا فتهلكهم كما أهلكت من كان قبلهم .

● أراد أن يُفهم الذين في قلوبهم مرض من منافقين وأعداء وكفّار .. أنه ما أراد من دعوته التي كان يدعو الناس اليها جمع المال . ولا المظاهر الفانية . ولا الدنيا الزائلة . ولا النعيم . ولا الترف . ولا أن يصطاد الدنيا باسم الدين .. وانما أراد التماس الأجر من الله وحده . وأن يلقى الله عز وجل وليس عنده من حطام الدنيا شيء . وشعاره وشعار الانبياء من قبل :

« ويا قوم لا أسألكم عليه مالا ان أجري الا على الله »

(هود : ٢٩)

أما عن قدوة التواضع فقد اجمـــع من عاصر النبي (صلى الله عليه وسلم) واجتمع به أنه صلوات الله عليه كان يبدأ أصحابه بالسلام . وينصرف بكليته الى محدثه صغيراً كان أو كبيراً ؛ وكان آخر من يسحب يده اذا صافح . واذا أقبل جلس حيث تنتهي بأصحابه المجلس . وكان يذهب الى السوق . ويحمل بضاعته ويقول : أنا أولى بحملها . ولم يتكبر عن عمل الأجير والصانع سواء كان فى بناء مسجده الشريف أو في حفر الخندق .. وكان يجيب دعوة الحر والعبد والأمة . ويقبل عذر المعتذر . وكان يرقع ثوبه . ويخصف نعله . ويخدم في مهنة أهله . وكان يَعْقِل بعيره . ويأكل مع الخادم . ويقضي حاجة الضعيف والبائس . ويجلس على الأرض ... -

وكيف لايكون عليه الصلاة والسلام بهذا التواضع الجمّ وقد أنزل الله عليه قولـــه :

« **واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين** » (الشعراء : ٢١٥)

أما عن قدوة الحلم فقد بلغ عليه الصلاة والسلام أعلاها سواء أعن حلمه فيما كان يلقاه من جفوة الأعراب أم فيما عامل به ــ بعد النصر ــ غطرسه الأعــداء ..

اما عن حلمه فيما كان يلقاه من جفوة الأعراب فحسبي أن أذكر هذا المثل من أمثلة كثيرة لها في السيرة ذكر : روى الشيخان عن أنس رضي الله عنه قال : كنت أمشي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه بُرْدٌ نجراني غليظ الحاشية ، فأدركه أعرابي فجبذه بردائه جبــذة شديدة ، فنظرتُ الــى صَفْحة عاتق[1] النبي صلى الله عليه وسلم وقد أثرت به حاشية البــرد من شدة جبذته ، ثم قال : يامحمد مُرْ لي من مال الله الذي عندك ، فالتفت إليه فضحك ثم أمر له بعطاء .

واما عن حلمه فيما عامل به الاعداء بعد النّصر فحسبنا أن ننظر الى معاملته لأهل مكة الذين أسرفوا في إيذائه ، وأمعنوا في اضطهاده ، وأخرجوه من بلده . وتآمروا على قتله . وقذفوه بكل بهتان من القول وزور .. لتتجلى لكل ذي عينين نفسه الكريمة في مرآة عفوه وصفحه الجميل .. (انظروا إليه فاتحاً في جيش كبير لم تر جزيرة العرب مثله يكتسح مكة ، وتطؤها خيله .. انظروا اليه والبلاد في رحمته يشملها عفوه ، والسادة والزعمــاء الذين عتوا في الأرض . وفعلوا مع الرسول صلى الله عليه وسلم الأفاعيــل يجزون بالبر والاحسان ، ويعاملون بالعفو والصفح الجميل . وحكام الأرض لاتعرف لأمثالهم غير قطع الرؤوس)[2]. فما كان منه عليه الصلاة والسلام

---

(١) العاتق : ما بين العنق والكتف .

(٢) من كتاب بطل الابطال لعبد الرحمن عزام ص ٥٥ .

إلا أن جسعهم ومنّاهم وآمّنَهم •• وقال لهم قولته الخالدة : « ماترون أني فاعل بكم ؟ قالوا : أخ كريم . وابن أخ كريم ، قال : اذهبوا فأنتم الطلقاء » •

وكيف لا يكون عليه الصلاة والسلام في هذه المنزلة العالية من الحلم، وقد أنزل الله عليه في محكم تنزيله :

« خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين » (الاعراف : ١٩٩)

« فاصفح الصفح الجميل » (الحجر : ٨٥)

أما عن قدوة القوة الجسدية فقد أعطى لأبطال المصارعة ، وأصحاب العزائم المتينة المثل الأعلى في القـوة والبأس ومضاء العزم ••

وكيف لا . وقد صرع عليه الصلاة والسلام سيد المصارعين ركانة ثلاث مرات . وقال له بعد الثالثة أشهد أنك رسول الله ؟ •

وكيف لا . وقد تصدّى عليه الصلاة والسلام لأبيّ بن خلف في معركة أحد بحربة سددها على صدره . فسقط عن الفرس وهو يغالب الألم ويقول: لو بصق عليّ محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ لقتلني ؟ وكيف لا ، وقد كان الصحابة رضوان الله عليهم يلجؤون اليه عند حفر الخندق لتفتيت صخرة كبيرة لم تعمل فيها السواعد ولا الفؤوس ؟

وكيف لا . وقد كان الصحابة رضوان الله عليهم يلوذون به صلى الله عليه وسلم لما كانوا يعلمون من رباطة جأشه . وقوة جسمه . ومتانة أعصابه••؟

وكيف لايكون عليه الصلاة والسلام في أعلى مراتب القوة وهو القائل: « المؤمن القوي خير وأحب الى الله من المؤمن الضعيف ••• » رواه مسلم•

وكيف لايعطي عليه الصلاة والسلام لغيره جانب القدوة في قوة الجسم ورسوخ العزيمة ، وقد أنزل الله عليه في صريح آياته :

« وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة » (الانفال : ٦٠)

أما عن قدوة الشجاعة فقد كان لايضاهيه أحد : (وهاكم حادثتين هما عندي المثل الأعلى في شجاعة المحارب :

أ ــ فزع أهل المدينة ليلة ، فانطلق ناس قِبَلَ صوتٍ ، فتلقاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقد سبقهم الى ذلك الصوت ، واستبرأ الخبر على فرس عُرْيٍ لأبي طلحة ، والسيف في عنقه وهو يقول لن تُراعُوا ..

ب ــ ويوم حُنَيْن وقف عليه الصلاة والسلام على بغلته ، والناس يفِرّون عنه وهو يقول :

أنا النبيّ لا كَذِبْ أنا ابن عبد المطلب

فما رُئيَ أحد يومئذ كان أثبت منه ولا أقرب للعدو .

ولقد اخترت هاتين الحادثتين من تاريخ طويل لأن الأولى منهما هبّ فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم الى مكان الخطر قبل أن يتحرك الناس، وفي الثانية ثبت عليه الصلاة والسلام في مكان الخطر وقد فرّ عنه الناس . والذين لهم علم بالحرب يعرفون أنه بهذين الموقفين تُمتحن الشجاعة ، ويُعرف الابطال : فليس أصعب على النفس من السبق الى الخطر ، ولا من الصبر عليه ؛ وقد استولى الخوف ، وغلب الرعب)[1] ...

---

(١) من كتاب بطل الابطال « شجاعته » عليه الصلاة والسلام لعزام .

وكيف لايكون عليه الصلاة والسلام شجاعاً مقداماً في أخطر المواقف وقد أنزل الله عليه في محكم آياته :

« فقاتل في سبيل الله لاتكلف الا نفسك وحرض المؤمنين ... »

(النساء : ٨٤)

« اتخشونهم فالله احق أن تخشوه ان كنتم مؤمنين » .

(التوبة : ١٣)

أما عن قدوة حسن السياسة فقد كان فيها مضرب المثل للناس جميعاً صغيرهم وكبيرهم ، مؤمنهم وكافرهم ، عامتهم وخاصتهم .. ولقد أوتيَ عليه الصلاة والسلام النجاح في كل شيء لما فُطر عليه من أخلاق كريمة ، وما أُعطيه من حسن السياسة ، ووضع الأمور في نصابها .

واليكم هذا المثل العظيم من أمثلة كثيرة دوّنها التاريخ في ثناياه لتعرفوا السياسة الحكيمة التي كانت تنساب من فطانته وخلقه العظيم عليه الصلاة والسلام :

لما أعطى النبي صلى الله عليه وسلم بعد حنين قريشاً وقبائل العرب ، ولم يعط الأنصار شيئاً كثرت من الأنصار القالة (الكلام) حتى قال بعضهم : لقي والله الرسول قومه ! فجمعهم النبي (صلى الله عليه وسلم) ثم قال : يا معشر الانصار ، ما قالة بلغتني ، وَجِدَة وجدتموها على أنفسكم ، ألم آتِكم ضلّالاً فهداكم الله ، وعالة (فقراء) فأغناكم الله ، وأعداء فألّف بين قلوبكم ؟ قالوا : بل الله ورسوله أمَنّ وأفضل .. ثم قال : ألا تجيبون يا معشر الأنصار ؟ فقالوا : بماذا نجيب ؟ لله ورسوله المنّ والفضل !.. قال : أما والله لو شئتم لقلتم فلَصَدَقْتُم وصُدِّقتم : أتيتنا مكذَّباً فصدّقناك ، ومخذولا فنصرناك ،وطريداً فآويناك ، وعائلا فآسيناك . أوَجِدْتُم يا معشر

الأنصار من لعاعة (من بقيـــة) من الدنيا ، تألّفتُ بها قوماً ليسلموا ، ووكلتكم الى إسلامكم ؟ ألا ترضون أن يذهب الناس بالشاة والبعير ، وترجعوا برسول الله الى رحالكم ؟! فوالذي نفس محمد بيده ! ، لولا الهجرة لكنت امرءاً من الانصار ولو سلك الناس شِعْباً ، وسلك الانصار شعباً لسلكت شِعْبَ الأنصار ، اللهم ارحم الأنصار ، وأبناء الانصار ، وأبناء أبناء الأنصار !» فبكى القوم حتى أخضَلُوا لِحاهم (أي ابتلّت بالدموع) وقالوا : رضينا برسول الله قَسْماً وحظاً !..

هذه الكلمات الصادقة المخلصة التي انبعثت من قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم وترجمها لسانه أخذت بمجامع قلوب الانصار ، وصعـــدت بنفوسهم الى مرتبة الملائكة ، وقتلت الفتنة في مهدها ، وحركت نفوسهم لمعرفة الحق ، وتبيان الحكمة .. تفسّر لنا هذه الكلمات كيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجمع الناس الى مصلحة الاسلام العليا ، وغرض نصر الاسلام وعزّه ، وغاية تأليف القلوب ..، لتتحقق للمسلمين وحدتـــهم الكبرى تحت ظلال التوحيد وراية الاسلام .

ولو لم يتصف النبي صلى الله عليه وسلم بهذه الصفات الفاضلة . ولو لم يَهَبْه الله هذه الفطانة وحسن الذوق السياسي المؤلّف لمـا استطاع عليـــه الصلاة والسلام أن يقيم في المدينة دولة الاسلام ، ولما دانت له الجزيـــرة العربية بالحب والولاء ..

وكيف لايكون عليه الصلاة والسلام قدوة طيبة في حسن سياسته ، وفي كريم معاملته .. وهو الممتثل لأمر ربه في هذه السياسة التي انتهجها ، وتلك المعاملة التي تميّز بها ...

اسمعوا الى تذكير ربه له ومخاطبته إياه :

« فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك ، فاعف عنهم واستغفر لهم ، وشاورهم في الأمر فاذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين » (آل عمران : ١٥٩)

أما عن قنوة الثبات على المبدأ فانها كانت صفة بارزة من صفاته عليه الصلاة والسلام . وخلقاً أصيلا من أخلاقه صلى الله عليه وسلم ، ويكفي في هذا المجال أن نذكر موقفه العظيم مع عمه أبي طالب حين ظن عليه الصلاة والسلام أن عمه مسلمه ، وخاذله ، ومتخل عن نصرته .. وهنا نقف لحظة لنستمع الى كلمات الحق والإيمان والثبات على المبدأ تتردد على لسان صاحب الرسالة الاسلامية الخالدة لتعلن الى الدنيا كيف يكون اليقين والثبات ، وكيف تكون التضحية والفداء ، وكيف يجب أن يكون الدعاة الى الله ؟ : « والله ياعم : لو وضعوا الشمس في يميني ، والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه » ، ثم قام عليه الصلاة والسلام واستعبر باكياً ، فلما رأى عمه عزمه الصادق ، وثباته الراسخ في المضي في طريق الدعوة غير مكترث بأحد ولا عابىء بإنسان ، ناداه وقال له : اذهب يا ابن أخي فقل ما أحببت ، فوالله لا أسلمك لشيء أبداً ثم أنشد :

والله لن يصلوا إليك بجمعهم
حتى أوسد في التراب دفينا

فاصدع بأمرك ماعليك غضاضة
وابشر بذاك وقر منه عيونا

ودعوتني وزعمت أنك ناصحي
ولقد صدقت وكنت ثم أمينا

وعرضت ديناً لا محالة أنه
من خير أديان البرية دينا

لولا الملامةُ أو حذارُ مَسَبّةٍ
لوجـدتني سَمْحاً بذاك مُبينا

فأي ثبات على العقيدة والمبدأ أعظم من هذا الثبات ؟ وأي امتحان للايمان أكبر من هذا الامتحان ؟ لو لم يكن لنبينا عليه الصلاة والسلام إلا هذا الموقف لكفاه على مدى الزمان وتعاقب الأجيال فخراً وشرفاً وخلوداً !.

وكيف لايكون عليه الصلاة والسلام متصفاً بهذه الصفة البارزة المتميزة من الصمود والثبات وقد أنزل الله عليه في محكم الآيـات :

« فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل » (الاحقاف : ٣٥)

وانزل : « أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا مـن قبلكم مستهم الباساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ؟ الا ان نصر الله قريب » . (آل عمران : ١٩٥)

هذا الذي ذكرناه عن أخلاق النبـي صلى الله عليـه وسلم وصفاته ، ما هو في الحقيقة الا رشفة قليلة من فيض عظمته صلوات الله وسلامه عليه ، وغرفة يسيرة من بحر كمالاته عليه الصلاة والسلام !.

هل يستطيع أحد أن يحصي فضائل هذا النبي العظيم ، وأن يحيط بمزاياه الكريمة بعد أن وصفه الله سبحانه بهذا الوصف الرائع . وخصّه بهذا النعت الخالد : **« وإنك لعلى خلق عظيم »** .

ورحم الله البوصيري حين قال :

دع ماادّعته النصـارى في نبيِّهم
واحكُمْ بما شئتَ مدحاً فيه واحتكم

وانسُب الى ذاته ما شئتَ من شرف
وانسب الى قدْره ماشئت من عِظَمِ

فإن فضْل رسول الله ليس لـه
حَدٌ فيُعْرِبَ عنـه ناطق بفَـمِ

فمبلـغُ العلـم فيـه أنه بَشَـر
وأنـه خـير خَـلْق الله كلِّهِـم



وإذا كان الله سبحانه قد خصّ نبيه عليه الصلاة والسلام بهذا الخلُق العظيم ، وميّزه بهـذه الأسوة الحسنة .. فمن الطبيعي أن تنجـذب القلوب لـه ، وأن تتأسى النفوس به ، وأن يجد الناس في شخصية النبي صلى الله عليه وسلمْ القدوة الكاملة ، والمثل الأعلى في كل ما يرتبط بحياتهم الدينية والدنيوية والاجتماعية .. بل كان الذين عاينوا عصر النبي صلى الله عليه وسلم واجتمعوا بالرسول عليه الصلاة والسلام من أقوى الذين شغفوا به إيماناً وحباً ، بـل لاصبر لهم إذا لم يشهدوا مُحيَّـاه ولا تطيب نفوسهـم اذا لم تكتحل عيونهم برؤياه ، لشدة شغفهم به ، ومحبتهم إياه ؛ روى الامام البغوي عن ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان شديد الحبّ لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، قليل الصبر عنه ، فأتاه ذات يوم وقد تغيّر لونه ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما غيَّر لونك ؟ فقال : يارسول الله مابي مرض ولاوجع ، غير أني إذا لم أرَكَ استوحشت وحشة شديدة حتى ألقاك ، ثم ذكرتُ الآخرة فأخاف أن لاأراك ، لأنك ترفع مع النبيّين ، وإني إن دخلت الجنة فأنا في منزلة أدنى من منزلتك ، وإنْ لم أدخل الجنة لا أراك أبداً ، فنزلت الآية :

« ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، وحسن أولئك رفيقا » .

وكان من نتيجة هذه المحبة القلبية المخلصة أن آثروا محبة النبي صلى الله عليه وسلم على محبتهم لأنفسهم ؛ ومن ذلك : قصة زيد بن الدَّثِنَة كما رواها البيهقي عن عروة قال : لما أخرج المشركون زيد بن الدثنة من الحرم ليقتلوه بالتنعيم، وقد اجتمع في الطريق خبيب بن عديّ الأنصاري ، وزيد بن الدثنة ، فتواصيا بالصبر والثبات على ما يلحقهما من المكاره ؛ قال أبو سفيان ــ وهو يومئذ مشرك ــ قال لزيد بن الدثنة : أنشدك بالله يازيد : أتحبّ أن محمداً الآن عندنا مكانك ، تُضْربُ عنقه ، وأنك في أهلك ، فقال له زيد : والله ما أحبّ أن محمداً الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة ، وأني جالس في أهلي ! فقال أبو سفيان :

« ما رأيت أحـدا مـن الناس يحب أحدا كحب أصحاب محمد محمدا »!.

فقد آثر زيد أن يُقتَل ، ولايُصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بأقل شيء من الأذى .

قال الحافظ الزرقاني : وفي رواية : أنهم ناشدوا خُبيباً ، فقال : والله ما أحبّ أن يفديني رسول الله صلى الله عليـه وسـلم بشوكة في قدمه !.

ومن ذلك : ما رواه البيهقي وابن اسحق أن امرأة من الأنصار قد قُتل أبوها وأخوها وزوجها شهداء يوم أحد ، فقالت لما أُخبرت بذلك : ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ (تسأل عن سلامته) قالوا : خيراً هو بحمد الله كما تحبين ! فقالت : أرونيه حتى أنظر اليه ، فلما رأته قالت : « كلُّ مصيبة بعدك جلَل » أي بعد سلامتك هيّنة .

من هذا المنطلق الوجداني من الحب والـولاء والتفاني .. تأسّى

أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بنبيهم لأنهم وجدوا فيه المثل الأعلى في العبادة والأخلاق ، وحسن القدوة في الملاطفة والمعاملة .. وهكذا تعمل الأسوة الحسنة عملها في النفوس ، وتترك أثرها الطيب في التكوين والتربية والاعداد ..

ومن أراد أن يعرف شيئاً عن تأسي أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بنبيهم ، وعن أثره صلوات الله وسلامه عليه في نفوسهم ، وعن التحوّل الذي أحدثه في واقعهم .. فليستَقْرِ التاريخ ليسمع الكثير عن جميل مآثرهم ، وكريم فضائلهم .. (فهل عرفت الدنيا أنبل منهم وأكرم ، أو أرأف أو أرحم ، أو أجلّ أو أعظم ، أو أرقى أو اعلم ؟

يكفيهم شرفاً وفخراً وخلوداً أن يقول القرآن العظيم فيحقهم :

« محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم .. »

(الفتح : ٢٩)

ويقول : « كانوا قليلا من الليل ما يهجعون ، وبالأسحار هم يستغفرون »

(الذاريات : ١٧)

ويقول : « تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا ، سيماهم في وجوههم من أثر السجود » . (الفتح : ٢٩)

ويقول : « والذين تبوؤوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولايجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ، ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة .. » (الحشر : ٩)

ويقول : « من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، فمنهم من قضى نحبه ، ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا »

(الاحزاب : ٢٣)

هذا غيض من فيض مما نزل في كريم مآثرهم ، وجميل محامدهم ، وقد تحقق بهم فعلا إقامة المجتمع الفاضل الذي كان حلم المفكرين ، وأمنية الفلاسفة منذ القدم •• وكيف لا والقاضي يجلس بينهم سنتين ولايتخاصم اليه اثنان ؟ ولماذا يتخاصمون وبين أيديهم القرآن ؟ ولماذا يختلفون وهم يحبون لإخوانهم مايحبون لأنفسهم ؟ ، ولماذا يتباغضون والرسول صلى الله عليه وسلم أمرهم بالمحبة والإخاء ، وحضهم على التعاطف والإيثار ؟

وإليكم ما قاله الصحابي الجليل « عبد الله بن مسعود » رضي الله عنه في تعداد محامدهم وفضائلهم ، ووجوب التأسي بأفعالهم الحميدة ، وأخلاقهم الكريمة •• : « من كان متأسّياً فليَتأسَّ بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإنهم كانوا أبرّ هذه الأمة قلوباً ، وأعمقها علماً ، وأقلها تكلفا ، وأقومها هدياً ، وأحسنها حالا •• اختارهم الله لصحبة نبيه صلى الله عليه وسلم ، وإقامة دينه ، فاعرفوا لهم فضلهم ، واتبعوهم في آثارهم ، فإنهم كانوا على الهدى المستقيم » •

وما زالت الأجيال المسلمة في كل زمان ومكان يرون من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم القدوة الصالحة في العبادة والأخلاق ، والشجاعة والثبات ، والعزم والمضاء ، والتعاطف والإيثار ، والجهاد ونيل الشهادة •• وما زال شباب الاسلام في كل عصر يستقون من معين فضائلهم، ويستضيئون بنور مكارمهم ، وينهجون في التربية نهجهم ، ويسيرون في بناء المجد سيرهم •• لكونهم خيرالقرون هدياً، وأفضلالعصور قدوة ••)[1]

---

(١) من مقدمة كتاب « تربية الاولاد في الاسلام » القسم الاول مع بعض التصرف .

وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم القائل ـ فيما رواه البيهقي والديلمي ـ : « أصحابي كالنجوم فبأيِّهم اقتديتم اهتديتم »[1] .



(من هذه القدوة الصالحة التي تجسدت في صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومَنْ تبعهم باحسان .. انتشر الاسلام في كثير من الممالك النائية ، والبلاد الواسعة البعيدة في شرق الدنيا وغربها ..

والتاريخ يسطر بملء الافتخار والاعجاب أن الاسلام وصل الى جنوب الهند وسيلان ، وجزر لكديف ومالاديف في المحيط الهندي ، والى التيبت والى سواحل الصين ، والى الفيليبين ، وجزر أندنوسيا ، وشبه جزيرة الملايو .. ووصل الى أواسط أفريقيا في السنغال ، ونيجيريا ، والصومال ، وتنزانيا ، ومدغشقر ، وزنجبار ، وغيرها من البلاد ..

وصل الاسلام الى كل هذه الأمم بواسطة تجار مسلمين ، ودعاة صادقين أعطوا الصورة الصادقة عن الاسلام في سلوكهم وأماناتهم ، وصدقهم ووفائهم .. ثم أعقب ذلك الكلمة الطيبة ، والموعظة الحسنة ، فدخل الناس في دين الاسلام أفواجاً ، وآمنوا بالدين الجديد عن اقتناع وايمان ورغبة .. ولولا أن يتميز هؤلاء التجار الدعاة بأخلاقهم ، ويعطوا القدوة بين أولئك الأقوام بصدقهم وأماناتهم ، ويعرفوا لدى الغرباء بلطفهم وحسن معاملتهم لما اعتنق الملايين من البشر هذا الاسلام ، ولما دخلوا في هديه ورحمته !!..

ونخلص مما تقدم الى أن التميز الخلقي المتمثل بالقدوة الصالحة هو

---

(٢) الحديث وان كان في سنده ضعف الا ان معناه صحيح لأن الصحابة ـ كما اجمع العلماء ـ كلهم عدول ، فبأيهم اقتدى المسلم اهتدى .

من أكبر العوامل في التأثير على القلوب والنفوس .. ومن أعظم الأسباب في نشر الاسلام في البلاد البعيدة ، والأصقاع المعمورة ، وفي هداية البشرية الى سبيل الايمان ، وطريق الاسلام ..

فما أجدر الجيل الاسلامي اليوم برجاله ونسائه ، وشيبه وشبّانه ، وكباره وصغاره ، أن يفهموا هذه الحقيقة ، وأن يعطوا لغيرهم القدوة الصالحة ، والأخلاق الفاضلة ، والسمعة الحسنة ، والمعاملة الطيبة ، والصفات الاسلامية النبيلة .. ليكونوا دائماً في العالمين أقمار هداية ، وشموس إصلاح ودعاة خير وحق ، وأسباب نشر وامتداد لرسالة الاسلام الخالدة !..)[1] .

إذن لابد من قدوة صالحة لنجاح التربية ، ونشر الفكرة !..

ولا بد من مثل أعلى ترنو إليه الأعين ، وتنجذب لجماله النفوس !..

ولابد من أخلاق فاضلة يستمد المجتمع منها الخير ، وتترك في الجيل أفضل الأثر !..

ومن هنا كان حرص النبي صلى الله عليه وسلم على أن يظهر المربي أمام من يقوم على تربيته بمظهر القدوة الصالحة في كل شيء حتى يتطبع الولد منذ نشأته على الخير ، ويتخلّق منذ نعومة أظفاره على الصفات الفاضلة النبيلة ..

واليكم نماذج من هديه عليه الصلاة والسلام في تنبيه المربي باعطاء القدوة :

● روى أبو داود والبيهقي عن عبد الله بن عامر رضي الله عنه قال :

---

(١) من كتابنا « حتى يعلم الشباب » ص ١١٩ مع بعض التصرف .

دعتني أمي يوماً ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم قاعد في بيتنا ، فقالت : يا عبد الله تعالَ حتى أُعْطِيَك .

فقال لها عليه الصلاة والسلام : ما أردتِ أن تعطيه ؟

قالت : أردت أن أعطيه تمراً .

فقال : أما أنك لو لم تعطيه شيئاً ، كُتِبَتْ عليك كذبة .

وعنه عليه الصلاة والسلام — فيما رواه أحمد وغيره — : « من قال لصبيٍّ : « تعال هاك (أي خذ) ثم لم يعطه فهي كذبة ! » » .

أليس يدل هذا الهدي النبوي على حرص النبي صلى الله عليه وسلم في أن يظهر المربي أمام من له في عنقه حق التربية بمظهر الصدق ، ليعطيهم في ذلك قدوة ؟!

● وروى البخاري ومسلم عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما أن أباه أتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : إني نحلت ابني هذا — أي أعطيته — غلاماً كان لي .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أكلّ ولد نحلتَه مثل هذا ؟

فقال : لا .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فارجعه .

وفي رواية : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أفعلت هذا بولدك كلهم ؟

قال : لا .

قال : اتقوا الله واعدلوا في أولادكم .

فرجع أبي فردّ تلك الصدقة .

وفي رواية : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يابشير ، ألك ولد سوى هذا ؟

فقال : نعم .

قال : أكلّهم وهبتَ له مثل ذلك ؟

قال : لا .

قال : فلا تشهدني إذن ، فإني لاأشهد على جور (أي ظلم) .

وفي رواية : أشهد على هذا غيري .

ثم قال : أيسرّك أن يكونوا إليك في البرّ سواء ؟

قال : بلى .

قال : فلا إذن .

أليس يدل هذا الهدي النبوي على حرص النبي صلى الله عليه وسلم في أن يظهر المربي أمام من له في عنقه حق التربية بمظهر العدل ، ليعطيهم في ذلك قدوة ؟

● وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت : قبّل رسول الله صلى الله عليه وسلم الحسن والحسين ابني علي رضي الله عنهم ، وعنده الأقرع بن حابس التميمي ، فقال الاقرع : إن لي عشرة ما قبّلت منهم أحداً قط ، فنظر إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال : « مَن لايَرحم ولايُرحم » .

وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت : جاء أعرابيّ الى رسول

الله صلى الله عليه وسلم فقال : إنكم تقبّلون الصبيان . وما نقبّلهم ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «أو أملِكُ أن نزع الله الرحمة من قلبك؟!» •

أليس يدل هذا الهدي النبوي على حرص النبي صلى الله عليه وسلم في أن يظهر المربي أمام مَن له في عنقه حق التربية بمظهر الرحمة ، ليعطيهم في ذلك قدوة ؟

وإذا نُزعت الرحمة من قلب المربي فهل تنفع التربية مع الولد ؟ وهل تجـدي معه وسائل التربية المؤثرة ؟ وهل يتقبل الموعظة ، وينشأ على مكارم الأخلاق ؟

الجواب : حتما • لا •

إذن فما على المربين إلا أن يسلكوا مع أبنائهم سبيل الرحمة ، وأن يتحققوا بها في حياتهم اليومية ، وواجباتهم الدعوية والتربوية ، لينشأ الولد على الأخلاق ، ويتربى على المكارم ، ويرضع لبان الأمجاد والبطولات ••

وفي تركيز نبي الاسلام صلوات الله وسلامه عليه على خُلُق الرحمة للأطفال أعطى للاجيال الاسلامية في كل زمان ومكان منها قدوة ، ليتأسّى بها الدعاة إلى الله والآباء والمربون في كل مِصْرٍ وعَصْرٍ !••

واليكم نماذج من رحمته (صلى الله عليه وسلم) بالأطفال :

آ ـ روى الترمذي وغيره عن عبد الله بن بريدة عن أبيه رضي الله عنهما قال : رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يخطب ، فجاء الحسن والحسين رضي الله عنهما ، وعليهما قميصان أحمران ، يمشيان ويعثران • فنزل النبي صلى الله عليه وسلم ، فحملهما ، ووضعهما بين يديه ثم قال « إنما أموالكم وأولادكم فتنة » ، نظرت الى هذين الصبيين يمشيان ويعثران ، فلم أصبر حتى قطعت حديثي ، ورفعتهما •

ب ــ روى النسائي والحاكم : بينما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي بالناس ، إذ جاءه الحسين ، فركب عنقه وهو ساجد ، فأطال السجود بالناس ، حتى ظنوا أنه قد حدث أمر . فلما قضى صلاته قالوا : قد أطلت السجود يارسول الله حتى ظنَنّا أنه قد حدث أمر . فقال : إن ابني قد ارتَحَلَني ــ أي جعلني كالراحلة فركب على ظهري ــ فكرهتُ أن أعْجِله حتى يقضي حاجته .

ج ــ وجاء في الإصابة :أنه صلى الله عليه وسلم كان يداعب الحسن والحسين رضي الله عنهما فيمشي على يديه وركبتيه ، ويتعلّقان به من الجانبين ، فيمشي بهما ويقول :

« نعم الجملُ جملكُما ، ونعم العِدلان أنتما » .

د ــ وفي الصحيحين عن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم لله قال : « إني لأدخل في الصلاة ، وأنا أريد إطالتها ، فأسمع بكاء الصبي ، فأتجوّز في صلاتي (أي أختصر) مما أعلم من وَجْدِ أمه من بكائه .

هـ ــ وفي الصحيحين عن أنس رضي الله عنه أنه عليه الصلاة والسلام مرّ على صبيان فسلّم عليهم ، وقال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعله .

و ــ وروى مسلم أن الناس اذا رأوا أول الثمر جاءوا به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإذا أخذه قال : « اللهم بارك لنا في ثمرنا ، وبارك لنا في مدينتنا ، وبارك لنا في صاعنا ، وبارك لنا في مُدّنا » .

ثم يدعو أصغر وليد له ، فيعطيه ذلك الثمر .

● وفي الصحيحين عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول : انطلق ثلاثة نفر ممن كان قبلكم ، حتى أواهم المبيت الى غار فدخلوه ، فانحدرت صخرة من الجبل فسدّت عليهم الغار .

فقالوا : إنه لاينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعُوا الله بصالح أعمالكم:

قال رجل منهم : اللهم كان لي أبوان شيخان كبيران ، وكنتُ لاأغبِقُ — أي لا أقدّم في الشرب — قبلهما أهلا ولا مالا .

فنأى بي طلب الشجر يوماً ، فلم أُرِحْ عليهما — أي لم أرجع اليهما — حتى ناما ، فكرهتُ أن أوقظهما ، وأن أغبق قبلهما أهلا أو مالا ، فلبثتُ والقدح على يدي أنتظر استيقاظهما حتى برق الفجر — أي ظهر ضوؤه — ، والصبْيَةُ يتضاغَوْن (أي يصيحون من الجوع) عند قدميّ . فاستيقظا فشربا غبوقهما .

« اللهم إن كنتُ فعلتُ ذلك ابتغاء وجهك ، ففرّج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة » ، فانفرجت شيئاً لايستطيعون الخروج منه[1] ...

أليس يدل هذا الهدي النبوي على حرص النبي صلى الله عليه وسلم في أن يظهر المربي أمام مَن له في عنقه حق التربية بمظهر البر للوالدين ، ليعطيهم في ذلك قدوة ؟.

وما معنى أن الصبية يتضاغون والقدح في يديه ؟ أليس معناه أن الأب صاحب قدوة في البر لأبويه أمام أولاده ؟

---

(١) النفر الثاني : صفته انه عف عن الزنى ، والنفر الثالث : صفته انه عف عن اكل أجرة الأجير ، فبفضل صالح أعمال النفر الثلاثة فرج الله عنهم الصخرة ، فخرجوا يمشون ، والحديث بتمامه موجود في « رياض الصالحين » : باب الاخلاص واحضار النية .

● وروى مسلم عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أُتي بشرابٍ فشرب منه ، وعن يمينه غلام ، وعن يساره أشياخ .

فقال للغلام : أتأذن لي أن أعطي هؤلاء ؟

فقال الغلام : لا والله ، لا أوثر بنصيبي منك أحداً !..

أليس يدل هذا الهدي النبوي على أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يعطي من نفسه القدوة في الملاطفة مع الصغار ، والتزام منهج الاسلام في أدب الشراب .. حتى يتأسى بهديه صلوات الله وسلامه عليه جيل الإسلام ؟!.

وهكذا كان عليه الصلاة والسلام يُعلّم من كان في عنقه حق التربية القدوة الصالحة في كل شيء حتى يؤخذ عنهم ، ويُتأسّى بهم ، ويتأثر الاولاد بأفعالهم الحميدة ، ومواعظهم المؤثرة ، وملاحظاتهم السديدة ، وتأديبهم الحكيم الشامل !...



والذي نخلص إليه بعد ما تقدم أن القدوة — في نظر الاسلام — هي من أعظم وسائل التربية ترسيخاً وتأثيراً .

فالطفل حين يجد من أبويه ومربّيه القدوة الصالحة في كل شيء فإنه يتشرّب مبادىء الخير ، ويتطبّع على أخلاق الاسلام ..

وحين يريد الابوان أن يتدرج طفلهما على خلق الصدق والأمانةوالعفة والرحمة ومجانبة الباطل .. فعليهما أن يعطيا من أنفسهما القدوة الصالحة في فعل الخير ، والابتعاد عن الشر ، في التحلي بالفضائل ، والتخلي عن

الرذائل ، في اتباع الحق ومجانبة الباطل ، في الإقدام نحو معالي الأمور . والترفع عن سفاسفها ..

إن الولد الذي يرى أبويه يكذبان .. لايمكن أن يتعلم الصدق !..

والولد الذي يرى أبويه يغشّان أو يخونان .. لايمكن أن يتعلم الأمانة !

والولد الذي يرى أبويه في ميوعة واستهتار .. لايمكن أن يتعلم الفضيلة !

والولد الذي يسمع من أبويه كلمات الكفر والسب والشتيمة لايمكن أن يتعلم حلاوة اللسان !

والولد الذي يرى من أبويه الغضب والعصبية والانفعال .. لايمكن أن يتعلم الاتزان !.

والولد الذي يرى من أبويه القسوة والجفاء .. لايمكن أن يتعلم الرحمة والمودة !..

وهكذا ينشأ الولد على الخير ، ويتربى على الفضيلة والاخلاق .. إذا وجد من أبويه القدوة الصالحة .. وبالتالي فإن الولد يتدرّج نحو الانحراف ، ويمشي في طريق الكفر والفسوق والعصيان .. إذا وجد من أبويه القدوة الفاسقة ..

وهل يُرجى لأطفالٍ كمالٌ
إذا ارتضعوا ثُديَّ الناقصاتِ ؟

ولايكفي أن يعطي الأبوان للولد القدوة الصالحة ، وهما يظنان أنهما أدّيا ما عليهما ، وقاما بواجبهما .. بل ينبغي أن يربطا ولدهما بصاحب

القدوة عليه الصلاة والسلام ، وذلك بتعليم الولد مغازي النبي صلى الله عليه وسلم ، وسيرته العطرة ، وأخلاقه الكريمة تحقيقاً لقوله عليه الصلاة والسلام — فيما رواه الطبراني — : « أدّبوا أولادكم على ثلاث خصال : — منها — حبّ نبيّكم ، وحب آل بيته ... » .

يقول سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه : « كنا نعلّم أولادنا مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم كما نعلّمهم السورة من القرآن » . ليتطبع الولد بصفات المكارم والكمال ، وينسبّ على خلق الشجاعة والإقدام .. حتى إذا تعقّل وبلغ سن الرشد ما عرف قائداً ولا قدوة ولا زعيماً ولا مثلا أعلى .. سوى محمد عليه الصلاة والسلام .

وينبغي على الابوين كذلك أن يربطا ولدهما بقدوة الرعيل الاول من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والسلف الصالح ، ومن تبعهم بإحسان تحقيقاً لقوله تبارك وتعالى :

((أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده)) (الانعام : ٩٠)

وتحقيقاً لقوله عليه الصلاة والسلام — فيما رواه البيهقي والديلمي : « أصحابي كالنجوم فبأيّهم اقتديتم اهتديتم » .

وسبق أن ذكرنا كلام عبد الله بن مسعود رضي الله عنه القائل : « من كان متأسياً فلْيتأسّ بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ... » .

ليتخلّق الولد بأخلاق هذه الصفوة المختارة (الذين كانوا أبرّ هذه الأمة قلوباً ، وأعمقها علماً ، وأقلها تكلّفاً ، وأقومها هدياً ، وأحسنها حالاً ..) حتى يعرف لهم فضلهم ، ويتّبعهم في آثارهم ، ويتعلق قلبه بمحبتهم ..

وينبغي على الابوين أيضا أن يهيئا لولدهما المدرسة الصالحة ، والرفقة الصالحة ، والجماعة الصالحة ، ليكتسب الولد التربية الايمانية ، والتربية

الخلقية ، والتربية الجسمية ، والتربية النفسية ، والتربية العقلية .. فلا يعقل ـ وهو في هذه الأجواء الصالحة ـ أن ينحرف الولد عقيدياً ، وأن يتحلل خلقياً . وأن يتعقد نفسياً ، وأن يضعف جسمياً ، وأن يتخلف علمياً وثقافيا !.. بل يصل الى ذروة الكمال في رسوخ عقيدته ، وسمو أخلاقه ، ومتانة أعصابه ، وقوة بدنه ، ونضج عقله وعلمه !..

ونحن مع الأب في أن المجتمع فاسد ، والبيئة جاهلية ، ومن الصعوبة بمكان تهيئة الأجواء الصالحة للولد .. هذا حق ، ولكن إذا بذل الأب أقصى الجهد ، وأخذ بالأسباب الكاملة في إعداد الولد إيمانياً وخلقياً .. وتكوينه فكرياً ونفسياً واجتماعيا .. يكون الأب ـ ولاشك ـ معذوراً أمام الله عز وجل اذا انحرف الولد ، وسار في متاهات الفسوق والضلال !..

وفي تقديري أن التربية بالقدوة : قدوة الأبوين ، وقدوة الرفقة الصالحة ، وقدوة المعلم ، وقدوة الأخ الأكبر .. هذه التربية من أعظم العوامل المؤثرة في إصلاح الولد ، وهدايته ، وإعداده لعضوية المجتمع والحياة .. وهذا كله يمكن أن يوفره الأبوان للولد ، ويمكن كذلك أن يهيئا له الاجواء الصالحة إذا صمّما على التحرك في اصلاح فلذة الكبد ، وعقدا العزم على أن يكون ولدهما مَلَكاً يمشي في الناس !.

وينبغي ألا يغرب عن بال الأبوين أن التركيز على اصلاح ولدهما الأكبر هو من أبرز المؤثرات في اصلاح باقي الاولاد ، لان الولد الاصغر يحاكي عادة مايفعله الاكبر ، بل ينظر اليه أنه المثل الاعلى في كل شيء ، ويقتبس الكثير والكثير من صفاته الخلقية . وعاداته الاجتماعية .. وهنا تكون الطامة أكبر اذا وجد الولد من يكبره سناً في تميّع وانحلال . واذا رأى مَن وُلدَ قبله يتقلب في متاهات الرذيلة والفساد .. فلا شك أن الأولاد بهم يتأثرون . وعلى طريقتهم يسنون . وعنهم يأخذون !..

ولهذا كله وجب على الابوين أن يركزوا جهودهم على الولد الأكبر ثم من يليه .. ليكونوا لمن بعدهم قدوة ، وللباقين من الأولاد أسوة ، والله يتولى الصالحين .

وفي ختام بحثنا هذا نستعرض استنكار القرآن الكريم للذين يخالف أفعالهم أقوالهم ، ويشمل ذلك الآباء والأمهات وجميع المربّين ، وجميع من لهم في أعناقهم حق التربية :

- ((يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون كبر مقتا عند الله أن تقولوا مالا تفعلون)) (الصف : ٢ - ٤)

- ((أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون)) ؟ (البقرة : ٤٤)

هل رأيتم في آيات الله زجراً واستنكاراً أعظم من هذا الزجر والاستنكار في حق مَن ؟ ، في حق أولئك الذين يعطون لغيرهم القدوة السيئة ، والفعل القبيح ؟.

((وما أعظم موقف عمر رضي الله عنه حين كان يجمع أهل بيته ليقول لهم: « أما بعد ، فإني سأدعو الناس الى كذا وكذا ، وأنهاهم عن كذا وكذا ، وإني أقسم بالله العظيم لا أجد واحدا منكم أنه فعل ما نهيتُ الناس عنه ، أو ترك ما أمرت الناس به إلا نكّلتُ به نكالا شديداً » ، ثم يخرج رضي الله عنه ويدعو الناس الى الخير فلم يتأخر أحد عن السمع والطاعة ، لإعطائهم القدوة بفعله ، قبل إعطائهم إياها بقوله .

ومن هنا كان التنكيل بالذي يأمر غيره بالمعروف ولا يأتيه شديداً وعظيماً يوم القيامة ، ومن هنا كانت الفضيحة في جهنم مخزية أمام الأشهاد!!.

روى البخاري ومسلم عن أسامة بن زيد رضي الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « يُجاء بالرجل يوم القيامة ، فيُلقى

في النار ، فتندلق أقتابه[1] ، فيدورها كما يدور الحمار برحاه ، فتجتمع أهل النار عليه ، فيقولون : يا فلان ، ما شأنك ؟ ألست كنت تأمر بالمعروف ، وتنهى عن المنكر ؟ فيقول : كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه ، وأنهاكم عن الشر وآتيه . قال : وإني سمعته يقول : ــ يعني النبي صلى الله عليه وسلم ــ مررت ليلة أُسرِيَ بي بأقوام تُقرَضُ شفاههم بمقاريض من نار ، قلت : مَن هؤلاء يا جبريل ؟ قال : خطباء أمتك الذين يقولون مالا يفعلون .

أما الفضيحة المخزية أمام الأشهاد فلما روى أحمد والبيهقي عن منصور بن زازان قال : نُبئت (أخبرت) أن بعض من يُلْقى في النار تتأذى أهل النار بريحه ، فيقال له ويلك ! ما كنت تعمل ؟ ما يكفينا ما نحن فيه من الشر حتى ابتلينا بك وبِنَتْن ريحك ؟ ، فيقول : كنت عالماً فلم أنتفع بعلمي))[2] .

فليعلم الآباء والأمهات والمربون جميعاً أن التربية بالقدوة الصالحة هي العماد في تقويم اعوجاج الولد ، بل هي الأساس في ترقّيه نحو المكرمات والفضائل والآداب الاجتماعية النبيلة ..

وبدون هذه القدوة لاينفع مع أولادكم تأديب ، ولا تؤثر بهم موعظة! . فاتقوا الله ــ أيها المربون ــ بأولادكم ، وكونوا معهم على مستوى المسؤوليه لتروا أفلاذ الأكباد شموس إصلاح ، وأقمار هداية .. يستضيء أبنـاء المجتمع بنورهم ، ويتأســون بمحاسن أخلاقهم ، ويرتشفون من معـين آدابهم .. ويصدق عليهم قوله تبارك وتعالى :

((أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده)) (الانعام : ٩٠)

وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون ..

---

(١) أقتابه : أمعاؤه تخرج من بطنه .

(٢) من كتابنا ((حتى يعلم الشباب)) ص ١١٧ ــ ١١٨ بحث ((التميز في الأخلاق)) .

٢ـ التربية بالعادة

من الأمور المقررة في شريعة الاسلام أن الولد مفطور منذ خلقته على التوحيد الخالص ، والدين القيّم ، والإيمان بالله ..

مصداقاً لقوله تبارك وتعالى : ((**فطرة الله التي فطر الناس عليها لاتبديل لخلق الله ، ذلك الدين القيّم ولكن أكثر الناس لايعلمون**)) .

ومصداقاً لقوله عليه الصلاة والسلام ـ فيما رواه البخاري :

« كل مولود يولد على الفطرة ... » أي يولد على فطرة التوحيد والإيمان بالله ..

ومن هنا يأتي دور التعويد والتلقين والتأديب في نشأة الولد ، وترعرعه على التوحيد الخالص ، والمكارم الخلقية ، والفضائل النفسية وآداب الشرع الحنيف ..

ومما لايختلف فيه اثنان أن الولد اذا تيسر له عاملان : **عامل التربية الاسلامية الفاضلة ، وعامل البيئة الصالحة فإن الولد** ـ لاشك ـ ينشأ على الإيمان الحق ، ويتخلّق بأخلاق الاسلام ، ويصل الى قمة الفضائل النفسية ، والمكارم الذاتية ...

أما عامل التربية الاسلامية الفاضلة فالرسول صلوات الله وسلامه عليه أكده في أكثر من حديث :

ـ « **لأن يؤدّب الرجل ولده خير من أن يتصدق بصاع** »رواه الترمذي.

ـ « ما نحل والد ولداً أفضل من أدب حسن ». رواه الترمذي.

ـ « علّموا أولادكم وأهليكم الخير وأدّبوهم ».

رواه عبد الرزاق وسعيد بن منصور.

ـ « أدّبوا أولادكم على ثلاث خصال : حب نبيكم، وحب آل بيته ، وتلاوة القرآن .. » رواه الطبراني.

وأما عامل البيئة الصالحة فالرسول (صلى الله عليه وسلم) قد وجه إليه ي أكثر من مناسبة :

ـ « كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهوّدانه أو ينصّرانه أو يمجّسانه ». واه البخاري.

ويفهم من هذا الحديث أن الولد إذا تيسر له أبوان مسلمان صالحان ، لقناه مبادىء الإيمان والاسلام نشأ الولد على عقيدة الإيمان والاسلام ، وهذا و معناه عامل البيئة المنزلية.

ـ « المرء على دين خليله فلينظُر أحدكم من يخالِل » رواه الترمذي.

ويفهم من هذا الحديث أن الصديق للصديق إن كان صالحاً تقياً فيكتسب نه صفة الصلاح والتقوى ، وهذا هو معناه عامل البيئة الاجتماعية سواء كانت مدرسية أم محلية ..

ومما يؤكد أن للبيئة الصالحة أكبر الأثر في تربية المسلم على الصلاح والتقوى ، وتكوينه على أسس الايمان والعقيدة والأخلاق الفاضلة حديث الرجل الذي قتل تسعة وتسعين قتيلا كما رواه البخاري ومسلم ، وإليكم الحديث بكماله :

(عن أبي سعيد بن سعد بن مالك بن سنان الخدري رضي الله عنه أن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال : « كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفساً ، فسأل عن أعلم أهل الأرض فدُلَّ على راهب (أي عابد) ، فأتاه فقال: إنه قتل تسعة وتسعين نفساً فهل له من توبة ؟ فقال : لا ، فقتله فكمّل به مائة، ثم سأل عن أعلم أهل الأرض ، فدُلّ على رجل عالم ، فقال : إنه قتل مائة نفس فهل له من توبة ؟ فقال نعم ، ومن يحول بينه وبين التوبة ، **انطلِق الى أرض كذا وكذا فإن بها أناساً يعبدون الله تعالى ، فاعبد الله معهم ، ولا ترجع الى أرض قومك فانها أرض سوء ،** فانطلق حتى إذا نصف الطريق أتاه الموت ، فاختصمت فيه ملائكة الرحمة ، وملائكة العذاب ، فقالت ملائكة الرحمة : جاءنا تائباً مقبلا بقلبه الى الله تعالى ، وقالت ملائكة العذاب : إنه لم يعمل خيراً قط ، فأتاهم ملَك في صورة آدمي فجعلوه بينهم ـ أي حكماً ـ فقال : قيسوا ما بين الأرضين ، فإلى أيتهما كان أدنى فهو له ، فقاسوا فوجدوه أدنى الى الأرض التي أراد ، فقبضتْهُ ملائكة الرحمة) .

وفي رواية : « فأوحى الله تعالى الى هذه أن تباعدي ، والى هذه أن تقرّبي، وقال : قيسوا ما بينهما ، فوجدوه الى هذه أقرب بشبرٍ فغُفر له » .

فيؤخذ من هذه النصوص التي أوردناها أن الولد حينما تتوفر له تربية صالحة من قبل آباء صالحين ، ومعلمين مخلصين .. وتتوفّر له بيئة صالحة من قبل أصدقاء صالحين ، ورفقاء مؤمنين مخلصين .. فإن الولد ـ ولا شك ـ يتربى على الفضيلة والايمان والتقوى ، ويعتاد كل أدب رفيع ، وخُلق جميل وعادة كريمة ..

وعلى هذه الأسس وهاتيك المبادىء درج السلف الصالح في انتقاء المربين لأولادهم ، وتهيئة الأجواء الصالحة في تنشئتهم على الخير ، وتحلّيهم بأكمل الأخلاق ، وأجمل الصفات ..

● روى الجاحظ أن عقبة بن أبي سفيان لما دفع ولـده الى المؤدب قال له : « ليكنْ أول ما تبدأ به من إصلاح بَنِيَّ إصلاح نفسك ، فإن أعينهم معقودة بعينك ، فالحسن عندهم ما استحسنتَ ، والقبيح عندهم ما استقبحت ، وعلّمهم سِيَرَ الحكماء ، وأخلاق الأدباء ، وتهدّدهم بي ، وأدّبهم دوني ، وكن لهم كالطبيب الذي لا يعجل بالدواء حتى يعرف الداء ، ولا تتكلنّ على عذر مني ، فإني قد اتكلت على كفاية منك » .

● وذكر الراغب الأصفهاني أن المنصور بعث الى مَن في الحبس من بني أمية من يقول لهم : « ما أشد ما مرّ بكم في هذا الحبس ؟ » ، فقالوا : **« ما فقدنا من تربية أبنائنا »** .

● ومن وصية ابن سيناء في تربية الولد : « أن يكون مع الصبي في مكتبه صِبْيَة حسنة آدابهم ، مرضيّة عاداتهم ، لأن الصبيّ عن الصبي ألْقَن ، وهو عنه آخذ ، وبه آنَس » .

ومن أراد المزيد من الشواهد في اهتمام السلف بتربية أبنائهم ، وتهيئة الأجواء الصالحة لهم فليرجع الى ما استشهدنا به في « مقدمة البحث » من « القسم الثاني » من « كتاب تربية الأولاد » ، فإنه يجد ما يبل الصدى . ويشفي الغليل !..

★ ★ ★

ومن الخطأ الفادح أن يتوهم البعض أن الناس يولدون أخياراً أو أشراراً ، كما يولد الحَمَل (أي الخروف) وديعاً ، والنمر مفترساً ، وأنه لا يمكن تغيير الشر الكامن في الانسان ، كما أنه لا يمكن تغيير الخير المتأصل فيه[1]..

(١) الذي قال بهذا الراي « شوبنهار » الفيلسوف الألماني ، و « وسبينوزا » الفيلسوف الهندي ، و « ليفي بريل » الفيلسوف الفرنسي ... ولكن أكثر الفلاسفة الاخلاقيين في الشرق والغرب قد ردوا هذا الرأي ، واعتبروه من شذوذ الأقاويل والآراء ..

وهذه الدعوة الباطلة منقوضة شرعاً ، ومنقوضة عقلاً ، ومنقوضة تجربة ..

اما انها منقوضة شرعاً فلقوله تعالى : ((**وهديناه النجدين**)) .
(البلد : ١٠)

أي عرّفناه طريق الخير وطريق الشر .

وقوله كذلك : ((**ونفس وما سوّاها فالهمها فجورها وتقواها ، قد افلح من زكاها وقد خاب من دسّاها**)) (الشمس : ٦ ـ ١٠)

ـ وقوله ايضاً : ((**إنا هديناه السبيل إما شاكراً واما كفوراً**)) .
(الدهر : ٣)

ولقوله عليه الصلاة والسلام في الحديث الذي سبق ذكره : « كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهوّدانه أو ينصّرانه أو يمجّسانه » .

اما أنها منقوضة عقلا فلأن الله سبحانه لما أنزل الكتب وأرسل الرسل .. لأجل ماذا ، أليس في سبيل إصلاح الانسان وسعادته في دنياه وآخرته ؟ ثم لماذا تهتم الحكومات في وضع المناهج والقوانين ؟ ولماذا تشرف على تأسيس المدارس والمعاهد والجامعات ؟ ولماذا تقوم على تعيين المعلمين والمختصين من علماء التربية والأخلاق والاجتماع ؟ أليس ذلك لأجل التعليم والتأديب والتخليق ، وقمع الفاسد ، وتأسيس الصالح ، وتقويم الاعوجاج ؟ وإلا .. ففيم إذن كان إنزال الكتب ، وإرسال الرسل ؟ وفيم إذن وضعت الشرائع والقوانين ؟ وفيم كان ويكون عمل المؤدّبين والمربّين ؟ ألا يكون ذلك عناء ومشقة بغير جدوى ؟ أولا يكون دراسة الأخلاق نفسها ملهاة وعبثاً ؟

فنستنتج بعد هذه التساؤلات والمحاكمات العقلية أن الانسان خلق مستعداً للخير والشر جميعاً ، فإذا تيسرت له التربية الصالحة ، والبيئة الصالحة نشأ على خير ما ينشأ من الايمان الخالص ، والأخلاق الفاضلة ، وحب الفضيلة والخير .. وكان في المجتمع إنساناً مؤمناً فاضلا كريماً !..

أما إنها منقوضة تجربة ومشاهدة فللأمور التالية :

١ً ــ من الملاحظ في عــالم الانسان أن إنساناً ما ، عاش طــويلا في بيئة الضلال والفساد ، وبلغ فيه الإجرام والشقاء كل مبلغ •• وقد أذاق المجتمــع من وبال شروره وآثامه ، وأقضّ مضجعه من ويلات شقــائه وإجرامه •• وإذ برفيق صالح ، أو مربٍّ مؤثر ، أو داعية مخلص •• نقله من وهــدة الشقاءالى روضة السعادة ، ومن بيئة الإجرام الى عالم الكرام البَرَرَة •• فيصبح بعــد هذا الشقاء الطويل والاجرام العريق من كبــار الأتقياء ، ومن أعــلام الابرار السعــداء •••

وهذا كثير وكثير في عالمنا اليوم الذي يموج بالفتن ، ويزخر بالآثــام ، ويتخبط بالفجــور والمنكر •• ولا يمكن أن ينكره إلا مكــابر أو في عينيــه غشاوة !••

٢ً ــ ومن الملاحظ في عالم الحيوان أن الانسان وُفّق في كل عصوره الى نقل طباع الحيــوان من النفور الى الإلف ، ومن الصعوبة والحَرونة الى السلاسة والانقيــاد ، ومن اعوجاج السير واضطرابه الى اعتداله وانتظامه •• حتى إن الانسان ليرقّص الخيل ، ويلاعب الطير ، ويعلّم الجوارح •• فــإذا كان هذا هو الشأن في غرائز العجماوات ، فكيف بالغرائز الانسانية التي أثبت « علم النفس المقارن »أنها أسلس قياداً ، وأعظم مرونة بسبب تعارضها وتنوعها، وقبولها للمزج والتعديل والتقويم ••

٣ً ــ ومن الملاحظ في عــالم النبات أن البذرة حين يضعها الزارع فــي أرض خصبة ، ويتعهدها بالماء والسماد ، ويحميها من الحشرات والطفيليات•• ثم لايزال يلاحقها في تهذيب أشواكها ، وتقويم أغصانها ، فان هذه البذرة تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها ، ويقطف الانسان من ثمارها ، ويتفيأ ظلالها ، ويستغل خيراتها على مدى الزمان والأيام ••

أما إذا كتب لهذه البذرة نصيبها من التقصير والإهمال ، لاتُغذّيها تربة، ولا يَرويها ماء ، ولا تلاحق بالتهذيب لأشواكها ، والتقويم لأغصانها ... فإنها لا تؤتي أكُلاً ، ولا تعطي زهراً ولا ثمراً .. بل تصبح عما قليل هشيماً تذروه الريــاح ، وتتقاذفــه الأعاصير ...

فكذلك النفس الانسانية وما فيها من قابليات واستعدادات ، وسجايــا وجبِلاّت ، حينما تتعهدها بالأخلاق الفاضلة ، وتمدّها بماء العلوم والمعارف، وترفدها بالعمل الصالح.. فإنها تنشأ على الخير ، وتدرج على الكمال ، ويكون صاحبها كالملَك يمشي في الناس .

أما إذا أهملها وتركها للأيام حتى علاها صدأ الجهل، وغشيها عدوى خلطاء السوء ، وتراكم عليها أنقاض العادات الذميمة .. فإنها ــ ولا شك ــ تنشــأ على الشر والفساد ، وتتقلب في مستنقع التحلّل والإباحية .. ويكون صاحبها كالوحش الأعجم يمشي في الناس ، ويظن نفسه من الأناسيّ الكرام .

والذي نخلص اليه بعدما تقدم أن دعــوى الذين يقولون إن الطبــاع الانسانية من شر أو خير لا يمكن تغييرها ولا تعديلها هي في الحقيقة دعــوى باطلة ينقضها الشرع ، ويردها العقل ، وتكذبها التجربة والمشاهدة ، ويبطلهــا الجمهرة الغالبة من علماء النفس والتربية والاخلاق !..

ونجتزيء في هذا المجال بعض ما قاله الإمام الغزالي ــ في إحيائه ــ في تعويد الولد خصال الخير أو مباديء الشر باعتبار قابليته وفطرته ، يقول رحمه الله : « والصبي أمانة عند والديه ، وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة ، فإن عُــوّد الشرّ وأُهمــل إهمال البهائم شقي وهلك .. وصيانته بأن يؤدبــه ويهذبه ، ويعلمه محاسن الأخلاق .... » .

وذهب ابن خلدون ــ في مقدمتــه ــ مذهب الغزالي في قابليــة الولــد

واستعداده ، **وإمكانية** إصلاحه بعد فساده .. بل كثير من فلاسفة الغرب أو الشرق ذهبوا هذا المذهب ، وسلكوا ذلك **الاتجاه** .

ورحم الله من قال :

وينشأ ناشيءُ الفتيان فينا
على ما كان عوّده أبوهُ

وما دان الفتى بحجى ولكنْ
يعوّده التديّن أقربوهُ



وعلى المربي أن يميّز في اصلاح الفرد ، وتقويم اعوجاجه بين عُمْرَين ، وأن يفرق في تعويده وتأديبه بين سنّيْن :

فالكبار لهم منهجهم وطريقتهم ..

والصغار كذلك لهم منهجهم وطريقتهم ..

فمنهج الاسلام وطريقته في اصلاح الكبار ــ وهم سنّ ما بعد البلوغ ــ يعتمد على ثلاثة أمور أساسية :

١ ــ الربط بالعقيدة .

٢ ــ تعرية الشرّ .

٣ ــ تغيير البيئة .

اما الربط بالعقيدة فهو من أعظم الأسس في استمرار المؤمن على مراقبة

الله تعالى ، واستشعاره عظمته وخشيته في كل الظروف والأحوال ، وهذا من شأنه أن يقوي القوة النفسية ، والإرادة الذاتية لدى الفرد المؤمن، فلا يكون عبداً لشهوته ، ولا أسيراً لأطماعه وأهوائه .. بل يندفع بكليته الى تطبيق المنهج الرباني كما أنزل الله وكما أوحى الى رسوله عليه الصلاة والسلام .. دون تردّد أو حرج ، وشعاره في هذا قوله تبارك وتعالى :

« ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون » .

(المائدة : ٥٠)

وميزانه في ذلك

« وما آتاكم الرسول فخذوه ، وما نهاكم عنه فانتهوا » .

(الحشر : ٧)

لأن من مقتضيات هذا الايمان الأخذ بالشريعة بلا حرج ، والاستسلام الكامل لتعاليم الاسلام :

« فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلّموا تسليما » .

(النساء : ٦٥)

ولا شك أن العبادات بكليتها ، والأذكار والأوراد بجملتها ، وتلاوة القرآن الكريم وتدبّره في آناء الليل ، وأطراف النهار ، واستشعار العظمة الإلهية في كل الظروف والأحوال ، والإيقان بالموت وما بعده ، والإيمان بعذاب القبر وسؤال ملكين ، والاعتقاد بعوالم الآخرة ، وأهوال يوم القيامة ... كل ذلك يولّد في المؤمن استمرارية المراقبة لله عز وجل ، وتجعل منه الانسان المستقيم المتوازن الذي يبني توازنه في الحياة على التوفيق بين مطالب الروح، ومطالب الجسد ، وبين العمل للدنيا والعمل للآخرة .. فيؤدي كل ذي حقّ حقه بلا إهمال ولا تقصير .. وشعاره في ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : « إن لله عليك حقاً ، ولنفسك عليك حقاً ، ولأهلك عليك حقاً ... فأعط كل ذي حقٍّ حقه » .

ومن الأمور المسلّمة أن الفرد المؤمن حين يقوي في نفسه جانب المراقبة لله عز وجل ، وحين تتولد لديه الإرادة الذاتية للسيطرة على النفس الأمّارة ، ونزعات الهوى .. فإن هذا الفرد ينصلح من داخله ، ويقيم لأموره ميزاناً من عقيدته وضميره .. فلا يضل ولا يفسق ، ولا ينحرف ولا يشقى .. لاعتقاده الجازم أن عين الله الساهرة ترقبه وتراه ، وتعلم سرّه ونجواه ، وتعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور ..

ومن هنا كان السر حين وقف الصحابة الكرام هذا الموقف العظيم المشرف من تحريم الخمر لما قالوا بصوت واحد « انتهينا ربّنا » ، وأتبعوا هذا القول بالفعل لمّا أراقوا دِنَان الخمر وقِلالها في طُرُق المدينة ..

ومن هنا كان السر في انصلاح المجتمع الاسلامي من أقصاه الى أقصاه حتى أن القاضي عمر بن الخطاب في خلافة أبي بكر رضي الله عنهما ظل سنتين في مجلس القضاء ولم يختصم اليه اثنان ، وقد قيل : إن عمر جاء الى الخليفة أبي بكر ليعفيه من منصبه لكونه قاعداً في هذه السنوات بلا عمل ولا فصل في الخصومات !..

ولا شك أن السر في هذا هو استشعار الصحابة رضوان الله عليهم رقابة الله في كل أمورهم وأحوالهم ، فلماذا يختصمون والمنهج الرباني بين أيديهم ؟ ولماذا يختلفون وخشية الله ملأت قلوبهم وجوارحهم ؟ ولماذا ينحرفون وهم يؤدون كلّ ذي حق حقه في الحياة ...؟

ألا فليعتبر أولو الأبصار !..

أما تعرية الشر فهو من أعظم السبل في **اقناع الكبار على** ترك المنكر ، والنفور من الفساد والإثم ..

وهذه التعرية للشر ، والافتضاح للباطل هي الطريقة التي اتبعها القرآن

الكريم في إقناع الجاهليـــة بنبذ تقاليدها وعاداتها ، وهجر شرورها وآثامهـــا ، ولنضرب على ذلك مثلاً : الاسلام حين حرم الخمر كان التحريم بآيات قرآنية تتنزل بين كل فترة وفترة تكشف عن آثـــام الخمرة ، وعـــن أثرها السيىء في الانسان ، وعن مضارها الخلقية والاجتماعية والدينية ..

ــ فأول ما نزل قوله تبـــارك وتعالى :

« ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكراً ورزقاً حسناً إن في ذلك لآيةً لقـــوم يعقلون » .

(النحل : ٦٧)

فقابل بين الســكر وبين الرزق الحسن ليشعر أهـــل العقول الراجحـــة أن الخمر شيء ، والرزق الحسن شيء آخر حتى تتنبّه أحاسيسهم على التحريـــم فيما بعـــد .

ــ وثاني ما نزل :

« يسالونك عن الخمر والميسر قلْ فيهما إثم كبير ومنافعُ للناس ، وإثمهما اكبر من نفعهما »

(البقرة : ٢١٩)

فرجّح جانب الإثم على جـــانب النفع التجاري .. لتتزحزح النفس عن إلفها المتأصل ، وتتحول عن عادتها المستحكمة .

ــ وثالث ما نزل :

« يا ايها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون »

(النساء : ٤٣)

فذكر أثرها السيىء على العقول ، وما تحدثه من تشويشات وأخلاط عدا عن الامتناع عن تناول الخمر وتعاطيها في أوقات الصلاة .

« يا أيهـا الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون . إنما يريد الشيطان أن يوقـع بينكم العـداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون ».
(المائدة : ٩٠ – ٩١)

فما معنى أن القرآن أشرك الخمـر بالميسر والأصنـام ، ثم وصفها بأنها رجس ، ثم نبّـه أنها من عمل الشيطـان ، ثم ذكر مضارها الخلقيـة بكونها توقع بين الناس العداوة والبغضاء ، وأعقب ذلك مضارها الدينية بكونها تصد عن ذكر الله وعن الصلاة؟ فما معنى كل هذا ؟ أليس معناه أن الخمر قد تعرّت على حقيقتها ، وبان لأهل الحجى والعقول مساؤها وخطرهـا ؟ فهل يستنكف – بعد هذا البيان والتعرية – أحد عن تحريمها والابتعاد عنها ؟ فلا شـك أن المؤمن العاقل المنصف يقول : انتهيتُ يارب بعد أن بيّنت وفصّلتَ وحرّمتَ .. وهذا ما فعله الصحابة رضوان الله عليهم بعد أن افتضحت الخمر ، ونزلت آية التحريم !..

وقس على ذلك تحريم القرآن الكريم لكل المعتقدات الجاهلية ، والمفاسد الاجتماعية كالإشراك بالله ، والزنى ، والربا ، والميسر ، وقتـل النفس ، ووأد البنات ، وأكل مال اليتيم .. وغيرها ، فإن القرآن الكريم لم يحرمها إلا بعد أن عرّاها على حقيقتها ، وذكر الكثير من مساوئها ، وأهاب بأصحـاب العقـول الراجحة أن ينفروا منها ، ويبتعـدوا عنها لكونهـا تؤدي بالفرد والمجتمع الى أسوأ النتائج ، وأفدح الأخطار !..

أما تغيير البيئـة فهو لا يقل أهمية عن الأسس الأخرى في إصلاح الفرد وهدايته ، وتربيته وإعداده ..

وإلا .. فلماذا أذِنَ الله سبحانه لرسوله عليـه الصلاة والسلام بالهجرة

الى المدينة المنورة ؟ ولماذا أمر النبي (صلى الله عليه وسلم) أصحابه بأن يهاجروا ؟

أليس من أجل التكوين والإعداد في بيئة صالحة لا يباح في نواديها المنكر، ولا تقترف في ربوعها الآثام والمحرمات ؟

أليس من أجل إقامة دولة تحت ظل التشريع المنزّل ، وتحت راية الوحدة الشاملة ؟

أليس من أجل إصلاح الفرد المسلم في مجتمع يحكمه الاسلام ، ويتنزل عليه القرآن ؟.

وسبق أن ذكرنا حديث الرجل الذي قتل مائة نفس ، وجاء يسأل أعلم أهل الأرض هل له من توبة ؟ فكان جواب السائل :

« انطلقْ الى أرض كذا وكذا فإن بها أناساً يعبدون الله تعالى ، فاعبد الله معهم ، ولا ترجع الى أرض قومك فإنها أرض سوء ... » .

أليس يدل هذا الحديث على أن للبيئة الصالحة سلطاناً كبيراً في إصلاح الفرد ، وتقويم اعوجاجه ، وتخليصه من أرذل العادات ، وأقبح الصفات؟

وسبق أن ذكرنا أيضاً حديث الرسول عليه الصلاة والسلام فيما تتركه الصحبة من أثر حسن أو سيىء في نفس الفرد المصاحب لكون المرء على دين خليله .. ولكون الخلطة لها أكبر الأثر في الصلاح أو الفساد !..

ومن هنا نعلم أن نقطة بدء اصلاح الفرد ــ ولو كان كبيراً ــ هو تغيير البيئة الفاسدة من محيط متحلل ، وخلطاء أشقياء ، وعشيرة جاهلة ..

والذي نخلص اليه بعدما تقدم :

أن منهج الاسلام في إصلاح الكبار يقوم على أسس ثلاثة لهـا أكبر الأثر في تعديل الأخلاق ، وتقويم الاعوجاج :

فبالربط بالعقيـدة يتولد عنـد الكبير الشعور بالمراقبة ، والخشية من الله في السر والعلن ، وهذا ما يقوي في نفسه الإرادة الذاتية ليكف عن المحرمات، ويتحلى بأكرم الأخلاق وأنبل الصفات ..

وبتعرية المنكر والشر يقتنع الكبير بترك المفاسد ، ويعزم كل العزم على التخلي عن الرذائل .. بل يكون عنده الطمـأنينة النفسية والقلبية لهجر كـل ما هو آثم وفاجر ..

وبتغيير البيئة الاجتماعية يتهيأ لإصلاح الكبير الوسط الخيّر ، والجو الصالح ، وحيـاة الشرف والكرامـة .. بل تنصلح مع الأيام أحواله ، وتزدان مع الزمن أفعاله وأخلاقه ..

فما على المربّين الاجتماعيين إلا أن يأخذوا بمنهج الاسلام في إصـلاح الكبار إن أرادوا لأفراد الأمة أمناً وخيراً ، ولابناء المجتمع سلامة واستقراراً ..

« قل هذه سبيلي أدعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين » .

(يوسف : ١٠٨)

أما منهج الاسلام في اصلاح الصغار فيعتمد على شيئين أساسيين :

١ ــ التلقـين .

٢ ــ التعويـد .

ونقصد بالتلقين الجانب النظري في الإصلاح والتربية .

ونقصد بالتعويد الجانب العملي في التكوين والإعداد .

ولما كانت قابلية الطفل وفطرته في التلقين والتعويد أكثر قابلية من أي سن آخر أو من أية مرحلة أخرى .. كان لزاماً على المربين من آباء وأمهات ومعلمين .. أن يركّزوا على تلقين الولد الخير وتعويده إياه منذ أن يعقل ويفهم حقائق الحياة ..

وسبق أن ذكرنا ما قاله الإمام الغزالي : « والصبي أمانة عند والديه ، وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة ، فإن عُوّد الخير وعُلّمه نشأ عليه وسعد في الدنيا والآخرة ... » .

وأريد في هذا المجال أن أضرب للمربين بعض الأمثلة في تلقين الصغار وتعويدهم مبادىء الخير عسى أن تكون لهم نبراساً وبصائر :

● الرسول عليه الصلاة والسلام أمر المربين بأن يلقنوا أولادهم كلمة « لا إله إلا الله » لما روى الحاكم عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي (صلى الله عليه وسلم) أنه قال : « افتحوا على صبيانكم أول كلمة بلا إله إلا الله » وهذا هو الجانب النظري ..

أما الجانب العملي لهذا التلقين فهو تهيئة الولد وتعويده أن يؤمن بقرارة نفسه وأعماق وجدانه أن لا خالق ولا مبدع ولا إله إلا الله سبحانه .. ولا يكون ذلك إلا عن طريق الآثار التي يراها الطفل كالزهرة ، والسماء ، والأرض ، والبحر ، والانسان .. وغيرها من المخلوقات ليستنتج ذهنياً ، ويستدل عقلياً على المؤثّر وهو الله سبحانه ..

إذن فالحقيقة التي يصل اليها المربي مع الطفل أن هذا الكون مليء بالموجودات التى تقع تحت نطاق السمع والبصر وأن هذه الموجودات لا يمكنها أن توجد نفسها باعتبار أنها جامدة وباعتبار أنها لا تتصف .

بعقل ولاتدبير ، ولا علم ولا إرادة •• إذن لابد لها مـن مُوجِـد أوجدها وهو الله سبحانه •

وهكذا يمكن أن يصل المربي بالطفل الى الإيمان بالله الواحد المبدع عن طريق التأمل والتفكر في خلق السموات والأرض •• وعن طريق التدرج معه من المحسوس الى المعقول •• ومن الجزئي الى الكلي •• ومـن البسيط الى المركب •• حتى يقتنع الولد وجدانياً وعقلياً في قضية الايمان بالله عز وجل عن حجة وبرهان[1] ••

● الرسول عليه الصلاة والسلام أمر المربين بـأن يلقنـوا أولادهم ركن الصلاة وهم في سن السابعة لمـا روى الحـاكم وأبو داود عن ابن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أنه قال : « مُروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين ، واضربوهم عليهـا وهم أبناء عشـر ، وفرّقوا بينهم في المضاجع » ، وهذا هو الجانب النظري ••

أما الجانب العملي فهو تعليم الولد أحكامها ، وعدد ركعاتها ، وكيفيتها ، ثم تعويده إياها بالملاحقة والمثابرة ، وأدائها في المسجد بجماعة •• حتى تصبح الصلاة في حقه خُلقاً وعادة •

● الرسول عليه الصلاة والسلام أمر المربـين بأن يلقنوا أولادهم أحكام الحلال والحرام ، لما أخرج ابن جرير ، وابن المنذر من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله (صلى الله عليـه وسلم) قـال : « ••• ومروا أولادكم بامتثال الأوامر ، واجتناب النواهي ، فذلك وقاية لهم ولكم من النار » •

---

(١) وسبق ان فصلنا القول عن قضية الايمان بالله في مبحث « مسؤوليـة التربية الايمانية » في القسم الثاني من كتاب « تربية الاولاد في الاسلام » فارجع اليه .

وهذا هو الجانب النظري •

أما الجانب العملي فهو ترويض الولد وتدريبه على امتثــال أوامر الله ، واجتناب نواهيه ، فإذا وجد المربي الولد فعل منكراً أو اقترف إثماً •• من سرقة أو شتيمة •• يحذره ويقول له : إن هذا منكر وهو حرام ••

وإذا وجده فعل خيراً ، أو صنع معروفاً •• من صدقة أو تعاون •• يرغّبه ويقول له : إن هذا معروف وهو حلال •• وهكذا يلاحظه ويلاحقه حتى يصبح الخير في حقه خُلقاً وعادة ••

● الرسول عليه الصلاة والسلام أمر المربــين بأن يلقنوا أولادهم محبــة نبيهم ، ومحبة آل بيته وأصحابه وتلاوة القرآن الكريم ، لما روى الطبراني عن عليّ كرم الله وجهه أنه (صلى الله عليه وسلم) قال : « أدّبوا أولادكــم على ثلاث خصال : حب نبيكم وحبّ آل بيته ، وتلاوة القرآن ••• » •

وهذا هو الجانب النظري •

أما الجانب العملي فهو أن يجمع المربي أولاده ويقرأ عليهم مغازي رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وسيرة آل بيته وأصحابه ، وشخصيات القادة والعظماء في التاريخ •• ويعلمهم تلاوة القرآن •

حتى يتأسّى الأولاد بسِيَر الأولين بطولة وجهاداً ••

وحتى يرتبطوا بالتاريخ الاسلامي شعوراً ووجداناً ••

وحتى يرتبطوا بالقرآن الكريم دستوراً ومنهاجاً ••

وسبق أن ذكرنا ما روته كتب التاريخ والأدب أن المفضل بن زيد رأى مرة ابن امرأة من الأعراب ، فأعجب بمنظره ، فسألها عنه فقالت : « إذا أتم خمس سنوات أسلمته الى المؤدب ، فحفظ القرآن فتلاه ، وعلمه الشعر فرواه، ورُغّب في مفاخر قومه ، ولُقّن مآثر آبائه وأجداده ، فلما بلغ الحلم حملته على أعناق الخيل ، فتمرس وتفرس ، ولبس السلاح ، ومشى بين بيوت الحي ، وأصغى الى صوت الصارخ .. » .

وهذا هو التلقين والتعويد بمعناهما المرادَين ، أو إن شئت فقل هذا هما الجانبان : النظري والعملي في تكوين الولد وإعداده وتأديبه ، وتهيئته ليكون رجل العقيدة والعمل والجهاد ..

هذه بعض الصور والنماذج في تلقين الولد وتعويده ، وضع أصولها ومبادئها رسول الاسلام صلوات الله وسلامه عليه ، وهي تدخل في إطار المنهج العام الذي رسمه الاسلام في تكوين الولد عقيدياً ، وإعداده إيمانياً .. ولاشك أن المربي حين يسعى جهده ، ويبذل كل ما في وسعه في تربية الصغير وتأديبه، وتلقينه وتعويده .. فإنه سيكون على الغالب من جنود الاسلام ، ومن رجال العقيدة والدعوة والجهاد .. تفتخر الأمة بوجوده ، ويسعد المجتمع باتّزانه وأخلاقه ..

ومن الأمور الهامة التي ينبغي ان يعلمها المربون في تأديب الولد على خصال الخير ، وتعويده على مكارم الأخلاق :

هو اتباع أسلوب التشجيع بالكلمة الطيبة حيناً ، وبمنح الهدايا أحياناً ، وانتهاج أسلوب الترغيب تارة ، واستعمال طريقة الترهيب تارة أخرى ، وقد يضطر المربي في بعض الحالات أن يلجا الى العقوبة الزاجرة إذا رأى فيها مصلحة الولد في تقويم الانحراف والاعوجاج ..

كل هذه الأساليب تنفع في تعويد الولد على الفضائل النفسية ، والمكارم

الخلقيـــة ، والآداب الاجتماعيـــة •• وتجعل منه إنساناً فاضلا كريماً متوازنـاً مستقيماً •• له في القلوب محبـــة ، وفي النفوس إجلال واحترام ••

★ ★ ★

وأخيراً أقول : إن المربين على اختلاف أشكالهم وأحوالهـم إذا أخـذوا بسنهج الاسلام في تربية العـادة ، وبأسلوبه في تكوين العقيدة والخلق •• فإن الأولاد على الأغلب سينشؤون على العقيدة الاسلامية الراسخة ، والخلق القرآني الرفيع •• بل يعطون لغيرهم القـدوة الصالحة ، في كريـم فعالهم ، وجميـل صفاتهم ••

فما على المربين إلا أن يشمروا عن ساعـد الجد والعمل ، ويعطوا لتربية أولادهم حقها من التلقين والتعويد ، والتأديب والتهذيب •• فإذا فعلوا ذلك •• يكونون قد اضطلعوا بمسؤلياتهم وقاموا بواجباتهم ، وبرّؤوا ذمّتهم أمـام الله ، ودفعوا بعجلة التقـدم التربوي الى الأمام ، ورسّخوا في المجتمع دعائم الأمن والاستقرار ، وعنـدئذ يفرح المؤمنون بالجيل المؤمن ، والمجتمع المسلم ، والأمة الصالحة •• وما ذلك على الله بعزيز !!••

وفي تقديري أن التربية بالعادة والتأديب هي من أقوم دعائم التربية ، ومن أمتن وسائلها في تنشئة الولد إيمانياً ، وتقويمه خلقياً •• ذلك لأنها تعتمد على الملاحظة والملاحقة ، وتقوم على الترغيب والترهيب ، وتنطلـق من منطلقـات إرشادية وتوجيهية . فما أحوجنا الى مربين يؤدون رسالتهم على الوجه الأكمل ، ويعطون للتربية الاسلامية حقها من الاهتمام والعمـل ، والدأب والمصابرة ، والتلقين والتأديب •• ليروا أفلاذ أكبادهم في المستقبل القريب ، دعاة رسالة ، ورجال إصلاح ، وشباب دعوة ، وجنود جهاد ••

ولا شك أن تأديب الولد وملاحقته منذ الصغر هي التي تعطي أفضل النتائج ، وأطيب الثمرات •• بينما التأديب في الكبر فيه من المشقة لمن يريد الكمال والأثر •• ورحم الله من قال :

قد ينفع الأدب الأولاد في صِغَرٍ
وليس ينفعهم من بعده أدبُ

إن الغصون إذا عدّلتها اعتدلتْ
ولا تلين ــ ولو ليّنْتَه ــ الخشبُ



٣- التربية بالموعظة

من أهم وسائل التربيـــة المؤثرة في تكوين الولد إيمانياً ، وإعداده خلقياً ونفسيّاً واجتماعياً .. تربيته بالموعظـــة ، وتذكيره بالنصيحة ، لما للموعظـــة والنصيحة من أثر كبير في تبصير الولد حقائق الأشياء ، ودفعه الى معالي الأمور ، وتحلّيه بمكارم الأخلاق ، وتوعيتـــه بمبادىء الاسلام ... فلا عجب أن نجد القرآن الكريم قد انتهجها ، وخاطب النفوس بها ، وكررها في كثير من آياته ، و في مواطن عدّة من توجيهاته وعظاته ..

وإليكم بعض النمـــاذج في تكرار القرآن العظيم لكلمـــات الوعظ والنصيحة والانتفاع بالذكر :

— قال الله تعالى في سورة لقمان :

((وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يابنيّ لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم ، ووصينا الانسان بوالديه حملته أمه وهناً على وهن وفصاله في عامين أن اشكر لي ولوالديك إليّ المصير ، وإن جاهداك على ان تشرك بي ما ليس لك به علم فـــلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفاً واتّبع سبيل من اناب إليّ ثم إليّ مرجعكم فانبئكم بما كنتم تعملون ، يا بني إنها ان تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة أو في السموات أو في الارض يات بها الله إن الله لطيف خبير ، يا بنيّ أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانهَ عن المنكر واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور ..)) .
(١٢ — ١٩)

وقال تعالى في سورة سبأ على لسان الانبياء عليهم السلام :

« قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جِنّة ، إن هو إلا نذير لكم بين يديْ عذاب شديد ، قل ما سألتكم من أجر فهو لكم إن أجريَ إلا على الله وهو على كل شيء شهيد ، قل إن ربي يقذف بالحق علاّم الغيوب ، قل جاء الحق وما يُبْديءُ الباطل وما يُعيد ... » .

(٤٥ — ٤٩)

ــ وقال الله تعالى في سورة هود على لسان نوح عليه السلام :

« ... قالوا يا نوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا فأتنا بما تَعِدُنا إن كنت من الصادقين ، قال إنما يأتيكم به الله ان شاء وما أنتم بمعجزين ، ولا ينفعكم نصحي إن أردتَ ان أنصحَ لكم إن كان الله يريد ان يُغْوِيكُم هو ربكم واليه تُرجعون ... »

(٣٢ — ٣٤)

ــ وقال الله تعالى في سورة الاعراف على لسان هود عليه السلام :

« وإلى عاد أخاهم هوداً قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من إله غيرُه أفلا تتقون ، قال الملأ الذين كفروا من قومه إنا لنراك في سفاهة وإنا لنظنك من الكاذبين ، قال يا قوم ليس بي سفاهة ولكني رسول من ربّ العالمين ، أبلّغكُمْ رسالات ربي وانا لكم ناصحٌ أمين ... »

(٦٥ — ٦٨)

وأسلوب القرآن الكريم متنوع في الدعوة الى الله ، وفي التذكير بالله ، وفي إلقاء الموعظة ، والإرشاد بالنصيحة .. حيث جرى ذلك كله على ألسنة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، وتردّد على أفواه الدعاة من جماعتهم وأتباعهم ..

ولا يختلف اثنان أن الموعظة المخلصة ، والنصيحة المؤثّرة إذا وجدت لها

نفساً صافية ، وقلباً متفتحاً ، وعقلا حكيماً متدبّراً •• فإنها أسرع للاستجابة، وأبلغ في التأثير ••

والقرآن الكريم قــد أكد هــذا المعنى في كثير مــن آياته ،**وكرر الانتفاع بالذكرى ، والتأثير بالكلمة الهادية ، والنصيحة الراشدة :**

ــ **((إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد)) .**

(ق : ٣٧)

ــ **((وذكّر فإن الذكرى تنفع المؤمنين)) .**

(الذاريات : ٥٥)

ــ **((وما يدريك لعلّه يزكّى ، أو يذكر فتنفعه الذكرى)) .**

(عبس : ٢ ــ ٣)

ــ **((تبصرةً وذكرى لكل عبد منيب)) .**

(ق : ٨)

ــ **((ذلــك ذكرى للذاكرين)) .**

(هود : ١١٤)

ــ **((ذلكم يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر)) .**

(الطــلاق : ٢)

والقرآن الكريم مليء بالآيــات التي تتخــذ أسلوب الوعظ أساساً لمنهــج الدعــوة ، وطريقاً الى الوصول لاصلاح الأفراد ، وهداية الجماعات •• ومن استعرض صفحات القرآن الكريم يجد ظاهرة الاسلوب الوعظي حقيقة ملموسة في كثير من آياته •• تارة بالتذكير بالتقوى ، وأخرى بالتنويه بالتذكرة ، وثالثة بالتعبير بالموعظة ، ورابعة بالحض على النصح ، وخامسة باتباع سبيل الرشاد، وسادسة بالإغراء بالترغيب ، وسابعة باستعمال أسلوب التهديــد •• وهكذا يجد القاريء ظاهرة الوعظ منسابة في ألفاظ القرآن الكريم ومعانيــه بقوالب متعددة ، وأساليب متنوعة •• مما يؤكد لكل ذي بصر وبصيرة أن للوعظ في

القرآن الكريم أهمية بالغة في تربية النفوس على الخير ، وحملها على الحق، واستجابتها للهـدى ..

وسبق أن ذكرنا جمـلة من الاستشهادات القرآنية التي تفصح بشكل قاطع لا يقبل الشك أن النفوس الصافية ، والقلوب ، المتفتّحـة ، والعقـول الواعية المتدبّرة .. إذا تراءى لها الحق منساباً بالكلمـة المؤثرة ، والموعظـة البليغة ، والنصيحة الرشيدة ، والتذكرة المخلصة .. فإنهـا سرعان ماتستجيب في غير تردّد ، وتتأثر من غير توقف .. بل سرعان ما تخضع للحق ، وتتقبـل هدى الله الذي أنزله !..

هذا في الكبير ... **فكيـف بالمولـود الصغـير** الذي ولد على الفطرة وقلبه الطاهر البريء لم يتلوث بعد ، ونفسه البيضاء الصافية لم تتدنس بمفاسد الجاهلية ، ولم تتقلّب في مدارج الإثم والعدوان ..؟

فلا شك أن تأثيره بالموعظة أبلغ ، وقبوله للتذكرة أقوى!..

فما على المربين إلا أن يفهموا هذه الحقيقة ، وأن ينهجوا منهج القـرآن الكريم في مواعظه وإرشاداته في إعـداد أولادهم الصغار ــ قبل سن التمييز وبعده ــ إيمانياً وخلقياً ، وتكوينهم نفسياً واجتماعياً ... إذا أرادوا لأولادهم الخير والكمال ، والنضج الخلقي والعقلي والاتزان !..

★ ★ ★

ولا بد في هذا المضمار إلا أن نلمح طريقـة القرآن الكريم في الموعظـة والنصح عسى أن ينتهجها من كان له في عنقه حق التربية ، ليصلوا بأولادهـم أو تلامذتهم الى الغاية المثلى في الإعداد والتكوين ، والتهذيب والتعليم ..

وفي تقديري أن طريقة القرآن في الموعظة تتميز بالأساليب التالية :

١ ــ النــداء الاقناعي : مصحوباً بالاستعطاف أو الاستنكار :

وهذا الأسلوب له إيحــاءاته المؤثرة على المشــاعر ، وتأثيره البالــغ في القــلوب ..

وهذا الأسلوب من الإقنــاع الاستنكاري أو الاستعطافي ظاهر واضــح في مخاطبة القرآن الكريم لقــلوب الناس وعقولهــم على اختلاف أشكالهــم وأجناسهم وطبقاتهم على ألسنة الأنبيــاء والدعاة ..

وإليكم نماذج من هذه النداءات بأساليبها المتنوعة :

- **نــداؤه للأبنــاء :**

ــ **« وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بنيّ لا تشرك بالله ... » .**

ــ وعلى لسان نوح عليه السلام :

« يا بنيّ اركب معنا ولا تكن مع الكافرين ... » .

(هود : ٤٢)

ــ وعلى لسان يعقوب عليه السلام :

« يا بنيّ لاتقصص رؤيــاك على إخوتــك فيكيدوا لك كيــداً إن الشيطان للانسان عدو مبــين » .

(يوسف : ٥)

ــ وعلى لسان ابراهيم ويعقوب عليهما السلام :

« يا بنيّ إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتنّ إلا وأنتم مسلمون » .

(البقرة : ١٣٢)

- **نــداؤه للنساء :**

ــ على لسان الملائكة لمريم عليها السلام :

« يا مريم إن الله اصطفاك وطهّرك واصطفاك على نساء العالمين ، يا مريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين .. » .

« آل عمران : ٤٢ ـ ٤٣ »

ـ « يا نساء النبي لستنّ كاحد من النساء إن اتقيتنّ فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض وقلنَ قولا معروفا » .

(الأحزاب : ٣٢)

● نداؤه للأقوام :

ـ على لسان موسى عليه السلام :

« يا قوم إنكم ظلمتم انفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا الى بارئكم فاقتلوا انفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم فتاب عليكم إنه هو التواب الرحيم » .

(البقرة : ٥٤)

ـ وعلى لسان موسى عليه السلام كذلك :

« يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم إذ جعل فيكم انبياءَ وجعلكم ملوكاً وآتاكم مالم يؤت أحداً من العالمين » .

ـ وعلى لسان الداعية الذي آمن من قوم موسى :

« يا قوم اتبعونِ أهدكم سبيل الرشاد ، يا قوم إنما هذه الحياة الدنيا متاع وإن الآخرة هي دار القرار .. ويا قوم مالي أدعوكم الى النجاة وتدعونني الى النار ...» .

(المؤمن : ٣٨ ـ ٤١)

ـ وعلى لسان الجن الدعاة :

« يا قومنا إنا سمعنا كتاباً أنزل من بعد موسى مصدقاً لما بين يديه يهدي الى الحق والى صراط مستقيم ، يا قومنا اجيبوا داعيَ الله وآمنوا به يغفرْ لكم من ذنوبكم ويجِركم من عذاب أليم » .

(الأحقاف : ٣٠ ـ ٣١)

● نـداؤه للمؤمنين :

ـ « يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة إن الله مع الصابرين .. » .

(البقرة : ١٥٣)

ـ « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون .. » .

(آل عمران : ١٠٢)

ـ يا أيهـا الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكـم لما يحييكم .. » .

(الأنفال : ٢٤)

● نـداؤه لأهل الكتاب :

ـ « ... يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبُدَ إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فـإن تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون » .

(آل عمران : ٦٤)

ـ « يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبيّن لكم كثيراً مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين ... » .

(المائدة : ١٥)

ـ « يا أهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والانجيل وما أنزل اليكم من ربكم وليزيدَنّ كثيراً منهم ما أنزل إليك من ربك طغياناً وكفراً فلا تأسَ على القوم الكافرين » .

(المائدة : ٦٨)

● نـداؤه للناس أجمعين :

ـ « يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون، الذي جعل لكم الأرض فراشاً والسماء بناء وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون » .

(البقرة : ٢٠ ـ ٢٢)

« يا أيها الناس قد جاءكم برهان" من ربكم وأنزلنا إليكم نوراً مبيناً ... » .

(النساء : ١٧٤)

- **« يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم ، يوم ترَوْنها تذهَلُ كل مرضعة عما ارضعت وتضع كلّ ذات حملٍ حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد .. » .**

(الحج : ١ ــ ٢)

وهــذا النداء كثير في القرآن الكريم .

٢ ــ الأسلوب القصصي مصحوبا بالعبرة والموعظة :

وهذا الأسلوب له تأثيراته النفسية، وانطباعاته الذهنية، وحججه المنطقية والعقلية .. وقد استعمله القرآن الكريم في كثير من المواطن ولا سيما في أخبار الرسل مع أقوامهم ، وقد مَنّ الله سبحانه على رسوله عليه الصلاة والسلام بأن قصّ عليه أحسن القصص ، ونزّل عليه أحسن الحديث .. ليكون للناس آية وعبرة ، وللرسول عليه الصلاة والسلام عزماً وتثبيتاً :

- **« نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن ... » .**

(يوسف : ٣)

« تلك القرى نقص عليك من أنبائها ... » .

(الأعراف : ١٠١)

- **« وكلاّ نقصّ عليك من أنباء الرسل مانثبّت به فؤادك ... » .**

(هود : ١٢٠)

- **« فاقصُصِ القصَصَ لعلهم يتفكرون ... » .**

(الأعراف : ١٧٦)

ـ ((هــل اتــاك حديث موسى ...)) .

(النازعــات : ١٥)

ـ ((هل أتاك حديث ضيفِ ابراهيم المكرمين ...)) .

(الذاريات : ٢٤)

ـ ((هل أتاك حديث الجنود ، فرعون وثمود ...)) .

(البروج : ١٧ ـ ١٨)

والقرآن الكريم مليء بقصص الأنبيــاء عليهم السلام مــع أقوامهــم . وأحياناً تكون القصة مكررة في سور عِدّة من القرآن ، لإظهار القصة في كل مرة بأسلوب جديد يختلف عن أسلوبها في المرات السابقة ، لتذوّق الإعجــاز القرآني في أسلوبه الرائع ، وبيانه الفريد من ناحية ، ومن ناحية أخرى لإظهار عبــرة أخرى تكمــن وراء الآيات ، وتتراءى خلال الألفاظ والمعانــي التي لايدركها إلا الراسخون في العلم ، والمتذوقون لبلاغة القرآن الكريم !..

ولنضرب على ذلك مثلا :

قصة موسى عليه السلام مع فرعون مذكورة مرات ومرات في القرآن ، فلنخثر قصتين من هذه القصص ، ثم نقــارن بينهما ليعلم القارىء ســر هــذا التكرار :

القصة الأولى في سورة الأعراف (١٠٤ ـ ١٣٩) :

((... وقال موسى يا فرعون إني رسول من رب العالمــين ، حقيقٌ على أن لا أقول على الله إلا الحقّ قد جئتكم ببينةٍ من ربكم فأرسل معي بني اسرائيــل ، قال إن كنتَ جئتَ بآية فأت بها إن كنت من الصادقين ، فالقى عصاه فــإذا هي ثعبــان مبين ...)) .

القصة الثانية من سورة النازعات (١٥ ـ ٢٦) :

((هل أتاك حديث موسى ، إذ ناداه ربّــه بالوادي المقدس طــوى ، إذهب

الى فرعون انه طغى ، فقل هل لك الى أن تزكى ، وأهديك الى ربك فتخشى ، فأراه الآية الكبرى ، فكذّب وعصى ، ثم أدبر يسعى ، فحشر فنادى ، فقال انا ربكُم الأعلى ، فأخذه الله نكال الآخرة والأولى ، إن في ذلك لعبرة لمن يخشى)) .

من المقارنة بين القصتين يتبين الأمور التالية :

١ ــ الأولى مفصلة وطويلة ، والثانية مختصرة وقصيرة .

٢ ــ فرق كبير بين الأسلوبين ، سواء ما يتعلق بالآيات وفواصلها في طولها وقصرها ، أو معانيها وتراكيبها ، أو صيغ الأمر والنهي فيها ...

٣ ــ التركيز على العبرة في سورة الأعراف يتناول :

أ ــ إقامة الحجة على فرعون .

ب ــ إظهار المعجزات الدالة على صدق موسى عليه السلام .

ج ــ الحوار الذي جرى بين موسى والسحرة .

د ــ إيمان السحرة بعد قيام الحجة .

هـ ــ تهديد فرعون ووعيده .

و ــ عدم اكتراث السحرة بالتهديد بعد أن خالط الإيمان بشاشة قلوبهم .

ز ــ أخذ آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات ..

ح ــ انتقام الله منهم بالغرق .

أما التركيز في سورة النازعات فيتناول :

أ ــ إهلاك الله لفرعون لادعائه الألوهية .

ب ــ أخذ العبرة لمن يريد أن يتذكر أو يخشى .

بعد هـذا البيان تبين لك الفرق الكبير ما بين القصتين ، سواء ما يتعلق بالتذوق البلاغي ، أو بأخذ العبرة والعظة ، إذن لا يجوز أن نرى في القصص المعـادة مجـرد تكرار - لأن القصص التي كررها القرآن الكريم ليست كذلك كما رأيت من الفارق الكبير من عرض القصتين !..

٣ ـ التوجيه القرآني مصحوباً بالوصايا والمواعظ :

القرآن الكريم مليء بالآيات المصحوبة بالوصايا ، وبالنصوص المقرونة بالمواعظ لتوجيه القـارىء الى ماينفعه في دينه ودنيـاه وآخرته ؛ وتكوينـه في روحه وعقله وجسمه ؛ وإعداده ليكون رجل دعوة ، وبطل جهاد ..

وللقرآن الكريم تأثيره البالغ على الأرواح والقـلوب ، فحينما يسمـع المسلم آيات الله تتلى، يتخشّع لها قلبه، وتتوق إليها نفسه، وتتحرك لجَرْسِها روحه .. فيعاهد الله سبحانه على أن يعمل بمواعظها ، ويستجيب لوصاياهـا، ويمتثل أوامرها ، ويجتنب نواهيها .. لأنهـا تنزيل من حكيم حميد ، فيهـا البلسم الشافي لأسقامه . والعلاج الواقي لأمراض الاجسام ، وآفات القلوب..

وإليكم بعض هذه النماذج التوجيهية من القرآن الكريم :

أ ـ من سورة لقمان : ((وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه ...)) .

ب ـ ((وعبَاد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً ،وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً ، والذين يبيتون لربهم سجّداً وقياماً ، والذين يقولون ربنا اصرفْ عنا عذاب جهنم إن عذابها كان غراماً ، إنها ساءت مُستقراً ومُقاماً ، والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يَقتُروا وكان بين ذلك قَواماً ، والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ولا يقتلون النفس التي حرّم الله إلا بالحقّ ولايزنون ومَن يفعـل ذلك يلق أثامـاً ، يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مُهاناً ، إلا من تاب وآمن وعمل عملا صالحاً فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفوراً رحيماً ،

ومَن تاب وعمل صالحاً فإنه يتوب الى الله متاباً ، والذين لا يشهدون الزّورَ وإذا مروا باللغو مروا كراماً ، والذين إذا ذُكّروا بآيات ربهم لم يَخروّا عليها صمّاً وعمياناً ، والذين يقولون ربنا هَبْ لنا من أزواجنا وذرياتنا قُرّةَ أعينٍ واجعلنا للمتقين إماماً ، أولئك يجزوْن الغُرفةَ بما صبروا ويلقّون فيها تحية وسلاماً ، خالدين فيها حسُنَت مستقراً ومقاماً ، قل ما يعبأ بكم ربي لولا دعاؤكم فقد كذّبتم فسوف يكون لزاماً » . (الفرقان : ٦٢ ــ ٧٧)

ج ــ « واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً وبذي القربى واليتامى والمساكين والجارِ ذي القربى والجارِ الجنب والصاحب بالجَنْب وابن السبيل وما ملكت ايمانكم إن الله لايحب مَن كان مختالاً فخوراً ، الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ويكتمون ما آتاهم الله من فضله وأعتدنا للكافرين عذاباً مُهيناً ، والذين ينفقون اموالهم رِئاء الناس ولايؤمنون بالله واليوم الآخر ومن يكن الشيطان له قريناً فساءَ قريناً » . (النساء : ٣٦ ــ ٣٩)

د ــ « ليس البِرَّ ان تولّوا وجوهكم قِبل المشرق والمغرب ولكن البِرّ مَن آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حُبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون » .

(البقرة : ١٧٧)

هـ ــ « وقضى ربك ألاّ تعبدوا الا إياه وبالوالدين احساناً إما يبلغنّ عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أفٍ ولا تنهرهما وقل لهما قولاً كريماً ، واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل ربّ ارحمهما كما ربياني صغيراً ، ربكم أعلم بما في نفوسكم إنْ تكونوا صالحين فإنه كان للأوابين غفوراً ، وآت ذا القربى حقّه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيراً ، إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفوراً ، وإما تُعرِضَنّ عنهم ابتغاء رحمةٍ

من ربك ترجوها فقـل لهـم قولا ميسوراً ، ولاتجعل يـدك مغلولة الى عنقـك ولاتبسطها كل البسط فتقعد ملوماً محسوراً ، إن ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويَقْدِرُ إنه كان بعباده خبيراً بصيراً ، ولاتقتلوا أولادكم خشية إملاق نحـن نرزقهم واياكم إنّ قتلهم كان خِطْئاً كبيراً ولا تقربوا الزنى إنه كان فاحشة وساء سبيلا ، ولاتقتلوا النفس التي حرّم الله إلا بالحق ومَن قتل مظلوماً فقـد جعلنا لوليّه سلطاناً فلا يُسرِف في القتل إنه كان منصوراً ، ولاتقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغَ أشُدّهُ وأوفوا بالعهد إن العهـد كان مسؤولا ، وأوفوا الكيل إذا كِلْتم وزنوا بالقسطاس المستقيم ذلـك خير وأحسن تأويلا ، ولا تَقْفُ ما ليس لك به علِم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا ، ولاتمش في الأرض مرحاً إنك لن تخرق الارض ولن تبلغ الجبـال طولا ، كل ذلك كان سيئُه عند ربك مكروهاً » .

(الاسراء : ٢٣ ـ ٣٨)

الى غير ذلك من هـذه الوصايا ، والمواعظ ، والتوجيهات ، والأوامر ، والنواهي .. التي تفيض فيها آيات الله ، ويدعو إليها قرآنه المجيد !!..

وينفرع عن هـذا :

أ ـ التوجيه القرآني المصحوب بأدوات التوكيد : كقوله تعالى :

« إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون » ، وقوله : « إن في ذلـك لآيـات لقـوم يتفكرون » ، وقولـه : « إن في ذلك لآيات لقوم يسمعون » وقوله : « إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو القى السمع وهو شهيد » ...

ب ـ التوجيه القرآني المصحوب بأدوات الاستفهام الانكاري :

كقوله تعالى :

« أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون ؟ قل تربصوا إني معكم من المتربصين .

أم تأمرهم أحلامهم بهذا أم هم قوم طاغون ؟ .

أم يقولون تقوّله بل لايؤمنون ؟. فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين .

أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون ؟ .

أم خلقوا السموات والأرض بل لايوقنون ؟.

أم عندهم خزائن ربّك أم هم المصيطرون ؟.

أم لهم سلّم يستمعون فيه فليأت مستمعهم بسلطان مبين ؟.

أم له البنات ولكم البنون ؟.

أم تسألهم أجراً فهم من مغرم مثقلون ؟.

أم عندهم الغيب فهم يكتبون ؟.

أم يريدون كيداً فالذين كفروا هم المكيدون ؟.

أم لهم إله غير الله سبحان الله عما يشركون ؟ » .

(الطور : ٣١ ـ ٤٣)

هـ ـ التوجيه القرآني المصحوب بالأدلة العقلية : كقوله تعالى

ـ « إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبثّ فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون » .

(البقرة : ١٦٤)

ـ « لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا فسبحان الله رب العرش عما يصفون » . (الأنبياء : ٢٢)

- « أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون ؟ » .

(الطور : ٣٦)

- « وفي الأرض آيات للموقنين ، وفي أنفسكم أفلا تبصرون ؟ » .

(الذاريات : ٢٠ - ٢١)

د - التوجيه القرآني المصحوب بشمولية الاسلام : كقوله تعالى :

- « ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون » .

(البقرة : ١٧٧)

- في سورة النحل : « ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين » . (النحل : ٨٩)

- في سورة الأنعام : « ما فرطنا في الكتاب من شيء » .

(الأنعام : ٣٨)

هـ - التوجيه القرآني المصحوب بقواعد التشريع : كقوله تعالى :

- في قاعدة العدل القضائية : « وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل إن الله نعما يعظكم به إن الله كان سميعاً بصيراً » .

(النساء : ٥٨)

- وكقوله في قاعدة الشورى الدستورية : « فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين » .

(آل عمران : ١٥٩)

« وأمرهم شورى بينهم » (الشورى : ٣٨)

ـ وكقوله في قاعـدة **المساواة الانسانية : ((ياأيهـا الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم)) .**
(الحجرات : ١٣)

تلكم أهم الأساليب التي سلكهـا القرآن الكريـم في نصائحـه ومواعظه .. وهي أساليب متنوعة لها إيحاءاتها المؤثرة ، وحساسياتها البالغة ، واهتزازاتهـا الضاربة على أوتار القلوب !.. ومن بدهيات القول أن المربين جميعاً لو سلكوا هذه الاساليب التي انتهجها القرآن الكريم في تأديب أولادهم ، وتهذيب أفـلاذ أكبادهم .. لنشأ الأولاد ـ ولاشك ـ على خير ما ينشؤون من التربية الفاضلة ، والأخـلاق الحميدة ، والسلوك الانساني القويم ، والوعي الاسلامي الشامل ..



والرسول صلوات الله وسلامه عليه قد اهتم للنصيحة ، ووجه المربين والدعاة .. الى إلقاء الموعظة ، وأهاب بكل مسلم في الحياة أن يكون الداعية الى الله في كل مكان يحل فيه ، وفي كل بيئة يوجد فيها .. عسى أن يتأثـر بمواعظه وإرشاداته من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ، وعسى أن يقوم بمهمة الانقاذ ـ عن طريق الدعوة والموعظة ـ لرجال توحّلوا في مستنقع الجاهلية ، وتعثروا في دروب الانحلال ، وضاعوا في متاهات الزيغ والضلال ..

وإليكم أهم توجيهاته عليه الصلاة والسلام في بث النصيحة ، وإلقاء الموعظة، والدعوة الى الله :

ـ روى مسلم عن تميم بن أوس الداري رضي الله عنه أن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال : « الدين النصيحة » قلنا : لمَنْ ؟ قال : « لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم » .

ـ وروى الشيخان عن جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال : « بايعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) على إقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، والنصح لكل مسلم » .

ـ وروى مسلم عن أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليهوسلم : « مَنْ دلّ على خير فله مثل أجر فاعله » .

ـ وروى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلمقال : « مَنْ دعا الى هدًى كان له من الأجرمثل أجورمن تبعه لاينقص ذلك من أجورهم شيئاً ... » .

ـ وروى الشيخان من حديث سهل بن سعد الساعدي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعليّ كرم الله وجهه لما وجهه الى فتح خيبر : انْفُذْ على رِسْلِكَ حتى تنزل بساحتهم ، ثم ادعُهم الى الاسلام ، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله تعالى ، فوالله لأنْ يهديَ الله بك رجلا واحداً خير لك من حُمْرِ النّعَمِ [1] » .

والأحاديث في هذا الشأن كثيرة ومستفيضة ، فعلى المربين أن يأخذوا بتوجيهاتها ، وأن يكونوا محققين لما جاء فيها .. ولاسيما الأمور التي تخص أولادهم وتلامذتهم ومريديهم ..



(١) اي خير من ان تكون لك حمر النعم ، والنعم : الابل ، والحمر منهاانفسها.

ومعلمنا الأول عليـه الصلاة والسلام له منهجه الأفضل ، وطريقته المثلى في إلقـاء الموعظة ، وتجدد أسلوبها ، وتنوع عرضها ..

وإليكم اهم مافي هذا المنهج وهذه الطريقة(١) :

● **أ ـ انتهاج اسلوب القصة :** ولنذكر بعض الأمثلة :

١ ـ قصة الأبرص والأقرع والأعمى :

روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول : (إن ثلاثة من بني إسرائيل : « أبرص ، وأقرع ، وأعمى » ، أراد الله أن يبتليهم (يختبرهم) ، فبعث إليهم ملكاً ، **فأتى الأبرص :**

الملَك : أي شيء أحب إليك ؟

الأبرص : لون حسن ، وجلد حسن ، ويذهب عني الذي قد قذرني الناس ، فمسحه فذهب عنه قذره ، وأعطي لونا حسنا .

الملَك : فأي المال أحب إليك ؟

الأبرص : الإبل ، فأُعطي ناقة عُشَراء (حاملاً) .

الملَك : بارك الله لك فيها ..

فاتى الأقرع :

الملَك : أي شيء أحب إليك ؟

الأقرع : شعر حسن ، ويذهب عني هـذا الذي قَـذَّرني الناس ، فمسحه فذهب عنه وأعطي شعراً حسناً ...

---

(١) استفدت كثيراً من بحث « الرسول المعلم » لفضيلة الاستاذ الشيخ عبد الفتاح ابو غدة ، المنشور في « محاضرات الموسم الثقافي العاشر » للكليات والمعاهد ص٣ .

الملك : فأي المال أحب إليك ؟

الأقرع : البقر ، فأعطي بقرة حاملاً •

الملك : بارك الله لك فيها ••

فأتى الأعمى :

الملك : أي شيء أحب إليك ؟

الأعمى : أن يردّ الله بصري ، فأبصِرَ الناس ، فمسحه فردّ إليه بصره •

الملك : فأي المال أحب إليك ؟

الأعمى : الغنم ، فأعطي شاة والداً (حاملاً) •

فأنتجَ هذان وولّد هذا ، فكان لهذا وادٍ من الإبل ، ولهذا واد من البقر ، ولهذا واد من الغنم •

ثم إنه أتى الأبرص في صورته وهيئته :

الملك : رجل مسكين قد انقطعت بي الحبال في سفري ، فلا بلاغ لي اليوم (أي معونة من مال) إلا بالله ثم بك ، أسألك بالذي أعطاك اللون الحسن ، والجلد الحسن والمال ، بعيراً أتبلّغ به في سفري •

الأبرص : الحقوق كثيرة !!••

الملك : كأني أعرفك ألم تكن أبرص يَقذَرُك الناس ؟ فقيراً فأعطاك الله ؟•

الأبرص : إنما ورثتُ هذا المال كابراً عن كابر (أباً عن جد)!!

الملَك : إن كنت كاذباً فصيَّرك الله الى ما كنت •

وأتى الأقرع في صورته وهيئته :

الملَك : رجل مسكين قد انقطعت بي الحبال في سفري ، فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك ، أسألك بالذي أعطاك الشعر الحسن، والمنظر الحسن ، والمال ، بقرة أتبلَّغ بها في سفري .

الأقرع : الحقوق كثيرة !!••

الملَك : كأني أعرفك ، ألم تكن أقرع يقذرك الناس ؟ فقيراً فأعطاك الله ؟

الأقرع : إنما ورثت هذا المال كابراً عن كابر !!•

الملَك : إن كنت كاذباً فصيرك الله الى ما كنت •

وأتى الأعمى في صورته وهيئته :

الملَك : رجل مسكين قد انقطعت بي الحبال في سفري ، فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك ، أسألك بالذي ردّ عليك بَصرك ، شاة أتبلَّغ بها في سفري •

الأعمى : قد كنتُ أعمى فرد الله إلي بصري ، فخذ ما شئت ، ودعْ ما شئت ، فوالله لا أجهدك (لا أعارضك) بشيء أخذتَه لله عز وجل •

الملك : أمسك مالك فإنما ابتليتم (اختبرتم) ، فقد رضي الله عنك ، وسخط على صاحبيك) ..

٢ ـ قصة الخشبة العجيبة :

روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((أنه ذكر رجلاً من بني اسرائيل سأل بعض بني اسرائيل أن يُسلفه (يُقرضه) ألف دينار .

المقرِض : ائتني بالشهداء أُشهدهُم .

المقترِض : كفى بالله شهيداً !.

المقرِض : فائتني بالكفيل .

المقترِض : كفى بالله كفيلاً !

المقرِض : صدقت ! ، فدفعها اليه الى أجل مسمى ، فخرج في البحر ، فقضى حاجته ، ثم التمس مركباً يركبها يقدَمُ عليه للأجل الذي أجّله ، فلم يجد مركباً ، فأخذ خشبة فنقرها ، فأدخل فيها ألف دينار ... وصحيفة منه الى صاحبه ، ثم زجّجَ موضعها (أي سدّه) ثم أتى بها البحر .

المقترِض : « اللهم إنك تعلم أني كنت تسلّفتُ فلاناً (اقترضت منه) ألف دينار ، فسألني كفيلا ، فقلت : كفى بالله كفيلا ، فرضي بك ، وسألني شهيداً ، فقلت : كفى بالله شهيداً ، فرضي بك ، وإني جَهدْتُ (بذلت جهدي) أن أجد مركباً أبعث إليه الذي له ، فلم أقدر ، وإني أستودعُكَها (أي أجعلها في

أمانتك) ، فرمى بهـا في البحر !!• حتى ولجَتْ فيـه ثـم انصرف وهو في ذلك يلتمس مركباً يخرج الى بلده ، فخرج الرجـل الذي كان أسلفه (أقرضه) ينظر : لعل مركباً قـد جـاء بماله فإذا بالخشبه التي فيها المال !!! فأخذها لأهلـه حطباً ! فلما نشرها وجد المال والصحيفة !!!•• ثم قـَدِمَ الذي كان أسلفه ، فأتى بألف الدينار •

المقترِض : والله ما زلتُ جاهـداً في طلب مركبٍ لآتيك بمالك ، فمـا وجدت مركباً قبل الذي أتيت فيه •

المقرِض : هل كنتَ بعثتَ إلي بشيء ؟•

المقترِض : أُخبرك أني لم أجد مركباً قبل الذي جئت فيه •

المقرِض : فإن الله أدى عنك الذي بعثتَ في الخشبة ، فانصرف بألف الدينـار راشداً)) •

٣ ـ قصة هاجر واسماعيل :

روى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قـال : جاء ابراهيم عليـه السلام بأم اسماعيل (هاجر) ، وبابنها اسماعيل وهي ترضعـه حتى وضعهـا عند البيت عند دَوحَة (شجرة) فوق زمزم من أعلى المسجد ، وليس بمكـة يومئذ أحـد ، وليس بها ماء ، فوضعهما هناك ، ووضع عندهما جراباً (كيساً) فيه تمر ، وسقاء فيه مـاء •

ثم قفّى (رجع) ابراهيم عليه السلام منطلقـاً ، فتبعتـه أم اسماعيل ، فقالت : يا إبراهيم أين تذهب ، وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس فيـه أنيس ولا شيء !!••

قالت له ذلك مراراً ، وهو لايلتفت إليها !!•

هـاجر : آللهُ أمرك بهذا ؟

ابراهيم : نعـم •

هـاجر : إذاً لا يضيّعنا !!••

ثم رجعت ، فانطلق ابراهيم عليه السلام حتى إذا كان عند الثّنيّة (مكان بكمة) حيث لا يرونه استقبل بوجهه البيت ، ثم دعا بهـذه الدعوات ، فرفـع يديه فقال : « ربنا أسكنتُ من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرّم ، ربنا ليقيموا الصلاة ، فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم ، وارزقهم من الثمرات لعلّهم يشكرون » •

وجعلت أم اسماعيل ترضع اسماعيل ، وتشرب من ذلـك الماء ، حتى إذا نَفِدَ مافي السقاء عطشت وعطش ولدها ، وجعلت تنظر إليه يتلوى ، فانطلقت كراهية أن تنظر إليه ، فوجدت « الصفا » أقرب جبل في الأرض يليها ، فقامت عليه ، ثم استقبلت الوادي تنظر هل ترى أحداً ؟ فلم ترَ أحـداً ، فهبطت من الصفا حتى إذا بلغت الوادي رفعت طَرَفَ دِرعِها (ثوبها) ثم سعَت سعي الانسان المجهود (المتعب) حتى جاوزت الوادي ، ثم أتت المروة ، فقامت عليها فنظرت هل ترى أحداً ، فلم ترَ أحداً ، ففعلت ذلك سبع مرات •

قال ابن عباس رضي الله عنهما إنّ رسول الله صلى الله عليـه وسلم قال : « **فلذلك سعى الناس بينهما** » •

فلما أشرفت على المروة سمعت صوتاً فقالت : صهْ !! ــ تريد نفسها ــ ثم تسمعت فسمعت أيضاً ، فقالت : قد أسمعتَ إن كان عندك غُواث (إغاثة) فـأغِثْ •

فإذا هي بالملك عند موضع زمزم ، فبحث بعَقبِه أو قال : بجناحه حتى ظهر الماء ، فجعلتْ تُحوّضه (تجعله حوضاً) ، وتقول بيدها هكذا ، وجعلت تغرفُ بسقائها وهو يفور بعد ما تغرف ، فشربت وأرضعت ولدها .

قال ابن عباس رضي الله عنهما قال النبي صلى الله عليه وسلم :
« رحم الله أم إسماعيل لو تركت زمزم عيناً مَعيناً » .

فقال لها الملك : « لا تخافوا ضيعةً (هلاكاً) ، فإن ههنا بيتاً لله يبنيه هذا الغلام وأبوه ، وإن الله لايضيع أهله » .

وكان البيت مرتفعاً من الأرض كالرابية تأتيه السيول فتأخذ عن يمينه وعن شماله .

فكانت كذلك حتى مرت بهم رُفقة من جُرْهُم (اسم قبيلة) مقبلين من طريق كَداء (اسم موضع) ، فنزلوا في أسفل مكة ، فرأوا طائراً عائفاً (حائماً) فقالوا : إن هذا الطائر ليدور على ماء !! لعهدُنا بهذا الوادي وما فيه ماء ! ، فأرسلوا جَرِيّاً (رائداً) فإذا هم بالماء ، فرجعوا فأخبروهم ، فأقبلوا وأم اسماعيل عند الماء .

جرهم : أتأذنين لنا أن ننزل عندك ؟

هاجر : نعم ، ولكن لا حقّ لكم بالماء .

جرهم : نعم .

قال ابن عباس رضي الله عنهما : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« فالفى ذلك (وجد الحيّ) أم اسماعيل وهي تحب الأنس » .

فنزلوا فأرسلوا الى أهليهم فنزلوا معهم ، حتى إذا كانوا بها أهل أبيات وشبّ الغلام ، وتعلم العربية منهم وأنْفَسَهُم (أي سبقهم) ، وأعجبهم حين تسبّ ، فلما أدرك زوّجوه امرأة منهم ، وماتت أم اسماعيل .

فجاء ابراهيم عليه السلام بعدما تزوج اسماعيل يطالع تركَتَهُ (يتفقد أسرته) فلم يجد اسماعيل ، فسأل امرأته عنه .

الكنّة : خرج يصيد لنا ، ثم سألها عن عيشهم وهيئتهم .

الكنّة : نحن بشرٌ !! نحن في ضيق وشدة ، وشكت اليه !!.

ابراهيم : فإذا جاء زوجك فاقرئي عليه السلام ، وقولي له : يُغَيّر عتبةبابه (كناية عن الطلاق) .

اسماعيل : هل جاءكم من أحد ؟

زوجته : نعم جاءنا شيخ كذا وكذا (وصفته له) ، فسألنا عنك ، فأخبرتُه، فسألني كيف عيشُنا ؟ فأخبرته أنا في جهد وشدة .

اسماعيل : فهل أوصاك بشيء ؟

زوجته : نعم أمرني أن أقرأ عليك السلام ويقول « غيّرْ عتبة بابك » .

اسماعيل : ذاك أبي ، وقد أمرني أن أفارقك، إلحقي بأهلك، فطلقها . وتزوج اسماعيل منهم مرة أخرى ؛ فلبث عنهم ابراهيم عليه السلام ما شاء الله ، ثم أتاهم بعدُ فلم يجده ، فدخل على امرأته فسأل عنه:

ابراهيم : أين اسماعيل ؟ وكيف أنتم ؟

الكنّــة : ذهب يصيد لنا ونحن بخير وسعة، ألا تنزل فتطعم وتشرب ؟

ابراهيـم : وما طعامكم وشرابكم ؟

الكنّــة : طعامنا اللحم، وشرابنا الماء .

ابراهيـم : اللهم بارك لهم في طعامهم وشرابهم ..

فقال أبو القاسم صلى الله عليه وسلم :

« بركةُ دعوة إبراهيم » .

ابراهيـم : فإذا جـاء زوجك فاقرئي عليـه السلام ومُريه « يثبّت عتبـة بـابـه » .

جـاء اسماعيل وهو يقول : هل أتاكم من أحد ؟

الزوجـة : نعم أتانا شيخ حسن الهيئة، (وأثنت عليه) . فسألني عنـك . فأخبرته أنا بخير .

اسماعيل : فأوصاك بشيء ؟

الزوجـة : نعم : يقرأ عليك السلام، ويأمرك أن تثبت عتبة بابك .

اسماعيل : ذاك أبي وأنتِ العتبة، أمرني أن أمسِكَكِ .

ثم لبث عنهم ما شاء الله، ثم جـاء بعد ذلـك واسماعيل يبري نَبْلاً له (قوساً) تحت دوحـة (شجرة) قريبة من زمزم .
فلما رآه قام اليه، وصنع كما يصنع الوالد بالولد (أي تعانقا).

ابراهيـم : يا إسماعيل إن الله أمرني بأمر .

اسماعيل : فاصنع ما أمرك ربّك .

ابراهيـم : وتعينني ؟

اسماعيل : وأعينك .

ابراهيـم : فإن الله أمرني أن أبني بيتاً ههنا ، وأشار الى أكمـة مرتفعة الى ما حولهـا .

فعند ذلك رفع القواعد من البيت .

فجعل اسماعيل يأتي بالحجارة ، وابراهيم يبني ، حتى اذا ارتفع البنـاء جاء بهذا الحجر (المقام) فوضعه له ، فقام عليه وهو يبني ، واسماعيل يناوله الحجارة ، وهما يقولان :

« ربنا تقبَّل منا إنك أنت السميع العليم »

إلى غير ذلك من هذه القصص الواردة ..

فالواعـظ البـارع ، والمربي الحكيـم ، والداعيـة الموفق .. يستطيعون أن يكيفوا عرض القصة بالأسلوب اللائم الذي يتناسب مع عقلية المخاطبين ، كما أنهم يستطيعون أن يستخرجوا من القصة أهم مواطن العبرة والعظة .. ليكون التأثير أبلغ ، والاستجابة أقوى ..

إذاً فما على المربي إلا أن يستغل انفعال العاطفة ، ومثار الانتباه في عرض القصة لدى السامع حتى إذا تفاعل روحياً ، وتفتح ذهنياً .. صبّ في مشاعره وأحاسيسه وأعماق قلبه من معين العبرة ، وسلسبيل العظة .. وإذا هو مذعن ملتزم خاشع مُخْبِت لله رب العالمين .. وعندئذ يأخذ المربي عليه العهد ليلتزم الاسلام منهاجاً وتشريعاً . ويتخلّق بمبادىء هذا الدين سلوكاً ومعاملة ..

وهكذا يستطيع المربي الواعظ أن يُضفي ــ بأسلوبه الشيّق واستجلائه مواطن العبرة ــ على القصة جلالها ، وأن يترك في النفوس أثرها ، وأن ينقـل السامع الى أجواء الطهر والروحانية والخشوع ..

● ب ـ انتهاج أسلوب الحوار والاستجواب :

وذلك بطرح الأسئلة على أصحابه ، ليثير انتباههم ، ويحرك ذكاءهم ، ويقدح فطنتهم . ويسقيهم المواعظ المؤثرة في قالب الإقناع والمحاجاة ..

ولنضرب على ذلك أمثلة :

١ ـ روى الامام أحمد في مسنده عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : أتدرون من المسلم؟

قالوا : الله ورسوله أعلم .

قال : المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده .

قال : أتدرون من المؤمن ؟

قالوا : الله ورسوله أعلم .

قال : المؤمن من أمنه المؤمنون على أنفسهم وأموالهم .

ثم ذكر المهاجر فقال : والمهاجر من هجر السوء فاجتنبه .

٢ ـ وروى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أرأيتم لو أن نهراً بباب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات هل يبقى من درنه شيء ؟

قالوا : لا يبقى من درنه شيء .

قال : ذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا » .

٣ ـ وروى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أتدرون من المفلس ؟

قالوا : المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع •

قال : المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ، **ويأتي** وقد شتم هذا ، وقذف هذا ، وأكل مال هذا ، وسفك دم هذا ، وضرب هذا ، فيعطي هذا من حسناته ، وهذا من حسناته ، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طُرح في النار •

● ج ــ بدء الموعظة بالقسم بالله تعالى :

وذلك لتنبيه السامع على أهمية المقسم عليه لفعله أو اجتنابه :

ــ روى مسلم في صحيحه عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال : « والذي نفسي بيــده لاتدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ، ولا تؤمنوا حتى تحابّوا •• أولا أدلكم على شيء اذا فعلتموه تحاببتم ؟ أفشوا السلام بينكم » •

ــ وروى البخاري من حديث أبي شريح رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « والله لايؤمن ، والله لايؤمن ، والله لا يؤمن ، قيل : من يا رسول الله ؟ قال : الذي لا يأمن جاره بوائقه » أي شروره ، وهذا كثير في توجيهاته عليه الصلاة والسلام •

د ــ دمج الموعظة بالمداعبة :

وذلك لتحريك الذهن ، وإذهاب الملل ، وتشويق النفس ••

من هـــذا :

ما رواه أبو داود والترمذي عن أنس رضي الله عنه قال : إن رجلا جــاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستحمله بعيراً من الصدقة ليحمل عليه متاع بيته ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إني حاملك على ولد الناقة ، فقال

الرجل : يا رسول الله ما أصنع بولد الناقة ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وهل تلد الإبل إلا النوق ؟

فأفهمه صلى الله عليه وسلم عن طريق هذه المداعبة أن الجمل ولو كان كبيراً يحمل الأثقال ما يزال ولد الناقة .

وهذا كثير في مداعباته عليه الصلاة والسلام .

هـ ـ الاقتصاد بالموعظة مخافة السآمة :

ـ روى مسلم عن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال : « كنت أصلي مع النبي صلى الله عليه وسلم فكانت صلاته قصداً » أي وسطاً .

ـ وروى أبو داود عن جابر بن سمرة : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يُطيل الموعظة يوم الجمعة ، إنما هي كلمات يسيرات » .

ـ ومما يُروى عنه عليه الصلاة والسلام « أنه إذا خطب لا يخلّ ولا يمل ». وأيضاً : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخوّلنا بالموعظة مخافة السآمة» .

و ـ الهيمنة بالتأثير الوعظي على الحاضرين :

روى الترمذي عن العرباض بن سارية أنه قال : « وعظنا رسول الله صلى الله عليه وسلم موعظة مضّت ـ احترقت ـ منها الجلود ، وذرفت منها العيون . ووجلت منها القلوب ، فقلنا : كأن هذه موعظة مودّع يا رسول الله ، فماذا تعهد الينا ؟ فقال : « أن اتقوا الله وأن تتبعوا سنّتي وسنة الخلفاء الهادية المهدية من بعدي ، وعضّوا عليها بالنواجذ ، فإن كل بدعة ضلالة » .

ـ جاء في المسند ومسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية ذات يوم على المنبر : « وما قدروا الله حقّ قدره ، والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة ، والسموات مطويّات بيمينه ،

سبحانه وتعالى عما يشركون » ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول هكذا بيده : يحركها ، يقبل بها ويدبر : يمجّد الربّ نفسه : أنا الجبار ، أنا المتكبر، أنا الملك ، أنا العزيز . أنا الكريم، فرجف برسول الله صلى الله عليه وسلم المنبر، حتى قلنا ليخرّن به ، أساقطٌ هو برسول الله صلى الله عليه وسلم ؟

ولا يتصف الواعظ الداعية بهذه الهيمنة والتأثير إلا أن يكون مخلص النية ، رقيق القلب ، خاشع النفس ، طاهر السريرة ، مشرق الروح .. وإلا .. فالمسؤولية كبيرة عند رب العالمين ..

روى ابن أبي الدنيا والبيهقي مرسلا بإرسال جيد عن مالك ابن دينار عن الحسن رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما من عبدٍ يخطب خطبة إلا الله سائله عنها يوم القيامة ما أراد بها ؟ » ، فكان مالك إذا حدّث بهذا الحديث بكى ثم يقول : تحسبون أن عيني تقَرّ بكلامي عليكم ، وأنا أعلم أن الله عز وجل سائلي عنه يوم القيامة : ما أَرَدْتَ به ؟ فأقول : أنت الشهيد على قلبي، لو لم أعلم أنه أحبّ إليك ، لم أقرأ به على اثنين أبداً .

وفرق كبير بين داعية يتكلم بلسانه وهو متصنّع بالكلام ليسبيَ به قلوب الرجال ، وبين داعية مؤمن مخلص مكلوم القلب على الاسلام يتكلم بنبضات قلبه ، ولواعج حزنه وأساه ، لما آل اليه حال المسلمين !.. فلا شك أن تأثير الثاني أبلغ ، والاستجابة إليه أقوى ، والاتعاظ بكلامه أعظم !!..

قال عمر بن ذرّ لأبيه : يا أبت : ما لك إذا تكلمتَ أبكيتَ الناس ، وإذا تكلم غيرك لم يُبكهم ؟ ، فقال : يا بني ، ليست النائحة الثكلى مثل النائحة المستأجرة .

روى أبو داود عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله

عليه وسلم :«من تعلّم صرْفَ الكلام ليَسْبيَ به قلوب الرجال لم يقبل الله منه يوم القيامة صرْفاً ولاعَدْلاً(١) » •

ز ـ الموعظة بضرب المثل :

كان عليه الصلاة والسلام يستعين على توضيح مواعظه بضرب المثل مما يشهده الناس بأم أعينهم ، ويقع تحت حواسهم وفي متناول أيديهم ، ليكون وقع الموعظة في النفس أشد ، وفي الذهن أرسخ !!••

ــ روى النسائي في سننه عن أنس رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَثَلُ المؤمن الذي يقرأ القرآن كمثل الأترُجّة (فاكهة تشبه البرتقال) ريحها طيّب وطعمها طيب ، ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن كمثل الثمرة طعمها طيب ولا ريح لها ، ومثل الفاجر الذي يقرأ القرآن كمثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مر ، ومثل الفاجر الذي لايقرأ القرآن كمثل الحنظلة طعمها مر ولا ريح لها ، ومثل جليس السوء كصاحب الكير (كمثل الحداد النافخ في النار) إن لم يصبْك من سواده أصابك من دخانه » •

وفي هذه التشبيهات النبوية أبلغ ترغيب في الخير ، وأزجر تحذير عن الشر ، بأوضح أسلوب يدركه المخاطبون ••

ح ـ الموعظة بالتمثيل باليد :

وكان صلى الله عليه وسلم إذا أراد أن يؤكد أمراً هاماً يمثّل بكلتي يديه اشارة منة الى الأمر الهام الذي يجب أن يهتموا به ويمتثلوه ••

ــ روى البخاري ومسلم عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً وشبك رسول الله بين أصابعة » •

---

(١) الصرْف : التوبة ، والعَدْل : الفدية .

روى البخارى عن سهل بن سعد الساعدى (رضي الله عنه) قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : « أنا وكافل اليتيم في الجنة كهاتين » ، وأشار بالسبابة والوسطى

— وروى الترمذي في سننه عن سفيان بن عبد الله البَجلي رضي الله عنه قال : قلت يا رسول الله حدثني بأمر أعتصم به قال : « قل ربي الله ثم استقم »، قلتُ : يا رسول الله ما أخوف ماتخاف عليّ ؟ فأخذ عليه الصلاة والسلام بلسان نفسه ثم قال : « هذا » .

والأمثلة على هذا — في السنة — كثيرة ومستفيضة .

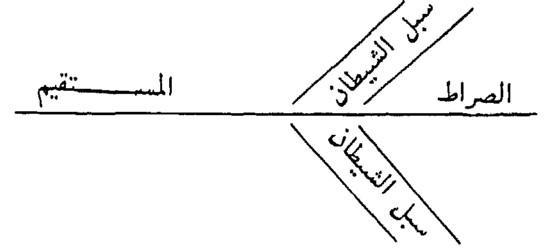
ط — الموعظة بالرسم والايضاح :

وكان صلى الله عليه وسلم يخط أمام أصحابه خطوطاً ليوضح لهم بعض المفاهيم الهامة ، ويقرّب الى أذهانهم بعض التصورات المفيدة ..

— روى البخاري في صحيحه عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : خطّ لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطاً مربعاً ، وخط خطاً خارجاً منه ، وخط خطوطاً صغاراً الى هذا الذي في الوسط من جانبه الذي في الوسط ، فقال : « هذا الانسان ، وهذا أجله محيط به ، وهذا الذي خارج (أي عن الخط) أمله ، وهذه الخطوط الصغار والأعراض هي الحوادث والنوائب المفاجئة ، فإن أخطأ هذا نهشه هذا ، وإن أخطأ هذا نهشه هذا ، وإن أخطأه كلها أصابه الهرم » ، وهذا هو المخطط الذي خطه عليه الصلاة والسلام :

فبين لهم عليه الصلاة والسلام بما رسمه على الأرض كيف يحال بين الانسان والآمال الواسعة بالموت المباغت أو الحوادث النازلة ؛ أو الهرم المضني المقعد ... وهذا توضيح جميل من المعلم الأول عليه الصلاة والسلام .

— وروى الإمام أحمد في مسنده عن جابر رضي الله عنه قال : كنا جلوساً عند النبي صلى الله عليه وسلم فخطّ بيده في الأرض خطاً — هكذا — فقال : هذا سبيل الله وخط خطين عن يمينه ، وخطين عن شماله ، وقال : هذه سبُل الشيطان ، ثم وضع يده في الخط الاوسط ثم تلا هذه الآية : « وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السُبل فتفرّق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون » ؛ وأنموذج الخطوط كما يلي :



فبين لهم عليه الصلاة والسلام بما رسمه لهم على الأرض أن منهج الاسلام هو الصراط المستقيم الموصل الى العزّة والجنة ، وأن ماعداه من المبادىء والنظم والافكار .. هي سبُل الشيطان ، وطُرُقه الموصلة الى الدمار والنار ..

ي — الموعظة بالفعل التطبيقي :

وكان صلى الله عليه وسلم يُعطي لأصحابه الانموذج الحي في أسلوب التعليم والتربية والتكوين .. وإليكم بعض الأمثلة :

— روى أبو داود والنسائي وابن ماجه من حديث عمرو ابن شعيب عن أبيه

عن جده أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يارسول الله كيف الطهور ؟ (أي الوضوء) ، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بماءٍ في إناء فغسل كفيه ثلاثاً حتى استوفى ثم قال : « فمن زاد عن هذا أو نقص فقد تعدى وظلم » •

ـ وروى البخاري في صحيحه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم توضأ أمام جمع من الناس ثم قال : « مَن توضأ نحو وضوئي هذا ثم صلى ركعتين، لايحدث فيهما نفسه بشيء من الدنيا غفر له ما تقدم من ذنبه » •

ـ وروى البخاري حديثاً ذكر فيه أنه صلى الله عليه وسلم صلى مرة بالناس إماماً وهو على المنبر ليروا صلاته كلهم ، وليتعلموها من أفعاله ومشاهداته •• فلما فرغ أقبل الناس فقال : « يا أيها الناس إنما صنعت هذا لتأتمّوا بي ، ولتَعلّموا صلاتي » •

ك ـ الموعظة بانتهاز المناسبة :

وكان صلى الله وسلم كثيراً ما ينتهز المناسبة لمن يريد وعظهم وإرشادهم، لتكون أبلغ في التأثير ، وأفضل للفهم والمعرفة ، **ومن ذلك :**

ـ روى مسلم عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مرّ بالسوق داخلا من بعض العالية والناس كَنَفَتَيْه (أي عن جانبيه) ، فمر بجدي أسَكّ (أي صغير الأذنين) ميت ، فتناوله بأذنه ثم قال : أيكم يحب أن هذا له بدرهم ؟ قالوا : ما نحب أنه بشيء أو َمانصنع به ؟ قال : أتحبّون أنه لكم ؟ قالوا : والله لو كان حياً كان هذا السّك عيباً فكيف وهو ميت ؟ فقال : فوالله ، للدنيا أهون على الله من هذا عليكم !!••

ـ وروى البخاري ومسلم عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : قدم رسولَ الله بسبي فإذا امرأة من السبي (الأسرى) قد تحلّب ثديها إذ

وجدت صبياً في السبي : فأخذته فألزقته ببطنها فأرضعته . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أترون هذه المرأة طارحة ولدها في النار ؟ — وهي تقدر على أن لا تطرحه — قلنا : لا والله ، قال : « فالله تعالى أرحم بعباده من هذه بولدها » .

ل — الموعظة بالالتفات الى الأهم :

وكان صلى الله عليه وسلم يلفت السؤال عن سؤال الى شيء أهم ، من ذلك :

ما روى البخاري ومسلم عن أنس رضي الله عنه أن أعرابياً سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : متى الساعة يا رسول الله ؟ فقال له الرسول عليه الصلاة والسلام : ماذا أعددت لها ؟ قال : حبّ الله ورسوله ، فقال : أنت مع من أحببت .

فلفته صلى الله عليه وسلم عن سؤاله عن قيام الساعة — التي اختص الله بعلمها — الى شيء آخر هو أحوج ما يكون اليه ، وهو اعداد العمل الصالح لهذا اليوم الذي يقوم فيه الناس لله رب العالمين .

م — الموعظة بإظهار المحرم الذي ينهى عنه :

وكان صلى الله عليه وسلم يحمل بيده الشيء المحرم الذي ينهى عنه ، ويرفعه أمام المخاطبين ، ليقرّر لهم الشيء المنهي عنه بالقول والمشاهدة ،ليكون ذلك أزجر للنفوس ، وأقطع في الدلالة على التحريم ، من ذلك :

ما روى أبو داود والنسائي وابن ماجه في « سننهم » عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : « أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم حريراً بشماله، وذهباً بيمينه ، ثم رفع بهما يديه ، فقال : إن هذين حرام على ذكور أمتي ، حلّ لإناثهم » .

تلكم أهم الأساليب التي كان يتبعها المعلم الاول عليه الصلاة والسلام في توجيه الكبار ، وتعليم الصغار ، وإرشاد الخاصة ، وهداية العامة ، وتثبيت الفضائل ، وتقويم الاعوجاج ... وهي ــ كما رأيتم أيها المربون ــ طرائق متنوعة ، ووسائل مختلفة .. بل كان عليه الصلاة والسلام ــ كما ألمحنا ــ لا يختص بأسلوب واحد في إرشاد الناس وهدايتهم ، وإصلاحهم وتوجيههم .. وإنما كان ينتقل بهم من القصة الى الحوار والاستجواب ، ومن التأثير الخاشع الى المداعبة اللطيفة ، ومن ضرب الامثال الى التوضيح بالرسم أو التمثيل باليد .. ، ومن الموعظة بالكلمة الى الاقتداء بالفعل ، ومن التذكير بالقرآن الكريم الى استجلاء العبرة بانتهاز المناسبة .. ، ومن السؤال المهم الى السؤال الاهم ، ومن النهي بالقول الى النهي بالمشاهدة ..

ولا يخفى مافي هذا التنوع من الاساليب من أثر كبير في ترسيخ المعلومات ، وإثارة الفهم ، وتحريك الذكاء ، وقبول الموعظة ، وقدح الفطنة والانتباه لدى المخاطب والولد ..

فالمربي حين يحسن عرض هذه الاساليب في إلقاء مواعظه وإرشاداته على من يقوم بإعدادهم وتربيتهم من أهل وولد وتلاميذ .. فإنهم ــ لا شك ــ يتعلمون ويطبقون ويتأثرون .. ويكونون دعاة خير وأئمة هدى ، وجنود رسالة ، وأبطال جهاد .. بل يكونون القاعدة الصلبة في بناء المجتمع الفاضل ، وإقامة دولة الاسلام ..

فما على المربين إلا أن يأخذوا بطرق الرسول صلوات الله وسلامه عليه في التوجيه ، وأساليبه في الموعظة لكونها أحسن الطرق وأفضل الاساليب .. لأن الرسول صلى الله عليه وسلم لاينطق عن الهوى ، وقد أدّبه ربه فأحسن تأديبه ، وهو مصنوع على عين الله ، ومشمول دائماً برعايته وعنايته .. وإذا كان الأمر كذلك فكل ما يصدر عنه من أقوال وأفعال وتقريرات .. فهي تشريع للانسانية وهداية لها على مدى الزمان والايام ..

وبكفيه عليه الصلاة والسلام فخراً وشرفا وخلوداً أن يقول الله سبحانه فيه : « لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليـــوم الآخر وذكر الله كثيراً » (الأحزاب : ٢١)

وأن يقول أيضاً : « مَنْ يطع الرسولَ فقد أطاع الله •• » (النساء : ٨٠)

★ ★ ★

وعلينا أن نعلم أن المربي إن لم يتحقق بما يقول ، وإن لم يطبق ما يعظ الناس به .. فلا أحد يقبل كلامه ، ولا إنسان يتأثر بموعظته ، ولا مخاطب يستجيب لندائه .. بل يكون محل نقد العامة ، واستهزاء الخاصة ، واستهجان النـــاس أجمعين ..

لأن الكلمة التي لا تنبعث من القلب ، لا تنفذ الى القلب •• والموعظة التي لا تمتزج بالروح لا تؤثر في النفس •• ولقد سمعتم قبل قليل ما أجاب الأب ولده حين سأله : مالك إذا تكلمت أبكيت الناس وإذا تكلم غيرك لم يُبكهم ؟ أجاب : ((**يابني ليست النائحة الثكلى مثل النائحة المستأجرة**)) •
ويقصد : ليس الداعية المكلوم على الاسلام ، والمتحقق بالايمان •• مثـــل الواعظ المنافق ، والداعية المهرّج !!••

وسبق أن فصلنا القول عن الذين تخالف أفعالهم أقوالهم ، وتتناقض مواعظهم مع أعمالهم في مبحث ((**التربية بالقدوة**)) ، فارجع اليه ــ أخي القارىء ــ تجد فيه ما يبلّ الصدى ، ويشفي الغليل بعونه تعالى •



وأخيراً أخي المربي :

بعد أن علمت منهجية الاسلام المتمثّلة بالقرآن الكريم ، والسنةالمطهرة في طرائق الموعظة ، وأساليب النصح ، ووسائل الإرشاد ..

فما عليك إلا أن تشحذ الهمة ، وتضاعف العزم في تنفيذ ما استوعبته من منهجية ، وتطبيق ما استفدته من طرائق .. حتى ترى ولدك أو تلميذك أو مريدك..قد فتح قلبه للموعظة، وخضع بكليته الى سنن الهدى والرشاد.. واستجاب للحق والاسلام ..

فما أحسن الأب المربي ، والأم المربية حين يجتمعون مع أولادهم في كل أمسية .. وقد ملؤوا سهرتهم بأنواع الطرائف ، وأصناف الحكمة ، ولطائف الموعظة .. فحيناً بعرض قصة ، وأحياناً بتوجيه موعظة ، وتارة بإنشاد شعر ، وأخرى بسماع تلاوة .. ورابعة بإلقاء طرفة ، وخامسة باجراء مسابقة.. وهكذا يعددون في الاساليب ، وينوّعون بالبرامج .. حتى تؤدي السهرة غرضها في تكوينهم روحياً ، واعدادهم نفسياً وخلقياً .. على ألاّ ينسوا الوقت المخصص لمراجعة دروسهم ، وكتابة وظائفهم .. وهكذا يستطيع المربي أن يجمع ما بين الجد والمرح ، ويمزج مابين الموعظة والطرفة ، ويوازن ما بين الحقيقة والتسلية .. حتى يطمئن قلبياً ، ويقتنع وجدانياً بأن الاولاد قضوا جل وقتهم في الأمور النافعة ، والأشياء المفيدة ..

وإذا سار المربي كل يوم على هذا المضمار .. فلم يمض عليه وقت غير طويل حتى يرى الاولاد الذين اهتم بهم ، وأشرف عليهم في عداد الهادين المهديين ، وفي زمرة عباد الله الصالحين .. الذين بهم تعقد الآمال . وعلى أيديهم يتحقق نصر الاسلام !!..

وكم يكون المربي موفقاً حين ينهج مع أولاده طريقة القرآن الكريم في

ظاهرة أسلوبه الوعظي ؟ فيذكر تارة بالتقوى ، وينوّه أخرى بالموعظة ؛ ويحضّ حيناً على النصح ، ويغري أحياناً بالترغيب • ويستعمل في موطن آخر أسلوب التهديد •• وهكذا يتجدد الاسلوب على حسب الظروف ، ومقتضيات الاحوال ••

هذا عدا عن النداءات المتكررة للولد المبدوءة بياء النداء كقول المربي : يا بنيّ ، يا ولدي •• لكونها عاملا كبيراً في تحريك العاطفة ، وإثارة الوجدان !!•• وكم بدأ بها القرآن ؟

وعدا عن الاسلوب القصصي المقرون بمواطن العبرة والعظة . وكم استعمله القرآن ؟

وعدا عن التوجيه الخلقي المصحوب بالوصايا والمواعظ •• وكم أتى به القرآن ؟

وعدا عن التوجيه الاسلامي المبدوء بأدوات التوكيد •• وكم كرّره القرآن ؟

وعدا عن التوجيه الاجتماعي المقرون بأدوات الاستفهام الإنكاري•• وكم جاء على ذكره القرآن ؟

وعدا عن التوجيه الإقناعي المدعوم بالأدلة العقلية ، وكم استطرده القرآن ؟

وعدا عن التوجيه التصوري الشمولي المقرون بالشواهد •• وكم نوّه به القرآن ؟

وعدا عن التوجيه المنهجي المدلّل بقواعد التشريع ، وكم ذكره القرآن ؟

الى غير ذلك من هذه التوجيهات المتنوعة : والأساليب المتجـددة ..
وكلها مستفادة من القرآن !! ..

وكم يكون المربي موفقاً كذلك حين ينهج نهج الرسول الاعظم صلوات الله وسلامه عليه في طرائق مواعظـه ، ويتبع أسلوبه في نصائحه وإرشاداته ؛

وكم يكون موفقاً حين يستخرج بعد عرض القصة عِبَرَها ، ويشير الى مواطن العظة فيها ؟

وكم يكون موفقاً حـين ينتهـج مـع أولاده أسـلوب الحـوار والاستجواب كطرح سؤال ، أو إلقاء استفهام .. ليشربوا من معين الهدى بقالب الإقناع والمحاجة ؟

وكم يكون موفقاً حين يقتصد موعظته في الجلسة ، ويقصرها على الأهم مخافة السآمة والملل ؟

وكم يكون موفقاً حين يبدأ موعظته بالقَسم تأكيداً ، ويمزجها بالمداعبة تشويقاً وتحبيباً ؟ .

وكم يكون موفقاً حين يبذل الجهد في الهيمنة بالوعظ على أولاده ، ليتأثر الجميع بكلامه ؟

وكم يكون موفقـاً حين يستعين على توضيح الموعظة بالتمثيل ، والرسم ، وضرب المثل .. وبكل ما يشهده الناس بأمّ أعينهم ، ويقع تحت حواسهم .. ليكون للتفهيم أوضح .. وللتثبيت في الذهن أرسخ ؟.

وكم يكون موفقاً حين يعطيهم من نفسه الأنموذج العملي في التعليم ، والمشهد الفعلي في التطبيق ؟

وكم يكون موفقاً حين ينتهز وقـوع الحادثة في الوعظ ، أو وجـود المناسبة فى النصح •• ليكون التأثير أفضل ، والاستجابة أقوى ؟

الى غير ذلك من أسـاليب الوعظ التي ينتهجها ، وطرائق الارشـاد التي يتعلمها !!••

حيث يجدها مبثوثة فيرياض القرآن الكريم، ومنثورة فيدوحات الحديث الشريف ••

فما على المربين إلا أن يتخذوا من القرآن الكريم أسلوبه العظيـم في مخاطبة الناس ، ودعوتهم الى الخير •• لأنه كتاب عزيز لا يأتيه الباطـل **من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد .. كما عليهم أن يتأسوا بصاحب** الرسالة الخالدة صلوات الله وسلامه عليه في طرائق مواعظـه ، وأسـاليب إرشاداته •• لأنه النبي المعصوم الذي لاينطق عن الهوى ؛ • ولا يمكن أن يصل الى كماله بشر ، ولا يبلغ مرتبته إنسان ••

ويكفيه فخراً على مدى الزمان والايام أن يخاطبه الله سبحانه بهـذا الخطاب الخالد ، وأن يصفه بهذا الوصف الرائع حين قال :

« وإنك لعلى خلق عظيم » •

« وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين » •

ويكفيه عليه الصلاة والسلام تكريماً وشرفاً أن يقول عن نفسـه : « أدّبني ربي فأحسن تأديبي » •

★ ★ ★

٤- التربيـة بالملاحظـة

المقصود بالتربية بالملاحظة ملاحقة الولد وملازمته في التكوين العقيدي والاخلاقي ، ومراقبته وملاحظته في الاعـداد النفسي والاجتماعي ، والسؤال المستمر عن وضعـه وحاله في تربيته الجسمية وتحصيله العلمي …

ولا شك أن هذه التربية تعد من أقوى الأسس في إيجاد الانسان المتوازن المتكامل الذي يؤدي كل ذي حق حقه في الحياة . والذي تدفعه الى أن ينهض بمسؤولياته ، ويضطلع بواجباته على أكمل وجه وأنبل معنى . والذي تجعل منه مسلماً حقيقياً يكون الحجر الأساس لبناء القاعدة الاسلامية الصلبة التي بهـا يتحقق عز الاسلام، وبالاعتماد عليها تقوم الدولة الاسلامية قوية عتيدة : تضاهي الأمم بحضارتها ومكانتها وكيانها ..

والاسلام بمبادئه الشاملة ؛ وأنظمته الخالدة .. حض الآباء والأمهات والمربين جميعاً الى أن يهتموا بملازمة أولادهم ، ومراقبة أفلاذ أكبادهم .. في كل ناحية من نواحي الحياة . وفي كل جانب من جوانب التربية الشاملة ..

وإليك ــ أخي المربي ــ أهم هذه النصوص في هذه الملازمة والملاحظة :

ــ قال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجـارة عليهـا ملائكة غلاظ شداد لايعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون » . (التحريم : ٦)

وكيف يقي المربي أهـــله وأولاده ناراً إذا هو لم يأمرهم وينهاهم ، ولم يراقبهم ويلاحظهم ••؟

قال علي رضي الله عنه في قـــوله تعالى : « قوا أنفسكم •• » أدبوهـــم وعلموهم ، وقال عمر رضي الله عنه : « تنهونهم عما نهاكم الله عنه ، وتأمرونهم بما أمركم الله به ، فيكون بذلك وقاية بينهن وبين النار » •

ـ و قال عز من قائل : ((وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها)) •
(طه : ١٣٢)

وهل يكون الأمر بالصلاة إلا في حالة التقصير والاهمال في حق الله تعالى؟

ـ وقال سبحانه : ((وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف)) •
(البقرة : ٢٢٣)

وكيف يقوم الأب برزق الاهل والأولاد وكسوتهم إذا لم يراقب أحوالهم من الناحية الجسمية والصحية ؟

والأحاديث التي تحض على الملازمة والملاحظة أكثر من أن تحصى :

ـ من هذه الاحاديث ما رواه البخاري ومسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما « ••• والرجل راعٍ في أهله ومسؤول عن رعيته ، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها •• » •

ـ ومن هذه الاحاديث ما رواه أبو داود والترمـــذي عن أبي مسبْرةَ رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « علموا الصبيّ الصلاة لسبع سنين ، واضربوه عليها ابن عشر سنين » •

ـ ومن هذه الاحاديث ما رواه الترمذي عنـــه عليه الصـــلاة والسلام : « لأن يؤدّب الرجل ولده خير من أن يتصدق بصاع » •

ــ ومن هذه الأحاديث ما رواه الطبراني عن عليّ كرم الله وجهه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أدّبوا أولادكم على ثلاث خصال : حبّ نبيكم، وحب آل بيته . وتلاوة القرآن ... » .

ــ ومن هذه الأحاديث ما رواه البخاري في الأدب المفرد عن أبي سليمان مالك بن الحويرث قال : أتينا النبي صلى الله عليه وسلم ونحن شَبَبَة متقاربون ، فأقمنا عنده عشرين ليلة ، فظنّ أنا اشتهينا أهلينا ، فسألنا عمّن تركنا في أهلينا فأخبرناه ، وكان رفيقاً رحيماً ، فقال : « ارجعوا الى أهليكم فعلّموهم ومروهم » . وصلّوا كما رأيتموني أصلي . فإذا حضرت الصلاة فليؤذّن أحدكم ، وليؤمّكم أكبركم » .

ما معنى الرجل مسؤول ؟ وما معنى المرأة مسؤولة ، وما معنى علّموا واضربوا ؟ ، وما معنى التأديب في الحديثين ؟ ، وما معنى ارجعوا الى أهليكم فعلّموهم ومروهم ؟.

أليس معنى هذا كله ؟ أن يلحظ المربّي الولد ، ويلاحقه ، ويلزم أدبه ، ويراقب حركاته وسكناته .. حتى إذا أهمل حقاً أرشده إليه ، وإذا قصر في واجب حضّه عليه ، وإذا رأى منكراً نهاه عنه . وإذا فعل معروفاً شكر له صنيعه ..؟ .

ومن الأمور التي لايختلف فيها اثنان أن ملاحظة الولد ومراقبته لدى المربي هي من أفضل أسس التربية وأظهرها .. ذلك لأن الولد دائماً موضوع تحت مجهر الملاحظة والملازمة حيث المربي يرصد عليه جميع تحركاته وأقواله وأفعاله واتجاهاته .. فإن رأى خيراً أكرمه وشجعه عليه ، وإن رأى منه شراً نهاه عنه ، وحذّره منه ، وبين له عواقبه الوخيمة ، ونتائجه الخطيرة .. وبمجرد أن يغفل المربي أو يتغافل عن الولد ، فإنه سينزع لا محالة الى الانحراف ، ويتوجه

ـ ولا شك ـ نحو الزيغ والانحلال .. فعندئذ يكون هلاكه المحقّق ، ودماره المحتـوم !!..

★ ★ ★

ومعلمنا الأول ، وهادينا الأكرم عليه أفضل الصلوات وأتم التسليم كان يعطي لأمته القدوة الصالحة في حسن رعايته لاصحابه ، وتفقده لهم ، وسؤاله عنهم ، ومراقبة أحوالهم ، ومحاذرة مقصّريهم ، وتشجيع محسنيهم ، والعطف على فقرائهم ومساكينهم ، وتأديب الصغار منهم ، وتعليم الجَهلَة فيهم ..

وإليكم نماذج من ملاحظاته وتفقداته .. عليه الصلاة والسلام :

● **من ملاحظاته في التربية الاجتماعية** ما رواه البخاري ومسلم عـن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قـال : « إياكـم والجلوس في الطرقات » ، فقالوا يا رسول الله : مالنا من مجالسنا بُدٌّ نتحدث فيها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « فـإذا أبيتم إلا المجلس فأعطوا الطريق حقّه » ، قالوا : وما حق الطريق يارسول الله ؟ قال : « غضّ البصـر ، وكف الأذى . ورد السلام ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر » .

● **من ملاحظاته في التحذير من الحرام** ما رواه النـووي في ريـاض الصالحين عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى خاتمـاً من ذهب في يد رجل فنزعه فطرحه وقال : « يَعْمِدُ أحدكم الى جمرة من نار فيجعلها في يده ! » فقيل للرجل بعدما ذهب رسول الله صلى الله عليـه وسلم : خذ خاتَمَك وانتفع به ، قال : لا والله لا آخذه أبداً وقد طرحه رسول الله صلى الله عليه وسلم .

● **من ملاحظاته في تأديب الصغار** ما رواه البخاري ومسلم عن عمر ابن أبي سلمة رضي الله عنهما قال : كنتُ غلاماً في حِجْرِ رسول الله صلى الله عليه وسلم (أي تحت نظره) ، وكانت يدي تطيش (تتحرك) في الصحْفَة (في وعاء الطعام) ، فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا غلام سمِّ الله ، وكل بيمينك ، وكل مما يليك » .

● **من ملاحظاته في إرشاد الكبار** ما رواه أبو داود والبيهقي عن عبد الله بن عامر رضي الله عنه قال : دعتني أمي يوماً ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم قاعد في بيتنا ، فقالت : ها تعالَ أعطك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما أردتِ أن تعطيه ؟ قالت : أردتُ أن أعطيه تمراً ، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم :

أما إنكِ لو لم تعطيه شيئاً كُتبت عليك كَذْبة » .

● **من ملاحظاته في التربية الخلقية** ما رواه البخاري ومسلم عن أبي بكرة رضي الله عنه أن رجلا ذُكِرَ عند النبي صلى الله عليه وسلم فأثنى عليه رجل خيراً ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « ويْحَك ! قَطَعْتَ عنق صاحبك »، يقوله مراراً : « إن كان أحدكم مادحاً لا محالة فليقل : أحسِب كذا وكذا إن كان يرى أنه كذلك ، وحسيبُه الله ، ولا يُزكّى على الله أحد »[1] .

● **من ملاحظاته في التربية النفسية** ما رواه الشيخان عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما أن أباه أتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : إني

---

(1) الحديث محمول على كراهية المدح في الوجه إذا خيف منه مفسدة العجب ، أما إذا لم يُخَفْ فلا بأس في ذلك ، لمدحه عليه الصلاة والسلام أصحابه في وجوههم ، كقوله لعمر رضي الله عنه : « ما رآك الشيطان سالكاً فجاً إلا سلك فجاً غير فَجّك » .

نحلتُ (أعطيتُ) ابني غلاماً كان لي ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أكُلّ ولدك نحلتَه مثل هذا ؟ » فقال : لا ، فقال : فأرجعه ... وفي رواية: فقال رسول الله : « أفعلتَ هذا بوَلَدك كلهم ؟ » قال : لا ، قال : « اتقوا الله واعدلوا في أولادكم » ، فرجع أبي فردّ تلك الصدقة .. وفي رواية : قال عليه الصلاة والسلام : « فلا تشهدني إذاً فإني لاأشهد على جور » .

● **من ملاحظاته في التربية الجسمية** حين رأى عليه الصلاة والسلام من يشرب شرباً واحداً كشرب البعير (الجمل) فقال لهم : ـ كما روى الترمذي ـ « لاتشربوا شرباً واحداً كشرب البعير، ولكن اشربوا مثنى وثلاث، وسمّوا إذا أنتم شربتم ، واحمَدوا إذا أنتم رفعتم » .

وروى البخاري في صحيحه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يمر على أصحابه في حلقات الرمي ، فيشجعهم ويقول لهم : « ارموا وأنا معكم كلكم » .

● **من ملاحظاته في التربية الدعوية وأخذ الناس بالرفق** ، ما رواه الشيخان عن أنس رضي الله عنه قال : مشيتُ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه بُرْدٌ (أي ثوب) نجراني غليظ الحاشية ، فأدركه أعرابي ، فجَبَذَه (أي جذب الثوب) جَبذةً شديدة حتى نظرتُ الى صفحة عنق رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أثّر فيه حاشية البُرْد من شدة جبذته ، ثم قال الأعرابي يا محمد : مُرْ لي من مال الله الذي عندك ، فالتفت اليه النبي صلى الله عليه وسلم وضحك ، ثم أمر له بعطاء !!..

تلكم بعض النماذج في مراقبة النبي صلى الله عليه وسلم لأبناء المجتمع الذي كان يقوم على هدايته وإصلاحه ، وهي نماذج حية واقعية تؤكد حرص الرسول عليه الصلاة والسلام في تربية الناس ، ومعالجة أمورهم ، وإصلاح أحوالهم . والرفع من مستواهم ..

ولقد رأيت ــ أخي القارىء ــ أن هذه الملاحظات والتوجيهات لم تقتصر على الكبار وإنما كانت تتعدى الصغار ، ولم تكن تختص بجانب معين في إصلاح النفس الانسانية ، وإنما كانت تشمل جميع جوانبها من إيمانية. وعلمية . ونفسية . واجتماعية ، وجسية ..

وإليكم بعض ملاحظاته وتوجيهاته في الرفع من مستوى النساء وإعطاء حقوقهن :

١ ــ روى النسائي وابن ماجه أن فتاةً جاءت الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت : « إن أبي زوّجني من ابن أخيه ليرفع بي خسيسته (ليغطي نقصه) وأنا كارهة ، فأرسل النبي صلى الله عليه وسلم الى أبيها وأمره أن يجعل الأمر اليها ، فقالت الفتاة : قد أجزتُ ما صنع أبي ، ولكن أردتُ أن تعلم النساء أن ليس الى الآباء من الأمر شيء » .

٢ ــ وروى البخاري أن زوجة ثابت بن قيس ــ وكان مسلماً صالحاً أسود دميما ــ جاءت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم تقول له : إن ثابت ابن قيس لا أعتب عليه في خُلق ولا دين ، ولكني أكره الكفر[1] في الاسلام . قال صلى الله عليه وسلم : « أتردّين عليه حديقته » ؟ ــ أي ما كان أمهرها من حديقة ــ فقالت : نعم ، فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إليه فقال له: « طلّقها طلقة » ، فطلقها ثابت[2] .

٣ ــ وروى البزار والطبراني أن امرأة ــ اسمها زينب وكانت تلقب بخطيبة النساء ــ جاءت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : أنا وافدة النساء اليك ، هذا الجهاد كتبه الله على الرجال ، فإن أصيبوا أثيبوا (أُجروا).

---

(١) أي اكره كفران نعمة الزوج وعدم إعطائه حقه لشدة بغضي له .

(٢) وهذه هي المخالعة : وهي تنازل من المرأة عن بعض مالها مقابل تطليق زوجها لها ولا تكون إلا باتفاق الطرفين .

وإن قتلوا كانوا أحياء عند ربهم يرزقون . ونحن معشر النساء نقوم عليهم!!..
فمالنا من ذلك الأجر ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : « أبلغي مَن لقيتِ من النساء أن طاعة للزروج واعترافاً بحقه يعدل ذلك ــ أي يعدل أجر المجاهدين في سبيل الله ــ ، وقليل منكنّ من يفعله » .

وهذه الظاهرة من الملاحظة والمراقبة من نبي الاسلام عليه الصلاة والسلام لأفراد المجتمع .. تخطّ للمربين جميعاً المنهج العملي في التربية ، والطريقة المجدية المؤثّرة في الاصلاح .. وتهيب بكل مَن كان في عنقه حق التربية ، ومسؤولية التوجيه .. أن يبذل قصارى جهده ، وأن يوجه غاية اهتمامه في سبيل إسعاد الولد وإصلاحه ، والرفع من مستواه العقلي والنفسي والأخلاقي..

وإذا كانت ظاهرة الملاحظة والمراقبة مجدية ونافعة في حق الكبار ــ كما مرّ ــ فانها في الصغار أجدى وأنفع ، لأن الولد الصغير عنده قابلية الخير ، واستعداد الفطرة ، وصفاء النفس ، وبراءة الطفولة .. ما ليس عند الكبير . فمن السهولة بمكان أن ينصلح الولد ، وأن يتكوّن إيمانياً وخلقياً ونفسياً .. إذا تيسرت له عوامل البيئة الصالحة ، والتربية الفاضلة سواء أكانت منزلية أم مدرسية أم اجتماعية .. بينما يجد المربي في اصلاح الكبير صعوبة وأية صعوبة إن كان من المتعنّتين والسادرين في الغواية !!.. وهذا ما عناه الشاعر بقوله حين قال :

وينفع الأدب الاحداث في صغر
وليس ينفع عند الشّيبة الأدب
إن الغصون إذا قوّمتها اعتدلت
ولن يلينَ إذا قومتها الخشبُ



ومن هذا المنطلق الذي وضع أصوله عليه الصلاة والسلام في ملاحظة الفرد في المجتمع . والمرأة في الأمة ؛ والولد في الاسرة •• وجب على المربين جميعاً من آباء وأمهات ومعلمين •• أن يحرّكوا هممهم . ويثيروا عزائمهم . ويضاعفوا من جهودهم •• ليقوموا بمهمة المراقبة والملاحظة والملاحقة في سبيل إعداد الجيل المسلم ؛ وتكوين المجتمع الفاضل ؛ وإيجاد الدولة المسلمة !!•

ومن الأمور الهامة التي يجب أن يعلمها المربي أن التربية بالملاحظة لم تقتصر على جانب أو جانبين من جوانب الاصلاح في تكوين النفس الانسانية ، وإنما ينبغي أن تشمل جميع الجوانب من إيمانية ، وعقلية ، وخلقية ، وجسمية ؛ ونفسية ، واجتماعية .. حتى تعطي هذه التربية ثمارها في إيجاد الفرد المسلم المتوازن المتكامل السويّ الذي يؤدي كل ذي حق حقه في الحياة ••

● **فمن ملاحظة الجانب الايماني في الولد :**

ـ **أن يلاحظ** المربي ما يتلقنه الولد من مبادىء وأفكار واعتقادات •• على يد من يشرفون على توجيهه وتعليمه في المدرسة أو غير المدرسة ، فإن وجد خيرا فليحمد الله ؛ وان وجد غير ذلك فليقم بمهمته الكبيرة في غرس مبادىء التوحيد . وترسيخ قواعد الايمان •• ليكون الولد بمنجاة من التلقين الإلحادي الآثم ، والتوجيه العلماني الخطير ••

ـ **وأن يلاحظ** ما يطالعه الولد من كتب ومجلات ونشرات فإن وجد أنها تحوي في طياتها أفكار الزيغ ؛ ومبادىء الإلحاد ، ودسائس التبشير •• فليقم بمهمة المصادرة ، ثم إقناع الولد أن هذه الكتب وغيرها •• تفسد عليه إيمانه الصافي ؛ وإسلامه العظيم !!••

ـ **وأن يلاحظ** من يصاحبه الولد من رفقاء وقرناء •• فإن وجد أن الرفقة

التي يصحبها هي رفقة إلحـاد ، وقرناء زيغ وضلال .. فعلى المربي أن يقطـع الصلة بينه وبينهم ، وأن يهيىء له من **رفاقه الخير** ، **وأخـلاّء التقوى** .. مابهم ينصلح . وما بصحبتهم يتثبّت ويُسعَد ..

ـ **وأن يلاحظ** الى ما ينتمي اليه من أحزاب ومنظمات فان وجد أن هذه الأحزاب إلحـادية في مبادئها وتوجيهها ، وأن هذه المنظمات لادينية فيأهدافها واتجاهاتها .. فعلى المربي أن يحزم في منعه ، وأن يكثر من مراقبته ، وأنينتهز الفرصة تلو الفرصة في إقناعه وتوجيهه .. حتى يراه قد مال الى الحق ، ورجع الى الهدى ، ومشى على الصراط المستقيم ..

● **ومن ملاحظة الجانب الأخلاقي في الولد :**

ـ **أن يلاحظ** المربي ظاهرة **الصـدق** فيـه ، فان وجد الولد ينتحل الكذب في أقواله ووعوده ، ويتلاعب بالألفاظ والكلمات ، ويظهر في المجتمـع بمظهر المنافقين والكذّابين.. فعليه أن يتولى أمر الولد في أول كذبة كذبهـا ، وأن يبصّره طريق الحق والهـدى ، وأن يبيّن بشيء مـن الاسهاب مغبة الكذب والكذابين والنفاق والمنافقين .. حتى لا يعود لمثلها أبداً ، أما اذا ترك حبـله على غاربه ، وأهمل ملاحظته وتوجيهه ، فلا شك أن الولد درج على الكذب ، وأصبح عند الله وعند الناس كذاباً !!..

ـ **وأن يلاحظ** المربى كذلك ظاهرة **الأمانـة** في الولد ، فإن وجد الولـد يمشي في طريق السرقة ــ ولو في الاشياء التافهة كسرقة القروش لأخـوته ، أو القلم لرفيقه ــ فعليه أن يعالج ذلك بسرعة زائدة ، وأن يفهمه أن هذا حرام ، وهو من أخذ الاموال بغير حق .. كما عليه أنيغرس في نفسه بذور المراقبةلله، والخشية منـه .. عسى أن يرعوي ، وينصلح حـاله ، وتستقيم أخلاقـه .. وإلا .. فان الولد ــ لاشك ــ سيدرج على الخيـانة ، ويعتـاد علـى الغش

والسرقة ، بل يصبح شقياً خائناً مجرماً ، يستجير من سوء فعاله الناس والمجتمع !!.

- **وأن يلاحظ** المربي ايضاً ظاهرة **حفظ اللسان** في الولد ، فإن وجده يتلفظ بالسباب ، ويتفوّه بالشتائم ، وتصدر من لسانه الكلمات الشنيعة ، والألفاظ القبيحة ... فعليه أن يعالج هذه الظاهرة بحكمته ، وأن يعيرها جهده واهتمامه ، وأن يتعرف على الاسباب التي جعلت من ولده سليط اللسان، بذيء الألفاظ .. ليقطع بينه وبينها ، ثم يبين له بأسلوب جذاب صفات الولد الخلوق، ومزايا الانسان الأديب .. عسى أن ينجذب الى فضائل النفوس ، ومكارم الأخلاق ..

وأهم ما ينبغي أن يهتم له المربي في تهذيب لسان ولده إبعاد رفقة السوء عنه ، لأن منهم يأخذ ، ومن طباعهم يتأثر ويكتسب !!..

- **وأن يلاحظ** المربي ايضاً ظاهرة **الخلق النفسي والارادي** في الولد .. فإن وجد الولد يقلد غيره تقليداً أعمى ويمعن في التنعّم والترف ، ويستمع الى الموسيقى والغناء الخليع ، ويتخنث في مظهره ، ويقف مواقف التهم ، ويخالط غير المحارم من النساء ويجلس الى سهرات الرائي(التلفزيون)الداعرة، ويذهب الى دور السينما ، ويقرأ المجلات الخلاعية ، ويقتني الصور الجنسية، والقصص الغرامية ... إذا وجد الولد يفعل شيئاً من هذا فعليه أن يعالج فيه هذه الظاهرة من التميع والانحلال ، بالموعظة الحسنة حيناً ، وبالتهديد أحياناً، وبالترغيب تارة ، وبالعقوبة تارة أخرى .. وعليه أن يتّبع كل سبيل في إنقاذه واصلاحه ، حتى يرى ولده في مصاف الأتقياء الابرار ، وفي عداد الصالحين الأخيار !!..

وكم يكون الأب مهتماً وحكيماً حين يدخل مكتب ولده فجأة على حين

غـِرّةٍ منه ، لينظر ماذا يدرس ؟ وماذا يكتب ؟ ، وماذا يطالع ؟ أو بالأحرى ماذا يُفاجأ ؟•• فقد يدخل ويرى ولده ينظر الى صورة عارية ، أو يقلّب صفحات مجلة خلاعية ، أو يقرأ في قصة مثيرة ، أو يدبّج رسالة لفتاة أحبهــا ، أو غير ذلك من المفاجآت غير المستحسنة ؟

وكم يكون الأب **مهتماً وحكيماً** حين يتأكد من ذهاب ابنتــه الى المدرسة والرجوع منها ، فربما يتبيّن له أن ابنته تذهب الى أماكن موبوءة فيها سلب العرض ، وضياع الشرف•• أو لها علاقات غير شريفة مع شاب منحل مائع ؟!!•

وكم طالما سمعنا عن حوادث خلقية مؤسفة ، وعلاقات ذميمة مؤلمة •• يندى لها الجبين ، وتترك في النفس آهات مسعورة ما أقساها !!••

فظاهرة الملاحظة اذن من أعظم الظواهر في كشف الحقائق المستورة عن الولد ، وفي إزاحة الستار عما كان يفعله من شر ، ويقترفه مــن منكر •• بــل تعطي للمربي الصورة الحقيقية الكاملة عــن أخــلاقية الولــد وسلوكيته في الحيــــاة ••

وبعد هذا كله يستطيع المربي أن يعالج انحراف الولد بالاسلوب المجدي ، والطريقة الملائمة •• ولا بد أن يصل في نهاية المطاف الى حل تربوي حاسم ، فيه صلاح الولد ، وفيه إنقاذه وتوازنه وهدايته !!••

● **ومن ملاحظة الجانب العقلي والعلمي بالولد :**

ـ **أن يلاحظ** المربي ظاهرة **تحصيل الولد العلمي** ، وتكوينه الثقافي . . سواء أكان هذا التعليم في حقه فرض عين ، أو كان فرض كفاية ؟

فعلى المربي أن يلاحظ الولد هل تعلم ما كان في حقه فرض عين ؟ هل تعلم تلاوة القرآن الكريم ؟ هل تعلم ما يلزمه من أحكام العبادات ؟ هل تعلم أمور الحلال والحرام ؟ هل تعلم مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ هل تعلم ما يجب تعليمه من أمور دينه ودنياه وآداب الاسلام ؟

فهذه الأمور مسؤول عن تعليمها ، وأن الله سبحانه سيسأله إن قصر فيها ..

ولن يعدم المربي الوسائل التي توصل الولد الى هذا الاعداد الشرعي والتكوين الاسلامي ..

أما إذا كان الولد يتعلم ما كان تعلمه من قبيل الكفاية كأن يتعلم علم الطب أو الهندسة مثلا فعلى المربي أن يلاحظ مثابرته وتفوّقه ونضجه .. حتى إذا تخرج أفاد أمة الاسلام باختصاصه ، وأقام دعائم الحضارة في المجتمع المسلم بعلمه وموهبته ..

ولن يعدم المربي أيضا الوسائل التي تجعل منه آية في العلم والنبوغ والاختصاص !!. ونلفت نظر المربي في هذا الصدد أن لايتهاون في فرض العين على حساب فرض الكفاية ، بل يجب التركيز على الاولى ثم الاهتمام بالثانية أو على الأقل الموازنة بين الفرضين ، ليتعلم الاثنين معاً .. وإلا .. فالمسؤولية كبيرة ..

ـ **وان يلاحظ** المربي كذلك **توعية الولد الفكرية** من ناحية ارتباطه بالاسلام

ديناً ودولة .. وبالقرآن الكريم ديناً وتشريعاً ، وبالرسول صلى الله عليه وسلم إماماً وقدوة ، وبالتاريخ الاسلامي اعتزازاً وافتخاراً ، وبالثقافة الاسلامية روحاً وفكراً ، وبالتحرك الدعوي اندفاعاً وحماساً .. ولا يتأتى هذا إلا بملازمة الولد وتوجيهه وتشويقه الى قراءة الكتب الفكرية ، والمجلات الدعوية ،

والنشرات الاسلامية •• بين كل فترة وفترة •• ثم بتوجيهه الى سماع المحاضرات الاسلامية المفيدة ، والخطب الحماسية المؤثرة •• ولا بأس أن يضع بين يدي الولد مكتبة تجمع بين طياتها كل ما كتب عن الاسلام ، والدفاع عنه ، والرد على أعداء الله ••

ولا شك أن هذه الوسائل تجعل الولد في مناعة حصينة من كل ما يكتبه المبشرون وشراذم الكفر والإلحاد •• بل تدفعه لينطلق للعمل الاسلامي بكل بسالة وإيمان ، وجرأة وشجاعة •• ليكون عضواً نافعاً في بناء المجتمع المسلم ، وإقامة دولة الاسلام !!••

وكم يتفطر قلب المربي ألما حين يجد ولده يحفظ في المدرسة سِيَرَ أولئك الفلاسفة الغربيين ، ويعلم الكثير عن شخصيات العظماء الشرقيين وآرائهم ونظرياتهم •• ولا يعلم عن تاريخ المسلمين ، وحياة العظماء ، وأخبار الفاتحين ، ونوابغ العلماء الاسلاميين •• سوى النزر القليل ؟

وكم يتالم المربي ويحزن حين يجد الولد قبل التخرج وبعده ، وقد مسخته الثقافات الاجنبية ، والأفكار الغربية أو الشرقية ، والمذاهب الاجتماعية والإلحادية •• حتى جعلت منه عدواً لدينه وتاريخه وأمجاده ؟!!••

فالتوعية الفكرية إذاً لها أهميتها ، وأثرها البالغ في تثبيت العقيدة الاسلامية ، وفي تكوين المسلم الحقيقي ، وفي إعطاء التصور الكامل عن الاسلام على أنه نظام حكم ، ومنهج حياة ، وباعث عزة ، ورائد مجد وقوة ••

وان يلاحظ المربي ايضاً **الصحة العقلية** في الولد ، فكل ما يؤثر على عقل الولد وذاكرته واتزانه فعليه أن يجنّبه إياه ، وأن ينهاه عنه ، وأن يبين له خطره المحدق على الجسم والعقل والنفس ••

وبنــاء على هذا وَجَبَ على المربي أن يلاحظ في الولد**مفسدة تناول الخمور والمخدرات** .. لكونها تفتك بالجسم،وتورث الهستريا أو الجنون!!..

وعليه أن يلاحظ أيضــاً **مفسدة العادة السرية** لكونهــا تورث السل ، وتضعف الذاكرة ، وتسبب الخمول الذهني ، والشــرود العقلي ، والقلــق ، والانطوائية ، والخوف !!.

ويمكن أن يلاحظ كذلك مفسدةالتدخين لكونه يهيِّج الأعصاب ، ويؤثر على الذاكرة ، ويضعف ملكة إحضار الذهن والتفكير ..

وعليــه أن يلاحظ أخيراً **مفسدة النظر الى مشاهد الخلاعة** من أفــلام وتمثيليات وصور عارية .. لكونها تعطلَ وظيفة العقل ، وتقضي بشكل تدريجي على ملكة الاستذكار ، والتفكير الصافي .. فالصحة العقلية للولد هي من أهم ما يجب على المربي أن يلحظها ، ويهتم بها ، ويؤكد عليها .. لأن العقل هـــو زينــة الانسان ، وتصرفاته الحكيمة المتزنة .. هي من أظهر ما يتميز بهــا .. وبقدر العنــاية والملاحظة والاهتمــام .. يتحقق للولــد الوقار والتعقّــل والاتزان !!..

● **ومن ملاحظة الجانب الجسمي بالولد :**

ـ **أن يلاحظ** المربي في الولد **النفقة الواجبة عليه** من غــذاء صالح ، ومسكن صالح ، وكساء صالح .. حتى لا تتعرض أجسامهم للأسقام ، وتنهك أبدانهم الأوبئة والامراض ..

ـ **و ان يلاحظ القواعد الصحية** التي أمر بها الاسلام من مأكل ومشرب ومنــــام ..

فبالنسبة **للمأكل** فعلى المربي أن يلحظ في الولد احتماءه من التخمة وتناوله من الطعام والشراب فوق الاعتياد والحاجة ، وإدخاله الطعام على الطعام ..

وبالنسبة **للمشرب** فعليه أن يلحظ في الولد الشرب مثنى وثلاث .. ونهيه عن التنفس في الإناء ، ونهيه عن الشراب قائماً ...

وبالنسبة **للمنام** فعليه أن يلحظ في الولد النوم على الجانب الأيمن ، وعدم النوم بعد الطعام مباشرة ..

ـ وأن يلاحظ المربي ـ ولاسيما الأم ـ **التحرز من المرض الساري المعدي** في حالة الإصابة ، وذلك بعزل المريض المصاب عن بقية الأولاد حتى لاينتشر المرض ، ويستفحل الوباء ..

ـ وأن يلاحظ المربي **الوسائل الوقائية** في الحفاظ على صحة الولد .

وذلك بإرشاده ألا يأكل الفواكه فجّة ، والخضار قبل غسلها ، وأن يغسل يديه قبل الطعام ، وألا ينفخ في الإناء .. الى غير ذلك من هذه التعاليم الصحية التي أمر بها الاسلام !!.

ـ وان يلاحظ تعويده على ممارسة الرياضة ، وألعاب الفروسية ، وعلى الأخذ بأسباب التقشف ، وعلى حياة الجد والرجولة، وعدم الاغراق في التنعم.. لينشأ الولد على القوة في الجسم ، والقوة في الارادة ، والقوة في العدة والاستعداد ..

ـ وأن يلاحظ المربي أخيراً جميع الظواهر التي تفتك بالجسم ، وتضر بالصحة ، وتسبب الأمراض .. كظاهرة المسكرات والمخدرات ، وظاهرة التدخين ، وظاهرة العادة السرية ، وظاهرة الزنى واللواط .. فإنها في مجموعها

تسبب أمراض السرطان ، وأمراض القلب ، وأمراض القرحة ، وأمراض تشميع الكبد ، وأمراض العقم ، وأمراض تصلّب الشرايين •• وأمراض خطيرة أخرى أبان عنها الاطباء ، وحذر منها المختصون !!••

وفي حين ملاحظة أن المرض بدأ يظهر في الولد ، وتبـدو للأعين أعراضه وآثاره •• على المربي أن يسارع الى طبيب مختص لمعالجته امتثالا لقوله عليه الصلاة والسلام ــ فيمارواه الامام أحمد والنسائي ــ :

« يا عبادَ الله تداووا ، فإن الله عز وجل لم يضع داء إلا وضع له شفاء » .

وفي هذا يكون المربي قد أخذ بأوامر الاسلام في المعالجة والاستشفاء ، ووسائل الوقاية ، واتباع الارشادات الصحية والطبية •• وبهذا يسلم الجسم من الأمراض ، ويكون في مأمن من كل خطر طارىء ، ومرض عارض !!••

● **ومن ملاحظة الجانب النفسي بالولد :**

ــ **أن يلاحظ** المربي في الولد **ظاهرة الخجل** ، فإن وجد فيه الانكماش والانطوائية ، والابتعاد عن مواجهة الناس والمجتمع •• فعليه أن ينمّي فيـه الجرأة وحب الاجتماع بالآخرين ، وأنبل معاني الفهم والوعي والنضج الفكري والاجتماعي !!••

ــ **وأن يلاحظ** في الولد **ظاهرة الخوف** ، فإن وجد فيه الجبن والخوف ، والانهزام من الاحداث ، والهروب من الشدائد •• فعليه أن ينمي فيه جانب الثقة والثبات ، وناحية الإقدام والشجاعة •• حتى يستطيع أن يواجه الحيـاة بمشاكلها وأخطارها بنفسٍ رضيّة ، ووجه بسّام ••

وواجب الأم على الخصوص ألاّ تخوّف ولدها بالأشباح أو الظـلام أو المخلوقات الغريبة ، وذكر الجنّ والعفاريت •• حتى لايعتاد الولد الخـوف ، ولا يجد الى نفسه سبيلا !!••

ـ **وأن يلاحظ** في الولد **ظاهرة الشعور بالنقص** ، فإن وجـد في الولد بعض هذا الشعور فعليه أن يعالجه بالحكمة والموعظـة الحسنة ، وبإزالـة الأسباب التي أدت اليه ..

فإن كان من أسباب هذا الشعور **التحقير والاهانة** فعلى المربي أن يخاطب الولد بالنداء الطيب ، والخطاب الجميل ..

وإن كان من أسباب هذا الشعور **الدلال المفرط** فعلى المربي أن يعامل الولد بما يناسب من تربية ، وتأديب ، وعقوبة ، وملاطفة ..

وإن كان من أسباب هذا الشعور **اليتـم** فعلى المربين من أولياء اليتيم أن يحسنوا معاملته وأن يشعروه بالمحبة والحنان ..

وإن كان من أسباب هذا الشعور **الفقـر** فعلى المربي أن ينفخ في نفسية الولد روح الصبر والمصابرة والاعتماد على النفس في بناء الشخصيةالاسلامية، حتى يشق الولد طريقه ، ويحقّق ما حققه غيره من الرجال الكبار ، والأغنيـاء العظـام !!..

وإن كان من أسباب هذا الشعور **الحسد** فعلى المربي أن يعالج هذه الظاهرة بمحبة الولد . وتحقيق عدل المعاملة بينـه وبين إخوته ، وإزالة كل سببيؤدي الى الحسد ..

ـ **وأن يـلاحظ** في الولد **ظاهرة الغضب** ، فإن وجد المربي أن الولد يغضب لأتفه سبب فعليه أن يعالج ذلك بإزالة أسبابه :

فإن كان من أسباب الغضب **المرض** فعلى المربي أن يسـارع الى معالجتـه طبيـاً ..

وإن كان من أسباب الغضب **الجوع** فعلى المربي أن يسارع الى اطعامه في الوقت المناسب .

وإن كان من اسبابه **التقريع** من غير حق فعليه أن ينزّه لسانه عن كلمات الإهـانة والتوبيخ .

وإن كان من أسبابه **الدلال والتنعم** فعليه أن يعامله بالمعاملة العادية ، ويعوّده على التقشف ..

وإن كان من أسبابه **الهزء والسخرية** .. فعليه تجنيب الولد كل انفعـال وإثـارة ..

كما على المربين جميعاً أن يأخذوا بقواعد الاسلام في تسكين الغضب[1]، وأن يعلّموه أولادهم حتى يسكن غضبهم إذا غضبوا ، وتخفّ حدّتهم إذا ثـاروا !!..

● **ومن ملاحظة الجانب الاجتماعي بالولد :**

- **أن يلاحظ** المربي في الولد **اداء حقوقه للآخرين** .. فإذا وجد في الولد تقصيراً في حق نفسه أو أمه ، أو في حق إخوته وأقربائه ، أو في حق جاره ، أو في حق معلمه ، أو في حق الكبير .. فعليه أن يبين له مغبة هذا التقصير ، ونتائج هذه المعاملة .. لعله يفهم ويسمع ويرعوي ، ويكف عما هو فيه من إخلالٍ في الحقوق ، وتهـاونٍ في الآداب ، وتقصير في المسؤوليـات .. ولا شـك أن الملازمة التامة ، والملاحظة المستمرة ، والتنبيه الدائم .. تجعل من الولد انساناً يَقِظاً فَطِناً أديباً خلوقا يؤدي كل ذي حق حقه في الحياة مـن غير تهاون أو تواكل أو تقصير !!.

- **وأن يلاحظ** المربي في الولد ايضاً **آداب الاجتماع مـع الآخريـن** .. فإذا وجد في الولد تقصيراً في أدب الطعام ، أو أدب السلام ، أو أدب المـزاح،

---

(1) وقد سبق بيانه في بحث « ظاهرة الغضب » في مبحث « مسؤولية التربية النفسية » فارجع اليه في القسم الثاني من كتاب « تربية الأولاد في الاسلام» .

أو أدب الحديث ؛ أو أدب العطاس ، أو أدب التهنئة ، أو أدب التعـزية •• أو غيرها من الآداب الاجتماعية الأخرى •• فعلى المربي أن يبذل أقصى جهده ، وكل ما في وسعه ليؤدّب الولد بأدب الاسلام ؛ ويعوّده على أفضل العادات ؛ وأكرم الخصال ••

ولا شك أن هذا التأديب المستمر ، والتعويد الدائم •• يجعل من الولد انساناً يقوم بواجبه الأكمل في احترام الآخرين ، والتأدب معهم ، وإعطائهم حقهم من غير تواكل ولا تقصير !!••

ـ **وأن يلاحظ** المربي في الولد كذلك **المشاعر النبيلة مع الآخرين** فإذا وجد الولد يتصف بالأنانية أرشده الى الإيثار ، وإذا وجده يميل الى نزعة التباغض غرس فيه بذور المحبة والصفاء ، وإذا وجده لايحل حلالاً ، ولايحرم حراماً •• أمره بالتقوى ، وذكّره بعذاب الله والآخرة •• حتى تتأصل في نفسه عقيدة المراقبة لله ، والخشية منه •• وإذا وجد الولد قد ناله أذىً من مكروه أو مرض رسّخ في جنانه وأعماق قلبه عقيدة الرضى بالقضاء والقدر •• وهكذا يستطيع المربي أن يغرس في نفسية الولد هذه الاصول النفسية من الايمان والتقوى والمراقبة ، وأن يزرع في قلبه الطاهر مشاعر الإيثار والمحبة والتعاطف والصفاء •• حتى إذا شبّ وترعرع وبلغ سن التكليف أدى حق الله ، وحق نفسه ، وحق العباد •• وأصبح إنساناً سوياً ، ورجلاً عاقلا حكيماً •• يُشار إليه بالبنان ، بل يكون له في القلوب احترام ، وفي النفوس إعزاز وإجلال!!••

● **ومن ملاحظة الجانب الروحي بالولد :**

ـ **أن يلاحظ** المربي في الولد **جانب المراقبة لله سبحانه** وذلك بإشعاره دائماً أن الله سبحانه يسمعه ويراه ، ويعلم سره ونجواه ، ويعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور ••

وبإشعاره أن الله سبحانه لاتخفى عليه خافية من أمر السموات والأرض••

ولا يتأتى هذا إلا بارشاده الى الإيمان بالله ، وقدرته المعجزة ، وإبداعه الرائع، والتسليم لجنابه فيما ينوب ويروع .. فعندئذ يستشعر هذه المراقبة وهو يعمل ، ويستشعرها وهو يفكر ، ويستشعرها وهو يحس .. بل تصبح المراقبة أصلا مترسخاً في كيانه ، ودعامة مستولية على قلبه وأحاسيسه ومشاعره .. وما أحوج الولد وهو صغير الى مثل هذا التوجيه الهادف ، والتربية الإيمانية النافعة !!..

ـ **وأن يلاحظ** المربي ايضاً جانب **الخشوع والتقوى والعبودية** لله ربّ العالمين ، وذلك بتفتيح بصيرة الولد على عظمة الله الشاملة.. في الصغير والكبير ، في الجامد والحي ، في النبتة النابتة ، والشجرة النامية ، في الزهرة الفوّاحة الزاهية الألوان ، في ملايين الملايين من الخلائق المتنوعة العجيبة الصنع، البديعة الخلق .. فما يملك القلب إزاء هذا .. إلا أن يخشع لعظمة الله ، وما تملك النفس الانسانية تجاه هذا .. إلا أن تستشعر تقوى الله وعبوديته.. بل تجد في ذلك لذة الطاعة ، وحلاوة العبادة لله رب العالمين .

ومما يقوّي في الولد جانب هذا الخشوع ، ويرسّخ في كيانه حقيقة هذه التقوى ترويضه وهو في سن التعقّل والتمييز على التخشّع في الصلاة ، والتحزّن والبكاء أو التباكي عند السماع لآيات القرآن .. وهذه الصفات إذا درج عليها ، وقام على تطبيقها .. أصبح لاشك من الربانيين الذين لاخوف عليهم ولا هم يحزنون .. بل دخل روضة الصالحين ، وأصبح من الذين قال الله عنهم :

((الا إن أولياء الله لاخوفٌ عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون)) .

ـ **وأن يلاحظ** المربي كذلك **جانب التطبيق للعبادة** وذلك بأمره بالصلاة وهو في سن السابعة امتثالا لقوله عليه الصلاة والسلام : **((مروا أولادكم**

بالصلاة وهم أبناء سبع سنين ...» . ويقاس على الصلاة ترويضه وهو صغير على صيام بعض الأيام في رمضان إذا كان الولد يطيقه ، وأخذه لأداء مناسك الحج إذا كان المربي يستطيعه ، وكذلك تعويده على الإنفاق في سبيل الله ولو دراهم معدودات بين كل فترة وفترة .. ليعتاد فريضة الزكاة حين يصبح في نظر الشريعة مكلفاً ، وفي أعين المسلمين مسؤولاً .. ومع هذا وهذا وجب على المربي أن يصحب الولد الى مجالس العبادة والذكر ، وأن يحضر معه حلقات العلم والفقه ، وأن يهيىء له من يعلمه التلاوة وتفسير القرآن الكريم ، وأن يسمعه كلام العلماء الربانيين المخلصين .. يفعل المربي كل هذا .. حتى تصفو نفس الولد بالعبادة ، وينجلي قلبه بذكر الله ، وترفرف روحه في سماء الطهر والإشراق ، وتهتز مشاعره وأحاسيسه بآي القرآن الكريم، ويرق فؤاده بأخبار العارفين الصالحين ، ويتحرك وجدانه بسِيَر الرعيل الأول من أصحاب رسول الله أجمعين ..

وعلى المربي ان يركز في الولد **ظاهرة المجاهدة النفسية والروحية** ، وأن يلاحظ الولد الى أية حالة يصل ، والى أي مدى يتأثر .. كما أن عليه أن يوازن في تربية الولد بين المجاهدة الروحية والمجاهدة الدعوية والسياسية.. حيث يهتم لجهاد الظلم والكفر كما يهتم لجهاد النفس الأمّارة .. لأن المربي إذا أهمل في الولد واجب الدعوة الى الله ، وواجب الجهاد السياسي والقتالي .. وواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .. فإن الولد – لاشك – يتربى على العزلة والانطوائية والتواكل .. والرضى بالأمر الواقع ، والفرار يوم الزحف ، والخضوع لسلطان المستبدين والظالمين !!..

فهذه الموازنة بين جهاد النفس ، وجهاد السياسة هي التي تدفع الولد الى أن يؤدي كل ذي حقه في الحياة ، يؤدي حق الله في المراقبة والعبادة .. ويؤدي حق الاسلام في إقامة حكمه في الارض ، والإطاحة بالطواغيت الذين يناهضون حكم الاسلام .. وفي هذا يكون الولد قد جمع بين المصحف

والسيف ، والدين والدولة ، والعبادة والسياسة .. وصدق في حقه قول القـائل :

شـباب ذلّلوا سـبل المعـالي
وما عـرفوا سـوى الاسلام دينا
إذا شهـدوا الوغى كانوا كماة
يدكّون المعـاقـل والحصـونا
وإن جنّ الظـلام فـلا تراهم
مـن الإشفـاق إلا ساجـدينا
كذلـك أخـرج الإسـلام قومي
شـبابـاً طاهـراً حـرّاً أمينـا

ـ **وان يـلاحظ** المـربي اخيـراً **جانب التطبيق للأدعية المأثـورة**[1] ..
وذلك بتحفيظ الولد أهم ما ينبغي أن يحفظه من أدعية الصباح والمساء ، والنوم واليقظة ، والطعام والشبع ، والدخول الى البيت والخروج منه ، ولبس الثوب وخلعـه ، وكذلك أدعيـة السفر ، والاستخارة ، والمطر ، والهلال ، والأرق ، والمرض ، والحزن ... الى غير ذلك من هـذه الأدعية الواردة ، والمأثورات الثابتة الصحيحة ..

---

(١) ارجـع الى كتاب « الأذكار » للامام النووي ، وكتاب « الادعية والاذكار » للشيخ العالم عبد الله سراج الدين ، وكتاب « المأثورات » للامام الشهيد ، فإن فيها كل ما يريد تعليمه المربي من أدعية ومأثورات .

ولا شك أن المربي إذا لاحظ تعليم الولد لهذه المأثورات ، وراقب جانب حفظه لها ، وتطبيقه إياها •• فإن الولد يزداد خشية من الله ، وتقوى في نفسه ظاهرة التقوى والمراقبة والمحاسبة •• وهذا من العوامل المؤثرة في تربية الولد إيمانياً وخلقياً ، وفي تكوينه روحياً ونفسياً واجتماعياً •• وعندئذ يستقيم أمر الولد ، وتنصلح أقواله وأفعاله ، ويصبح كالملك يمشي على الارض طهراً وبراءة وصفاء ••

وما أحسن ما قال بعضهم في إيقاظ الضمير ، ومراقبة الله عز وجل :

إذا ماخلوت الدهر يوماً فلا تقل
خلوتُ ولكن قل : عليّ رقيب
ولا تحسبنّ الله يغفل ساعةً
ولا أن ما تخفيه عنه يغيب

★ ★ ★

تلك — أخي المربي — منهج الاسلام في التربية بالملاحظة ، وإنه — كما رأيت — لمنهج قويم •• لو أخذت بأسسه وتعاليمه ، وسرت على هديه وقواعده •• لأصبح ولدك قرة عين لك ، ولبنةً صالحة في كيان المجتمع ، وعضواً هاماً نافعاً فيجسم الأمة الاسلاميةالواحدة•• فاحرص — أيها المربي — على ملاحظة ولدك ، وكن معه أينما توجّه ، كن معه بنفسك ، وكن معه بفكرك ، وكن معه باهتمامك ، وكن معه بملازمتك ومراقبتك •••

لاحظه في إيمانه ، لاحظه في روحه ، لاحظه في أخلاقه ، لاحظه في علمه ،

لاحظه في اجتماعه مع غيره ، لاحظه في وضعه النفسي ، وفي مزاجه العصبي ..
لاحظه في كل شيء ... ، ليكون ولدك رجلا ، مؤمناً تقياً .. له في القلوب
احترام ، وفي النفوس إجلال ، وبين الناس مقام محمود .. وما ذلك ببعيد ،
إن أحسنت تربيته ، وقمت على أمره ، وأديت ما عليك نحوه مـن حقوق
ومسؤوليات !! ..



٥- التربيــة بالعُقوُبـة

إن أحكام الشريعة الاسلامية الغراء بعدلها القويم ، ومبادئها الشاملة تدور حول صيانة الضرورات الاساسية التي لايستطيع الانسان أن يستغني عنها ، ويعيش بدونها •• وقد حصرها أئمة الاجتهاد ، وعلماء أصول الفقه بخمسة أمور ، وسمّوها (الضروريات الخمس) ، أو الكليات الخمس وهي : «حفظ الدين ، وحفظ النفس ، وحفظ العرض ، وحفظ العقل ، وحفظ المال»، وقالوا : إن كل ما جاء في نظام الاسلام من أحكام ومبادىء وتشريعات •• ترمي الى صيانة هذه الكليات ، وتهدف الى رعايتها وحفظها ••

ووضعت الشريعة في سبيل المحافظة على هذه الكليات عقوبات زاجرة وأليمة لكل من يتعدّى عليها ، وينتهك حرمتها ••

وهذه العقوبات تعرف بالشريعة **باسم الحدود ، وباسم التعزيرات .**

أما الحـدود :

فإنها عقوبات مقدّرة بتقدير الشرع تجب حقاً لله تعالى ، وهي :

١ ــ حد الارتداد : القتل إن أصرّ علـى ترك الدين أو الإلحـاد بعد الاستتابة ، وإذا قُتل لا يغسل ولا يكفّن ، ولا يصلى عليه ، ولا يدفن في مقابر المسلمين ••

والأصل في هذه العقوبة ما رواه السنة والإمـام أحمـد عن ابن مسعود

رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يحل دم امرىء مسلم إلا بإحدى ثلاث : الثيّب الزاني (المنزوج الزاني) ، والنفس بالنفس ، والتارك لدينه ، والمفارق للجماعة » ، وعنه أيضاً : « مَنْ بدّل دينه فاقتلوه » .

٢ ـ حد قتل النفس : القتل إن كان القتل عمداً لقوله تبارك وتعالى :

« يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاصُ في القتلى الحرّ بالحر ، والعبد بالعبد ، والأنثى بالأنثى .. » **(البقرة : ١٧٨)**

٣ ـ حد السرقة : قطع يد السارق من الرسغ إن كانت السرقة من غير حاجة أو اضطرار لقوله تبارك وتعالى :

« السارقُ والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم » **(المائدة : ٣٦)**

٤ ـ حد القذف : الجلد ثمانون جلدة ، وعدم قبول الشهادة لقوله تبارك وتعالى :

« والذين يرمون المحصنات ثم لم ياتوا باربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ، ولاتقبلوا لهم شهادة أبداً وأولئك هم الفاسقون » .

(النور : ٤)

٥ ـ حد الزنى : الجلد مئة جلدة إذا كان الزاني غير محصن (أي غير متزوج) ، والرجم حتى الموت إن كان الزاني محصناً[1] .

اما الجلد مئة فلقوله تبارك وتعالى :

« الزانيه والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة » .

(النور : ٢)

---

(١) المحصن : وهو الذي أصاب زوجته بعقد نكاح .

وعند الامام الشافعي يجب التغريب لمدة عام لكل من الزاني والزانية بلا تفرقة ، لما ثبت في السنة . وعند الامام أبي حنيفة التغريب لمدة عام غير واجب وهو عنده من باب السياسة الشرعية إذا رأى الامام ذلك .

اما الرجم حتى الموت فلحديث ماعز بن مالك ، والمرأة الغامدية ، فإن الرسول صلى الله عليه وسلم أمر برجمهما لكونهما محصنين .

٦ ــ حد الافساد في الارض : القتل ، أو الصلب ، أو قطع الأيدي والأرجل من خلاف ، أو النفي من الارض . عند جمهور الفقهاء : ــ منهم الشافعي والامام أحمد ــ أن قطاع الطريق إذا قتلوا وأخذوا المال قتلوا ولم يصلبوا ، وإذا أخذوا المال ولم يقتلوا قطعت أيديهم وأرجلهم من خلاف[1]. وإذا أخافوا السبيل ولم يأخذوا مالا نفوا من الارض ، وهذا القول قريب من قول أبي حنيفة ، وقال البعض : إن الامام مخير بالعقوبة التي يراها زاجرة ومحققة للمصلحة . والأصل في ذلك قوله تبارك وتعالى :

« إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وارجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ، ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم » . (المائدة : ٣٣)

٧ ــ حد شرب الخمر : وحده من الأربعين الى الثمانين جلدة .

لما روي أن الصحابة رضوان الله عليهم قدروا ضرب الخمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بأربعين ، وروى الشوكاني : أن النبي صلى الله عليه وسلم جلد شارب الخمر بجريدتين نحو أربعين ، وروى أبو سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب في الخمر أربعين ..

---

(١) القطع من خلاف : قطع يد اليمين مع رجل الشمال .

أما الثمانون جلدة فهي من اقتراح عمر، وقد استشار الصحابة فأشاروا إليه بأن يجعلها ثمانين لما رأوا البعض قد تمادوا في شرب الخمر ، ولهم في ذلك حجة ، فقد أُثر عن علي كرم الله وجهه قوله : « إنه إذا شرب الخمر سكر، وإذا سكر هذى ، وإذا هذى افترى » ، فقاسوا ذلك على حد القذف ، فجعل عمر رضي الله عنه ــ بعد هذه الاستشارة ــ الحدّ بقية أيامه ثمانين بعد أن كان يجلد أربعين •

فحدّ الخمر إذن أربعون جلدة ، وللإمام أن يزيد الى الثمانين إذا لم تكن الأربعون رادعة للبعض كما فعل عمر رضي الله عنه •

أما التعزيرات :

فهي عقوبات غير مقدّرة تجب حقاً لله أو لآدمي في كل معصية ليس فيها حدّ ولا كفارة وهي كالحدود في الزجر والتأديب الاستصلاحي للأمة••

وإذا كانت العقوبة التعزيرية غير مقدرة فللحاكم أن يفرض العقوبة التي يراها مناسبة فقد تكون توبيخاً ، وقد تكون ضرباً ، وقد تكون حبساً ، وقد تكون مصادرة ••• على ألاّ تبلغ حداً من الحدود •

ومما لا يختلف فيه اثنان أن الاسلام شرع هذه العقوبات من الحدود والتعزيرات لأجل تحقيق حياة هانئة رضية من الأمن والاستقرار•• فلا يعتدي ظالم على مظلوم ، ولا يستبد قوي بضعيف ، ولا يتحكم غني بفقير •• وإنما الكل أمام الحق سواء لافضل لعربي على عجمي ولا أبيض على أسود إلا بالتقوى ، وهذا هو معنى قوله تبارك وتعالى :

((ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب لعلكم تتقون)) .

وهذا هو المقصود من قوله عليه الصلاة والسلام : « والذي نفسي بيده لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها » ••

■ ■ ■

والعقوبة مهما كانت سواء أكانت عقوبة قصاص أو عقوبة تعزير .. فهي العلاج الحاسم الحازم لمعالجة الشعوب ، وإصلاح الأمم . وتثبيت دعائم الأمن والاستقرار في ربوع الانسانية جمعاء .. والأمة التي تعيش بلا عقوبة لمجرميها فهي أمة منحلة متميّعة متفككة الكيان ، متقطّعة الروابط والأوصال : تعيش في فوضى اجتماعية دائسة ، وفي تخبّط من الإجرام مستمر ، **وأكبر مثل نضربه على هذا أمريكا ،** فإن علماء التربية الحديثة عند معظمهم ينفّرون من العقوبة ، ويكرهون ذكرها على اللسان ! بل نشروا من التوعية . ووضعوا من النظم مايكفل هذا الاتجاه ، وما يحقق هذه الرغبة .. فكان من نتيجة ذلك أن نشأ عندهم جيل منحل مائع متفلّت من المسؤولية،متعطّش للفساد والإجرام.. وهذا ما حدا بالرئيس السابق ((**كنيدي**)) بأن يصرح عام /١٩٦٢/ : « بأن مستقبل أمريكا في خطر ، لأن شبابها مائع منحل غارق في الشهوات . لا يقدر المسؤولية الملقاة على عاتقه . وإن من بين كل سبعة شبان يتقدمون للتجنيد يوجد ستة غير صالحين ، لأن الشهوات والتفلت من قيود المسؤولية والأخلاق أفسدت عليهم لياقتهم الطبية والنفسية »[1] .

وقد صرحت المربية الاجتماعية الأمريكية « مرغريت سميت » مثل هذا التصريح في جريدة الأحد اللبنانية في العدد ذي الرقم /٦٥٠/ : « إن الطالبة لا تفكر إلا بعواطفها ، والوسائل التي تتجاوب مع هذه العاطفة ، إن أكثر من ستين بالمئة من الطالبات سقطن في الامتحانات ، وتعود أسباب الفشل الى أنهن يفكرن في الجنس ، وتعاطي المخدرات .. أكثر من دروسهن وحتى مستقبلهن. وإن /١٠/ بالمئة منهن فقط ما زلن محافظات .. » .

هذا عدا عن العصابات الاجرامية المنتشرة في أمريكا هنا وهناك . وكلها

---

(١) عن كتاب « الثورة الجنسية » لجورج بالوشي .

خطر على الأنفس ، وخطر على الاموال ، وخطر على الأعراض ، وخطر بشكل عام على الامن والاستقرار .. كل ذلك للتهاون في العقاب ، والاتجاه في التربية نحو اللين والتسامح ، وعدم أخذ المجرمين بالعلاج الحاسم ، والعقوبة الرادعة، والشدة الزاجرة الصارمة !!..

فالله سبحانه حين سنّ لعباده قانون العقوبات هو أعلم بما سنّ لهم، فلولا يعلم أن العقوبة تحقق للفرد الامن ، وللمجتمع الاستقرار لما شرع لهم هـذه الحدود ، ولما وضع في تشريعه الخالد هذه العقوبات الزاجـرة .. وما هي في الحقيقـة إلا عـلاج ناجـع ، وبلسم شـافٍ لتطهير المجتمع مـن إجـرام المفسدين ، ومن غدر الخائنين ، ومن ظلم المستبدين !! ..

وفي **تطبيقات الخلفاء** لقانون العقوبات الاسلامية عبر العصور أكبر شاهد عـلى انحسار الجرائم الاجتماعية عن المجتمع الاسلامي ، ونادر جداً أن تسمع عن حادثة قتل ، أو وقوع سرقة ، أو انتهاك عرض ، أو تجرع خمرة ، أو الدعوة الصريحة السافرة الى عقيدة باطنية أو مبدأ هدّام .. لماذا ؟ لأن عين الدولـة ساهرة ، والحدود الشرعية مطبقة ، والتعاون على إزالة المنكر قائم ، والأخـذ على يد المفسـدين متحقق .. بل كان القاضي في هذه العصور ـ ولاسيما عصر الراشدين ـ يجلس على منصة القضاء سنتين ولم يحتكم اليه اثنان ، لأن المجرم الذي يريـد أن يرتكب الجريمـة إذا لم يكن عنده من الايمـان الذي يردع ، والخشية من الله التي تزجر .. فإنـه كان يحسب ألف حساب للعقوبة الزاجرة التي فرضها الاسلام .. فكان يكف عن القتل لعلمه أنه سيقتل ، ويكف عـن السرقة لعلمه أنه سيقطع ، ويكف عـن الفاحشة لعلمه أنه سيرجم أو يجلد ، ويكف عن الدعوة الى الإلحـاد وعقائد الكفر لعلمـه أنه سيبتر ويُعدم .. وهكذا يكف عن جميع الجرائم الاجتماعية لما يتحسّبه من عقوبة رادعة، وأخذ بالذنب كبير !! ..

وعلينا أن نميز بين العقوبات التي هي من اختصاص الدولة؛ وبين العقوبات التي يجب أن ينتهجها الأبوان في الأسرة ، أو المربون في المدرسة ..

فالعقوبة التي يصل خبرها للدولة ان كانت من قبيل الحدود ، لا يجوز للحاكم أن يتغاضى عنها ، ولا يتساهل فيها ، ولا يقبل أية شفاعة أو وساطة للحيلولة دون تنفيذها .. والدليل على هذا أن الرسول عليه الصلاة والسلام ردّ بحزم شفاعة أسامة بن زيد حين جاءه ليشفع في المرأة المخزومية التي سرقت، ثم خطب في الناس ونبههم الى أن طريق انحطاط الأمم وانقراضها إنما هو سلوك سبيل الظلم ، وعدم تطبيق مبدأ العدل ، فمما قاله عليه الصلاة والسلام: « أما بعد ، فإنما أهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه ، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد ، وإني والذي نفسي بيده لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعتُ يدَها » ، ثم أمر بقطع يدها فقُطعت.

وإن كانت من قبيل التعزيرات فالعقوبة واجبة لابد منها . وأمر تقديرها يرجع الى رأي الحاكم يفعل ما يراه المصلحة ، وهي تتراوح ما بين التحذير الى التوبيخ الى الضرب الى الحبس الى المصادرة ...

وهي تتفاوت على حسب الشخص سناً وثقافة ومنزلة .. ؛ فمنهم من تكفيهم الموعظة الرقيقة ، ومنهم من يكفيهم التوبيخ . ومنهم لا يصلح ردعهم إلا بالعصا . ومنهم لا ينحجب شرهم الا بالسجن .. ومنهم .. ومنهم .. وصدق من قال :

العبد يقرع بالعصا والحر تكفيه الاشارة

أما العقوبات التي ينتهجها المربون في البيت أو المدرسة فإنها تختلف كمّاً وكيفية وطريقة عن عقوبات عامة للناس .

وإليك – اخي المربي – الطريقة التي انتهجها الاسلام في عقوبة الولد :

١ ـ معاملة الولد باللين والرحمة هي الأصل :

ـ روى البخاري في الأدب المفرد : « عليك بالرفق وإياك والعنف والفحش » •

ـ وروى الآجري : « عرّفوا ولا تعنّفوا » •

ـ وروى مسلم عن أبي موسى الأشعري أن النبي صلى الله عليه وسلم بعثه ومعاذاً الى اليمن وقال لهما : « يسّرا ولا تعسّرا وعلّما ولا تنفّرا » •

ـ وروى الحارث والطيالسي والبيهقي : « علّموا ولا تعنّفوا فإن المعلم خير من المعنّف » •

فيدخل الولد بهذه التوجيهات النبوية دخولا أولياً باعتبار أنه محط الرعاية . ومحل العطف ••

ومما يؤكد أن المعاملة بالرفق واللين هي الاصل ملاطفة الرسول صلى الله عليه وسلم للأولاد ، وسبق أن ذكرنا الكثير من الأمثلة والشواهد في مبحث « التربية بالقدوة » عن اهتمامه عليه الصلاة والسلام بالأطفال ، ورحمته بهم، وملاطفته لهم . وممازحته إياهم ، فارجع اليه تجد ما يشبع الفكر ، ويشفي الغليل !! ••

٢ ـ مراعاة طبيعة الطفل المخطىء في استعمال العقوبة :

الأولاد يتفاوتون فيما بينهم ذكاء ومرونة واستجابة •• كما أن أمزجتهم تختلف على حسب الاشخاص : فمنهم صاحب المزاج الهادىء المسالم . ومنهم صاحب المزاج المعتدل ، ومنهم صاحب المزاج العصبي الشديد ••• وكل ذلك يعود الى الوراثة . والى مؤثرات البيئة . والى عوامل النشأة والتربية ••

فبعض الأطفال ينفع معهم النظرة العابسة للزجر والاصلاح ، وقد يحتاج طفل آخر الى استعمال التوبيخ في عقوبته ، وقد يلجأ المربي الى استعمال العصا في حالة اليأس من نجاح أسلوب الموعظة، واستعمال طريقة التوبيخ والتأنيب..

وعند كثير من علماء التربية الاسلاميين ــ ومنهم ابن سينا والعبدري وابن خلدون ــ أنه لايجوز للمربي أن يلجأ الى العقوبة الا عند الضرورة القصوى ، وأن لايلجأ الى الضرب الا بعد التهديد والوعيد وتوسط الشفعاء.. لإحداث الأثر المطلوب في إصلاح الطفل ، وتكوينه خلقياً ونفسياً ..

وقد قرر ابن خلدون في مقدمته أن القسوة المتناهية مع الطفل تعوّده الخور ، والجبن ، والهروب عن تكاليف الحياة .. فمما قاله : « من كان مرباه بالعسف والقهر من المتعلمين أو المماليك أو الخدم .. سطا به القهر ، وضيّق على النفس في انبساطها ، وذهب بنشاطها ، ودعاه الى الكسل ، وحمله على الكذب والخبث خوفاً من انبساط الأيدي بالقهر عليه ، وعلمه المكر والخديعة، ولذلك صارت له هذه عادة وخلقاً ، وفسدت معاني الانسانية التي له » .

وقد أسهب ابن خلدون في توضيح ما ينشأ من الأثر السيء ، والنتائج الوخيمة .. بسبب القهر واستعمال الشدة والعنف في الولد فقال : « إن من يعامل بالقهر يصبح حِمْلا على غيره ، إذ هو يصبح عاجزاً عن الذود عن شرفه وأسرته لخلوّه من الحماسة والحميّة على حين يقعد عن اكتساب الفضائل ، والخلق الجميل .. وبذلك تنقلب النفس عن غايتها ومدى انسانيتها » . وهذا الذي ذكره ابن خلدون يتفق كل الاتفاق مع التوجيه النّبوي الذي سبق ذكره فى الملاطفة والرفق واللين ، وينسجم تماماً مع المعاملة الرفيقة الرحيمة التي كان النبي صلى الله عليه وسلم يعامل عليها الأولاد جميعا ، ويتلاءم أيضاً مع المعالجة الحكيمة التي كان عليه الصلاة والسلام يعالج بأسلوبها مشاكل الناس، وأبناء المجتمع على اختلاف أعمارهم ، وتباين طبقاتهم .. بل كان رجال السلف

وأصحاب المناصب العالية يأخـذون أولادهم بالحكمة والرفق واللين •• ولا يلجؤون الى العقوبة الشديدة الا بعد اليأس من استعمال أسـلوب الموعظـة والتأنيب • مما ترويه كتب التاريخ أن الخليفة الرشيـد طلب الى « الأحمر » مؤدب ولده ألا يدع ساعة تمرّ دون أن يغتنم فائدة تفيـده من غير أن تحزنه فتميت ذهنه ، وألاّ يمعن في مسامحته فيستحلي الفراغ ويألفـه ، ويقوّمـه ما استطاع بالقرب والملاينة ، فإن أباهما فعليه بالشدة والغلظة •• والأمثلة على ذلك كثيرة ومستفيضة قد نثرناها في ثنايا كتاب التربية في أقسامه الثلاثة •

والذي نخلص اليه بعد ما تقدم أن على المربي أن يكون حكيماً في استعمال العقوبة الملائمة التي تتفق مع ذكاء الطفل وثقافته ومزاجه ، كما عليه ألاّ يلجأ الى العقوبة إلا في مرحلتها الأخيرة •

٣ ـ التدرج في المعالجة من الأخف الى الأشد :

مما نوهنا عنه قبل قليل أن العقوبة التي يجريها المربي للولـد يجب أن تكون في مرحلتها الاخيرة ، ومعنى هذا أن هناك مراحل من المعالجة والتأديب يجب أن يسر عليها المربي قبل اللجوء الى الضرب لعلها تؤدي الغرض في تقويم اعوجاج الطفل ، ولعلها تصلح من شـأنه ، وترفـع من مستـواه الأخـلاقي والاجتماعي ، وتجعله إنساناً سوياً !!••

لأن المربي كالطبيب ـ كما يقول الامام الغزالي ـ ، كما أن الطبيب لايجوز أن يعالج المرضى بعلاج واحد مخافة الضرر ، كـذلك المربي لايجوز أن يعالج مشاكل الأولاد • ويقوّم اعوجاجهم بعلاج التوبيخ وحده مثلاً مخافة ازديـاد الانحراف عند البعض ، أو الشذوذ عند الآخرين •• ومعنى هـذا أن يعـامل كل طفل المعاملة التي تلائمه ، ويبحث عن الباعث الذي أدى الى الخطأ وعـن عمر المخطىء ، وثقافته ، والبيئة الذ يكتسب منها •• كل ذلك مما يساعـد

المربي على فحص علة الانحراف في الولد ، وتشخيص مرضه .. ليصف له العلاج الذي يناسبه . ومتى عرف المربي مكمن الداء ، وشخّص موضع العلّة .. يستطيع أن يصف له العلاج الملائم ، ويسلك معه الاسلوب الأفضل .. حتى يصل بالولد في نهاية الشوط الى روضة الاصحاء ، وشاطىء المتّقين .

والرسول عليه الصلاة والسلام قد وضع أمام المربين طرقاً واضحة المعالم لمعالجة انحراف الولد ، وتأديبه ، وتقويم اعوجاجه ، وتكوينه الخلقي والنفسي .. حتى يأخذ المربون بأحسنها ، ويختاروا أفضلها في التأديب والمعالجة ، ولا بد إلا أن يصلوا في نهاية المطاف الى اصلاح الولد وتهذيبه ، وجعله انساناً مؤمناً تقياً !!.

والطرق التي فتح معالمها المعلم الأول عليه الصلاة والسلام هي :

١ ـ الارشاد الى الخطأ بالتوجيه :

روى البخاري ومسلم عن عمر بن أبي سلمة رضي الله عنهما قال : « كنت غلاماً في حِجْر رسول الله صلى الله عليه وسلم (أي تحت رعايته) ، وكانت يدي تطيش في الصّحْفَة (أي تتحرك هنا وهناك في القصعة) ، فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا غلامُ سمِّ الله ، وكل بيمينك ، وكل مما يليك » .

فلقد رأيت أنه عليه الصلاة والسلام أرشد عمر بن أبي سلمة الى الخطأ بالموعظة الحسنة ، والتوجيه المؤثر المختصر البليغ ..

٢ ـ الارشاد الى الخطأ بالملاطفة :

روى البخاري ومسلم عن سهل بن سعد رضي الله عنه :

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتي بشراب فشرب منه ، وعن يمينه غلام ، وعن يساره أشياخ ، فقال الرسول صلى الله عليه وسلم للغلام :

أتأذن لي أن أعطي هؤلاء ؟ — وهـذه هي الملاطفة وأسلوب التوجيه — ، فقال الغلام : لا والله ، لا أُوثر بنصيبي منك أحداً ، فتَلَّه رسول الله صلى الله عليه وسلم في يده (أي وضع الشراب في يده) ، وهذا الغلام هو عبد الله بن عباس.

فلقد رأيت أنه عليه الصلاة والسلام أراد أن يعلّم الغلام التأدب مع الكبار في إيثار حقه في الشراب لهم، وهذا هو أفضل، وقد قال له مستأذناً وملاطفاً وموجّهاً: أتأذن لي أن أعطي هؤلاء ؟

٣ ـ الارشاد الى الخطأ بالاشارة :

روى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما : كان الفضل رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجاءت امرأة من خثعم فجعل الفضل ينظر اليها وتنظر اليه . وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يصرف وجه الفضل الى الشق الآخر ، فقالت : يا رسول الله ، إن فريضة الله تعالى على عباده في الحج أدركت أبي شيخاً كبيراً لا يثبت على الراحلة ، أفأحجّ عنه ؟ ، قال نعم . وذلك في حجة الوداع .

فلقد رأيت أنه عليه الصلاة والسلام عالج خطأ النظر الى الأجنبيات بتحويل الوجه الى الشق الآخر ، وقد أثر ذلك في الفضل .

٤ ـ الارشاد الى الخطأ بالتوبيخ :

روى البخاري عن أبي ذر رضي الله عنه قال : سابَبْتُ رجلاً ، فعيّرته بأمّه (قال له يا ابن السوداء) . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا ذر : « أعيّرته بأمه إنك امرؤ فيك جاهلية ، إخوانكم خولكم ، جعلهم الله تحت أيديكم ، فمن كان أخوه تحت يده ، فليطعمه مما يأكل ، وليلبسه مما يلبس ، ولا تكلفوهم من العمل ما لا يطيقون ، وإن كلفتموهم فأعينوهم » .

فلقد رأيت أنه عليه الصلاة والسلام عالج خطأ أبي ذر حين عيّر الرجل بسواده بالتوبيخ والتأنيب : وذلك في قوله : يا أبا ذر «إنك امرؤ فيك جاهلية» . ثم وعظه بما يلائم المقام ، وما يناسب التوجيه !! .

٥ ـ الارشاد الى الخطأ بالهجر :

ـ روى البخاري ومسلم عن أبي سعيد رضي الله عنه قال : نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخَذْف (أي رمي الحصى بالسبّابة والإبهام) . وقال : « إنه لا يقتل الصيد ، ولا ينكأ العدوّ ، وإنه يفقأ العين ويكسر السنّ » ، وفي رواية : أن قريباً لابن مغفّل خَذَف ، فنهاه وقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن الخذف ، وقال « إنها لا تصيد صيداً ... » ، ثم عاد ، فقال : أحدثك أن رسول الله صلم الله عليه وسلم نهى عنه ، ثم عدت تخذف ؟ لا أكلمك أبداً !! .

وروى البخاري أن كعب بن مالك حين تخلّف عن النبي صلى الله عليه وسلم في تبوك قال : « نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن كلامنا ، وذكر خمسين ليلة .. » حتى أنزل الله توبتهم في القرآن الكريم .

وروى السيوطي أن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما هجر ابناً له الى أن مات ، لأنه لم ينْقد لحديث ذكره له أبوه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: « نهى فيه الرجال أن يمنعوا النساء من الذهاب الى المساجد » .

لقد رأيت أنه عليه الصلاة والسلام والرعيل الاول من أصحابه كانوا يعاقبون بالهجر في اصلاح الخطأ ، وتقويم الاعوجاج ، حتى يرجع المنحرف الى جادة الصواب ..

٦ ــ الارشاد الى الخطأ بالضرب :

ــ روى أبو داود والحاكم عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين ، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر ، وفرّقوا بينهم في المضاجع » .

ــ وفي سورة النساء :

« واللاتي تخافون نشوزهنّ فعظوهن واهجروهن في المضاجع واضربوهن فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا » (آية : ٣٤)

لقد رأيت أن العقوبة بالضرب أمر أقره الاسلام ، وهو يأتي بالمرحلة الأخيرة بعد الوعظ والهجر ، وهذا الترتيب يفيد أن المربي لايجوز له أن يلجأ الى الأشد إذا كان ينفع الاخف ، ليكون الضرب هو أقسى العقوبات على الاطلاق ، ولا يجوز اللجوء اليه إلا بعد اليأس من كل وسيلة للتقويم والاصلاح !!.. علماً أنه عليه الصلاة والسلام ماضرب امرأة من نسائه قط .

٧ ــ الارشاد الى الخطأ بالعقوبة الواعظة :

القرآن الكريم قرر مبدأ العقوبة الواعظة في قوله تبارك وتعالى :

« الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ... » الى قوله : « وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين » (النور : ٢)

وجه هذه العقوبة أن العذاب حين يكون أمام مشهد من الناس ، وبمحضر من أبناء المجتمع .. فإن العبرة تكون أبلغ ، والعظة تكون أقوى .. ذلك أن الطائفة التي ترى العذاب تتصور في خيالها كأن العذاب واقع بها ، فهي تتألم كما لو كان التأثير حقيقياً .. وهي بالتالي تخشى العقاب وترهبه خشية أن يصيبها ما أصاب هؤلاء المعذبين المعاقبين !!.. فانطلاقاً من هذا المبدأ القرآني « وليشهد عذابهما ... » كان النبي صلى الله عليه وسلم يأمر أصحابه بتنفيذ الحدود الشرعية أمام مجتمعات الناس ، وتحت سمعهم وبصرهم ..

وقديماً قيل : « السعيد من اتعظ بغيره » .

وهذا هو المراد من قوله تبارك وتعالى :

« ولكم في القصاص حياة ياأولي الألباب » .

لأن في هـذا القصاص انتشاراً للأمن والسلام ، وتحقيقاً لمعنى الطمأنينة والاستقرار ، وزجراً للنفوس الشريرة عن أن تتمادى في الظلم ، وتتوغل في الإجرام ..

ولاشك أن المربي حين يعاقب الولد المسيء أمام إخوته أو أقرانه .. فإن هذه العقوبة تترك الأثر الأكبر في نفوس الاولاد جميعاً ، ويحسبون ألف حساب لعقوبات تنالهم ، أو إساءات يفعلونها !! .. وبهذا يعتبرون ويتعظون ..

★ ★ ★

فانطلاقاً من هذه الطرق والأساليب التي خط معالمها المعلم الأول عليه الصلاة والسلام .. يستطيع المربي أن يختار منها ما يلائم تأديب الولد ، وما يعالج انحرافه .. وقد تكفي المعالجة في بعض الأحيان موعظة بليغة . أو نظرة خاطفة ، أو ملاطفة رقيقة ، أو اشارة عابرة ، أو كلمة زاجرة ..

وإذا عرف المربي أن الارشاد الى الخطأ بواحدة من هذه الأساليب لا تجدي فتيلاً في إصلاح الولد ، واستقامة أمره .. فعندئذ يتدرج معه الى الأشد ، ويأتي دور التوبيخ ، فاذا لم يُجْدِ فيأتي دور الضرب غير المبرح .. فإذا لم يُجْدِ فيأتي دور الضرب المؤلم الموجع .. ومن الأفضل أن تكون العقوبة الأخيرة أمام طائفة من الأهل أو الزملاء ، عسى أن تكون لهم زاجرة وواعظة !! ..

وإذا رأى المربي أن الولد ــ بعد إنزال العقوبة ــ قد انصلح أمره ،

واستقام خُلُقه ٠٠ فعليه أن ينبسط له ، ويتلطف معه ، ويبش في وجهه ، ويشعره أنه ما قصد من العقوبة إلا خيره وسعادته، وصلاح أمره في دينه ودنياه وآخرته ٠٠ وهذه هي طريقة الرسول صلوات الله وسلامه عليه في تأديبه لأصحابه ، ومعاملته لهم بعد إنزال العقوبة بهم ٠٠ روى البخاري ومسلم أن كعب بن مالك لما تخلّف عن غزوة تبوك من غير عذر أمر النبي صلى الله عليه وسلم بمقاطعته خمسين يوماً ، وبقي في هذه الفترة في مقاطعة تامة ٠٠ فلا أحد يجالسه ولا يسلم عليه ٠٠ حتى ضاقت عليه الارض بما رحبت . وبعد أن أعلن النبي صلى الله عليه وسلم توبة الله عليه : قال كعب : « وانطلقت أتأمّم (أقصد) رسول الله صلى الله عليه وسلم . يتلقّاني الناس فوجاً فوجاً يهنئونني بالتوبة، ويقولون لي : لِتَهنِكَ توبة الله عليك حتى دخلت المسجد فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس حوله الناس . فقام طلحةُ بن عُبَيْد رضي الله عنه يهرول حتى صافحني وهنّأني ٠٠٠ قال كعب : فلما سلّمت على رسول الله صلى لله عليه وسلم قال وهو يبرُقُ وجهه من السرور : أبشر بخير يومٍ مرّ عليك مُذْ ولدتك أمُّك ، فقلت : أمن عندك يا رسول الله أم من عند الله ؟ قال: لا بل من عند الله عز وجل ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا استنار وجهُه حتى كأن وجهه قطعة قمر وكنّا نعرف منه ٠٠٠ » ٠

والولد حين يستشعر أن المربي ــ بعد إجراء العقوبة ــ يحن إليه ، ويعطف عليه ، وينبسط له ، ويتلطف معه ، وأنه ما أراد من ذلك إلا تربيته وإصلاحه ٠٠ فلا يمكنه بحال أن يتعقّد نفسياً ، وأن ينحرف خلقياً ٠٠ وأن يتخبط في ردود الفعل ، وأن يسبح في خضمّ من مركبات النقص ٠٠ بل يقدّر لهذه المعاملة الرحيمة قدرها ، ويؤديها حقها ، ويسير في مواكب المتقين الأبرار، ويكون دائماً في مجمع من المصطفين الأخيار ٠٠



ولكنّ الاسلام حين أقر عقوبة الضرب ــ كما سبق بيانه ــ فإنه أحاط هذه العقوبة بدائرة من الحدود، وبسياج من الشروط .. حتى لايخرج الضرب من الزجر والإصلاح الى التشفّي والانتقام !!..

وهذه الشروط في عقوبة الضرب نرتبها فيما يلي :

١ ــ ألا يلجأ المربي الى الضرب إلا بعد استنفاد جميع الوسائل التأديبية والزجرية التي سبق بيانها .

٢ ــ ألاّ يضرب وهو في حالة غضبية شديدة مخافة إلحاق الضرر بالولد، أخذاً بوصية النبي صلى الله عليه وسلم : « لاتغضب » كما روى البخاري .

٣ ــ أن يتجنب في الضرب الأماكن المؤذية كالرأس ، والوجه ، والصدر، والبطن ... لقوله عليه الصلاة والسلام ــ كما روى أبو داود ــ : « .. ولا تضرب الوجه .. » ؛ ومما يؤكد هذا أن النبي صلى الله عليه وسلم لما أمر برجم الغامديّة .. أخذ حصاة كالحمصة ورماها بها ، ثم قال للناس : «ارموها واتقوا الوجه .. » ، وإذا كان عليه الصلاة والسلام منع الضرب على الوجه في الرجم الذي فيه إتلاف النفس وإهلاكها .. فإن ضرب الوجه على حالة ليس فيها اتلاف للنفس ــ كالتعزير والتأديب ــ يكون ممنوعاً من باب أولى ، ولأن الوجه أو الرأس موضع الحواس ، وفي الضرب عليه إذهاب لبعض الحواس، وهو يعتبر إيذاءً وإتلافاً ..

أما الضرب على الصدر أو البطن فإنه ممنوع أيضاً لكونه يؤدي الى أضرار بالغة قد تفضي الى الوفاة أحياناً ، ويدخل المنع تحت عموم قوله عليه الصلاة والسلام : « لاضرر ولا ضرار » .

٤ ــ أن يكون الضرب في المرات الأولى من العقوبة غير شديد وغير

مؤلم ، وأن يكون على اليدين أو الرجلين بعصا غير غليظـة •• وأن تكـون الضربات من واحدة الى ثلاثة إذا كان الولد دون الحلم • وإذا شارف الولد على البلوغ ورأى المربي أن الضربات الثلاثة لا تردع •• فـله أن يزيد حتى العشرة لقوله عليه الصلاة والسلام : « لا يَجْلِدْ أحدٌ فوق عشرة أسـواط إلا في حدٍّ من حدود الله تعالى »[1] •

٥ ـ ألاّ يضرب الطفل قبل أن يبلغ العاشرة من السن أخذاً بالحـديث الذي سبق بيانه « مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين ، واضربوهـم عليها وهم أبناء عشر ••• » •

٦ ـ إذا كانت الهفوة من الولد لأول مرة •• فيُعطى له الفرصة أن يتوب عما اقترف ، ويعتذر عما فعل ، ويُتاح له المجـال لتوسط الشفعـاء ليحولوا ـ ظاهراً ـ دون العقوبة مع أخذ العهد عليه •• حتى لا يعود للخطأ مرة ثانية، وهذا أولى من الالتجاء الى الضرب أو التشهير به أمام الناس •

٧ ـ أن يقوم المربي بضرب الولد بنفسه ، ولا يترك هذا الأمر لأحد من الإخوة ، أو من الرفقاء •• حتى لا تتأجج بينهم نيران الاحقاد والمنازعات ••

٨ ـ إذا ناهز الولد سن البلوغ والاحتـلام ، ورأى المربي أن العشـر ضربات غير كافية في الردع فله أن يزيد ، وله أن يوجـع ، وله أن يكرر •• حتى يرى الولد قد استقام على الجادة ، ومشى في الحياة على هدىً وصـراط مستقيم ••

ومن هذا يتضح أن التربية الاسلامية قد عنيت بموضوع العقوبة عنايـة فائقة سواء أكانت عقوبة معنوية أم عقوبة مادية •• وقد أحاطت هذه العقوبة

---

(١) رواه ابن تيمية ، وذكره صاحب الاقناع والمغني .

بسياج من الشروط والقيود ، فعلى المربين ألا يتجاوزوها وألا يتغاضوا عنها..
إن أرادوا لأولادهم التربية المثلى ، ولأجيالهم الاصلاح العظيم ..

وكم يكون المربي موفقاً وحكيماً حينما يضع العقوبة موضعها المناسب ، كما يضع الملاطفة واللين في المكان الملائم ..؟

وكم يكون المربي أحمق جاهلاً حينما يحلم في موضع الشدة والحزم، ويقسو في مواطن الرحمة والعفو ؟

ورحم الله من قال :

إذا أنت أكرمت الكريم ملكته
وإن أنت أكرمت اللئيم تمرّدا
فوضع النّدى في موضع السيف بالعلا
مضرّ كوضع السيف في موضع الندى
وما قتل الأحرار كالعفو عنهمو
ومَن لك بالحر الذي يحفظ اليدا ؟

وجزى الله الأستاذ العالم الشيخ كامل بدر بما أوصى به المربين : من ملاطفة ولين في معاملة الولد حين قال :

إن المربّيَ في شرع الهدى رَحِمٌ
بَرٌّ بمرعيّه لا عاتيَ الخُلُقِ
يَدمي بسوط الأذى ألقطعان وهو يرى
في نفسه ضيغماً قد صال في غَسَق
أطفالنا يا رعاة الجيل عندكمُ
وديعة لا دمى حَطْمٍ لدى النّزَقِ

والولد منذ الصغر حين يتربّى على العقيدة الربانية محاسبة ومُراقبة ، ويتكوّن على الإيمان بالله ، والاستعانة به ، واللجوء إليه ، والخشية منه ، والاعتماد عليه .. في كل مراحل الحياة ، وأطوارها المختلفة .. وحين يستشعر من أعماق وجدانه أن الله سبحانه معه يرقبه ويراه ، ويعلم سرّه ونجواه ، ويعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور .. فالولد حين يتكوّن على هاتيك المعاني .. فإن التخويف الأخروي ، والتهديد الدنيوي .. يبلغ من قلبه كل مبلغ ، واللمسات الترهيبية والزجرية تترك أثرها في نفسه ، وفي سلوكه ، وفي معاملته .. وعندئذ ينصلح أمره ، وتستقيم أخلاقه !!.

والقرآن الكريم قد استعمل **هذه العقوبة التخويفية والترهيبية في** كثير من الآيات البيّنات ، واستخدمها في اصلاح النفوس المؤمنة ، وفي إعدادها الخلقي والنفسي .. وكم تركت أثراً في النفوس ، ونتائج حسنة في السلوك ، وعواقب حميدة في التربية واخلاق ؟..

ــ **فهو مرة** يهدد ويخوّف بقساوة القلوب.. إذا ظلت النفوس سادرة في غيّها :

« ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ، ولايكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون » . (الحديد : ١٦)

ــ ومرّة يهدد بغضب الله وعذابه صراحة (كما جاء في حديث الإفك) وتلك درجة أشد :

« ولولا فضل الله عليكم ورحمته في الدنيا والآخرة لمسّكم فيما أفضتم فيه عذاب عظيم . إذ تلقونه بألسنتكم وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم . ولولا إذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا ، سبحانك هذا بهتان عظيم ؟ يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبدا إن كنتم مؤمنين » . (النور : ١٤ ــ ١٧)

ـ ومرّة يهـدّد بحرب الله ورسوله :

« يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا إن كنتم مؤمنين ، فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله ... » .

(البقرة : ٢٧٩)

ـ ومرّة يهدّد بعقاب الآخره :

« والذين لايدعون مع الله إلهاً آخر ، ولايقتلون النفس التي حرّم الله إلا بالحق ولايزنون ومن يفعل ذلك يلقَ أثاماً . يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهاناً » . **(الفرقان : ٦٨ ـ ٦٩)**

ـ وتارة يهدد بالعقاب في الدنيا :

« إلاّ تنفروا يعذبكم عذاباً أليماً ويستبدل قوما غيركم » .

(التوبة : ٣٩).

« وإن تتولوا كما توليتم من قبل يعذبكم عذاباً أليماً » .

(الفتح : ١٦)

« وإن يتولوا يعذبهم الله عذاباً أليماً في الدنيا والآخرة » .

(التوبة : ٧٤)

« إنما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا »

(التوبة : ٥٥)

وفي تقديري أن المربي إذا اعتنى بتربية الولـد إيمانيـاً . وكوّنه على مراقبة الله والخشية منـه .. فإن تهديدات القرآن الكريم . وتخويفات السنة المطهرة .. لها أكبر الأثر في اصلاح الولد وكفه عن كثير من المحرمات .. وقد

ألمحنـا في « مسؤولية التربية الإيمانية » عن الدور الذي يجب أن يقـوم به المربي في تربية الولد عقيدياً . وتكوينه إيمانياً .. حتى ينشأ على الاستقامـة، ويتربى على الأخلاق .. وهذه هي العقوبة الترهيبية والتخويفية التي فصلنـا فيها القول قبل قليـل ..

وفي الختام أقول :

إن المربي لا يعدم الوسيلة المجدية في زجر الولد وردعه . وهذه الوسائل التي سبق ذكرها هي من أهم الوسائل الزجرية في التأديب والاصلاح .. وهنا تتجلى حكمة المربي في استعمالها . واختيار الأصلح منها ...

ولا شك أن هذه الوسائل تتفاوت بتفاوت الأولاد ذكاءً وثقافةوحساسية ومزاجا ... فمنهم من تكفيه الإشارة البعيدة ويرتجف لها قلبـه . ويهتز مـن التلميح بها وجدانه . ومنهم من لا يردعه إلا النظرة العابسة والغضب الجـاهر الصريح ... . ومنهم من يكفيه التهديد بعذاب مؤجل التنفيذ .. ومنهم مـن يصلحه الهجر . ومنهم من ينفعه التأنيب والتوبيخ ، ومنهم من لابد من تقريب العصا منه حتى يراها على مقربة لينزجر . ومنهمبعد ذلك فريق لابد أن يحس لدغ العقوبة على جسمه لكي يستقيم ..

والإسلام ــ كما مر ــ شرع هـــذه العقوبات بأسرها ، وأرشد المربين إليها .. وهناتظهر البراعـة فياستخدامها ، واختيار الصالح منها بقدر مايحقق مصلحة الولد .. وعلى الله قصد السبيل .



أخي المربي :

هذه هي وسائل التربية المؤثرة في الولد •• وهي ــ كما رأيت ــ وسائل هامة وعملية ومجدية •• إن استطعت أن تنفّذها ، وتسهر على تحقيقها . وتأخذ بوسائل تطبيقها •• فإن الولد ــ لاشك ــ سيكون له شأن وأي شأن . بل سيكون المشار إليه بالبنان ، والمعروف بين قومه وعشيرته بالتقى والورع والإحسان !!••

ويخطىء من يظن أن التربية في الاسلام تقوم على غير هذه الأسس . وتتكوّن على غير هذه الوسائل •• اللهم إلا إذا كانت التربية ربانية •• كتربية الأنبياء •• فإنها ــ لا شك ــ محوطة بعناية الله ، مصنوعة على عينه . مشتملة برعايته وتأديبه •• بل لا يمكنها بحال أن يعتريها نقص . أو يطرأ عليها انحراف !!••

أما تربية الدولة للأمة ، وتربية ذوي الاختصاص للمجتمع ، وتربية الأبوين للأسرة •• فإنها مرتبطة بأسباب تربوية . ووسائل توجيهية •• إن أخذ بها المسؤولون ، ومشى على منهجها المربون •• فإن الأمة تنصلح . والاسرة تستقيم . والفرد يهتدي •• والمجتمعات الانسانية تصل الى قمة الفلاح . وذروة السعادة والاستقرار•• ولقد رأيت ــ أخي المربي ــ الوسائل التي رسم معالمها الاسلام في تربية الولد إيمانياً وخلقياً وتكوينه نفسياً واجتماعيا ••

فبالتربية بالقدوة يكتسب الولد أفضل الصفات . وأكمل الأخلاق . ويترقى نحو الفضائل والمكرمات . وبدونها لا ينفع مع الولد تأديب . ولا تؤثر به موعظة !!••

وبالتربية بالعادة يصل الولد في التكوين التربوي الى أفضل النتائج . وأطيب الثمرات .. لأنها تعتمد على وسيلة الملاحظة والملاحقة . وتقوم على أساس من الترغيب والترهيب ، وتنطلق من منطلقات الإرشاد والتوجيه .. وبدونها يكون المربي كالذي يرقم على ماء . ويصرخ في واد ، وينفخ في رماد بلا فائدة ولا جدوى ..

وبالتربية بالموعظة يتأثر الولد بالكلمة الهادية ، والنصيحة الراشدة ، والقصة الهادفة . والحوار المشوّق . والاسلوب الحكيم ، والتوجيه المؤثّر .. وبدونها لا يهتزّ وجدان الولد ، ولا يرقّ قلبه ، ولا تتحرك عاطفته .. وتكون التربية جافّة . والأمل في إصلاحه ضعيفاً !!..

وبالتربية بالملاحظة ينصلح الولد ، وتسمو نفسه ، وتكتمل آدابه وأخلاقه .. ويصبح لبنة صالحة في كيان المجتمع ، وعضواً هامّاً نافعاً في جسم الأمة المسلمة .. وبدونها ينحدر الولد الى أرذل العادات ، ويهبط الى أسفل الدركات ، ويكون في المجتمع مجرماً شقياً !!..

وبالتربية بالعقوبة ينزجر الولد ، ويكفّ عن أسوأ الأخلاق ، وأقبح الصفات .. ويكون عنده من الحساسية والشعور ما يردعه عن الاسترسال في الشهوات . وارتكاب المحرمات واقتراف الموبقات .. وبدونها يتمادى الولد في الفاحشة ، ويتوغل في حمأة الإجرام ، ويتقلب في متاهات المفاسد والمنكرات !!..

فاحرص — أخي المربي — على أن تكون لهذه الوسائل من المحققين ، لهذه الأسس من العاملين المطبقين .. إن أردت لولدك إصلاحاً ، ولمجتمعك خيراً وسعادة ، ولدولتك المسلمة نصراً وسيادة .. وما ذلك على الله بعزيز .

((وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون)) .



الفصل الثاني

القواعد الأساسية في التربية

الاسلام بقواعده التشريعية الشاملة ، ومبادئه التربوية الخالدة •• وضع
ـولا ومناهج في تنمية شخصية الولد سواء أكانت هذه التنمية عقيديـة
أخلاقية أو جسمية أو عقلية أو نفسية أو اجتماعية ••

وهذه الاصول والمناهج ـ كما ترى أخي المربي ـ هي مبادىء واضحة
الم ، سهلة التنفيذ ، نبيلة المقصد •• لو انتهجها المربون في تكوين الاجيال،
ـبية المجتمعات والأمم •• لتبدلت الامـة غير الامـة ، والاجيـال غير
جيال •• ولبلغت الذروة في متانة العقيدة ، وسمو الاخـلاق ، وقـوة
ـسم ، ونضج العقـل ، وجمـال الأدب •• ولاستعادت في العظمة والمجـد
لخلود سيرة الآباء الاولين ، وتاريخ الغر المحجلين ، وعزة الرعيل الاول من
ـصحابة والتابعين •••

وقبل أن نخوض في تبيان القواعد التي يجب أن يعتمدها المربون في
ـكوين شخصية الولد ، وإعداده إنساناً سوياً متزناً في الحياة •• يحسـن
ـن تتطرق ـ ولو باختصار ـ للصفات الأساسية التي يجب أن تتوفر في
لمربي ليكون تأثيره في الأولاد أبلغ ، والاستجابة الى مناصحته أقوى !!••

صفات المربّي الأساسيّة

١ ـ الإخلاص

على المربي أن يحرر نيته ، ويخلص لله في كل عمل تربوي يقوم بـه سواء أكان هذا العمل أمراً أو نهياً أو نصحاً أو ملاحظة أو عقوبة ..

والثمرة التي يجنيها تنفيذ منهج التربية على الدوام ، وملاحقـة الولد تربوياً باستمرار .. عدا عن أنه يحظى بثواب الله ورضوانه ، ويظفر بدار المقامة في جنات خلد في مقعد صدق عند مليك مقتدر ..

والاخلاص في القول والعمل هو من أسس الايمان ، ومن مقتضيات الاسلام ، لا يقبل الله العمل إلا به ، جاء الامر به جزماً وتأكيداً في كتـاب الله عز وجل ، وعلى لسان نبينا عليه الصلاة والسلام :

ــ قال تعالى :

« وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفـاء ويقيموا الصـلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة » .

(البينة : ٥)

ــ وقال أيضاً :

« فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحاً ولايشرك بعبادة ربه أحداً » . (الكهف : ١١٠)

ـ وقال عليه الصلاة والسلام ـ فيما رواه الشيخان ـ : « إنما الاعمال بالنيات وإنما لكل امرىءٍ ما نوى ... » .

ـ وقال صلوات الله وسلامه عليه ـ فيما رواه أبو داود والنسائي ـ : «إن الله عز وجل لا يقبل من العمل إلا ما كان له خالصاً ، وابتُغي به وجهه» .

فما على المربي ـ بعد الذي علمه ـ إلا أن يحرر النية ، ويقصد وجه الله في كل عمل يقوم به ؛ ليكون عند الله من المقبولين ، وبين أولاده أو تلامذته من المحبوبين والمؤثرين !! ..

٢ـ التقوى :

من أميز ما يجب أن يتصف به المربي صفة التقوى ، وهي كما عرفها العلماء الربانيون : **« أن لا يراك الله حيث نهاك ، وأن لا يفقدك حيث أمرك »** ، أو هي كما قال البعض : **« اتقاء عذاب الله بصالح العمل ، والخشية منه في السر والعلن »** .

وكلا التعريفين ينصبّان حول مفهوم واحد ألا وهو اتقاء عذاب الله بالمراقبة الدائمة لله ، والتزام المنهج الرباني في السر والعلن ، وبذل الجهد دوماً لتحري الحلال واجتناب الحرام ..

ومما يؤكد هذا تلك المحاورة التي جرت بين عمر بن الخطاب وأبي ابن كعب رضى الله عنهما وذلك أن عمر بن الخطاب سأل أبى بن كعب عن التقوى فقال له: أما سلكت طريقاً ذا شوك ؟ قال : بلى ، قال : فما عملت ؟ قال : شمرت واجتهدت ، قال : فذلك التقوى .

لهذا كان الحض على التقوى والأمر بها **في كثير من آيات الله سبحانه :**

ـ « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته .. » . (آل عمران : ١٠٢)

ـ « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً » .

(الأحزاب : ٧٠)

ـ « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد » .

(الحشر : ١٨)

« يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم » . (الحج : ١)

ـ « ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب » .

(الطلاق : ٢ ـ ٣)

وفي كثير من أحاديث الرسول عليه الصلاة والسلام :

روى الشيخان عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قيل يا رسول الله من أكرم الناس ؟ قال : « أتقاهم » ..

ــ وروى مسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إن الدنيا حلوة خضرة ، وإن الله مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون ، فاتقوا الدنيا ، واتقوا النساء ، فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء » .

ــ وروى الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أكثر ما يدخل الناس الجنة ، قال : « تقوى الله ، وحسن الخلق .. » .

ــ وروى أحمد والحاكم والترمذي عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « اتق الله حيثما كنت ، وأتبع السيئة الحسنة تمحها ، وخالق الناس بخلق حسن » .

ـ وروى الطبراني عن النعمان بن بشير أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « اتقوا الله واعدلوا بين أولادكم كما تحبّون أن يبرّوكم » .

والمربي يدخل في مضمون هذه الأوامر والتوجيهات دخولا أولياً لكونه القدوة الذي يؤخذ منه وينظر إليه ، ولكونه المسؤول الاول عن تربية الولد على أسس الإيمان ، ومعالم الاسلام ..

ومن المؤكد حقاً أن المربي إذا لم يكن متحققاً بالتقوى ، وملتزماً في سلوكه ومعاملته منهج الاسلام .. فإن الولد ـ لاشك ـ ينشأ على الانحراف ، ويتقلب في حمأة الفساد والانحلال ، وينبه في بيداء الضلال والجهالة .. لماذا ؟ لأنه وجد الذي يشرف على تربيته وتوجيهه قد تلوث في أوحال المنكرات ، وتخبط في خضم الشهوات ، وانطلق في بيئة الاباحية.. فينشأ الولد وليس له من الله رادع ، وليس له من مراقبته زاجر ، وليس له من ضميره اعتصام .. فمن الطبيعي أن يلتاث الولد ، وأن يشذّ وينحرف في بيئات الجاهلية ، وعصور الانتكاس والضلال ..

فعلى المربين أن يفهموا هذه الحقيقة إن أرادوا لأولادهم أو تلامذتهم.. الخير والهدى والإصلاح .. في عالم من الطهر ، ودنيا من الصفاء ..

ولقد فصلنا القول عن أثر القدوة في تربية الولد في مبحث « التربية بالقدوة » فارجع إليه ـ أخي القارىء ـ تجد ما فيه الكفاية ، وما يشفي الغليل ..

٣ـ العِلْم

ومن الأمور التي لا يختلف فيها اثنان أن المربي ينبغي أن يكون عالماً في أصول التربية التي جاءت بها شريعة الاسلام ، وأن يكون محيطاً بأمور الحلال والحرام ، وأن يكون على دراية تامة بمبادىء الأخـلاق ، وأن يكون منفهماً على العموم أنظمة الاسلام ، وقواعد التشريعة .. لماذا ؟ لأن العلم بهذا كله يجعل من المربي عالماً حكيماً يضع الاشياء في موضعها ، ويربي الولد على أصولها ومقتضاها ، ويسير في طريق الاصلاح والتربية على أسس متينة من تعاليم القرآن ، وهدي محمد صلى الله عليه وسلم ، وأسوة كريمة من سير الرعيل الأول من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن تبعهم باحسان ..

وأما إذا كان المربي جاهلا ــ ولاسيما في القواعد الاساسية في تربية الولد ــ فإن الولد يتعقّد نفسياً ، وينحرف خلقياً ، ويضعف اجتماعياً .. ويكون إنساناً من سقط المتاع لا وزن له ولا اعتبار في أي مجال من مجالات الحياة ؛ لأن فاقد الشيء لايعطيه أبداً ، والحوض الفارغ من المـاء لايمكن أن يفيض على غيره ، والمصباح الخالي من الوقود لايمكن أن ينير على من حوله ، وكم يجني الأب على أولاده إذا كان جاهلا ؟ وكم يتقلب الولـد في الشقاء إذا كان المربي عن علم الشريعة حائداً ؟ ولا شك أن المسؤولية أمام الله خطيرة ، والوقفة يوم العرض الأكبر جسيمة « وقفوهم إنهم مسؤولون » وذلك في يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون !!..

ورحم الله من قـال :

لا تأخـذ العـلم إلا عـن جهـابذة

بالعـلم نحيـا وبالأرواح نفديه

أما ذووا الجهــل فارغب عن مجالسهم
قد ضل من كانت العميان تهديه

ومن أجل هذا كان اهتمام شريعة الاسلام في الحض على العلم عظيمــاً ، وكانت العناية في التكوين العلمي فائقة وكبيرة •

والآيات والأحاديث التي تأمر المسلمين بالعلم وتحضهم عليه وتسوقهــم اليه أعظــم من أن تحصى وأكبر من أن تستقصى •• وها نحن أولاء نقتطف طاقات منها عسى أن تكون ذكرى وعبرة لمن يريد أن يتذكر ويعتبر :

من هذه الآيات :

ـ قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون)) •

(الزمر : ٩)

ـ ((يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات)) •

(المجادلة : ١١)

ـ ((وقل ربّ زدني علماً)) • (طــه : ١١٤)

من هذه الأحاديث :

ـ « من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهّل الله له طريقــاً الى الجنــة » (مسلم) •

ـ « الدنيا ملعونــة ملعــون ما فيهــا إلا ذكر الله تعــالى وما والاه[1] وعالماً أو متعلماً » (الترمذي) •

ـ « من خرج في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع » (الترمذي)•

ـ « طلب العلم فريضة على كل مسلم » (ابن ماجه) •

فما على المربين بعد هذه التوجيهات القرآنية ، والتوصيات النبوية إلا أن

---

(١) وما والاه : أي أطاع الله .

يتزودوا بالعلوم النافعة ، والمناهج التربوية الصالحة .. من أجل تربية جيل اسلامي ، بجهوده وعزائمه يتحقق عز الاسلام ، وتقوم في العالمين دولته القوية المنيعة .. وما ذلك على الله بعزيز .

٤ـ الحلم

من الصفات الاساسية التي تساعد على إنجاح المربي في مهمته التربوية، ومسؤوليته التكوينية والاصلاحية .. هي صفة الاتزان والحلم ، فبها ينجذب الولد نحو معلمه ، وبسببها يستجيب لأقوال مربيه ، وبواسطتها يتحلى بالآداب المحمودة ، ويتخلى عن الاخلاق المرذولة .. ويكون كالملك حين يمشي على الأرض ، وكالبدر حين يظهر في الناس .

من أجل هذا حض الاسلام على الحلم ورغّب فيه في كثير من الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية ..ليعلم الناس، ــ وبالأخص المربون والدعاة ــ أن الحلم هو من أعظم الفضائل النفسية والخلقية التي تجعل الانسان في قمة الأدب ، وفي ذروة الكمال ، وفي أعلى مراتب الاخلاق ..

من هذه الآيات :

ـ ((والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين)) .
(آل عمران : ١٣٤)

ـ ((خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين)) .
(الأعراف : ١٩٩)

ـ ((ومن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور)) .
(الشورى : ٤٣)

ـ ((ادفع بالتي هي احسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم)) .
(فصلت : ٣٤)

من هذه الأحاديث :

ـ قال عليه الصلاة والسلام لأشجّ عبد القيس : « **إن فيك خصلتين** يحبهما الله : الحلم والأناة » مسلم .

ـ روى أبو هريرة رضي الله عنه أن رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم : أوصنيَ . قال : « لا تغضب » ، فرددها مراراً ، قال : « **لاتغضب** » البخاري .

ـ « ليس الشديد بالصُّرَعة إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب » متفق عليه .

ـ « يسّروا ولا تعسّروا ، وبشّروا ولا تنفّروا » متفق علبه .

ويتفرع عن الحلم الرفق في الأمور كلها :

ـ عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « إن الله رفيق يحبّ الرفق في الأمر كله » متفق عليه .

ـ وعنها : « إن الله رفيق يحب الرفق، ويُعطي على الرفق، مالا يُعطي على العنف ، ومالا يعطي على سواه » مسلم .

ـ وعنها : « إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه ، ولا يُنْزَع من شيء إلا شانه » مسلم .

فما على المربين إلا أن يتحلوْا بالحلم والرفق والأناة إن أرادوا للأمة إصلاحها ، وللجيل هدايته ، وللأولاد تربيتهم وتقويم اعوجاجهم ..

وليس معنى هذا أن يسلك المربي دائماً طريق الحلم والرفق في تربية الولد ، وإعداده للحياة .. وإنما المراد أن يضبط المربي نفسه دونما غضب ولا

انفعال في تقويم الاعوجاج، وإصلاح الاخلاق •• وإذا رأى من المصلحة معاقبته بعقوبة التوبيخ أو الضرب مثلا ، فعليه ألا يتأخر عن معاقبته حتى ينصلح أمره، وتستقيم أخلاقه •• ومن يؤتى الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً •

وقد سبق أن فصلنا القول في مبحث « التربية بالعقوبة » فارجع اليه — أخي القارىء — تجد ما فيه الكفاية إن شاء الله •

٥ - الاستشعار بالمسؤولية

ومن الأمور التي يجب أن يدركها المربي جيداً ، وتتأصل في بؤرة شعوره ووجدانه •• استشعاره بمسؤوليته الكبرى في تربية الولد إيمانياً وسلوكياً ، وتكوينه جسميا ونفسياً ، وإعداده عقليا واجتماعيا •• هذا الاستشعار يدفعه دائماً لأن ينطلق بكليته في مراقبة الولد وملاحظته ، وفي توجيهه وملاحقته ، وفي تعويده وتأديبه •• وعليه أن يعتقد أنه إذا غفل عنه فترة ، وإذا تساهل عن ملاحظته مرة •• فإن الولد سيتدرج في الفساد خطوة خطوة •• وفي حال الغفلة الدائمة ، والتساهل المتكرر •• فإنه سيكون لا محالة من زمرة الأولاد الشاذّين ، ومن عداد الشباب المنحرفين•• فعندئذ يصعب على المربي إصلاحه، وعلى كل مصلح علاجه وتربيته •• فيندم الأب على ما فرط ولكن لات حين مندم ، ويبكي على ما جنت يداه ولكن هل ينفع البكاء ؟•

أتبكي على لُبنى وأنت قتلتَها
وقد ذهبت لُبنى فما أنت صانع

لهذا كله نجد الاسلام حمّل الآباء والأمهات والمربين جميعاً مسؤولية التربية في أبعد حدودها ، وفي أوسع مراميها •• وحذرهم وأنذرهم أن الله

سبحانه مسائلهم في يوم العرض عليه عن هذه الأمانة هل أدّوها ؟ ، وعن هذه الرسالة هل بلّغوها ؟ ، وعن هذه المسؤولية هل تحمّلوها ؟

وإليك ـ أخي المربي ـ ما يقوله الاسلام في تحملك المسؤولية أو تفريطك فيها :

قال تعالى :

ـ « وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها » .

(طـه : ١٣٢)

ـ « يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً .. » .

(التحريم : ٦)

ـ « فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون » .

(النحل : ٩٣)

ـ « وقِفوهم إنهم مسؤولون » .

(الصافات : ٢٤)

وقال عليه الصلاة والسلام :

ـ « الرجل راعٍ ومسؤول عن رعيته .. » متفق عليه .

ـ « .. والمرأة راعية ومسؤولة عن رعيتها .. » متفق عليه .

ـ « علّموا أولادكم وأهليكم الخير وأدّبوهم » رواه عبد الرزاق وسعيد بن منصور .

ـ « ما نحل والد ولداً أفضل من أدب حسن » الترمذي .

ـ « إن الله سائل كل راعٍ عما استرعاه حفظ أم ضيع ، حتى يسأل الرجل عن أهل بيته » ابن حبان .

فانطلاقاً من هذا الأمر القرآني ، والتوجيه النبوي .. وجب على كل

مربٍّ مؤمن عاقل بصير حكيم .. أن ينهض بهـذه المسؤولية على أكمل وجه، وأتم استعداد، وأقوى عزيمة .. واضعاً نصب عينيه غضب الله إذا هو فرّط، وعذاب جهنم إذا هو قصّر .. لأن المسؤولية يـوم العرض الأكبر ثقيـلة، والمحاسبة عسيرة، والهول عظيم، وجهنم تقول : هل من مزيد ؟

وفي مضمار التحدث عن « الاستشعار بالمسؤولية » أريد أن أضع بـين يديك ــ أخي المربي ــ هـذه المخططات ــ ولو اختصاراً ــ لإفساد الفـرد المسلم، والأسرة المسلمة، والمجتمع المسلم .. لتكون على بينة وبصيرة مـن أمرك، ولتضاعف الجهود في إنقاذ ولدك، وإصلاح أسرتك ..

وأقصد بالمخططات قرارات التآمر التي تتخذ في **أوكـار الصهيونيـة، والماسونيـة، والصليبيـة، والشيوعية** .. والتـي تستهدف إفساد عقيدة الأمة الاسلامية وتدمير أخلاقها الأصيلة عن طريق المبادىء الإلحادية الضالة، وعن طريق الخمر والجنس، وإطلاق عنان الغرائز والشهوات، والجري وراء المظاهر المغرية، والتقليد الأعمى ..

والمرأة ــ عند هؤلاء ــ هي أول الأهداف في هـذه الدعوة الإباحيـة. والميدان الماكر، فهي العنصر الضعيف العاطفي التي تنساق وراء الدعاية والفتنة بلا روية ولا تفكير، وهي ذو الفعالية الكبيرة، والتأثير المباشر في إفســاد الأخـلاق ..

وإليك ــ أخي المربي ــ مخططـات التآمر واحده بعـد واحدة بالوقائـع والأرقام :

أ ـ مخططات الشيوعية :

في إحدى « الوثائق السرية الخطيرة » التي نشرتها مجلة « كلمة الحق » في شهر المحرم سنة (١٣٨٧) هـ الموافق شهر نيسان سنة (١٩٦٧) م ، المخطط الرهيب للقضاء على الاسلام ، وقد أعده الشيوعيون في « موسكو » ، وقدّموه لعبيدهم المسخّرين في أحد بلدان الشرق العربي المسلم لينفّذوه ، وقد أخذوا في تنفيذه بدقة .

وها نحن أولاء ننقل من مجلة « كلمة الحق » بعض ما يحويه المخطط الشيوعي لضرب الاسلام في دياره .

تقول الوثيقة :

« برغم مرور خمسين سنة تقريباً على الاشتراكية في الاتحاد السوفياتي، وبرغم الضربات العنيفة التي وجهتها أضخم قوة اشتراكية في العالم الى الاسلام فإن الرفاق الذين يراقبون حركة الدين في الاتحاد السوفياتي صرحوا كما تذكر مجلة « العلم والدين » الروسية في عددها الصادر في أول يناير (كانون الثاني) ١٩٦٤ بما نصه :

« إننا نواجه في الاتحاد السوفياتي تحدّيات داخلية في المناطق الاسلامية وكأن مبادىء « لينين » لم تتشربها دماء المسلمين » .

« وبرغم القوى اليقظة التي تحارب الدين : فإن الاسلام ما يزال يرسل إشعاعاً ، وما يزال يتفجر بالقوة بدليل أن الملايين من الجيل الجديد في المناطق الاسلامية يعتنقون الاسلام ويجاهرون بتعاليمه مع أن قادة الحزب ، ومفكري المذهب ، لا يغيب عنهم خطر يقظة الاسلام في المناطق الاسلامية بالاتحاد

السوفيا تي الذي أشار في « دائرة معارف الثقافة الشيوعية » الى أن الاسلام أخطر الأديان الرجعية ، ويبذل أقصى جهده ليكون في خدمة المستغلين ، والإقطاعيين ، والرأسماليين ، ويقدم كل العون للاستغلال ، وهو دين جامد حقود على الحضارة والتقدم ، وخصم عنيد للاشتراكية ، ويناهض التحركات التحررية » .

وتقول الوثيقة :

« ومن هذا المخطط أن يتخذ الاسلام نفسه أداة لهدم الاسلام نفسه ، وقررنا ما يلي :

١ ــ مهادنة الاسلام لتتم الغلبة عليه ، والمهادنة لأجل حتى نضمن أيضاً السيطرة ، ونجتذب الشعوب العربية للاشتراكية .

٢ ــ تشويه سمعة رجال الدين ، والحكام المتدينين ، واتهامهم بالعمالة للاستعمار والصهيونية .

٣ ــ تعميم دراسة الاشتراكية في جميع المعاهد والكليات والمدارس في جميع المراحل .. ومزاحمة الاسلام ومحاصرته حتى لا يصبح قوة تهدد الاشتراكية » .

وتقول الوثيقة :

« ٦ ــ الحيلولة دون قيام حركات دينية في البلاد مهما كان شأنها ضعيفاً ، والعمل الدائم بيقظة لمحو أي انبعاث ديني ، والضرب بعنف لا رحمة فيه كل من يدعو الى الدين ولو أدى الى الموت .

٧ ــ ومع هذا لا يغيب عنا أن للدين دوره الخطير في بناء المجتمعات ، ولذا وجب أن نحاصره من كل الجهات وفي كل مكان ، وإلصاق التهم به ، وتنفير الناس منه بالاسلوب الذي لاينم عن معاداة الاسلام .

٨ ــ تشجيع الكتّاب الملحدين وإعطاؤهم الحرية كلها في مهاجمة الدين والشعور الديني ، والضمير الديني ، والعبقرية الدينية ، والتركيز في الأذهان أن الاسلام انتهى عصره ، وهذا هو الواقع ، ولم يبق منه اليوم إلا العبادات الشكلية التي هي الصوم ، والصلاة ، والحج ، وعقــود الزواج والطــلاق ، وستخضع هذه العقود للنظم الاشتراكية ..

٩ ــ قطع الروابط الدينية بين الشعوب قطعاً تاماً ، وإحــلال الرابطــة الاشتراكية محل الرابطة الاسلامية التي هي أكبر خطر على اشتراكيتنا العلمية.

١٠ ــ إن فصــم روابط الدين ، ومحو الدين لا يتمان بهدم المساجــد والكنائس ، لأن الدين يكمن في الضمير ، والمعابــد مظهر من مظــاهر الدين الخارجية ، والمطلوب هو هدم الضمير الديني ، ولم يصبح صعباً هدم الديــن في ضمير المؤمنين به بعد أن نجحنا في جعل السيطرة والحكم والسيادة للاشتراكية .. ونجحنا في تعميم ما يهــدم الدين من القصص والمســرحيات والمحاضــرات والصحف والاخبار والمؤلفات التي تروج للإلحاد ، وتدعو إليه ، وتهزأ بالدين ورجاله ، وتدعو للعلم وحده ، وجعله الإله المسيطر .

١١ ــ مزاحمة الوعي الديني ، وطرد الوعي الديني بالوعي العلمي .

١٢ ــ خداع الجماهير بــأن نزعم لهــم أن المسيح اشتراكي ، وإمــام الاشتراكية ، فهو فقير ، ومن أسرة فقيرة ، وأتباعه فقراء كادحون ، ودعا الى محاربة الأغنياء .

ونقول عن محمد : إنه إمام الاشتراكيين ، فهــو فقير ، وتبعــه فقراء ، وحارب الأغنياء المحتكرين ، والاقطاعيين ، والمرابين ، وثار عليهم ، وعلى هذا النحو يجب أن نصور الأنبياء والرسل ، ونبعد القداسات الروحية ، والوحي

والمعجزات عنهم بقدر الإمكان لنجعلهم بشراً عاديين حتى يسهل علينا القضاء على الهالة التي أوجدوها لأنفسهم ، وأوجدها لهم أتباعهم المهوّسون •

١٣ ــ في القرآن والتوراة والأناجيل قصص ، ولئلا نصطدم بشعور الجماهير الديني ونثيرهم على الاشتراكية يجب أن نفسر تلك القصص الدينية تفسيراً مادياً تاريخيا ، فقصة يوسف على سبيل المثال يمكن تفسيرها تفسيراً مادياً تاريخياً وما فيها من جزئيات يمكن أن نفيد منها في تعبئة الشعور العام ضد الرأسماليين ، والإقطاعيين ، والنساء الشريفات ، والحكام الرجعيين ••

١٤ ــ إخضاع جميع القوى الدينية للنظام الاشتراكي ، وتجريد هذه القوى تدريجياً من موجداتها ••

١٥ ــ إشغال الجماهير بالشعارات الاشتراكية ، وعدم ترك الفرصة لهم للتفكير ، وإشغالهم بالأناشيد الحماسية والوطنية ، والأغاني الوطنية ، والشؤون العسكرية ، والتنظيمات الحزبية ، والمحاضرات المذهبية ، والوعود المستمرة برفع الانتاج ومستوى المعيشة ، وإلقاء مسؤولية التأخر الاقتصادي، والجوع ، والفقر ، والمرض •• على الرجعية والاستعمار ، والصهيونية ، والإقطاع ، ورجال الدين •

١٦ ــ تحطيم القيم الدينية ، والروحية ، بإظهار ما فيها من خلل وعيوب وتخدير للقوى الناهضة » •

وتقول الوثيقة :

« ١٧ ــ الهتاف الدائم ليل نهار وصباح ومساء بالثورة ، وإن الثورة هي المنقذ الأول والأخير للشعوب من حكامها الرجعيين ، والهتاف للاشتراكية بأنها هي الجنة الموعود بها جماهير الشعوب الكادحة •

١٨ ـــ نشر الأفكار الإلحادية ، بل نشر كل فكرة تضعف الشعور الديني والعقيدة الدينية ، وزعزعة الثقة في رجال الدين في كل قطر إسلامي •

١٩ ـــ لا بأس من استخدام الدين لهدم الدين ، ولا بأس من أداء الزعماء الاشتراكيين بعض الفرائض الدينية الجماعيـــة للتضليل والخـــداع على ألاّ يطول زمن ذلك ، لأن القوى الثورية يجب ألا تظهر غير ما تبطن إلا بقـــدر ، ويجب أن تختصر الوقت والطريق لتضرب ضربتها فالثورة قبل كل شيء هـــدم للقديم والمواريث الدينية جميعها •

٢٠ ـــ الإعلان بأن الاشتراكيين يؤمنون بالدين الصحيح لا بالدين الزائف الذي يعتنقه الناس لجهلهم ، والدين الصحيح هو الاشتراكية ، والدين الزائف هو الأفيون الذي يخـــدر الشعوب لتنساق وتسخّر لخدمـــة طبقـــة معينة ، وإلصاق كل عيوب الدراويش ، وخطايا رجال الدين بالدين نفسه ، وترويـــج الإلحاد وإثبات أن الدين خرافـــة ، والخرافة تكمن في الدين الزائف لا الدين الصحيح الذي هو الاشتراكية •

٢١ ـــ تسمية الاسلام الذي تؤيده الاشتراكية لبلوغ مأربها ، وتحقيـــق غاياتها بالدين الصحيح ، والدين الثوري ، والدين المتطور ، ودين المستقبل•• حتى يتم تجريد الاسلام الذي جاء به محمد من خصائصه ومعالمه ، والاحتفاظ منه بالاسم فقط ، لأن العرب إلا القليل مسلمون بطبيعتهـــم ، فليكونوا الآن مسلمين اسماً ، اشتراكيين فعلا ، حتى يذوب الاسلام لفظاً كما ذاب معنى •

وتقول الوثيقة :

٢٣ ـــ « أخذنا بتعاليم « لينين » ووصيته بأن يكون الحزب الاشتراكي خصماً عنيداً للدين ، ويحارب فكرته في المنتظر ما بعد الموت بالفردوس الذي

تحققه الاشتراكية العلميـــة التي تحقق العدالة الاجتماعية التي هي الفردوس، وإذا وجد من الضروري مهادنة الدين وتأييده وجب أن تكون المهادنة لأجل ، والتأييد بحذر ، على أن يستخدم التأييد والمهادنة لمحو الدين •

٢٥ ــ الاهتمام بالاسلام مقصود منه ــ أولاً ــ استخدام الاســلام في تحطيم الاسلام •• ثانياً ــ استخدام الاسلام للدخــول في شعــوب العــالم الاسلامي •

ومع أن القوى الرجعية فيالعالم العربي والاسلامي قوى يقظــة إلا أن الخطة التي اتخذناها ستضعف هذه القوى حتى تجردها من عناصر احتفاظهــا بمقوماتها فتذوب على مر الايام •

٢٦ ــ وباسم تصحيح المفاهيم الاسلامية ، وتنقيته من الشوائب ، وتحت ستار الاسلام يتم القضاء عليه بأن نستبدل به الاشتراكية • » •

وتفصح الوثيقة عن أسرار رهيبة فتقول :

« وفي المحيط العربي كله يعمل أنصارنا بجد ، وقــد استطاعوا أن يثبوا الى المناصب الرئيسية في الوزارات ، والإدارات الحكوميــة ، والشــركات ، والمؤسسات الرسمية وغير الرسميــة ، ووفّقوا حسب تعليماتنا للسيطرة التي وإن كانت فردية إلا أن توفيقهم للوصول الى تلك المناصب يعــد من الاعمال لناجحة ، كما أن لقاء الافراد بعضهم مع بعض يجعل اللقاءات في صورة اللقاء الجماعي •• ويزداد على مر الأيام عدد أنصارنا الذين يتولون المنــاصب ذات الأثر الفعال في خلق الجو الصالح للتحركالثوري ، وحسب تعليماتنا لهم جعلوا من الوزراء والمسؤولين الذين لا يشك في إخلاصهم للنظام الرجعي الحــاكم المعادي للاشتراكية واجهة يقفون وراءها ، ويعملون تحت ستارها ما يريدون

في أمن وطمأنينة مع اليقظة والحذر دون أن تحوم حولهم الشكوك لأنهم يتسترون بأولئك المسؤولين ... »[1] .

هل عرفت ــ أخي المربي ــ ما تريده الشيوعية الحاقدة من إلحاد وتضليل واستئصال شأفة الاسلام والمسلمين من المجتمعات الاسلامية ؟

وهل عرفت أنها تريد أن تنزع عقيدة الاسلام من كل مسلم **يقول ربي الله،** ونبيي محمد صلى الله عليه وسلم ، وديني الاسلام ، لتحل محلها عقيدة الكفر والضلال والمروق من الاسلام ؟

« يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون » . **(التوبة : ٣٢)**

ب ــ مخططات الصليبية :

بعد فشل الحروب الصليبية الاولى التي استمرت قرنين في استئصال الاسلام ، قام الصليبيون بدراسة واعية ، وخطة ماكرة ، ومؤامرة لئيمة للقضاء على أمة الاسلام ، وتدمير أهله ، وكانت خطواتهم كما يلي :

أولاً ــ القضاء على الحكم الاسلامي بإنهاء الخلافة الاسلامية المتمثلة بالدولة العثمانية ، وقد انتهزت الصليبية المتمثلة بالانكليزية ، واليونانية ، والإيطالية ، والفرنسية .. فرصة ضعف الدولة العثمانية وتخلخلها ، وخلافاتها بين بعضها .. فانقضّت كالذئب الكاسر بجيوشها الضخمة الكبيرة ، وسيطرت على جميع أراضيها ، ومنها العاصمة « استانبول » ، ولما ابتدأت مفاوضات

---

(١) نص الوثيقة من كتاب « الشيوعية والاسلام » للمؤلفين : عباس محمود العقاد ، وأحمد عبد الغفور العطار صفحة : ١٢٣ .

مؤتمر « لـوزان » لعقد صلح بين المتحاربين اشترطت انكلترا على خائن تركيا الأكبر « أتاتورك » أنها لن تنسحب من أراضي تركيا إلا بعد تنفيذ الشـروط التـالية :

أ ــ إلغاء الخلافة الاسلاميـة ، وطرد الخليفـة من تركيا ، ومصادرة أموالـه ..

ب ــ أن تتعهد تركيا بإخماد كل حركة يقوم بها أنصار الخلافة .

ج ــ أن تقطع تركيا صلتها بالاسلام .

د ــ أن تختار لها دستوراً مدنياً بدلا من دستورها الذي هو مستمد من أحكام الاسلام ..

عـدا عن إلغاء المحاكم الشرعية، والمدارس الدينية، والأوقاف ، وأحكام الميراث ، وجعل الأذان باللغة التركية ، واستبدال الحروف العربيـة بالحروف اللاتينية ، وعطلة يوم الجمعة بالأحد .. وانتهى ذلك كله عام (١٩٢٨ م) .

فنفذ « الخائن أتاتورك » هذه الشروط ، واعترف الانكليز والحلفـاء باستقلال تركيا ، وباركوا جهود أتاتورك في إلغاء الخلافة ، وعَلْمنة الدولة ، ومحاربة الاسلام ..

ولما وقف « كـرزون » وزير خارجية انكلترا في مجلس العموم البريطاني يستعرض ما جرى مـع تركيا ، احتـج بعض النواب الانكليز بعنف علـى « كرزون » ، واستغربوا كيف اعترفت انكلترا باستقلال تركيا ، التي يمكن أن تجمع حولها الدول الاسلامية وتهجم على الغرب . فأجاب « كرزون » : لقـد قضينا على تركيا التي لن تقوم لها قائمة بعد اليوم .. لأننا قضينا على قوتهـا المتمثلة في أمرين : الاسلام ، والخلافة .

فصفق النواب الانكليز كلهم وسكتت المعارضة[1] .

ثانياً ـ القضاء على القرآن ومحوه لأن الصليبية تعتبر أن القرآن الكريم هو المصدر الأساسي لقوة المسلمين ، وعودتهم الى سالف عزهم ، وماضي قوتهم وحضارتهم ..

١ ـ يقول « غلادستون » في مجلس العموم البريطاني وقد رفع المصحف أمام المجتمعين :

« ما دام هـذا القرآن موجوداً في أيـدي المسلمين ، فلن تستطيع أوروبا السيطرة على الشرق ، ولا أن تكون هي نفسها في أمان »[2] .

٢ ـ ويقول المبشر الصليبي « وليم جيفورد بالكراف » : « متى توارى القرآن ، ومدينة مكة عن بلاد العرب ، يمكننا حينئذ أن نرى العـربي يتدرج في طريق الحضارة الغربية بعيدا عن محمد وكتابه »[3] .

٣ ـ ويقول المبشر الحقود « كاتلي » : « يجب أن نستخـدم القرآن ، وهو أمضى سلاح في الاسلام ، ضد الاسلام نفسه ، حتى نقضي عليه تماماً ، يجب أن نبين للمسلمين أن الصحيح في القرآن ليس جديـداً ، وإن الجـديد ليس صحيحاً »[4] .

٤ ـ ويقول « الحاكم الفرنسي » للجزائر بمناسبة مرور مائة عام عـلى

---

(١) من كتاب « الارض والشعب » ص ٤٦ ، ج ١ ، وكتـاب « كيف هدمت الخلافة » ص ١٩٠ .
(٢) الاسلام على مفترق الطرق ص : ٣٩ .
(٣) جذور البلاء ص ٢٠١ .
(٤) التبشير والاستعمار ص : ٤٠ .

احتلالها : « يجب أن نزيل القرآن العربي من وجودهم .. ونقتلع اللسان العربي من ألسنتهم ، حتى ننتصر عليهم »[1] .

وقد أثار هذا المعنى حادثة طريفة جرت في فرنسا ، وهي أنها من أجل القضاء على القرآن في نفوس شباب الجزائر ، قامت بتجربة عملية ، قامت بانتقاء عشر فتيات مسلمات جزائريات ، أدخلتهن الحكومة الفرنسية في المدارس الفرنسية ، وألبستهن الثياب الفرنسية ، ولقنتهن الثقافة الفرنسية ، وعلمتهن اللغة الفرنسية ، فأصبحن كالفرنسيات تماماً .

وبعد أحد عشر عاماً من الجهود هيأت لهم حفلة تخريج رائعة دُعي اليها الوزراء والمفكرون والصحفيون .. ولما ابتدأت الحفلة ، فوجىء الجميع بالفتيات الجزائريات يدخلن بلباسهن الاسلامي الجزائري ..

فثارت ثائرة الصحف الفرنسية وتساءلت : ماذا فعلت فرنسا في الجزائر إذن بعد مرور مائة وثمانية وعشرين عاماً !! ؟

أجاب « لاكوست » وزير المستعمرات الفرنسي : « وماذا أصنع إذا كان القرآن أقوى من فرنسا ؟!!.»[2] .

ثالثاً ــ تدمير الفكر الاسلامي في المسلمين وقطع صلتهم بالله ..

ليتحلّلوا من نظام الاسلام ، ويسيروا في طريق الإلحاد والإباحية ، وبهذا يكونون قد تخلوا عن الاسلام ..

١ ــ يقول « صموئيل زويمر » رئيس جمعيات التبشير في مؤتمر القدس للمبشرين المنعقد عام /١٩٣٥/ :

---

(١) المنار : عدد ٩ ــ ١١ ــ ١٩٦٢ .
(٢) جريدة الايام عدد : (٧٧٨٠) عام ١٩٦٢ .

« إن مهمة التبشير التي ندبتكم دول المسيحية للقيام بها في البلاد المحمدية ليست هي ادخال المسلمين في المسيحبة ، فإن في هذا هداية لهم وتكريماً .

إن مهمتكم أن تخرجوا المسلم من الاسلام ليصبح مخلوقاً لا صلة له بالله ، وبالتالي لا صلة تربطه بالأخلاق التي تعتمد عليها الامم في حياتها ، وبذلك تكونون بعملكم هذا طليعة الفتح الاستعماري في الممالك الاسلامية، لقد هيأتم جميع العقول في الممالك الاسلامية لقبول السير في الطريق الذي سعيتم له ، ألا وهو إخراج المسلم من الاسلام ..

إنكم أعددتم نشئاً في ديار المسلمين لا يعرف الصلة بالله ، ولا يريد أن يعرفها ، وأخرجتم المسلم من الاسلام ولم تدخلوه في المسيحية ، وبالتالي جاء النشء الاسلامي طبقاً لما أراد له الاستعمار ، لايهتم بالعظائم ، ويحب الراحة والكسل ، ولا يصرف همه في دنياه إلا في الشهوات ، فإذا تعلم فللشهوات ، وإذا جمع المال فللشهوات ، وإذا تبوأ أسمى المراكز ففي سبيل الشهوات ، إنه يجود بكل شيء للوصول الى الشهوات ..

أيها المبشرون : إن مهمتكم تتم على أكمل الوجوه »[1] .

٢ ــ ويقول « زويمر » نفسه في كتاب الغارة على العالم الاسلامي : « إن للتبشير بالنسبة للحضارة الغربية مزيتين : مزية هدم ، ومزية بناء .

أما الهدم فنعني به انتزاع المسلم من دينه ، ولو بدفعه الى الإلحاد .

وأما البناء فنعني به تنصير المسلم إن أمكن ليقف مع الحضارة الغربية ضد قومه »[2] .

---

(١) جذور البلاء ــ ص : (٢٧٥) .
(٢) الغارة على العالم الاسلامي ص : (١١) .

٣ ــ ويقول المبشر « تكلي » : « يجب أن نشجع إنشاء المدارس على النمط الغربي العلماني ، لأن كثيراً من المسلمين قد زعزع اعتقادهم بالاسلام والقرآن حينما درسوا الكتب المدرسيةالغربية، وتعلموا اللغات الأجنبية»[١].

رابعاً ــ القضاء على وحدة المسلمين ليظل المسلمون ضعفاء أذلاء بلا قوة ولا عزة ولا كيان ..

١ ــ يقول القس « سيمون » : « إن الوحدة العربية الاسلامية تجمع آمال الشعوب الاسلامية ، وتساعد على التملص من السيطرة الاوربية ، والتبشير عامل مهم في كسر شوكة هذه الحركة ، من أجل ذلك يجب أن نحوّل بالتبشير اتجاه المسلمين عن الوحدة الاسلامية »[٢] .

٢ ــ ويقول المبشر « لورانس براون » : « إذا اتحد المسلمون في امبراطورية عربية ، أمكن أن يصبحوا لعنة على العالم وخطراً ، أو أمكن أن يصبحوا أيضاً نعمة له ، أما إذا بقوا متفرقين ، فإنهم يظلون حينئذ بلا وزن ولا تأثير .. »[٣] .

٣ ــ في سنة /١٩٠٧/ عقد مؤتمر أوربي كبير ، ضم أضخم نخبة من المفكرين والسياسيين الاوربيين برئاسة وزير خارجية بريطانيا الذي قال في خطاب الافتتاح :

« إن الحضارة الاوربية مهددة بالانحلال والفناء ، والواجب يقضي علينا أن نبحث في هذا المؤتمر عن وسيلة فعالة تحول دون انهيار حضارتنا » .

---

(١) التبشير والاستعمار ص : ٨٨ .
(٢) كيف هدمت الخلافة ص : ١٩٠ .
(٣) جذور البلاء ص : ٢٠٢ .

واستمر المؤتمر شهراً من الدراسات والنقاش ، واستعرض المؤتمرون الاخطار الخارجية التي يمكن أن تقضي على الحضارة الغربية الآفلة ، فوجدوا أن المسلمين هم أعظم خطراً يهدد أوربة . فقرر المؤتمرون وضع خطة تقضي ببذل جهودهم كلها لمنع إيجاد أي اتحاد أو اتفاق بين دول الشرق الاوسط، لأن الشرق الاوسط المسلم المتحد يشكل الخطر الوحيد على مستقبل أوربة .

وأخيراً قرروا انشاء قومية غربية يهودية معادية للعرب والمسلمين شرقي قناة السويس ليبقى المسلمون متفرقين . وبذا أرست بريطانيا أسس التعاون والتحالف مع الصهيونية العالمية التي كانت تدعو الى انشاء دولة يهودية في فلسطين[1] .

خامساً ـ إفساد المرأة المسلمة وذلك بالاهتمام بحركات تحرير المرأة ، وإثارة المناقشات حول حقوقها ومساواتها بالرجل ، ونقض النظام الاسلامي في تعدد الزوجات ، وإباحة الطلاق .. كل ذلك لإلقاء الشبه ، وإثارة الشكوك حول صلاحية الشريعة الاسلامية ومسايرتها للحياة .. لقد ألف القس « زويمر » رئيس ارسالية التبشير رسالة بعنوان « العالم الاسلامي اليوم » قال فيها : « لم يسبق وجود عقيدة مبنية على التوحيد أعظم من عقيدة الدين الاسلامي ، الذي اقتحم قارتي آسيا وافريقيا الواسعتين ، وبث في مائتين مليون من البشر عقائده وشرائعه وتقاليده .. وأحكم عروة ارتباطهم باللغة العربية ، فأصبحوا كالأنقاض والآثار القديمة المتراكمة على جبل المقطم أو هم كسلسلة جبال تناطح السحاب، وتطاول السماء مستنيرة ذرواتها بنور التوحيد، ومسترسلة سفوحها في مهاوي تعدد الزوجات ، وانحطاط المرأة .. »[2] .

ثم اختتم عدو الاسلام كلامه بنصيحته للمبشرين بعدم

---

(١) المؤامرة ومعركة المصير ص : ٢٥ .
(٢) من كتاب « الغارة على العالم الاسلامي » ص : ٣٣ .

اليـأس ، لأن سـوس « تحريـر المـرأة » ينخـر في عظـام المجتمـع الاسلامي ، فقال : « ينبغي للمبشرين أن لايقنطوا إذا رأوا نتيجة تبشيرهم للمسلمين ضعيفة ، إذ من المحقق أن المسلمين قد نما في قلوبهم الميل الشديد الى علوم الاوربيين وتحرير المرأة .. »[1] .

ونشر الكاتب الفرنسي الشهير « مسيو اتين لامي » مقـالا في مجلة « العالمين » الفرنسية بالعدد الصادر في ١٥ سبتمبر ١٩٠١ رسم فيه هذه الخطة المثلى لهدم الاسلام .

فقال بالحرف الواحد : « إن طريقة تربية أولاد المسلمين وإن كان لها من التأثير ما بيناه ، فإن تربية البنات في مدارس الراهبات أدعى لحصولنا علـى حقيقة القصد ، ووصولنا الى نفس الغاية التي وراءها نسعى ، بل أقول : إن تربية البنات بهذه الكيفية هي الطريقة الوحيدة للقضاء على الاسـلام بيـد أهله » .

وتقول المبشرة « آن ميليغان » : « لقد استطعنا أن نجمع في صـفوف كلية البنات في القاهرة بنات آباؤهن باشـوات وبكوات ، ولا يوجد مكـان آخر يمكن أن يجتمع فيه مثل هذا العدد من البنات المسلمات تحت النفـوذ المسيحي ، وبالتالي ليس هناك من طريق أقرب الى تقويض حصن الاسـلام من هذه المدرسة »[1] .

هل عرفت ـ أخي المربي ـ بعض هـذه المخططات الصليبية اللئيمـة في محو العقيدة الاسلامية من نفوس شبابنا وشاباتنا ، وقطع الاواصـر بينهم وبين الاسلام ؟

---

(١) من كتاب « الغارة على العالم الاسلامي » ص : ٤٧ .

هل عرفت أن جُلّ غايتهم تمزيق الوحدة الاسلامية في ربوع المجتمع الاسلامي حتى يحققوا في المسلمين آمالهم ومآربهم ؟

هل عرفت أن قصارى همهم إفساد الأسرة المسلمة .. لينطاق أفرادها من بنين وبنات في أتون الانحلال الآثم ، ومتاهات الإباحية الفاجرة ؟

إذا عرفت هذا .. فقدّر هذه المسؤولية التي حمّلك الله إياها حق قدرها، لتنهض بها على الوجه الصحيح لتصل في نهاية الشوط الى أفضل الثمرات في تربية ولدك ، واصلاح أسرتك !!..

ج ـ مخططات اليهودية والماسونية :

لجأ اليهود لعنهم الله الى طرق ملتوية من الحيلة والمكر سعياً لما تصبو اليه آمالهم وأهدافهم من بسط نفوذهم في الارض ، ومد سلطانهم على العالمين ، ووضعوا نصب أعينهم هدفين رئيسيين ليصلوا الى ما يريدون :

الهدف الاول : « تجزئة أمم الارض ، وإغراء بعضها ببعض . وإثارة الحروب فيما بينها ، وإيقاد نيران الفتن بين شعوبها .

الهدف الثاني : إفساد عقائد الأمم ، وتحطيم مفاهيمها وأخلاقها ونظمها وإبعادها عن صراط الله » ..

والغاية المتوخاة من هذا كله هو فقد هذه الأمم عوامل قوتها ومجدها . ثم بالتالي لتكون دائماً تحت سيطرة اليهود ونفوذهم .. حتى لا تقوم لأي أمة قائمة كيان وقوة في العالم . ومن حيلهم التي اتخذوها لتجزئة الامم وإفسادها تأسيس الجمعيات السرية ، ولعل من أهم هذه الجمعيات ، وفي مركز القمة منها « الجمعية الماسونية » .

يقول الاستاذ عبد الرحمن حبنكه في كتابه « مكائد يهودية » صفحة :

٢١٩ : « لقد أثبت تاريخ هذه الجمعية ـــ المحاطة أهدافها الحقيقية بسرية عظيمة ـــ أنها من أخطر الجمعيات السرية العالمية التي لعبت أدواراً خطيرة في تاريخ الامم ، وأثرت تأثيراً مباشراً على مصائر كثير من الشعوب ، وتحكمت في سياسة معظم دول العالم ، من حيث لم تشعر هذه الدول أنها قد كانت فريسة خديعة يهودية دخلت إليها عن طريق المحافل الماسونية التي تديرها من وراء السجوف أصابع المكر اليهودي الذي يحكم إخفاء نفسه ، في الوقت الذي يكون فيه هو المدير الحقيقي للعمليات الفكرية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والحربية وغيرها •• في البلد الذي تنتشر فيه المحافل الماسونية ، ولو لم يكن لليهود في هذا البلد عدد كبير من عملائهم لما استطاعوا أن يفعلوا شيئاً لصالح اليهودية العالمية، ألا إن الجمعية الماسونية التي يقبض على ناصية قمتها في العالم دهاة من أحبار اليهود وحكمائهم هي التي تخدم أغراضهم خدمة آلية ، يتحرك فيها الافراد دون أن يشعروا الى أين يسيرون ، ولمن يعملون ؟••

ولقد يبلغ الدهش عند بعض الباحثين مبلغه العظيم حينما يعلمون أن حروباً عالمية كبرى قد كان اليهود هم العاملين على إثارتها وإشعال نارها عن طريق الجمعية الماسونية ومحافلها في العالم ••• » •

ومن المؤسف أن الماسونية تغلغلت في مجتمعاتنا العربية والاسلامية ، واعتنق مبادئها كثير من أهل الغنى والجاه ، والنفوذ والسلطان •• ولاندري ماذا تكشف عنه الايام المقبلة عن الدور التي ستلعبه الماسونية العالمية على يد المنتمين اليها من أهل النفوذ والسلطان في الاعتراف باسرائيل ، والخضوع الى الحل السّلمي الذي تنادي به دول كبرى في العصر الحاضر لإنهاء قضية فلسطين •

وإذا كان أمر الاعتراف باسرائيل قد تحقق في المستقبل ـــ كما ظهرت بوادره الآن ـــ علمنا جيداً أن المخطط اليهودي الماسوني هو من وراء هذه الاحداث الخطيرة في إنهاء القضية الفلسطينية •• وأن المنفّذين لهذا المخطط هم حكام أجراء وعملاء باعوا ضمائرهم للشيطان ، وخانوا العهود والذمم ، وقد برهنوا بتصرفهم الآثم

هذا أن لهم الارتباط الاكبر بالماسونية العالمية أو أنهم مدفوعون من قبلها من حيث يعلمون أو لا يعلمون .. وعلى كل الاحوال فإن التاريخ سيدمغهم بالخيانة العظمى ، وأن لعنة الله ، والتاريخ ، والاجيال المسلمة ستحل عليهم الى يوم يبعثون .

ولسنا الآن بصدد الكلام عن تأسيس الماسونية ، وبيان مراتبها ، والكشف عن رموزها وأسرارها وطريقتها .. فمن أراد التوسعة في هذا كله .. فليرجع الى كتاب « مكائد يهودية » للأستاذ حبنكه ، فإن فيها ما يشفي الغليل .

ولكن الذي نحن بصدده الآن هو إزاحة الستار عن مخططات الماسونية اليهودية في حرب الاديان ، وانهيار الاخلاق ، وإفساد المجتمعات الانسانية هنا وهناك ..

وإليك أخي المربي أهم هذه المخططات(١) :

● لقد أعلن اليهود في بروتوكولاتهم هذه الآراء الضالة ليفسدوا على الناس عقائدهم وضمائرهم وعقولهم ، وتبنوا أفكار شخصيات يهودية وغير يهودية تدعو الى هدم العقيدة الدينية ، وتحطيم مبادىء الأخلاق الفاضلة ..

● إنهم يعلنون أنهم تبنوا آراء « فرويد » الذي يفسر كل شيء في سلوك الإنسان عن طريق الغريزة الجنسية والاسترسال في طريق الشهوات والملذات ..

● وإنهم تبنوا آراء « كارل ماركس » الذي أفسد على الكثير قلوبهم وضمائرهم وعقولهم ، وألغى الاديان ، وهاجم عقيدة الألوهية ، ولما قيل لكارل ماركس : ما هو البديل عن عقيدة الألوهية ؟ قال : البديل هو المسرح . أشغلوهم عن عقيدة الألوهية بالمسرح ..

● وتبنوا آراء « نيتشه » الذي ألغى الأخلاق ، وأباح لكل إنسان أن يفعل ما يؤدي الى استمتاعه ؛ ولو كان القتل أو الدماء أو التخريب ..

---

(١) المرجع في هذه المخططات كتاب « مكائد صهيونية » للأستاذ عبد الرحمن حبنكة ص : (٢٣٣ ـ ٢٣٨) .

● وتبنوا آراء « دارون » الذي أعلن عن نظرية التطور التى نقضها العلم، وألقاها في سلة المهملات[1] .

● بل وقد وصل الأمر باليهود أن رسموا لإفساد الانسانية منهجاً أخذوا في تنفيذه عن طريق وسائل الاعلام، ودور النشر، وعن طريق المسرح والسينما، والبرامج الإذاعية والتلفزيونية .. وعن طريق المنظمات الماسونية التي أوجدوها ، وعن طريق كل عميل خائن ، وكاتب مأجور ... واستطاعوا بمكرهم وخبثهم أن يفسدوا الشعوب عن طريق الثقافات العامة ، والفنون ، والملاهي ، ودور الدعارة وأشباهها .. كما أنهم استطاعوا بدهائهم وتلاعبهم أن يستولوا على كراسي علم النفس ، وعلم الاجتماع في جامعات أوروبا ، وأمريكا ، وفي أكثر جامعات الشرق .. وذلك ليفسدوا عن طريق هذين العلمين على الناس عقائدهم وأخلاقهم ، ولقد نفذوا مخططهم الخبيث فاستولوا على ما يقرب من ٩٠٪ من هذه الكراسي .. لتتم لهم القيادة الفكرية، والنفسية، والفلسفية في العالم كله ..

ــ وإليكم ما يقولون في **البروتوكول التاسع** : « وقد تمكنا من تضليل من غير اليهود ، وإفسادهم خلقياً ، وحملهم على البلادة عن طريق تعليمهم المبادىء التي نعتبرها نحن باطلة على الرغم من إيحائنا بها » .

ــ ويقولون أيضاً في **البروتوكول الثالث عشر** : « ولكي نبعد الجماهير من الأمم غير اليهودية عن أن تكشف بأنفسها أي خط عمل جديد لنا ، سنلهيها بأنواع شتى من الملاهي ، والالعاب ، وهلم جراً .. وسرعان ما نبدأ الاعلان في الصحف داعين الناس الى الدخول في مباريات شتى من كل أنواع المشروعات ، كالفن ، والرياضة ، وما اليها .. إن هذه المتع الجديدة ستلهي

---

(١) ارجع الى كتابنا « شبهات وردود » ففيه الرد الكافي على نظرية دارون وبطلانها .

ذهن الشعب حتماً عن المسائل التي سنختلف فيها معه ، وحالما يفقد الشعب تدريجياً نعمة التفكير المستقل بنفسه ، سيهتف جميعاً معنا ، لسبب واحد هو أننا سنكون أعضاء المجتمع الوحيدين الذين يكونون أهلا لتقديم خطوط تفكير جديدة ، وهذه الخطوط سنقدمها متوسلين بتسخير آلاتنا وحدها من أمثال الاشخاص الذين لا يستطاع الشك في تحالفهم معنا ، إن دور المثاليين المتحررين سينتهي حالما يعترف بحكومتنا ، وسيؤدون لنا خدمة طيّبة حين يحين ذلك الوقت » .

ـ ومما جاء في هذه البروتوكولات ما يلي : « يجب أن نعمل لتنهار الاخلاق في كل مكان فتسهل سيطرتنا ، إن « فرويد » منا ، وسيظل يعرض العلاقات الجنسية في ضوء الشمس لكي لايبقى في نظر الشباب شيء مقدس ، ويصبح همه الاكبر هو إرواء غرائزه الجنسية ، وعندئذ تنهار أخلاقه » .

ـ وجاء في مضابط مؤتمر بلغراد الماسوني لسنة ١٩٢٢م قولهم : « ويجب ألا ننسى بأننا نحن الماسونيين أعداء للأديان ، وعلينا أن لا نألو جهداً في القضاء على مظاهرها » .

ـ وجاء في مضابط المشرق الأعظم الماسوني لسنة ١٩١٣ م قولهم : « سوف تتخذ الانسانية غاية من دون الله » .

ـ وجاء في مضابط المؤتمر الماسوني العالمي لسنة ١٩٠٠ م قولهم : «إننا لا نكتفي بالانتصار على المتدينين ومعابدهم ، إنما غايتنا الاساسية هي إبادتهم من الوجود » .

ـ وفي مجلة أكاسيا الماسونية سنة ١٩٠٣ م قولهم : « إن النضال ضد الأديان لايبلغ نهايته إلا بعد فصل الدين عن الدولة » ، « ستحل الماسونية محل الأديان . وأن محافلها ستقوم مقام المعابد » .

هل عرفت ـ أخي المربي ـ ماذا تهدف اليهودية الماسونية من وراء هذه

المخططات الماكرة الخبيثة ؟ إنها تهدف ولا شك الى إعادة مجد بني اسـرائيل ، وتأسيس دولتهم الكبرى من الفرات الى النيل •• ثم السيطرة على العالم أجمع، ومن وسائلهم في الوصول الى هذا الهدف هـدم جميع الاديـان السماوية ، والمذاهب الاخلاقية، والاجتماعية ، والاقتصادية •• في الأرض ، ورفع لـواء اليهودية وحدها ، وما الدولة الاسرائيلية في فلسطين إلا صنيعة هذه المخططات الماكرة التي استخدمت المحافل الماسونية وسيلة لغاياتها ••

إذا عرفت هذا ـ أخي المربي ـ فضاعف جهودك ، واشحذ عزيمتك فـي تكوين أولادك ايمانياً وخلقياً ، وفي إعدادهم فكرياً ونفسياً •• حتى لا تلفحهم مكائد يهود في زعزعة العقيدة ، وانهدام الأخلاق !!••



د ـ المخططات الاستعمارية :

أعني بالمخططات الاستعمارية هي التي ترتبط بالصليبيـة والاستشراق ارتباطاً وثيقاً في محاربة الاسلام ، وتحويل المسلمين عن الهدف الاسمى ألا وهو الجهاد في سبيل الله ، وإغراق المجتمع الاسلامي في الانحـلال والشهوات •• حتى ينسلخ المسلم من عقيدة الاسلام ، ولا يعرف في الحياة شيئاً مقدساً سوى إشباع الغريزة ، والانطلاق في حمأة الرذيلة •• ولا يسعى الى مجـد مؤثل ، ولا الى رسالة سامية في الحياة !!••

ـ يقول أحد أقطاب هؤلاء المستعمرين : « كأس وغانية ، تعمـلان في تحطيم الأمة المحمدية أكثر مما يفعـله ألف مدفع ، فأغرقوها في حب المـادة والشهوات » •

ـ وسبق أن ذكرنا ما قـاله القس « زويمر » في مـؤتمر المشـرين : « ••• إنكم أعددتم نشئاً في ديار المسلمين لا يعرف الصلة بالله ، ولا يريـد أن

يعرفها ، وأخرجتم المسلم من الاسلام ولم تدخلوه في المسيحية •• وبالتالي جاء النشء الاسلامي طبقا لما أراده له الاستعمار ، لايهتم بالعظائم ، ويحب الراحة والكسل ، ولا يصرف همه في دنياه إلا في الشهوات ، فإذا تعلم فللشهوات ، وإن تبوأ أسمى المراكز ففي سبيل الشهوات » •

ــ قال « راندولف تشرشل » عام ١٩٦٧ م بعد سقوط القدس : « لقد كان إخراج القدس من سيطرة الاسلام حلم اليهود والمسيحيين على السواء ، إن سرور المسيحيين لايقل عن سرور اليهود ، إن القدس قد خرجت من أيدي المسلمين ، وقد أصدر الكنيست اليهودي ثلاثة قرارات بضمها الى القدس اليهودية ولن تعود الى المسلمين في أية مفاوضات مقبلة ما بين المسلمين واليهود » •

ولقد نقلنا من أقوال المستعمرين ما فيه الكفاية في البحث الذي سبق ذكره عن المخططات الصليبية والاستشراق •• فالكل يد واحدة في تنفيذ وسائل التدمير والإبادة لمقدسات الاسلام، ومبادىء الاسلام •• ولكن يأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون •



وأخيراً أخي المربي :

عليك ألا تتغافل عن **نشاطات العملاء** في بلاد الاسلام •• الذين لهم الارتباط الأكبر بالشيوعية الملحدة ، أو الصليبية الحاقدة ، أو الماسونية الماكرة ، أو المذاهب الاستعمارية المضللة •• والذين لا يفتؤون ليل نهار في بث مبادىء الكفر والإباحية على أرض الاسلام ، وفي المجتمعات الاسلامية في كل مكان ••

وعليك أن تعلم ــ أخي المربي ــ أن لكل فئة عميلة خائنة من هؤلاء

عناصرها التي تعمل ، وأساليبها التي تتنوع ، ومبادئها التي تتغلغل ، ومنظماتها التي تتجدد ..

وهذه الفئات من الأذناب والعبيد متكاتفة متضامنة متعاونة .. في سرقة عقيدة الإيمان والاسلام ، وقيم الفضائل والخلق .. من ولدك وابنتك .. حتى لايبقى عند الولد شيء اسمه إيمان ، أو فضيلة اسمها خلق .. وهذا لا يتأتّى عند هذه الفئات الخائنة إلا أن يمر الولد على مراحل التشكيك والتحرر والإباحية .. فعندئذ ينبذ كل شيء مقدس كريم جاءت به الأديان والشرائع..

وهؤلاء الذين باعوا نفوسهم للشيطان متمركزون منتشرون في طول البلاد وعرضها هنا وهناك .. في الوظائف ، في الوزارات ، في الإذاعة ، في التلفزيون، في أجهزة التعليم ، في المعامل ، في المؤسسات ، في كل مكان .

ووسائلهم في بث الفساد والتضليل والإلحاد كثيرة ومتنوعة .. في الصحف تارة ، والبث الإذاعي أخرى ، في التمثيليات التلفزيونية حيناً ، وفي المسرحيات الشعبية أحياناً .. وفي الندوات والمراكز الثقافية مرة ، وفي افتتاح المنظمات المتعددة مرات ..

عدا عن الدس المركز الكافر الدائم في أجهزة التعليم والجامعات ..

عدا عن اللقاءات الخاصة في أوكار التآمر والفساد ..

ولا يخفى عليك ــ أخي المربي ــ أن هؤلاء العملاء عندهم من أسلوب المنطق والإغراء والتضليل.. ما يستطيعون التأثير به على عقيدة الولد ، وأفكار الولد ، وأخلاق الولد ..

ــ فمن أساليبهم تمنية الولد عند التخرج بالوظيفة والجاه والمنصب .. وفي حال انتمائه الى إحدى منظماتهم سيصل الى أعلى المراتب !!..

ــ ومن أساليبهم تضليل الولد بالحضارة الغربية ، أو المبادىء الشرقية..

وأن أصحاب هذه الحضارات والمبادىء •• ما وصلوا الى قمة النصر والعزة•• إلا بعد أن طرحوا الدين جانباً !!••

ـ ومن أساليبهم تشكيك الولد بالاعتقاد الإلهي كقولهم : إذا كان الله هو الخالق فمن خلقه ؟ ، أو إذا كان الله لا نراه فهو إذن غير موجود •• الى غير ذلك من التشكيكات الباطلة التي يثيرونها ، ويركّزون عليها[1] !!••

ـ ومن أساليبهم تشكيك الولد بالنظام الاسلامي •• كقولهم : إن مبادىء الاسلام قد انتهى دور العمل بها ، واستنفدت في وقت ما أغراضها ، فلم تعد صالحة لعصر الذرة والكهرباء والعلم ••

ـ ومن أساليبهم إقناع الولد بأن الاسلام فرض على المرأة الحجاب والقعود في البيت ، وجعلها ذليلة مستعبدة للرجل ، ولا يمكن أن تصل الى قمة الحقوق والكرامة •• الا أن تتحرر من كل قيد جاء به الاسلام ، وأن تطرح كل عرف جاء به الدين !!••[2] .

ـ ومن أساليبهم توجيه الولد في الاسترسال وراء الإباحية والشهوات واقتراف جريمة الخنا والزنى •• بحجة الاستجابة لدواعي الغريزة الشهوانية، والتخلص من الكبت الجنسي ، والانضباط النفسي •• الى غير ذلك من هذه الاساليب الملتوية ، والتشكيكات الباطلة ، والتضليلات العفنة ••

« ذلك قولهم بافواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون » .

أعرفت ـ أخي المربي ـ ماذا يريد هؤلاء العملاء الخائنون من هذه

---

(١) ارجع الى كتابنا « شبهات وردود » ففيها الأدلة القاطعة في الرد على هذه الشبهات التي تثار .

(٢) ارجع الى الكتابين : « ماذا عن المرأة » للأستاذ الدكتور نور الدين عتر ، و « المرأة المسلمة » للأستاذ وهبي سليمان الغاوجي فإن فيهما ما يشفي الغليل في الرد على هذه الترّهات .

الشبهات التي يلقونها ، ومن هـذه التشكيكات التي يثيرونها ٠٠؟ إنهم ــ ولاشك ــ يريدون أن يربطوا مصير الأجيال المؤمنة ، والمجتمعات الاسلامية الحاضرة بعجلات أسيادهم من أصحاب العقائد الكافرة ، والمـذاهب الضالة ، والدعـوات المخربة ٠٠ حتى لا يبقى عنـد الشاب المسلم ، والمرأة المسلمة ٠٠ شيء اسمه اسلام ، أو شيء اسمه عيب أو حياء أو حرام ٠٠

وإذا تمكن أولئك الأوغاد العملاء في غيّهم وضلالهم ٠٠ وفسح لهم المجال في أن يكيدوا كيدهم ، ويجمعوا أمرهم ، وينفثوا كفرهم وسمومهم ٠٠ دونما مقاومة ، ولا استشعار بمسؤولية ، ولا اهتمام بتوجيه ولا تلقين ولا تربية ٠٠٠ فإن المجتمعات الاسلامية ــ لا سمح الله ــ ستسير حتماً نحو الاباحية والإلحاد ، وسترتبط لا محالة ــ بشكل سافر ــ بعجلات الغرب أو الشرق ، أو إن شئت قـل : بالنظام الشيوعي أو بالنظام الرأسمالي ٠٠ عندئذ نكون قد أصبنا بخزي الأبد ، وغمرت أمتنا الذلة والعبودية في عصور الانتكاس والضلال ٠٠ ونكون من الذين استحقوا لعنة الله ، ولعنة الأجيال ، ولعنة التاريخ ٠٠ الى يوم البعث والنشور !!٠٠



فإذا عرفت ــ أخي المربي ــ هـذه المخططات التي تصممهـا الشيوعية ، وتصمّمها الصليبية ، وتصممها الماسونيـة اليهـودية ، وتصممها المـذاهب الاستعمارية ، وتصممها الفئات العميلة الخائنة ٠٠٠ فما عليك ــ بعـد هـذا البيان ــ إلا أن تضاعف جهودك الجبارة ، وتستنفر عزيمتك المتينة ، وتستنهض إرادتك القوية ٠٠ لتؤدي الواجب الذي يمليه عليك الاسلام نحو تربية أولادك ، وتلقين أسرتك ، وتوجيه من لهم حق التربية في عنقـك ٠٠ إنّ مسؤوليتـك أمام أسرتك أمانة ، وإنها يوم القيامة خزي وندامة إلا من أخذها بحقها ، وأدى الذي عليه فيها ٠٠

فأدّ هذا الحق على وجهه الصحيح قبل المحاسبة والسؤال . لنحظى بمرضاة الله في جنات صدق عند مليك مقتدر مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً[1] .

قال تعالى :

« وقفوهم إنهم مسؤولون » .

وقال أيضاً :

« فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون » .



---

(1) لقد أفضنا القول في القسم الثاني من كتاب « تربية الاولاد » في مبحث مسؤوليات المربين فارجع اليه تجد ما يشفي الغليل ..

أما القواعد الاساسية في التربية فتتركز في قاعدتين :

الأولى : قاعدة الربط

الثانية : قاعدة التحذير

١ ـ قاعدة الرّبط :

من المؤكد يقيناً أن الولد إذا ارتبط وهو في سن الوعي والتمييز بروابط اعتقادية ، وروابط روحية ، وروابط فكرية ، وروابط تاريخية ، وروابط اجتماعية ، وروابط رياضية .. الى أن تدرّج يافعاً ، الى أن ترعرع شاباً ، الى أن أصبح رجلا ، الى أن انحدر كهلا .. فإن الولد ــ ولاشك ــ يصبح عنده من مناعة الايمان ، وبرد اليقين ، وحصانة التقوى .. ما يجعله أن يستعلي على الجاهلية ، ويهزأ بها .. بكل تصوراتها واعتقاداتها ومبادئها وأضاليلها .. بل

يكون ثورة شعواء على كل من يقف من نظام الاسلام موقفا معاديا ، أو ينال من مبادئه الخالدة نيلا حاقداً !!.. لمـاذا ؟

لأن الولد ارتبط بالاسلام عقيـدة ، وارتبط به عبادة ، وارتبط به خلقاً، وارتبط به نظاماً وتشريعاً ، وارتبط به عملاً وتطبيقاً ، وارتبط بهجهاداً ودعوة، وارتبط به ديناً ودولة ، وارتبط به مصحفاً وسيفاً ، وارتبط به فكرة وثقافة.

وإليك ـ أخي المربي ـ أهم هذه الروابط التي تحقّق الخير كل الخير لولدك ، فاحرص على تنفيذها ما استطعت الى ذلك سبيلا ؛ عسى أن ترى الولد في عداد المؤمنين الابرار ، ومن زمرة المتقين الأطهار ، ومن جماعة المجاهـدين الأحرار .. وما ذلك على الله بعزيز .

والروابط هي على الوجه التالي :

اولاً : الربط الاعتقادي

سبق أن ذكرنا في مبحث « مسؤولية التربية الايمانية » أن الولد يجب أن يرتبط منذ تعقله بأركان الايمان الاساسية ، والحقائق الغيبية ، وبكل ما ثبت يقيناً عن طريق الخبر الصادق من اعتقاديات وغيبيات .. وبناء على هذا وجب على المربي أن يغرس في الولد حقيقة الايمان بالله عز وجل ، والايمان بالملائكة، والايمان بالكتب ، والايمان بالرسل ، والايمان بالقضاء والقدر ، والايمـان بسؤال ملكين ، وعذاب القبر .. والايمان بأحوال الآخرة من بعث ، وحساب، وجنة ، ونار .. وسائر الغيبيات .

ولا يخفى عليك ـ أخي المربي ـ أنك إذا عمقت في ولدك حقيقة الايمان بالله ، ورسخت في قلبه وتصوره هذه المعالم الإيمانيـة .. وسعيتَ جهـدك

دائماً في أن تربطه بالعقيدة الإلهية •• فإن ولدك ينشأ على المراقبة لله ، والخشية منه والتسليم لجنابه فيما ينوب ويروع ، والتزام منهجه في كل ما يأمر وينهي، بل يكون عنده من حساسية الايمان ، وإرهاف الضمير •• ما يكف عن المفاسد الاجتماعية ، والوساوس النفسية ، والمساوىء الخلقية •• وبهذا ينصلح روحياً وخلقياً •• ويكتمل عقلياً وسلوكياً •• **بل يكون من الذين يشار اليهم بالبنان لأنه على الهدى والدين والحق والصراط المستقيم ••**

ولا أراني في حاجة ــ أخي المربي ــ أن أعيد إليك حدود مسؤوليتك في تربية ولدك إيمانياً باعتبار أن البحث قد عــولج من جميــع جــوانبه في بحث « مسؤولية التربية الايمانية » في القسم الثاني من كتاب « تربية الأولاد » •

فإذا أردت معرفة ذلك كله فارجع الى البحث المذكور تجد فيه إن شاء الله ما يبل الصدى ، ويشفي الغليل ••

ثانيًا : الرّبط الرُّوحي

أقصد بالربط الروحي أن تتصف روح الولد بالصفاء والإشــراق ، وأن يتفجر قلبه بالايمان والاخلاص، وأن تسمو نفسه في أجواء الطهر والروحانية•• وللاسلام منهجه في ربط المسلم بارتباطات روحية متنوّعة ، ليظل دائماً محافظاً على صفائه وإشراقه ، وطهره وإخلاصه ••

والمنهج هو كما يلي :

أ ــ ربط الولد بالعبادة :

لما روى الحاكم وأبو داود عن ابن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عــن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال :

« مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين ، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر ، وفرقوا بينهم في المضاجع » .

ويقاس على الصلاة ربط الولد بعبادة الصوم إذا كان الولد يطيقها ، وبعبادة الحج إذا كان الأب يستطيعها ، وبعبادة الزكاة اذا كان المربي يقدر عليها ..

وعليك ــ أخي المربي ــ أن تفهم الولد أن العبادة في الاسلام ليست مقصورة على هذه الاركان الأربعة من العبادات ، وإنما تشمل كل عمل صالح يكون المسلم ملتزماً فيه منهج الله ، ومبتغياً به وجهه ، ويتحصل من هذا المعنى العام للعبادة أن التاجر في متجره مثلا إذا انتهج منهج الله في تجارته ، وراعى في بيعه أمور الحلال والحرام ، وابتغى بعمله هذا وجه الله سبحانه فيكون هذا التاجر من العبّاد المؤمنين ..

لهذا كان لزاماً على كل مربٍّ أن يبصر الولد وهو صغير مبادىء الخير والشر ، ومسائل الحلال والحرام ، ومعالم الحق والباطل .. حتى يفعل الولد ما يحل ، ويجتنب ما يحرم ، وهذا التوجيه للولد هو من إرشادات النبي صلى الله عليه وسلم للمربين ــ فيما رواه ابن جرير وابن المنذر ــ حين قال :

« اعملوا بطاعة الله ، واتقوا معاصي الله ، ومروا أولادكم بامتثال الاوامر ، واجتناب النواهي ، فذلك وقاية لهم ولكم من النار » .

فالولد ــ أخي المربي ــ حين يرتبط بالعبادة بمفهوميها الخاص والعام منذ نشأته ، ويعتاد أداءها ، والقيام بوظائفها منذ نعومة أظفاره ، وحين يتربى كذلك على طاعة الله ، والقيام بحقه ، والشكر له ، والتزام منهجه .. عندئذ يكون الانسان المتوازن المستقيم العامل المخلص .. الذي يؤدي كل ذي حق حقه في الحياة ، والذي يعطي للناس القدوة الصالحة في سلوكه وأخلاقه ومعاملته ..

بل يكون من الذين يشار اليهم بالبنان لانه على الهدى والدين الحق والصراط المستقيم •

ب ـ ربط الولد بالقرآن الكريم :

لما روى الطبراني عن علي كرم الله وجهه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « أدّبوا أولادكم على ثلاث خصال : حبّ نبيّكم ، وحب آل بيته ، وتلاوة القرآن ، فإن حملة القرآن في ظل عرش الله يوم لاظلّ إلا ظله مع أنبيائه وأصفيائه » •

ـ وأشار **ابن خلدون** في مقدمته الى أهمية تعليم القرآن الكريم للأطفال وتحفيظه ، وأوضح أن تعليم القرآن الكريم هو أساس التعليم في جميع المناهج الدراسية في مختلف البلاد الاسلامية لأنه شعار من شعائر الدين يؤدي الى تثبيت العقيدة ، ورسوخ الايمان •

ـ ولقد نصح **ابن سينا** في كتاب السياسة بالبدء بتعليم الولد القرآن الكريم بمجرد استعداده جسيماً وعقلياً لهذا التعليم ، ليرضع منذ الصغر اللغة العربية الأصيلة ، وترسخ في نفسه معالم الايمان ••

ـ وأوصى **الامام الغزالي** في إحيائه : « بتعليم الطفل القرآن الكريم وأحاديث الاخبار ؛ وحكايات الابرار ، ثم بعض الأحكام الدينية » •

وسبق أن ذكرنا في فصل « مسؤلية التربية الايمانية » **« اهتمام الأولين بتربية ابنائهم »** وكيف كان الآباء الأولون من سلفنا الصالح الواعي يدفعون أبناءهم الى المؤدب؟ فأول شيء كانوا ينصحونه به، ويشيرون اليه •• تعليم أولادهم القرآن الكريم ، وتحفيظهم إياه •• حتى تتقوّم ألسنتهم ، وتسمو أرواحهم ، وتخشع قلوبهم ، وتدمع عيونهم ، ويترسخ الايمان والاسلام في نفوسهم ، ثم بالتالي لايعرفون سوى القرآن والاسلام دستوراً ومنهاجاً وتشريعاً !!••

فعليك أن تعلم ــ أخي المربي ــ أنه لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بماصلح عليه أولها ، فإذا كان صلاح أول هذه الأمة بالقرآن تلاوة وعملاً وتطبيقاً ، وعزتها بالاسلام فكرة وسلوكاً وتحقيقاً .. فآخر هذه الأمة لا تصل الى مراتب الصلاح . ولا تتحقق بظاهرة العزة الا أن نربط أولادنا بهذا القرآن الكريم فهماً وحفظاً وتلاوة وتفسيراً وتخشعاً وعملا وسلوكاً وأحكاما .. وبهذا نكون قد كونا في عصرنا الحاضر جيلا قرآنياً مؤمناً صالحاً تقياً .. على يديه تقوم عزة الاسلام ، وبفضل همته العالية الجبارة يرتفع في العالمين صرح الدولة الاسلامية ؛ لتناهض الامم في عزتها وقوتها وحضارتها !!..

فاحرص ــ أخي المربي ــ أن تهيىء لأولادك وبناتك من يعلمهم القرآن الكريم سواء أكان التعليم لهم في البيت ، أو في المسجد ؛ أو في مراكز تعليم القرآن الكريم ..

واعلم أنك إذا قمت بهذه المهمة على وجهها الصحيح فتكون قد قمت بواجب المسؤولية نحو ولدك ، وربطته بالقرآن روحاً وفكراً وتلاوة وعملا وأحكاماً ..

فإذا فعلت هذا .. فالولد حين يفتح عينيه فلا يعرف مبدءاً يعتقده سوى مبادىء القرآن الكريم ، ولا يعرف تشريعاً يستقي منه سوى تشريع القرآن ؛ ولا يعرف بلسماً لروحه ، وشفاءً لنفسه سوى التخشع بآيات القرآن.. فعندئذ تصل الى الغاية المرجوة في تكوين ولدك روحياً ، وإعداده إيمانياً وخلقياً ، **بل يكون ولدك من الذين يشار اليهم بالبنان لانه على الهدى والحق والصراط المستقيم .**

ج ــ ربط الولد ببيوت الله :

لما روى الترمذي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد فاشهدوا له بالايمان »، قال الله عز وجل :

« إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً » ، الآيــة ..

إعلم ــ أخي المربي ــ أن المسجد في الاسلام من أهم الدعائم التي قــام عليها تكوين الفــرد المسلم ، وبناء المجتمع الاسلامي في جميع العصور السالفة عبر التاريخ .. ولا يزال المسجد من أقوى الاركان الاساسية في بنــاء الفرد والمجتمع في حاضر المسلمين ومستقبلهم .. إذ بغير المسجــد لايمكن أن يتربى ولدك روحياً وإيمانياً . وأن يتكون خلقياً واجتماعياً .. وبغير المسجد لاتسمع أنت ومن بكنفك صوت النــداء العلوي « الله أكبر » ، يجلجل في سماءالدنيا، فيهزّ المشاعر ، ويحرك أوتار القلوب ..

وبغير المسجد لا ينصت المسلم الى سماع كلمة الموعظة والحق ، فتتفاعل بها روحه ونفسه ، وتتأجج بتأثيرها مشاعره وأحاسيسه ..

وبغير المسجد لا يتعلم المسلم أحكام الدين، وتنظيم الدنيا، وأمور الحلال والحرام ، ومناهج الحياة ، ودقائق التشريع ..

وبغير المسجد لا يتلقن المسلم تعليم القــرآن الكريم ، ويعرف أسبــاب النزول ، ويفهم لطائف التفسير ..

وبغير المسجد لا يمكن لعامة المسلمين أن يعرفوا شيئاً عن أحوال المسلمين وآلامهم وآمالهم في شرق الدنيا وغربها ..

وبغير المسجد لا يمكن للمسلم أن يتعاطف مع أخيه المسلم ، وأن تتفاعل نفساهما على أسس من المحبة والرحمة والتعاون والتكافل ..

وبغير المسجد لايجد المسلم لنفسه موئل عزاء إذا أصيب ، وموطن طمأنينة وسلوى إذا جزع ..

هذه هي بعض وظائف المسجد كما كان عليه أمره في بعثة النبي صلى الله عليه وسلم ، وفي عهود من جاؤوا بعده من خلفائه وحكامه على مر العصور..

وهكذا ينبغي أن يظل المسجد أبد الدهر •• إذا أراد المسلمون أن يبنوا في مجتمعاتهم الاسلامية في كل مكان القاعدة الصلبة المتينة ، وأن يظلوا على المحجّة البيضاء ، وأن يكونوا خير الامم قوة وعلماً وحضارة ، وأن يبنوا في الآخرين ما حققه الأوائل من عز ورفعة ودولة وكيان ••

ـ أتعلم ـ أخي المربي ـ أن من مهام المسجد اطمئنان القلوب بذكر الله؟ إسمع الى ما يقوله عليه الصلاة والسلام ـ فيما رواه الترمذي ـ : « إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا ، قالوا : يا رسول الله : وما رياض الجنة ؟ ، قال : حِلَقْ الذكر » •

ـ أتعلم ـ أخي المربي ـ أن من مهام المسجد مدارسة القرآن الكريم؟ اسمع الى ما يقوله عليه الصلاة والسلام ـ فيما رواه مسلم ـ : « وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ، ويتدارسونه بينهم ، إلا نزلت عليهم السكينة ، وغشيتهم الرحمة ، وحفتهم الملائكة ، وذكرهم الله فيمن عنده » •

ـ اتعلم ـ آخي المربي ـ أن من مهام المسجد صلاة الجماعة ؟ إسمع الى ما يقوله عليه الصلاة والسلام ـ فيما رواه مسلم ـ : « ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ، ويرفع به الدرجات ؟ ، قالوا : بلى يا رسول الله ، قال: إسباغ الوضوء على المكاره ، وكثرة الخطا الى المساجد ، وانتظار الصلاة بعد الصلاة ، فذلكم الرباط » •

ـ عدا ما لارتياد المساجد ، والسعي اليها ـ أخي المربي ـ من رفع في الدرجات ، وحط للخطيئات •• إسمع الى ما يقوله عليه الصلاة والسلام ـ فيما رواه مسلم ـ : « من تطهر في بيته ثم مضى الى بيت من بيوت الله ليقضي فريضة من فرائض الله كانت خطواته إحداها تحط خطيئة ، والأخرى ترفع درجة » •

ـ عدا ما للمشي اليها من البشارة بالنور التام يوم القيامة ، إسمع ـ أخي

المربي ـ الى ما يقوله عليه الصلاة والسلام ـ فيما رواه أبو داود والترمذي ـ : « بشّر المشّائين في الظُلَم الى المساجد بالنور التام يوم القيامة » •

انطلاقاً ـ أخي المربي ـ من التوجيهات النبوية في فضل المشائين الى المساجد والساعين اليها ، اعقد الهمة ، واشحذ العزم ، لتربط أولادك ببيوت الله عز وجل ، ليربّوا في المسجد أرواحهم، ويثقفوا عقولهم، ويهذبوا نفوسهم، ويحققوا مع أبناء المجتمع الاسلامي وحدتهم وتماسكهم ••

فإذا نفذت ذلك ، وحرصت على هذا الربط المستمر ، والصلة الدائمة بين البيت والمسجد ، فعندئذ تكون قد وصلت الى الغاية المرجوة في تكوين ولدك روحياً وإيمانياً وخلقياً •• **بل يكون ولدك من الذين يشار اليهم بالبنان لأنه على الهدى والدين الحق والصراط المستقيم •••**

د ـ ربط الولد بذكر الله عز وجل :

لقوله تبارك وتعالى :

« فاذكروني اذكركم •• » **(البقرة : ١٥٢)**

ـ وقوله :

« يا ايها الذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً وسبّحوه بكرة وأصيلا »
(الأحزاب : ٤١)

ـ وقوله :

« فإذا قضيتم الصلاة فاذكروا الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبكم » •
(النساء : ٢٣)

الى غير ذلك من هذه الآيات الكثيرة المستفيضة •

ـ ولقوله عليه الصلاة والسلام ـ فيما رواه البخاري ـ : « مثل الـذي يذكر ربه ، والذي لا يذكر الله مثل الحي والميت » .

ـ وقوله ـ فيما رواه الطبراني ـ : « ليبعثنّ الله أقواماً يوم القيامة في وجوههم النور على منابر اللؤلؤ ، يغبطهم الناس ، ليسوا بأنبياء ولاشهداء، فجثا أعرابي على ركبتيه فقال : يارسول الله حلّهم لنا (صفهم) نعرفهم ! ، قال: هـم المتحابون في الله من قبائل شتى ، وبـلاد شتى ، يجتمعون على ذكر الله يذكرونه » .

ـ وقوله ـ فيما رواه الشيخان ـ : « أنا عند ظن عبدي بي ، وأنا معه إذا ذكرني ، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ، وإن ذكرني في ملأٍ ذكرته في ملأٍ خير منهم ، وإن تقرّب مني شبراً تقربتُ اليه ذراعاً ، وإن تقرّب اليّ ذراعاً تقربتُ منه باعاً ، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة » .

والذكر معناه استحضار عظمة الله سبحانه وتعالى في جميع الاحوال التي يكون عليها المؤمن سواء أكان هذا الاستحضار ذهنياً أو قلبياً أو نفسياً أو لسانياً أو فعليا .. أو كان في حال القيام أو القعود أو الاضطجاع أو السعي في مناكب الارض أو تدبر آيات القرآن، أو سماع الموعظة ، أو الاحتكام الى شريعة الله ، أو ابتغاء أي عمل يقصد به المؤمن وجه الله . وهذا المعنى للذكر هو ما بينه القرآن الكريم في مناسبات كثيرة .

ـ **ففي المعنى الذهني والنفسي** يقول القرآن الكريم :

« رجال لاتلهيهم تجارة ولابيـع عن ذكر الله وإقـام الصلاة وإيتـاء الزكاة يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار » . (النور : ٣٧)

ـ **وفي المعنى القلبي** يقول القرآن الكريم :

« الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم لذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب » .
(الرعد : ٣٨)

ـ **وفي المعنى اللساني** فكل الآيات القرآنية التي تأمر بذكر الله عز وجل يدخل في مضمونها ذكر اللسان دخولا أوليا لأن اللفظ هو أول ما يحتمله ، والأمر هو أول ما يشمله .. ومما يؤكد هذا حديث أبي هريرة ـ فيما رواه ابن ماجه وابن حبان ـ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إن الله عز وجل يقول : أنا مع عبدي إذا هو ذكرني وتحركت بي شفتاه » ، وروى الترمذي عن عبد الله بن بسر أن رجلا قال : يارسول الله إن شرائع الاسلام قد كثرت عليّ ، فأخبرني بشيء أتشبث به ؟ قال : « لايزال لسانك رطباً بذكر الله » .

ويدخل في الذكر اللساني كل الادعية والمأثورات التي صحت عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وأثرت عن أصحابه الكرام ، والسلف الصالح رضي الله عنهم .. سواء مايتعلق بأدعية الصباح والمساء ، أو أدعية الطعام والشبع ، أو أدعية السفر والإقامة ، أو أدعية الدخول والخروج ، أو أدعية النوم واليقظة ، أو أدعية التهجد والظواهر الكونية .. كما يدخل في الذكر اللساني كل الاستغاثات الإلهية ، والاستغفارات الربانية .. التي ذكرها القرآن ، وأثرت عن نبينا عليه الصلاة والسلام[1] .

ـ **وفي المعنى الفعلي** يقول القرآن الكريم :

« فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون » . **(الجمعة : ١١)**

ـ **وفي المعنى الكلي** يقول القرآن الكريم :

---

(١) من المراجع للأدعية والأذكار : ١ ـ كتاب « الأذكار للامام النووي » ، ٢ ـ « المأثورات » للامام الشهيد ، ٣ ـ « الأدعية والأذكار » للشيخ العالم الأستاذ عبد الله سراج الدين .

« إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانك فقنا عذاب النار » .
(آل عمران : ١٩١)

● أما أن الذكر يشمل **تلاوة القرآن الكريم** فلقوله تعالى :
« إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون » .
(الحجر : ٩)

● أما أنه يشمل السؤال **عن العلم ومدارسة العلماء** فلقوله تبارك وتعالى :
« فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لاتعلمون » . (الأنبياء : ٧)

● أما أنه يقصد به **العبادة لله** فلقوله تبارك وتعالى :

« يا أيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله » . (الجمعة : ٩)

أعرفت ــ أخي المربي ــ ماذا يقصد بمعنى الذكر ؟ أعلمت أن الذكر لايتصف بحالة واحدة ، وأن معانيه لاتختص بطقوس معينة ؟ أأدركت أن الذكر حالة نفسية واعية تنتهي بالمؤمن الى أن يستحضر عظمة الله سبحانه على الدوام ؟

فإذا عرفت هذا وعلمته .. فاسع جهدك على أن تربي ولدك على هاتيك المعاني من استحضار عظمة الله في نفسه ، ليخشاه في السر والجهر ، والمتقلب والمثوى ، والحل والترحال ، والسفر والحضر ، والسلم والحرب ، والبيت والسوق ، والنوم واليقظة .. وفي كل مكان .. ليكون من عداد أولئك الذين عناهم الله بقوله حين قال :

« إنما المؤمنون الذين إذا ذُكِر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون » .

(الأنفال : ٢)

ولاشك أن الولد إذا تأصلت نفسه على ذكر الله سبحانه ، وترسخ قلبه على مراقبته نشأ الولد مُخْبِتاً عابداً ذاكراً صالحاً مستقيماً متزناً خلوقاً .. فلا يقع في معصية ، ولايرتكب فاحشة ، ولايعمل ذنباً .. وهذا ـ والله ـ غاية الصلاح والتقوى في الولد ..

ألا ما أعظم منهج الاسلام في التربية حينما يسير على هداه المربون ، ويلتزم قواعده الآباء والمعلمون ؟!!..

فاحرص ـ أخي المربي ـ على أن تربي ولدك على هاتيك المعاني التي سبق ذكرها من أنواع الذكر .. لينشأ ولدك على الاخلاص ، والتقوى ، **ومراقبة الله عز وجل** ، واستحضار عظمته في كل الاحوال .. فإذا فعلت هذا فعندئذ تكون قد وصلت الى الغاية المرجوة في تكوين ولدك روحياً ، وإعداده إيمانياً وخلقياً ..

بل يكون ولدك من الذين يشار إليهم بالبنان لأنه على الهدى ودين الحق والصراط المستقيم !! .

هـ ـ ربط الولد بالنوافل :

ـ لقوله تبارك وتعالى :

« ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً » . **(الاسراء : ٧٩)**

ـ ولقوله عليه الصلاة والسلام ـ فيما رواه الشيخان ـ : « .. ومَنْ

تقرّب إلي شبراً تقرّبت اليه ذراعاً ، ومن تقرّب إلي ذراعاً تقرّبت إليه باعاً، وإذا أقبل إليّ يمشي أقبلتُ اليه أهرول » .

ــ ولقوله صلى الله عليه وسلم ــ فيما رواه مسلم ــ : « ما من عبد مسلم يصلي لله تعالى في كل يوم اثنتي عشرة ركعة تطوعاً غير الفريضة إلا بنى الله له بيتاً في الجنة » .

والمقصود بالنافلة عبادة التطوع من غير الفريضة ، وهي في المناسبات كثيرة ، ولابأس أن أذكرك ــ أخي المربي ــ بأهم أنواعها صلاة وصياماً ، عسى أن تنتهجها لنفسك ، وتعوّدها أهلك وأولادك :

أ ــ نافلة الصلاة :

١ ــ صلاة الضحى : لما روى مسلم عن أبي ذر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « يصبح على كل سُلامى من أحدكم صدقة ، ويجزيء من ذلك ركعتان يركعهما من الضحى » .

وروى مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي الضحى أربعاً ، ويزيد ما شاء » .

وروى مسلم عن أم هانيء رضي الله عنها : « أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى ثماني ركعات » . فيؤخذ من هذه الروايات الثلاثة أن أقلها ركعتان ، وأوسطها أربع ، وأفضلها ثمان ، فليختر المتنفل ما شاء .

ويبدأ وقتها بعد طلوع الشمس بنصف ساعة الى ما قبيل الظهر بساعة تقريباً .

٢ ــ صلاة الأوّابين : وهي ست ركعات بعد صلاة المغرب لما روى ابن ماجه عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « مَن صلى بعد

المغرب ست ركعات لم يتكلم بينهن بسوء عدلن له بعبادة اثنتني عشرة سنة» .
وتجزيء ركعتين .

٣ ـ ركعتا تحية المسجد : لما روى مسلم عن أبي قتادة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إذا دخل أحدكم المسجد فلايجلس حتى يصلي ركعتين » .

٤ ـ ركعتا سنة الوضوء : لما روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لبلال رضي الله عنه : « حدثني بأرجى عمل عملته في الإسلام ، فإني سمعت دفّ[1] نعليك بين يدي في الجنة » ، فقال : « ما عملت عملاً أرجى عندي من أني لم أتطهر طهوراً في ساعة ليلٍ أو نهارٍ إلا صليت بذلك الطهور ما كُتب لي أن أصلي » .

٥ ـ صلاة الليل : لما روى الترمذي عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « أفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل » .

وروى مسلم عن جابر قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إن في الليل لساعةً لايوافقها رجل مسلم يسأل الله خيراً من أمر الدنيا والآخرة إلا أعطاه إياه ، وذلك كل ليلة » .

وروى الترمذي عن أبي أمامة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين ، وهو قُرْبَةٌ الى ربكم ، ومكفّرة للسيئات ، ومنهاة عن الإثم » .

وأقل صلاة الليل ركعتان ، ولا حدّ للأكثر ، وهي أفضل النوافل لأنها أقرب الى الإخلاص .

---

(١) الدفّ : صوت النعل وحركته على الارض .

٦ ـ **صلاة التراويح** : وهي عشرون ركعة بعشر تسليمات في كل ليلة من ليالي رمضان ، تصلى بجماعة بعد صلاة فرض العشاء . لما روى البيهقي عن السائب بن يزيد الصحابي رضي الله عنه قال : « كانوا يقومون على عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه في شهر رمضان بعشرين ركعة ، وكانوا يقومون بالمئين ، وكانوا يتوكّؤون على عصيّهم في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه من شدة القيام » .

٧ ـ **صلاة الاستخارة** : وهي ركعتان ثم يدعو بعدهما بدعاء الذي رواه جابر ـ كما جاء في صحيح البخاري ـ : « اللهم إني أستخيرك بعلمك ، وأستقدرك بقدرتك ، وأسألك من فضلك العظيم ، فإنك تقدِرُ ولا أقدر ، وتعلم ولا أعلم ، وأنت علام الغيوب . اللهم إن كنت تعلم أن « هذا الأمر » خير لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري ، فاقدُره لي ، ويسره لي ، ثم بارك لي فيه .

وإن كنت تعلم أن « هذا الأمر » شر لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري ، فاصرفه عني ، واصرفني عنه ، واقدُرْ لي الخير حيث كان ، ثم رضّني به » .

ويسمي حاجته مكان قوله في الدعاء : « هذا الأمر » .

ثم يمضي لما ينشرح صدره له من فعل أو ترك .

٨ ـ **صلاة الحاجة** : وهي ركعتان ثم يدعو بعدهما بهذه الادعية المأثورة :

« لا إله إلا الله الحليم الكريم ، سبحان الله ربّ العرش العظيم ، الحمد لله رب العالمين ، أسألك موجبات رحمتك ، وعزائم مغفرتك ، والغنيمة من كل بر ، والسلامة من كل إثم ، لاتدع لي ذنباً إلا غفرته ، ولاهماً إلا فرّجته ، ولا حاجة هي لك رضى إلا قضيتها يا أرحم الراحمين » . رواه الترمذي .

« اللهم إني أسألك وأتوجّه إليك بنبيّك محمد نبيّ الرحمة ، يا محمد إني توجهتُ بك الى ربي في حاجتي لتقضى لي ، اللهم فشفّعه فيّ » .

الى غير ذلك من هذه الصلوات التي ثبتت في السنة .

ب ـ نافلة الصوم :

الأصل في صيام النفل ما رواه مسلم في صحيحه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ما من عبد يصوم يوماً في سبيل الله إلا باعد الله بذلك اليوم وجهه عن النار سبعين خريفاً » .

والصوم أنـواع :

١ ـ صوم يوم عرفة : لما روى مسلم عن أبي قتـادة أن النبي صلى الله عليـه وسلم قال : « صيام يوم عرفة احتسب على الله أن يكفّر السنة التي قبله ، والسنة التي بعده » .

٢ ـ صيام يوم عاشوراء وتاسوعاء : وهما التاسع والعاشر من شهـر محرم ، لما روى مسلم عن قتادة : « صيام يوم عاشوراء أحتسب على الله أن يكفر السنة التي قبله والسنة التي بعده » .

وروى ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لئن بقيت الى قابل لأصومنّ التاسع » . ويصح أن يضـم الى عاشـوراء اليـوم الحادي عشر كما سيأتي في رواية الامام أحمد . والحكمة في هذا مخالفـة لليهود ، لتتميز هذه الأمة الاسلامية بعبادتها ، روى الإمام أحمد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « صوموا يوم عاشوراء ، وخالفوا اليهود ، وصوموا يوماً قبله أو يوماً بعـده » .

٣ ـ صيام ست من شوال : لما روى مسلم عـن أبي أيوب الأنصاري

رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال : « **من صام رمضان ، ثم أتبعه ستاً** من شوال كان كصيام الدهر » .

٤ ــ **صيام ثلاثة أيام البيض**[1] : لما روى الترمذي عن أبي ذر رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **إذا صمت من الشهر ثلاثة أيام** فصم ثلاث عشرة ، وأربع عشرة ، وخمس عشرة » .

٥ ــ **صيام الاثنين والخميس** : لما روى الترمذي أنه صلى الله عليه وسلم كان يصومهما ، وسئل عن ذلك فقال : تعرض الاعمال يوم الاثنين والخميس ، فأحب أن يعرض عملي وأنا صائم » .

٦ ــ **صيام يوم وإفطار يوم** : وهو صيام داود عليه السلام ، لما روى البخاري عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له : « صم يوماً وأفطر يوماً فذلك صيام داود عليه السلام ، وهو أفضل الصيام » .

الى غير ذلك من هذه الأيام والشهور التي ثبت صيامها في السنة النبوية .

ويجوز لمن صام متنفلا أن يفطر ، ولكن يجب عليه القضاء .

هذه أهم النوافل التي ثبتت مشروعيتها في السنة النبوية ، وهي من أعظم الاعمال الصالحة التي تقرّب العبد من الله عز وجل ، وترسّخ في نفسه حساسية التقوى ، وطمأنينة اليقين ، وحلاوة الإيمان ..

فاحرص ــ أخي المربي ــ أن تعطي لأهلك وأولادك .. القدوة الصالحة في تنفيذ نوافل الصلاة والصيام على نفسك .. ليكتسبوا منك ، ويأخذوا عنك ، ويقتدوا بك .. ثم أتبع هذه القدوة بالكلمة الطيبة ، والموعظة الحسنة .. ففي الدعوة الى الأخذ بفضيلة النافلة ، والعمل بعبادة التطوع ..

---

(1) هي الثالث عشر ، والرابع عشر ، والخامس عشر من كل شهر قمري، وسميت بيضاً لاستضاءة السماء فيها بنور القمر .

سوف ترى من أهلك وأولادك من اعتاد تلقائياً نافلة الصلاة ونافلةالصوم ..
وحرصوا على العمل والتطبيق فى الأوقات المخصصة ، والايام المتعيّنة ..

وهذا الربط التنفّلي هو ــ والله ــ من أعظم العوامل في تكوين الولد روحياً وإيمانياً ، وإعداده خلقياً ونفسياً .. بل هو الذي ينشىء الولد على الإخلاص ، والتقوى ، ومراقبة الله عز وجل ، واستحضار العظمة الربانية في كل الاحوال ..

فإذا فعلت هذا ــ أخي المربي ــ فتكون قد وصلت الى الغاية المرجوّة في الربط الروحي ، والتكوين الرباني ، **بل يكون ولدك من الذين يشار اليهم بالبنان لأنه على الهدى ، ودين الحق والصراط المستقيم .**

و ــ ربط الولد بمراقبة الله تعالى :

ــ لقوله تبارك وتعالى :

« الذي يراك حين تقوم وتقلّبك في الساجدين » .
(الشعراء : ٢١٩)

ــ وقولــه :

« وهو معكم أينما كنتم » . (الحديد : ٤)

ــ وقولــه :

« إن الله لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء » .
(آل عمران : ٥)

ــ ولقوله عليه الصلاة والسلام ــ فيما رواه مسلم ــ : « الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فانه يراك » .

ــ وقوله ــ فيما رواه الترمذي ــ : « اتق الله حيثما كنت ، وأتبع السيئة الحسنة تمحُها ، وخالق الناس بخلُقٍ حسن » .

ــ وقوله ــ فيما رواه الترمذي : « الكيّس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني » .

فيؤخذ من مجموع هذه الآيات القرآنية ، والاحاديث النبوية أن الاسلام اعتنى بتربية الفرد المسلم على أساس المراقبة لله في السر والعلن ، ومحاسبة النفس الانسانية في المتقلب والمثوى ، والاستشعار بتقوى الله في الحلّ والترحال ..

فحينما تسلك ــ أخي المربي ــ مع ولدك هذا المسلك ، وتغرس في أعماق قلبه بذور المراقبة ، والمحاسبة ، والتقوى .. وتروّضه على مراقبة الله وهو يعمل ، ومحاسبة نفسه وهو يفكر ، والاستشعار بالتقوى وهو يُحسّ .. فعندئذ يتربى على الاخلاص لله رب العالمين في كل أقواله وأعماله وسائر تصرفاته .. فلا ينوي نية ولا يعمل عملا إلا ابتغاء مرضاة الله .

وكذلك سيتربى على كل شعور طاهر نظيف بل ينجو من آفات النفوس .. فلا يحسد ، ولا يحقد ، ولا ينمّ ، ولا يتمتع المتاع الدنس .. وإذا أصابه نزغ من الشيطان ، أو هاجسة من النفس الأمارة تذكر أن الله سبحانه معه يسمعه ويراه .. فإذا هو متذكّر مبصر ..

«إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون».
(الأعراف : ٢٠١)

وسبق أن ذكرنا في مبحث « مسؤولية التربية الإيمانية » في القسم الثاني من كتاب الأولاد » أن هذه الظاهرة من الترويض على مراقبة الله عز وجل كانت ديدن السلف الصالح ، وإليكم ماذكرناه سابقاً من شأن « سهل بن عبدالله التستري »، كما قصه علينا الامام الغزالي في إحيائه، قال سهل بن عبد الله التستري: كنت أنا ابن ثلاث سنين أقوم بالليل ، فأنظر الى صلاة خالي « محمد ابن سوار » فقال لي يوماً : ألا تذكر الله الذي خلقك ؟ فقلت : كيف أذكره ؟ قال : قل بقلبك عند تقلّبك في فراشك ثلاث مرات من غير أن تحرّك لسانك:

« الله معي ، الله ناظري ، االله شاهدي » فقلتُ ذلك ثم أعلمتُه ، فقال : قل في كل ليلة سبع مرات ، فقلتُ ذلك ثم أعلمتُه ، فقال : قل ذلك كل ليلةإحدى عشر مرة ، فقلتُه ، فوقع في قلبي حلاوته .. فلما كان بعد سنة ، قال لي خالي: احفظ ما علمتك ، ودُم عليه الى أن تدخل القبر ، فإنه ينفعك في الدنياوالآخرة، فلم أزل على ذلك سنين ، فوجدتُ لذلك حلاوة في سرّي ، ثم قال لي خالي يوماً : ياسهل مَن كان الله معه ، وناظراً اليه ، وشاهده ... أيعصيه ؟ إياك والمعصية ..)) .

وبهذا التوجيه السديد، والترويض المستمر ، والتربية الربانيةالحقة.. أصبح سهل" رحمه الله من كبار العارفين ، ومن رجال الله الصالحين .

يقول الإمام أحمد الرفاعي رحمه الله في كتابه البرهان المؤيد : « من الخشية تكون المحاسبة ، ومن المحاسبة تكون المراقبة ، ومن المراقبة يكون دوام الشغل بالله تعالى » .

فاحرص — أخي المربي — أن تروّض نفسك وأهلك وأولادك علىمراقبة الله عز وجل ، وأن تعوّدهم على محاسبة أنفسهم ، وأن تغرس في نفوسهم أصول التقوى والخشية.. فإذا فعلت ذلك فتكون قد وصلت بالعيال والأولاد الى الغاية المرجوّة في التربية الروحية ، والتكوين الرباني .. **بل يكون ولدك من الذين يشار اليهم بالبنان لأنه على الهدى ودين الحق والصراط المستقيم .**

★ ★ ★

تلكم أهم بنود المنهج الاسلامي في ربط المسلم روحياً ، وتكوينه إيمانياً وخلقياً .. ومن المؤكد أن الولد منذ نعومة أظفاره إذا ارتبط بعبادة الله قولا وعملاً ، وبالقرآنالكريم تلاوة وتدبراً، وبالمساجد ملازمةواعتياداً ، وبذكرالله مداومة واستمراراً ، وبالنوافل تنفيذاً وتطبيقاً ، وبالمراقبة الربانية استشعاراً

ومحاسبة .. فإن الولد سيتصف ـــ لا محالة ـــ بالصفاء والإشراق ، ويوسم بالإيمان والاخــلاص ، ويعرف بالورع والتقــوى ، ويتميز بسحة التخشّع والإخبات لله رب العالمين !!..

فعلى المربين جميعاً أن يسلكوا مع أولادهم منهج الاســلام في التربيــة الروحيــة حتى يكونوا شامات في الناس ، وكالملائكة يمشون على الأرض .. لكونهم غرسوا في نفوسهم أصول الإيمان والتقوى والمراقبة .. ورسخوا في قلوبهم دعائم الخشية والتوكل والمحاسبة .. وبتقديري أن هــذه الاصول ، وهاتيك الدعائم .. من أهم العوامل في اصلاح الولد خلقيــاً ، وفي تهذيبــه اجتماعياً ، وفي تقويمه نفسياً وعقلياً ..

وعلى مثل هذا فليعمل العاملون !!..

ثالثاً : الرّبط الفكري (١)

المقصود بالربط الفكري هو ارتباط المسلم منذ أن يعقــل ويميز الى أن يترعرع يافعاً الى أن يصبح شاباً الى أن يتدرّج رجلا .. بنظام الاسلام ديناً ودولة .. وبتعاليم القرآن دستوراً وتشريعاً .. وبالعلوم الشرعيــة منهاجــاً وأحكاماً .. وبالتاريخ الاسلامي روحا وقدوة .. وبالثقافة الاسلامية مدنيّــة وحضارة .. وبمنهجية الدعوة الاسلامية اندفاعاً وحماساً .

وسبق أن ذكرنا في مبحث « مسؤولية التربية العقلية » بعض الحقائق في توعية المربين أبناءهم فكرياً . والآن ألخص ما سبق أن كتبناه مع إضافة بعض النقاط للارتباط الوتيق بين ما كتبناه سابقاً ، وبين ما سنذكره الآن .

(١) يدخل في الربط الفكري الربط التاريخي وستجد ـــ أخي القارىء ـــ هذا الارتباط جلياً واضحاً خلال كلامنا عن الربط الفكري للصلــة الوثيقــة بينهما .

وهذه الحقائق مرتبة كما يلي :

١ ــ خلود هذا الاسلام وصلاحيته لكل زمان ومكان •• لما يمتاز به من مقوّمات الشمول والتجدد والاستمرار ••

٢ ــ الآباء الأولون ما وصلوا الى ما وصلوا إليه من عزة وقوة وحضارة•• إلا بفضل اعتزازهم بهذا الاسلام ، وتطبيقهم لأنظمة القرآن ••

٣ ــ الكشف عن الحضارة الاسلامية التي كانت وما زالت مناراً للدنيا . يهتدي الأنام بنورها ، ويرتشفون من معينها على مر العصور والتاريخ •

٤ ــ الكشف عن المخططات التي يرسمها أعداء الاسلام :

المخططات اليهودية الماكرة •

والمخططات الاستعمارية الغاشمة •

والمخططات الشيوعية الملحدة •

والمخططات الصليبية الحاقدة •

هذه المخططات تستهدف طمس معالم العقيدة الاسلامية في الأرض ، وغرس بذور الالحاد في المجتمع الاسلامي ، وإشاعة الإباحية والانحلال في الأسرة المسلمة . وإخماد روح المقاومة والجهاد في الشباب المسلم ، واستغلال ثروات البلاد الاسلامية لمصالحهم الذاتية ، وغاياتهم الشخصية ، ثم السيطرة على العالمين العربي والاسلامي •• لتكون دائماً تحت حكمهم ، وجزءاً لا يتجزّأ من بلادهم ••

٥ ــ التذكير الدائم بأن أمة الاسلام لا تستعيد مكانتها تحت الشمس ، ولا يمكنها بحال أن تصل الى ذروة العزة والمجد •• إلا أن تتخذ الاسلام منهاجاً وتشريعاً ، والقرآن الكريم دستوراً وأحكاماً •• وأن تضع قول عمر رضي الله عنه نصب أعينها مبدءاً وشعاراً :

« نحن قوم أعزنا الله بالاسلام ، فمهما ابتغينا العزة بغير ما أعزنا الله به أذلنا الله » .

وما أحسن ما قال بعضهم : « نحن أمة الاسلام .. لم ندخل التاريخ بأبي جهل ، وأبي لهب ، وأبي بن خلف .. ولكن دخلناه بالرسول العربي صلوات الله وسلامه عليه وأبي بكر وعمر . ولم نفتح الفتوح بحرب البسوس وداحس والغبراء ولكن فتحناها ببدر والقادسية واليرموك.. ولم نحكم الدنيا بالمعلقات السبع ، ولكن حكمناها بالقرآن المجيد ... ولم نحمل الى الناس رسالة اللات والعزّى ، ولكن حملنا إليهم رسالة الاسلام ، ومبادىء القرآن..»[1].

٦ ـ التذكير الدائم أن هذا التخلف والتمزق والانقسام الذي أصاب المجتمع الاسلامي من أقصاه الى أقصاه ، وهذا التسلط اليهودي الاستعماري الذي فرض وجوده على فلسطين والمسجد الأقصى .. ما هو إلا نتيجة بُعْد المسلمين عن الله ، وتعطيل الحكم بما أنزل الله ، واستجداء النظم الأرضية ، والقوانين الوضعية من دول لا تقيم للديانات السماوية ، ولا للقيم الخلقية اعتباراً ولا وزناً !!.. وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم القائل ـ فيما رواه البيهقي والحاكم ـ : « ولا حكم أمراؤهم بغير ما أنزل الله إلا سلط عليهم عدوهم فاستنقذوا بعض ما في أيديهم ، وما عطلوا كتاب الله وسنة نبيّه إلا جعل الله بأسهم بينهم » .

٧ ـ التذكير الدائم أن المستقبل للاسلام مهما تآمر الأعداء ، وخطّط الكافرون .. للحديث الصحيح الذي رواه الإمام أحمد والبزار والطيالسي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إن أول دينكم نبوّة ورحمة ، وتكون فيكم ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها الله جلّ جلاله ، ثم تكون خلافة على منهاج النبوّة تكون فيكم ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها الله جل جلاله ، ثم تكون ملكاً عاضّاً فيكون ما شاء الله أن يكون ثم يرفعه الله جل جلاله ، ثم يكون ملكاً

---

(١) من خطبة للأستاذ الداعية عصام العطار حفظه الله .

جبرياً فيكون ما شاء الله أن يكون ثم يرفعه اللهجل جلاله ، ثم تكون خلافة على منهاج النبوّة تعمل في الناس بسنّة النبي ، ويلقي الاسلام بجرانه في الأرض يرضى عنها ساكن السماء ، وساكن الارض ، لاتدع السماء من قطر إلا صبّته مدراراً ، ولا تدع الأرض من نباتها ولابركاتها شيئاً إلا أخرجته » .

فالذي يبدو من الحديث أن الملك الجبري قد جاء دوره الآن ، ومظهره تلك الانقلابات الكثيرة التي توصل أصحابها الى الحكم دون رأي الأمة ، وغصباً عن إرادة الشعب ، دكتاتوريات بدأها « أتاتورك » في تركيا ، وتتابعت في كل مكان .. ولكن دلائل اليقظة الاسلامية تبشر بأن ذلك لن يطول ، وسيأتي اليو م الذي تكون فيه الخلافة على منهاج النبوة ، والحياة العامةعلى سنن الاسلام .. ولعل ذلك يكون قريباً إن شاء الله[1] .

٨ ــ التحذير الدائم من وجهة النظر اليائسة القاتلة التي تقول : « انتهى كل شيء وعجزنا » « إلزم حِلس بيتك فليس في العمل ولا الجهاد فائدة » ..

وها هو ذا القرآن الكريم يحذرنا من هذه الزمرة المعوّقة الميئّسة المتهالكة حين يقول :

« قد يعلم الله المعوّقين منكم والقائلين لاخوانهم هلمّ الينا ، ولا يأتون البأس إلا قليلا ، أشحّة عليكم فإذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون إليك تدور أعينهم كالذي يغشى عليه من الموت ، فإذا ذهب الخوف سلقوكم بألسنة حداد أشحةً على الخير أولئك لم يؤمنوا فاحبط الله أعمالهم » . **(الأحزاب : ١٩)**

وها هو ذا الرسول عليه الصلاة والسلام يحذرنا من هذه الطائفة التي تعيق المسلمين في تقدمهم السياسي والجهادي .. فيقول :

« من قال هلك المسلمون فهو أهلكهم » .

---

(١) من كتابنا « حتى يعلم الشباب » آخر بحث الجهاد السياسي .

وها هو ذا التاريخ ينطق بالحق ، ويتكلّم عن الهزّات المدمرة التي أصابت المسلمين عبر العصور فماذا كانت النتيجة ؟..

أ ــ من كان يظن أن تقوم للمسلمين قائمة حين **استولى الصليبيون** على كثير من البلاد الاسلامية والمسجد الأقصى ما يقارب قرناً من الزمان ؟

من كان يظن أن هـذه البلاد ستتحرر على يد البطل **المغوار صلاح الدين** في معركة حطين الحاسمة ، ويصبح للمسلمين من الكيان والقوة والعزة ما شرّف التاريـخ !..

ب ــ من كان يظن أن تقوم للمسلمين قائمـة لما خرّب **المغول والتتار** العالم الاسلامي من أقصاه الى أقصاه ، وفتكوا في الأنفس والأموال والأعراض .. فتكاً ذريعـاً ؟

حتى قيل إن جبالا شامخة أقامها « **هولاكو** » من جماجم المسلمين !!..

من كان يظن أن بلاد الاسلام ستتحرر على يد البطل المقدام « قطـز » في معركة عين جالوت الحاسمة .. ويصبح للمسلمـين من المجـد والعظمـة والرفعة والسيادة .. ما فخرت به الأجيال ؟..

إن التفاؤل بالنصر هو مقدمة النصر ، وإن القوة المعنوية في كل أمة هي التي تدفع أجيالها وشبابها الى تحقيق المزيد من الانتصارات الخالـدة[1] .. والتاريخ أكبر شاهد على ما نقول !!..

هذه الحقائق ــ أخي المربي ــ :

يجب أن تلقّنها أهلك وأولادك ليل نهار ، وأن تطرق بها أسماعهم على الدوام .. حتى يندفع الجميع الى الاسلام بنفوس متوثّبة متفائلة ، وهمم عالية متينـة ، وقلوب مؤمنـة راسخة ..

---

(١) من كتابنا « حتى يعلم الشباب » مبحث « الجهاد السياسي » .

وأبشرك ــ يا أخي ــ أنك إذا ثابرت معهم في هذه التوعية الاسلامية ، والربط الفكري والروحي •• والتذكير الحضاري والتاريخي •• أبشرك بأنّ الأولاد ارتبطوا فكرياً بالاسلام . وانساقوا شعورياً ووجدانياً في زمرة الداعين الى الله ، ولم يعرفوا سوى شريعة الاسلام دستوراً ومنهاجاً ، ولم يتخذوا سوى النبي عليه الصلاة والسلام قدوة وإماماً . ولم يتأثروا بحال من الأحوال بالدعايات المغرضة ، والشعارات الزائفة ، والمبادىء الضالّة ، والعقائد الكافرة والملحدة ••

وهذا لايتأتى ــ أخي المربي ــ إلا أن تهيّىء لمن له حق التربية عليك كتبة منزلية تجمع بين طياتها متنوعات من الكتب الشرعية ، والفكرية والتاريخية ، الأدبية والقصصية ، والدعوية • لأعلام الكتّاب الاسلاميين ، والعلماء شرعيين في العالم الاسلامي ، هذه المتنوعات من الكتب تعرض الاسلام على حقيقته الصافية الناصعة •• كما جاء به نبيّنا عليه الصلاة والسلام ، وكما فهمه لصحابة رضوان الله عليهم ، وكما درج عليه سلفنا الصالح ، ومن تبعهم بإحسان !!••

وعليك ــ أخي المربي ــ حين تريد اقتناء أي كتاب أن تستعين بآراء العلماء المخلصين ، والدعاة الصادقين من حملة الدعوة الاسلامية في العصر الحديث •• مخافة أن يدخل الى البيت كتاب يحمل اسم الاسلام ، وبحوث الاسلام ، وعاطفة الاسلام •• ولكن المؤلف صاحب الكتاب متأثر بأفكار أصحاب الغزو الفكري من المستغربين والمستشرقين ، فيظن أن ماقالوه هو الحقيقة في ذاتها ، فيكتبها على أنها حقائق ولكنها في الواقع وتفس الأمر أباطيل لبست من الاسلام •• وهو يظن أنه يحسن صنعاً !!•• كأمثال : أحمد أمين ، طه حسين ، حسين هيكل ، خالد محمد خالد ، محمد فريد وجدي ، جلال الدين الكشك ، وعشرات غيرهم ••

ومن الوسائل التي تربط ولدك ــ أخي المربي ــ بالاسلام فكرياً

ووجدانياً السماع الى الخطبة الواعية ، والمحاضرة الناضجة القيّمة ، والمسرحية التاريخية الهادفة ..

● فاحرص ـ أخي المربي ـ أن تختار المسجد المناسب **لصلاة الجمعة ،** ولـن تحسن الاختيار إلا إذا كان الخطيب على درجة من الاخلاص والتقوى ، والوعي الناضج ، والفهم الاسلامي الكامل ، والأسلوب الجذاب ، والثقافة الشاملة ، والعلم المحيط بأحداث الحياة .. لتكون الاستفادة في التأثير بالغة ، والثمرة في الوعي مرجوّة !!..

● واحرص ـ أخي المربي ـ أن تختار الجهة المناسبة **لسماع المحاضرة ،** ولن تحسن الاختيار إلا إذا كان المحاضر على درجة عظيمة من العقيدة الاسلامية الراسخة ، والخلق الاسلامي الكامل ، ليربط ما يقول بالاسلام العظيم عقيدة وعلماً وحضارة وفكراً !!..

● واحرص ـ أخي المربي ـ أن تختار الجهة المناسبة **لسماع المسرحية الهادفة ،** ولن تحسن الاختيار إلا إذا كان المكان الذي تقام فيه المسرحية بعيداً عن الدنايا وسفاسف الأمور والمنكرات ... ولن تحسن الاختيار إلا إذا كانت المسرحية ترتبط بالأمجاد والتاريخ ، أو تعالج الواقع الجاهلي الذي يتخبط فيه المسلمون بشرط أن يكون المشرفون على المسرحية ممن يشهد لهم بالتقوى والاخلاق والكفاءة والاختصاص .. لتؤدي المسرحية رسالتها ، وتصل بالجمهور الى الهدف المنشود !!..

هذه أهم الوسائل التي أقترحها عليك ـ أخي المربي ـ في ارتباط ولدك فكرياً ، وفي إعداده عقيدياً وإيمانياً ..

ولعمر الحق أنك إذا سلكت بولدك هــذا المسلك ، واتجهت به هــذا الاتجاه.. فإن الولد سيكون عنده من حصانة الايمان، ورسوخ العقيدة ما يجعله قادراً بأن يواجه به تحدّي الجاهلية بتصوراتها وأفكارها ، وتحدي المبــادىء الضالة بضلالها وإلحادها .. بل يستعلي على كل المقاييس الأرضية التي هي من مبتكرات الناس .. لأن دين الله أصبح في اعتقاده وتصوره فوق كل اعتقــاد وتصور « ومن أحسن مــن الله حكمــاً لقوم يوقنون » **ومعنى هذا أن ولدك أصبح يشار إليه بالبنان لأنه على الهدى ودين الحق والصراط المستقيم !!..**



رابعًا : الرَّبْط الاجتماعي

سبق أن ذكرنا في مبحث «مسؤولية التربية الاجتماعية» في القسم الثاني من كتاب «تربية الأولاد في الاسلام» أن على المربي مسؤولية كبرى في تأديب الولد منذ نعومة أظفاره على التزام آداب اجتماعية فاضلة ، وعلى تعويد أصول نفسية نبيلة تنبع من العقيدة الاسلامية الخالدة ، وتنبعث من الشعور الأخوي العميق .. ليظهر الولد في المجتمع الاسلامي على خير ما يظهر به من حسن الأخلاق ، والتعامل الاخوي والأدب الاجتماعي ، والاتزان العقلي ، والتصرف الانساني الحكيم ..

ولقد حصرنا الوسائل التي تؤدي الى التربية الاجتماعية الفاضلة في أمور أربعة :

١ ـ غرس الأصول النفسية النبيلة .

٢ ـ مراعاة حقوق الآخرين .

٣ ـ التزام الآداب الاجتماعية العامة .

٤ ـ المراقبة والنقد الاجتماعي .

ولا يخفى عليك ـ أخي المربي ـ ما في هذه الوسائل من تقويم أخلاق الولد سلوكياً ، ومن إعداده اجتماعياً ، ومن تكوينه نفسياً .. ليكون اللبنة الصالحة في تكوين المجتمع الفاضل ، وإيجاد الأمة المثالية الصالحة .. وهذا هو منطلق الاسلام في الاصلاح والبناء !! . ولكن ما المقصود بالربط الاجتماعي

بعد أن فصلنا القول عن التربية الاجتماعية ووسائلها ؟ وما المراد بربط الولـــد اجتماعياً ؟ وما هو علاقة هذا الربط بالتربية ؟• كل ذلك سنجيب عنه في هـــذا البحث ، وعلى الله قصد السبيل ، ومنه نستمد العون •

المقصود بربط الولد اجتماعياً هو أن يسعى المربي جهده في ربط ولده منذ أن يتفهم حقائق الاشياء •• ببيئة اجتماعية نظيفة صالحة •• يكتسب منها التزكية لنفسه ، والطهر لقلبه، والتثبيت لإيمانه ، والعلم النافع لعقله ، والأخلاق الفاضلة لسلوكه، والقوة الصحية لجسمه، والتوعية الاسلامية لفكره، والجهاد الصادق لدعوته ، والإشراق الرباني لروحه ، والاندفاع الايماني لدينه ••

ولكن ما هي هـــذه **البيئة الاجتماعية الصالحة** التي تكسب الولد هذه الصفات الكريمة ، وتجعل منه هذا الانسان المثالي الواعي الصالح ••

أرى أنها متحققة في ارتباطات ثلاثة :

١ ــ ربط الولد بالمرشد •
٢ ــ ربط الولد بالصحبة الصالحة •
٣ ــ ربط الولد بالدعوة وبالداعية •



١ - رَبط الوَلد بالمرُشد

مما لا يختلف فيه اثنان أن الولد إذا ارتبط بعالم مرشد مخلص صالح ، فاهم للاسلام على حقيقته ، مندفع له مجاهد في سبيله ، مطبّق لحدوده وأحكامه . وقّاف عند أوامره وزواجره ، لا تأخذه في الحق لومة لائم .. لا يختلف اثنان في أن هذا الولد يكتمل إيمانياً وخلقياً ، وينضج عقلياً وعلمياً ، ويتكون جهاديا ودعويا ، ويتربى بشكل عام على العقيدة الراسخة ، والاسلام الكامل ..

ولكن لو أجلنا النظر يميناً وشمالاً ، وتتبعنا أحوال من يتصدون للإرشاد ، وتربية النفوس فماذا نجد ؟

نجد الأكثر — ويا للأسف — يعطون لتلامذتهم ومريديهم الصورة المقلوبة المشوّهة عن الاسلام ، أو يعطون جانباً معيناً من الاسلام ، ويهملون الجوانب الأخرى ..

فمن امثلة إعطاء الصورة المقلوبة عن الاسلام قولهم :

— « إن الاسلام ليس فيه نظام حكم .. » .

— « لا يجوز للمسلم السالك أن يتدخل في السياسة » .

— « إذا رأيت شيخك متلبساً بالمعصية فعليك — أيها المريد — أن تعتقدها طاعة » .

— « الشيخ منزّه عن الوقوع في المعصية لكونه متصفاً بالحفظ والعصمة » .

ـ « المريد لايتخلى عن الرذائل ولايتحلى بالفضائل ، ولايصل الى الله حتى يعترف لشيخه عن كل موبقة ارتكبها ، وعن كل ذنب اقترفه » .

ـ « المريد إذا لم يقر لشيخه بكل شيء حتى عن خاطرة السوء يكون مناقضاً للبيعة » .

الى غير ذلك من هذه الاقوال التي تناهض شريعة الله تعالى ، وتخالف نظام الاسلام .

ومن أمثلة من يأمر بجانب من الاسلام ويهمل الجوانب الاخرى :

● **منهم** من يركّز توجيهه وعنايته على إصلاح النفس وتزكيتها ، ويهمل واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ومناهضة الظلم والظالمين ..

● **ومنهم** من يهتم للمظهر الاسلامي ، والتكوين الروحي والعبادي .. ويهمل جانب العمل الحركي ، والتجمع الاسلامي .. لإقامة حكم الله في الأرض ..

● **ومنهم** من يوجه كل اهتمامه بتبليغ الدعوة الى الله تعالى ، ولايكترث من قريب أو بعيد بأي تحرك أو نشاط أو عمل يؤدي الى إقامة دولة الاسلام .. ومنهم .. ومنهم .. علماً بأن الاسلام كل لا يتجزأ ، وأن أحكامه التشريعية لا تقبل التجزئة والانفصال .. يقول الله سبحانه :

« أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزيٌ في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردّون إلى أشدّ العذاب » .

(البقرة : ٨٥)

فالمرشد الرباني ، والعالم الواعي الناضج هو الذي يعطي القدوة الكاملة عن الاسلام ، فلا يجوز له في دين الله أن يكتم علماً ، أو يسكت عن حق ، أو

يتغاضى عن منكر ، أو يتساهل في واجب ، أو يحرف الكلم عن بعض مواضعه، أو يخشى أحداً من الناس، أويحابي أحداً من ذوي الجاه والسلطان ، أو يجد في حق الله مقالاً ثم يسكت عنه ... وإذا فعل شيئاً من هذا .. فيكون كاتماً لما أنزل الله من البينات والهدى، بل كان من الذين لاينظر الله اليهم ولا يزكّيهم يوم القيامة .. بل كان ممن يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون . قال الله تعالى :

« إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيّناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون إلا الذين تابوا وأصلحوا وبيّنوا فأولئك أتوب عليهم وأنا التوّاب الرحيم » .

(البقرة : ١٥٩ ــ ١٦٠)

وقال أيضاً :

« إن الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب ويشترون به ثمناً قليلاً أولئك ما يأكلون في بطونهم إلا النار ولا يكلّمهم الله يوم القيامة ولا يزكّيهم ولهم عذاب أليم .. » . (البقرة : ١٧٤)

والرسول صلوات الله وسلامه عليه قد أنذر بجهنم وساءت مصيراً كل من يكتم علماً ينفع الله به في أمر الدين ، أو يسكت عن حق معلوم من الدين بالضرورة ..

فقد روى ابن ماجه عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من كتم علماً مما ينفع الله به في أمر الدين ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار » .

★ ★ ★

إن المرشدين المخلصين، والعلماء الربانيين.. الذين حملوا في الماضي إمامة الإصلاح والتربية والإرشاد ، وتزكية النفوس .. كانوا في الحقيقة على جانب

عظيم من الفهم الاسلامي الكامل ، وكانوا على درجة كبيرة من الورع والتقوى، والتزام المنهج الاسلامي المتمثل في كتاب الله عز وجل ، وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام ، بل كانوا يعطون الصورة الصادقة عن الاسلام في سلوكهم الاجتماعي، وفهمهم الاسلامي ، ومهمتهم الإرشادية ، وتوجيههم التربوي .. بل كانوا لا يسكتون عن منكر رأوا من الواجب تغييره ، ولا يتغاضون عن حقّ وجدوا من المصلحة أن يتكلموا فيه ، ولا يتقاعسون عن جهاد مقدس دعت الحاجة إليه ...

أما تمسكهم بالشريعة والتزامهم للقرآن والسنة فلنستمع الى ما يقوله كبار هؤلاء الأئمة المرشدين ، والعلماء الربانيين :

ـ يقول الامام العارف الشيخ عبد القادر الكيلاني في كتابه « الفتح الرباني » ص ٣٩ : « كل حقيقة لا تشهد لها الشريعة فهي زندقة ، طِرْ الى الحق عز وجل بجناحي الكتاب والسنة ، ادخل عليه ويدُكَ في يد الرسول صلى الله عليه وسلم » .

ويقول : « ترك العبادات زندقة ، وارتكاب المحظورات معصية ، لاتسقط الفرائض في حال من الأحوال » .

ـ ويقول الامام سهل التستري رحمه الله : « أصول طريقنا سبعة : التمسك بالكتاب ، والاقتداء بالسنة ، وأكل الحلال ، وكفّ الأذى ، وتجنّب المعاصي ، ولزوم التوبة ، وأداء الحقوق »[1] .

ـ ويقول الامام أبو الحسن الشاذلي رحمه الله تعالى : « إذا تعارض كشفك مع الكتاب والسنة ، فتمسك بالكتاب والسنة ، ودع الكشف ، وقل لنفسك : إن الله تعالى ضمن لي العصمة في الكتاب والسنة ، ولم يضمنها في جانب الكشف ، ولا الإلهام ، ولا المشاهدة إلا بعد عرضه على الكتاب والسنة »[2] .

---

(١) ، (٢) : التصوف الاسلامي والامام الشعراني لطه عبد الباقي سرور ص : (٧٠ ـ ٧٥) .

ـ ويقول الإمام أبو سعيد الخراز رحمه الله تعالى : « كل باطن خلافه الظاهر فهو باطل »[1] .

ـ ويقول شيخ الأئمة الربانيين محي الدين بن العربي رحمه الله تعالى : « لقد أجمع رجال التصوف جميعاً على أنه لا تحليل ولا تحريم بعد شريعة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وخاتم النبيين ، وإنما هو فهم[2] يُعطى في القرآن لرجال الله ، وفيض من العلم يهبه الله لمن أطاعه فألهمه ، وجعل له نوراً »[3] .

بل نجد من هؤلاء الأئمة الربانيين من ينبه الى خطر أولئك الأدعياء الباطنيين

الذين يسقطون عن أنفسهم وأتباعهم التكاليف ، ويعطّلون أحكام الشريعة ، ويؤوّلون النصوص على خلاف ما تحتمل ، ويسيرون في سلوكهم وتوجيههم على غير سنن الاسلام .. بل نجدهم يحذرون من مصاحبتهم ومجالستهم ، ويتبرّؤون من ضلالاتهم وانحرافاتهم ، ويشهرون بآرائهم وأباطيلهم :

ـ يقول أبو يزيد البسطامي رحمه الله لبعض أصحابه : « قم بنا حتى ننظر الى هذا الرجل الذي قد شهر نفسه بالولاية ، وكان رجلاً مقصوداً مشهوراً بالزهد ، فمضينا اليه ، فلما خرج من بيته ودخل المسجد رمى ببزاقه تجاه القبلة ، فانصرف أبو يزيد ولم يسلّم عليه ، وقال : هذا رجل غير مأمون على أدب من آداب رسول الله صلى الله عليه وسلم فكيف يكون مأموناً على ما يدّعيه » .

ويقول أبو يزيد أيضاً : « لو نظرتم الى رجل أُعطي من الكرامات حتى

---

(١) التصوف الاسلامي والامام الشعراني لطه عبدالباقي سرور ص : (٧٠ـ٧٥) .

(٢) سئل الامام علي رضي الله عنه : « هل خصكم رسول الله صلم الله عليه وسلم بشيء دون الناس ؟ فقال : لا ، والذي فلق الحبة وبرأ النسمة إلا فهماً يؤتيه الله عبداً في كتابه » رواه البخاري وأبو داود والنسائي .

(٣) التصوف الاسلامي والامام الشعراني لطه عبدالباقي سرور ص : (٧٠ـ٧٥) .

تربّع في الهواء فلا تغترّوا به حتى تنظروا كيف تجدونه عنـد الأمر والنهي ، وحفظ الحدود ، وأداء الشريعة »[1] .

ـ ويقول سهل بن عبد الله التستري : « احذر صحبة ثلاثة أصناف من أصناف الناس : الجبابرة الغافلين، والقراء المداهنين، والمتصوّفة الجاهلين»[2].

ـ ويقول الإمام الرباني الجنيد رحمه الله : « مذهبنا هذا مقيد بأصول الكتاب والسنة . الطرق كلها مسدودة على الخلق إلا على من اقتفى أثر الرسول صلى الله عليه وسلم .. »[3] .

ـ ويقول الامام الشعراني في كتابه « اليواقيت والجواهر » « كل مـن رمى ميزان الشريعة من يده لحظة هلك » .

اما صرختهم لاعلاء كلمة الحق، ووقوفهم امام الباطل والمنكر، وجهادهم المقدس في سبيـل الله فلنستمع الى ما يقوله كبار الكتّاب المحققين عن أئمة هؤلاء المرشدين الربانيين في مواقفهم البطولية وأعمالهم الجهادية ، وتأثيراتهم الدعوية، وإرشاداتهم الإصلاحية والتربوية :

● **يقول الشيخ الجليل أبو زهرة رحمه الله :** « ... وكـذلك التصوف كما قال « الأستاذ فوده » في عصورنا المتأخرة كان له مزايا ، وكانت له آثار واضحة ، فالمسلمون في غرب افريقيا ، وفي وسطها ، وفي جنوبها ، كان إيمانهم ثمرة من ثمرات التصوف .

(1) شرح الطريقة المحمدية للشيخ عبد الغني النابلسي ج ١ ، ص ١٧٥ .

(2) شرح الحكم لابن عجيبة ج ١ ، ص : ٧٦ .

(3) الرسالة القشيرية ص : ١٩ .

والإمام السنوسي الكبير عندما أراد أن يصلح بين المسلمين اتجه أوّل ماتجه الى أن نهج منهاجاً صوفياً[1] ، وكان منهاجه في ذاته عجيباً غريباً ، فإنه اتخذ المريدين ، ثم أراد أن يجعل من هؤلاء رجال أعمال ، ولذلك أنشأ الزوايا ، وأول زاوية أنشأها في جبل حول مكة ثم انتقل بزواياه في الصحراء ، وهذه الزوايا كانت واحات عامرة في وسط الصحراء ، وبعمل رجالهم وقواتهم .. استنبط الماء وجعل فيها زرعاً وغراساً وثماراً ..

ووجههم وعلمهم الحرب والرماية حتى أقضوا مضاجع الايطاليين أكثر من عشرين سنة عندما عجزت الدولة العثمانية عن أن تعين أهل ليبيا .

واستمرت المقاومة السنوسية بهذه الزوايا الى أن أدال الله الدولة الإيطالية وإذا السنوسية تحيا من جديد ، وكنا نودّ أن تحيا كما ابتدأت طريقة صوفية عاملة قوية ... »[2] .

---

(١) التصوف في معناه تحقيق لركن الاحسان في الشريعة الاسلامية ، وذلك في حديث جبريل حين سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الاحسان ؟ فأجاب : « الاحسان أن تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك » ومن المعلوم ان التربية الصوفية الواعية تؤدي الى مفهوم الاحسان .. وعلى قول الأكثر ان كلمة التصوف مشتقة من الصفاء لأن الصوفي أكثر صفاء ونقاء من غيره . ومنه قول الشاعر :

تخالف الناس في الصوفي واختلفوا
وكلهم قال قولا غير معروف
ولست امنح هذا الاسم غير فتى
صافى فصوفي حتى سمي الصوفي

وقوله ايضا :

ليس التصوف لبس الصوف ترقعه
ولا بكاؤك ان غنى المغنونا
بل التصوف ان تصفو بلا كدر
وتتبع الحق والاسلام والدينا

(٢) مجلة لواء الاسلام : العدد الثاني عشر ، شعبان ١٣٢٩ هـ الموافق ١٩٦٠ م .

● **ويقول الاستاذ صبري عابدين في ندوة لواء الاسلام** :
((••• والواقع أن الصوفية **ينشرون الاسلام في العالم** ، وأذكر لكم أنه منذ خمسين عاماً كتب الشيخ البكري كتاباً ذكر فيه نقلاً عن المبشرين يقول :
« إن هؤلاء يقولون : ماذهبنا الى أقاصي المناطق البعيدة عن الحضارة والمدنية في افريقيا ، وأقاصي آسيا إلا وجدنا الصوفي يسبقنا اليها ، وينتصر علينا » •

ليت المسلمين يفهمون مافي الصوفية من قوة روحية مادية ، فجنودهم مجندون للاسلام •

رأيت على حدود الحبشة ، والسودان ، وأرتيريا ، بعثة سويدية للتبشير ، ووجدت الى جانبهم أكواخاً أقامها الصوفيون ، وأفسدوا على المبشرين السويديين إقامتهم أربعين سنة ، ولذلك أرجو أن تتعاون لإخماد هذه الحركات التي تؤذينا دينياً وسياسياً •• وإنالذين يحملون علىالصوفية ليسوا فوق مستوى الشبهات ، بل غارقون في الشبهات •••)) •

● ويقول الداعية الكبير **ابو الحسن الندوي في كتابه** « رجال الفكر والدعوة في الاسلام » عن العالم الرباني الشيخ عبد القادر الجيلاني:
((كان يحضر مجلسه نحو من سبعين ألفاً ، وأسلم على يديه أكثر من خمسة آلاف من اليهود والنصارى ، وتاب على يديه من « الاشقياء » أكثر من مائة ألف ، وفتح باب البيعة والتوبة على مصراعيه ، فدخل فيه خلق لايحصيهم إلا الله ، وصلحت أحوالهم ، وحسن اسلامهم ، وظل الشيخ يربيهم ويشرف عليهم وعلى تقدمهم . وأصبح هؤلاء التلاميذ الروحانيون ، يشعرون بالمسؤولية بعد البيعة والتوبة وتجديد الإيمان ، ثم يجيز الشيخ كثيراً منهم ممّن يرى فيه النبوغ والاستقامة والمقدرة على التربية •••
فينتشرون في الآفاق يدعون الخلق الى الله ، ويربون النفوس ويحاربون الشرك ، والبدع ، والجاهلية والنفاق ،

فتنتشر الدعوة الدينية ، وتقوم ثكنات الايمان ، ومدارس الاحسان ، ومرابط الجهاد ، ومجامع الأخوة في أنحاء العالم الاسلامي ..

وقد كان لخلفائه وتلاميذه ، ولمن سار سيرتهم في الدعوة وتهذيب النفوس من أعلام الدعوة وأئمة التربية في القرون التي تلته فضل كبير **في المحافظة على روح الاسلام ، وشعلة الايمان ، وحماسة الدعوة والجهاد ، وقوة التمرد على الشهوات والسلطات ..** ولولاهم لابتلعت المادية التي كانت تسير في رحاب الحكومات والمدنيات هذه الأمة وانطفأت شرارة الحياة والحب في صدور أفرادها ، وقد كان لهؤلاء فضل كبير لنشر الاسلام في الأمصار البعيدة التي لم تغزها جيوش المسلمين أو لم تستطع إخضاعها للحكم الاسلامي ، **وانتشر الاسلام في افريقيا السوداء ، وفي اندونيسيا ، وجزر المحيط الهندي ، وفي الصين ، وفي الهند ..**) .

● ويقول أستاذنا الكريم **الشيخ محمد راغب الطباخ رحمه الله** في كتابه « الثقافة **الاسلامية** » : (ومن جليل أعمال الصوفية ، وآثارهم الحسنة في الأمة الاسلامية **أن الملوك والامراء** متى قصدوا الجهاد ، كان الكثير من هؤلاء بإيعاز ، وبغير إيعاز يحرضون أتباعهم على الخروج الى الجهاد ، ولعظيم اعتقادهم فيهم ، وانقيادهم لهم ، كانوا ينتدرون الى الانتظام في سلك المجاهدين فيجتمع بذلك عدد عظيم من أطراف ممالكهم ، وكثيراً ما كان أولئك يرافقون الجيوش بأنفسهم ويدافعون ويحرّضون فيكون ذلك سبباً للظفر والنصر ..) .

● ويقول الكاتب الاسلامي الكبير الأمير شكيب أرسلان في كتابه « حاضر العالم الاسلامي » تحت عنوان « نهضة الاسلام في أفريقيا وأسبابها » : (وفي القرن الثامن عشر ، والتاسع عشر حصلت نهضة جديدة

عند أتبـاع الطريقتين : **القادرية والشاذلية** ، ووجدت طريقتـان همـا : **التيجانية والسنوسية** .

فالقادرية هم أحمس مبشري الدين الاسلامي في غربي أفريقيا من « السنيغال » الى « بنـين » ، التي بقرب مصب « النيجر » ، وهم ينشرون الاسلام بطريقة سلمية بالتجارة والتعليم ... فيلقّنون صغار الزنج الديـن الاسلامي أثناء التعليم ، ويرسلون النجباء من تلاميذهم على نفقة الزوايا الى مدارس طرابلس ، والقيروان ، وجامع القرويين بفاس ، والجامع الأزهر بمصر .. فيتخرجون من هناك طلبة مجازين ، ويعودون الى تلك البلاد لأجل مقاومة التبشير المسيحي في السودان .

وتحدث عن شيخ الطريقة القادرية فقال : « وكان الشيخ عبـد القادر الجيلاني الموجود في جيلان من فارس ، متصوفاً عظيماً زكي النشأة .. ولـه أتباع لايحصى عددهم ، ووصلت طريقته الى اسبانيا ، فلما زالت دولة العرب من غرناطة انتقل مركز الطريقة الى فاس ، وبواسطة أنوار هذه الطريقة زالت البدع من بين البربر ، **وتمسكوا بالسنة والجماعة** ، كما أن هذه الطريقة هي التي ــ في القرن الخامس عشر ــ اهتدى على يدها زنوج غربي افريقيا » .

وحديثه عن **السنوسية** هو نفس الحديث الذي حدث به الشيخ محمد أبو زهرة في محاربتها للنفوذ الأجنبي الإيطالي الى أن حقق الله على يديها النصر .. فآثرت عدم ذكره حتى لايكون الكلام مكروراً ..



وتحدث عن **الطريقة الشاذلية** فقال : « وأما الشاذلية فنسبتها الى أبي الحسن الشاذلي ، أخذ عن عبد السلام بن مَشيّش الذي أخذ عن أبي

مديــن •• وهي من أوليات الطرق التي أدخلت التصوف في المغرب ، ومركزها في مراكش ، وكان من أشياخها سيدي العربي الدرقاوي (المتوفى سنة ١٨٢٣م) الذي أوجد عند مريديه حماسة دينية امتــدت الى المغــرب الاوسط ، وكان للدرقاوية دور فعال في مقاومة الفتح الفرنسي »)••

★ ★ ★

والذي نخلص اليه بعد ما تقدم أن هؤلاء الذين سبق ذكرهم من العلماء الربانيين ، والمتصوّفة الواعين ، وأصحاب الطرق المخلصين •• هم الذيــن حملوا خلال العصور إمامة الدعوة الى الله عز وجل ، ورسالة الاسلام الحقة الى الناس ، وهم الذين جمعوا ما بين العبادة والجهاد ، ووفّقوا بين حقوق الله ، وحقوق العباد •• وهم الذين أعلنوا صــوت الحق أمــام المستبدين الظالمين ، ووقفوا ببسالة فائقة أمام المستعمرين الغاشمين ••

هؤلاء هم الذين ربطوا الحق بشريعة الاسلام الحق لا بأشخاصهم الفانية ، ينتظرون ما يحكم الشرع لهم أو عليهم ، يقبلون الانتقاد إذا أخطأوا ، والمناصحة اذا زلّوا ، اعتقاداً بأنهم بَشَر يصيبون ويخطئون ،•• لأن العصمة لاتكون إلا للانبياء ، ورحم الله الإمام مالك حين وقف مرة أمام قبر الرسول صلى الله عليه وسلم وقال : « ما منا إلا مَن رَدّ ورُدّ عليه إلا صاحب هذا القبر » وأشار الى قبر النبي صلى الله عليه وسلم •

ومن المواقف الخالدة التي كان يقفها العلماء المخلصون من الشرع والحق موقف عالم العصر ومرشده الشيخ ((سعيد النورسي)) التركي ، الملقــب بـ « بديع الزمان » رحمه الله وأجزل مثوبته ، هذا الموقف يتلخّص أنه حين أحس مرة أن من بين طلابه ومريديه من يذهب في تقديسه وتعظيمه حداً عظيماً ، ويربط معالم الحق بشخصه الفاني ، قال لهم موصياً وموجهاً وناصحاً : « إياكم أن تربطوا الحق الذي أدعوكم اليه بشخصي الفاني ، ولكن عليكم أن تبادروا

نتربطوه بينبوعه الأقدس : كتاب الله ، وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، ولتعلموا أنني لست أكثر من دلال على بضاعة الرحمن جل جلاله ، ولتعلموا أنني غير معصوم ، قد يفرط مني ذنب أو يبدو مني انحراف ، فيتشوّه مظهر الحق الذي ربطتموه بي بذلك الذنب أو الانحراف ، وارتكاب الآثام ، أو صارفاً لهم عن الحق بما شوّهه واختلط به من انحرافي وآثامي » •

ومن المواقف الخالدة لعلماء السلف الربانيين أيضاً موقف عبد الله بن المبارك من الفضيل بن عياض ــ رحمهما الله ــ حين بلغه أن الفضيل قد لزم العبادة بحرم مكة ، وآثر السلامة على الجهاد في سبيل الله ؟ كتب له قصيدة مشهورة نجتزىء منها هذه الابيات :

يا عابد الحرمين لو أبصرتنا
لوجدتَ أنك بالعبادة تلعب
من كان يتعب خيله في باطل
فخيولنا يوم الكريهة تتعب
أو كان يخضب خده بدموعه
فنحورُنا بدمائنا تتخضّب
ريح العبير لكم ونحن عبيرُنا
رَهَجُ السنابك والغبار الأطيب

فلما بلغ الفضيل هذه الابيات بكى وقال : صدق أخي ونصحني •

وحين كتب له هذا كان ابن المبارك ملازماً للجهاد والرباط بأرض الشام رحمه الله ورضي عنه •

فما أعظم العالم المرشد حين يقيس نفسه بالحق ، ولا يقيس الحقّ بنفسه • وما أعظم قدوته عند الناس حين يعطيهم الاسلام منهاجاً شاملا عاماً

سواء ما يتعلق في العقيدة والتشريع ، أو مايتصل بالدين والدولة، أو ما يرتبط بالتزكية والجهاد ، أو ما يختص بالعبادة والسياسة ، أو ما يتعلق بقولة الحق وواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ..

★ ★ ★

فما عليك ــ أخي المربي ــ إلا أن تبحث عن عالم مرشد رباني تجتمع فيه هذه الصفات وتكتمل في شخصيته هذه المفاهيم .. حتى إذا ارتبط به ولدك أعطاه التلقين الاسلامي الصحيح المتكامل ، ووجه قلبه وفكره وروحه الى منهج الاسلام الشامل ، وربطه بالحق والشرع وتوجيهات السلف .. لابوجوده الفاني وشخصه غير المعصوم ..

وحذار ــ أخي المربي ــ أن تربط ولدك بأدعياء الارشاد ، وجهلاء التصوّف ، وشراذم النفاق .. وماأكثرهم في هذه الأيام !!..

ــ فالمرشد الذي يدّعي لنفسه الحفظ والعصمة فهو جاهل دعيّ .

ــ والمرشد الذي يطلب من مريده أن يعترف له عن ذنوب فعلها فهو جاهل دعيّ .

ــ والمرشد الذي يمنّي المريد بإرشاده ، ويصرفه عن تأثير القرآن الكريم وهدايته ، وهداية السنة المطهرة فهو جاهل دعي .

والمرشد الذي يقنع المريد بأن يسكت عن معصيته اذا عصى لتصوّره المعصية طاعة فهو جاهل دعيّ .

ــ والمرشد الذي يكتم علماً ينفع الله به في أمر الدين ، أو يسكت عن توضيح حق معلوم من الدين بالضرورة فهو جاهل دعيّ ..

ـ والمرشد الذي يَقْصِرُ الاسلام على تزكية النفس الانسانية وإصلاحها ، ويعطل مبادىء الاسلام الأخرى من أنظمة حكم ، ومناهج حياة •• فهو جاهل دعيّ •

ـ والمرشد الذي ينافق للحكام ، ويسبح بحمدهم ، ويتصدّر على موائدهم فهو جاهل دعيّ •

ولاشك ـ أخي المربي ـ أن الولد حين يرتبط بالقدوة الواعية بالشكل الذي بيناه ، ويلتقي بالمرشد العالم الرباني بالحال الذي وصفناه •• فيتربّى الولد ـ ولاشك ـ على التقوى وطاعة الله عز وجل ، وينشأ على الإخبات لله سبحانه والجرأة في الحق ، ويدرج على التعبد في المحراب ومقارعة الأعداء في ميادين الجهاد والوغى ، وعندئذ يندفع إلى اقامة حكم الله في الأرض بحرارة الايمان ، ونخوة الاسلام ، واندفاع الشباب ، وحصيلةالوعي ، ونتيجة الفهم، واستشعار المسؤولية •• ، وينطبق عليه قول القائل :

على قدر أهل العزم تأتي العزائم
وتأتي على قـدر الكرام المكارم
وتعظم في عـين الصغير صغارها
وتصغر في عـين العظيم العظائم

فبهذا التكوين الذي اكتمل ، وبهذه التربية التي تلقنها •• يصبح الولد على يد هذا المرشد الرباني لبنة صالحة في الكيان الاسلامي العام ، فعندئذ يتحقق على يديه عز الاسلام ، ونصر المسلمين ، وإقامة دولة القرآن العتيدة ، وما ذلك على الله بعزيز •

٢ ـ رَبْطُ الوَلد بالصُّحْبَةِ الصَّالِحَة

ومن العوامل الهامة في تكوين الولد إيمانياً ونفسياً ، وإعداده خلقياً واجتماعياً .. ربط الولد منذ نعومة أظفاره بالصحبة المؤمنة الصالحة .. ليكتسب منها ما ينمّي شخصيته من روحانية مشرقة ، وعلم نافع ، وأدب سام ، وأخلاق قويمة ..

وعلى المربي أن يلحظ في الولد ظاهرة التكامل بين الربط بالمرشد الرباني ، والربط بالصحبة الصالحة .. لأن التناقض مابين التوجيهين والانفصام مابين الربطين يؤدي في أغلب الأحيان الى خطرين بالغين :

الاول : الازدواجية في التوجيه .

الثاني : الانحراف في السلوك .

وأعني **بالازدواجية في التوجيه** أن الولد الذي يتربى على يد مرشد رباني واعٍ ، ثم يصاحب أناساً ليسوا على درجة من الوعي الاسلامي والفهم الحركي الكامل .. فالولد قد يتأثر بهم ، ويأخذ عنهم ، وينجذب إليهم ، ويتقبّل أفكارهم .. لكونه لم يصل بعد الى مرتبة النضج العقلي والثقافي الذي يجعله أن يميّز بسببه بينما هو صحيح ، وبين ما هو خاطىء .. وبهذه الحالة يكون الولد قد تأثر بفكرين ، وأخذ عن شخصيتين : شخصية واعية فاهمة ، وشخصية قاصرة جاهلة ، فعندئذ يقع في حيرة متزايدة ، وصراع فكري ونفسي أليم .. لايدري أين يتجه ؟ ولا يعلم أين يسير ؟.

وأعني بالانحراف في السلوك أن الولد حين يرى المرشد الرباني أو

الفئة الاسلامية الواعية •• يعطونه إسلاماً وتوعيــة يختلف كل الاختلاف عن إسلام وتوعية الصحبة التي خالطها ، وأخذ عنها •• لاشك أن الولد يتأثر بهذا التناقض ، ويعيش في دوامة من التساؤلات ، والبلبلة ، والأفكار •• قــد تؤدي به في بعض الاحيان الى الانحراف في السلوك والعقيدة نتيجة ردود الفعل لهذه المتناقضات ••• إذن فالتكامل بين الربط بالمرشد ، والربــــط بالصحبة الصالحة هو من أكبر العوامل في تكوين شخصية الولد ، وإعــداده النفسي والخلقي • حتى لايعيش الولد في عالم من المتناقضات ، وانفصام الشخصية ، والتحير ، والصراع النفسي •••

وبناء على هذا وجب على المربي أن يبحث عن نوعيات من الأصدقاء لولده هم من جنس الاشخاص الذين يتربّون على يد المرشد الرباني الواعي الفاهم ••• الذي سبق ذكر مواصفاته ، وعرفنا طرفاً عن مفاهيمه وأفكاره ••

وبهذا يكون الربط أحكم ، والتأثير أقوى ، والتكامل في بناء شخصية الولد أعظم ••



ومن الأمور التي ينبغي على المربي أن يلحظها ، ويهتم بها ، ويسعـــى جهده في تحقيقها •• ربط الولد بأربعة أصناف من الأصحاب :

الأول : صحبة البيت •

الثاني : صحبة الحي •

الثالث : صحبة المسجد •

الرابع : صحبة المدرسة أو المعمل ••

● وأعني **بصحبة البيت** صحبة الاخوة والقرابة •• فهؤلاء هم أول ما يلتقي بهم الولد ، ويجتمع معهم ، ويتعرف عليهم •• **وهؤلاء أيضاً هم أول ما يكتسب منهم** ، ويأخذ عنهم ، ويرتبط بهم •• لهذا وجب على المربي أن يكون عنده من قوة المراقبة ، واستمرار الملاحظة •• مايستطيع أن يكشف به عن قرب أو بعد •• عن أحوال هؤلاء الذين يصحبهم ويلتقي معهم ولو كانوا إخوته أو من ذوي قرباه !!••

ومن المعلوم أن الأخ الأكبر للولد هو القدوة في الخير أو الشر بالنسبة للأولاد جميعاً •• فإذا ترك الاب أو الأم حبل الولد على غاربه أو حبل البنت على غاربها في الصحبة والمخالطة فلا شك أن هذا الأخ السيء في خلقه ، أو هذه الأخت السيئة في خلقها •• سيكون لهما من التأثير اللا أخلاقي على باقي الإخوة والأخوات •• فعندئذ يصعب على المربي أو الاب معالجة انحرافهم ، وتقويم اعوجاجهم ، وردهم الى جادة الحق ، وسبيل الهدى والرشاد ••••

والحل العملي في تدارك هذا كله هو بذل أقصى الجهد للحيلولة دون الاختلاط الدائم ، والصحبة المستمرة مع كل أخ سيىء ، أو قريب فاسد •• حتى لايتأثر الصغار بهم ، ويكتسبوا شيئاً من صفاتهم المرذولة ، وأخلاقهم الدنيئة ••

وعلى المربي أيضا أن يبحث في الاسرة أو من ذوي القرابات •• عن أولاد يتّسمون بالطهر والفضيلة والاخلاق والوعي الاسلامي •• ويمهد لتوثيق العلاقة الاجتماعية بين الناشئين من أولاده وبينهم عسى أن تتوثق الرابطة وتقوى ، وعسى أن يكتسبوا منهم الفضائل النفسية والخلقية ، وصفات الخير ، ومكارم الأخلاق ••

وفي حال عدم وجود القريب الصالح ، والولد المؤمن الخلوق ••

وجب على المربي أن يأخذ الأمور بالحزم والعزم في كف الاولاد الناشئين عن مصاحبتهم ، والخلطة معهم ، والارتباط بهم ، بل يتأكد على المربي أن يكون أكثر اهتماما وملاحظة ومراقبة ومناصحة .. لهـؤلاء الناشئين ، كما عليه ألا يألو جهداً في توعيتهم ، وتحذيرهم من رفاق السوء ، ثم بالتالي توجيههم في كل فرصة سانحة بالتوجيه المناسب الذي يتفق مع تثبيت إيمانهم ، وتوثيق أخلاقهم ، والحفاظ على فطرهم السليمة ، وقلوبهم الصافية البريئة ...

وإذا كان لابد للولد من أصحاب يلتقي معهم ، ويجد في خلطتهم الأنس لقلبه ، والترويح عن نفسه ، فعلى المربي أن يبحث له عن رفقة صالحة من غير ذوي القرابات .. ليرتبط بهم ، ويجد في صحبتهم السلوى والعزاء ، واكتساب صفات الخير ، ومكارم الأخلاق .. وبهذا يكون المربي قد نقل الولد الى البيئة الصالحة ، والمحيط الملائم ...



● واعني **بصحبة الحي** صحبة الولد لأولاد حيّه وجيرانه في المسكن الذي يقطن فيه ، وفي الحي الذي يقيم في كنفه ، ويترعرع في أحضانه ..

ومن الأمور المسلم بها أن أي حي من الاحياء القريبة أو البعيدة ، البدائية أو المتمدينة ، الجاهلة أو المثقفة .. يعج بأولاد لاحياء لهم ولاتربية ولا أخلاق .. من الوقاحة التي يبدونها ، ومن الكلمات البذيئة القذرة التي يطلقونها ، ومن سوء الأدب الذي يظهرونه أمام الغادي والرائح ، والبَرّ والفاجر ، والصغير والكبير ، والمرأة والرجل ..

وهذه ظاهرة خطيرة يجب أن يعالجها المربون والمسؤولون ، ويتعاون

على استئصال شأفتها الناس أجمعون •• ولقد تكلمنا عنها بما فيه الكفاية في مبحث « مسؤولية التربية الخلقية » فارجع اليه تجد فيه ما يشفي الغليل •

ولكن الذي يعنينا في التنويه عن هذه الظاهرة هو لفت نظر المربي للحالة المتردية التي وصل اليها أكثر أبنائنا من تميع في الخلق ، وفساد في التربية . وانحراف في العقيدة •• حتى يضاعف المربي جهوده ، ويواصل نشاطه في إصلاح الولد عقيديا ، وتكوينه أخلاقيا •• وحتى يختار أنجع السبل . وأجدى الوسائل في إنقاذ الولد من هذا الأتون الفاسد ، والمحيط السيىء الذي يعيشه أكثر أبنائنا •••

ومن أهم الوسائل المجدية ــ في نظر كثير من علماء التربية والاجتماع ــ هو ربط الولد بالصحبة الصالحة ، ومن أميز هذه الصحبة وأنجعها ربط الولد برفيق صالح من أبناء حيّه أو جيرانه ، يلتقي معه على الدوام في المسجد ، وفي أوقات الفراغ ، أو على منضدة الاجتهاد ، أوفي مزاولة الرياضة ، أو الخروج الى المتنزّهات البريئة ••

ولاشك أن الربط بهذه الرفقة الصالحة من أبناء الحي تحفظ الولد من أن يندمج مع غوغائية الحي وأبنائه الشاذين ، وأولاده المنحرفين ، بل تعصم له عقيدته من الزيغ ، وأخلاقه من التميع والانحلال ••

فاحرص ــ أخي المربي ــ على أن تربط ولدك برفقة صالحة من أبناء الحي مع الملاحظة التامة ، والمراقبة الدائمة ، والتوجيه المستمر •• ليكون ولدك من عداد المؤمنين الصالحين الأبرار ••



● واعني **بصحبة المسجد** صحبة الولد لأولاد من سنه اعتادوا صلاة الجماعة والجمعة وحضور الدروس ... في المسجد الكائن في حيهم .

وفي تقديري أن الولد الذي يعتاد المساجد من ذاته ، أو من توجيه أبويه ومربيه .. هو ولد تأصلت في نفسه روح الإيمان والطاعة لله تعالى ، والانقياد للاسلام في كل أوامره ونواهيه .. وهو الذي يرجى منه الخير ، ويؤمل من وجوده كل نفع وصلاح ..

وإذا تسنى لهذا الولد الذي يعتاد المساجد من يوجهه ويعلمه ، ويقوم على تربيته على الأسس الاسلامية المتينة ، والمبادىء الخلقية القويمة والتوعية الفكرية الشاملة .. فيكون — ولاشك — ممن يعقد عليهم الآمال في بناء صرح الاسلام ، وإقامة دولته العتيدة !!..

والذي أريدأن أنبه اليه أن صحبة الحي ، وصحبة المسجد ، هما أمران متلازمان ، لايمكن أن ينفك أحدهما عن الآخر ، فما جدوى من مصاحبة رفيق الحي إذا لم يصلّ ولم يعتد المساجد ؟ وما الثمرة التي يجنيها من يؤم المساجد من صديق حيّ يخالطه إذا كان لايولي وجهه شطر البيوت التي أذن الله أن يذكر فيها اسمه ؟

وإذا كان حريصاً على أن ينتقي لولده أفضل الأصحاب ، وأخْيَر الأصدقاء .. ليربط ولده بهم ، ويوثّق علاقته معهم .. فليكن هذا الانتقاء ممن يعتادون مسجد الحيّ .. لأنهم على الفطرة الخالصة ، والإيمان الصافي ، والخلق الطاهر النبيل !!..

وهنا يأتي دور المربي في ملاحقة الولد ومن صادقهم من الأصحاب .. في مواظبتهم على صلاة الجماعة ، وحضور الدروس التوجيهية والتعليمية التي

تقام في المسجد ، وارتياد حلقات القرآن الكريم ، وتحسين التلاوة ، التي يقوم بها العلماء والمعلمون في بيوت الله عز وجل ..

وعلى المربي ألا يغفل جانب التشجيع والترغيب في اعتياد الأولاد مساجد الله تعالى ، حتى يندفعوا بكليتهم الى الصلوات في أوقاتها ، ويتسابقوا الى صلاة الجماعة في حينها ، ويحرصوا على التزام حلقات القرآن الكريم ، والعلوم الشرعية في المواعيد المحددة لها ..

فاحرص – أخي المربي – على أن تربط ولدك برفقة مساجدية صالحة على الوجه الذي بيناه مع الملاحظة التامة ، والتشجيع المستمر ، ليكون ولدك – إن شاء الله – من عداد المسلمين الأطهار ، ومن زمرة الصالحين الأخيار !!..

★ ★ ★

● وأعني **بصحبة المدرسة أو المعمل** صحبة الولد لأولاد في صفه ومن سنه في المدرسة التي يدرج فيها ، ويتعلم منها ، وينتمي إليها .. أو في المعمل الذي يعمل فيه ، ويتكسب منه ، وينتمي إليه .

وأريد في سياق الحديث عن الصحبة المدرسية أن ألفت نظر المربين الى حقيقة هامة يجدر الحديث عنها ، والكلام فيها .

هذه الحقيقة تتلخص أن المدرسة اليوم في البلاد التي تسودها الافكار الضالة ، والنزعات الملحدة ، والمبادىء المستوردة .. أصبحت – وياللاسف – مرتعاً خصباً لهذه الافكار ، والنزعات والمبادىء .. على يد مَن ؟.

على يد معلمين باعوا ضمائرهم للشيطان ، ونفوسهم للاجنبي ..

على يد أحزاب عقائدية ضالة ليس لها من مهمة أو هدف إلا التشكيك بالدين ، ومحاربة الاسلام ••

على يد منظمات طلابية عقائدية تستمد أوامرها من الأحزاب التي ينتسون اليها ، لتؤدي رسالة التضليل ، والتسيب ، والتشكيك •• في صفوف الطلاب والطالبات ••

على يد اتحادات نسائية ليس لها من رسالة وهدف سوى الوقوف أمام الحجاب الاسلامي الذي هو شعار الطهر والعفة ، وأمام النظام الاسلامي الذي أنصف المرأة ، وأمام مبادىء الاسلام الحقوقية التي أعطت كل ذي حق حقه •• وكم طرحت من شعارات باسم تحرير المرأة حينا ، وباسم مساواتها مع الرجل أحيانا ؟••

هذا عدا ما في جو المدرسة من نزعات متباينة . واتجاهات مختلفة ، وتحلل وضيع •• وقلّما نجد من يدعو في البيئة المدرسية الى دين رشيد ، وإسلام حق ، وأخلاق فاضلة ، ومبادىء تربوية صالحة ••

فبعد تبيان هذه الحقيقة الهامة ، فما عليك — أخي المربي — إلا أن تبذل جهدك ، وتضاعف سعيك لإنقاذ ولدك من هذا الجو المكفهر المظلم ، ومن هذه البيئة الفاسدة الضالة •• ولا يتحقق هذا الانقاذ إلا بصحبة طلابيّة صالحة واعية •• يرتبط بها ولدك في هذه المراحل التي يمر عليها في التلقين العلمي ، والتكوين الثقافي سواء أكانت المرحلة التي يتلقى منها الدراسة ابتدائية أو إعدادية أو ثانوية أو جامعية ؟•• ومن الأفضل أن يكون الانتقاء لهذه الصحبة الطلابية ممن يصحبهم في الحي أو في المسجد إذا وجدوا ، لتكون متانة الصحبة الصالحة أقوى ، ونتائجها في تحقيق الخير للولد أكثر •• وإن لم يوجد فيكون الانتقاء على أساس من الفهم ، وسلامة العقيدة والخلق ، والمباشرة العملية لأركان العبادات ولاسيما عبادة الصلاة .

ورحم الله من قال :

تمسّك إن ظفرتَ بذيل حُرّ ... فإن الحرّ في الدنيا قليل

وأريد في الكلام عن المدرسة أن ألفت نظرك ــ أخي المربي ــ الى حقيقة أخرى ينبغي أن تهتم لها ، وتوجه أنظارك اليهـا ألا وهي وضع البنت في المدرسة ، وأحوال تأثيراتها العاطفية والنفسية ..

إعلم ــ أخي المربي ــ أن الأنثى بما جبلت عليه من عاطفة فياضة ، وبما تتأثر به من أمنيات ومغريات ، وبما تنساق اليه من فتنة المدنيّة الحديثة ، وزينة الحياة الدنيا ومظاهرها الخادعة سرعان ما تتنكب عن الحق ، وتتكيف مع البيئة ، وتميل مع الهوى ، وتجاري التيار .. بدون رادع من دين ، أو زاجر من ضمير ، أو احتكام لعقل ، أو نظرة للعواقب ..

لأجل هذا وجب عليك أن تكون أكثر اهتماماً بالبنت من أولادك الذكور ، مخافة أن تتزعزع في إيمانها ، أو تتحلل في أخلاقها ، أو أن تنزلق في متاهات الرذيلة والفحشاء .. أو أن تنتمي الى منظمات حزبية لادينية .. فتنتزع منها أعزّ ما تملك ألا وهو الاسلام والشرف .. والإسلام يحتم عليك ــ أخي المربي ــ أن تهيىء لابنتك المناخ الصالح ، والبيئة الراشدة في البيت، وفي المدرسة .. لتحصنها من الزلل ، وتعصمها من الانحراف ..

ومن وسائل تهيئة البيئة الصالحة أن تربطها بداعيات مرشدات يكن على اتصال دائم بها ، والاجتماع معها .. ومن الوسائل أيضاً تهيئة الصديقات الصالحات لترتبط البنت بهن ، وتكتسب منهن .. سواء أكُنّ هؤلاء الصديقات على صعيد القرابة في البيت ، أم كُنّ على صعيد الصداقة في المدرسة .. هذا عدا عن مراقبتها وملاحظتها وتوجيهها بشكل دائم ومستمر ، لتبقى على العهد ، وتستمر على الايمان والاستقامة والخلق ، والتمسك

بمبادىء الاسلام ، وتعاليمه الخالدة •• وإذا آنست — أيها الأب — من نفسك على أنك غير قادر على تهيئة وسائل الحصانة والعصمة لابنتك •• واعداد البيئة الصالحة لفلذة كبدك •• فيحرم عليك شرعا أن تزج هـذه الانسانة في هذه المتاهات ، وأن ترمي بها في هذه المزالق •• مخافة أن تفقد أعز ما تملك ألا وهو الدين والشرف

واعلم — أخي المربي — أن ما ينطبق على صحبة المدرسة فإنه ينطبق تماماً على صحبة المعمل ، فأكثر المعامل والمؤسسات — ويا للأسف — تعجّ بعمال لاأخلاق لهم ، ولاأدب ، ولادين •• بل يوجد من هؤلاء العمال على اختلاف مستوياتهم من يعتنقون الشيوعية الكافرة الملحدة الحمراء ••ويوجد منهم أيضاً من ينتمون الى منظمات عمالية لاتقيم للدين حرمة ، ولا للقيم الأخلاقية التي جاء بها الاسلام أي وزن أو اعتبار ، ويوجد كذلك من هؤلاء العمال من يعيش في حياته عيشة البهائم في اتجاههم الاباحي ، ونزعتهم اللاأخلاقية •• ليس لهم هم سوى أن يشبعوا نهمتهم الجنسية ، وأشواقهم الغريزية ، وليس لهم من مثل أعلى سوى أن يتقلبوا في حمأة الخمر والقمار والفحشاء، والاستماع الى أميع الاغاني، وحضور أقبح النوادي والمسارح •• ليذبحوا رجولتهم وكرامتهم على أقدام مغنية فاجرة ، أو راقصة ساقطة ، أو امرأة بغيّ زانية !!••

وفي الوقت نفسه يوجـد من العمـال من هـم على الدين والاستقامـة والأخلاق والتزام المنهج الاسلامي الذي جاء به رسول الاسلام صلوات الله وسلامه عليه . ولكن هؤلاء قلة بالنسبة للفئات اللا أخلاقية التي تعجّ بهـا المعامل والمصانع ، والقطاعات العامة والخاصة •• في كثير من البلاد •• فالاسلام يحتم عليك — أخي المربي — أن تبحث في المعمل أو المصنع •• عن هذه الفئة الصالحة . والرفقة المؤمنة •• لتربط ولدك بها •• فإذا نسي

ذكرته . وإذا ذكر أعانته . وإذا رأته شذّ أو انحرف أنقذته وأحاطت به ، ليبقى دائماً على الاستقامة والأخلاق !!..

وحينما يتعاون ويتضافر توجيــه البيت معالربط بالصحبة الصالحةسواء أكانت صحبة مدرسة أو معمل أو حي أو مسجد ...

فلاشك أن الولد ينصلح حاله ، ويستقيم أمره ، وتتكامل شخصيته الاسلامية ، ويظل دائماً على العهد والاستقامة والأخلاق .. ومن هنا كانت وصية ابن سيناء في تربية الولد قوله : « أن تكون مع الصبي في مكتبه صبية حسنة آدابهم ، مرضية" عاداتهم ، لأن الصبي عن الصبي ألقن ، وهو عنه آخذ ، وبه آنس » .

فاحرص ــ أخي المربي ــ على أن تأخذ بهذه القواعد التربوية الأصيلة، والمبادىء الاسلامية القويمة .. للحفاظ على ولدك من الضياع ، والتشرد والزيغ ، والانحــراف ..

وماذاك إلا بالصحبة الصالحة التي فصلنا عنها ، وأطلنــا الكـــلام فيها ، لتكون دائماً على هدى من الأمر ، وبصيرة في الحياة ، وعلم في الطريقــة ..

« قل هذه سبيلي أدعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين » .

(يوسف : ١٠٨)



وإليك اخــيراً ــ اخى المربي ــ **توجيهات الاســلام وتحذيراته من قرنــاء**

الشر ، ورفاق السوء والفساد ، لتعلم كيف أن الاسلام أهتم بالصحبة الصالحة وأمر بها : وركّز عليها ؟

ـ قال تعالى :

« ويوم يعضّ الظالم على يديه ، يقول : يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا ، يا ويلتا ليتني لم أتخذ فلانا خليلا ، لقد أضلّني عن الذكر بعد إذ جاءني ، وكان الشيطان للانسان خذولا »

(الفرقان : ٢٨ ـ ٣٠)

ـ وقال أيضاً :

« قال قرينه : ربنا ما أطغيته ولكن كان في ضلال بعيد » .

(ق : ٢٧)

ـ وقال كذلك :

« الأخلاّء يومئذ بعضهم لبعضٍ عدوّ إلا المتقين » .

(الزخرف : ٦٧)

ـ وقال عليه الصلاة والسلام ـ فيما رواه الترمذي ـ : « المرء على دين خليله ، فلينظر أحدكم من يُخالِلْ » .

ـ وقال أيضاً ـ فيما رواه البخاري ومسلم ـ : « مثل الجليس الصالح والجليس السوء كمثل حامل المسك ونافخ الكير ، فحامل المسك إما أن يُحذيك (يعطيك) ، أو تشتري منه ، أو تجد منه ريحاً طيبة ، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك ، أو تجد منه ريحاً منتنة » .

ـ وقال ـ فيما رواه ابن عساكر ـ : « إياك وقرين السوء فإنك به تعرف » .

ورحم الله من قال :

عن المرء لا تسأل وسلْ عن قرينه
فكل قرين بالمقارن يقتدي

★ ★ ★

٣ـ رَبْط الوَلد بالدَّعوَة وَالدَّاعيَة

ومن العوامل الاساسية في اكتمال شخصية الولد ، وإعداده ، نفسياً واجتماعياً ودعَوياً..ربط الولدمنذ أن يتعقّل الحياة، ويتفهم مسؤوليتها.. بالدعوة والداعية والتحرك لإعلاء كلمة الله .. وما ذاك إلا لتنمو في نفسية الولد روح الدعوة الى الله . والجرأة في الحق ، والتخلّق بالصبر .. حتى إذا تأصلت بين جوانحه هذه المعاني الدّعويّة ، والصفات النفسية انطلق كالأسد يبلّغ دين الله عز وجل ، دون أن تأخذه في الله لومة لائم ، ودون أن تردّه عن المضي في طريقه عراقيل الحياة وأحداثها !!..

ولا شك أن المرشد الرباني الذي يرتبط به الولد حين يكون على المواصفات الإرشادية الكاملة من شمولية الفهم ، والوعي ، والتحرّق على الاسلام ، والتحرك في سبيله .. هو الذي يربي الولد على روح الدعوة ، والجهاد ، واستشعار المسؤولية ، والتحرك الدائم لإعلاء كلمة الله .. بل هو الذي يؤهله ليكون جندياً مِن جنود الحق ، وداعية من دعاة الاسلام .. يبلّغ رسالة ربه ، ولا يخشى أحداً إلا الله .

ومن الأمور التي لا يماري فيها أحد أن الولد حين يتهيأ له مناخ الدعوة في كل ما يتعلق بها من أسباب ، وحين تتمهد له ظروف الجهاد التبليغي في كل ما يدفع اليه من بواعث ... فإن الولد ــ ولا شك ــ يشب وهو في سن

التعقل والتمييز على روح الجهاد . وتبليغ الدعوة ؛ وهداية الناس . وإنقاذ البشرية •• بل تتأصل هذه الروح الدعوية الجهادية في نفسه ، وتتعمق في كيانه ، وتصبح عنده في النهاية طبعاً وخلقاً وعادة •••

ومن المعلوم يقيناً أن الولد حين ينشغل في أوقات فراغه في الأعمال الدعوية ، والواجبات التبليغية •• وحين يمارس عملية الاتصال بالناس : والالتقاء معهم ، والتحدث اليهم •• فنكون قد أشغلنا فراغه في أمور يعود نفعها على نفسه ، وآثارها الطيبة على أبناء أمته ومجتمعه •• وفي الوقت نفسه نكون قد نمّينا في الولد النزعة الاجتماعية التي تطلق مواهبه ، وتكوّن شخصيته ، وتهيؤه ليكون جندي الحق ، ورجل الدعوة والاسلام !! ••

ولكن كيف نهيىء الولد ليكون داعية ؟ ، وما هي المراحل التي يتدرّج فيها ليصل الى صفّ الدعاة المرموقين ، ومرتبة الرجال العاملين ؟

المراحل في تقديري هي على الوجه التالي :

١ ـ التهيئة النفسية :

وذلك بتصوير الواقع المؤلم الذي وصل اليه العالم الإسلامي من أقصاه الى أقصاه ••• تصوير الصراع في المبادىء والأفكار ، تصوير التفكك السياسي والاجتماعي ، تصوير الظاهرة الانحلالية والإباحية ، تصوير المؤامرات الصليبية واليهودية والشيوعية والاستعمارية ، تصوير اليأس والقنوط الذي خيّم على كثير من المسلمين •• الى غير ذلك من هذهالتصورات التي لاتخفى على أدنى مسلم في دنيا الاسلام !! ••

فهذا التصوير للواقع ، والوصف للحاضر •• مما يدفع الولد الى أن

يقتنع بضرورة العمل الدعوي . والجهاد التبليغي •• بل نكون قد هيأنا نفسياً لينطلق في مضمار الدعوة عن إيمان وقناعة واندفاع ••

٢ ـ ضرب الأمثال :

وهنا يأتي دور المربي أو المرشد الرّباني في إقناع الولد بضرورة العمل الدعوي والجهاد التبليغي لأجل إعزاز شرع الله ، ورفع راية الاسلام ••

ولضرب الامثال وجهان :

١ ـ ضرب للمثل يزيل عن النفس يأسها وقنوطها ؛ ويحقق لها أملها وتفاؤلها •

٢ ـ وضرب آخر للمثل يدفع المسلم الى العمل والتضحية والثبات مهما كانت العراقيل والعقبات •

فبالنسبة **للنـوع الأول** يستشهد بالأحداث التاريخية التالية :

● من كا نيظن أن تقوم للاسلام قائمة بعـد أن تشتت الناس وانقسموا وارتدّوا بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفي المرحلة الاولى من خلافة أبي بكر رضي الله عنه ، ففي هذه الفترة برزت فيها قرون العصبية الجاهلية كأنها قرون الشياطين ، وارتدت العرب عن الاسلام ، ومنع ممّن ينتسبون الى الاسلام ظاهراً الزكاة ، ومنهم من أبطل الصلاة • • ، وكان المسلمون بعـد موت النبي صلى الله عليه وسلم كالغنم في الليلة المطيرة كما وصفتهم السيدة عائشة رضي الله عنها •• وبلغت الحالة حد اليأس حتى أن بعض الناس جـاء الى أبي بكر رضي الله عنه وقال : « يا خليفة رسول الله ، لا طاقة لك بحرب العرب جميعاً •• إلزم بيتك ، وأغلق بابك ، واعبـد ربك حتى يأتيك اليقـين (الموت) » •

ولكن هذا الرجل الخاشع البكّاء ، الهادىء الرقيق •• لم يدبّ اليأس الى قلبه ، ولم يقنط من رحمة الله ونصره •• وإنما انقلب في هـذه الفترة الخطيرة من خلافته الى رجل ثائر كالبحر ، زائر كالليث ، يصيح في وجه عمر ويقول : « أجبّار" في الجاهلية ، وخوّار في الاسلام ؟ ماذا عسيت أن أتألفهم بسحر مفتعل أم بشعر يُفْترى ؟ هيهات ، هيهات !!• مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم وانقطع الوحي ، والله لأجاهدنّهم ما استمسك السيف في يدي، فو الله لأقاتلنّ من فرّق بين الصلاة والزكاة •• لقد تمَّ الوحي واكتمل •• أفينقص الدين وأنا حيّ ؟ والله لو منعوني عَنَاقاً أو عقـال بعيـر لقاتلتُهم عليـه !! ••

فما كان من عمر رضي الله عنه إلا أن قال : لقد شرح الله صدر أبي بكر للقتال فعلمت أنه الحق •

وهكذا استطاع أبو بكر رضي الله عنه بإيمانه وعزمه وجهاده وقـوة نفسه الكبيرة •• أن يُعيد لدولة الاسلام استقرارها ، ويرسّخ لها عزتها وبقاءها !! ••

● من كان يظن أن تقوم للاسلام قائمة لما استولى الصليبيون على كثير من البلاد الاسلامية ، والمسجد الأقصى وماحوله ما يقارب قرناً من الزمان •

من كان يظن أن هذه البلاد ستحرر على يد البطل المغوار **«صلاح الدين»** في **معركة حطين الحاسمة** ويصبح لهـا من الكيـان والعـزة والمجـد ما شـرّف التاريخ ؟!!•

● من كان يظن أن تقـوم للمسلمين قائمة لمـا خرّب **المغول والتتار** العالم الاسلامي من أقصاه الى أقصاه ، وفتكوا في الأنفس والأعراض فتكاً ذريعاً ؟ حتى قيل إن جبالا شامخة أقامها « **هولاكو** » من جماجم المسلمين •

من كان يظن أن بلاد الاسلام ستحرر على يد البطل المقدام « **قطــز** » في معركة « **عين جالوت** » الحاسمة ، ويصبح للمسلمين من المجد والعظمة والعزة ما فخرت به الأجيال ؟!.

إن التفاؤل بالنصر هو مقدمة النصر ، وإن القوة المعنوية في كل أمـة هي التي تدفع شبابها ورجالها من أن يصنعوا من اليأس أملا ، ومن الهزيمة انتصاراً ، ومن الضعف قوة ، ومن الذلة عزة .. ومن الشتات وحدة .. .

فحين تضع - أخي المربي - في الولد هذه المعاني من الأمل والتفاؤل.. فإنه سيندفع لا محالة الى ميدان الدعوة الى الله، بل يكون جندياً من جنودها، وفتىً جلداً صبوراً من فتيانها ..

وبالنسبة **للنــوع الثــاني** يستشهد بالقدوات التالية :

● بصاحب القدوة الأولى نبيّنا عليه أفضل الصلاة والسلام الذي لقي في سبيل الدعوة الاسلامية مالقي من أصناف العذاب، وألوان الاضطهـاد ، وأنواع الألم .. وكتب السيرة النبوية فائضة بذكر هذه الامثال والاخبار ..

● بأصحاب القدوة من الرعيل الأول من أصحاب رسول الله صلـى الله عليه وسلم الذين جاهدوا في الله حق جهاده ، ودخلوا محنة الدعــوة في المرحلة المكية بإيمان كالجبال ، فما وهنوا ولا استكانوا ولا ضعفوا ، بـل زادتهم المحن والشدائد إيماناً وتسليماً .. وهم الذين قال عنهم عبد الله بـن مسعود رضي الله عنه : « من كان متأسياً فليتأسَّ بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإنهم كانوا أبرّ هذه الأمة قلوباً ، وأعمقها علماً . وأقلّهـا تكلفاً ، وأقومها هدياً ، وأحسنها حالا .. اختارهم الله لصحبة نبيّه عليـه الصلاة والسلام . وإقامة دينه ، فاعرفوا لهم فضلهم . واتبعوهم في آثارهم ، فإنهم كانــوا على الهــدى المستقيم » . وأخبارهم في الثبــات والتضحيــة والصبر .. كثيرة ومستفيضة .

● بأصحاب القدوة من رجالات الدعوات عبر التاريخ الى عصورنا اليوم •• فهؤلاء لهم من المواقف المشرفة . والتضحيات الخالدة •• ماتفتخر به الاجيال على مر العصور والأيام ، كأمثال الحسن البصري ؛ والعز بن عبد السلام ، ومنذر بن سعيد ، وأحمد بن حنبل ، وأبي غياث الزاهد ، والإمام حسن البنا ، والشهيد سيد قطب •• ومئات غيرهم •• الذين كانوا جبالا في التحمل ، وأسوداً في الثبات ، ومضرب المثل في الصبر والتضحية ••

فحين تضع — أخي المربي — في الولد هذه المعاني من مواقف التضحية والصبر والثبات في سبيل تبليغ دعوة الاسلام •• فإن الولد — ولا شك — ستنطبع في تصوره هذه المواقف ، وتسري معانيها الى نفسه وقلبه •• فعندئذ يتخذ في حياته طريقاً للقدوة ؛ فينهج نهجهم ؛ ويمشي على طريقتهم . ويصبح ممن عناهم الله سبحانه بقوله :

((أولئك الذين هداهم الله فبهداهم اقتده)) .

٣ ــ اظهار فضيلة الدعوة الى الله :

على المربي في هذه المرحلة أن يركز في ذهن الولد الأجر الكبير الذي يحظى به الداعية الى الله حين ينطلق في مضمار الدعوة ، ويبلّغ الناس رسالة الاسلام الخالدة :

ــ يركّز في ذهنه أن الدعاة هم خير الناس وأفضلهم لقوله تبارك وتعالى :

((كنتم خير أمة أخرجت للناس تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ..)) .

(آل عمران : ١١٠)

ــ ويركز في ذهنه أن الدعاة هم المفلحون الفائزون في الدنيا والآخرة ، لقوله سبحانه :

« ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون » . (آل عمران : ١٠٤)

ــ ويركز في ذهنه أن الدعاة لا يدانيهم أحد في الشرف والمنزلة وحسن انفعال .. لقوله عزّ من قائل :

• **« ومن أحسن قولاً ممن دعا الى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين »**.
(فصلت : ٣٣)

ــ ويركز في ذهنه أن الدعاة لهم من الأجر مثل أجور من اتّبعوهم من غير أن ينقص من أجورهم شيء ، لقوله عليه الصلاة والسلام ــ فيما رواه مسلم وأصحاب السنن ــ : « من دعا إلى هدىً كان له من الأجر مثل أجور من اتّبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً .. » .

ــ ويركز في ذهنه أن الدعاة فيما يتركون في المجتمع من أثر ، وما يحقق الله على أيديهم من هداية خير لهم مما طلعت عليه الشمس وغربت ، لقوله صلى الله عليه وسلم ــ فيما رواه البخاري ــ « فوالله لأن يهدي الله بك رجلا واحداً خير لك من أن تكون لك حُمْر النَّعَم »[1] ، وفي رواية : « خير لك مما طلعت عليه الشمس وغربت » .

فحين تضع ــ أخي المربي ــ هذه الحقائق من فضائل الدعوة بين يدي الولد ، وحين ترسخها في ذهنه ، وتعمقها في نفسه .. فإن الولد سينطلق في هذا المضمار طائعاً مختاراً .. ليحظى بالأجر والمثوبة عند من بيده مقاليد كل شيء في مقعد صدق عند مليك مقتدر

---

(١) حُمْر النَّعم : هي الابل الحمراء وكان العرب يتفاخرون بها .

٤ ـ بيان الأصول المتبعة في تبليغ الدعوة :

على المربي في هذه المرحلة أن يبين الأصول المتبعة في تبليغ الدعوه حتى يلتزمها ؛ ويسير على هديها دون أن يعتريه عوج أو التواء •• حتى يكون تأثيره أبلغ ، والنتائج التي يصل اليها دائماً أفضل وأحسن ••

ونلخص هذه الأصول فيما يلي :

أ ـ أن يكون عالما بحكم كل قضية يدعو اليها أو ينهى عنها : حتى يكون أمره أو نهيه دائماً مطابقاً لأحكام الشريعة ، ومبادىء الاسلام •• وصدق الله حين قال :

((هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون)) •

ب ـ أن يكون فعله دائماً مطابقا لقوله : حتى يقبل الناس هديه ، ويستجيبوا لدعوته •• وماأشقى الذين يقولون مالا يفعلون !! ، وما أحمق الذين يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم !! وما أعظم وأشنع ما قاله الله في حق أولئك :

((يا أيها الذين آمنوا لِم تقولون مالا تفعلون كبُرَ مقتاً عند الله أن تقولوا مالا تفعلون)) •

(الصف : ٣)

((أتأمرون الناس بالبرّ وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون)) •

(البقرة : ٤٤)

ج ـ أن يكون المنكر مجمعاً على إنكاره حتى لا يقع الناس بسبب تعصّبه في بلبلة فكرية ونفسية واجتماعية ••• ، ولاسيما القضايا التي يرجع البتّ فيها للاجتهاد ، وآراء الأئمة •• وقد قالوا قديماً : « مَن قلّد عالماً لقي الله سالماً » •

د ـ **أن يكون متدرّجا في تغيير المنكر :** حتى لا يصل في النهاية الى نتائج صعبة ليبست بالحسبان ، فالتدرج من النصح .. الى التخويف بالله .. الى التهديد .. الى التعنيف بالقول .. الى التغيير باليد .. هو عين الصواب والحكمة ، وقد قال الله سبحانه :

« ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً » .

هـ ـ **أن يكون لطيفاً رقيقاً حسن الخلق :** حتى يملك قلوب الناس بملاطفته وكريم أخلاقه ، ويستجيبوا للطيف موعظته ورقيق كلامه .. وصدق الله سبحانه حين قال :

« أدع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي احسن » .

(النحل : ١٢٥)

و ـ **أن يكون صابراً على الأذى :** حتى لا ييأس أو ينهزم مما يلقاه من تعنّت المستكبرين ، وحماقة الجاهلين ، واستهزاء الساخرين .. ولنستمع الى نصيحة لقمان الحكيم لولده كما حكاها القرآن الكريم :

« يا بنيّ أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانهَ عن المنكر واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور » .

(لقمان : ١٧)

تلكم ـ أخي المربي ـ أهم الأصول[1] المتبعة في تبليغ الدعوة الاسلامية، وهداية الناس الى سبيل الخير .. فما عليك إلا أن ترشد ولدك إليها

---

(١) ارجع الى القسم الثاني من كتاب « تربية الاولاد في الاسلام » ، واقرأ بحث « المراقبة والنقد الاجتماعي » في الفصل السادس منه ، تجد هذه الاصول مشروحة بشكل واف مع الشواهد الكثيرة .

ـ وهو في سـن التمييز ـ حتى يعتادها ، ويدرج عليها ، ويتفهم مراحلها وأصولها •• عسى أن يكون في المستقبل الداعية الموفق الذي يشار اليه بالبنان في حكمته ، وأسلوبه، وحسن معشره، ولطيف أخلاقه، وعظيم أثره•••

٥ ـ من التوجيه الى التطبيق :

في هذه المرحلة الهامة ينتقل المربي بالولد الى الناخية التطبيقية العملية في إعداده اجتماعياً ، وتكوينه دعوياً •••

يحسن بك ـ أيها المربي ـ في بدء هذا التكوين الدعوي أن تربط ولدك بداعية مخلص مجرب •• عنه يتلقى التوجيه ، ومنه يتلقن أصول الدعوة ، وبصحبته يمارس الجانب العملي في دعوة الناس الى الخير •••

ولايخفى مافي هذا الارتباط في سن مبكّرة من أثر كبير في نضج الولد دعوياً ، وفي تربيته اجتماعياً ، وفي اكتمال شخصيته نفسياً وسلوكيا ••

وبعد هذه المرحلة **يأتي دور التدريب على الاتصال الفردي للهدايةوالاصلاح**..

وهذا لا يتأتى إلا أن يتدرب الولد عملياً على أن يمارس دعوة الآخرين الى الخير بنفسه دون مصاحبة مرشد أو مرافقة رقيب •••

ولكن قبل أن يقوم الولد بالتجربة العملية في دعوة إنسان ما الى الخير يحسن من المربي أو الداعية أن يذكّر الولد بأصول الدعوة ومراحلها •• ليقوم بالتنفيذ على أدق وجه ، وأحسن سبيل •• ثم بعدها ينطلق في مضمار الدعوة الى الله بنفس مؤمنة إيجابية رضية •• ، وقد يكون المنطلق الى دعوة صديق في مدرسة لايقيم وزناً للعبادة ، ولا يكترث بالصلاة ، ولا يسير فيحياته سير الصالحين الابرار !!

وهنا تظهر براعة الولد في دعوة هذا الصديق الى الصلاة ، وانقاذه من بيئة الفساد والانحراف •• وهنا تبرز شخصيته المؤثرة في الإقناع والاستجابة والاهتداء •• وهنا تتجسد قدرته الدعوية في انجذاب النفوس اليه ، وتأثيرهم به ، ومحبتهم له ، ومدى استجابتهم للدعوة التي يدعو اليها ، ويأمرهم بها!!

وبعد أن ينتهي الولد من هذه المرحلة العملية في الدعوة **يأتي دور المربي أو المرشد أو الداعية ثانية ، ليسأل الولد عن النتائج التي وصل اليها ، ويحاسبه عن المراحل التي مرّ بها ••** فإن رأى الولد أحسن في سير الدعوة، واتبع الأصول اللازمة ، وانتهج المراحل المتدرّجة •• شكر الولد على صنيعه، وشجعه على توفيقه ، وطالبه بالمزيد من النشاطات الدعوية في محيط المجتمع ، ودنيا الناس •

وإن رأى الولد أخطأ في السير ، ولم يتبع الأصول الصحيحة أرشده الى معالم الحق ، وطريق الصواب •• فيتوجّب على المشرف الدعوي أو المربي إذن ، أن ينهج مع الولد هذا المنهج ، ويتبع معه طريق السؤال والمحاسبة في كل عملية دعويّة يقوم بها !!• حتى إذا رآه نضج دعوياً ، وبرع سلوكياً واجتماعياً رمى به في بيئات الجهالة •• ليؤدي رسالة الدعوة والإصلاح على أحسن وجه ، وأنبل معنىً •• ويبلغ مبادىء الاسلام في الأرض لا يخشى أحداً إلا الله •• ولو لقي في سبيلها ألوان العذاب ، وأصناف الألم •• وحسبه فخراً وشرفاً أن يتأسى بالانبياء عليهم السلام وما كابدوه ، ويقتدي بالمصلحين الكبار وما لاقوه •• ، وهذه سنّة الله في كل داعية الى الخير والاصلاح ، ولن ولن تجد لسنة الله تبديلا ، ولن تجد لسنة الله تحويلا !! ••



إن أردت ــ أخي المربي ــ أن يكون ولدك جندياً من جنود الاسلام ، وداعية من دعاة الحق •• فما عليك إلا أن تربط ولدك بدعاة صادقين ، وهداة مخلصين •• منهم يستمد عزم الإيمان ، وبواسطتهم يندفع نحو الجهاد ، وبإعدادهم ينطلق في ميادين الدعوة الى الله •• حتى إذا تخرج على أيديهم، وامتطى صهوة الجهاد الدعوي ، قام بالدور الكبير في الإنقاذ ، والهداية ، والإصلاح والتبليغ •• دونما إهمال أو تواكل أو تقصير •• فما أحوج دنيا الاسلام الى أولاد يرضعون لبان الدعوة الاسلامية منذ نعومة أظفارهم ، ويستظلّون في ظلال العمل الحركي ، والجهاد التبليغي وهم لم يبلغوا الحُلُم بعد !!•• حتى إذا بلغوا السنّ التي تؤهلهم لحمل الرسالة الاسلامية الخالدة •• انطلقوا في مجاهل الأرض، يمدّنون الامم، ويكرّمون الانسان، ويفرضون المعرفة ، وينصرون الحق ، ويدعون الى الهدى ، ويملؤون الأرض عدلا وأمناً واستقراراً ••

انطلقوا في مضمار الدعوة والجهاد غير هيّابين ولا وجلين •• يبلّغون رسالات ربهم ولا يخشون أحداً إلا الله •• حتى يصلوا في نهاية المطاف الى تحكيم شريعة الله ، وإقامة دولة الاسلام ، واستعادة ما بناه الأوائل من مجد شامخ ، وعزة منيعة ، ودولة كبيرة واسعة لا تغيب عن أرضها الشمس !!•• وما ذلك على الله بعزيز •



خامساً : الربط الرياضي .

من أهم الوسائل النافعة التي وضعها الاسلام في تربية أفراد المجتمع جسمياً ، وتكوينهم صحياً .. هو إملاء فراغهم بأعمال جهادية ، وتدريبات عسكرية ، وتمرينات رياضية .. كلما سنحت لذلك فرص ، أو تهيأت ظروف ..

ذلك لأن الاسلام بمبادئه السمحة ، وتعاليمه السامية .. جمع في آن واحد بين الجد واللهو البريء ، ووفّق بين مطالب الروح ، وحاجات الجسم، واعتنى بتربية الأجسام وإصلاح النفوس على حدّ سواء .

والولد من حين أن يعقل هو أولى بالعناية بهذا الإعداد الصحي ، والتكوين الجسماني .. بل هو أولى بإملاء الفراغ في كل ما يعود على جسمه بالصحة، وعلى أعضائه بالقوة ، وعلى سائر بدنه بالحيوية والنشاط .. وذلك لثلاثة أسباب :

الاول : للفراغ الكثير المتيسر له .

الثاني : لوقايته من الامراض والاسقام .

الثالث : لتعويده منذ الصغر على تمارين الرياضة وأعمال الجهاد .

وإليك — أخي المربي — **طاقات من نصوص الشريعة** في اهتمام الاسلام

بالتربية الرياضية ، والإعداد العسكري •• ليعلم كل ذي عينين أن الاسلام هو دين الله الخالد في دعوته الى وسائل العزة والقوة والجهاد :

ـ قال تعالى :

« وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدوّ الله وعدوكم » •

(الأنفال : ٦٠)

ـ وروى مسلم في صحيحه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: « المؤمن القوي خير وأحب الى الله من المؤمن الضعيف •• » •

ـ وروى الطبراني بإسناد جيد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « كل شيء ليس من ذكر الله فهو لهو" أو سهو إلا أربع خصال : مشي الرجل بين الغرضين (للرمي) ، وتأديبه فرسه ، وملاعبته أهله ، وتعليمه السباحة » •

ـ وروى مسلم في صحيحه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تلا قوله تعالى : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة » ، ثم قال : « ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي ، ألا إن القوة الرمي » •

ـ وقد كتب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه الى الولاة مايلي: « أما بعد فعلّموا أولادكم الرماية والسباحة وركوب الخيل •• » •

وروى الشيخان أن النبي صلى الله عليه وسلم أذن للحبشة أن يلعبوا بحرابهم في مسجده الشريف ، وأذن لزوجه عائشة رضي الله عنها أن تنظر اليهم، وبينما هم يلعبون دخل عمر فأهوى الى الحصباء (الحصى الصغيرة) فحصبهم بها ، فقال عليه الصلاة والسلام : « دعهم يا عمر » •

ـ وروى أحمد والبخاري أن النبي صلى الله عليه وسلم مرّ على نفر مِن أسْلَم ينتضلون بالسوق (يتدرّبون على الرمي) ، فقال صلوات الله وسلامه عليه : « أُرموا بني اسماعيل ، فإن أباكم كان رامياً ، أرموا وأنا مع بني فلان » ، فأمسك أحد الفريقين عن الرمي ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مالكم لا ترمون ؟ » ، فقالوا : كيف نرمي وأنت معهم ؟ فقال عليه الصلاة والسلام : « ارموا وأنا معكم كلكم » .

ـ وروى أحمد وأبو داود عن عائشة رضي الله عنها قالت : « سابقني رسول الله صلى الله عليه وسلم فسبقته ، فلبثنا حتى إذا أرهقني اللحم (أي سمنت) سابقني فسبقني فقال : هذه بتلك » .

ـ وروى أبو داود عن محمد بن علي بن رُكانة : « أن ركانة صارع النبي صلى الله عليه وسلم ، فصرعه عليه الصلاة والسلام » .

ـ وعن عقبة بن عامر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ارموا واركبوا ، وأن ترموا خير من أن تركبوا » .

ـ وروى أحمد والبخاري عن أنس رضي الله عنه قال : « كان للنبي صلى الله عليه وسلم ناقة تسمى العضباء ، وكانت لا تسبق ، فجاء أعرابي على قَعُودٍ له (ناقة فتية) فسبقها ، فاشتد ذلك على المسلمين ، وقالوا : سُبِقَتْ العضباء ، فقال عليه الصلاة والسلام : « إن حقاً على الله أن لا يرفع شيئاً من الدنيا إلا وضعه » .

فمن هذه النصوص يتبين أن الاسلام شرع ممارسة الألعاب الرياضية ، والتدريبات الجهادية من مصارعة ، وعَدْوٍ ، وسباحة ، ورماية ، وفروسية .. من أجل أن تأخذ أمة الاسلام بأسباب العزة والنصر والسيادة ، وأن تتربى أفراداً وجماعات على معاني القوة ، والفتوة والجهاد .. تنفيذاً لقوله تبارك

وتعالى : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة » ، وتحقيقاً لقوله عليه الصلاة والسلام : « المؤمن القوي خير وأحب الى الله من المؤمن الضعيف » •

ومما لايختلف فيه اثنان أن أعداء الاسلام حين يعلمون أن أمة الاسلام استعدت عسكرياً وحربياً ، وتكوّنت صحيّاً وجسمياً ، واكتملت إيمانيا ونفسيا ، وعزمت على الجهاد حركيا وإرادياً ••• فانهم ـ لا شك ـ ينهزمون من نفوسهم القلقة الخائفة الخوّارة •• قبل أن ينهزموا في ميادين المنازلة والجهاد ، وهذا ما يعرف اليوم **بالسلم المسلح** ، وهذا ما نوّه عنه عليه الصلاة والسلام حين قال : « نصرْتُ بالرعب مسيرة شهر » •

• • •

وإذا كان الولد ـ كما مر ـ هو أولى بالعناية بهذا الإعداد الجسمي، والتكوين الجهادي ، والتربية الرياضية •• فهل معنى هذا أن ينطلق الولد في هذا المضمار بلا قيود ولا حدود أم أن يتقيد بمنهج يلتزم حدوده ويمشي على منواله ؟

في الحقيقة وواقع الأمر أن الارتباط الرياضي للولد لا يعطي الثمرة المرجوة ، ولا يفي بالغاية المطلوبة إلا أن يكون على وفق المنهج الذي وضعه الاسلام •

وإليك ـ أخي المربي ـ معالم هذا المنهج وحدوده المرسومة :

١ ـ ايجاد التوازن :

لا يصح أن يكون الارتباط الرياضي للولد على حساب واجبات أخرى يكلف بها ، ويدعى اليها ، ويطلب في حقه تنفيذها •• كأن يشغل جل

وقته في اللعب بكرة القدم ، أو اتقان فن المصارعة، أو مزاولة أعمال السباحة ، أو التدريب على الرماية •• على حساب حق الله في العبادة ، أو حــق نفسه في تحصيل العلم ، أو حق أبويه في الطاعــة والبر ، أو حــق إسلامه في التبليــغ والدعوة ••

فالارتباط الرياضي للولد إذن يجب أن يكون بحدود الوسط والاعتدال لإيجاد التوازن مع سائر الواجبات الأخرى دون أن يَطْغى حق على حق ، أو يتغلب واجب على واجب •• تحققاً لمبدأ التعادل والتوازن الذي وضع أصوله نبي الاسلام صلوات الله وسلامه عليه حين قال لعبد الله بن عمرو بن العاص : « يا عبد الله ابن عمرو :

إن لله عليك حقاً ، وان لبدنك عليك حقاً وانّ لأهلك عليك حقــاً .. فأعط كل ذي حقٍ حقّه » .

٢ ـ مــراعـــاة حــــدود الله :

عــلى من يقوم بتدريب الولد رياضيا ، وإعداده جهادياً وعسكرياً مراعاة الأمور التاليــة :

أ-**أن يكون اللباس الرياضي للولد من السرة الى ما تحت الركبة** للأحاديث التالية :

ـ روى الدارقطني عن أبي أيوب رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ما فوق الركبتين من العورة ، وما أسفل مــن السرة من العورة » •

ـ وروى الحاكم عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ما بين السرّة والركبة عورة » •

ـ وروى أبو داود والحاكم والبزّار عن علي كرّم الله وجهه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لاتبرز فخذيك ، ولا تنظر الى فخذ حي ولا ميّت » .

ـ وروى البخاري في تاريخه ، والإمام أحمد ، والحاكم عن محمد بن جحش رضي الله عنه قال : مرّ رسول الله صلى الله عليه وسلم على معمر وفخذاه مكشوفتان فقال : « يامعمر غطّ فخذيك فإن الفخذين عورة » .

ـ وروى عقبة بن علقمة عن علي رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الركبة من العورة » .

وعلى هذا لايجوز للمدرّب أن يلبس الولد لباساً رياضياً لايغطي الفخذ ولا يستر الركبة للأحاديث الصحيحة التي سبق ذكرها ، وإذا لم يراع في تدريبه حدود الله عز وجل فإنه يستحق إثماً ، والله سبحانه مسائله عمّا فرّط في جنب الله .

ب ـ أن تكون الأعمال الرياضية في أماكن غير مشبوهة ، لما روى الشيخان عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إن الحلال بيّن ، وإن الحرام بيّن ، وبينهما أمور مُشتَبِهات لا يعلمهن كثير من الناس ، فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه ، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام ... » .

ومما قالته عائشة رضي الله عنها في هذا المعنى : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يقفنّ مواقف التهم » .

وعن علي رضي الله عنه أنه قال : « إياك وما يسبق الى القلوب إنكاره ، وإن كان عندك اعتذاره ، فربّ سامع نُكراً لاتستطيع أن تُسْمعه عذراً » .

وأيّة شبهة أعظم حين يزاول الولد أعمال الرياضة والتدريب في بيئات الانحلال والفساد .. كأن يمارس أعمال السباحة في مسابح مختلطة حيث التكشف الفاضح، والعُري الممقوت .. أو يتدرب على المصارعة والملاكمة في نوادٍ يقام في ساحتها المنكر، وترتشف في أرجائها الخمور ..

فما عليك - أخي المربي - إلا أن تجنّب الولد مواقف التهم حتى لا تسوء في المجتمع سمعته، ولا يشتبه في الناس أمره، وحتى لا يتأثر سلوكياً وخلقياً في بيئات الضلال والفساد ..

ج **ان يكون التشجيع على النبوغ الرياضي برهان غير محرّم،** لما روى أصحاب السنن والإمام أحمد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: « لا سبق (لا رهان) إلا في خُفّ أو حافر أو نصل (أي سهام) » .

ويؤخذ من هذا الحديث أن الرهان غير المحرم يترتب عليه شرطان :

الاول : أن يكون الرهان في إعداد وسيلة الحرب والجهاد كالسباق على البعير أو الفرس أو رمي الهدف أو ما يشبه ذلك من وسائل الحرب الحديثة .

الثاني : أن يكون الجُعْل الذي يبذل (أي المكافأة) من غير المتسابقين أو من أحدهما فقط . فأما إذا بذل كل منهما جُعلا (مكافأة) على أن من سبق منهما أخذ الجُعْلين معاً فهو القمار المحرّم المنهي عنه، وقد سمّى النبي صلى الله عليه وسلم هذا النوع من الخيل الذي يُعَد للقمار أو يراهن عليه « **فرس الشيطان** » وجعل ثمنها وِزْراً، وعلفها وزراً، وركوبها وزراً . أما إذا كان بذل الجُعْل (المكافأة) **من هيئة اجنبية** كرئاسة الدولة أو الوزارة أو ادارة مدرسة أو جمعية .. فإن البذل في هذه الحالة جائز شرعاً لانتفاء ظاهرة المقامرة سواء كان هذا التشجيع من أجل الاستعداد الحربي أو من أجل النبوغ الرياضي .. ومما يدل على هذا الجواز ما رواه الإمام أحمد عن

ابن عمر رضي الله عنهما « أن النبي صلى الله عليه وسلم سبّقَ بين الخيل وأعطى السابق » .

٣ ـ تحرير النية الصالحة :

على المربي الذي يشرف على تربية الولد وتكوينه الصحي والجسمي والنفسي .. أن يهمس في أذن الولد أن ما يقوم به من تمارين رياضية وبدنية، وما يتدرّب عليه من أعمال عسكرية وحربية هو من أجل أن يقوى صحياً وجسمياً ، ويكوّن نفسه حربياً وجهادياً .. حتى إذا بلغ السن التي تؤهله بأن ينهض بأعباء التكاليف اليومية ، وأن يلبي نداء الواجب في تحقيق نصر الاسلام .. قام بالمسؤولية والواجب على أحسن وجه دون أن يعتريه ضعف أو يناله عجز أو تقصير ..

ولاشك أن هذه الهمسات المستمرة ، والتوجيهات الدائمة للولد تجعله دائماً في أن يحرر نيته ويحاسب نفسه **بأن ما يقوم به من تدريبات رياضية ، وتمرينات بدنية** هو من أجل أن يتحقق فيه قول النبي صلى الله عليه وسلم : « المؤمن القوي خير وأحبّ الى الله من المؤمن الضعيف » ، وقوله : « رحم الله امرءاً أراهم من نفسه قوة » . **وان مايقوم به من عمليات عسكرية ، وإعدادات جهادية ..** هو من أجل أن ينفذ أمره سبحانه وتعالى :

« وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدوّ الله وعدوّكم » .

(الأنفال : ٦٠)

وبهذه النية الصالحة في تربية الجسم على القوة ، وفي إعداد النفس على عمليات الجهاد .. نكون قد ربطنا الولد بالاسلام عقيدة وفكراً ، وبالجهاد اندفاعاً وتضحية ، وبالواجب اليومي نشاطاً وحيوية ، ونكون بالوقت نفسه

قد هيأناه ليكون جندياً من جنود الاسلام ، يعمل للدنيا ويجاهد للدين ، ويحمل في نفسه المخلصة أنبل معاني الإيمان والخلق والعزة والتفاؤل ونصرة هذا الإسلام العظيم !!..

وبهذه النية الصالحة أيضاً يستشعر الولد من قرارة وجدانه أن الذي نقوم به من تمرين وتدريب ليس من قبيل اللهو والعبث ، وإنما هو من قبيل التكوين والإعداد .. وبهذا الاستشعار الصادق يقدم على عمليات التدريب باخلاص نية ، وبصدق عزيمة ، وبتفتّح ذهن ، وبحيوية نفس ، وباستفادة وقت ، وبإملاء فراغ ..

وهكذا يتحول الولد تحويلا جديداً حينما نُلقي في روعه هذه المعاني ونهمس في أذنه هذه التوجيهات ، ونرسّخ في نفسه هذا الوعي الناضج السديد ..

وعليك ـ أخي المربي ـ أن تعلم أن تحرير النية الصالحة للولد ليس خاصاً بالتمرينات الرياضية، والتدريبات الجهادية.. وإنما تشمل سائر الاعمال الحيوية، والمتع الجسدية الداخلة في دائرة الحلال .. فالأكل ، والشرب ، والنوم ، والنزهة البريئة ، والتمتع بسائر الطيبات .. إذا فعلها الولد أو أي مسلم آخر بنية الامتثال لأمر الله ، والتعفف عن الحرام ، وتقوية الجسم ليكون أقدر على حمل المسؤوليات والتكاليف .. يصبح العمل بهذه النية الصالحة عبادة يتقرب المؤمن بها الى الله زلفى ، وعلى هذا أخبر الصادق المصدوق عليه الصلاة والسلام أن الانسان يعد مثاباً ومأجوراً إذا رفع اللقمة الى فم امرأته بنية إيناسها وإدخال السرور عليها ، وأخبر أيضاً صلوات الله وسلامه عليه أن الذي يضع شهوته في الحلال بنية الإحصان ، وإنجاب الذرية الصالحة .. فله ثواب وأجر . وعلى هذا استنبط فقهاء الشريعة من هذه الأحاديث المتقدمة هذا الحكم : **((إن النية الصالحة تقلب العادة عبادة))** .

فإذا كان للنية الصالحة هذا الأثر الكبير في الأجر ، فما عليك ـ أخي المربي ـ إلا أن تلقي في روع الولد وفي نفسه هذا المعنى حتى يكون عمله خالصاً لوجه الله الكريم ، وحتى يحظى دائماً بالأجر والمثوبة في مقعد صدق عند مليك مقتدر .

● ● ●

تلكم ـ أيها المربون ـ أهم الظواهر الارتباطية في صيانة عقيدة الولد، والحفاظ على سلوكه واتزانه ، وتكامل نفسيته وشخصيته ، وتصحيح تصوره وأفكاره ، وتقوية جسمه وأعضائه .. بل هي من أكبر العوامل في تربية الولد منذ نشأته على الايمان الراسخ ، والخلق الفاضل ، والعقل الناضج ، والنفسية المتزنة ، والفكر الواعي ، والسمعة الاجتماعية النظيفة الطاهرة ..

فاحرصوا ـ أيها المربون ـ على تنفيذ هذه الارتباطات بدقة وأمانة وإخلاص .. واعملوا على تطبيقها بعزم وإيمان ومضاء ..

فإذا فعلتم هذا فسترون أفلاذ أكبادكم بدوراً تنير ، وشموساً تشرق ، وزهرات تفوح ، وشامات في خدّ الزمن تظهر ، وملائكة تمشي على الأرض..

« وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون » .

● ● ●

٢ ـ قاعدة التحذير

بعد أن تكلمنا طويلا ـ في بحثنا السابق ـ عن قاعدة الارتباط وأثرها الفعال في تربية الولد ، وتكوين شخصيته ، واستقامة سلوكه .. سنشدالعزم للحديث عن القاعدة الثانية من « القواعد الإساسية في تربية الولد » ألا وهي « قاعدة التحذير » .

وهذه القاعدة التي ستكون الآن محور حديثنا لا تقل أهمية وتأثيراً عن القواعد الأخرى التي سبق الكلام عنها ، بل هي من العوامل الأساسية التي تغسل مخ الولد من الافكار العفنة ، والمفاهيم الضالة الباطلة .. بل تجعل من وعيه وإيمانه حصناً حصيناً يرد عنه أفكار الضالين ، وميوعة المتحللين ، ومصاحبة المنحرفين والشاردين !! ..

وقبل أن أخوض في الكلام عن أهم التحذيرات التي يجب أن يتلقنها الولد ، بجدر بك ـ أخي المربي ـ أن تفهم هاتين الحقيقتين :

الأولى : التحذير الدائم للولد يؤصل في قلبه كراهية الشر والفساد، ويورث في نفسه النفور من ظواهر الزيغ والانحلال ..

الثانية : التعرية لظواهر الزيغ والإلحاد والانحلال تزيد المربي . عزماً وتصميماً في تحمل المسؤولية ، والولد توجيهاً وتعليماً في البعد عن الشر والتخلي عن الباطل ..

بعد تبيان هاتين الحقيقتين ندخل في صلب الموضوع ، لنأتي على البحث من جميع جوانبه والله المستعان وعليه التكلان .

● ● ●

لو تصفحنا كتاب الله عز وجل ، وسنة نبينا عليه الصلاة والسلام نجد أن أسلوب التحذير من الشر ، والتعرية للباطل .. ظاهر للعيان في كثير من الآيات القرآنية ، وفي عديد من الأحاديث النبوية ..

إليكم طائفة من هذه الآيات والأحاديث :

قال الله تعالى في سورة الاسراء :

ـ « لاتجعل مع الله إلهاً آخر فتقعد مذموماً مخذولاً » ...

ـ « ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوماً محسوراً » ..

ـ « ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم ان قتلهم كان خِطئاً كبيراً » .

ـ « ولا تقربوا الزنى إنه كان فاحشة وساء سبيلا » .

ـ « ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ومَنْ قتل مظلوماً فقد جعلنا لوليه سلطاناً فلا يسرف في القتل إنه كان منصوراً » .

ـ « ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشدّه وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسؤولاً » ...

ـ « ولا تقفُ ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا » .

ـ « ولا تمش في الأرض مرحاً إنك لن تَخْرِق الأرض ولن تبلغ الجبال طولاً » .

ـ « كل ذلك كان سيّئهُ عند ربك مكروهاً » .

الى غير ذلك من هذه الآيات الكريمة التي تحذر من الزيغ في العقيدة ، والفساد في الخلق ، والسوء في المعاملة .. وما أكثرها في القرآن الكريم !! ..

وقال عليه الصلاة والسلام :

ـ « إياكم والكذب ، فإن الكذب مجانب للإيمان » رواه أحمد وأصحاب السنن ..

ـ « إياكم وكثرة الحلف في البيع فإنه ينفق ثم يمحق » رواه مسلم وأحمد .

ـ « إياكم والظنّ فإن الظنّ أكذب الحديث ، ولا تجسّسوا ، ولا تحسّسوا ، ولا تنافسوا ، ولا تحاسدوا ، ولا تباغضوا ، ولا تدابروا ، وكونوا عباد الله إخواناً ، ولا يخطب أحدكم على خطبة أخيه حتى ينكح أو يترك » متفق عليه .

ـ « إياكم وكثرة الضحك فإنه يميت القلب ، ويذهب بنور أهل الجنة » رواه ابن ماجه .

ـ « إياكم وزيّ الأعاجم » رواه ابن حبان .

ـ « إياك وقرين السوء فإنك به تعرف » رواه ابن عساكر .

ـ « إيّاكم والشحّ فإنما أهلك مَن كان قبلكم بالشحّ أَمَرهم بالبخل

فبخلوا ، وأمرهم بالقطيعة فقطعوا ، وأمرهم بالفجور ففجروا » رواه أبو داود والحاكم .

الى غير ذلك من هذه الأحاديث النبوية التي تنهى عن الشر ، وتحذر من الفساد ، وتلفت النظر الى توقي الزيغ ومساوىء الأخلاق .. وما أكثرها في كتب السنة !! ..

* * *

فقاعدة التحذير إذن ليست من ابتكارات المربّين ، ولا من عنديات الفلاسفة الاجتماعيين ، وإنما هي طريقة القرآن الكريم في تكوين الأفراد ، ومنهج السنة النبوية في تربية المجتمع ..

وصدق الله العظيم القائل :

« إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم » .

وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم القائل : « .. فعليكم بسنّتي وسنّة الخلفاء الراشدين المهديّين عضّوا عليها بالنواجذ[1] رواه أصحاب السنن وابن حبان .

وها نحن أولاء نضع بين يدي المربّين أهم المسائل التحذيرية في توعية الولد ، وغسل مخّه ، وتثبيت عقيدته ، وتقويم سلوكه وأخلاقه .. عسى أن ينهضوا بها ، ويهتموا لها ، ويكلفوا أنفسهم عناء تلقينها وتبليغها ..

فإن هم فعلوا ذلك فيكونون من عداد أولئك الذين أدوا واجبهم

---

(١) أي اجتهدوا على السنة والزموها ، والنواجذ : هي الأنياب .

التربوي ، ومسؤوليتهم الاسلامية على أكمل وجه ، وأنبل معنى ، وكانوا من زمرة أولئك الذين وهب الله لهم من أزواجهم وذرياتهم قرّة أعين ، وجعلهم للمتقين إماماً !! ..

وإليك ـ أخي المربي ـ أهم هذه التحذيرات :

اولاً : التحذير من الردّة

المقصود من الردّة ـ أخي المربي ـ ترك المسلم دينه الذي ارتضاه الله له واعتناق دين آخر أو عقيدة أخرى تناقض شريعة الاسلام .

وللارتداد مظاهر كثيرة :

● من مظاهر الارتداد **المناداة بشعارات تصرف المسلم عن أن يكون الله سبحانه مقصوده ومعبوده أو يكون دين الاسلام هدفه ومبتغاه ،** ويدخل في هذا النوع **حالات كثيرة :**

أ ـ أن يعمل الانسان **لشعار القومية** جاعلا هذا الشعار هدفاً وغاية يدعو له ، ويعمل من أجله ، ويقاتل في سبيله ، وهذا هو العصبية الجاهلية التي نهى الرسول صلى الله عليه وسلم عنها ، وحذر منها : « ليس منا من دعا الى عصبية ، وليس منا من قاتل على عصبية ، وليس منا من مات على عصبية » رواه أبو داود .

ب ـ أن يعمل **لشعار الوطنية** جاعلا هذا الشعار هدفاً وغاية يدعو له ، ويعمل من أجله ، ويكافح في سبيله .. وقد عاب الله عز وجل على أقوام تعلّقوا بأوطانهم فقال :

« ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من ديـاركم ما فعـلوه إلا قليل منهم ، ولو أنهـم فعلوا ما يوعظون به لكـان خيراً لهم وأشد تثبيتاً » .
(النساء : ٦٦)

فالارتداد منحصر في دائرة الهدف والغاية من أجل رفع هذا الشعار وتقديسه حتى العبادة دون أن يكون لله سبحانه فيه ذكر ، أو للإيمان به وبشرعه غاية .. أما إذا كان الهدف لأجل الله تعالى ، وتنفيذ ما أمر ، وكان مما أمر القيام بما فيه مصلحة الوطن الاسلامي ، والدفاع عن العرض ، والشرف ، والنفس ، والمال ، والدين .. فهذا من العبادة التي تجعل صاحبها أن يستحق رضى الله عز وجل وثوابه إن قاتل ، وأن يحظى بالشهادة في سبيل الله إن قتل .. وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم القائل فيما رواه أبو داود : « مَن قُتل دون ماله فهو شهيد ، ومن قتل دون دمه فهو شهيد ، ومن قتل دون دينه فهو شهيد ، ومن قتل دون أهله فهو شهيد » .

ج ـ أن يعمل **لشعار الانسانية وحدها** دون أن يدور في خاطره أنه يعمل لأن الله سبحانه أمره بهدايتها ، والتعارف على شعوبها ، والتعاون مع المسلمين منها .. وهذا الشعار تنادي به الماسونية التي تحرّكها اليهودية العالمية من وراء وراء ..

وبالاختصار نقول : كل شعار يرفعه المسلم لايبغي من ورائه رضوان الله عز وجل ، وإعزاز دينه ، ورفع راية الاسلام فهو **شعار الجاهلية** ، فالذي تبنّاه ، ويدعو له ، ويجاهد من أجله ، ويكافح في سبيله .. إنسان مرتدّ كافر خارج عن ملة الاسلام، محارب لرسالة محمد عليه الصلاة والسلام مهما ادعى الايمان وتبجح بالإسلام !! ..

● ومن مظاهر الارتداد **إعطاء الولاء والمحبة والحاكمية والطاعة لغير الله .**

قـال تعـالى :

ـ ((ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون)) .

(المائدة : ٤٤)

ـ ((ثـم جعلناك على شـريعة من الأمر فاتبعهـا ولا تتبـع أهـواء الذين لا يعلمون)) .

(الجاثية : ١٨)

ـ ((يا أيها الذين آمنوا لاتتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أوليـاء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لايهدي القوم الظالمين)) .

(المائدة : ٥١)

ـ ((يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم أولياء إن استحبوا الكفر على الايمان ومن يتولهم منكم فأولئك هم الظالمون)) .

(التوبة : ٢٣)

ـ وروى الامام أحمد والترمذي وابن جرير عن عدي بن حـاتم ـ رضي **الله عنه** ـ أنه دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ قبل أن يسلم ـ وفي عنق عديّ صليب من فضة ، وهو يقرأ هذه الآية :

((اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله)) .

قال عدي : إنهم لم يعبدوهم . فقال عليه الصلاة والسلام :

بلى ! ((إنهم حرّموا عليهم الحلال . وأحلوا لهم الحرام فاتبعوهم : فذلك عبادتهم إياهم ..)) .

● ومن مظاهر الارتداد **كراهية شيء من الاسلام** كأن يقول قائـل : أنا أكره الصيام لأنه يؤخر اقتصاد الامة . أو يقول آخر : أنا أكره الحجـاب

للمرأة لأنه من علامات التخلف ؛ أو يقول ثالث : أنا أكره النظام المالي في الاسلام لأنه يحرم الربا أو ما سوى ذلك ، قال الله تعالى عن هؤلاء :

« والذين كفروا فتعساً لهم وأضلّ أعمالهم ، ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل الله فأحبط أعمالهم » .

(محمد : ٨ ــ ٩)

● ومن مظاهر الارتداد **الاستهزاء بشيء من الدين ، أو بشعيرة من شعائر الاسلام ..**

قال تعالى :

« يحذر المنافقون أن تنزّل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم قل استهزئوا إن الله مخرج ما تحذرون ، ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤون ، لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم إن نعفُ عن طائفة منكم نعذب طائفة بأنهم كانوا مجرمين » .

(التوبة : ٦٣ ــ ٦٥)

● ومن مظاهر الارتداد **تحليل ما حرّم الله وتحريم ما أحل الله .**
قال تعالى :

« ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب ، إن الذين يفترون على الله الكذب لايفلحون ، متاع قليل ولهم عذاب أليم » . (النحل : ١١٦)

ومن يفعل هذا فإنه منكر لما جاء من الدين بالضرورة ، ومنازع لله في حاكميته وتشريعه .. لهذا كان مرتداً كافراً !! ..

● ومن مظاهر الارتداد **الايمان ببعض الاسلام والكفر ببعض**

كأن يؤمن المسلم بأن الاسلام دين عبادة ويكفر أنه دين نظام وتشريع .. أو يؤمن بأن الاسلام جاء بالنظم الروحية والخلقية والتربوية .. ويكفر بالنظم الأخرى كالنظام السياسي أو النظام الاقتصادي أو النظام الاجتماعي .. قال تعالى :

« أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض ، فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحياة الدنيا ، ويوم القيامة يردّون الى أشد العذاب » .

(البقرة : ٨٥)

● ومن مظاهر الارتداد **الاقتصار على الايمان بالقرآن الكريم وجحود السنة النبوية** كالفرقة القاديانية التي صنعها الانكليز في الهند غايتها هدم الشريعة ، والتشكيك بنبوة الرسول عليه الصلاة والسلام ..

والقرآن الكريم نفى الإيمان عن كل من لا يحتكم للرسول صلى الله عليه وسلم في حال حياته ، ولسنته بعد وفاته ، قال تعالى :

« فلا وربك لا يؤمنون حتى يُحكموك فيما شجر بينهم ثم لايجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلّموا تسليماً » .

(النساء : ٦٥)

ومن المعلوم يقيناً أن طاعة الرسول عليه الصلاة والسلام هي طاعة لله سبحانه ، قال تعالى :

« ومن يطع الرسول فقد أطاع الله » .

(النحل : ٤٤)

وروى الترمذي وأبو داود وابن ماجه عن المقدام بن معد يكرب رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ألا هل عسى رجل يبلغه الحديث عني ، وهو متكىء على أريكته فيقول : بيننا وبينكم كتاب الله ، فما

وجدنا فيه حلالا استحللناه ، وما وجدنا فيه حراماً حرّمناه ، وإن ما حرّم رسول الله صلى الله عليه وسلم كما حرّمه الله » .

وفي رواية لأبي داود : « ألا إني أوتيتُ الكتاب ومثله معه » .

وعلى العموم يقول الله تعالى في وجوب الطاعة للرسول صلى الله عليه وسلم :

« وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ، واتقوا الله إن الله شديد العقاب » . (الحشر : ٤٧)

● ومن مظاهر الارتداد **الاستهزاء أو الغمز بفعل من أفعال الرسول صلى الله عليه وسلم** كأمثال من يغمز الرسول صلى الله عليه وسلم في تعدد زوجاته لكونه جمع بين تسع نسوة في آن واحد[1] ..

قال تعالى في سورة الحجرات :

« يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط اعمالكم وأنتم لاتشعرون » .

فإذا كان رفع الصوت أمام الرسول صلى الله عليه وسلم مظنّة ردة فكيف بما هو أكبر من ذلك ؟

● ومن مظاهر الارتداد **ادعاء البعض أن للقرآن الكريم باطناً يخالف الظاهر ، وظاهراً يخالف الباطن** ، وأن هذا الباطن يستقل بعلمه بعض الناس بواسطة الإلهام المزعوم .. فهذا الادعاء تعطيل للشريعة

---

(١) ارجع الى كتابنا « تعدد الزوجات . والحكمة من تعداد أزواج النبي صلى الله عليه وسلم » تجد ما فيه الكفاية من الحكمة في هذا التعدد .

الاسلامية بتعطيل نصوصها ، لأنه لا يبقى بعد ذلك أصـل يرجعون إليـه ، ولا قواعد من اللغة العربية يحتكمون اليها ، والقرآن الكريم نزل بلسـان عربي ٍّ مبين لقوله تعالى :

« إنا أنزلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون » .

« وكذلك أنزلناه حكماً عربياً » ...

فكل تفسير لأي آية من كتاب الله عز وجل لا يستند على الأثر أو على قواعد اللغة ، والبيان العربي ، وأقوال العرب فهو تفسير باطل يخرج صاحبه عن دائرة الإيمان ، وحقيقة الاسلام .. ولا شك أن أصحاب هذه الدعوات الضالة هم من أعظم الزائغين كفراً وتضليلا وإلحاداً !!..

ولقد ذكر القرآن الكريم هذا الصنف من الناس الذين يتبعون ما تشابه من القرآن ابتغاء الفتنة ، وابتغاء التضليل .. قال تعالى :

« هو الذي أنزل عليك الكتاب منـه آيات محكمات هن ّ أم الكتاب وأ ُخـر متشابهات ، فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل ّ من عندربنا وما يذ ّكر إلا أولوا الألباب ، ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب » .

(آل عمران : ٧)

والمقصود بابتغاء الفتنة في الآية(١) : طلب فتنـة المؤمنين عـن دينهم بالتشكيك والتلبيس وإثارة الشـُبه ..

والمقصود بابتغاء تأويله(٢) : طلب تأويل الكتاب وتحريفه ، التأويـل

---

(١)و(٢) التفسير منقول من كتاب « صفوة البيان » للشيخ حسنين مخلوف ج ١ ، ص ٩٦ .

الباطل الذي يشتهونه ، والتحريف السقيم الذي يقصدونه ، زاعمين أنه الغاية المراد منه ، وذلك شأن أهل البدع والأهواء والملاحدة في كل عصر ..

● ومن مظاهر الارتداد **عدم معرفة الله معرفة صحيحة** كاعتقاد أن الله تعالى يحلّ في المخلوقات ، أو وصفه بصفات لا تليق بجلاله سبحانه .

ـ فالذي يقول **إن الله سبحانه يحل في الأشخاص أو هو منبثّ في الوجود او هو محصور في جهة ...** فهو كافر وخارج عن ملّة الاسلام لقوله تبارك وتعالى :

((لاتدركه الابصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير)) ،

((ليس كمثله شيء وهو السميع البصير)) ،

((وجعلوا له من عباده جزءاً إن الانسان لكفور مبين)) ،

((لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح بن مريم)) .

ـ والذي يقول **إن الله هو ثالث ثلاثة** كافر ضالّ مضلّ .

((لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة ..))

ـ والذي ينسب الى الله سبحانه الولد كافر ضالّ ...

لقوله تبارك وتعالى :

((وقالوا اتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم شيئاً إدّاً ، تكاد السموات يتفطرن منه وتنشقّ الأرض وتخرّ الجبال هداً أن دعوا للرحمن ولدا ، وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولداً ..)) .

(طه : ٨٨ ـ ٩٢)

ـ والذي يصف الله بوصف لا يليق به كافر ضال .. ((لقد كفر الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء)) .

« وقالت اليهود يد الله مغلولة غلّت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان » .

إلى غير ذلك من مظاهر الردّة التي تخرج أصحابها من الاسلام وتدخلهم في حظيرة الكفر والضلال والزندقة والإلحاد ..

وقد حذّر رسول الاسلام صلوات الله وسلامه عليه من هذا الزمن الذي ستكون فيه الردة ما بين أمسية يُمسيها الرجل وصباح يستيقظ فيه ، وحضّ المؤمنين على المبادرة الى الاعمال الصالحة ، والتحصّن بدرع الإيمان مخافة أن ينزلقوا بمزالق الكفر ، أو يتأثروا بمؤثرات الارتداد .. قال عليه الصلاة والسلام : « بادروا الى الأعمال الصالحة فإنه ستكون فتن كقطع الليل المظلم ، يمسي الرجل مؤمناً ويصبح كافراً ، ويصبح مؤمناً ويمسي كافراً، يبيع دينه بعرض من الدنيا قليل .. » رواه الطبراني وابن ماجه .

« ربنا لاتزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك انت الوهاب » .

« آل عمران : ٨ »

★ ★ ★



ثانياً : التحذير من الإلحاد

المقصود بالإلحاد التنكر للذات الالهية ، وجحود الشرائع السماوية التي جاء بها الرسل صلوات الله وسلامه عليهم ، والاستهتار بكل الفضائل والقيَم المنسوبة الى وحي السماء ..

والإلحاد هو نوع من الردّة ، بل هو أنكى وأشد منها كما سيأتي بعد قريب بيانه .

وأصبح الإلحاد ــ وياللأسف ــ نظاماً قائماً بنفسه **تتبناه دول كبرى ،** وتفرضه على من تحت سلطانها بقوة الحديد والنار ، وبسلطان القسر والجبر والإكراه ..

وأصبح لهذه الدول في كل بلد عملاء وقيادات تدعو جهاراً نهاراً الى الإلحاد ، وجحود الأديان ، والتنكر للأنبياء .. بلا حياء ولا خجل !! ..

بل نجد أن هذه الدول الإلحادية التي تتبنى مبادىء ماركس ، ولينين .. تركّز في دعوتها الإلحادية على بلاد الاسلام بشكل خاص ، لما تعلم ما لمبادىء الاسلام من قوة دفع حضارية وسياسية وعلمية .. ولما تحمل هذه المبادىء من مقومات الشمول ، وخصائص التجدد والاستمرار !! ..

ولو تتبعنا دعوة هذه الدُوَل الى الإلحاد **لرأيناها تتفنّن في بث مبادئها الالحادية بفنون كثيرة ، وأساليب متنوعة .. للترويج لكفرها وضلالها :**

● فتارة يلبسون الماركسية ثوب الاسلام ويقولون : إن محمداً عليه الصلاة والسلام أول من دعا الى الاشتراكية ، وأول من سوّى بين الغني والفقير ، وأول من ألغى الملكية الجماعية .. فهو رسول الماركسية ، ونبي الشيوعية !! ..

● وتارة يقولون : إن المبادىء الماركسية لاتتنافى مع مبادىء الاسلام ، ولا تتعارض مع عدالة الاسلام الاجتماعية !![1] .

---

(١) في الاسلام غناء" عن كل المذاهب الاقتصادية المستوردة ، إرجع الى كتابنا « التكافل الاجتماعي في الاسلام » وكتاب « العدالة الاجتماعية » للمرحوم سيد قطب تجد فيها ما يشفي الغليل في الوسائل التي وضعها الاسلام في محو الفقر في المجتمع .

● وأخرى يقولون ما المانع من أن نأخذ الأنظمة الشيوعية كنظام اقتصادي ونبقى على ديننا مؤمنين مسلمين ؟ !! .

● وأحياناً يقولون : إن الدين شيء ، والمذاهب السياسية والاقتصادية شيء آخر ، فلا يجوز أن نخلط الدين بالسياسة ، أو ندخل الأنظمة الاقتصادية والنظريات العلمية بالدين !! ..

● وفي كثير من الأحيان يكون التحدي صريحاً ، والإلحاد سافراً لزرع التشكيك والكفر في نفوس المتحلّلين والزائغين .. كأن يقول قائلهم : « إن الله ، والأديان ، والإقطاع ، والرأسمالية ، والاستعمار ، والمتخمين .. وكل القيم التي سادت المجتمع السابق ليست إلا دمى محنطة في متاحف التاريخ » .

أو أن يقول : « لا إله في الكون والحياة مادة » ، « الدين أفيون الشعوب »، « الأنبياء لصوص كذابون » ...

ومن أساليب تضليلهم في ترويج إلحادهم استغلالهم النظريات العلمية وإقناع المضلَّل به على أنها حقائق ثابتة كترويجهم « لنظرية دارون » التي تتحدث عن أصل الحياة ، وكيف أن الحياة تطورت من الأدنى الى الأعلى إلى أن انتهت أخيراً بالانسان ؟ علماً أن هذه النظرية قد أبطلها العلم ، وألقاها في سلات المهملات[1] !! ..

وكترويجهم **لنظرية فرويد** التي تربط كل شيء بالجنس والشهوة ، وتفسر كل شيء في سلوك الانسان عن طريق الغريزة الجنسية . **والهدف الخبيث من وراء هذا الترويج** هو إنكار وجود الخالق العظيم .

(١) ارجع الى كتابنا « شبهات وردود » ففيها الردّ القاطع على نظرية دارون وبطلانها علمياً .

فيتبيّن من هذا التفنن في اصطناع الاساليب أن الماركسية الملحدة تعطي لكل حالة لبوسها ، ولكل فئة حجتها في الإقناع . ولكل طبقة من البشر ما يناسبها من التزوير والخداع .. حتى إذا ولج المخدوع الباب ، ووقع في شبكة الصياد زيّن له دعاة الماركسية المذاهب المادية ، والعقائد الإلحادية .. حتى يصلوا به الى الهدف الخبيث في تضليله .. فعندئذ لا يؤمن بدين ، ولا يعتقد بالإله ، ولا ينشد في الحياة مثلاً أعلى .. بل يكون من الزمرة الضالة الكافرة التي قال الله عنها :

« أولئك الذين لعنهم الله فأصمّهم وأعمى أبصارهم .. ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه فأحبط أعمالهم » .

(محمد : ٢٣ ـ ٢٨)

والإلحاد وإن كان يدخل في مفهوم الردّة **إلا أنه أعظم سوءاً وأشد خطراً على الفرد والمجتمع .. من أية ردّة أخرى كاعتناق اليهودية أو النصرانية أو البرهمية ..**

وذلك لأن الالحاد يميت في نفس الملحد الشعور بالمسؤولية ..

ويهدم في نفسيته الايمان بالغيب والمثل الأخلاقية الثابتة ..

ويدفعه أن يعيش في هذه الحياة العابثة عيشة البهائم ، لا دين يوجّهه ، ولا ضمير يؤنّبه ، ولا رقابة من الله تردعه ، ولا ثواب في الآخرة يرجوه ، ولا عقاب يوم يقوم الناس لربّ العالمين يخشى منه ..

ولقد سخر القرآن الكريم من هذه الزمرة اللئيمة الفاجرة حين قال :

« وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر وما لهم بذلك من علم ان هم إلا يظنون » .

(الجاثية : ٢٤)

وكشف عن تعاميهم المذموم ، وحيوانيّتهم الهابطة ، وإباحيتهم القذرة حين قال :

« ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والانس لهم قلوب لايفقهون بها ، ولهم آذان لا يسمعون بها ، ولهم أعين لايبصرون بها أولئك كالانعام بل هم اضلّ أولئك هم الغافلون » .

(الأعراف : ١٧٩)

وقال :

« والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الانعام والنار مثوىً لهم » .

(محمد : ١٢)

وقال :

« ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الأمل فسوف يعلمون » .

(الحجر : ٣)

والاسلام يقف تجاه المرتدين والملحدين موقفاً قاسياً وحاسماً حيث وضع عقوبة الاعدام بالسيف جزاء إصرارهم على الكفر وصدودهم عن الحق الأبلج المبين ..

روى الإمام البخاري وأحمد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من بدّل دينه فاقتلوه » .

وروى الشيخان عنه عليه الصلاة والسلام : « لا يحلّ دم امرىء مسلم إلا بإحدى ثلاث : الثيّب الزاني ، والنفس بالنفس ، والتارك لدينه المفارق للجماعة » .

ولكن المرتدّ أو الملحد لا يقتل حتى يمهل ثلاثة أيام ، وفي أثنائها يناقشه

أهل الاختصاص والعلم في أسباب ردته أو إلحاده ، ويزيلون من تصوره جميع الشبه الموهومة ، ويوضحون له معالم الحق المبين •• فإن بقي مصراً على الكفر أو الالحاد بعد ما تبين له الحق قتل بحد السيف ليكون عبرة لمن يريد أن يعتبر !! •

وإذا كوّن المرتدون أو الملحدون قوة ، وشكّلوا فيما بينهم جماعة وجب على أولي الأمر من المسلمين مقاتلتهم حتى يعودوا الى الاسلام الحق ، ولا يقبل منهم غير ذلك •• كما قاتل أبو بكر رضي الله عنه أهل الردة ولم يرض منهم إلا الاسلام ، وكما قاتل الخليفة العباسي المهدي « المقنّع » الذي ادّعى الألوهية في خراسان ، وأسقط على أتباعه الصلاة والصوم والزكاة والحج •• وأباح للناس الأموال والنساء •• وكان ذلك سنة ١٦٩ هـ •

وإنما فرض الاسلام هذه العقوبة القاسية على المرتدين والملحدين لثلاثة أسباب :

الأول : حتى لاتجتذب المغريات بعض ضعاف النفوس ، وتحملهم على الردة أو الإلحاد استجابة لداعي الإغراء •

الثاني : حتى لا يفكر منافق بالدخول في الاسلام ثم الخروج منه تشجيعاً لحركة الردة أو الإلحاد ، وزرع البلبلة والفتنة في أنحاء المجتمع الاسلامي •

الثالث : حتى لا تقوى شوكة الكفر ، فتشكل الخطر الأكبر على دولة الاسلام ، فتعمل على حرب الإبادة للمسلمين حين تتاح لها الظروف والمناسبات •

ولكي تظهر للعيان حقيقة الالحاد والملحدين في تحزّبهم وإجرامهم وتآمرهم أسوق لك ــ اخي المربي ــ هذه الأمثلة التاريخية ، لتعلم ماذا يريد الملحدون من المسلمين حين تتاح لهم الفرص ، وتسنح لمجرميهم الظروف :

● **لقد أبادت الصين الشيوعية ، وروسيا الشيوعية من المسلمين ستة عشر مليونا ...** بمعدل مليون في السنة .. ومـا تزال عمليات الإبـادة ماضية في الطريق ، وقـد وقع **في القطـاع الصيني مـن التركستان المسلمـة** ما يغطي على بشاعة التتار في الماضي ، لقد جيء بأحـد زعمـاء المسلمين ، فحفرت له حفرة في الطريق العام ، وكُلّف المسلمون تحت وطأة التعذيب والإرهاب أن يأتوا بفضلاتهم الآدمية فيلقوها على الزعيم المسلم في حضرته.. وظلت العملية ثلاثة أيام ، والرجل يختنق في الحفرة على هذا النحو حتى مـات !!.

● **كذلك فعلت يوغسلافيا الشيوعية بالمسلمين فيها حتى ابادت منهم مليونا** منذ الفترة التي صارت فيها شيوعية بعد الحرب العالمية الثانية الى اليوم ، وماتزال عمليات الابادة والتعذيب الوحشي ـ التى من أمثلتها البشعة القاء المسلمين رجالا ونساء فى مفارم اللحوم التى تصنع لحوم (البولوبيف) ليخرجوا من الناحية الأخرى عجينة من اللحم والعظام والدماء ـ ماضية حتى الآن ! !.

● وما يجري في يوغسلافيا **يجري في جميع الدول الشيوعية** الآن .. في هذا الزمان . وكم سمعنا عن مجازرالشيوعيةفي العراق وعن فتكهم وإجرامهم في مدينـة (الموصل) في عهـد عبد الكريم قاسـم ، وعن حـوادث السحل ، والقتل ، والتمثيل .. بالدعاة المؤمنين ، والزمرة المسلمة هنـاك ؟.. وصدق في حقهم بما بدر منهم من غدر وإجرام وخيانـة قوله تبارك وتعالى :

« كيف وإن يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم إلاّ ولا ذمـة .. ؟ » .

وقولـــه :

« لا يرقبون في مؤمن إلاً ولا ذمة وأولئك هم المعتدون »(١) .

(التوبة : ٨ ــ ١٠)

فما عليك ــ أخي المربي ــ بعد تبيان هذه الحقائق إلا أن تسعى جاهداً في تحذير ولدك من براثن الرّدة ، ومخالب الإلحاد .. حتى ينشأ الولد على الإيمان الراسخ ، والاسلام المتين ، والاستقامة المثلى .. وتتعمق هذه المعاني في فطرته السليمة ، وقلبه الصافي ، ونفسه البريئة .. عندئذٍ لايرضى سوى الله رباً ، والاسلام ديناً ، ومحمد صلى الله عليه وسلم نبياً ورسولا ، والقرآن العظيـــم منهاجاً وإماماً !!..

ويكون من الذين أنعم الله عليهم بنعمة الايمان ، وكرامة الاسلام الى يوم أن يلقى الله عز وجل !!



(١) ارجع الى كتاب « الشيوعية والاسلام » للمؤلفين : المرحوم عباس محمود العقاد ، والاستاذ أحمد عبد الغفور العطار ، وارجع الى الظلال في تفسير قوله تعالى : « كيف وإن يظهروا عليكم لايرقبون فيكم إلاً ولا ذمة » فــي سورة التوبة تجــد ما يفتّت الكبد من مؤامرات الشيوعية على بلادالاسلام والمسلمين وإجرامهم الأثيم . علماً أننا بحثنا بشيء من التفصيل في فصل «الوسـائل المؤثرة في التربيـــة » عن مخططات الشيوعية لحرب الاســـلام فارجع اليـــه .

ثالثاً : التحذير من اللهو المحرم

الاسلام بتشريعه السامي ، ومبادئه الحكيمة حرم على المسلمين أصنافاً من اللهو ، وألواناً من الترفيه •• لضررها البالغ على أخلاق الافراد ، واقتصاد المجتمع ، وكيان الدولة ، وكرامة الأمة ، وتماسك الاسرة ••

وها نحن أولاء **سنضع بين يدي المربين هذه الأصناف من اللهو المحرم** حتى ينتبهوا لها ، ويحذروا منها بعد اعطائهم القدوة في تجنبها والابتعاد عنها وعلى الله قصد السبيل ، ومنه نستمد العون والتوفيق :

١ ــ اللعب بالنرد (الطاولة) :

من اللهو المحرم اللعب بالنرد سواء أكان اللعب على رهان أم كان لأجل التسلية البريئة[١] •• **والدليل على الحرمة** ما رواه مسلم وأحمد وأبو داود عن بريدة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « مَن لعب بالنردشير (طاولة الزهر) فكأنما صبغ يده في لحم خنزير ودمه » • وروى أحمد وأبو داود وابن ماجه ومالك في الموطأ عن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « مَن لعب بالنرد فقد عصى اللهَ ورسوله » •

---

(١) لا عبرة بما نقله الأستاذ القرضاوي في كتابه « الحلال والحرام » عن الشوكاني عن ابن المسيب وابن مغفّل بانهما رخّصا في النرد على غير قمار لأن الصيغة التي اتى بها الشوكاني (رُوِيَ . .) ولفظ روي يفيد الضعف، وما كان ضعيفاً لا يقرر حكماً من احكام الشريعة ، وهذه الأحاديث التي أوردناها في تحريم النرد حجة على كل من قال بالجواز والحق لا يقاس بالرجال ، وإنما يقاس الرجال بالحق .

والحكمة في هذا التحريم أن اللعب بالنرد ـ ولو كان على غير رهان ـ يستهلك قدراً كبيراً من أوقات اللاعبين ، وهذا الاستهلاك يصرفهم عن كثير من واجباتهم الدينية ، والتربوية ، والدنيوية .. فضلاً عن كونه وسيلة تؤدي الى اللعب على الرهان ، وهذا هو القمار بعينه ، والمسلم في هذه الدنيا خلق لأجل أن يؤدي رسالة ، ويبلّغ أمانة ، ويقوم بواجب .. فهل عنده شيء من الوقت ليلهو هذا اللهو الرخيص ، ويقع في مثل هذا الترفيه المحرم ؟ وصدق من قال : « الواجبات أكثر من الاوقات » ، وما أحسن من قال : « الوقت كالسيف إن لم تقطعه قطعك » .

وها هو ذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمر كل مسلم بأن يغتنم حياته في النفع الكبير ، والخير الجزيل سواء أكان هذا النفع والخير لنفسه أو أهله أو مجتمعه ؟!!...

روى الحاكم بسند صحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « اغتنم خمساً قبل خمس : حياتك قبل موتك ، وصحتك قبل سقمك ، وفراغك قبل شغلك ، وشبابك قبل هرمك ، وغناك قبل فقرك » .

٢ ـ الاستماع الى الغناء والموسيقى :

من اللهو المحرم الاستماع الى الغناء المصحوب بموسيقى مهما كان هذا الغناء مباحاً للأدلة التي سوف نوردها في تحريم الموسيقى ، وكذلك الغناء المائع الذي يثير كوامن الغريزة والشهوة ، وكذلك الغناء الذي فيه وصف امرأة معينة ، وكذلك الغناء الذي يدعو الى شعارات كافرة ، ومبادىء ضالة .. وماشابه هذا ..

والادلة على التحريم ما رواه ابن عساكر في تاريخه ، وابن صَصْري في أماليه عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : « مَن قعد الى قَيْنَةٍ يستمع منها صبّ الله في أذنيه الآنُكَ (الرصاص المذاب) يوم القيامة » .

وروى الترمذي عن علي كرم الله وجهه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إذا فعلت أمتي خمس عشرة خصلة حلّ بها البلاء : « إذا كان المغنم دولا . والأمانة مغنماً ، والزكاة مغرماً ، وأطاع الرجل زوجته وعقّ أمه ، وبرّ صديقه وجفا أباه ، وارتفعت الأصوات في المساجد ، وساد القبيلة فاسقهم ، وكان زعيم القوم أرذلهم ، وأُكرم الرجل مخافة شره ، وشربت الخمر ، ولبس الحرير ، واتخذت القينات (المغنيات) والمعازف ، ولعن آخر هذه الأمة أولها ، فليرتقبوا عند ذلك ريحاً حمراء أو خسفاً أو مسخاً » .

وروى مسدّد وابن حبان عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «يمسخ قوم من أمتي في آخر الزمان قردة وخنازير» قالوا : يارسول الله أمسلمون هم ؟ قال : « نعم ويشهدون أن لاإله إلا الله وأني رسول الله ويصومون » ، قالوا : فما بالهم يارسول الله ؟ قال : « اتخذوا المعازف والقينات ، والدفوف ، وشربوا الأشربة (الخمر) ، فباتوا على شرابهم ولهوهم فأصبحوا وقد مسخوا » .

الى غير ذلك من الاحاديث الكثيرة التي تحرم الإنشاد الفاسق . والغناء الشهواني المائع ..

أما ما يباح وما يحل من الغناء فإليك خلاصة ما نقله العالم المرحوم الشيخ محمد الحامد في رسالته « حكم الاسلام في الغناء » عن الفقهاء : « يباح الغناء إن كان لبعث الهمة على العمل الثقيل ، أو لترويح النفس أثناء قطع المفاوز كالارتجاز . فقد ارتجز النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم في بناء المسجد . وحفر الخندق .. وكالحداء الذي يحدو به الأعراب

إبلهم ، وكالشعر السالم من الفحش ووصف الخمر وحاناتها والتشبيب بامرأة حيّة معيّنة ، والخالي أيضاً من هجاء مسلم أو ذمي، فإن الغناء بهذه المحترزات حـــرام .

فإن كان التشبيب (ذكر المحاسن) بغير معين جاز، فقد أنشد كعب بن زهير بحضرة النبي صلى الله عليه وسلم قوله :

وما سعادُ غـداةَ البَـين إذْ رحلوا
إلا أغنّ غضيضُ الطـرف مكحـول

تجلو عوارض ذي ظَلْمٍ إذا ابتسمت
كأنـه منهـلٌ بالرّاح مَعْلول

وقد سمع النبي صلى الله عليه وسلم أيضاً قصيدة حسان التي أولها :

قبلت فؤادك في المنـام خريـدة
تسقي الضّجيـع ببـارد بسّام

ومن هذا النوع المباح غناء النساء لينام الصغار .

ومنه الغـزل البريء كالذي يقوله النساء في الأعراس ولا رجال يسمعونهن ، فقـد أذن النبي صلى الله عليه وسلم أن يقلن :

أتيناكـم أتيناكـم فحيـانا وحيّاكـم
ولولا الحبـة السمراء ما حللنـا بواديكـم

ومنه الزهريّات المجردة مما فيه وصف الرياض والرياحين والأنهار ...

فهذا كله جائز إن لم يثقل على آلة لهو محرمـة ، فإن قيـل عليهـا كـان محظوراً ولو وعظاً وحكماً لمكان الآلة لا لذات التغني بالمباح .. » اهـ .

★ ★ ★

اما اتخاذ المعازف والاستماع اليها فإنها محرمة للأدلة التالية :

ـ سبق أن ذكرنا قبل قليل حديث : « إذا فعلت أمتي خمس عشرةخصلة حل بها البلاء •• والتي منها : واتخذت القينات والمعازف •• » •

ـ وسبق أن ذكرنا حديث المسخ في آخر الزمان الذي من أسبابه « •• اتخذوا المعازف والقينات ••• » •

ـ وروى الامام أحمد بن حنبل ، وأحمد بن منيع ، والحارث بن أبي أسامة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إن الله عز وجل بعثني رحمة وهدى للعالمين ، وأمرني أن أمحق المزامير ، والمعازف ، والخمور ، والأوثان التي نعبد في الجاهلية ••• » •

ـ وروى البخاري وأحمد وابن ماجه وغيرهم أنه عليه الصلاة والسلام قال : « ليكونن ّ فيأمتي أقوام يستحلو ّن الحِرَ (الزنا) ، والحرير ، والخمر ، والمعازف » •

الى غير ذلك من هذه الاحاديث التي تحرم اقتناء آلات الطرب ، وتنهى عن العزف بها ، والاستماع اليها ••

والحكمة في التحريم ظاهرة :

إن المتتبع لمجالس الغناء الفاسق ، ومسارح الطرب ، وأماكن اللهو •• وما يصحبها من معازف وآلات •• فماذا يجد ؟

يجد الرقص الخليع الفاجر من مومسات امتهن ّ الرذيلة والفاحشة •

يجد كؤوس الخمر تدار هنا وهناك ••

يجد العربدة والصياح يتعالى من أفواه السكارى والمخمورين ••

يجد الكلمات البزيئة الفاحشة العارية من الحياء والخجل ، والمثخنة بالوقاحة وسوء الأدب ..

يجد الاختلاط الشائن بين عوائل متحلّلة حيث التخلّع والمراقصة وهدر النخوة والشرف ..

وباختصار يجد التحلّل والإباحية في أسوأ تبذلها ومظاهرها ..

وتلك خطة المستعمرين ـ كما يقول استاذنا الحامد ـ يغرقون الامم التي استعمروها بسيول الأغاني الموبقة ، وبافتتاح المسرح الماجن ، وبالخمر ، وبالنساء .. كيلا تصحو لواجب أو تنهض الى معروف ، أو تدعو الى خير !!..

ومن المعلوم أن أمة الاسلام في الماضي لم تصل الى ذروة العظمة والمجد والقوة .. ولم تملك أكثر المعمورة شرقاً وغرباً إلا بطرح مظاهر الخلاعة والمجون التي حرمتها شريعة الاسلام .. إلا بالتزام النظام الرباني منهاجاً وتشريعاً وتطبيقاً .. إلا بالجدّيّة الحقة التي كانت من خصائص الرجال والشباب ، والصغار والكبار .. إلا بحبهم للموت كما يحب أعداؤهم الحياة .. إلا باستشعار الجيل كله مسؤولية الاسلام ..

ولايصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها ..

فإن أردتم ـ أيها المربون ـ لأجيالكم العزة ، ولأمة الاسلام النصر، ولبلادكم الحضارة والعلم .. فليس أمامكم من سبيل إلا أن تربوا أبناءكم على الجدية ، واتباع النظام الرباني ، واستشعار المسؤولية ، وحب الشهادة في سبيل الله ، حتى تعيدوا لأمتكم المجد والعظمة والخلود والمهابة .. وليس ذلك على الله بعزيز .

٣ ـ رؤية السينما والمسرح والتلفزيون :

سبق أن ذكرنا في فصل « مسؤولية التربية الخلقية » في القسم الثاني من كتاب « تربية الاولاد في الاسلام » أن اختراع وسائل الإعلام الحديثة من مذياع ، وتلفزيون ، وآلة تسجيل ، وسينما •• وغيرها هو من أرقى ما وصل إليه العقل البشري في العصر الحديث ، بل من أعظم ما أنتجته الحضارة المادية في القرن العشرين •• وأنها سلاح ذو حدين تستعمل للخير وتستعمل للشر ••

ومما ذكرنــاه : أن هذه الاختراعات إن استخدمت في الخير ، ونشر العلم ، وتثبيت العقيدة الاسلامية ، وتدعيم الاخلاق الفاضلة ، وربط الجيل الحاضر بأمجاده وتاريخه ، وتوجيه الأمة الى ما يصلحها في أمور دينهـــا ودنياها •• فلا يختلف اثنان في اقتنائها وجواز استعمالها ، والاستمـــاع اليها •• أما إذا استعملت لترسيخ الفساد والانحراف، ونشر الميوعة والانحلال، وتحويل الجيل الحاضر الى طريق غير طريق الاسلام •• فلايشك عاقل منصف يؤمن بالله واليوم الآخر بحرمة استعمالها ، وإثم اقتنائها ، ووزر من يستمع إليهـــا ••

ومما استطردناه ايضاً : ونحن لو تتبعنا برامج التلفزيون في بلادنا نجد أن أكثر برامجه ترمي الى هدر الفضيلة والشرف ، وتوجّه نحو الخنا والزنى ، وتدفع نحو الميوعة والإباحية ، والمفاسد الاجتماعية ••

وقليل من برامجه ما يهدف الى العلم ، ويوجه نحو الخير ، وينفع الأمة في دينها ودنياها ••

وانتهينا اخيراً إلى هذا الحكم : إن اقتناء التلفزيون ، والنظر اليه ، والاستماع الـــى برامجه الحالية يعدّ من أكبر الحرام ، وأعظم الإثم ••

ومما يلحق بالتلفزيون بالحرمة والاثم ارتياد دور السينما والمسارح الليلية ، وأماكن اللهو والفجور .. للأدلة التالية[1] :

١ ــ من مقاصد الشريعة الاسلامية ــ كما هو مقرر ــ **هو حفظ النسب والعرض ..** وباعتبار أن أكثر ما يعرض في هذه الافلام والمسرحيات ودور اللهو .. يستهدف هدر الشرف والفضيلة، وضياع العرض والنسب.. فإن الدخول اليها ، وارتياد أماكنها ، والنظر الى ما يعرض فيها يعد من الحرام ، وارتكاب الإثم ، والإغضاب لله ورسوله !!.

٢ ــ روى مالك ، وابن ماجه ، والدارقطني عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لاضرر ولا ضرار » ، وباعتبار أن الافلام الحالية ، والمسرحيات الليلية .. توجه فيما يعرض فيها الى الميوعة والانحلال ، وتثير في المجتمع كوامن من الغريزة والشهوة ، وتدفع الى الخنا والزنى والفاحشة .. يحرم على المسلم أن يرتاد أماكنها ، ويشاهد ما يعرض فيها حفاظا على أخلاق الفرد والمجتمع ، وقطعاً لدابر الفساد والانحلال ، وامتثالا لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم القائل : « لاضرر ولا ضرار » .

٣ ــ من المعلوم أن ما يعرض في السينما والمسارح الليلية ودور اللهو **مصحوب دائماً بالمعازف ، والغناء الفاسق الخليع ، والرقص المقترن بالخلاعة والتكشف ..** وباعتبار أن هذه الأشياء محرمة ــ كما سبق بيانها قبل قليل ــ فإن الدخول الى هذه الأماكن ، ومشاهدة مايعرض فيها هو من اللهو المحرم بل هو من أكبر الإثم ، وأعظم الحرام .

---

(١) سبق ان ذكرنا في فصل « مسؤولية التربية الخلقية » في القسم الثاني من كتاب « تربية الاولاد في الاسلام » ادلة تحريم الاسلام للتلفزيون ، والآن نورد نفس هذه الأدلة مع شيء من التصرف للحالة المتشابهة بين التلفزيون والسينما والمسرح .

وفي مجال الكلام عن التلفزيون والمسرح والسينما .. **اريد ان أبين لكل مربٍ يؤمن بالله ورسوله هذه الحقيقة الهامة :**

إن من مخططات اليهود انهيار الاخلاق في المجتمعات الانسانية غير اليهودية . لقد جاء في بروتوكولاتهم : « يجب أن نعمل لتنهار الاخلاق في كل مكان فتسهل سيطرتنا ، إن « فرويد » منا ، وسيظل يعرض العلاقات الجنسية في ضوء الشمس لكي لايبقى في نظر الشباب شيء مقدس ، ويصبح همه الأكبر ارواء غرائزه الجنسية ، وعندئذ تنهار أخلاقه » ، ومن وسائل انهيار الأخلاق عندهم إفساد الانسانية عن **طريق وسائل الاعلام ودور النشر ، وعن طريق المسرح والسينما ، والبرامج الاذاعية .. وعن طريق كل عميل خائن ، وكاتب مأجور ..** واستطاع اليهود بمكرهم وخبثهم أن يفسدوا الشعوب عن طريق الثقافات العامة ، والفنون والملاهي ، ودور الدعارة والمجون ، وأشباهها . اسمعوا الى ما يقولونه **في البروتوكول الثالث عشر** « ولكي نبعد الجماهير من الأمم غير اليهودية عن أن تكشف بأنفسها أيّ خط عمل جديد لنا ، سنلهيها بأنواع شتى من الملاهي ، والألعاب .. وهلم جرّا .. وسرعان ما نبدأ الإعلان في الصحف داعين الناس الى الدخول في مباريات شتى من كل أنواع المشروعات كالفن ، والرياضة ، وما اليها ، إن هذه المتع الجديدة ستلهي ذهن الشعب حتماً عن المسائل التي سنختلف فيها معه ، وحالما يفقد الشعب تدريجياً نعمة التفكير المستقل بنفسه ، سيهتف جميعاً معنا لسبب واحد ، هو أننا سنكون أعضاء المجتمع الوحيدين الذين يكونون أهلا لتقديم خطوط تفكير جديدة ، وهذه الخطوط سنقدمها متوسلين بتسخير آلاتنا وحدها ، من أمثال الاشخاص الذين لا يستطاع الشك في تحالفهم معنا ، إن دور المثاليين المتحررين سينتهي حالما يعترف بحكومتنا ، وسيؤدون لنا خدمة طيبة حين يحين ذلك الوقت » .

أعرفت ــ أخي المربي ــ ماذا يخطط اليهود في بروتوكولاتهم ؟

أليسوا يعملون ليل نهار لإفساد عقول الناس وأخلاقهم حتى يصلوا الى إقامة دولتهم المرتقبة ؟

أليسوا يخطّطون في أن يشتغل الناس باللهو ، واللعب ، والشهوات ، والمرفّهات عن التفكير السليم ، والعمل البناء ، والإخلاص للوطن ..؟

أتعرف ــ أخي المربي ــ أن الذين يَجْرون وراء الزنى ، والإلحاد ، والتخنفس ، والانحلال ، والشهوات .. والمسارح الليلية ، والأفلام الداعرة .. من شبابنا وشاباتنا ، ما هم في الحقيقة إلا منفذّون من حيث يعلمون أولا يعلمون مخططات يهود ؟

فإذا عرفت ــ أخي المربي ــ فما عليك إلا أن تحذّر ولدك من ارتياد هذه الأماكن الموبوءة من سينما ، ومسرح ، ودور لهو .. لأنها في وضعها الحالي مفسدة للعقيدة والاخلاق بل هي من مخططات اليهود ــ كما علمت ــ لإفساد الفرد المسلم ، والأسرة المسلمة ، والجيل المسلم .. إن في ذلك ذكرى للذاكرين ..

قد يقول قائل : ما المانع من الدخول الى السينما أو المسرح .. إذاكانت المواضيع المعروضة فيهما نافعة للأمة في دينها ، وأخلاقها ، وتاريخها ؟.

هذا الاعتراض مردود للأمور التالية :

١ ــ لوجود الاختلاط بين النساء والرجال أثناء العرض ، والاسلام يحرم الاختلاط .

٢ ــ لما يتخلّل أثناء العرض في الفلم التاريخي أو المسرحية التاريخية من ظهور نساء سافرات فاتنات ، أو ظهور لقطات جاهلية من رقص فاجر ، وغناء خليع .. والاسلام يحرم النظر الى كل ما يهيج الغريزة ، ويثير الفتنة .

٣ ـ لاختصاص السينما أو المسرح في أكثر مواضيعهما في عرض المناظر الفاسدة ، والمشاهد المائعة الماجنة .. حتى أصبحا علماً للتحلل ، وعنواناً للفساد .. ويحرم على المسلم أن يرتاد موطن الشبهة ، ومكان التهمة لقوله عليه الصلاة والسلام : « من وقع في الشبهات وقع في الحرام » .

٤ ـ لانجذابه الى الدخول مرة ثانية وثالثة ورابعة .. لتجرئه وهو في الحياء الاسلامي الى الدخول في المرة الأولى ، « وإنما الصبر عند الصدمة الأولى » ، أما في المرات التي تليها فلا تحفّظ ولا رادع ، وبالتدريج ينعدم الخجل والحياء .. وقد يؤدي هذا في الغالب الى الشذوذ والانحراف ..

نعم في حال وجود **هيئة دينية** موثوقة أشرفت على تخصيص أماكن خاصة مستقلة لعرض أفلام علمية واجتماعية ، ومسرحيات توجيهية وتاريخية.. ولم يتخللها شيء من المفاسد والمفاتن والمحرمات.. فعندئذ يجوز للشباب المسلم أن يرتادوها للاستفادة من برامجها الهادفة ، وموضوعاتها القيمة .. أما ما عدا ذلك فإن ارتياد هذه الأماكن من أكبر الإثم وأعظم الحرام في نظر الإسلام .

وقد يعترض معترض آخر فيقول ما المانع من استعمال الجهاز التلفزيوني في الأمور النافعة ، والبرامج المفيدة كالاستماع الى القرآن الكريم ، والاخبار ، والبرامج التي تتصل بالعلم والتوجيه ، وطرح ما عداها من المشاهد الماجنة ، والمناظر الفاسدة ؟.

ولكن في الحقيقة أن هذا الادعاء لا يمتّ الى الواقع والصدق بصلة أبداً ، لأنه من المشاهد أن الذي يقتني الجهاز التلفزيوني لابد إلا أن يستقصي برامج الليلة من الألف الى الياء ، لأن الشيطان ـ أخزاه الله ـ واقف له بالمرصاد يوسوس له ويوحي إليه أن المفيد النافع سيكون بعد هذا البرنامج ، أو بعد هذه الأغنية أو بعد هذا الخبر .. الى أن ينتهي الوقت المخصص للبرنامج .. وعلى فرض أنه ضبط الأمور ، وأصبح عنده من قوة الشخصية

والارادة ما يجعله أن يتحكم أثناء وجوده في اختيار المفيد النافع ، ولكن هل يضمن أن تنضبط الامور عند غيابه حين يترك الجهاز بين أهله وأولاده ؟ فحتماً الجواب ، لا • ثم متى سيحكم على هذا العرض بالفساد ، حتماً سيكون بعد المشاهدة ، ومعنى هذا أن الأسرة رأت الفساد المتخلّل أثناء وجوده في اختيار المفيد النافع ، ولكن هل يضمن أن تنضبط الأمور عند غيابه حين يترك الجهاز بين أهله وأولاده ؟ فحتماً الجواب ، لا • ثم متى سيحكم على هذا العرض بالفساد ، حتماً سيكون بعد المشاهدة ، ومعنى هذا أن الأسرة رأت الفساد المتخلّل أثناء العرض بدون تحفظ ، وان ابليس لعب دوراً كبيراً في تحسين المنكر ، وتزيين الباطل حتى ينتهي عرض البرامج كلها •

وكثير من الاحيان أن الأب الغيور حين يرى في العرض مايخل بالشرف والأدب ، وما يظهر من الميوعة والانحلال •• ويصر على إطفاء الجهاز قد تمنعه زوجته أو ما يلوذ به من أهل وأقرباء وولد •• فتقع بين أفراد الأسرةالمشادّدة والمنازعة ، ولاندري ماذا تترك هذه الخصومات من آثار نفسية واجتماعية•• وماذا تؤول اليه من نتائج وخيمة سيئة ••؟ وكم وقعت حوادث في الطلاق ، وفتن بين الأولاد ، وأعضاء الأسرة بسبب هذه المشاحنات والمنازعات ؟

فتبيّن على ضوء ماذكر أن التحكم الإرادي في اختيار المفيد النافع من البرامج التلفزيونية هو أمر يشبه المستحيل ، ولا يمكن تحقيقه في عالم الواقع !!••

والمسلم يجب أن يحتاط لدينه وعرضه ، وتربية أسرته ، ولا يتأتى ذلك إلا بإبعاد الخطر عن جو البيت والأسرة •

وأي خطر على العرض والشرف والأخلاق أعظم من البرامج التلفزيونية الحاضرة ؟

وأمر آخر يجب التنبيه له والاشارة اليه :

هو أن بعض الآباء يشترون لأولادهم الجهاز التلفزيوني بحجة كفّهم عن السينما وأماكن اللهو والفجور ؟

والحقيقة أن حجتهم داحضة ، ودعواهم باطلة للأمور التالية :

١ ــ إن المنكر لا يزال بمنكر آخر يقوم مقامه •

٢ ــ إن المنكر الذي يترتب من اقتناء التلفزيون هو أعظم من المنكر الذي نرتب من ارتياد أماكن اللهو والفجور ، ذلك لأن مفاسد التلفزيون يومية ومستمرة يراها الصغير والكبير ، والصالح والطالح ، والمرأة والرجل •• أما مفاسد دور اللهو والفجور فانها موسمية ومؤقتة ، وقاصرة على الأولاد الشاذين ، والكبار المنحرفين •

٣ ــ يتسبب من الاقتناء التلفزيوني أخطار اجتماعية كبيرة ، ومفاسد خلقية لا تحمد عقباها للسهرات العائلية الدائمة ، واللقاءات المختلطة المستمرة بين الجيران والاصدقاء ، والنساء والرجال •• وكم أعراض انتهكت ، ودماء أريقت ، وفتن أثيرت •• من لعنة هذا التلفزيون والاختلاط ؟

بعد الذي ذكرناه لم يبق أية حجة للذين يدّعون أن وجود التلفزيون في البيت يكف الأولاد عن الشر ، ويحجبهم عن المفاسد !!••

هذا عدا ما للتلفزيون :

من اضرار صحية كإضعافه البصر ••

واضرار نفسية كتعلق القلب بممثلة حسناء شغلت لبّه وتفكيره ••

واضرار تعليمية كإشغال الأولاد عن واجباتهم الدراسية ••

واضرار فكرية كإضعافه الذاكرة وملكة التفكير والفهم ••

واضرار اقتصادية كإتلاف المال في شرائه والأسرة بأمس الحاجة الى الحاجات الضرورية)[1] •

٤ ـ اللعب بالميسر :

من اللهو المحرم في نظر الاسلام القمار بشتى أشكاله وأنواعه

((وهو كل لعب بين فريقين تتحقق الخسارة من فريق والربح لآخر على سبيل المصادفة والحظ)) •

والدليل على التحريم قوله تبارك وتعالى : « يا ايها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والانصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون ، إنما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل انتم منتهون » •

(المائدة : ٩٠ ـ ٩١)

والحكمة في التحريم :

● القمار يجعل الانسان يعتمد في كسبه على المصادفة والحظ ، والأماني الفارغة لا على العمل والجد ، وكدّ اليمين ، وعرق الجبين ، واحترام الاسباب المشروعة ••

---

(١) ارجع الى ما كتبه المؤلف في كتابه « حكم الاسلام في وسائل الاعلام » ، فان فيه ما يشفي الغليل عن حكم الاسلام في التلفزيون والمسرح والسينما • •

● القمار أداة لهدم البيوت العامرة ، وتفريغ الجيوب الممتلئة ، وافتقار العوائل الغنية ، وإذلال النفوس العزيزة ••• وكم سمعنا عن نفوس ذلت بعد عــز ، وعن عوائل افتقرت بعد غنى ؟

● القمار يورث العداوة والبغضاء بين المتلاعبين لأكل الأموال بينهــم بالباطل وحصولهم على المال بغير حق ••

● القمـــار يصدّ عن ذكر الله وعن الصلاة ، ويدفع بالمتلاعبين الى أسوأ الأخلاق ، وأقبح العادات •• روى البيهقي أنه صلى الله عليـــه وسلم مرّ على قوم يلعبون بالنرد فقال : « قلوب لاهية ، وأيدٍ عاملة ، وألسنة لاغية » أي قائلة ما هو لغو وباطل •

● القمار هواية آثمة تلتهم الوقت والجهد ، وتعوّد على الخمول والكسل ، ويعطل الأمّة عن العمل والانتاج ••

● القمار يدفع صاحبه الى الاجرام لأن الفريق المفلس يريد أن يحصل على المال من أي طريق كان ، ولو عن طريق السرقة والاغتصاب ، أو الرشـــوة والاختلاس •••

● القمـــار يورث القلق ويسبب المرض ، ويحطم الأعصاب ، ويولـــد الحقد •• ويؤدي في غالب الأحيـــان الى الاجرام أو الانتحـــار أو الجنون أو المرض العضال •••

ولا يستبعد ــ كما يقول الاستاذ القرضاوي ــ على مَن تعشّق «المائدة الخضراء» ــ كما يسمونها ــ أن يبيع من أجلها دينه وعرضه ووطنه •• لأجل إشباع نهمة المال والجنس •

ومن القمار المحرم :

● **شراء أوراق اليانصيب ،** لأن اليانصيب يعتمد على المصادفة والحظ ، وهو لون من ألوان القمار المحرم ، ولا ينبغي الترخيص به ، والتساهل فيه ولو كان باسم الجمعيات الخيرية ، والأغراض الانسانية ، علماً بأن الميسر الذي كان متداولا بين العرب في الجاهلية كان يؤول في النهاية الى طريق البر ، وجهة الخير ، دون أن يأخذ الرابح لنفسه شيئاً .. فهو يشبه الى حد كبير مشروعات اليانصيب التي يرصد ريعها الى جهات خيرية ، ومبرّات انسانية.. في عصرنا اليوم .

والاسلام يعتبر مبدأ « **الغاية تبررها الوسيلة** » من المبادىء الهدامة التي يروّجها اليهود للوصول الى غاياتهم ، بل المبدأ الذي يتخذه الاسلام في السعي الى أية غاية نبيلة هو سلوك الوسائل الشريفة ، فالتبرع مثلا لأي عمل انساني خيري لا يعترف عليه الاسلام إلا إذا كانت الوسيلة التي تؤدي اليه طاهرة وشريفة.. ، أما عن طريق القمار المحرم أو الاقتطاع المغتصب فلا لكونه حراماً. وما قيمة تبرع لم تتحقق وسائله على نوازع الخير ، وبواعث الرحمة ، ومعاني البر والاحسان ؟

وما قيمة إنفاق لم تنبع منابعه من معين الإيمان الصافي ، وسلسبيل الاسلام العذب ؟

فلنربّ أبناءنا على البذل الخالص ، والإنفاق المشروع .. حتى ينبعثوا من ذواتهم الى المساهمة في جهات الخير ، ويحظوا بالأجر والثواب في مقعد صدق عند مليك مقتدر !!

● **ومن القمار المحرم اللعب على المراهنة** سواء أكانت المراهنة على اللعب بالكرة أو بالحمّام أو بالشطرنج .. أو مايشابه هذا ..

وصورته : أن يشترط كل من الفريقين على الآخر ، أو أحد الفريقين على الآخر جُعلا (أي مكافأة) في حالة الربح أو الخسارة ، فكان ذلك مقامرة لتحقق الخسارة من فريق والربح لآخر ، وأكل المال بينهم بغير حق ..

ويستثني من هذا الرهان اللعب لأجل إعداد وسيلة الحرب والجهاد كالسباق على البعير أو الفرس أو من أجل رمي الهدف أو ما يشبه ذلك من وسائل الحرب الحديثة ، لقوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه أصحاب السنن والامام أحمد : « لا سبَق (لا رهان) إلا في خُفٍّ أو حافر أو نصْلٍ (سهام) » .

ولكن يشترط في هذا الرهان أن يكون الجُعْل الذي يبذل (أي المكافأة) من غير المتسابقين أو من أحدهما فقط ..

فأما إذا بذل كلٌّ من المتسابقين جُعْلا (مكافأة) على أن من سبق منهما أخذ الجُعلين معاً فهو قمار محرم ، وقد سمّى النبي صلى الله عليه وسلم هذا النوع من سباق الخيل الذي يعدّ للقمار أو يراهن عليه « فرس الشيطان » كما سبق ذكره .

أما إذا كان بذل الجُعْل من **(هيئة اجنبية)** أي من غير اللاعبين كرئاسة الدولة ، أو الوزارة ، أو ادارة المدرسة .. فإن العطاء في هذه الحالة جائز شرعاً لانتفاء ظاهرة المقامرة وللتشجيع .. سواء أكان هذا التشجيع من أجل الاستعداد الحربي كالرمي ، أو التفوّق الرياضي كالمصارعة أو اللعب بالكرة.. ومما يدل على هذا الجواز ما رواه الامام أحمد عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم « سبّق بين الخيل وأعطى السابق » .

★ ★ ★

وإذا كان الاسلام حرم أنواعاً معينة من اللهو لأضرارها الروحية والنفسية والخلقية والاجتماعية .. فإنه في الوقت نفسه فتح أبواباً كثيرة من اللهو المباح ترفيهاً عن أبناء الاسلام ، وترويحاً لهم حتى ينشطوا للواجبات والقيام بالمسؤوليات من ناحية ، وحتى يتدربوا على معاني القوة ووسائل الجهاد في سبيل الله من ناحية أخرى ..

يقول علي كرم الله وجهه : « إن القلوب تملّ كما تمل الابدان ، فابتغوا لها طرائف الحكمة » .

ويقول أيضاً : « روّحوا القلوب ساعة بعد ساعة ، فإن القلب إذا أكره عمي » .

وروى البخاري في الادب المفرد : « كان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يتبادحون (يترامون) بالبطّيخ ، فإذا كانت الحقائق كانوا هم الرجال» .

فلا بأس على المسلم أن يلهو ويمرح ويتفكّه .. على ألا يجعل ذلك عادته وخلقه ، ويملأ به صباحه ومساءه ، فيهزل في موضع الجد ، ويعبث ويلغو في وقت العمل ..

وما أحسن ما قيل : « أعط الوقت حقه من اللهو (أي المباح) بقدر ما يعطى الطعام من الملح » .

الوان شرعها الاسلام من اللهو الحلال(١) :

---

(١) من كتاب « الحلال والحرام » للاستاذ يوسف القرضاوي ص ٢١١ مع بعض التصرف .

أ ـ مسابقة العدو :

من وسائل اللهو الحلال الجري على الأقدام ، وقد كان الصحابة رضي الله عنهم يتسابقون على الاقدام ، والنبي صلى الله عليه وسلم يقرّهم عليه .

وكان النبي نفسه صلوات الله عليه يسابق زوجته عائشة رضي الله عنها . مباسطة لها وتعليماً لأصحابه .

روى أحمد وأبو داود عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : سابقني رسول الله صلى الله عليه وسلم فسبقته ، فلبثت حتى إذا أرهقني اللحم (أي سمنت) سابقني فسبقني ، فقال : « هذه بتلك » أي واحدة بواحدة .

ب ـ المصارعة :

روى أبو داود أن النبي صلى الله عليه وسلم صارع « ركانة » ، فصرعه النبي صلى الله عليه وسلم أكثر من مرة ، **وفي رواية** أن النبي صلى الله عليه وسلم صارعه ـ وكان شديداً ـ فقال : شاة بشاة[1]، فصرعه النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : عاودني في أخرى ، فصرعه النبي ، فقال : عاودني ، فصرعه النبي ثالثة ! فقال ركانة : ماذا أقول لأهلي ؟ شاة أكلها الذئب ، وشاة نشزت (هربت) ، فما أقول في الثالثة ؟ ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : ما كنا لنجمع عليك أن نصرعك ونغرّمك ، خذ غنمك .

---

(١) لابد ان يكون هذا قبل تحريم القمار ، ولقد رأينا انه عليه الصلاة والسلام أعطاه الغنم ولم يقبلها منه كتمهيد للتحريم فيما بعد .

ج ــ اللعب بالسهــام :

ومن فنون اللهو المشروعة اللعب بالسهام والحراب :

وسبق أن ذكرنا أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يمر على أصحابه في حلقات الرمي ، فيشجعهم ويقول لهم : « ارموا وأنا معكم كلكم » •

غير أنه عليه الصلاة والسلام حذّر اللاعبين أن يتخذوا من الأنعــام والدواجن •• ونحوها غرضاً للرمي ، وهدفا للتعليم كما كان الحال في الجاهليــة •

ــ روى الشيخان عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن ابن عمر رأى جماعة يتخذون من الانعام هدفاً للرمي ، فقال : « إن النبي صلى الله عليــه وسلم لعن من اتخذ شيئاً فيــه الروح غرضاً » •

ــ وروى أبو داود والترمذي « أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن التحرش بين البهائم » •

وذلك بتسليط بعضها على بعض حتى تهلك أو تصاب •• كما كان يفعل العرب في الجاهلية •

من هذه الاحاديث نعلم كيف أن الاسلام أمر بالرفق بالحيوان ؛ ونهى عن تعذيبه والاساءة اليه ؟ بل نعرف حكم الاسلام فيما عرف اليوم باسم «مصارعة الثيران » !!••

د ـ اللعب بالحراب :

ومن اللهو المباح أيضاً اللعب بالحراب •

وسبق أن ذكرنا أن النبي صلى الله عليه وسلم أذن للحبشة أن يلعبوا بحرابهم في مسجده الشريف ، وأذن لزوجته عائشة رضي الله عنها أن تنظر اليـــهم ••

وإنها لسماحة كريمة من رسول الاسلام صلوات الله وسلامه عليه أن يقرّ مثل هذا اللعب في مسجده الشريف ، ليجمع فيه بين الدين والدنيا ، والعبادة **والجهاد •• على أن هذا ليس لعبـــاً فقط بل هو رياضة واعداد وتدريب !!••**

هـ ـ ألعاب الفروسيـــة :

سبق أن ذكرنا في بحث « **الربط الرياضي** » بما فيه الكفاية ، فارجع اليه تجد ما يشفي الغليل ••

والأصل في ذلك : ما رواه الطبراني بإسناد جيد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « كل شيء ليس من ذكر الله فهو لهو أو سهو إلاأربع خصال : مشي الرجل بين الغرضين (للرمي) ، وتأديبه فرسه ، وملاعبته أهله ، وتعليمه السباحة » •

وما أثر عن عمر رضي الله عنه : « علموا أولادكم السباحة ، والرماية ، ومروهم فليثبوا على ظهور الخيل وثباً » •••

و ــ الصيــــد :

ومن اللهو النافع المباح الذي أقره الاسلام صيد البر والبحر لقوله تبارك وتعالى :

« احلّ لكم صيد البحر وطعامه متاعاً لكم وللسيارة ، وحرّم عليكم صيد البر ما دمتم حُرُمــاً » .

(المائدة : ٩٦)

وأما ما يكون به الصيد فنوعان :

أ ــ الآلة الجارحة كالسيف والسهم والرمح كما أشارت الآية الكريمة :

« يا ايها الذين آمنوا ليبلونكم اللهبشيء من الصيد تناله أيديكمورماحكم».

(المائدة : ٩٥)

ب ــ الحيوان الجارح الذي يقبل التعليم كالكلب والفهــد من سبــاع البهائم ، والباز والصقر من سباع الطيور ، قال تعالى :

« قل أحلّ لكم الطيبات وما علمتم من الجــوارح مكلبين تعلمونهنّ ممــا علمكم الله » .

احكام عامة تتعلق بالصيد :

١ ــ أن يقصد الصائد في صيده الأكل والانتفاع .. لما روى النسائي وابن حبان في صحيحه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من قتل عصفوراً عبثاً عجّ الى الله يوم القيامة ، يقول : يارب ، إن فلاناً قتلني عبثاً ولم يقتلني منفعة » .

٢ ـ ألا يكون الصائد محرماً بحج أو عمرة[1] .. لقوله تبارك وتعالى :

« وحرّم عليكم صيد البر ما دمتم حرُماً » .

(المائدة : ٩٦)

٣ ـ يشترط الصيد بالآلة النفّاذ والخدش لا بالثقل ، لما روى الشيخان عن عدي بن حاتم رضي الله عنه أنه سأل النبي صلى الله عليه وسلم فقال : إني أرمي بالمعراض (بالسهم الذي لاريش عليه) الصيد فأصيبه ! ، قال : **إذا رميت بالمعراض فَخَزَقَ (أي نفذ في الجسد) فكُلْ ، وما أصاب** بعرضه فلا تأكل » باعتبار أن الصيد قُتل بالثقل لا بالنفاذ وقد دلّ الحديث على أن المعتبر هو الخَزْق (أي نفاذ ما يصاد به الى الجسم) .

وعلى هذا يحل ما صيد برصاص البنادق والمسدسات ونحوها ، لكونها تنفذ في الجسم أشد من نفاذ السهم والرمح ..

٤ ـ أن يذكر اسم الله على الآلة عند الرمي أو عند إرسال الحيوان الجارح المعلّم لقوله تبارك وتعالى :

« واذكروا اسم الله عليه » .

(المائدة : ٤)

فاذا نسي التسمية عند الرمي أو الارسال فإنّ أكل الصيد جائز عند أكثر الفقهاء ، لأن الله سبحانه وضع عن هذه الامة المؤاخذة بالنسيان والخطأ..

٥ ـ إذا وقع الصيد في الماء وأخرج ميتاً فلا يجوز أكله ، لما روى الشيخان عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إذا رميت سهمك ، فان وجدته قد قتل فكل ، إلا أن تجده قد وقع في ماء ، فانك لاتدري : الماء قتله أم سهمك ؟ » .

---

(١) هذا كله في صيد البر كما قيدته الآية . اما صيد البحر فإنه جائز سواء اكان الصائد محرماً أو غير محرم لقوله تعالى : « أحل لكم صيد البحر وطعامه » .

ز ـ اللعب بالشطرنج :

ومن ألوان اللهو المعروفة اللعب بالشطرنج .

وذهب الصحابة والتابعون والفقهاء .. في قضية الشطرنج مذهبين :

الأول : الحرمة ، وهم : علي بن أبي طالب ، وابن عمر ، وابن عباس .. والإمام مالك ، والإمام أبو حنيفة ، والإمام أحمد بن حنبل .

الثاني : الحلّ ، وهم : أبو هريرة ، وسعيد بن المسيب ، وسعيد بن جبير ، وابن سيرين .. والإمام الشافعي .

والذين ذهبوا بإباحته قالوا : **اصل الاشياء الاباحة ،** ولم يجيء نص على تحريمه . وهو يفارق النرد (الطاولة) من وجهين :

الأول : إن المعول في النرد على الحظ ، فأشبه الاستقسام بالأزلام[1]، والمعوّل في الشطرنج على الحِذْق والفكر والتدبير ، فأشبه المسابقة بالسهام .

الثاني : في الشطرنج تدريب على تدبير الحرب ، وفي النّرد تضييع للوقت في اللهو والعبث واللغو بدون فائدة أو جدوى ..

---

(1) الأزلام : هي سهام كانت لدى العرب في الجاهلية ، مكتوب على أحدها « أمرني ربي » ، وعلى الثاني : « نهاني ربي » ، والثالث غفل من الكتابة، فإذا أرادوا سفرا او غزوا أو زواجاً .. أتوا الى بيت الأصنام ـ وفيه الأزلام ـ واستقسموا بها ، فان خرج السهم الآمر اقدموا على الأمر ، وإن خرج السهم الناهي أمسكوا عنه ، وإن خرج الغفل اعادوا الاستقسام مرة أخرى ..

وقد اشترط من أباح الشطرنج شروطاً ثلاثة :

١ ــ ألاّ يؤخر اللاعب صلاة عن وقتها .

٢ ــ ألا يشترط الرهان لكونه قماراً .

٣ ــ أن يحفظ اللاعب لسانه من بذاءة الكلام ، وفحش اللسان .

واذا فرط بشرط من هذه الشروط ، اتجه القول الى التحريم .



فقد عرفت ــ أخي المربي ــ من بحث « التحذير من اللهو المحرم » أن الاسلام حرم ألواناً من اللهو .. لما لها من أضرار بالغة على أخلاق الفرد والمجتمع ، ولما تترك من آثار سيئة في نفسية الانسان وسلوكه .. فاحرص جهدك على أن تحذّر ولدك منها ، وتنهاه عنها ، حتى لايتدنس بالموبقات ، ويتقلب في حمأة الانحلال والميوعة .. وعرفت أيضا أن الاسلام فتح لأبناء المجتمع الاسلامي أبوابا من اللهو الهادف المباح .. لما لها من أثر كبير في ترويح النفس الانسانية ، واستعادة نشاطها وحيويتها .. ولما لها كذلك من انعكاسات ايجابية في تربية الفرد عسكريا ، وإعداده جهاديا .. فاحرص ماستطعت ــ أخي المربي ــ على أن توجه ولدك الى هذه التربية ، وتدربه على هذا الإعداد .. حتى تراه مثالا يحتذى في القوة والشجاعة ، وقدوة صالحة في العزة والإباء !!.

رابعًا : التحذير من التقليد الأعمى

من أهم الأمور التي ينبغي أن يهتم بها المربون تحذير الولد من الانسياق وراء التقليد الاعمى بلا روية ولاتفكير ، وتوعيته من الانزلاق وراء التشبه بلا تبصرة ولاهدى ..

وذلك للأمور التالية :

● لأن التقليد الاعمى دليل الهزيمة الروحية والنفسية ، وعدم الإيمان بالذات ، بل فيه معنى ذوبان الشخصية ، وفقدان الذاتية في بوتقة من يحب ، وفي كيان من يقلد ...

● لأن التقليد الاعمى يدفع بالكثير الى فتنة الحياة الدنيا ومظاهرها ، وهذا لاشك يؤدي بصاحبه الى الغرور والكبرياء ، لكونه معجباً ببهرجة الزيّ ، وبريق المظهر ، وثوب الشهرة ..

● لأن التقليد الاعمى في الاخلاق الفاسدة .. يؤدي بصاحبه حتماً الى حياة الترهل والميوعة والانحلال ..

● لأن التقليد الاعمى يفضي بالامم والشعوب الى الهلاك المحقق ، والدمار المحتوم ، بل تفقد هذه الأمم كل مقومات وجودها ، وأسباب بقائها وعزتها .. لسلوكها طريق الكفر والعصيان .

ومما يؤكد هذا ، ما قاله الكاتب الفرنسي « أندريا موروا » في كتاب « أسباب انهيار فرنسا » : « من أهم أسباب انهيار فرنسا في الحرب العالمية الثانية هو تفسخ الشعب الفرنسي نتيجة لانتشار الرذيلة بين أفراده » .

وهذا ماحدا بالجنرال « ديغول » في أعقاب تسلمه زمام السلطة في فرنسا لأن يستدعي رئيس شرطة باريس ويقول له : « أغلق لي هذه المواخير ، وأوكار الخنافس في عاصمتي » .

● لأن التقليد الاعمى يقعد هؤلاء المنساقين وراء عادات الاجنبي وأزيائه وأخلاقه .. عن كثير من الواجبات الدينية ، والمسؤوليات الاجتماعية ، والدفع بعجلة البناء الاقتصادي والحضاري الى الامام .

● لأن التقليد الاعمى من أكبر العوامل ، ومن أفتك الاوبئة في إضعاف الذاكرة ، وتحطيم الشخصية ، وتمييع الخلق ، وقتل الرجولة ، ونشر الامراض ، واستئصال فضيلة الشرف والعفاف .. لما يؤدي حتما الى تفلّت الغرائز ، وانطلاق الشهوات والملذات ..

يقول الدكتور « ألكس كارليل » في كتابه « الانسان ذلك المجهول » : « عندما تتحرك الغريزة لدى الانسان تفرز نوعاً من المادة التي تتسرب بالدم الى دماغه وتخدّره ، فلايعود قادراً على التفكير الصافي .. » .

وذكر « جورج بالوشي » في كتابه « الثورة الجنسية » مايلي : « وفي سنة ١٩٦٢ صرح « كنيدي » بأن مستقبل أمريكا في خطر ، لأن شبابها مائع منحلّ غارق في الشهوات لايقدر المسؤولية الملقاة على عاتقه ، وإن من بين كل سبعة شبان يتقدمون للتجنيد يوجد ستة غير صالحين ، لأن الشهوات التي أغرقوا فيها أفسدت لياقتهم الطبية والنفسية .. »[1] .

فلا عجب أن نرى الاسلام قد نهى عن التشبه ، وحذّر من التقليد الاعمى ..

---

(١) من كتابنا « حتى يعلم الشباب » ص ١٢٤ .

وإليكم اهم هذه النصوص :

ــ روى الترمذي عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليــه وسلم قال : « ليس منا من تشبّه بغيرنا ، لاتشبّهوا باليهــود ولا بالنصارى » •

ــ وروى الامام أحمد وأبو داود عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من تشبّه بقوم فهو منهم » •

ــ وروى البخــاري وأبو داود والترمــذي عــن ابن عبــاس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لعن الله المخنثين من الرجال ، والمترجّلات من النساء » •

ــ وروى البخاري ومسلم عــن النبي صلى الله عليــه وسلم أنه قــال : « إن اليهود والنصارى لايصبغون فخالفوهم » •

ــ وروى الترمذي عن النبي صلى الله عليــه وسلم أنه قال : « لايكــن أحدكم إمّعة يقول : أنا مع الناس ، إن أحسن الناس أحسنت ، وإن أساءوا أسأت ، ولكن وطّنوا أنفسكم ان أحسن الناس أن تحسنوا ، وان أساءوا أن تجتنبوا إساءتهم » •

وهذا النهي الذي توجه اليه هذه الاحاديث النبوية منصب الى تقليد الاجنبي في سلوكه وأخلاقه وعاداته وأزيائه •• للاعتبارات التي ذكرناها آنفــاً •

أما تقليده في كل ما ينفع الأمة الاسلامية علمياً ، وينهض بها ماديــاً وحضارياً •• كالانتفاع بعلوم الطب ، والهندسة والفيزياء •• وأسرار الذرة ووسائل الحرب الحديثة •• وغيرها ، **فهو جائز باتفاق ،** لكونها تدخل تحت عموم قوله تبارك وتعالى :

« وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة » :

وتحت مضمون قوله عليه الصلاة والسلام : ـ فيما رواه الترمذي والعسكري ـ : « الحكمة ضالة كل حكيم ، فإذا وجدها فهو أحق بها » .

ومن أهم مظاهر التقليد الأعمى في نسائنا :

● خروج الكثير منهن كاسيات عاريات ، سافرات متبرجات ، وقد أخبر الصادق المصدوق عليه الصلاة والسلام أنهن لايدخلن الجنة ولايجدن ريحها .

روى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « صنفان من أهل النار لم أرهما : قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس ، ونساء كاسيات عاريات، مائلات مميلات[1]، رؤوسهن كأسنمة البخت (سنام الجمل) ،لايدخلن الجنة ولايجدن ريحها ، وإن ريحها ليوجد من مسيرة خمسمائة عام » .

● ارتداؤهن السواد عند وقوع مصيبة الموت تشبهاً بالنصارى .

● اجتماعهن في مناسبات الافراح والاعراس على غناء المغنيات ، ورقص الراقصات .

● حلفهن بغير الله في حال الرضى أو الغضب .

● ظهورهن سافرات حاسرات أمام غير المحارم كأخ الزوج ، وابن العم .. ومن أظهر مظاهر التقليد الأعمى عند شبابنا التخنفس والتخنّث ، والتشبّه بالنساء ، وبعض شبابنا يحتج ويقول : ما دام أن الرسول صلى الله عليه وسلم أطال شعره حتى جاوز أذنيه ، فلماذا يستنكر أهل العلم منظر المتخنفسين وأشكالهم ؟

---

(١) مائلات : اي متبخترات في مشيتهن ، مميلات : اي مميلات لقلوب الرجال باثارتهن وخلاعتهن .

نقول لهؤلاء :

((١ ــ في حال ثبوت أن النبي صلى الله عليه وسلم أطال شعره ، كـــان لايخرج به حاسراً الى الناس ، وإنما كان يخرج بالعمامة التي هي تاج النبوة ، وشعـــار الاسلام ٠

ورحم الله من قال :

وجمعت حولك يا رسول صحابــة
بعمائـــم أزهى مـــن التيجـــان

٢ ــ التخنفس اليوم أصبح شعاراً للميوعة ، ورمزاً للانحلال ٠٠ فهل يقول عاقل : إن الاسلام يرضى من شبابه أن يكثّروا سواد المائعين ،وجماعات المنحلّين ؟ والنبي صلى الله عليه وسلم يقول ــ فيما رواه أبو يعلى ــ : « من كثّر سواد قوم فهو منهم » ٠

٣ ــ أليس في ظاهرة التخنفس واسترسال الشعر الى المنكبين ٠٠ تشبّه فاضح بالنساء ، والله سبحانه لعن الرجال المتشبّهين بالنساء كما جاء في الحديث الذي سبق ذكره ؟

٤ ــ كيف يرضى المسلم المتخنفس على نفسه أن ينتمي في تخنفسه الى حشرة « الخنفساء »[1] القذرة ، وأن يتشبه بها شكلا وهيئة ، والله سبحانه يقول : **« ولقد كرمنا بني آدم »** ؟))[2] ٠

فاحرص ــ أخي المربي ــ أن تقبّح لولدك كل هذه المظاهر الماجنة ،

---

(١) جـــاء في القاموس : الخنفس والخنفساء ، دُوَيْبَة ســوداء أصغر مــن **الجُعَل » « الصرصور » كريهة الرائحة ج : خنافس .**

(٢) من كتاب « حتى يعلم الشباب » ص ١٣٥ ٠

والعادات السافلة . لما لها من أثر كبير في تحطيم الذاتية ، وتمييع الشخصية، وفقدان النخوة والشرف والفضيلة .. كما عليك أن تفهم من له حق التربية عليك أن ظاهرة التقليد الأعمى في الأمة من أحط الظواهر في ضياع المجد ، وفقدان العزة ، وانتكاس الاخلاق ، وهدر الفضائل .. عسى أن تجد أفلاذ الكبد قد ساروا في طريق الهدى والرشد والتعقل والصراط المستقيم .. دون أن يفتنهم إغراء ، أو تتملكهم شهوة !!..



ثامنا : التحذير من رفقة السوء

من الأمور التي لا ينتطح فيها عنزان، ولا يختلف فيها اثنان أن الخلطة الفاسدة من أكبر العوامل في انحراف الولد النفسي والخلقي .. ولاسيما إن كان الولد بليد الذكاء ، ضعيف العقيدة ، متميع الخلق .. فسرعان ما يتأثر بمصاحبة الاشرار ، ومرافقة الفجار ، وسرعان مايكتسب منهم أحط العادات ، وأقبح الصفات .. بل يسير معهم في طريق الشقاوة بخطى سريعة ، وقدم ثابتة .. حتى يصبح الإجرام طبعا من طباعه ، والانحراف عادة متأصلة من عاداته .. وعندئذ يصعب على المربي ردّه الى الجادة المستقيمة ، وإنقاذه من وهدة الضلال ، وهوّة الشقاء !!..

وسبق أن ذكرنا في القسم الاول من كتاب « تربية الاولاد في الاسلام » في فصل « أسباب الانحراف عند الاولاد » أن الاسلام بتعاليمه التربوية وجه الاباء والمربين الى أن يراقبوا أولادهم مراقبة تامة ، وخاصة في سن التمييز والمراهقة .. ليعرفوا من يخالطون ويصاحبون .. كما أنه وجههم في أن

يختاروا لهم الرفقة الصالحة ، ليكتسبوا منهم كل خلق كريم ، وأدب رفيع ، وعادة فاضلة !!..

كما وجههم من أن يحذروهم من خلطاء الشر ، ورفقاء السوء ، حتى لا يقعوا في حبائل غيّهم ، وشباك ضلالهم وانحرافهم ..

واستشهدنا بالكثير من الآيات الكثيرة ، والاحاديث المتعددة في انتقاء الرفيق الصالح ، والابتعاد عن رفيق السوء ..

فارجع الى الفصل المذكور تجد ما يبلّ الصدى ، ويشفي الغليل !!. وارجع الى بحث « التربية بالملاحظة » في هذا الكتاب ، تجد الاصول المتبعة في تربية الولد خلقياً ، وتكوينه نفسياً .. مع التحذير من رفاق الشر ، وصحبة الضلال ... بما يتفق مع مسؤولية الآباء والمربين في حمل الأمانة التربوية !!..

سادساً : التحذير من مفاسد الأخلاق

سبق أن ذكرنا في فَصْلَيْ « مسؤولية التربية الخلقية » و « مسؤولية التربية الجسمية » في القسم الثاني من كتاب « تربية الاولاد في الاسلام » أن هناك ظواهر متفشية في الاولاد وجب على المربين أن يهتموا بها ، ويحذّروا منها ، والآن أذكرك — أخي المربي — بها ، وألفت نظرك اليها .. عسى أن تؤدي ما عليك من مسؤولية التحذير ، وواجب الملاحظة .. في ميدان التربية والتوجيه والاعداد ..

في مسؤولية التربية الخلقية عالجنا :

أ — ظاهرة الكذب .

ب — ظاهرة السرقة .

ج ـ ظـاهرة السّباب والشتائم .

د ـ ظاهرة الميوعة والانحـلال .

وفي مسؤولية التربية الجسمية عالجنا :

أ ـ ظاهرة التدخين .

ب ـ ظاهرة العادة السرية .

ج ـ ظاهرة المسكرات والمخدّرات .

د ـ ظاهرة الزنى واللواط .

ومن المجمع عليه لدى علماء التربية والأخلاق أن هذه الظواهر الآنفـة الذكر هي من أفتك الظواهر في إفساد الولد الخلقي ، وتميّعه السلوكي ..

فإن لم يقم المربون بدورهم في التحذير والملاحقة والنصح .. فان الاولاد سينحدرون ـ ولاشك ـ الى أسفل الدركات ، ويتخبطون في أحلك الظلمات .. وعندئذ يتعذر على كل مصلح أن يردّهم الى الجادة ، ويربطهم بالحق ، ويبصّرهم طريق النور والهداية .. بل يكونون أداة خطر عـلى الامن ، ومعول هدم للمجتمع .. يستعيذ الناس من شرهم ، ويضجرون من إجرامهم وسوء فعالهم !!..

فما عليك ـ أخي المربي ـ إلا أن ترجع الى بحوث المسؤوليات .. لتستوعب جيداً مسؤولية المربين في التربيـة الخلقية ، والتربية الجسمية .. حتى إذا استعدت بذاكرتك الأضرار والآفات التي تنجم عن الكذب ، والسرقة ، والسباب والشتائم ، والميوعة والانحلال ، والتي تنجم عن التدخين ، والعادة السرية ، والمسكرات والمخدرات ، والزنى واللواط .. قمت بواجبك ثانيـة في تحذير الولد من هذه الآفات النفسية والخلقية ، ومن هذه الأضرار الصحية والجسـمية ..

وعليك أن تستشهد له بالاطباء وأهل الاختصاص في كشفهم لأضرار هذه المفاسد ، وتحذيرهم من أخطارها وآفاتها .. بأقوالهم حيناً ، وبالمجلات انعلمية أحياناً ، وبالكتب الاختصاصية تارة ، وبالنشرات التحذيرية تارة أخرى ..

فاذا نهجت هذا بين كل فترة وفترة بشكل مستمر دائم .. فان الولد ـ ولاشك ـ سيتجنب كل مفسدة للاخلاق ، وكل ضرر للصحة .. بل يكون على درجة من الفهم والوعي ما يجعله أن يكون محذراً غيره فضلا عن محاذرته لنفسه .

فاحرص ـ أخي المربي ـ أن تؤدي مسؤوليتك نحو ولدك على الوجه الأكمل ليكون دائماً من الصالحين الاخيار ، والمتقين الأبرار ، ومن النماذج الصالحة المؤمنة التي يشار اليها بالبنان .

★ ★ ★

سابعًا :  (1)

ومن أهم الأمور التحذيرية التي يجب أن يهتم المربون لها ، ويعتنوا بها ، ويركزوا عليها .. التحذير من الحرام ، **والحرام ـ كما عرفه علماء الاصول ـ هو ما طلب الشرع تركه طلبا جازماً بحيث يتعرض من خالف الترك لعقوبة الله في الآخرة ، أو لعقوبة شرعية في الدنيا** كقتل النفس ، واقتراف

(1) من المصادر الرئيسية التي اعتمدت عليها في هذا البحث كتاب « الحلال والحرام » للأستاذ يوسف القرضاوي حفظه الله .

الزنى ، وشرب الخمر ، واللعب بالميسر ، وأكل مال اليتيم ، وبخس المكيال والميزان ...

فلا عجب أن يأمر نبي الاسلام صلوات الله وسلامه عليه المربين بأن يعودّوا أولادهم منذ نعومة أظفارهم على امتثال الأوامر ، واجتناب النواهي ، وأن يبصّروهم بأحكام الحلال والحرام .. حتى يكون لهم ذلك خلقاً وعادة .. روى ابن جرير وابن المنذر عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعاً الى رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **إعملوا بطاعة الله ، واتقوا معاصي الله ، ومروا اولادكم بامتثال الأوامر ، واجتناب النواهي ، فذلك وقاية لهم من النار** ».

وعليك أن تعلم – أخي المربي – أن الحلال ما أحله الله تعالى ، وأن الحرام ماحرمه الله تعالى فلايستطيع أحد من البشر مهما كان أن يحرم شيئا أباحه الله سبحانه ، ولا أن يبيح شيئاً حرمه الله جل جلاله .. ومن فعل من ذلك شيئاً فقد تجاوز الحدّ ، واعتدى على حق الربوبية في التشريع ؛ ومن رضي بعملهم هذا من البشر فقد اتخذهم من دون الله شركاء ، وألحد في دين الله ، وكفر بالقرآن الذي أنزله الله سبحانه على قلب نبيه محمد عليه الصلاة والسلام :

« **ام لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم ياذن به الله** » .

(الشورى : ٢١)

وقد نعى القرآن الكريم على أهل الكتاب (اليهود والنصارى) الذين وضعوا سلطة التحليل والتحريم في أيدي أحبارهم ورهبانهم ، فقال تعالى :

« **اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح بن مريم ، وما أمروا الا ليعبدوا إلهاً واحداً لا إله الا هو سبحانه عما يشركون** » .

(التوبة : ٣١)

وسبق أن ذكرنا كما روى الترمذي « أن عـدي بن حاتم جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم ــ وكان نصرانياً ــ فلما سمع عليه الصلاة والسلام هذه الآية ، قال : يارسول الله ، إنهم لم يعبدوهم ! فقال : بلى ، إنهم حرّموا عليهم الحلال ، وأحلوا لهم الحرام فاتبعوهم ، فذلك عبادتهم إياهم » .

كما نعى عـلى المشـركين الذيـن حرّمـوا وحلّـلوا بغير إذن مـن الله ، قال تعالى :

« قل أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراماً وحلالا ، قـل آلله أذن لكم أم على الله تفترون » .

(يونس : ٥٩)

من هذا كله يتبين أن الله وحده هو صاحب الحق في أن يحلّ ويحرّم . وأنه فصل لنا في كتابه المنزل كل شيء .

« وقد فصّل لكم ما حرّم عليكم إلا ما اضطررتم اليه .. » .

(الأنعام : ١١٩)

فما عليك ــ أخي المربي ــ بعد الذي ذكرناه إلا أن تبحث عن أصناف هذه المحرمات التي جاء تحريمها في كتاب الله عز وجل أو في سنة نبينا عليــه الصلاة والسلام ، لتقوم بواجب التلقين التحذيري لكل من كان له في عنقك حق التوجيه والتربية .. ولاشك أن النصح المستمر له نفعه وتأثيره ، وأن النقطة الدائمة تؤثر في الحجر ، وأن الاستمرارية في التلقين والتحذير تجعل من الولد انسـاناً ملتزماً حدود الله سبحانه ، ممتثلا أوامره مجتنباً نواهيه . وقافاً عند أحكام الحلال والحرام ، لايزيغ ولايضلّ ولايشقى !!..

وها أنا ذا أضع بين يديك ــ أخي المربي ــ أهم هذه المحرمات لتكون لـك تبصرة وذكرى ، عسى أن تؤدي مهمة التحذير والتلقين على الوجه الأكمل :

أ ــ الحرام في الاطعمة والاشربة :

١ ــ تحريم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به ، والمنخنقة ، والموقوذة ، والمتردية ، والنطيحة، وما اكل السبع، وما ذبح على النصب ، لقوله تبارك وتعالى :

« حرّمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما اكل السبع إلا ما ذكيتم وما ذبح على النصُب .. » .

(المائدة : ٣)

● **الميتة هي** كل ما مات حتف أنفه من الحيوان والطير .

والحكمة من التحريم أن ما مات حتف أنفه يغلب أن يكون قد مات بمرض مُزمن أو لعلّة طارئة أو أكل نبات سامّ .. وأكل هذا ــ لاشك ــ يضر بالجسم ، ويفتك بالصحة .

● **الدم المسفوح** (السائل) الذي يخرج من الحيوان سواء خرج بسبب الذبح أو غيره .

والحكمة من التحريم أن الدم مستقذر طبعاً ، وأنه مستجمع الجراثيم ، وأنه كالميتة في الضرر .

● **لحمَ الخنزير ،** وهو من أشد المحرمات في نظر الاسلام لكونه نجس العين ، مستقذر المنظر .

والحكمة من التحريم أنه يضر بالصحة ويورث ضعف الغَيْرة على العرض .

اما انه يضر بالصحة فلأن الطب الحديث قد أثبت أن أكل لحمه يسبّب الدودة الوحيدة القتّالة ، ويؤدي الى اضطراب في المعدة والجهاز الهضمي لكون لحمه عسير الهضم •• ومن يدري لعل العلم يكشف لنا في الغد عن أضرار أخرى أكثر مما عرفنا اليوم ؟ •

اما انه يورث ضعف الغَيْرة على العرض فلأن المختصين بعلم الطب قالوا إن لحوم الحيوانات تحوي موادّ من شأنها أن تنقل الى الآكل صفات الحيوان نفسه ، ولنستمع الى ماقاله الدكتور صبري القباني في مجلة « طبيبك » عدد (٣٢) ، ص ١٨٩ :

« لقد ثبت أن اللحوم تحوي موادّ من شأنها أن تنقل الى آكليها صفات الحيوانات نفسها : فالانكليز مغرمون بالأسماك الباردة ولهذا طباعهم باردة . والفرنسيون مغرمون بلحوم الخنازير ولذا تمتّ أخلاقهم إليها بصلة (ويقصد أنهم متصفون بعدم الغيرة) ، أما عرب البادية التي تعتاش من لحوم الجمال فتتصف بالصبر والحقد ، وأهل المدن الذين يعتادون على أكل لحوم الغنم تسهل قيادتهم » •

وتكلم مثل هذا : عميد كلية العلوم الطبيعية في جامعة « كلفورنيا » كما جاء في مجلة « الهلال » •

● **ما أهلّ لغير الله به** وهي الذبيحة التي ذُبحت وذكر عليها اسم غير الله تعالى كاللّات والعزّى من الاصنام •

والعلة في التحريم حماية التوحيد ، ومحاربة الشرك ومظاهر الوثنية في كل لون من ألوانها • لأن ذكر اسم الله على الذبيحة ــ كما يقول الاستاذ القرضاوي ــ إعلان من الذابح بأنه يصنع هذا الصنيع بهذا الكائن الحيّ

الذي تلّه للذبح بإذن من الله ورضاه ، فاذا ذكر اسم غير الله تعالى عند ذبحه فقد أبطل هذا الإذن ، واستحق أن يحرم من أكل هذا الحيوان المذبوح •

ومن أنواع الميتة :

- **المنخنقة :** وهي التي تموت اختناقاً بوسيلة من الوسائل •
- **الموقوذة :** وهي التي تضرب بالعصا أو نحوها حتى تموت •
- **المتردية :** وهي التي تتردّى من مكان عالٍ فتموت •
- **النطيحة :** وهي التي تنطح من قبل نطيحة أخرى فتموت •
- **ما أكل السبع :** وهي التي أكل السبُع (الحيوان المفترس) جزءاً منها فماتت •

وقد ذكر الله بعد هذه الأنواع الخمسة قوله تعالى : **(إلا ما ذكّيتم)** أي ما أدركتم من هذه الأشياء وفيه حياة فذبحتموه أي أحللتموه بالذبح •

ولابدّ أن تكون في الذبيحة حياة مستقرة ، وعلامتها انفجار الدم والحركة العنيفة •

والحكمة في تحريم هذه الأنواع هو توقع الضرر في أكلها كما ذكر في الميتة ، وزجر وتأديب لصاحب الحيوان لإهماله له • فلا ينبغي له أن يهمل أمر العناية به والمحافظة عليه حتى ينخنق أو يضرب حتى يموت ، أو يتردّى من مكان عالٍ ، أو يترك الحيوانات تتناطح حتى يقتل بعضها بعضاً كما نسمع عن التحريش بين البهائم ، فيغرون الثورين أو الكبشين بالتناطح حتى يهلكا •• وأما تحريم ما أكل السبع ففيه تكريم للانسان ، وتنزيه له من أن يأكل فضلات السباع ، والله سبحانه يقول :

« ولقد كرمنا بني آدم » .

● **ماذبح على النّصُب ،** والنَّصْبُ هو الشيء المنصوب من أصنام أو حجارة معظّمة تُقام حول الكعبة علامة للطاغوت (وهو ماعُبد من دون الله) ، وكان أهل الجاهلية يذبحون عليها أو عندها بقصد التقرب الى آلهتهم وأوثانهم ، والذبح على هذه الحجارة أو عندها تجعل الذبيحة محرمة سواء تلفظ الذابح باسم غير الله أو لم يتلفظ لأنه قصد تعظيم الطاغوت .

والعلة في التحريم هي نفس العلة التي سبق ذكرها في الإهلال لغير الله .

واستثنت الشريعة الاسلامية من الميتة المحرمة **السمك والجراد ،** ومن الدم **الكبد والطحال ،** للحديث الذي رواه الشافعي وأحمد وابن ماجه والدارقطني والحاكم .. عن ابن عمر مرفوعاً: « أُحلّت لنا ميتتان : السمك والجراد ، ودمان : الكبد والطحال » .

كل هذه المحرمات التي سبق ذكرها هي في حالة الطواعية والاختيار .

اما في حالة الاضطرار فيجوز ان يأكل منها بشرطين :

الأول : غير باغ أي طالب للشهوة .

الثاني : ولا عادٍ أي غير متجاوز حد الضرورة .

وهذا هو معنى قوله تبارك وتعالى :

« إنما حرّم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله فمن اضطر غير باغٍ ولاعاد فلا إثم عليه ان الله غفور رحيم » .

(البقرة : ١٧٣)

والحكمة في ذلك إنقاذ للحياة ، واتقاء للهلاك ، ودفع للحرج عن الناس .

٢ ـ تحريم أكل لحوم الحُمر الأهلية ، وكل ذي ناب من السباع ، وكل ذي مخلب من الطير :

لما روى البخاري أنه عليه الصلاة والسلام « نهى عن أكل لحوم الحمُر الأهلية يوم خيبر » .

ولما روى الشيخان أنه صلى الله عليه وسلم « نهى عن أكل كل ذي نابٍ من السباع ، وكل ذي مخلب من الطير » .

والمراد بالسباع ما كان له ناب من الحيوان للافتراس كالأسد ، والنمر ، والذئب ، ونحوها .

والمراد بذي المخلب من الطير ما كان له ظفر جارح كالنسر ، والبازي ، والصقر ، والحدأة ..

والتحريم في هذا هو مذهب الجمهور ، أما مذهب ابن عباس رضي الله عنه ، ومذهب الامام مالك فهو الجواز مع الكراهة ، وأجابوا عن أحاديث النهي أنها تفيد الكراهة لا التحريم .

ومن المقرر في الشريعة الاسلامية أن هذه الحيوانات المحرم أكلها إذا ذبحت ذبحاً شرعياً طهر جلدها ، وجاز الانتفاع به بعد الذبح بدون دباغ .

٣ ـ تحريم ماذبح على غير الطريقة الشرعية كتذكية الذبيحة عن طريق الصعق الكهربائي ، أو تذكيتها بيد ملحد او مجوسي او وثني ..

والذّكاة الشرعية لاتصح إلا بشروط :

أ ـ أن يذبح الحيوان أو ينحر بآلة حادة مما يُنْهر الدم ، ويفـري الأوداج ..

ب ـ أن يكون الذبح في الحلق ويشمل : قطع الحلقوم ، والمري (مجرى الطعام والشراب من الحلق) ، والودَجان (وهما عِرْقان غليظان في جانبي النحـر) .

ويسقط هذا الشرط (أي الذبح بالحلقوم) إذا تعذر الذبح في موضعه الخاص كأن وقع الحيوان في بئر وتعذر ذبحه ، أو ند البعير ولم يقدر صاحبه على أخذه ، ومثله ما إذا هجم حيوان على أحد فرماه دفاعاً عن نفسه .. ففي مثل هذه الاحوال يعامل كمعاملة الصيد ، ويكفي أن يجرحه بمحدّد في أي موضع مستطاع من بدنه ، فعندئذ يحل أكله .. أما إذا علم أن الحيوان مات على غير الجرح فلايحل أكله لاعتباره كالموقوذة .

ج ـ أن يُذكر اسم الله تعالى على الذبيحة عند ابتداء الذبح لقولـه تبارك وتعالى :

« فكلوا مما ذكر اسم الله عليه إن كنتم مؤمنين » .

(الأنعام : ١١٨)

وقولـه :

« ولاتأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وإنه لفسق .. » .

(الأنعام : ١٢١)

وروى البخـاري وغـيره عن رسول الله صلى الله عليـه وسـلم أنه قال : « ما أنهر الدم وذُكر اسمُ الله عليه فكلوا » .

وإذا ترك الذابح التسمية سهواً فالذبيحة تحل لأن الله سبحانه رفع عن هذه الأمة الخطأ والنسيـــان •

والحكمة من التسمية أن الذابح لايفعل هذا تسلطاً على هذه المخلوقات وإنما يفعله بإذن من الخالق سبحانه ، فباسم الله يذبح ، وباسمه يصيد ، وباسمه يأكل ••

د ــ أن يكون الذابح مسلماً أو كتابياً (يهودياً أو نصرانياً) •

أما إذا كان الذابح ملحــداً أو مجوسياً أو وثنياً أو يدين بعقيدة باطنية كتأليه الإمام « **عــــلي** » رضي الله عنه، أوتأليه « **الحاكم بأمر الله الفاطمي** » ، أو تأليه « **آغا خان** »•• فإن الذبيحة لاتحل باتفاق الأئمة الاربعة ، وباجماع الذين تلقت الأمة فقههم ومذاهبهم بالقبول •

أما اشتراط الذابح **بأن يكون مسلماً** فلأنه يدين بدين الحق الذي جاء به محمد عليه الصلاة والسلام •

وأما الاشتراط **في كونه كتابياً** فلقوله تبارك وتعالى :

« اليوم أحلّ لكم الطيبات وطعــام الذيــن أوتوا الكتــاب حِلّ لكــم وطعامكم حِلّ لهم » •

(المائدة : ٥)

وقد شدد الاسلام مع الملاحــدة والوثنيين والباطنيين ، وتساهل مع أهل الكتاب لأن الكتابيين أقرب الى المؤمنين لاعترافهم بالوحي والنبوات وأصول الدين في الجملة •• وقد شرع الاسلام مناكحتهم وأحلّ ذبائحهم •• لأنهم إذا عاشروا المسلمين وعرفوا الاسلام على حقيقته ظهر لهم أنه الدين الحق ، فيدخلون فيه عن طواعية واختيار •

إذا سُمع من الكتابي أنه يُسمّي غير الله تعالى عند الذبح كالمسيح ، والعُزَير •• فإن ذبيحته لاتحلّ لأنها مما أهلّ لغير الله به •

وبناء على ماذكر من الشروط في الذبائح :

● يحرم ما كان ذبحه عن طريق الصعق الكهربائي أو ما كان على ناكلته لكون الذبيحة ماتت خنقاً ولم تذبح بآلة حادة من الحلقوم .

● ويحرم أكل ذبيحة الملحد والمجوسي والوثني والباطني لأنها مما أُهلّ لغير الله به .

● ويحرم أكل معلّبات اللحوم الحيوانية إذا كان استيرادها من بلاد ملحدة تنكر الخالق والاديان السماوية ...

● ويحرم كذلك أكل هذه المعلبات إذا ثبت بيقين أن اللحم فيها حين ذبح ذُبح على غير الطريقة الشرعية كالخنق والصعق بالكهرباء ...

● ويحرم أيضاً تناول السّمون المعلبة إذا ثبت بيقين أن السمن فيها قد خالطه شحوم خنزير أو لبن خنزير .

أما الأسماك المعلبة فإن أكلها جائز بالإجماع ، لقوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه أصحاب السنن حين سئل عن ماء البحر قال : « هو الطهور ماؤه ، الحِلّ ميتته » .

وفي الصحيحين عن جابر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث سريّة من أصحابه تغزو في سبيل الله ، فوجدوا حوتاً كبيراً قد جزر عنه البحر (أي ميتاً) ، فأكلوا منه بضعة وعشرين يوماً ، ثم قدموا المدينة ،فأخبروا الرسول عليه الصلاة والسلام فقال : « كلوا رزقاً أخرجه الله لكم ، أطعمونا إن كان معكم » ، فأتاه بعضهم بشيء فأكله .

٤ ـ تناول الخمر والمخدرات :

تناول الخمر والمخدرات حرام بالاجماع، وسبق ان ذكرنا بالتفصيل في **القسم الثاني**

ـمن كتاب « تـربيـة الأولاد » في فصـل « **مسؤولية التربية الجسمية** » عن كل ما يتعلق بالأضرار التي تنجم عن الخمر والمخدرات ؛ وذكرنا بإسهاب كذلك عن حكم الاسلام في تناولهما ، وذكرنا بايضاح أيضا عن العلاج الناجع الذي وضعه الاسلام في استئصالهما ، والقضاء عليهما .. فيمكنك ـ أخـي المربي ـ أن ترجع الى الفصـل المذكور ؛ لتستعيد بذاكرتك أضـرار هذين المحرَّمَين الفتاكَين ، وحكم الاسلام فيهما ، وكيفية العلاج في استئصالهمـا من المجتمع المسلم ، ومن بيئة الفساد والانحلال !!..

بقي الكلام عن الخمرة المصنوعة من غير العنب والتمر هل يباح شربها ؟

روى مسلم أنه صلى الله عليه وسلم سئل عن أشربة تصنع من العسل أو من الذّرة أو من الشعير .. فأجاب عليه الصلاة والسلام ـ وهـو الذي أوتيَ جوامع الكلم ـ : « كل مسكر خمر ، وكل خمر حرام » .

وبناء على هذا :

كل ما صنع من الفاكهة أو الشعير أو أي مـادة أخرى . يدخل في الخمر ما دام أنه يسكر ويخامر العقل ، وقد أعلن عمر رضي الله عنـه من فوق منبر رسول الله صلى الله عليـه وسلم ـ كما روى الشيخان ـ : « **الخمر ما خامر العقل** » .

وما دام انه مسكر فقليله وكثيره حرام ، لمـا روى أحمـد وأبو داود والترمذي عن رسول الله صلى الله عليـه وسلم أنه قـال : « ما أسكر كثيره فقليله حرام » .

ولم يكتف النبي عليه الصلاة والسلام بتحريم شرب الخمر قليلها وكثيرها ، **بـل حرّم بيعهـا وشـراءها والاتجـار بهـا ولـو مـع غـير المسـلمين ،** فلا يحل لمسلم أن يستورد الخمر أو يصدّرها ، أو يصنّعها ، أو ينقلها ..

ومن أجل ذلك « لعن الله الخمر، وشاربها . وساقيها، وبائعها . ومبتاعها، ومعتصرها . وحاملها . والمحمول اليه . وآكل ثمنها » أبو داود والترمذي .

وعلى طريقة الاسلام في سد الذرائع . **حرم على المسلم أن يبيع العنب لمن يتخذه خمرا .**

فقد روى الطبراني في الأوسط عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من حبس العنب أيام القطاف ، حتى يبيعه من يهودي (أي ليهودي) او نصراني أو ممن يتخذه خمراً فقد تقحّم النار على بصيرة » .

وعلى هذا النهج **أمر المسلم أن يقاطع مجالس الخمر ، ومجالسة شاربيها ،** فقد روى أحمد والترمذي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يقعد على مائدة تدار عليها الخمر » .

ومما روي عن الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه أنه كان يجلد شاربي الخمر ومن شهد مجلسهم وإن لم يشرب معهم ، ورووا أنه رفع إليه قوم شربوا الخمر ، فأمر بجلدهم ، فقيل له : إن فيهم فلاناً ، وقد كان صائماً ، فقال : به ابدؤوا ، أما سمعتم قول الله تعالى :

« وقد نزّل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفَر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره إنكم اذاً مثلهم » .

(النساء : ١٤٠)

وسبق أن ذكرنا في بحث « ظاهرة المسكرات والمخدرات » في القسم الثاني من كتاب «تربية الأولاد في الاسلام» **أنه لايجوز استعمال الخمر كدواء ،** هذا ما أجاب عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ فيما رواه مسلم وأحمد ـ

فقد سأله رجل عن الخمر ، فنهاه عنها ، فقال الرجل : إنما أصنعها للدواء ! قال عليه الصلاة والسلام : « إنه ليس بدواء ولكنه داء » .

فهذا النص ، ونصوص أخرى استشهدنا بها سابقاً تدل دلالة قاطعة على أن استعمال الخمر وحدها كدواء حرام يأثم من يتناولها ويتعالج بها ..

أما ماخالط بعض الأدويـــة بنسبة مقدرة من الكحول ــ لضرورة ــ كحفظها من الفساد مثلا فإنه يجوز استعمالها ضمن الشروط التالية :

١ ــ أن يكون هناك خطر حقيقي على صحة الانسان إذا لم يتناول هذا الـــدواء .

٢ ــ أن لايوجد دواء غيره من الحلال يقوم مقامه .

٣ ــ أن يصف ذلك طبيب مسلم ثقة في خبرته وفي دينه معاً .

لأن مبادىء الاسلام قائمة على اليسر ، ودفع الحرج، وتحقيق المصلحة، والاصل في ذلك قوله تبارك وتعالى :

« فمن اضطر غير باغٍ ولاعاد فلا إثم عليه » .

(البقرة : ١٧٣)



ب ــ الحرام في الملبس والزينة والمظهر :

الاسلام بمبادئه السمحة أباح للمسلم أن يظهر في ملبسه وهندامه أمـــام المجتمع بمظهر لائق كريم ومن أجل هذا خلق الله كل ما يتمتع به من زينة ولباس ورياش .. قال تعالى :

« يابني آدم قد أنزلنا عليكم لباساً يواري سوآتكم وريشاً . . » .

(الأعراف : ٢٦)

وقال سبحانه :

« يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد » .

(الأعراف : ٣١)

على أن يكون حظه من هذه الزينة المباحة ، **في حدود الوسطية والاعتدال** تحقيقاً لقوله تبارك وتعالى :

« والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يَقْتُروا وكان بين ذلك قواماً » .

(الفرقان : ٦٧)

وقوله عليه الصلاة والسلام ــ فيما رواه البخاري ــ : « كلوا واشربوا والبسوا وتصدّقوا من غير إسراف ولا مخيلة » .

● ومن عناية الاسلام بالمظهر **أمره المسلم بالنظافة** لأنها الاساس لكل زينة حسنة ، ومظهر جميل لائق :

ــ روى ابن حبان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « تنظّفوا فإن الاسلام نظيف » .

ــ وروى الطبراني : « النظافة تدعو الى الإيمان ، والإيمان مع صاحبه في الجنة » .

ــ وروى أبو داود وغيره أن النبي صلى الله عليه وسلم أوصى بعض أصحابه وهم قادمون من سفر بالاعتناء بالنظافة وحسن المظهر بهذه الوصايا : « إنكم قادمون على إخوانكم ، فأصلحوا رحالكم وأصلحوا لباسكم حتى تكونوا كأنكم شامة في الناس فإن الله لايحب الفحش ولا التفحش » .

● ومن عناية الاسلام بالمظهر أنه **حث على النظافة والتجمّل في مواطن الاجتماع ، وفي أوقات الجمعة والعيدين :**

ـ روى النسائي أن رجلا جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم وعليه ثوب دون ، فقال له : « ألك مال ؟ قال : نعم ، قال : من أي المال ؟ قال : من كل المال قد أعطاني الله تعالى ، قال : فإذا آتاك الله مالا فَلْيُرَ أثر نعمة الله عليك وكرامته » .

ـ وروى أبو داود عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ما على أحدكم إن وجد سعة أن يتخذ ثوبين ليوم الجمعة غير ثوبَيْ مهنته » .

● ومن عناية الاسلام بالمظهر **حثه على اصلاح شعر الرأس واللحية :**
روى مالك في الموطأ أن رجلا جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم ثائر الرأس واللحية ، فأشار اليه الرسول صلى الله عليه وسلم (كأنه يأمره باصلاح شعره) ففعل ، ثم رجع ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « أليس هـذا خيراً من أن يأتي أحدكم ثائر الرأس كأنه شيطان » .

فالاسلام أباح للسلم كل هذا بل طلبها منه واستنكر كل الاستنكار على من يحرّمها وينهى عنها قال تعالى :

« قل من حرّم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق .. »
(الأعراف : ٣٢)

غير أن الاسلام حرّم على المسلم أنواعاً من الزينة واللباس والمظهر .. لحكم جليلة .. وإليك ـ أخي المربي ـ أهمّ هذه المحرمات :

١ ـ تحريمه الذهب والحرير على الرجال :

لما روى أحمد وأبو داود والنسائي وابن ماجه .. عن علي كرم الله وجهه قال : أخذ النبي صلى الله عليه وسلم حريراً فجعله في يمينه ، وأخذ ذهباً فجعله في شماله ثم قال : « إن هذين حرام على ذكور أمتي » ، وزاد ابن ماجه : « حِلّ لإناثهم » .

وروى مسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى خاتماً من ذهب في يد رجل ، فنزعه وطرحه ، وقال : « يعمد أحدكم الى جمرة من نار فيجعلها في يده » ، فقيل للرجل بعد ما ذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم : خذ خاتمك انتفع به ، قال لاوالله ، لاآخذه وقد طرحه رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وروى البخاري عن حذيفة رضي الله عنه قال : « نهانا النبي صلى اللهعليه وسلم أن نشرب في آنية الفضة ، وأن نأكل فيها ، وعن لبس الحرير والديباج ، وأن نجلس عليـــه » .

وروى مسلم عن علي كرم الله وجهه قال : « نهاني رسول الله صلى الله عليه وسلم عن التختّم بالذهب » .

والمقصود بحرمة الحرير ، الحرير الخالص الأصلي المستخرج من دود القزّ ، أما الحرير الصناعي فلا يحرم لبسه ولااستعماله .

ويستثنى من حرمة الحرير الأصلي ما ركّب من حرير وغيره إن استويا في الوزن ، وكذا التطريز والخياطة به ، والترقيع ، والحشو .. مالم يبلـغ كل من ذلك وزن الثوب ، لما روى أبو داود عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : « إنما نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الثوب المصمّت من الحرير (أي الحرير الخالص) ، فأما العَلَم من الحرير ، وسدى الثوب ، فـلا بأس به » .

ويجوز استعمال الحرير الاصلي الخالـص في حالـة الضرورة كدفع جَرَبٍ أو حَكّة أو اتقاء حرّ أو برد مُهْلكين ، أو ستر عورة إن لم يجد ساتراً غيره[1] .. لما روى البخاري عن أنس رضي الله عنه قال : « رخّص النبي صلى الله عليه وسلم للزبير ، وعبد الرحمن في لبس الحرير لحكّةٍ بهما»

(١) واستثنى بعض الفقهـاء من تحريم استعمال الحرير الخالص : كيس المصحف ، وخيط السبحة ، وستر الكعبة ..

وتحريم الذهب والحرير قاصر على جنس الرجال ، أما النساء فيحل لهن لبس الذهب والحرير لحديث علي رضي الله عنه الذي سبق ذكره .

أما التختم بالفضة فيجوز ، بل يسنّ ما لم يبلغ حـد الإسـراف[1] ، والافضل جعله في اليد اليمنى ، ولبسه في الخنصر لما روى البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما ، وفيه « ... ثم اتخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم خاتماً من فضة ، فاتخذ الناس خواتيم الفضة ، فلبس الخاتم بعد النبي صلى الله عليه وسلم أبو بكر ، ثم عمر ، ثم عثمان ، حتى وقع من عثمان في بئر أريس » .

والعلة في تحريم الذهب والحرير على الرجال هـو البعـد عن التخنث الذي لايليق بشهامة الرجال ، ومحاربة الترف الذي يؤدي الى الانحلال ، وقطع دابر التفاخر والخـُيَلاء من نفسية الانسان ، والحفاظ على رصيد الذهب العالمي للنقد في كل زمـان ومكان ..

وإنما استثني النساء من هذا ، مراعاة لأنوثة المرأة ، وتنمية لغريزة حب التملك فيها ، وتلبية لفطرتها في حب الزينة ، وتشويقاً للزوج حين يراها في أبهى منظر ، وأجمل هيئة ..

٢ ـ تحريم تشبه المرأة بالرجـل والرجل بالمـرأة ، لما روى البخاري وأصحاب السنن عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : « لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم المتشبهين من الرجال بالنساء، والمتشبهات من النساء بالرجال».

وفي رواية للبخاري : « لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم المخنثين من الرجال . والمترجّلات من النساء » .

وروى أحمد والطبراني عن رجل من هذيل : قال : رأيت عبد الله بن

(١) عند فقهـاء الحنفيـة الا يزيد الخاتم على الدرهم وهـو ما يساوي ثـلاثة غرامـات وثلث .

عمرو بن العاص ، ومنزله في الحِل ، ومسجده في الحرم ، قال : فبينا أنا عنده رأى أم سعيد بنت أبي جهل متقلّدة قوساً ، وهي تمشي مشية الرجل ، فقال عبد الله : مَن هذه ؟ ، فقلت : هذه أم سعيد بنت أبي جهل ، فقال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ليس منا من تشبّه بالرجال من النساء ، ولا من تشبّه بالنساء من الرجال » .

ولقد طغت في شبابنا وشاباتنا موجة التشبه والتقليد الاعمى .. فعلى المربين أن يعالجوا هذه الظاهرة بالاسلوب الحسن .

٣ – **تحريم لبس ثياب الشهرة والاختيال** ، لما روى أحمد وأبو داود والنسائي .. عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « مَن لبس ثوب شهرة ألبسه الله ثوب مذلّة يوم القيامة » .

والمقصود بثياب الشهرة هو لبس الثوب الفخم الثمين بقصد المباهاة والتعاظم والافتخار على الناس .. ولا شك أن التظاهر به يجرّ الى الكِبر والخُيلاء « والله لا يحبّ كل مختال فخور » ، وقد قال عليه الصلاة والسلام – فيما رواه الشيخان – : « مَنْ جرّ ثوبه خُيَلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة » .

فما على المسلم إلا أن ينهج حدود الاعتدال في ملبسه ومطعمه وأثاث منزله حتى لا يستحوذ عليه الكِبر ، ولا تتملكه شهوة الخيلاء .

سأل رجل ابن عمر ماذا ألبس من الثياب ؟ فقال : ما لا يزدريك فيه السفهاء (لتفاهته) ولا يعيبك به الحكماء . (يعني لتجاوز حدود الاعتدال).

٤ – **تحريم تغيير خلق الله** ، لما روى مسلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم الواشِمَة والمستوشمة . والواشِرَة والمستوشرة » .

الوَشْم هو تشويه الوجه واليدين بهذا اللـون الأزرق ، والنقش القبيح ..

والوَشْر هو تحديد الأسنان وتقصيرها ، ومثلـه اليـوم ما يعرف بجراحات التجميل .. وقد لعن النبي صلى الله عليه وسلم من يفعله لما فيه من تعذيب للإنسان ، وتغيير لخلق الله ، وعدم الرضى بقدر الله ..

والقرآن الكريم اعتبر هذا التغيير من وحي الشيطان حين يقوم بمهمة التضليل لأتباعه .

((ولآمُرَنَّهم فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ الله)) .

(النساء : ١١٩)

ويستثنى من عمليات التجميل ما يسبب للانسان ألمـاً حسياً أو نفسياً كاستئصال الزوائد أو اللوزتين أو ما أمر به الشرع كقصّ الشعر ، وتقليم الأظفار ، وحلق العانة .. لدفع الحرج عن الناس ، والتحقق بالنظافة ، وجمال الهيئـة ..

٥ ـ تحريم حلق اللحية ،

لما روى مسلم عن أبي هريرة رضى الله عنه :
قال:قال رسول الله (صلى) :«جزوا الشارب،وارخوا اللحى وخالفوا المجوس»

وروى ابن اسحق ، وابن جرير من طريقه عن يزيد بـن أبي حبيب أن رجلين من المجوس دخلا على النبي صلى الله عليه وسلم ، وقـد حلقا لحاهما ، وأعفيا شواربهما. فكره النظر اليهما ، وقال لهما: «ويلكما من أمركما بهذا ؟»، قالا : أمرنا ربنا ـ يعنيان كسرى ـ فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « لكنّ ربي أمرني بإعفاء لحيتي ، وقصّ شاربي » .

وروى الامام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً الى النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أعفوا اللحى ، وجزّوا الشوارب ، ولا تشبّهوا باليهود والنصارى » .

وأخرج مسلم وأحمد وأصحاب السنن عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « عشر من الفطرة (أي من سنن الانبياء): قص الشارب ، وإعفاء اللحية ، والسواك ، واستنشاق الماء ، والمضمضة ، وقص الأظفار ، وغسل البراجم ، ونتف الإبط ، وحلق العانة ، وانتقاص الماء »[1] .

رأي الائمة الاربعة في اللحية[2] :

وقد اتفقت المذاهب الاربعة على وجوب توفير اللحية ، وحرمة حلقها ..

١ ـ **مذهب السادة الحنفية :** « ويحرم على الرجل قطع لحيته ، وصرّح في النهاية بوجوب قطع ما زاد على القبضة ، وأما الأخذ منها وهي دون ذلك كما يفعله بعض المغاربة ومخنثة الرجال فلم يبحه أحد ، وأخذ كلها فعل يهود الهند ومجوس الأعاجم » . ا هـ عن فتح القدير .

٢ ـ **مذهب السادة المالكية :** « حرمة حلق اللحية وكذا قصها إذا كان يحصل به مُثْلة ، وأما اذا طالت قليلا وكان القص لم يحصل به مُثْلة فهو خلاف الأولى أو مكروه » ا هـ من شرح الرسالة لأبي الحسن وحاشيته للعدوي .

---

(١) غسل البراجم : غسل غضون الاصابع من ظاهرها وباطنها ؛ حلق العانة : حلق الشعر الذي حول القبل . انتقاص الماء : اي الاستنجاء بالماء .

(٢) ارجع الى رسالة الاستاذ الجليل الشيخ محمد الحامد رحمه الله « حكم اللحية في الاسلام » فإن فيها الكثير من الأدلة على حرمة حلق اللحية .

٣ ـ مذهب السادة الشافعية : قال في شرح العباب :

(**فائـدة :** قال الشيخان : « يكره حلق اللحية » ، **واعترضه ابـن** الرفعة بأن الشافعي رضـي **الله** عنـه **نص ّ في كتاب الأم على التحريم))** ، وقال الأزرعي : « الصواب تحريم حلقها جملة لغير علة بها » ، ومثله في حاشية ابن قاسم العبادي على الكتاب المذكور) •

٤ ـ مذهب السادة الحنابلة : نص الحنابلة علـى تحريم اللحيـة ، (فمنهم من صرّح بأن المعتمد حرمة حلقها ، ومنهم من صرّح بالحرمة ولـم يحك فيه خلافاً لصاحب الإنصاف ••) •

فتبين من هذه الاحاديث النبوية ، والنصوص الفقهية أن **حلق** اللحية حرام، وأن المنصف المتحري للحقيقة لابد إلا أن يقول بوجوب إرخائهـا لنصاعة الحجّة ، وقوة الدليل ، وأقل ما يقال عن **الحالق للحيته أنه مخنّث** أو متشبّه بالنساء أو **مغيّر لخلق الله** ، أو **مقلّد غيره تقليداً أعمى •• فواحدة** من هاتيك الأمور تكفي في إيقاع المسلم بالإثم، فضلا عن انطباق كل الاوصاف عليـه •

ألهم الله شبابنا رشدهم ، وقوّى عقيدتهم وإسلامهم ليظهروا دائماً بمظهر الرجولة والكمال ••

٦ ـ تحريم آنية الذهب والفضة ، لما روى مسـلم **في** صحيحه عـن أم سلمة رضي الله عنها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « **إن الذي** يأكل أو يشرب في آنية الذهب والفضة إنما يجرجر في بطنه نار جهنم » •

وروى البخاري عن حذيفة قال : « نهانا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نشرب في آنية الذهب والفضة ، وأن نأكل فيها ، ونهانا عن لبس الحرير

والديباج وأن نجلس عليه » ، وقال : « هو لهم (أي الكفار) في الدنيا ولنا في الآخرة » .

من هذه الأحاديث يتبيّن أن اتخاذ أواني الذهب والفضة ، ومفارش الحرير الخالص حرام في بيت المسلم ، ويأثم من يفعله ، **وهذا التحريم شامل للرجال والنساء جميعاً ، والحكمة في هذا** تطهير البيت المسلم من مواد الترف المذموم ، ومظاهر الكبرياء المقوتة .

٧ ـ **تحريم الصور والتماثيل ،** لما روى البخاري ومسلم عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إن أشد الناس عذاباً يوم القيامة المصوّرون » .

ـ وروى البخاري ومسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن الذين يصنعون هذه الصور يعذّبون يوم القيامة ، يقال لهم : أحيوا ما صنعتم » .

ـ وروى البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت : قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من سفر ، وقد سترت سهوةً لي بقرام (أي سترتُ خزانة في الحائط بسِتْر) فيه صور ، فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم تلوّن وجهه وقال : يا عائشة « أشد الناس عذاباً عند الله يوم القيامة الذين يضاهون (يشبّهون) بخلق الله » ، قالت : فقطعناه فجعلنا منه وسادة أو وسادتين .

ـ وروى البخاري ومسلم عن أبي طلحة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تدخل الملائكة بيتاً فيه كلب ولا تصاوير » .

ـ وروى مسلم وأبو داود والترمذي عن حيّان بن حُصين قال : قال لي علي رضي الله عنه : « ألا أبعثُكَ على ما بعثني عليه رسول الله صلى

الله عليه وسلم أن لا تَدَعْ صورة إلا طمستَها ، ولا قبراً مُشرفاً (مرتفعاً) **إلا سوّيته »** .

وهذه الاحاديث في مجموعها تدل بوضوح على تحريم التماثيل والصور سواء أكانت مجسّمة أو غير مجسمة ، وسواء أكانت ذات ظل أو غير ذات ظل ، وسواء أكان صنعه بما يمتهن أو بغير ما يمتهن لأن فيه مضاهاة بخلق الله تعالى ؟ ..

ومما يؤكـد هـذه الحرمة أن النبي صلى الله عليه وسلم ـ كما روى البخاري ـ لم يدخل الكعبة بعد فتح مكة حتى أخرج كل ما فيها من صور وأصنام وتماثيل ، وقد روى أبو داود عن جابر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو بالبطحاء أن يأتي الكعبة، فيمحو كل صورة فيها، فلم يدخلها حتى مُحِيَت الصور، وقد روى البخاري في كتاب الحج عن أسامة رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم دخل الكعبة فرأى صورة ابراهيم عليه السلام ، فدعا بماء فجعل يمحوها .

ويستثنى من التصوير تصوير الشجرة وكل شيء ليس فيه روح ، لما روى البخاري ومسلم عن سعيد بن أبي الحسن قال : جاء رجل الى ابن عباس رضي الله عنهما فقال : إني رجل إنما معيشتي من صنعة يدي ، وإني أصنع هذه التصاوير ، فقال ابن عباس : لا أحدثك إلا ما سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم سمعته يقول : « مَنْ صوّر صورة فإن الله معذّبه حتى ينفخ فيها الروح وليس بنافخ فيها أبداً » ، فربا الرجل ربوة شديدة (أي فزع) ، فقال له ابن عباس : « ويحك إن أبيت إلا أن تصنع فعليك بهذا الشجر وكل شيء ليس فيه روح » .

ويرخّص من التماثيل لُعَب الأطفال لكونها لا يظهر فيها قصد

التعظيم ولا كبرياء الترف . لما روى الشيخان عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت : « كنتُ ألعب بالبنات (أي باللُّعَب التي على هيئة البنات) عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان يأتيني صواحب لي ، فكنّ ينقمعن (يختفين خوفاً) من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان رسول الله يُسَرّ لمجيئهن إلي ، فيلعبن معي » .

وفي رواية لأبي داود : « أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لعائشة يوماً : ما هذا ؟ قالت : بناتي ، قال : ما هذا الذي في وسطهن ؟ قالت : فرس ، قال : ما هذا الذي عليه ؟ قالت : جناحان ، قال : فرس له جناحان ؟ قالت : أو ما سمعتَ أنه كان لسليمان بن داود خَيْل لها أجنحة ؟ فضحك النبي صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه » .

قال الشوكاني : في هذه الأحاديث دليل على أنه يجوز تمكين الصغار من اللعب بالتماثيل التي هي على هيئة عرائس ، وقد روي عن الإمام مالك أنه كره للرجل أن يشتري لبنته ذلك ، وقال القاضي عياض : « إن اللعب بالبنات للبنات الصغار رخصة » .

ومما نلفت الانتباه اليه أن امتهان الصورة وتغيير معالمها يجعلها حلالا ، ويجوز الانتفاع بها ، لما روى النسائي وابن حبان في صحيحه « أن جبريل عليه السلام استأذن على النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم أدخل ، قال جبريل : كيف أدخل وفي بيتك سَتْر فيه تصاوير ؟ فإن كنت لا بد فاعلا ، فاقطع رأسها أو اقطعها وسائد أو اجعلها بُسُطاً » .

أما التصوير بالآلة (وهو ما يسمى بالتصوير الفوتوغرافي) فيشمله ظاهر التحريم للنصوص القاطعة الشاملة إلا ما توجبه الضرورة وتقتضيه المصلحة كصور البطاقات الشخصية ، وجوازات السفر ، وصور المجرمين ،

والمشبوهين ، والصور التي تتخذ وسائل للإيضاح ونحوها ، لكونها تدخل في القاعدة العامة التي تقول : « الضرورات تبيح المحظورات » .

ومما تجدر الاشارة اليه أن كثيراً من البيوت التي تدّعي الاسلام يصدّرون بيوتهم بصوزة كبيرة بحجة ذكرى الأب أو الجدّ أو العائلة .. ويزيّنونها بتماثيل ذات روح توضع هنا وهناك ، وبسجاجيد مصوّرة يملؤون بها الجدران.. وهذا العمل من أفعال الجاهلية ، بل من مظاهر الوثنية التي قضى عليها الاسلام ..

فما على الآباء والمربين إلا أن ينظفوا بيوتهم من هذه المحرمات ، ويطهّروها من تلك الموبقات .. ليحظوا برضوان الله عز وجل ، ويكونوا من عداد أولئك الذين عناهم الله سبحانه بقوله :

« ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقاً » .

(النساء : ٦٩)



ج ــ الحرام في المعتقدات الجاهلية :

الغيب لا يعلمه إلا الله سبحانه ، فلا يظهر على غيبه أحداً إلا من ارتضى من عباده من رسول قال تعالى :

« عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احداً إلا من ارتضى من رسول » .

(الجن : ٢٧)

فمن ادعى معرفة الغيب الحقيقي فهو كاذب على الله وعلى الحقيقة وعلى الناس •

قال تعـالى :

« قل لايعلم مَن في السمـوات والأرض الغيب إلا الله ومـا يشعرون أيّان يبعثون » •

(النمل : ٦٥)

فلا الملائكة ولا الجن ولا البشر يعلمون الغيب إلا ما علمهم الله إياه ، وقد أخبر الله تعالى عن جنّ سليمان :

« أنْ لو كانوا يعلمون الغيبَ ما لبثوا في العذاب المهين » •

وعلى هذا حرم الاسلام المعتقدات التالية :

١ ـ حرّم تصديق الكهّان ، لما روى مسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من أتى عرّافاً فسأله عن شيء فصدّقه بما قال : لم تُقْبَل له صلاة أربعين يوماً » •

وروى البزّار بإسناد جيد : « مَن أتى كاهناً فصدّقه بما قال فقــد كفر بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم » •

فتبين من هذه الاحاديث أن حَمْلَةَ الاسلام لم تقتصر على الكهان والدجالين وحدهم ، بل أشرك معهم في الإثم كل مـن يصدقهم في أوهامهـم وتضليلهم ••

٢ ـ حرم الاستقسام بالأزلام ، لقوله تبارك وتعالى :

« ياأيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون •• »

(المائدة : ٩٠)

والأزلام : هي سهام كانت لدى العرب في الجاهلية مكتوب على آحدها : أمرني ربي ، وعلى الثاني : نهاني ربي ، وعلى الثالث : غفل من الكتابة ، فإذا أرادوا سفراً أو غزواً أو زواجاً أو نحو ذلك ، أتوا الى بيت الاصنام ــ وفيه الأزلام ــ فاستقسموا بها ، فإن خرج السهم الآمر أقدموا على الأمر ، وإن خرج السهم الناهي أحجموا عنه ، وإن خرج الغُفْل أجالوها مرة أو مرات حتى يخرج الآمر أو الناهي .

ويشبه هذا في بعض مجتمعاتنا الاسلامية اليوم ضرب الرّمل، والودَع، وفتح الفنجان .. وكل ما كان من هذا القبيل ، وكل هذا منكر وحرام في الاسلام .

روى الطبراني بإسناد جيد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لا ينال الدرجات العلى من تكهّن أو استقسم (أي بالأزلام) ، أو رجع من سفر تطيّراً (أي تشاؤماً) » .

وإذا كان الاسلام حرم الاستقسام بالأزلام وجعله شركاً فإنه في الوقت نفسه علم الناس الاستخارة الشرعية التي بهايتوجه الانسان الى غايته أويحجم عنها ، وسبق أن ذكرنا في الارتباط الروحي دعاء الاستخارة وكيفيتها فارجع إليه في موضعه من هذا الكتاب .

٣ ــ حرّم السحر ، لما روى البخاري ومسلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « اجتنبوا السبع الموبقات قالوا : يا رسول الله ، وما هي ؟ قال : الشرك بالله ، والسحر ، وقتل النفس التي حرّم الله إلا بالحق ، وأكل الربا ، وأكل مال اليتيم ، والتولّي يوم الزحف ، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات » .

وكما حرّم الاسلام على المسلم الدهاب الى الكهنة والعرّافين

لسؤالهم عن الغيوب والأسرار ، حرّم عليه كذلك أن يلجأ الى السحر والسحرة في كشف الخبايا ، وحل المشاكل ، والإضرار بالناس .. لما لما روي عن البزّار بإسناد جيد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ليس منا من تطيّر (تشاءم) أو تُطيِّر له ، أو تكهّن أو تُكِهِّن له ، أو سَحَرَ أو سُحِر له » .

وروى ابن حِبّان في صحيحه عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لا يدخل الجنة مدمن خمر ، ولا مؤمن بسحر ، ولا قاطع رحم » .

وقد اعتبر بعض فقهاء الشريعة السحر كفراً، أو مؤدياً الى الكفر ،وذهب بعضهم الى وجوب قتل الساحر تطهيراً للمجتمع من رجسه ، وحفاظاً على عقيدة الأمة أن يدخلها الزيغ والفساد ..

وعلمنا القرآن الكريم الاستعاذة من شر النفاثات في العُقَد وهم أرباب السحر الذين ينفثون بسحرهم ما يفرّقون به ما بين المرء وزوجه ، وما يتسببون بفعله من إيقاع الضرر في الناس .

ومن هنا كان السر في قراءة المعوذتين كل ليلة ليأمن القارىء شر الجِنّة، وشر النفاثين في العُقَد ، روى الشيخان عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم « كان إذا أوى الى فراشه كل ليلة جمع كفّيه ثم نفث[1] فيهما وقرأ فيهما : قل هو الله أحد ..، وقل أعوذ بربّ الفلق ...، وقل أعوذ بربّ الناس ... ثم مسح بهما ما استطاع من جسده ، يبدأ بهما على رأسه ووجهه وما أقبل من جسده ، يفعل ذلك ثلاث مرات » .

٤ ـ حرّم تعليق التمائم ، لما روى أحمد والحاكم عن عقبة بن عامر

(١) والنّفث : هو نفخ لطيف بلا ريق .

أنه جاء في ركب عشرة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فبايع تسعة ، وأمسك عن رجل منهم ؛ فقالوا : ما شأنه ؟ فقال : إن في عضـــده تميمةً ! .

فقطع الرجل التميمة ، فبايعه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قـــال : « من علّق تميمة فقد أشرك » . وفي رواية للامام أحمد : « من علّق تميمة فلا أتمّ الله له ، ومن علّق ودَعَة فلا أودع الله له » .

والتميمة : هو ما يعلّق على الصغير أو الكبير من أحْجِيَة وَوَدَع وخَرَز .. ونحوها على اعتقاد أنها تشفي من المرض ، أو تقي من العـــين ، أو تدفع الشر والمصيبة ..

وكم نسمع عن كثير من المضللين والدجالين من يكتب للبسطاء من الناس من أحجية وتمائم ، يخطّون فيها خطوطاً وطلاسم ، ويتلون عليهـــا أقســـاماً وعزائم .. زاعمين أنها تحرس حاملها من مسّ الجن ، وإصابة العين ، ودفـــع الأذى والشر .. الى آخر ما يزعمون .

أما إذا كانت الكتابة للأحجية باللفظ العربي البيّن أو ما يعرف معناه من غيره ، وبالأدعية المأثورة عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وبما ثبت في السنة عن خصوصيات بعض الآيات القرآنية والسّوَر كالمعوذتين مثلا فبعض الفقهاء لا يرى من ذلك بأساً ، **وكذلك الرّقى ، وهي قراءة التعويذات أو الفاتحة** على المريض أو الممسوس أو الملدوغ .. ثم المسح باليد ، والنفخ بالفـــم بدون ريق . وقد نقل عن الامام النووي ، والحافظ بن حجر وغيرهما الإجماع على مسروعية الرّقى عند اجتماع ثلاثة شروط :

الأول : أن يكون بكلام الله تعالى أو بأسمائه أو صفاته .

الثاني : أن يكون باللسان العربي أو بما يعرف معناه من غيره .

الثالث : أن يعتقد أن الرقية لا تؤثر بذاتها ، بل بذات الله تعالى •

ومن التعويذات التي علمنا إياها النبي صلى الله عليه وسلم في تعويذ الصبيان وغيرهم هو ما رواه البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعوّذ الحسن والحسين : « أعيذكما بكلمات الله التامة ، من كل شيطان وهامّة (الحشرات المؤذية) ، ومن كل عين لامّة (العين التي تصيب) » •

٥ ـ حرّم التطيّر (التشاؤم) ، لما روى البزار والطبراني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ليس منا مَن تطيّر أو تُطيّر له ••• » •

وروى أبو داود والنسائي وابن حبان في صحيحه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « العِيافَة ، والطِّيَرَة ، والطَّرْق من الجِبْت » •

العِيافَة : الخطّ في الرمل ، وهو ضرب من التكهّن لا زال حتى اليوم •

الطَّرْق : الضرب بالحصى وهو نوع من التكهن •

الجِبْت : ما عُبِد من دون الله •

كان العرب في الجاهلية يتشاءمون بنعيق الغربان ، ونعيب البوم ، ومرور الطير من اليمين الى اليسار •• وكانت تصدهم عن مقاصدهم في الحياة ، فنهى النبي صلى الله عليه وسلم عنها ، وأخبر أنها ليس لها تأثير في جلب نفع ، أو دفع ضرّ بل التأثير لله وحده •

روى ابن عديّ عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه عليه الصلاة والسلام قال : « إذا تطيَّرتم فامضوا وعلى الله فتوكلوا » •

وروى البيهقي عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه

وسلم قال : « مَنْ عرض له من هذه الطِيرَة شيء فليقل : **اللهم لا طَيْرَ إلا** طيرُك ، ولا خَيرَ إلا خيرُك » .

وقال عكرمة : كنا جلوساً عند ابن عباس رضي الله عنهما ، فمرّ طائر يصيح : فقال رجل من القوم : « خَير خَير » ، فقال ابن عباس : لا خير ولا شر .

فهذه النصوص بجملتها تبيّن أن التشاؤم من الزمان أو المكان أو **الحيوان** .. ليس من الاسلام ، وأن التطيّر محرم في الشريعة ، وأن الفاعل المطلق ، والمؤثر الحقيقي هو الله وحده . فعلى المسلم أن يمضي الى غايته ، وأن يتوكل على الله في الوصول الى هدفه دون أن يردّه شؤم ، أو يقعده عن العمل تطيّر !! ..



د ـ الحرام في التكسب :

لما بُعث النبي صلى الله عليه وسلم كان للعرب في الجاهلية أنواع من البيع والشراء ، والتعامل المالي ، والمبادلات التجارية .. فأقرهم على البعض مما لا يتنافى مع قواعد الشريعة ونصوصها التي جاء بها ، ونهاهم عن البعض الآخر لكونها تضر بمصلحة الفرد والجماعة ، وتؤدي الى أسوأ المفاسد ، وأرذل الآثار ..

وإليكم أهم هذه المحرمات في التكسب كما ثبت عن نبي الاسلام :

١ ـ بيع الأشياء المحرمة ، لما روى أحمد وأبوا داود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إن الله إذا حرم شيئاً حرم ثمنه » ، وعلى هذا

فإن بيع الخمر ، والتماثيل ذات الروح ، والخنزير ، والمعازف بأنواعها ، والصلبان ، وأوراق اليانصيب ، وغيرها .. محرم في نظر الاسلام .

والحكمة في هذا التحريم إهمال لها ، وإخمال لذكرها ، وإبعاد للناس عن التعامل بها ، وإنقاذ للمجتمع من أضرارها الصحية والنفسية والاجتماعية والخلقية .. الى غير ذلك مما لا يخفى على كل ذي عقل وبصيرة !! ..

٢ ــ بيع الغَرَر ، لما روى مسلم في صحيحه وأحمد وأصحاب السنن عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم : « نهى عن بيع الحصاة[1] ، وعن بيع الغَرَر » .

وروى أحمد والطبراني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا تشتروا السمك بالماء فإنه غَرَر » .

والغَرَر : هو بيع الاشياء الاحتمالية التي لا تدرى عاقبتها هل تحصل أم لا ؟ وذلك كبيع السمك في الماء ، والطير في الهواء ، لكون هذا البيع غير متحقق الوجود في يد بائعه ، ولا قدرة له على تسليمه .. ولا شك أن هذا النوع من البيع يؤدي الى المنازعات والخصومات ما بين البائع والمشتري . ويضر أيضاً بالمصالح الاقتصادية للتغرير وعدم الثقة ما بين المتعاملين من التجار ..

٣ ــ البيع على اساس الغبن والتلاعب بالاسعار : لقوله عليه الصلاة والسلام ــ فيما رواه أحمد وابن ماجه ــ : « لا ضرر ولا ضرار » .

الاسلام في الاصل يحب أن يطلق الحرية في التعامل التجاري لتسير

---

(١) بيع الحصاة : هو اتفاق مابين البائع والمشتري على شراء ماتقع عليه الحصاة من مجموع اشياء كثيرة .

الحياة الاقتصادية على أحسن ما يرام وفقاً للعرض والطلب ، وانتعاشاً للسوق التجارية في ميدان التعامل .. ومن أجل هذه الحرية نرى الرسول صلى الله عليه وسلم حين غلا السعر على عهده فقالوا : يا رسول الله سعِّره لنا قال : « إن الله هو المسعِّر القابض الباسط الرازق ، وإني لأرجو أن ألقى الله وليس أحد منكم يطالبني بمظلمة في دمٍ ولا مالٍ » رواه أحمد وأبو داود والترمذي وغيرهم .

ولكن إذا تدخلت في السوق عوامل مصطنعة كاحتكار بعض السلع الضرورية ، والتلاعب بالأسعار ، واستغلال ظروف معينة .. فيباح التسعير استجابة لضرورة المجتمع وحاجته ، ووقاية لأغلبية الامة من المحتكرين والمستغلين . كما تقرر الاصول العامة : والقواعد الشرعية كأصل : « درء المفاسد مقدم على جلب المصالح » . وكقاعدة : « لا ضرر ولا ضرار » .

قرر فقهاء الحنفية : « إذا كان أرباب الطعام يتحكمون في السوق . ويتعدَّوْن في القيمة تعدياً فاحشاً ، وعجز القاضي عن صيانة حقوق المسلمين إلا بالتسعير . فحينئذ لا بأس به بمشورة أهل الرأي والبصر » اهـ « هداية » في الفقه الحنفي .

٤ ـ البيع على اساس الاحتكار ، لما روى أحمد والحاكم وابن أبي شيبة .. عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من احتكر الطعام أربعين ليلة فقد برىء من الله وبرىء الله منه » .

وروى مسلم عنه عليه الصلاة والسلام : « لا يحتكر إلا خاطىء » : وخاطىء معناها آثم . ومنه قوله تعالى :

((إن فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين)) أي آثمين .

وروى ابن ماجه والحاكم عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « الجالب مرزوق والمحتكر ملعون » .

والاحتكار معناه : هو أن يُخْفي التاجر ما يحتاج الناس إليه حاجة ضرورية ليتحكم بالسعر في الوقت المناسب ، كالمواد التموينية بشكل عام •

ومما يلحق بالاحتكار **بيع الحاضر للبادي** ، لما روى مسلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لا يبع حاضر لبادٍ ، دعوا الناس يرزق بعضهم من بعض » •

الحاضر : هو ساكن المدينة •

والبادي : هو ساكن البادية •

وصورة هذا : أن يقدم رجل غريب أو من البادية بمتاع تعمّ الحاجة إليه ، ليبيعه بسعر يومه ، فيأتيه ابن المدينة ، فيقول له : خَلّ متاعك عندي حتى أبيعه لك على المهلة بثمن غال ، ولو باع البادي بنفسه لأرخص . ونفع البلد ، وانتفع هو أيضا •

٥ ـ البيع عن طريق الغش ، لما روى مسلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه مرّ برجل يبيع طعاماً (حبوباً) فأعجبه ، فأدخل يده فيه ، فرأى بللا . فقال : ما هذا يا صاحب الطعام ؟ قال : أصابته السماء (أي المطر) فقال عليه الصلاة والسلام : « فهلاّ جعلته فوق الطعام حتى يراه الناس . من غشنا فليس منا » •

والغش معناه : إظهار الشيء على خلاف حقيقته دون علم المشتري

روى الحاكم والبيهقي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لا يحلّ لأحد يبيع بيعاً إلا بيّن ما فيه ، ولا يحل لمن يعلم ذلك إلا بيّنه » •

وتشتد الحرمة **إذا ايّد غشه بيمين كاذبة :** وقد نهى النبي صلى الله

عليه وسلم التجار عن كثرة الحلف بصورة عامة ، وعن الحلف الكاذب بصورة خاصة . روى البخاري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « الحلف منفقة للسلعة ممحقة للبركة » . والذي يحلف وهو متيقن الكذب يكون حالفاً بيمين الغموس . واليمين الغموس هو من الكبائر ؛ وسمّي غموساً لأنه يغمس صاحبه في النار . وليس له كفارة سوى التوبة الصادقة النصوح .

وإنما نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن كثرة الحلف ــ ولو كان الحالف صادقاً ــ **لأنه مظنّة لتغرير المتعاملين أولا** ، وسبب لزوال تعظيم اسم الله تعالى من القلوب ثانياً ..

ومن الوان الغش تطفيف المكيال والميزان ، لقوله تبارك وتعالى :

« ويــل للمطففين الذين إذا اكتــالوا على الناس يستوفون ، واذا كالوهــم أو وزنوهم يُخسِرون ، ألا يظنّ أولئك أنهم مبعوثون ليوم عظيم يوم يقوم الناس لربّ العالمين » .

(المطففين : ١ ــ ٤)

والتطفيف معناه هو إنقاص المكيال والميزان أثناء التعامل التجاري ، ومزاولة البيع والشراء ..

وقد قص علينا القرآن نبأ قوم جــاروا في معاملتهم ، وانحرفوا عــن القسط في الكيل والوزن . وبخسوا الناس أشياءهم ؛ فأرسل الله إليهم مــن ينذرهم . ويردهم الى صراط العدل والقسطاس المستقيم ؛ أولئك هم قوم شعيب الذين صاح فيهم نبي الله شعيب داعياً ومنذراً :

« أوْفوا الكيل ولاتكونوا من المخسِرين ، وزنوا بالقسطاس المستقيم ، ولاتبخسوا الناس أشياءهم ولاتعثوا في الأرض مفسدين » .

(الشعراء : ١٨٢)

٦ ـ البيـــع أو الشـــراء عـــن طريـــق السرقـــة والاغتصـــاب ، لما روى البيهقي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من اشترى سرقه (أي مسروقاً) وهو يعلم أنها سرقة . فقد اشترك في إثمها وعارها » .

ولا يخفى مافي هذا التحريم من تضييق لدائرة الكسب الحرام ، ومــن مشاركة المجتمع في تحمل المسؤولية لقطع دابر الجريمة والمجرمين !! ..

٧ ـ التكسب عن طريق الربا والميسر ، لقوله تبارك وتعالى :

« يا أيها الذين آمنــوا اتقوا الله وذروا ما بقي مــن الربا إن كنتم مؤمنين ، فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله ، وإن تبتم فلكم رؤوس أموالكم لاتظلمون ولاتظلمون » .

(البقرة : ٢٧٨)

ولقوله عليه الصلاة والسلام ـ فيما رواه مسلم وأحمــد وأصــحاب السنن ـ : « لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم آكل الربا، وموكله، وكاتبه، وشاهديه . وقال هم سواء » .

وتحريم الاسلام للربا يشمل كل تعامــل بالربا ، ســواء أكــان الربــا ربا نسيئة[1]، أو ربا فضل[2] ، سواء أكان ربا استثمار أو ربا استهلاك،وسواء أكان بفائدة قليلة أو بفائدة كثيرة . فكل هذه التنويعات تندرج تحت لفظ التحريم في قوله تعالى :

« وأحلّ الله البيع وحرّم الربا » .

والاسلام حرم الربا للأمور التالية :

- **لانعــدام** التقابل بين الجهد والثمرة لكون الدائن المرابي لا يبذل

---

(١) ربا النسيئة : ويسمى ربا الأجل ، وهو كل زيادة يؤديها المدين الى الدائن على رأس المال المستحق نظير مدة معلومة من الزمن أجّله إليها .

(٢) ربــا الفضــل : وهو تبادل مطعومين او نقدين من جنس واحد مع زيادة أحد البدلين على الآخر . كمبادلة كيل قمح بكيل ونصف منه ...

جهداً ، ولا يقدم عملا ، ولا يتحمل خسارة •• فيما يحصل عليه من كسب ، وما يتملكه من ربح ••

● **لانهيار** اقتصاد المجتمع بسبب تلكّؤ الدائن عن العمل ، وإخلاده الى الراحة والكسل •• طمعاً في ربح الفائــدة ، والإثقــال علــى المديــن بالالتزامات الربوية ••

● **لانهيار** أخلاق المجتمع بسبب انعدام التعاون بين أفراده للعلاقات الربوية •• مما يؤدي حتماً الى تفسخ المجتمع ، وشيوع الأنانية والأثَرة فيه، بدل التضحية والمحبة والإيثار ••

● **لانقسام** المجتمع الى طبقتين متنازعتين : طبقة المستعلين والمتحكّمين برؤوس أموالهم . وطبقة الفقراء المستضعفين الذين أُكلت جهودهم وأتعابهم من غير حق •

● **لاستفحال** المبادىء الإلحاديةالهدامة المستوردة فيربوع المجتمعات الاسلامية لاستغلال الواقع المرير الذي ينتج عن التعامل الربوي المحرم ••

لهذا كله حرم الاسلام الربا ، وصنّفه في جدول الكبــائر ، واستحق فاعله لعنة الله والملائكة والناس أجمعين الى يوم الدين !! ••

ماهي الطرق التي فتحها الاسلام للتخلص من الربا ؟

١ ــ **سمــح بشركة المضاربة** ، وهي شركة يكون رأس المال فيها من شخص . والعمل من شخص آخر ، والربح مشترك بينهما بالقدر المتفق عليه ، والخسارة على صاحب رأس المال ، أما صاحب الجهد والعمل فلم يتحمل من الخسارة شيئاً إذ يكفيه أنه خسر جهده وعمله •-

٢ ـ **سمح ببيع السَلم** ، وهو بيع آجل بعاجل ، فمن كان مضطراً للمال يبيع على الموسم من انتاجه بسعر مناسب ، وبشروط مذكورة في كتب الفقه .

٣ ـ **سمح ببيع المؤجل** ، وهو زيادة عن الثمن في بيع النقد ، وقد أباحه الاسلام لتيسير مصالح الناس ، وللتخلص من التعامل بالربا .

٤ ـ **حضّ على وجود مؤسسات للقرض الحسن** سـواء أكان القرض على مستوى الافراد أو على مستوى الجماعات أو على مستوى الحكومات.. تحقيقاً لمبدأ التكافل الاجتماعي بين الأمّة .

٥ ـ **فتح مؤسسات للزكاة** حيث تدفع هذه المؤسسـات للمديـون المحتاج . أو الفقير الذي لا يملك ، أو الغريب المنقطع ... تدفع لهم قسطاً من المال يسدّ حاجتهم . ويحقق تكافلهم ، ويرفع من مستواهم ..

تلكم أهم الأبـواب التي فتحهـا الاسـلام أمام أي فرد من المجتمـع ، لتتحقق مصلحته التكافلية . وتحفظ له كرامته الانسانية ، ويصل الى مقصده النبيل في قضاء حوائجه ، وتأمين مصالحه وازدهار عمله وانتاجه ..

اما الميسر فقد سبق ذكره فى بحث اللهو المحرّم فى هذا الكتاب فارجع اليه لترى البحث وافياً ، والمعالجة تامة ..

* * *

هـ ـ الحرام في التقاليد الجاهلية :

لقد دخل على المسلمين اليوم كثير من العادات البغيضة ، والتقاليد الجاهلية .. واستحكمت في نفوسهم وبيوتهم ، وأصبحت في نظر البعض كالدّين في الاتباع . وكالإيمان في الاعتقاد ؛ وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً .

وإليكم أهم هذه التقاليد الجاهلية المستحكمة :

١ ـ **الانتصار للعصبية :** وهذا ما نراه في البيئات المتخلفة إسلامياً حيث ينتصرون لأقوامهم وقراباتهم سواء أكانوا على حق أم كانوا على باطل ؟..

وهذا ما وضحه النبي صلى الله عليه وسلم للسائل حين سأله عن العصبية: فقد روى أبو داود عن واثلة بن الأسقع قال : قلت يا رسول الله ، ما العصبية؟ قال : « أن تعين قومك على الظلم » . كما أنه أعلن براءته عليه الصلاة والسلام ممّن يفعل ذلك : « ليس منا من دعا الى عصبية ، وليس منا من قاتل على عصبية . وليس منا من مات على عصبية » رواه أبو داود .

كما أنه حوّل عليه الصلاة والسلام مفهوم «أنصر أخاك ظالماً أو مظلوماً» من الجاهلية الى الاسلام . وذلك في الحديث الذي رواه البخاري أنه عليه الصلاة والسلام قال لمن حوله مرة : « أنصر أخاك ظالما أو مظلوما » ، فعجب الناس ودهشوا ، وقالوا يا رسول الله ، هذا ننصره مظلوماً فكيف ننصره ظالماً ؟ قال : « تمنعه من الظلم فذلك نصر له » .

وما أعظم ما نطق به القرآن في إحقاق الحق ، والتزام جانب العدل ولو على أقرب الناس وأحبّهم .

« ياأيها الذين آمنوا كونوا قوا ّمين بالقسط شهداءلله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين » .

(النساء : ١٣٥)

٢ ـ التفاخر بالنسب : الا نزال نسمع من الذين لا خلاق لهم دعوى التعاظم بالحسب ، والتفاخر بالنسب ..

وما قيمة الاحساب والانساب إذا كان أصحابها يحيدون عن طريق الاسلام ويتّبعون سُبُل الضلال ؟ ألم يقل الله سبحانه :

« فإذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون » ؟

(المؤمنون : ١٠١)

وصبّ النبي صلى الله عليه وسلم جام غضبه على المتعاظمين بالأحساب ، والمتفاخرين بالانساب في كلمات قارعة ، وعبارات لاذعة .. فقال ـ فيما رواه أبو داود والترمذي ـ : « لينتهينّ أقوام يفتخرون بآبائهم الذين ماتوا إنما هم فحم جهنم ، أو ليكونُنّ أهون على الله من الجُعَل (حشرة الخنفساء) يدَهْدِهُ الخُرْء بأنفه .. إن الله أذهب عنكم عُبّيّةَ الجاهلية وفخرها بالآباء ، إنما هو مؤمن تقيّ ، أو فاجر شقي ، الناس بنو آدم ، وآدم خُلق من تراب » .

ولنستمع الى ما أعلنه عليه الصلاة والسلام من مبادىء حقوق الانسان في حجة الوداع: « يا أيها الناس إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، ألا لافضل لعربي على عجمي ، ولا لعجمي على عربي ، ولا لأحمر على أسود ، ولا لأسود على أحمر إلا بالتقوى .. » رواه البيهقي .

٣ ـ النياحة على الموتى : ومن التقاليد التي حاربها الاسلام النياحة

على الميت ، والغلوّ في إظهار الحزن والجزع كلطم الخدود . وشق الجيوب ، وخمش الوجوه .. وهذا من فعل الجاهلية ، وتقاليدها الموروثة .. وقد تبرّأ النبي صلى الله عليه وسلم من يفعل هذا الفعل ، ويظهر بهذا المظهر .. روى البخاري عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ليس منا من لطم الخدود ، وشق الجيوب ، ودعا بدعوى الجاهلية » .

أما دمع العين من غير عويل ، وحزن القلب من غير جزع فإنه جائز لأنه يتفق مع آداب الاسلام ، والطبيعة البشرية.. روى البخاري عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : « اشتكى سعد بن عبادة شكوى له ، فأتاه النبي صلى الله عليه وسلم يعوده مع عبد الرحمن بن عوف ، وسعد بن أبي وقاص ، وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهم ، فلما دخل عليه فوجده في غاشية أهله ، فقال : قد قضى (أي مات) ، قالوا : لا يارسول الله ، فبكى النبي صلى الله عليه وسلم . فلما رأى القوم بكاء النبي صلى الله عليه وسلم بكوا ، فقال : ألا تسمعون ؟ إن الله لايعذب بدمع العين ، ولا بحزن القلب ، ولكن يعذب بهذا ، (وأشار الى لسانه) أو يرحم ، وإن الميت يعذب[1] ببكاء أهله عليه » .

وفي الكلام عن النياحة **يقتضي التنبيه الى الأمور التالية :**

١ ــ لايحل لأي مسلم أو مسلمة **أن يلبسوا من شارات الحداد والتحزّن** أو يتركوا لباس الجديد والتزيّن ، أو يغيّروا من مظاهر الزيّ والهيئة المعتادة .. إظهاراً للجزع .. وامتداداً للحزن .. لأن هذا من قبيل التشبه بالكفار ، والتقليد للأجنبي .. فقد روى الترمذي عن عبد الله بن عمرو رضي

---

(١) يقصد بالبكاء ، البكاء مع النوح ورفع الصوت ، والميت يعذب إذا أوصى بذلك أو كان يرضى به .

الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ليس منا من تشبّه بغيرنا، لاتشبّهوا باليهود ، ولا بالنصارى » •

وروى الامام أحمد وأبو داود •• عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **من تشبّه بقوم فهو منهم** » •

٢ ــ ومن التشبه والتقليد الأعمى **وضع الأكاليل من الزهور على النعش او على القبر** فهذا العمل عدا عن أنه من عمل الكفار فإنه أيضاً من إتلاف المال في غير حق • أما وضع بعض الزروع والزهور على القبر من غير إكليل ولا تشبّه •• فإنه جائز ، وفي السنة النبوية ما يبيح ذلك ويؤيده :

روى مسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : مرّ رسول الله صلى الله عليه وسلم على قبرين ، فقال : « أما إنهما ليعذّبان ، وما يعذبان في كبير ، أما أحدهما فكان يمشي بالنميمة ، وأما الآخر فكان لايستنزه من بوله (أي لايتوقّى منه) ، قال : فدعا عليه الصلاة والسلام بعسيب رطب (بغصن نخل أخضر) ، فشقّه باثنين ، ثم غرس على هذا واحداً ، وعلى هذا واحداً ، ثم قال: لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا » •

٣ ــ ومن التشبه والتقليد الأعمى **وضع صورة الميت على النعش ، او تصديرها في بيت التعزية ..** فهذا العمل عدا عن أنه من تقليد الأجنبي فإنه أيضاً من ارتكاب المحرم ، لأن اتخاذ الصور من غير ما ضرورة محرم في نظر الاسلام كما سبق بيانه •

٤ ــ ومن التشبه والتقليد الأعمى **عزف الموسيقى الحزينة** أمام النعش أو في بيت التعزية ، هذه الظاهرة عدا عن أنها من التشبه الممقوت بالكافرين فإنها أيضاً من فعل المحرمات في نظر الشريعة للأحاديث الصحيحة التي سبق ذكرها في تحريم المعازف ، وتحريم الاستماع اليها•• سواء أكان ذلك في الفرح أو في الحزن ••؟

٥ ــ ومن ارتكاب المنكر في التعازي **توزيع الدخان وشربه** ولا سيما عند قراءة القرآن الكريم؛ وهذا من المنكرات المستهجنة في نظر الاسلام لتناول المحرم من ناحية ، وانتهاك حرمة القرآن من ناحية أخرى ..

٦ ــ ومن المنكرات الشائعة بعد دفن الميت **تجصيص القبر ، والبناء عليه** ؛ لما روى مسلم عن جابر رضي الله عنه قال : « نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجصّص القبر ، وأن يُقْعَد عليه ، وأن يبني عليه » .

ومن المؤسف حقاً أن بعض الناس اليوم أصبحوا يتباهون في البناء على القبر ، وتزيينه .. ولاشك أنهم مخالفون لهدي محمد صلى الله عليه وسلم في نهيه عن التجصص والبناء ، فقد ثبت عنه عليه الصلاة والسلام أنه حين مات ولده ابراهيم سطّح القبر ، ووضع عليه الحصا ، ورشّه بالماء ..

ومن السنة أن يوضع علامة عند القبر ليعرف عند زيارته ، كما وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم حجراً عند رأس عثمان بن مظعون رضي الله عنه وقال : « أتَعَلّمُ بها قبر أخي » .

وكم يكون الورثة وقّافين عند حدود الله حين يلتزمون هذا الهدي النبوي عند دفن مورّثهم ؟.

وكم يكونون ورعين صالحين حين يضعون كلفة البناء والتزيين في بناء مسجد ، أو تشييد مدرسة ، أو إقامة مستشفى .. بنيّة الثواب لفقيدهم ، ليجري له الخير الى ما شاء الله ؟ وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم القائل: « إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية ، أو علمٍ ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له » البخاري في الأدب المفرد وغيره .

٤ ـ وعادات أخرى حرمها الاسلام :

● ومن العادات الجاهلية المستحكمة في بعض بيئاتنا **اجتماع الناس في حفلات الأعراس والمناسبات على غناء المغنين والمغنيات ، ورقص الراقصين والراقصات .. عدا عما يتخلل هذه الحفلات من كؤوس للخمر تدار ، ومعازف للنغم تعزف ، وضحكات فاجرة تنبعث هنا وهناك من أفواه السكارى وعربدة المخمورين .. وطلقات من الرصاص تنطلق من مسدسات الحمقى ، وبنادق المهوّسين !!..**

وكم أصيبت نفوس ، وأُريقت دماء ، ووقعت فتن ، واقْتَتَلَتْ عوائل .. من لعنة هذه الاجتماعات الفاجرة ، والحفلات العابثة ، والتقاليد الجاهلية الآثمة ..؟ .

ولسنا بحاجة الى أن نبين مرة ثانية حكم الاسلام في الغناء ، والرقص ، والمعازف ، والخمر ، واختلاط الرجال بالنساء .. لأننا تطرقنا لهذه البحوث في مواطن كثيرة من هذا الكتاب ، ولقد بيّنا ـ أخي المربي ـ حكم الاسلام فيها .. فيمكنك أن ترجع الى هذه البحوث لتعرف الدليل والحكمة في تحريم هذه المفاسد !!..

● ومن العادات الجاهلية التي نسمع عنها في بعض البيئات أيضاً **انتساب الولد الى غير أبيه ..** وقد عدّ النبي صلى الله عليه وسلم ذلك من المنكرات الشنيعة التي تستوجب لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، فقد روى الشيخان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من أدّعى الى غير أبيه أو انتمى الى غير مواليه ، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، لايقبل الله منه صرفاً ولا عدلا » أي لا يقبل الله منه توبة ولا فدية .

وروى الشيخان أيضاً عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه عن النبي

صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من ادّعى الى غير أبيه وهو يعلم أنه غير أبيه فالجنة عليه حرام » .

ويتفرع عن هذا **حرمة التلقيح الصناعي** وهو وضع نطفة الرجل الأجنبي **في رحم امرأة لا تحل له** بقصد إنجاب الولد ، وهو جريمة منكرة تلتقي مع الزنى في إطار واحد ، تلتقي معه في إنجاب الولد عن طريق آثم ، وكيفيّة محرّمة .. تنبو عنها الشرائع السماوية ، والقيم الأخلاقية الفاضلة !!..

أما التبني للولد بمعنى التربية والرعاية والتكافل كرعاية اللقيط أو اليتيم .. مثلا فإنه جائز شرعاً مالم ينسبه الرجل لنفسه ، ويثْبت له أحكام البنوّة ، وارتباطات النسب .. ولا شك أن لهذا الكافل المثوبة في الجنة .. لما روى البخاري وأبو داود والترمذي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا ، وأشار بالسبّابة والوسطى ، وفرّج بينهما » .

وللكافل أن يَهَب لليتيم أو اللقيط ما شاء من المال في حياته ، وأن يوصي له في حدود الثلث من التركة بعد وفاته .

● ومن العادات الجاهلية المتفشية في كثير من المناطق والارياف **أكل مهر البنت وحرمانها من الميراث .**

إن الله سبحانه قرّر للمرأة حقها من المهر ، كما قرر لها حقها من الميراث ، فلا يحلّ لوالد ، ولا لأخ ، ولا لزوج ولا لأي انسان أن يحرمها حقها من الميراث ، أو أن يسلب لها حقها من المهر ..

فتقرير حقها من الميراث ثابت في القرآن الكريم ، قال الله تعالى :

« للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون ، وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون مما قل منه أو كثر نصيباً مفروضاً » .

(النساء : ٧)

وتقرير حقها **من المهر** مقرر في كتاب الله عز وجل ، قال تعالى :

« وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم احداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئاً ، أتأخذونه بهتاناً واثماً مبينا ، وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم الى بعض وأخذن منكم ميثاقاً غليظاً » .

(النساء : ٢١)

فمن خالف شرع الله في الميراث وفي المهر فقد ضلّ سواء السبيل ، وحاد عن الحق الذي قرّره الله تعالى في محكم التنزيل .. واستحق وعيد الله وانتقامه في يوم لاينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى اللهَ بقلب سليم .

ألا فليتذكر أولوا الألباب .

تلكم أهم المحرمات التي نهى الاسلام عنها ، وحذّر منها ، وتوعّد بالعذاب من يرتكبها ..

فما عليك ـ أخي المربي ـ الا أن تجتنبها بنفسك ، وتعطي القدوة في الابتعاد عنها لغيرك ، ثم بالتالي تحذّر من كان له في عنقك حق التربية من أن ينزلق في متاهاتها ، ويتعثّر في أوحالها ، ويتردّى في مهالكها ..

فإذا فعلت ذلك فالله سبحانه يثيبك خيراً ، ويدّخر لك يوم القيامة أجراً ، ويتقبل طاعتك ، ويستجيب لدعائك ، ويجعل لك من كل همّ فرجاً ، ومن كل ضيق مخرجاً ، ويحشرك يوم القيامة مع أوليائه وأصفيائه في مجمع من الملائكة والأنبياء ، والصديقين والشهداء .. وحسُن أولئك رفيقاً .

فاستمع الى ما يقوله سيد الوجــود عليه الصــلاة والسلام فيمن يكون مطعمه حراماً ، ومشربه حراماً ، وملبسه حراماً ، لتعلم شيئاً عن حاله في بعدالله عنه ، وغضبه عليه .

روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قــال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله طيّب لا يقبل إلا طيباً ، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين ، فقال تعالى :

« ياأيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً » .

وقــال تعالى :

« يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم » .

ثم ذكر الرجلَ يطيل السفر أشْعَثَ أغْبَرَ يمدّ يــديه الى السماء : يارب ّ يارب ّ ، ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغُذّي بالحرام، فأنّى يستجاب له » .

وروى البيهقي وأبو نعيم عن أبي بكر رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كل جسد نبت من سُحْت (من حرام) فالنار أولى به » .

أعاذنا الله ــ أخي المربي ــ أن نكون ممن استحقوا عذاب جهنم ، وممن يدعون فلا يستجاب لهم .. إنه خير مأمول ، وبالإجابة جدير ..

★ ★ ★

تلكم ــ أيها الأخوة المربّون ــ أهم القواعد التي وضعها الاســلام في تربية الولد ، ولقد رأيتم أن هذه القواعد كلها تنصب في قاعدتين أساسيتين :

الأولى : قاعدة الربط .

الثانية قاعدة التحذير .

وسبق أن قرأتم أن تحت كل قاعدة من هاتيك القواعد يندرج قواعد فرعية لها أهميتها الكبرى في توازن الولد ، وتكوينه الروحي والإيماني والنفسي ، وإعداده الخلقي والاجتماعي والعلمي ..

● **قرأتم التفريعات التي انبثقت عن قاعدة الربط .. فماذا وجدتم ؟**

أما وجدتم أن **الربط الاعتقادي** هو خير ما تصونون به عقيدة الولد من الزيغ والالحاد ؟

وأن **الربط الروحي** هو خير ما تصونون نفسه وأخلاقه من التحلل والإباحية ؟

وأن **الربط الفكري** هو خير ما تصححون به تصوره من كل مفهوم باطل ، ومبادىء مستوردة ؟

وأن **الربط الاجتماعي** هو خير ما تصونون به شخصيته من الانكماش والانطوائية والضياع ؟

وأن **الربط الرياضي** هو خير ما تصونون به جسمه من الضعف والخَوَر واللهو العابث ؟..

● **وقرأتم التفريعات التي انبثقت عن قاعدة التحذير فماذا رأيتم ؟..**

أما رأيتم أنّ التحذير من الردة يجنّب الولد الانزلاق في متاهات الكفر والضلال ؟

وأن **التحذير من الالحاد** يجنّب الولد التنكّر للذات الإلهية ، والأديان السماوية ؟

وأن**التحذير من اللهو المحرم** يجنّب الولد الاسترسال في حمأةالشهوات والملـــذات ؟

وأن **التحذير من التقليد الأعمى** يجنّب الولـــد من تميّع الشخصية ، وانتهاك الكرامة الانسانية ؟

وأن **التحذير من رفقة السوء** يجنّب الولد من الانحراف النفســـي ، والشذوذ الخلقي ؟

وأن **التحذير من مفاسد الأخلاق** يجنّب الولد الانخراط في بوتقـــة الرذيلة ، ومستنقع الفحشاء ؟

وأن **التحذير من الحرام** يجنّب الولد عذاب جهنم وغضب الجبار ، والتعرض للأمراض والاسقام ؟ ..

فإذا كان الأمر كذلك فاسعوا جهدكم ، واجمعوا أمركم ، وابذلوا كل ما في وسعكم .. لتنفّذوا قاعدة الربط قاعدة قاعدة .. وتأخذوا بمبادىء التحذير مبدءاً مبدءاً ..

وفي هذا إصلاح للولد ، وتثبيت لعقيدته ، وتقويم لخلقــه ، وتقويـــة لجسمه . ونُضْج لعقله ، وتكوين عظيم لشخصيته ..

ومن الأمور التي أذكّر بها، وألفت النظر اليها أن **قاعدتي الربط والتحذير** يجب أن يسيرا مع بعضهما جنباً الى جنب عندما يقوم المربي بواجب التربية والتكوين والإعداد .. لأن انفكاك إحداهما عن الاخرى قد يؤدي بالولد إلى انحرافات فكرية أو خلقية أو نفسية ..

وكم سمعنا عن أولاد ارتبطوا ببيوت الله ، وارتبطـوا بالشيخ المربي ، وارتبطوا بالصحبة الصالحة ؟

ولكنهم وقعوا في اعتقادات فكرية باطلة ، كاعتقاد أن الاسلام قاصر على القضايا الإيمانية . والمسائل التعبدية ولم يتعرض لقضايا الحكم ، وأنظمة السياسة . ومناهج الحياة ..

او وقعوا في انحرافات خلقية خطيرة كدعوى أن البيرة حلال ، وأن اقتناء التلفزيون بوضعه الحالي جائز . وأن التعامل بربا القليل غير محرم ، وأن الاستماع الى الغناء المائع مباح ...

او وقعوا في أمراض نفسية وعصبية لسوء التوجيه . وفساد التربية كتلقبنه المستمر العزلة والانطوائية والتزام أحلاس البيوت. وأماكن العبادة؟..

إذن على المربي أن يوازن ما بين الربط والتحذير . وأن يجمع ما بين الإيجابيّة والسلبيّة .. وأن يكون مع الولد في جميع حركاته وسكناته .. حتى إذا رأى منه انحرافاً عن الجادة ردّه اليها . وإذا وجد زيغاً في العقيدة بصّره بنور الحق ، وأضاء قلبه بإشراقة الإيمان . وإذا استشعر فساداً في الخلق حذره من مغبّة النتائج . وربطه بالرباط الأمتن ، ووجهه التوجيه الاقوم ..

وعلى هذه الأسس فَلْيَمْضِ المربون . وعلى هاتيك القواعد فليعمل العاملون " ..

★ ★ ★

الفصل الثالث

الثالث : اقتراحات تربوية لا بدّ منها

وفي الختام أضع بين يدي المربين طائفة من الاقتراحات التربوية التي لابد منها ولا غناء عنها ، وهي لا تقل أهمية عما كتبناه سابقاً من فصول مضت حول « مسؤوليات المربين » ، وحول « وسائل التربية المؤثرة » ، وحول « القواعد الاساسية في تربية الولد » • وفي كتابة هذه الاقتراحات نكون قد أحطنا بوسائل التربيه من جميع الجوانب . ونكون في الوقت نفسه قد فتحنا أمام المربين آفاقاً جديدة في إعداد الولد خلقياً وفكرياً ونفسياً ، وفي تكوينه جسمياً وسلوكياً واجتماعياً •• ليكون الانسان الصالح لدينه وأمته ، والعضو النافع في أسرة الحياة . وهيئة المجتمع ••

وأرى ان هذه الاقتراحات تنحصر في الأمور التالية :

١ ــ تشويق الولد الى أشرف الكسب •

٢ ــ مراعاة استعدادات الولد الفطرية •

٣ ــ ترك المجال للولد في اللعب والترويح •

٤ ــ إيجاد التعاون بين البيت والمسجد والمدرسة •

٥ ــ تقوية الصلة بين المربي والولد •

٦ ـ السير على منهج تربوي في اليوم والليلة •

٧ ـ تهيئة الوسائل الثقافية النافعة للولد •

٨ ـ تشويق الولد الى المطالعة الدائمة •

٩ ـ استشعار الولد الدائم بسؤولية الاسلام •

١٠ ـ تعميق روح الجهاد في نفسية الولد •

وإن شاء الله في هذا الفصل فستكون الكتابة وافية حول كل مقترح من هذه الاقتراحات التي سبق ذكرها ، وعلى الله قصد السبيل ، ومنه نستمد العون والتوفيق •

★ ★ ★

١ ـ تشويق الولد الى أشرف الكسب :

من أهم المسؤوليات التي يجب أ ن ينهض بها المربي تجاه الولد تشجيعه على العمل الحر سواء أكان هذا العمل صناعياً أو زراعياً أو تجارياً ••

فالأنبياء عليهم الصلاة والسلام كانوا يزاولون الاعمال الحرة . ويتخصصون ببعض المهن والصناعات •• فأعطوا للأمم والاجيال القدوة الحسنة في العمل الحر والكسب الحلال ••

فهذا نوح عليه السلام تعلم صنع السفن ، وأمره الله بصنعها في قوله :

((واصنع الفلك بأعيننا ووحينا ، ولاتخاطبني في الذين ظلموا إنهم مغرقون ، ويصنع الفلك وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه ، قال إن تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون)) •

(هود : ٣٧ ـ ٣٨)

وقد نجا في السفينة هو ومن آمن معه •

وهذا داود عليه السلام كان يُجيد الحدادة وصناعة الدروع الحربية، قال تعـالى :

« **وعلّمناه صنعة لبوس** (الدروع) **لتحصِنكم من باسكم فهل أنتم شاكرون** » • (الأنبياء : ٨٠)

وقال أيضـاً :

« **وآلنّا له الحديد ان اعملْ سابغات وقدر في السرد** (صنع الدروع) **واعملوا صالحاً إني بما تعملون بصير** » •

(سبأ : ١٠ ــ ١١)

وهذا موسى عليه السلام الذي أجّر نفسه في رعي الغنم ثماني سنين لنبي الله شعيب عليه السلام مقابل نكاح إحدى ابنتيه ، قال تعالى :

« **قال إني أريد أن أنكحك احدى ابنتيّ هاتين على أن تأجُرَني ثمانـي حجج فإن أتممت عشرا فمن عندك وما أريد أن اشق عليك ستجدني ان شاء الله من الصالحين ، قال ذلك بيني وبينك أيّما الأجلين قضيت فـلا عـدوان علي والله على ما نقول وكيل** » •

(القصص : ٢٧ ــ ٢٨)

وهذا نبينا عليه الصلاة والسلام الذي كان يرعى الغنـم ، ويزاول التجارة قبل مبعثه صلى الله عليه وسلم، وهو القائل ــ كما روى البخاري ــ : « كنت أرعى الغنم على قراريط لأهل مكة » • وقد سافر الى الشام مرتـين للتجارة : المرة الاولى مع عمه ابي طالب وكان له من العمر أثنتا عشرة سنة ، والمرة الثانية أرسلته السيدة خديجة رضي الله عنها مع غلامها ميسرة ، وكان له من العمر خمس وعشرون عاماً ، وقد أجاد بها وأحسن •

فمن الشواهد التي سقناها يتبين أن الإقبـال علـى تعلـم الحِرَف

والصناعات ، ومزاولة العمل والتجارة .. هو من أشرف الكسب ، ومن أعظم الحلال .. لأن ذلك مهنة الانبياء ، وفعل المرسلين عليهم أفضل الصلاة وأتم التسليم ..

والاسلام بمبادئه الشاملة ، وتشريعه الكامل قد قدّس العمل ، وكرّم العمال ، واعتبر كسب الرجل من يده من أفضل القرُبات ، وأشرف الاعمال ..

وإليكم طائفة من نصوص القرآن الكريم ، واحاديث المصطفى عليه الصلاة والسلام :

ـ « هو الذي جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه واليه النشور » . (الملك : ١٥)

ـ « فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله » .
(الجمعة : ١٠)

ـ وروى الإمام أحمد عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال : « إن أفضل الكسب كسب الرجل من يده » .

ـ وروى الطبراني وابن عدي والترمذي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إن الله يحب العبد المحترف » .

ـ وروى البخاري عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال : « لأن يأخذ أحدكم حبله فيحتطب على ظهره خير له من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه » .
ـ وروى البخاري وأحمد وابن ماجه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ما أكل أحد طعاماً قط خيراً له من أن يأكل من عمل يده ، وان نبي الله داود كان يأكل من عمل يده » .

ـ وروى الطبراني والبيهقي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « كسب الحلال فريضة بعد الفريضة » .

وإليكم ما قاله السلف الصالح في شأن البطالة والبطالين :

ـ روى ابن الجوزي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه لقي قوماً لا يعملون فقال : ما أنتم ؟ قالوا : متوكلون ، فقال : « كذبتم إنما المتوكل رجل ألقى حبّة في الأرض ثم توكل على الله » ، وقال : « لا يقعدنّ أحدكم عن طلب الرزق ويقول : اللهم ارزقني وقد علم أن السماء لا تمطر ذهباً ولا فضة » . وهو الذي نهى الفقراء أن يقعدوا عن العمل اتكالا على الصدقات حين قال : « يا معشر الفقراء : استبقوا الخيرات ولا تكونوا عيالا على المسلمين » .

ـ وأخرج سعيد بن منصور عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال : « إني لأكره أن أرى الرجل فارغاً لا في عمل الدنيا ولا في الآخرة » .

ـ ورحم الله الشافعي حين قال :

لنقل الصخر من قُلَل الجبال
أحبّ إليّ من منن الرجال

يقول الناس كسب فيه عار
فقلت العار في ذلّ السؤالْ

فمن هذه النصوص التي أوردناها يتبين أن الاسلام اهتم بالعمل اليدوي ، وركّز على التعليم المهني ، وندّد بالبطالة والكسل ، وحضّ على التكسب والعمل ...

وهذا لا يتأتّى إلا في سنّ مبكّرة حيث يكون التعليم فيه أفضل ،

والنبوغ في المهنة أقوى وأظهر ••• لذا وجب على المربي أن يدفع الولد منذ الصغر الى التدريب على بعض المهن والفنون والصناعات ـ بعد أن يمر بمراحل الدراسة الابتدائية في تعليم الخط واللغة العربية ، وتلاوة القرآن الكريم ، وما يلزم تعليمه من العلوم الشرعية والتاريخية والكونية •• ـ لإعداد الولد لكسب عيشه ورزقه من كدّ يمينه ، وعرق جبينه •

ولنستمع الى ما يقوله ابن سينا في تعليم الولد أمور الصناعة ، وأعمال المهنة : « إذا فرغ الصبيّ من تعلّم القرآن الكريم ، وحفظ أصول اللغة •• نظر عند ذلك الى ما يراد أن تكون صناعته فيوجه لطريقه • فإن أراد الكتابة أضاف الى دراسة اللغة دراسة الرسائل والخطب ومناقلات الناس ومحاوراتهم وما أشبه ذلك ، وطورح الحساب (أي مُرّن على الحساب) ودخل به الديوان وعني بخطّه وإن أريد أخرى أخذ به فيها » •

فدراسة القرآن الكريم ، ومعرفة أصول اللغة كانتا من المواد الدراسية الاساسية في المناهج الاسلامية •• فإذا انتهى الصبي منهما نظر في أمره وفي الصناعة التي يميل اليها ، وأرشد الى السير في طريقها حتى يحسنها ويجيدها •

ومما يدل على عناية المسلمين بالمهنة لكسب الرزق نورد هذه القصة في امتهانهم لمهنة الخط : لما حضرت الوفاة أبا الإمام الغزالي وصى به وبأخيه أحمد الى صديق له من المحبين للخير وقال له : إني آسف كثيراً لعدم تعلمي الخط ، وأشتهي استدراك ما فاتني في ولدي هذين ، وهما محمد وأحمد ، فعلّمها ولا لوم عليك في أن ينفد في ذلك جميع ما أتركه لهما •

فلما مات الأب أقبل الصوفي على تعليمهما الى أن انتهى ذلك النّزر اليسير الذي كان قد تركه لهما أبوهما ، وتعذر على الصوفي أن يقوم بإطعامهما •

فقال لهما : إعلما أني قد أنفقت عليكما ما كان لكما ، وإنّي رجل فقير زاهد ليس لي مال فأواسيكما به ، وإنّ أصلح شيء أراه مناسباً لكما أن تلجأا الى مدرسة كأنكما من طلبة العلم فتحصلا على القوت الضروري الذي يعينكما على الحياة •

ففعلا ذلك ، وكان هو السبب في سعادتهما وعلو درجتهما ، وكان الإمام الغزالي يحكي هذا ويقول : « طلبنا العلم لغير الله فأبى أن يكون إلا لله » •

وينبغي أن نميّز بين صنفين من الأولاد في تعليمهم أمور المهنة والصنعة :

الأول : صنف المتفوقين دراسياً ، وعلى الغالب هم الأذكياء فهؤلاء لا ضير عليهم في أن يتابعوا تحصيلهم العلمي حتى النهاية على أن يتعلموا أثناء العطل والفرص المواتية ما يميلون اليه من حرفة أو صناعة••لكونهم لايدرون ما تواجههم به الايام من نكبات وأحداث ، ورحم الله من قال : « صنعة في اليد أمان من الفقر » ، ورضي الله عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب حين قال : « إني لأرى الرجل فيعجبني فأقول : أله صنعة ؟ ، فإن قالوا : لا ، سقط من عيني » •

الثاني : صنف المتخلفين دراسياً ، وعلى الغالب هم متوسطو الذكاء أو الأغبياء ، فهؤلاء بعد تعليمهم ما يلزمهم من أمور دينهم ودنياهم يجب أن يتوجهوا الى العمل المهني ، والاختصاص الصناعي من حين أن يشعر الأب أو المربي بقصورهم وتخلفهم •• ومن الخطأ أن يتابع الوليّ دراستهم وهم على هذه الحال من التخلّف والقصور والغباء •

وكم سمعنا عن أولاد بلغوا سن الشباب وهم لم يحصّلوا علماً ولم يتعلموا مهنة ؟ وما ذاك إلا لقصور نظر الأب أو المربي في وضع الولد في غير الموضع الذي يستأهل أن يكون فيه ، وربما عاش هملاً على هامش الحياة يستجدي الناس لينال عطفهم وإحسانهم وصدقاتهم ، أو تدرّج على سلّم

الإجرام ليسلب الناس أموالهم ، وينتهك أمنهم واستقرارهم .. وفي كلا الحالين هدر للكرامة ، وامتهان للشخصية ، وتحطيم للكيان العام .

فما على الآباء والمربين إلا أن ينتبهوا لهذه الظاهرة، ليعرفوا كيف يعدّون أولادهم للحياة ، وكيف يؤهلونهم للقيام بأعظم التكاليف ، وأضخم المسؤوليات ؟

أما المرأة وهي فتاة فينبغي أن تتعلم من الصناعات ، وأمور المهنة ما يتفق مع وظيفتها واختصاصها كأم وزوجة سواء ما يتعلق بأصول تربية الطفل ، أو ما يرتبط بوظائف البيت، أو ما يتصل بتعليم الخياطة أوغير ذلك مما تدعو الحاجة اليه .

أما عدا ذلك من الأعمال والمسؤوليات فالاسلام أعفاها منها .

ـ إما لكون هذه الاعمال والمسؤوليات لا تتفق مع تكوينها الجسماني وطبيعة أنوثتها كأن تمارس عمليات القتال أو تكون بنّاءة وحدّادة .

ـ وإما لكون هذه الاعمال والمسؤوليات تتعارض مع وظيفتها الطبيعية التي خلقت من أجلها كأن تكون عاملة في معمل ، أو موظفة في وظيفة .. ولها زوج وأولاد وبيت .

ـ وإما لكون هذه الاعمال والمسؤوليات يترتب عليها فساد اجتماعي خطير كأن توجد في بيئة أو وظيفة يكون فيها اختلاط الرجال بالنساء .

وفي تقدير أصحاب العقول الناضجة ، والبصائر النيّرة أن هذه الاعفاءات للمرأة تقدير لها ، وحفظ لأنوثتها ، ورفع لكرامتها ومنزلتها .

وإلا فمن يرضى أن يزجّ المرأة بأعمال تقعدها عن واجباتها التي خلقت من أجلها ؟

ومن منا يرضى أن يزجّ المرأة بأعمال شاقة ترهق جسمها ، وتفقدها أنوثتها ، وتسبّب لها الامراض والعاهات ؟

ومن منا يرضى أن يزجّ المرأة في وظائف مختلطة تكون سبباً في تلويث عرضها ، وتدنيس شرفها ؟

وهل من شيء أغلى على المرأة من العرض والشرف ؟

والذي نخلص اليه بعد ما تقدم أن العمل اليدوي ، والاختصاص المهني هو من أحل المكاسب وأشرف الاعمال ، فلنوجه أولادنا اليه ، وليكن دائماً اعتمادهم عليه !! لنحفظ لهم كرامتهم ؛ ونصون لهم شخصيتهم ، ونحقق لهم في الحياة معيشتهم !! .

★ ★ ★

٢ ـ مراعاة استعدادات الولد الفطرية :

من الامور الهامة التي يجب أن يدركها المربون جيداً ، وأن يهتموا بها ، ويوجهوا نظرهم اليها .. معرفة ما يميل اليه الولد من صنائع ، وما يناسبه من أعمال ، وما ينشده في الحياة من آمال وأهداف ..

ولا شك أن الاولاد يختلفون فيما بينهم أمزجة وذكاء وطاقة واتزاناً .. فالمربي الحكيم أو الأب الحصيف هو الذي يضع الولد في المكان المناسب الذي يتفق مع ميوله ، وفي البيئة الملائمة التي يصلح أن يكون فيها .

فإن كان الولد من النوع الذكي وعنده الرغبة الاكيدة في متابعة الدراسة، وإتمام التحصيل فعلى المربي أن يسهل له الاسباب للوصول الى غايته ، وتحقيق أمله .

وإن كان الولد من النوع المتوسط ذكاءً ، وعنده الميل الى تعلّم صنعة من الصنائع . أو مهنة من المهن .. فعلى المربي أن ييسّر له الأمور حتى يصل الى هدفه المنشود .

وإن كان الولد من النوع البليد فعلى المربي أن يوجهه الى عمل يتفق مع عقليّته ، ويتلاءم مع مزاجه واستعداده .

وهذا هو معنى قول عائشة رضي الله عنها فيما رواه مسلم وأبو داود :

« أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ننزل الناس منازلهم » .

حتى الدراسة التي يميل اليها الولد بطبعه ، ويتعشقها بفطرته .. تختلف على حسب المزاج والميل والوجهة .. فمن كان يميل بطبيعته الى الادب والشعر والكتابة .. لا يستطيع أن يكون فائقاً في الهندسة والطب والرياضيات .. ومن كان يميل الى الهندسة أو العلوم أو الطب .. لا يمكنه أن يتفوق في الشعر والادب .

وليس من السهل أن ينبغ الولد ويتفوق في كل علم يحصّله أو مادة يدرسها . ولكن من السهولة بمكان أن يتفوّق الولد وينبغ في المواد التي يحبها . ويميل إليها . أما المواد التي يكرهها ، وينفر منها فمن المحال أن يصل في دراستها الى ذروة التفوّق والنبوغ .

وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم القائل ـ فيما رواه الطبراني عن ابن عباس ـ : **« اعملوا فكلّ ميسّر لما خُلِق له » .**

انطلاقاً من هذه التوجيهات النبوية في مراعاة ميول الولـد ، وإنزاله منزلته .. طالب علماء التربية الاسلامية ، وعلى رأسهم « ابن سينا » بمراعاة ميول الولد ، واستعداداته الفطرية ، وقدراته الطبيعية عند إرشاده الى المهنة التي يختـارها أو الدراسة التي يتوجـه اليها . وقـد نادى « ابن سينا » بالعناية بدراسة ميول الصبي ، وجعلها أساساً لاختصاصه ووجهته حيث قال : « ليس كل صناعة يرومها الصبي مسكنة له مواتية ، ولكن ما شاكل طبعـه وناسبه ، وإنه لو كانت الآداب والصناعات تجيب وتنقاد بالطلب والمرام دون المشاكلة والملاءمة ما كان أحد غُفْلاً من الادب ، وعارياً من صناعة . وإذن لأجمع الناس كلهم على اختيار أشرف الآداب ، وأرفع الصناعات . وربمـا نافر طباع الانسان جميع الآداب والصناعات فلم يعلق منها بشيء ... ولذلك ينبغي لمدبر الصبي إذا رام اختيار صناعة أن يزن أولا طبع الصبي ، ويسبـر قريحته ، ويختبر ذكاءه ، فيختار له الصناعات بحسب ذلك »[1] .

وقد عني عبد الرحمن بن الجوزي « المتوفى سنة ٥٩٧ هـ » كل العناية بتوضيح أهمية الاستعدادات الفطرية التي لدى الصبي ، ومراعاتها في التوجيه حيث قال :

« إن الرياضة لا تصلح إلا في نجيب ، والكوْدَن (البغل) لا تنفعه الرياضة ، والسبع وإن رُبّيَ صغيراً لايترك الافتراس »[2] .

ومعنى هذا أن للذكاء والغباوة أثراً كبيراً في تفوّق الولد أو إخفاقه في التكوين الثقافي والإعداد العلمي ، ورحم الله من قال :

إذا ما المرء لم يولد لبيباً   فليس بنافع قدم الولادة

---

(١)و(٢) من كتاب « التربية الاسلامية وفلاسفتها » لمحمد عطية الابراشـي صفحة : ١٩٧ .

فالمربي إذن لا يعدم وسيلة في التعرف على نفسية الولد ، وما ينطوي عليه من ذكاء وغباوة ، وما يميل اليه من دراسة أو صناعة ..

وفي استطاعته أن يشق له طريق الحياة بما يتلاءم مع مصلحته ، وما يتناسب مع رغبته .. سواء ما يتعلق بالنبوغ الدراسي أو ما يتصل بالازدهار الصناعي أو التجاري .. وفي كلا الأمرين نفع للعباد ، وتقدم للبلاد !! ..

وعلى المربي ولا سيما الأب **أن لايحول بين الولد وبين الرغبة التي ينشدها في الحياة** إذا كان في هذه الرغبة مصلحة تعود اليه ، وفائدة يرجوها ..

فإن كان الولد يرغب في التحصيل العلمي وهو من الفطانة والذكاء بمكان فعليه أن لايحول بينه وبين هذه الرغبة ، ولو وجد الأب في سبيل ذلك مايثقل كاهله من النفقة والتكاليف ، وسيقطف ثمرة تضحيته حين يرى ولده في مصافّ المفكرين العظماء ، والنابغين العلماء !!.

وإن كان يرغب في العمل المهني أو التعامل التجاري .. فعليه أن لايحول بينه وبين هذه الرغبة ، عسى أن يتفوق في عمله واختصاصه وينبغ في مهنته وصناعته .. وفي ذلك ازدهار للاقتصاد ، وتقدم ملموس للأمة في ميادين العمل والانتاج .. أما إذا وقف الأب حجرة عثرة في طريق الولد ، وما يتطلبه في حياته من آمال ، وما ينشده من أهداف .. فان الولد سينصدم نفسيا ، ويتأثر صحيا .. وربما وقعت الشادة والخصومة بين الولد وأبيه ، وآل الأمر في النهاية الى الهجر والقطيعة والعقوق ، وكان المتسبب في ذلك الأب الذي لم يحسب لهذه الأمور حسابها ، ولم يقدّر لهذه النتائج قدرها ..

وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم القائل ــ فيما رواه أبو الشيخ في الثواب ــ :

« رحم الله والداً أعان ولده على برّه » .

★ ★ ★

٣ ــ ترك المجال للولد في اللعب والترويح :

الاسلام دين الواقع والحياة يعامل الناس على أنهم بشر لهم أشوافهم القلبية ، وحظوظهم النفسية ، وطبيعتهم الانسانية ، فلم يفترض فيهم أن يكون كل كلامهم ذكراً ، وكل صمتهم فكراً ، وكل تأملاتهم عبرة ، وكل فراغهم عبادة •• وإنما اعترف الاسلام بكل ما تتطلبه الفطرة البشرية من سرورو فرح ، ولعب ومرح ، ومزاح ومداعبة •• بشرط أن تكون في حدود ما شرعه الله ، في نطاق أدب الاسلام •

ولقد بلغ السمو الروحي ببعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم مبلغاً ظنوا معه أن التعبد الدائم ، والمراقبة المستمرة لله •• لابد أن تكون عادتهم وديدنهم ، وأن عليهم أن يطرحوا وراء ظهورهم مرح الحياة ؛ وطيبات الدنيا •• فلا يفرحون ولا يسرحون ولا يلعبون •• بل ظنوا أن وقتهم وفراغهم يجب أن ينصرف الى الآخرة دون أن يكون للهو المباح ، والمرح المعتدل أي نصيب من دنياهم !!••

ولنستمع الى حديث حنظلة الأسيدي رضي الله عنه ــ كما روى مسلم ــ فيما يحدث به عن نفسه :

لقيني أبو بكر وقال : كيف أنت يا حنظلة ؟

قلت : نافق حنظلة !!••

قال : سبحان الله ، ما تقول ؟

قلت : نكون عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يذكرنا بالنار والجنة حتى كأنا رأي عين ، فإذا خرجنا من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عافسنا (لاعبنا) الأزواج والأولاد والضيعات ، فنسينا كثيراً !!••

قال أبو بكر : فوالله إنا لنلقى مثل هذا !.

قال حنظلة : فانطلقت أنا وأبو بكر حتى دخلنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قلت : نافق حنظلة يا رسول الله !

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وما ذاك ؟

قلت : يا رسول الله ، نكون عندك تذكرنا بالنار والجنة حتى كأنّا رأي عين ، فإذا خرجنا من عندك عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات ، ونسينا كثيراً !.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : والذي نفسي بيده، إنْ لو تدومون على ما تكونون عندي وفي الذّكر ، لصافحتكم الملائكة على فرشكم وفي طرقكم ، ولكن ياحنظلة ، ساعة وساعة ، وكرر هذه الكلمة « ساعة وساعة» ثلاث مرات .

ورأينا في النهاية كيف أقرّ النبي صلى الله عليه وسلم حنظلة وأبا بكر رضي الله عنهما على ملاعبة الأزواج والأولاد .. ، وعلى ملاطفتهم وإدخال السرور عليهم ؟.. لكون هذا يتفق مع أمزجة البشر ، وطبيعة الانسان ..

وهناك وسائل شرعها الاسلام في الإعداد الجسمي ، والتدريب الجهادي.. تنبىء لكلّ ذي عقل وبصيرة ان الاسلام هو دين واقعي يقر للمسلم اللعب البريء واللهو المباح .. ما دام في مصلحة الاسلام ، وما دام في حدود ملاطفة الأهل والعيال !!..

من هذه الوسائل ما رواه الطبراني بإسناد جيد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « كل شيء ليس من ذكر الله فهو لهو أو سهو إلا أربع خصال : مشي الرجل بين الغرضين (للرمي) ، وتأديبه فرسه ، وملاعبته أهله، وتعليمه السباحة » .

وسبق أن ذكرنا الكثير من هذه الوسائل في مواطن عدّة من بحوثنا في هذا الكتاب •• فارجع اليه ـ أخي المربي ـ لترى بأمّ عينيك سماحة هذا الدين ، وعظمة هذا الاسلام !!•

وإذا كان اللعب البريء ، والترويح عن النفس ، والاعداد الجسمي والرياضي •• من الامور اللازمة للمسلم فان لزومها للولد وهو صغير من باب أولى • وذلك لأمرين هامين :

الأول : لأن قابلية الولد للتعليم وهو صغير أكثر من قابليته وهو كبير لحديث : « العلم في الصغر كالنقش في الحجر » رواه البيهقي والطبراني •

الثاني : لأن حاجة الولد الى ظاهرة اللعب والمرح والترويح •• وهو صغير أكثر بكثير من حاجته اليها وهو كبير لحديث « عرامة[1] الصبي في صغره زيادة في عقله في كبره » رواه الترمذي في نوادره •

والنبي صلوات الله وسلامه عليه وهو القدوة الصالحة في كل شيء كان يلاعب أبناء الصحابة ، ويروّح عن نفوسهم ، ويدخل السرور عليهم ، ويمرح معهم ، ويستأنس بهم ، ويشجعهم على اللعب البريء ، والمرح المباح !!••

وإليكم بعض النماذج :

١ ـ أخرج الإمام أحمد باسناد حسن عن عبد الله بن الحارث رضي الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصفّ عبد الله وعبيد الله وكثّير ابن العباس رضي الله عنهم ثم يقول : « من سبق إليّ فله كذا وكذا » ، قال : فيستبقون اليه فيقعون على ظهره وصدره فيقبلهم ويلتزمهم •

٢ ـ وأخرج أبو يعلى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال : رأيت الحسن والحسين رضي الله عنهما على عاتقي النبي صلى الله عليه وسلم فقلتُ : نعم الفرس تحتكما ! فقال عليه الصلاة والسلام : « ونعم الفارسان هما » •

---

(١) عرامة الصبي : أي لعبه وحيويته وقوة حركته واجتماعه مع غيره •

٣ ــ وروى الطبراني عن جابر رضي الله عنه قال : دخلتُ على النبي صلى الله عليه وسلم فدعينا الى طعام فاذا الحسين رضي الله عنه يلعب في الطريق مع صبيان ، فأسرع النبي صلى الله عليه وسلم أمام القوم ، ثم بسط يده فجعل يفر ههنا وههنا ، فيضاحكه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أخذه فجعل إحدى يديه في ذقنه والأخرى بين رأسه وأذنيه ، ثم اعتنقه وقبّله ، ثم قال : «حسين مني وأنا منه !! .. أحبّ الله من أحبّه ، الحسن والحسين سبطان من الأسباط» .

السبط : هو ولد الولد .

٤ ــ وروى الطبراني عن جابر رضى الله عنه قال : دخلت على النبى صلى الله عليه وسلم وهو يمشى على أربعة (أى على يديه ورجليه) وعلى ظهره الحسن والحسين وهو يقول « نعم الجمل جملكما ، ونعم العدلان أنتما » .

٥ ــ أخرج مسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحسن الناس خلقاً ، فأرسلني يوما لحاجة ، فقلت : والله لا أذهب ، وفي نفسي أن أذهب لما أمرني به نبي الله صلى الله عليه وسلم ، فخرجتُ حتى أمرّ على صبيان وهم يلعبون في السوق ، فاذا برسول الله صلى الله عليه وسلم بقفاي من ورائي ، فنظرت اليه وهو يضحك ، فقال يا أُنَيْس: ذهبتَ حيث أمرتُك ؟ قال : قلت نعم أنا ذاهب يا رسول الله ، قال أنس : والله لقد خدمتُه تسع سنين ما علمتُه قال لشيء صنعتُه : لمَ فعلتَ كذا وكذا ؟ أو لشيء تركتُه : هلا فعلت كذا وكذا !؟ » .

٦ ــ ويقول أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه ــ فيما رواه البيهقي ــ : « علموا أولادكم السباحة ، والرماية ، ومروهم فليثبوا على ظهور الخيل وثباً »

فانطلاقاً من ملاعبة النبي صلى الله عليه وسلم للصبيان ، وملاطفتهم والترويح عن نفوسهم .. نادى علماء التربية الاسلامية بحاجة الطفل إلى اللعب

والمرح والترويح عن النفس بعد الانتهاء من دروسه أو عمله ..

ولنستمع الى ما يقوله الامام « **الغزالي** » في إحيائه في هذا الشأن وينبغي أن يؤذن له (للصبي) بعد الانصراف من الكتّاب أن يلعب لعباً جميلا يستريح من تعب المكتب بحيث لا يتعب في اللعب ، فإن منع الصبي من اللعب، وإرهاقه بالتعلم دائماً يميت قلبه ، ويبطل ذكاءه ، وينغّص عليه العيش ، حتى يطلب الحيلة في الخلاص منه رأساً .. » .

وقد ذهب « **العبدري** » ما ذهب اليه الغزالي بضرورة اللعب والترويح عن النفس للطفل بعد ساعات الدرس ، أو الانتهاء من العمل !! ..

ومن المعلوم أن الحكمة من هذا اللعب إزالة ما يحس به الولد من السآمة والملل والتعب ، وتجديد لنشاطه وحركته وصفاء ذهنه ، وترويض لجسمه من أن يصاب بالأمراض والآفات !! ..

ولكن على المربي أن يلحظ في لعب الأولاد أمرين هامين :

الأول : ألاّ يؤدي اللعب الى الإرهاق الزائد ، والمشقة المؤذية لأن في ذلك ضررا للبدن ، وإضعافاً للجسم ، والنبي عليه الصلاة والسلام يقول : « لاضرر ولا ضرار » .

الثاني : ألاّ يكون هذا اللعب على حساب واجبات أخرى يجب أن يتلقنوها ، أو يكلفوا بها .. لأن في ذلك إضاعة للوقت ، وقتلاً للفائدة .. والنبي صلى الله عليه وسلم يقول :

« **إحرص على ماينفعك واستعن بالله ولاتعجز ..** » رواه مسلم .



٤ ــ ايجاد التعاون بين البيت والمسجد والمدرسة :

ومن العوامل المؤثرة في تكوين شخصية الولد العلمية والروحية والجسمية •• إيجاد التعاون الوثيق بين البيت والمدرسة والمسجد •

● ومن المعلوم أن **مسؤولية البيت** تتركز في الدرجة الأولى على **التربية الجسمية** للإثم الكبير الذي ينال من يضيع حق أولاده ، ويهمل معيشة عياله !!••

روى أبو داود عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « كفى بالمرء إثماً أن يضيّع من يقوت » • وفي رواية لمسلم : « كفى بالمرء إثماً أن يحبس عمن يملك قوته » •

● ومن المؤكد أن **رسالة المسجد في الاسلام** تتركز في الدرجة الأولى على **التربية الروحية** ، لما لصلاة الجماعة ، وقراءة القرآن الكريم من فيوضات ربانية ، ورحمات إلهية لا تنتهي ولا تنقطع •• روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « صلاة الرجل في جماعة تضعّف على صلاته في بيته وفي سوقه خمساً وعشرين ضعفاً ، وذلك أنه إذا توضأ فأحسن الوضوء ، ثم خرج الى المسجد لا يُخرِجُه إلا الصلاة ، لم يخطُ خطوة إلا رفعت له بها درجة ، وحطّت عنه بها خطيئة ، فاذا صلّى لم تزل الملائكة تصلي عليه مادام في مصلاّه ما لم يحدِث ، تقول : اللهم ارحمه ، اللهم ارحمه ولا يزال فى صلاة ما انتظر الصلاة » •

ــ وروى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ،

ويتدارسونه بينهم ، إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة ، وحفتهم الملائكة ، وذكرهم الله فيمن عنده » •

● ومن الأمور التي لا يختلف فيها اثنان أن مهمة المدرسة تتركز في الدرجة الأولى على **التربية العلمية** لما للعلم من أثر كبير في تكوين الشخصية ، ورفع كرامة الانسان !!••

ومن هنا كان فضل العلم عظيماً في نظر الاسلام :

فمن فضائله أن « من خرج في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع » رواه الترمذي •

ومن فضائله أن « من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهّل الله له طريقاً الى الجنة » رواه مسلم •

ومن فضائله « أن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضاً بما صنع ، وإن العالم ليستغفر له مَن في السموات ومَن في الأرض حتى الحيتان في الماء •• » رواه أبو داود والترمذي •

ومن فضائله أن « فضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب » رواه أبو داود والترمذي •

فحينما نقول بتعاون البيت مع المسجد والمدرسة ، فمعنى هذا أن الولد قد اكتملت شخصيته ، وتكوّن روحياً وجسمياً وعقلياً ونفسياً •• بل كان العضو الفعال في تقدم أمته ، وإعزاز دينه ••

ولكن هذا التعاون لا يتم على الوجه الأكمل إلا بتحقيق شرطين أساسيين :

الأول : ألاّ يكون هناك ازدواجية وتناقض بين توجيه البيت والمدرسة.

الثاني : أن يكون التعاون هادفاً لإيجاد التكامل والتوازن في بناء الشخصية الاسلامية . فاذا تم التعاون ضمن هذين الشرطين المذكورين .. فالولد يكتمل روحياً وجسمياً ، ويتكوّن عقلياً ونفسياً .. بل يكون إنساناً متوازناً سويّاً .. ينال إعجاب الناس ، ويشار إليه بالبنان !!..

وفي مجال التعاون مع المدرسة أريد أن أضع بين يدي الآباء والمربين الحقائق التالية :

أ ـ إن كثيراً من الاساتذة والمعلمين في مدارسنا وجامعاتنا (لايعرفون من التربية الصحيحة إلا أنها تقليد للأجنبي في سلوكه وأخلاقه، ومحاكاة لأوروبا في عاداتها وتقاليدها ، واستجداء للشرق أو الغرب في مبادئه ومعتقداته وأفكاره ..

وهاهم أولاء يربّون أبناء المسلمين على الطريقة الغربية الملتوية ، والنهج الإلحادي المنحرف .. لأن عواطفهم الدنسة ، وقلوبهم الخاوية ، وعقولهم الفارغة تعشقت أوروبا العاهرة ، والشيوعية الكافرة .. واستنقعت بحبّ المادة ، ومظهرها البرّاق ..

ب ـ وإن الكتب المدرسية التي يدرسها الطلاب في مدارسهم مليئة **بالدس ، والتشكيك**، والطعن بالأديان ، والدعوة الى الكفر والإلحاد..ونذكر على سبيل المثال بعض ما جاء فيها ، جاء في **كتاب المجتمع** لصف الشهادة الثانوية في سورية : « إن كل دعوة لإنشاء كيانات سياسية على أسس دينية إنما هي دعوة غبية » .**وفي كتب العلوم** عرض لنظرية « دارون »[1] على أنها حقيقة

---

(١) تتلخص النظرية على ان أصل الانسان جرتومة حية ، ثم تطورت من حال الى حال حتى وصلت الى قرد ، ومنه الى انسان ، ارجع الى كتابنا « شبهات وردود » لترى الرد العلمي على النظرية ، وكيف تهاوت تحت مطارق البحث والمنهج العلمي ؟

علمية ؛ لاتخاذها ذريعة للتشكيك بالخالق ، علماً أن العلم أبطلها ، وألقاها في سلة المهملات . وفي كتب الأدب تركيز على الحجاب الاسلامي ، ووصمه بأنه تأخر ورجعية ، وتركيز على التاريخ الاسلامي ، ووصفه بأنه تاريخ إقطاع واستبداد وانحلال..)[1] .

ج ــ إن تعليم الدين ضئيل جداً بالنسبة لسائر المواد العلمية والأدبية التي يتلقنها الطالب في المدرسة ، فالمسلم ــ والحال هذه ــ لايمكنه أبداً أن يتقن تلاوة القرآن الكريم ، ولا أن يتعرف على أحكام الشريعة ، ولا أن يحيط بحقائق السيرة والتاريخ !! لكون المدرسة لا تعطي هذا كله ، فيتخرج الطالب من المدرسة محدود الثقافة ، قاصر الفهم في نظام الاسلام ، وعلوم القرآن ، وتاريخ الجدود الأمجاد !!..

فإذا لم يقم المربي في البيت بمسؤوليته التربوية على الوجه الأكمل .. فربما انحرف الولد في عقيدته ، أو تميّع في أخلاقه .. فعندئذ لا ينفع مع الولد توجيه ، ولا يجدي في تقويم إعوجاجه إصلاح ..

والذي أخلص اليه بعد ما تقدم أن الأب في البيت مسؤول أولا عن تربية الولد الجسمية والخلقية إذا كان الولد في المسجد يتربى روحياً ، وفي المدرسة يتكوّن عقيدياً وعلمياً وثقافياً ..

أما إن شعر أن الولد في المدرسة لا يتربى على مبادىء العقيدة الاسلامية ، ولا يأخذ حظه من تعاليم الشريعة .. فعليه أن ينهض بمسؤوليته الشاملة في تربية الولد على كل ما يتصل بالاسلام عقيدة وعبادة وأخلاقا وتشريعاً .. بل عليه أن يضاعف جهده ، ويكرس وقته في كل مايعود الى الولد بالنفع الكبير ، والخير العميم .. كما عليه أن يربط الولد بالمسجد والعالم الرباني ، أومايتعلق

---

(1) من رسالتنا « الى ورثة الأنبياء » صفحة : ٤٢

بربطه بالرفقة الصالحة ، أو بربطه بالدعوة الواعية •• وبهـذا يكون الأب أو المربي قد أحاط الولد بسياج من العقيدة الاسلامية الراسخة ، وبمناعة مـن الخلق الاسلامي القويم •• فعندئذ لايتأثر بزيغ أو إلحـاد ، ولا ينساق وراء ميوعة أو انحلال !!••

★ ★ ★

٥ ـ تقوية الصلة بين المربي والولد :

من القواعد التربوية المجمع عليها لدى علماء الاجتماع والنفس والتربية•• تقوية الصلة ما بين المربي والولد ، ليتم التفاعل التربوي على أحسن وجـه ، ويكتمل التكوين العلمي والنفسي والخلقي •• على أنبل معنى !!••

ومن المؤكد لدى أصحاب العقول النيّرة أنه إذا كان ثمة جفوة ما بـين الولد والمربي أو ما بين الطالب والأستاذ •• فلا يمكن أن يتم تعليم ، أو تتحقق تربية •• لـذا وجب على الآبـاء والمربين **أن يبحثوا عن الوسائل الايجابية** في تحبيب الأولاد بهم، وتقوية الصلة بينهم، وإيجاد التعاون معهم ، واستشعار الشفقة عليهم ••

فمن هذه الوسائل ألاّ تفارق ثغر المربي الابتسامة للولـد ، لمـا روى الترمذي عن أبي ذر : « تبسمك في وجه أخيك صدقة » •

ومن هذه الوسائل تشجيع الولد بالهدية في كل أمر يحسنه ، أو دراسة يتفوّق بها ، لما روى الطبراني في الأوسط عن عائشـة رضي الله عنها مرفوعاً : « تهادوا تحابّوا » •

ومن هذه الوسائل استشعار الولد الاهتمام به والشفقة عليه ، لما روى البيهقي عن أنس رضي الله عنه مرفوعاً : « من أصبح لايهتم بالمسلمين فليس منهم » .

ومن هذه الوسائل معاملة الولد بحسن الخلق ، وسياسة الملاطفة ، لما روى الترمذي والنسائي والحاكم ، وقال : رواته ثقات عن أبي هريرة رضي الله عنه : « أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلُقاً ، وألطفهم بأهله » .

ومن هذه الوسائل تلبية المربي رغبة الولد لتكون عوناً له على برّه ، لما روى أبو الشيخ عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « رحم الله والداً أعان ولده على برّه » .

ومن هذه الوسائل اندماج المربي بالولد ، والمباسطة معه ، والتصابي له ، لما روى الطبراني عن جابر قال : دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم وهو يمشي على أربعة ، وعلى ظهره الحسن والحسين وهو يقول : « نعم الجمل جملكما ، ونعم العِدْلان أنتما » ..

ونبي الاسلام صلوات الله وسلامه عليه ــ وهو المربي الأول ، والقدوة الصالحة للناس جميعا ــ كان المثل الأعلى في تطبيق هذه الوسائل الإيجابية بين أصحابه ، وبين كل من يلوذ به من أهل وولد ..

فمن ناحية التبسم يقول أبو الدرداء ــ كما روى الامام أحمد ــ : « ما رأيت أو سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدّث حديثاً إلا تبسّم » .

ويروي الترمذي عن جرير بن عبد الله : ما حجبني رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ أسلمت ، ولا رآني إلا تبسّم » .

ومن ناحية المهاداة ، فكان عليه الصلاة والسلام يقبل الهدية ويثيب عليها.

ومن ناحية الرحمة بالأولاد ، والاهتمام بهم ، والشفقة عليهم ..

كان عليه الصلاة والسلام يمسح رؤوس الصبيان ، ويقبّلهم ، جاء في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت : قبّل رسول الله صلى الله عليه وسلم الحسن والحسين ابني عليّ ، وعنده الأقرع بن حابس التميمي ، فقال الأقرع: إن لي عشرة ما قبلتُ منهم أحداً قط ! ، فنظر اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال : « مَن لا يَرحم لا يُرحم » .

وروى الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم « كان إذا أُتيَ بأول ما يدرك من الفاكهة يعطيه لمن يكون في المجلس من الصبيان » .

وروى الشيخان عن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « إني لأدخل في الصلاة أريد إطالتها ، فأسمع بكاء الصبي فأتجوّز في صلاتي ، مما أعلم من شدة وجْدِ أمه » .

ومن ناحية حسن أخلاقه ، وملاطفته لأصحابه عليه الصلاة والسلام فانها أكثر من أن تحصى ..

ـ جاء في الصحيحين عن أنس رضي الله عنه قال : خدمتُ النبي صلى الله عليه وسلم عشر سنين ، فما قال لي أفٍّ قط ، ولا قال لشيء صنعتُه : لمَ صنعتَه ؟ ، ولا لشيء تركتُه : لمَ تركتَه ؟ » وفي رواية لأبي نعيْم : قال أنس : (فما سبّني صلى الله عليه وسلم قط ، ولا ضربني من ضربة ، ولا انتهرني ، ولا عبس في وجهي ، ولا أمر في أمر فتوانيتُ فيه فعاقبني عليه ، فإن عاتبني عليه أحدٌ من أهله قال : « دعوه لو قُدّرَ شيء كان ») .

ـ وروى ابن سعد عن عائشة رضي الله عنها أنها سئلت : كيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا خلا في بيته ؟ فقالت : « كان ألين الناس ، بسّاماً ضحّاكا ، لم يُرَ قطّ مادّاً رجليه بين أصحابه » وذلك لعظيم أدبه ، وكمال وقاره عليه الصلاة والسلام .

ـ روى الترمذي وابن ماجه والبخاري في الأدب المفرد عن عليّ كرم الله وجهه قال : استأذن عمار على النبي صلى الله عليه وسلم ، فعرف صوته فقال : « مرحباً بالطيّب المطيّب » .

ـ أخرج الامام أحمد من حديث أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يلقى الرجل فيقول له : « يا فلان كيف أنت ؟ » فيقول : بخير أحمد الله ، فيقول له النبي صلى الله عليه وسلم : جعلك الله بخير » .

ـ روى الطبراني عن جرير بن عبدالله البَجَلي رضي الله عنه قال : لما بُعث النبي صلى الله عليه وسلم أتيته فقال : « ما جاء بك ؟ » ، قلتُ : جئت لأسلم ، فألقى إليّ كساءه وقال : « إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه » .

ـ وروى مسلم عن سماك بن حرب قال : قلت لجابر بن سمرة رضي الله عنه : أكنتَ تجالس رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ ، فقال جابر : نعم كثيراً ، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقوم من مصلاّه الذي يصلّي فيه الصبح حتى تطلع الشمس ، فاذا طلعت قام ، وكانوا يتحدثون فيأخذون في أمر الجاهلية فيضحكون ويتبسّم عليه الصلاة والسلام .

ـ وفي الصحيحين عن أنس رضي الله عنه قال : إنْ كان النبي صلى الله عليه وسلم ليخالطنا ـ أي ليلاطفنا ويمازحنا ـ حتى يقول لأخ لي : « يا أبا عميْر ، مافعل النُّغَيْر ؟ » أي ـ الطير ـ لأنه كان له « نُغَيْر » يلعب به

فمـات ، فحزن عليـه النبي صلى الله عليـه وسلم فقـال له : « يا أبا عمير ، ما فعل النغير ؟ » ..

فانطلاقاً من هذه الوسائل الايجابية التي كان يعامل بهـا النبي صلـى الله عليـه وسلم أصحابه ، ويقابل بها الناس حتى الصغار والصبيان .. أحبّه الأصحاب محبة صادقة مخلصة ، وبذلوا نفوسهم إيماناً به ، وفداء له ، وحباً فيـه ، فكانوا كمـا وصفهم الله سبحانه : « لا يرغبـون بأنفسهم عـن نفسه » ، ولا يؤثرون أحداً عليه .

ــ ومما يؤكد هذه المحبة الصادقة المخلصة قول أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه ، وقـد سئل كيف كان حبكم لرسـول الله صلم الله عليه وسلم ؟ ، فقال : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحبّ الينا من أموالنا وأولادنا ، وآبائنا وأمهاتنا ، وأحب إلينا من الماء البارد على الظمأ » .

ــ ومما يؤكد هذه المحبة ما رواه البيهقي وابن اسحاق أن امرأة من الانصار قد قتل أبوها وأخوها وزوجها ، شهداء يوم أحد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالت لما أُخبرت بذلك : ما فعل رسول الله صلـى الله عليه وسلم ؟ (وأرادت بذلك السؤال عن سلامته وبقائه) ، قالوا : خيراً هو بحمـد الله كما تحبّين .

فقالت : أرونيه حتى أنظر اليه ، فلما رأته عليه الصلاة والسلام قالت : « كل مصيبة بعدك جلل » ، أي بعد سلامتك هينة ..

ــ ومـمـا يـؤكـد هـذه المحبـة **أنه لاصبر لهم على مفارقته في الدنيا وفي الآخرة ..**

روى الطبراني عن عائشة رضي الله عنها .. أن رجلا ــ هو ثوبان ــ

أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يارسول الله لأنت أحبّ إليّ من أهلي ومالي . وإني لأذكرك فما أصبر حتى أجيء إليك . وإني ذكرتُ موتي وموتك فعرفت أنك اذا دخلت الجنة رُفِعْتَ مع النبيين ، وإن دخلتها لاأراك أبداً . فأنزل الله تعالى هذه الآيــة :

« ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين ، وحسن أولئك رفيقاً » ، فدعا به النبي صلى الله عليه وسلم فقرأ الآية عليه .

ـ ومما يؤكد هذه المحبة **بكاؤهم عند ذكره صلى الله عليه وسلم .**

أخرج ابن سعد عن عاصم بن محمد عن أبيه قال : ما سمعت ابنَ عمر ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا ابتدرت عيناه تبكيان .

وروى ابن سعد أيضاً عن أنس رضي الله عنه قال : ما من ليلة إلا وأناأرى فيها حبيبي صلى الله عليه وسلم ، ثم يبكي .

وروى ابن عساكر بسند جيد ـ كما نص عليه الحافظ الزرقاني ـ عن بلال رضي الله عنه أنه لما نزل « بداريّا » ـ اسم مكان قريب من الشام ـ رأى النبي صلى الله عليه وسلم في المنام ـ أي بعد وفاته ـ وهو يقول : ما هذه الجفوة يابلال ؟ أما آن لك أن تزورني ؟ فانتبه بلال حزيناً خائفاً . فركب راحلته . وقصد المدينة ، فأتى قبر النبي صلى الله عليه وسلم فجعل يبكي ويمرّغ وجهه عليه .

فأقبل الحسن والحسين رضي الله عنهما . فجعل بلال يضمهما ويقبلهما . فقالا له : تتمنى أن نسمع أذانك الذي كنت تؤذّن به لرسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد . فعلا سطح المسجد ، ووقف موقفه الذي كان يقف

فيه . فلما قال : « الله أكبر . الله أكبر » : ارتجّت المدينة ، فلما قال :« أشهد أن لا إله إلا الله » ازدادت رجّتها . فلما قال : « أشهد أن محمداً رسول الله » خرجت العواتق ــ النساء ــ من خدورهن وقالوا : أبُعث رسول الله صلى الله عليه عليه وسلم ؟! فما رؤي يوم أكثر باكياً ولا باكية بالمدينة بعده صلى الله عليه وسلم أكثر من ذلك اليـــوم .

وذلك لتذكرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبب سماع الأذان من مؤذنه بلال رضي الله عنه .

ــ ومما يؤكـــد هـــذه المحبـــة **ضجيج بكاء الصحابة لوفاتـــه عليـــه الصلاة والسلام ..**

أخرج الواقدي عن أم سلمة رضي الله عنها قالت : بينما نحن مجتمعون نبكي لوفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم لم نَنَمْ ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم في بيوتنا ، ونحن نتسلّى برؤيته على السرير . إذ سمعنا صوت الكرازين ــ أي صوت الفؤوس يحفر بها ــ في السحر . قالت أم سلمة : فصحنا وصاح أهل المدينة ، فارتجّت المدينة صيحة واحدة ، وأذن بلال الفجر وانتحب . فزادنا حزناً . وعـــالج الناس الدخـــول ــ أي الوصول الى القبر ــ فغُلق دونهم ــ (أي مُنعوا من الهجوم إلى القبر الشريف وقت الدفن) .

قالت أم سلمة رضي الله عنها : فيالها من مصيبة !، ما أصبنا بعدها بمصيبة إلا هانت إذا ذكرنا مصيبتنا به صلى الله عليه وسلم .

يقـــول أبو العتاهية في هـــذا المعنى :

اصبر لكـــل مصيبة وتجلـّـــد

واعـــلم بأن المـــرء غـــير **مخلـّد**

أوماتـــرى أن المصائب جـَمـَّـــة

وترى المنيـّة للعبـــاد بمرصد

مَن لم يُصَبْ ممن ترى بمصيبةٍ
هــذا سبيل لستَ فيه بأوحــد

فإذا ذكــرتَ محمــداً ومصابَه
فاذكــر مصابك بالنبيّ محمــد

فمما عرضناه آنفاً من الوسائل الايجابية التي وجه اليها نبيّ الاسلام صلوات الله وسلامه عليه في التحبب الى الناس ، وتوثيق أواصر المودة لهم ، واستشعار معنى الاهتمام بهم ، وإيجاد روح التعاون معهم .. يتبين لكــل ذي عينين أن من أكبر الأسس في تكوين الشخصية الاسلاميــة ، وتربيتها على الفضائل ، وتعويدها على خُلُق المكارم .. هو توثيق أواصر المحبة والإخاء والتفاهم .. ما بين المربي والولد .. لتتحقق بينهما الفائدة المرجوّة، والأثر الطيب ، ويقطف المربي ثمرة سعيه ، ويجني حصاد زرعه .. ويرى الولد يرتع في رياض الصالحين الأخيار ، ويسرح في رحاب المتقين الأبرار !!..

فإذا أردت ــ أخي المربي ــ أن يستجيب ولدك الى ندائك ، ويصغي الى نصحك وارشادك .. فما عليك إلا أن تسير على هدي الاسلام ، في التحبيب الى الولد . وتتأسى بالنبي صلى الله عليه وسلم في معاملته لأصحابه ، وحسن معاشرته لجلسائه .. وبهذا تكون قد سلكت سبيل التربية القويمة ، وأخذت بأفضلها ، وبالتالي تكون أيضاً قد ملكت قلب ولدك ، وشُغِفَ بك حبّاً ، وتعلق بك قلباً ، وتَقَبَّل كل ماترشد اليه من نصح ، وما تسعى اليه من إصلاح !..



٦ ـ السير على منهج تربوي في اليوم والليلة :

من أوجب المسؤوليات التي يجب أن يهتم المربي بها ، ويسعى اليها .. تسيير الولد على منهج تربوي رتيب في اليوم والليلة حتى يعتاده ، ويدرج عليه ، ويجد تنفيذه في المستقبل أمراً عادياً مألوفاً .. لكونه تأصل في كيانه ، وترسّخ في شعوره وفؤاده ..

وإليك ـ أخي المربي ـ تفاصيل هذا المنهج مستوحى من هدي الاسلام لعلك تأخذ به وتسير عليه :

أ ـ عند الصباح يتبع المربي المنهج الآتي :

● فما أجمل أن يرافق انتباهك وانتباه ولدك من النوم ذكر الله عز وجل ، وذلك بقراءة الدعاء المأثور : « الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور » رواه البخاري ومسلم .

« لا إله إلا أنت سبحانك اللهم وبحمدك ، أستغفرك لذنبي ، وأسألك رحمتك ، اللهم زدني علماً ، ولاتُزِغْ قلبي بعد إذ هديتني ، وهب لي من لدنك رحمةً ، إنك أنت الوهاب » رواه أبو داود .

● ثم إن كان للولد حاجة الى دخول بيت الخلاء فعلّمه ـ أخي المربي ـ **آداب الدخول ، وآداب الاستنجاء :**

ـ علّمه أن يقدم رجله اليسرى دخولا ، وتقديم اليمنى خروجاً ، لورود البدء بالتيامن فيما هو شريف ، والبدء بالتياسر فيما هو دنيء .

ـ علّمه عند دخوله إلى الخلاء الدعاء بالمأثور : « اللهم إني أعوذ بك من الخبث[1] والخبائث » رواه البخاري ومسلم وغيرهما .

---

(١) المراد بالخبث والخبائث : ذكران الشياطين وإناثهم .

ـ علمه ألا يصحب معه ما فيه ذكر الله بشكل ظاهر ، لما روى أصحاب السنن عن أنس رضي الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دخل الخلاء وضع خاتَمَه . وكان منقوشاً عليه « محمد رسول الله » كما روى الحاكم .

ـ علّمه أن يبتعد عن أعين الناس إذا كان في الفلاة ، لما روى أبو داود عن جابر رضي الله أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا أراد البَرَاز انطلق حتى لا يراه أحد .

ـ علمه ألا يستقبل القِبْلة ولايستدبرها ، لما روى البخاري ومسلم .. عن أبي أيوب الانصاري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إذا أتيتم الغائط ، فلا تستقبلوا القبلة ولاتستدبروها ، ولكن شرّقوا وغرّبوا » .

ـ علّمه ألا يقضي حاجته في ظل الناس وطريقهم وأماكن جلوسهم ، لما روى مسلم وأحمد .. عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اتقوا اللاعنيْن[1] ، قيل : وما اللاعنان ؟ قال : الذي يتخلّى في طريق الناس أو ظلهم » .

ـ علّمه ألا يتكلم مطلقاً عند قضاء الحاجة ، لما روى مسلم وغيره .. عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رجلاً مرّ على النبي صلى الله عليه وسلم ـ وهو يبول ـ فسلّم عليه ، فلم يردّ السلام .

ـ علّمه أن يستبرىء من البول ، وأن يتجنب النجاسة حتى لاتصيب

---

(١) اللاعنين : الأمرين الجالبين للعن ، الداعيين اليه . وهما التغوّط في الطريق أو الظل .

ثوبه أو بدنه ، لأن عامة عذاب القبر من عدم الاستبراء من البول ، لما روى الدارقطني عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « استنزهوا من البول فإن عامة عذاب القبر منه » .

ـ علّمه ألاّ يستنجي بيمينه ، لما جاء في الصحيحين عن أبي قتادة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إذا بال أحدكم فلا يأخذ ذَكَرَهُ بيمينه ، ولا يستنج بيمينه ، ولا يتنفس في الإناء » .

ـ علّمه أن يجمع ما بين المسح بالورق والماء في حالة الاستنجاء فإن هذا الجمع أفضل ، لما روى البزار وابن ماجه والحاكم عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأهل قباء : « إن الله قد أحسن عليكم الثناء في الطهور ، فما ذاك ؟ قالوا : نجمع في الاستنجاء بين الأحجار[1] والماء » .

ـ علّمه عند الخروج من الخلاء أن يقدّم رجله اليمنى ويدعو بالدعاء المأثور :

« غفرانك » رواه أبو داود والترمذي .

« الحمد لله الذي أذهب عني الأذى وعافاني » ابن ماجه .

وقد ورد : « الحمد لله الذي أذاقني لذته ، وأبقى فيّ قوّته ، ودفع عني أذاه » .

ـ علّمه عند الخروج من الخلاء أن يغسل يديه بالماء والصابون ، لما روى النسائي عن جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال : « كنتُ مع النبي صلى الله عليه وسلم ، فأتى الخلاء ، فقضى الحاجة ، ثم قال : ياجرير هاتِ طَهوراً ، فأتيته بالماء ، فاستنجى ، وقال بيده ، فدلك[2] بها الأرض » .

---

(١) الآن يقوم الورق مقام الحجر .
(٢) والآن يقوم الصابون مقام الدلك بالتراب .

● **ثم اشرع معه بالوضوء :**

ـ بيّن له فضل الوضوء ، وأنه يغفر الذنوب ، لما روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إذا توضأ العبد المسلم فغسل وجهه ، خرج من وجهه كل خطيئة نظر اليها بعينه مع الماء ، أو مع آخر قطر الماء ، فإذا غسل رجليه ، خرجت كل خطيئة مشتها رجلاه مع الماء ، أو مع آخر قطر الماء ، حتى يخرج نقياً من الذنوب » .

ـ علّمه الدعاء بالمأثور بعد الفراغ من الوضوء :

« أشهد أن لا إله إلا الله ، وحده لاشريك له ،وأشهد أن محمداً عبده ورسوله » رواه مسلم وأحمد ..

« اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين » رواه الترمذي .

« سبحانك اللهم وبحمدك ، أشهد أن لا إله إلا أنت ، أستغفرك وأتوب إليك » رواه النسائي .

ـ علّمه أن يصلي ركعتين بعد كل وضوء ، لما روى مسلم وأحمد .. عن عقبة بن عامر الجهني رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما من مسلم يتوضأ فيحسن وضوءه ، ثم يقوم فيصلي ركعتين يقبل عليهما بقلبه ووجهه إلا وجبت له الجنة »[1] .

● **ثم اشرع معه في أن يصلي ما تيسر من الليل :**

لما روى مسلم وأبو داود عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله

---

(١) اما كيفية الوضوء وآدابه فيمكنك ـ أخي المربي ـ أن ترجع الى اي كتاب من كتب الفقه للاستفادة والتعليم ، واذكرك بسنة السواك الذي ورد فيه اكثر من مائة حديث .

صلى الله عليه وسلم قال : « إذا قام أحدكم من الليل فليفتتح الصلاة بركعتين خفيفتين » .

وقبل الصلاة يدعو بدعاء التهجد ، لما روى الشيخان عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم :« إذا قام من الليل يتهجد قال :

« اللهم ربنا لك الحمد ، أنت قيّم السموات والأرض ومَن فيهن ، ولك الحمد أنت نور السموات والارض ومن فيهن ، ولك الحمد أنت مَلِكُ السموات والأرض ومَن فيهن ، ولك الحمد ، أنت الحق ، ووعدك الحق ، ولقاؤك حق ، وقولك حق . والنار حق ، والنبيون حق : ومحمد حق . والساعة حق ، اللهم لك أسلمتُ وبكَ آمنت ، وعليك توكلت ، واليك أنبت . وبك خاصمت . وإليك حاكمت . فاغفر لي ما قدمت وما أخرت ، وما أسررت وما أعلنت : أنت المقدم وأنت المؤخر . لا إله إلا أنت ، ولاإله غيرك » .

وليس لصلاة الليل عدد معين ، فليصلّ طاقته ويسره ، فليصل ركعتين، ركعتين ...، لما جاء في الصحيحين عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « صلاة الليل مثنى مثنى ، فإذا خفت الصبح فأوتر بواحدة » .

ــ ومن فضائل قيام الليل **أنه سبيل الى الجنة ،** ، لما روى الترمذي عن عبد الله بن سلام رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « أيها الناس : أفشوا السلام ، وأطعموا الطعام ، وصلوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام » .

ــ ومن فضائله أن القائم لليل يكتب **عند الله من الذاكرين**

والذاكرات ، لما روى أبو داود عن أبي سعيد رضي الله عنـــه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا أيقظ الرجل أهله من الليل فصلّيا أو صلّى ركعتين جميعاً كُتب في الذاكرين والذاكرات » .

ــ ومن فضائلــه أنــه **قُربة الى الله ، ومكفّر للخطايا ،** لمــا روى الترمذي عن أبي أمامة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين قبلكم ، وقُرْبَة الى ربكم ، ومَكْفَرَة للسيئات ومنهاة عن الإثم » .

● ثم اشرع معه في أن يصلي صلاة الفجر في المسجد :

ــ علّمه الدعاء بعــد الأذان ، لما روى مسلم وأبو داود وغيرهما عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثلما يقول[1] ، ثم صلوا عليَّ ، فإنه من صلى علي صلاة ، صلى الله عليه بها عشراً ، ثم سلوا الله لي الوسيلة : فإنها منزلة لاتنبغي إلا لعبد من عباد الله ، وأرجو أن أكون أنا هو ، فمن سأل لي الوسيلة : حلّت له الشفاعة » .

والدعاء بعد الأذان يكون بالصيغة التي صحت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

روى البخاري وغيره عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : من قال حين يسمع النداء : « اللهم ربّ هذه الدعوة التامة ، والصلاة القائمــة ، آت محمداً الوسيلة والفضيلة ، وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدته ، حلّت له شفاعتي يوم القيامة » .

---

(١) أي أن يقول مثل ما يقول المؤذن تماماً إلا في قول المؤذن ، حي على الصلاة، حي على الفلاح فانه يقول : « لاحول ولاقوة الا بالله » كما روى الامام مسلم ...

ـ بين له فضيلة صلاة الجماعة في المسجد ، لما روى أبو داود والترمذي عن بريدة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « بشّروا المشّائين في الظُّلَم الى المساجد بالنور التام يوم القيامة » .

وروى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من تطهّر في بيته ثم مضى الى بيت من بيوت الله ليقضي فريضة من فرائض الله كانت خطواته إحداها تحطّ خطيئة والأخرى ترفع درجة » .

وروى الشيخان عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « صلاة الجماعة أفضل من صلاة الفذّ (الواحد) بسبع وعشرين درجة » .

ـ علّمه قراءة التسبيحات والدعاء بعد الفراغ من الصلاة ، لما روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : « مَن سبّح الله تعالى في دبُر كل صلاة ثلاثاً وثلاثين ، وحمد الله ثلاثاً وثلاثين ، وكبّر الله ثلاثاً وثلاثين ، فتلك تسعة وتسعون ، ثم قال تمام المائة : لاإله إلا الله ، وحده لاشريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ، غفرت له خطاياه ، وإن كانت مثل زبد البحر » .

الدعاء الوارد بعد صلاة الفجر والمغرب :

« لا إله إلا الله وحده لاشريك له ، له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير » عشر مرات (الترمذي) .

« اللهم أجرني من النار » سبع مرات (أبو داود) .

« اللهم إني أسألك الجنة » ثماني مرات .

الدعاء الوارد بعد كل صلاة :

« اللهم أنت السلام ومنك السلام ، تباركت ياذا الجلال والاكرام » .

(مسلم وغيره)

« اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك » .

(أبو داود والنسائي)

« رب قني عذابك يوم تبعث عبادك » (مسلم)

آية الكرسي ، ثم : قل هو الله أحد ، ثم : المعوّذتين : قل أعوذ برب الفلق ... قل أعوذ برب الناس ...

« سبحان الله ، والحمد لله ، والله أكبر » ثلاثاً وثلاثين مرة .

(مسلم)

قل في تمام المئة :

« لاإله إلا الله وحده لاشريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير » (مسلم) .

الى غير ذلك من الأدعية المأثورة ...

ــ بيّن له كراهية صلاة النافلة بعد صلاة الصبح ، وبعد صلاة العصر ، لما روى البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا صلاة بعد الصبح حتى ترتفع الشمس ، ولا صلاة بعد العصر حتى تغيب الشمس » .

ــ بيّن له كراهية الصلاة مطلقاً عند شروق الشمس ، وعند الظهيرة ، وعند الغروب[1] ، لما روى مسلم وغيره عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال : « ثلاث ساعات كان رسول الله صلى الله عليه وسم ينهانا أن نصلي فيهن ، أو نقبر فيهن موتانا : حين تطلع الشمس بازغةً حتى ترتفع ، وحين يقوم قائم الظهيرة حتى تميل الشمس ، وحين تَضَيَّف (تميل) الشمس للغروب حتى تغرُب » .

---

(1) وتقدر الشروق ، وقبيل الظهيرة ، والغروب بنصف ساعة تقريبا .

● ثم اشرع معه بأذكار الصباح :

لورود الأمر بالذكر والحض عليه :

قال تعالى :

((فاذكروني أذكركم)) (البقرة : ١٥٢)

وقال أيضا :

((واذكر ربك في نفسك تضرعاً وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والآصال ، ولاتكن من الغافلين)) .

(الأعراف : ٢٠٥)

وقال كذلك :

((يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا ، وسبحوه بكرة وأصيلا)) .

(الأحزاب : ٤١)

ـ وقال عليه الصلاة والسلام : « كلمتان خفيفتان على اللسان ، ثقيلتان في الميزان ، حبيبتان الى الرحمن : سبحان الله وبحمده ، سبحان الله العظيم » رواه الشيخان .

ـ وروى الشيخان عنه صلى الله عليه وسلم : « مثل الذي يذكر ربه والذي لايذكر ربه مثل الحي والميت » .

ـ روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال : جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ، ما لقيتُ من عقربٍ لدغتني البارحة ، قال : أمّا لو قلتَ حين أمسيت : «أعوذ بكلمات الله التامات من شرّ ما خلق » لم تضرّك .

ـ وروى أبو داود والترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه كان يقول إذا أصبح : « اللهم بك أصبحنا . وبك أمسينا ، وبك نحيا ، وبك نموت ،

وإليك النسور » ، وإذا أمسى قال : « اللهم بك أمسينا ، وبك نحيا ، وبك نموت ، وإليك المصير »[1] .

● **ثم اشرع معه بتلاوة ماتيسر من القرآن الكريم :**

ـ لما ورد من أحاديث صحيحة في فضل تلاوة القرآن الكريم :

ـ روى مسلم عن أبي أمامة رضي الله عنه قال : سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « اقرؤوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه» .

ـ وروى البخاري عن عثمان رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « خيركم من تعلّم القرآن وعلّمه » .

ـ وروى الترمذي عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَن قرأ حرفاً من كتاب الله فله حسنة ، والحسنة بعشر أمثالها ، لاأقول : آلم حرف ، ولكن : ألف حرف ، ولام حرف ، وميم حرف » .

ولاتترك التلاوة لنفسك وولدك ولو على آيات يسيرات في كل يوم ، وخير العمل أدومه وإن قلّ .

● **ثم اشرع معه بتدريبات رياضية :**

امتثالا لقوله تبارك وتعالى :

« وأعدوا لهم مااستطعتم من قوة .. » .

وتحققاً بقوله عليه الصلاة والسلام : « المؤمن القويّ خير وأحب الى الله من المؤمن الضعيف وفي كلٍّ خير .

---

(1) ارجع إلى المأثورات للامام الشهيد حسن البنا تغمده الله في رحمته ، ففيها مجموعة جيدة من الأدعية والأذكار الصباحية والمسائية مسندة بالاحاديث الصحيحة .

وانطلاقاً من نمـاذج ترويحيـة ، ومـواقف ترفيهية ، ومبادىء تكوينية وإعدادية •• خط معالمها نبي الاسلام صلوات الله وسلامه عليه ، وأظهر تطبيقاتها في عالم الواقع •• لتكون للمربين قدوة •• وقد سبق الكلام عنها في بحث مضى قبل قليل •

وهذه التدريبات تشمل جميع أنواع الرياضة من جري ، وحركات سويدية ، وقَفْزٍ ، ومصارعة ، وحمل أثقال ، وغير ذلك •

وما أجمل المربي حين يجمع مع من له في عنقه حق التربية بين العبادة والجهاد ، وبين الروح وإعداد وسائل القوة ، وبين الجد والمرح ، وبين الدين والدنيا ، وبين الآخرة والاولى •••

وما أكرمه عند الله وعند الناس حين يُظهر بتوجيهه وفعله واقعية الاسلام، وسماحة هذا الدين ، وحسن المعاملة لرياحين القلوب ، وفلذات الأكباد !!••

● **ثم اشرع معه بمطالعة ثقافية :**

امتثالا لقوله تبارك وتعالى :

« وقل رب زدني علماً » • (طه : ١١٤)

وتحققاً لقوله عليه الصلاة والسلام : « ومن سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهّل الله له طريقاً الى الجنة » رواه مسلم •

والولد إن كان طالباً فالمطالعة تكون مدرسية ، حيث يجلس في هـذه الساعة الصباحية ليحضر ما يجب تحضيره من إعداد الدروس ، ومراجعـة البحوث ، ولا بأس في الجمع بين مطالعة الدراسة ، ومطالعة الثقافة العامة ، لينضج الولد عقلاً ، ويتكون ثقافياً ••

والولد إن كان عاملا فالمطالعة تكون ثقافيـة حيث يجلس في هـذه الساعة الصباحية ليطالع ما يستطيع مطالعته من فنون المعرفة ، وحقائق العلم ، عسى أن يصل الى مستوى لائق مـن النُّضْج العقلي ، والوعـي الثقافي : والشمول العلمي ..

ولا بأس على المربي بأن يستعين ببعض المعلمين أو الاولاد الكبار في تكوين أولاده علمياً ، وإعدادهم دراسياً وثقافياً .. إذا كان وقته لايسمح في تلقين الولد ، وتوجيهه وتعليمه ..

● **ثم اشرع معه بأن يصلي الضحى :**

لما ورد من أحاديث صحيحة في فضيلة صلاة الضحى :

ـ روى الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : أوصـاني خليلي بثلاث : « بصيام ثلاثة أيام من كل شهر ، وركعتي الضحى ، وأن أوتر قبل أن أرقد » .

ب ـ وروى مسلم وأحمد .. عن عائشة رضي الله عنها قالت : « كان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي الضحى اربع ركعات ، ويزيد ما شاء الله » .

وأقل صلاة الضحى عند جمهور الفقهاء ركعتان ، وأكثرها ثمان ، ويبدأ وقتها بعد طلوع الشمس بنصف ساعة تقريباً ، وينتهي الى ما قبيل الظهـر بثلاث أرباع الساعة .

● **ثم اشرع معه بتناول طعام الفطور :**

على المربي أن يتقيد بآداب الطعام والشراب كما سبق ذكرها في القسم الثاني من كتاب « تربية الاولاد في الاسلام » تحت عنوان « أدب الطعـام والشراب » .

وأن يعلمها الاولاد ليعتادوها في حال طعامهم ، وحال شرابهم ، فتصبح لديهم خلقاً وعادة ..

فارجع ـ أخي المربي ـ الى البحث المذكور ، لتقوم على تنفيذه مرحلة بعد مرحلة عند الاجتماع على الطعام مع أهلك وأولادك .

● ثم اشرع معه بتعليمه أدب الخروج من المنزل :

ـ علمه أن يلبس حذاءه أو معطفه مبتدئاً باليمين ، وفي حال الخلع يبتدىء بالشمال ، لما روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إذا انتعل أحدكم فليبدأ باليمنى ، وإذا خلع فليبدأ بالشمال » .

ـ علمه دعاء الخروج من المنزل ، لما روى الترمذي عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إذا خرج الرجل من بيته فقال :

« بسم الله ، توكلت على الله ، لاحول ولا قوة إلا بالله » ، يقال له : « حسبُك ، هُديت وكُفيتَ ، ووُقيت ، وتنحى عنه الشيطان » .

وعن أم سلمة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا خرج من بيته قال :

« بسم الله ، توكلت على الله ، اللهم إنا نعوذ بك من أن نزل أو نضل ، أو نظلم أو نظلم ، أو نجهل أو يجهل علينا » .

● ثم اشرع معه بالتزامه آداب الطريق :

ـ علّمه يمشي على الارض هوناً (مشياً ليناً رفيقاً) ، لقوله تبارك وتعالى :

« وعبادُ الرحمن الذين يمشون على الارض هوناً وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً » .

(الفرقان : ٦٣)

ــ علّمه أن يغض بصره عن النساء الاجنبيات ، لقوله تبارك وتعالى :

« وقل للمؤمنين يغضّوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ... وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن .. » .

(النور : ٣٠)

ــ علّمه أدب السلام وهو أن يسلم بلفظ « السلام عليكم » وأن يرد بلفظ « وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته » .

ويمكنك ــ أخي المربي ــ أن ترجع الى القسم الثاني من كتاب « تربية الأولاد في الاسلام » لتقرأ بحث « أدب السلام » حتى ترشد ولدك اليه ، وتُخلّقه به .

ومن أدب السلام إقْراء السلام على من يعرف ومن لم يعرف ، لما روى الشيخان عن عبد الله بن عمر و بن العاص رضي الله عنهما أن رجلا سأل النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : أي الاسلام خير ؟ قال : تطعم الطعام وتقرأ السلام ، على من عرفت ومن لم تعرف .

ــ علّمه إذا لقي أحداً من إخوانه أن يصافحه ، لما روى أبو داود والترمذي بإسناد صحيح ، عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا التقى المسلمان فتصافحا ، وحمدا الله ، واستغفراه غُفر لهما » .

وفي رواية ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما من مسلمين يلتقيان فيتصافحان إلا غُفر لهما قبل أن يتفرّقا » .

ـ علّمه أن يتجنّب أخطار الطريق ، وذلك بأخذ الحذر من المركبات ، والمشي على الرصيف ؛ لعموم قوله تبارك وتعالى :

« ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة » .

ـ علّمه ألا يلقي على الارض ما يؤذي الناس كإلقـاء أشـياء تسبب الانزلاق ؛ لقوله عليه الصلاة والسلام : « لا ضرر ولاضرار » ، كما عليك أن تعلمه أن يرفع عن الطريق ما يؤذي المارّة من رفع حجر أو إماطة ضرر ، لما روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « الايمان بضع وسبعون شعبة أعلاها قول : لا إله إلا الله ، وأدناها إماطة الاذى عن الطريق » .

ـ علّمه على العموم حق الطريق ، لما روى الشيخان عن أبي سـعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : «إياكم والجلوس في الطرقات »، فقالوا يارسول الله : ما لنا من مجالسنا بدّ نتحدث فيها، فقال عليه الصلاة والسلام: «فإذا أبيتم إلا المجلس فأعطوا الطريق حقّه» قالوا: وما حق الطـريق يا رسول الله ؟ قال : **« غضّ البصر ، وكفّ الأذى ، ورد السلام ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر »** .

ـ علّمه إن ذهب الى المدرسة أو المصنع أن يؤدي حق الرفيق : السلام إذا لقيه ، وعيادته إذا مرض ، وتشميته إذا عطس ، وزيارته في المناسبات ، وإعانته وقت الشدّة ، وإجابة دعوته إذا دعاه ..

وقد فصلنا القول عن هذه الحقوق في بحث « حق الرفيق » في القسـم الثاني من كتاب « تربية الأولاد في الاسـلام » فارجع اليه تجد البحث وافيـاً مدعماً بالدليل .

ـ علّمه أيضاً أن يؤدي حق معلمه سواء أكان معلماً في مدرسة أو كان

معلماً في معمل : أن يتواضع له ، أن ينظر اليه بعين الإجلال والاحترام ، ألاّ ينسى له فضله عليه ، أن يصبر على سوء خلـُقه إذا غضب ، أن يجلس بين يديه جلسة الادب ، أن يدخل عليه باستئذان ، أن يصغي اليه عند التحدث ..

وقد فصلنا القول أيضاً عن هذه الحقوق في كتاب « التربية » الآنف الذكر ، فارجع اليه - أخي المربي - تجد البحث وافياً مدعماً بالشواهد والدليل .

وأخيراً أوصه قبل ان يخرج بتقوى الله عز وجل ، ومراقبته في السرّ والعلن ، والمحافظة على الصلوات في أوقاتها ، وألا يصحب إلا أهل التقوى والايمان ، وألا يظهر منه سوء أدب ، أو فساد خلق يسيىء الى سمعته ، ويخلّ بوقاره !..

ب - وعند المساء يتّبع المربي المنهج الآتي :

● احرص على أن تكون صلاة المغرب والعشاء في مسجد الحي :

للحديث « صلاة الجماعة أفضل من صلاة الفذّ (الواحد) بسبع وعشرين درجة » رواه الشيخان .

- احرص على أن ترتدي وأولادك ثوب الزينة عند كل صلاة ، لقوله تبارك وتعالى :

« خذوا زينتكم عند كل مسجد » .

- احرص على ألا تأكلوا ثوماً ولا بصلا عند الذهاب الى المسجد حتى لا يتأذّى الناس ، لما روى الشيخان عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من أكل ثوماً أو بصلاً فليعتزل مسجدنا » .

- احرص على أن تظهر بمظهر الأناقة والنظافة والطّيب في المسجد وفي

كل مكان ، لما روى الترمذي عن سعيد بن المسيب عن عامر بن سعد عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إن الله طيّب يحب الطيب ، نظيف يحب النظافة ، كريم يحب الكرم ، جواد يحب الجود ، فنظّفوا أفنيتكم ولا تشبهوا باليهود » .

أما المرأة فلا تمسّ الطيب إذا أرادت الخروج الى المسجد ، للحديث الذي رواه مسلم : « إذا شهدت إحداكن المسجد فلا تمسّ طيباً » لعدم إثارة الفتنة بين الرجال .

ـ احرص على أن يكون الدخول الى المسجد بسكينة ووقار ، لما روى الشيخان عن أبي قتادة رضي الله عنه قال : بينما نحن نصلّي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ سمع جَلَبَة رجال (ضجّة) ، فلما صلى قال : ما شأنكم ؟ قالوا : استعجلنا الى الصلاة ، قال : « فلا تفعلوا ، إذا أتيتم الصلاة فعليكم بالسكينة ، فما أدركتم فصلّوا ، وما فاتكم فأتموا » .

ـ احرص على قراءة هذا الدعاء عند الخروج الى الصلاة لما روى أحمد وابن ماجه وابن خزيمة .. عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : من خرج من بيته الى الصلاة فقال :

« اللهم إني أسألك بحق السائلين عليك ، وبحق خروجي إليك ، انك تعلم أنه لم يخرجني أشر ولابطر ، ولاسمعة ولارياء ، خرجت هرباً وفراراً من ذنوبي اليك ، خرجت رجاء رحمتك ، وشفقة من عذابك ، خرجت اتقاء سخطك، وابتغاء مرضاتك ، أسألك أن تنقذني من النار برحمتك » .

وروى مسلم أيضاً :

« اللهم اجعل في قلبي نوراً ، وفي لساني نوراً ، واجعل في سمعي نوراً ، واجعل في بصري نوراً ، واجعل من خلفي نوراً ، ومن أمامي نوراً ، واجعل من فوقي نوراً ، ومن تحتني نوراً ، اللهم أعطني نوراً » .

ـ فإذا وصلتم الى المسجد ، فاحرصوا على تقديم الرجل اليمنى عند الدخول واقرؤوا هذا الدعاء :

« أعوذ بالله العظيم ، وبوجهه الكريم ، وسلطانه القديم ، من الشيطان الرجيم » .

« اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد » .

« رب اغفر لي ذنوبي ، وافتح لي أبواب رحمتك » .

لما ورد فيما رواه أبو داود ومسلم والنسائي والترمذي .

ـ احرصوا على صلاة ركعتين تحية للمسجد قبل الجلوس ، لما أخرج الشيخان .. عن أبي قتادة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إذا جاء أحدكم المسجد فليركع ركعتين قبل أن يجلس » .

ـ بعد الانتهاء من صلاة الجماعة اشرع مع أولادك بالأذكار الواردة التي سبق ذكرها .

ـ فإذا خرجت من المسجد قدم الرجل اليسرى عند الخروج واقرأ هذا الدعاء :

« اللهم صلّ وسلم وبارك على سيدنا محمد » .

« ربّ اغفر لي ذنوبي ، وافتح لي أبواب فضلك » .

فاحرص على أن تعلمها أولادك ، بعد أن يقتدوا بك في تطبيقها .

● **احرص على أن يؤدوا واجباتهم المدرسية من كتابة وظائف ، ومراجعة أبحاث ، وحل مسائل ، وفهم دروس ..** على أحسن وجه ، وارشدهم الى أن يتقنوا أعمالهم ، وينجزوا دراستهم على أكمل مثال تحقّقاً بقوله عليه الصلاة والسلام فيما رواه البيهقي عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« إن الله يحب اذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه » .

ولا بأس في تذكير الولد دائماً فضيلة العلم والتعلم بالآيات القرآنية ، والاحاديث النبوية ، والكلمات التوجيهية ..

ـ فتذكيره بالآيات :

« هل يستوي الذين يعلمون والذين لايعلمون » .

(الزمر : ٩)

« يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات » .

(المجادلة : ١١)

« وقل ربّ زدني علماً » . (طه : ١١٤)

« إنما يخشى الله من عباده العلماء » . (فاطر : ٢٨)

ـ وتذكيره بالاحاديث :

روى الترمذي عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « الدنيا ملعونة ، ملعون ما فيها إلا ذكر الله ، وما والاه (أطاعه) ، وعالماً أو متعلماً » .

وروى الترمذي عن أنس : « من خرج في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع » .

وروى الترمذي عن أبي أمامة : « فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم .. إن الله وملائكته وأهل السموات والأرض حتى النملة في جحرها ، وحتى الحوت يصلّون على معلمي الناس الخير » .

ـ وتذكيره بالكلمات التوجيهية :

كأن يقول المربي للولد : إن العلم يرفع من قدر الرجال ، ويجعلهم في مصافّ العظماء الأبطال ، ويكونون محل احترام الناس ، وتقدير المجتمع ..

وإن الجهل يهدم بيوت العز والكرم . ويجعل من المتصفين به أناساً لا وزن لهم ولا احترام بين صفوف العلماء ، وطبقات المثقفين ، ورجال الفكر والإصلاح .. ورحم الله الإمام الشافعي حين قال : « من أراد الدنيا فعليه بالعلم . ومن أراد الآخرة فعليه بالعلم ، ومن أرادهما معاً فعليه بالعلم » .

ورضي الله عن الإمام على حين قال :

ففــم بعلمٍ ولا تبـغِ به بدلاً
الناس موتى وأهــل العلم أحياء

الى غير ذلك من هذه التوجيهات القيمة التي تحضّ على العلم ، وترغّب فيه ، وتبيّن من منزلته الكبرى عند الله ، وعند الناس ..

والمربّي لا يعدم الوسائل في تلقين الولد فضل العلم والعلماء ســواء ما يتعلق بسرد الموعظة ، أو ما يتعلق بعرض القصة ، أو ما يتعلــق بضــرب الأمثال ، أو ما يتعلق بالاستشهاد بالشعر وأقوال السلف ..

● **احرص على أن تلقن أولادك في السهرة فضيلة خلقيــة ، أو مأثــرة اجتماعية ، أو معجزة نبوية ، أو قصــة تاريخيــة ، أو حقيقة علميــة ..** ليستفيد الاولاد من توجيهاتك ، ويتأثروا من مواعظك .

ولنضرب على ذلك مثلا :

حينما تمر على المسلمين مناسبة عظيمة **كمناسبة « الاسراء والمعراج »** مثلاً . إجمع ــ أخي المربي ــ أهلك وأولادك لتبين لهم الحقائق التالية :

١ ــ **حادثة الاسراء والمعراج معجزة خالدة** أكرم الله بهــا نبينا العظيم صلوات الله وسلامه عليه في وقت عصيب ، وزمن رهيب ، في وقــت أمعــن الكافرون في تعذيبه ، والتصدي لدعوته ، والتنكيل بأتباعه وأصحابه ..

قبل الهجرة بعـام كان الإسراء والمعراج ، أو بالأحرى كـان الإعـتزاز والإكرام ، كانت الرحلة المباركة في ملكوت السموات والأرض ..

٢ ـ ما معنى الاسراء والمعراج ؟

معنـى الاســراء : توجهه صلوات الله عليه ليلاً من مكة الى بيت المقدس في لحظات .

ومعنـى المعــراج : صعوده عليه الصلاة والسلام الى السبع الطباق في لمحـات .

وكلا الاسراء والمعراج كان بالروح والجسد ، لتسطر لرسولنـا العظيم المعجزة الخالدة في سجل معجزاته الكثيرة التي هي دلائل صادقة على نبوته ، وبراهين ناطقة على صدق رسالته ..

٣ ـ ما هي أهم المشاهـد التي رآها النبي عليـه الصلاة والسـلام في رحلته المباركة ؟

روى الطبراني والبخاري والبيهقي والبزار .. أنه عليه الصلاة والسلام:

ـ « مرّ على قوم يزرعون ويحصدون في يوم ، كلما حصدوا عاد كما كان ، فقال لجبريل عليه السلام ما هذا ؟ قال : هؤلاء المجاهدون في سبيل الله، تضاعف لهم الحسنة الى سبعمائة ضعف ، وما أنفقوا من شيء فهو يُخْلفـه وهو خير الرازقين » .

ـ « ثم أتى على قوم تُرْضخ رؤوسهم بالصـخر (تكسـر) ، كلمـا رُضِخت عادت كما كانت ، ولا يفتّر عنهم من ذلك شيء ، فقال : ما هـذا يا جبريلُ ؟ قال : هؤلاء الذين تتثاقل رؤوسهم عن الصلاة المكتوبة » .

ـ « ثم أتى على قوم على أقبالهم رقاع ، وعلى أدبارهم رقاع ، يسرحون كما تسرح الأنعام يأكلون الضريع ، والزقّوم ، ورضْفَ جهنم ، فقـال : ما هؤلاء ؟ قال : هؤلاء الذين لا يؤدّون زكاة أموالهم ، وما ظلمهم الله ، وما ربك بظلاّم للعبيد » .

ـ « ثم أتى على قوم بين أيديهم لحم نضيج ، في قدر ، ولحم نيّيء خبيث في قدر ، فجعلوا يأكلون من النيّء الخبيث ، ويدعون النضيج ، فقال : ما هؤلاء يا جبريل ؟ قال : هذا الرجل من أمتك تكون عنده المرأة الحلال الطيب ، فيأتي امرأة خبيثة فيبيت عندها حتى تصبح ، والمرأة يكون عندها الرجل الحلال ، فتأتي رجلا خبيثاً ، فتبيت عنده حتى تصبح » •

ـ « ثم أتى على قوم تُقرَض ألسنتهم وشفاههم بمقاريض من حديد ، كلما قُرضت عادت كما كانت لا يفتّر عنهم من ذلك ، قال : ما هذا يا جبريل ؟ قال : هؤلاء خطباء الفتنة » •

ـ « ومرّ بقوم مشافرهم كالإبل ، يلتقمون جمراً فيخرج من أسافلهم ، فسأل جبريل من هؤلاء ؟ فقال : هؤلاء الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً » •

ـ « ومرّ بقوم يقطع من جنوبهم اللحم ثم يطعمونه ، فسأل جبريل من هؤلاء ؟ فقال : إنهم الغمّازون اللمّازون » (أي المستهزؤون العيّابون) •

الى غير ذلك من هذه المشاهد التي مُثّلت للنبي عليه الصلاة والسلام ليلة إسرائه ومعراجه •

وقد صح عنه عليه الصلاة والسلام أنه اجتمع في هذه الرحلة المباركة بالانبياء والمرسلين يرحّبون به ويسلّمون عليه ، وأنه صلى الله عليه وسلم صلّى بهم جماعة في المسجد الاقصى •

ويستطيع المربي بعد سرد هذه المشاهد أن يركز على أهمية الصلاة ، ومصير الذين يتثاقلون عنها ، وماذا يلقون من إهانة وعذاب ، وان الصلاة فرضت في السماء ليلة الاسراء والمعراج ، ليعرج المسلم بروحه في لحظات

الخشوع الى السماء يستمد من الله عز وجل عزم الحياة ، وروح الجهاد ، وحساسية التقوى •• وفي ذلك ترفع للمسلم عن رعونات الحياة ، ووساوس النفس الأمارة ، ومطامع الدنيا الفانية ••

كما أنه يستطيع أيضاً أن يحذّر من الزنى ، وأكل المال بالباطل ، ومن الغيبة والنميمة ، والاستهزاء بالآخرين •• وذلك في التعليق على كل مفسدة ذكرها عليه الصلاة والسلام في سرد مشاهده بعد أن انتهى من رحلته المباركة •• عسى أن ينزجر الأولاد عن الفساد حين يعرفون شيئاً عن نهاية المفسدين ومصيرهم !! ••

٤ ـ ماهي صلة المسجد الحرام بالمسجد الاقصى ؟

يقول الدكتور مصطفى السباعي رحمه الله في مقال له : « أما صلة المسجد الحرام بالمسجد الاقصى فهو صلة الشرف بالشرف ، فسكان مكة أشرف أهل الارض لأنهم حراس الكعبة وسدنتها من لدن ابراهيم عليه السلام ، والمسجد الاقصى هو مهبط الرسالات ، وملتقى النبوّات في فترات طويلة من التاريخ •• فيجب أن تنطلق مواكب التحرير من هاتين البقعتين ، وتسير كتائب الإيمان من هذين المسجدين •• ليهتدي العالم الضال ، والانسانية الحائرة بنور الإيمان ، ورسالة الاسلام •• وتمضي السنوات بسرعة فائقة بعد حادثة الإسراء ، وإذا المسلمون يدقّون أبواب بيت المقدس هادين وفاتحين ، ثم إذا هم ينطلقون من بيت المقدس شرقاً وغرباً ، وجنوباً وشمالا •• ليضعوا الشام ، والعراق ، ومصر في مملكة واحدة ، تنبعث منها جيوشهم الى أنحاء الدنيا فاتحة محرّرة ••

هذا أول أنباء المعجزة الخالدة من قصة الإسراء ، وهذا أول تفسير واقعي وسياسي لمغزاها الكبير العميق •• ثم يمضي التاريخ مسرعاً وإذا جيوش الصليبيين تدقّ أبواب بيت المقدس ، وإذا المذابح تجري أنهاراً في

شوارعها ومسجدها الأقصى ، وإذا هي عاصمتهم الدينية لمدة تقرب مئة سنة..
ثم يمضي التاريخ مسرعاً ، فإذا صلاح الدين الأيوبي يدق أبواب المقدس مرة أخرى ، ويحررها من ربقة الصليبية الجائرة ، فلا يراق دم ، ولا تنتهك حرمة، ولا يخفر عهد .. ويظل بيت المقدس وفلسطين كلها تحت حكم المسلمين .
وتظل كنائسها ومعابدها أمانة في أيديهم ، يحسنون القيام بها ، والحفاظ عليها حتى تدخلها جيوش الحلفاء في الحرب العالمية الأولى. ويقول القائد الانكليزي « ألنبي » قولته المشهورة : (الآن انتهت الحروب الصليبية) ، يقول ذلك وهو يظن أنهم انتزعوها الى الابد من أيدي المسلمين ، ويأبى الانكليز أن يخرجوا من فلسطين إلا بعد أن يخلفوا وراءهم صنيعتهم القزم « اسرائيل ».

وها هي الدول الكبرى تساند اليهود ، وتفتعل الحروب الطاحنة لتنفيذ المخطط الذي تحلم به إسرائيل حتى انتهت المأساة في حرب /١٩٦٧/ أن يقع المسجد الاقصى . وبلد الإسراء والمعراج فريسة سائغة في قبضة اليهود .. ولا يزال الصراع قائماً بفصوله الدامية بيننا وبين اسرائيل ، ولسنا ندري ما تكشف به الايام القريبة عن نتائج هذا الصراع ، وعن مطامع اليهود التوسعية !! ..

فهل عرفنا السر في حادث الإسراء ؟ وهل أدركنا الآن أي مغزى عظيم قد انطوى عليه هذا الحادث المعجز ؟ » .

٥ ـ ماهو واجب المسلمين تجاه فلسطين والمسجد الأسير المستغيث ؟

هو في الحقيقة واجب شاق وصعب ، بل مسؤولية كبرى أمام الله ، وأمام التاريخ ، وأمام الاجيال الحاضرة والمستقبلة ..

لقد وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذا الاسراء أمانة عظيمة في أعناقنا نحن المسلمين . وهي أن نحرر المسجد الاقصى ، وما حوله من براثن

اليهودية الغادرة ، وربقة الصهيونية الحاقدة وأن نحتفظ بأرض فلسطين كجزء لا يتجزأ من وطننا الاسلامي الكبير ، وأن نواصل الكفاح ، ونريق الدماء ، ونقدّم المهج والأرواح .. حتى نخلّص آخر شبر من أرض الاسراء والمعراج من الغزاة المعتدين ، والبغاة الظالمين ..

وعلى المسلمين أن يرفضوا أي حل استسلامي يستشم منه تصفية القضية الفلسطينية ، ووضع خطة للصلح مع إسرائيل .. سواء أكانت هذه الحلول سافرة أم كانت مقنّعة .. وسواء أكانت عن طريق المفاوضات المباشرة ، أو كانت عن طريق مؤتمرات جنيف ..

وعلى المسلمين أيضاً أن يعتبروا كل من يسعى لإنهاء القضية الفلسطينية عن طريق المفاوضات والصلح خائناً لدينه ووطنه وأمته .. بل يستحق لعنة الله والاجيال والتاريخ الى يوم البعث والدين ..

لكونه أعطى الذلة لنفسه وبلده طائعاً مختاراً ، ووقّع صك الخيانة بيده الآثمة .

وإذا وجد اليوم من ينادي بالصلح مع إسرائيل فعلى الشعوب المؤمنة أن تهب من رقدتها لتطيح بعروش الغدر والخيانة ، ثم تنطلق لتحرير الارض المقدسة تحت راية الاسلام ، وشعار الله أكبر !! ..

(إن إسرائيل لن تزول ، وفلسطين لن تتحرر إلا على أيدي المؤمنين الصادقين ، الراكعين الساجدين ، والآمرين بالمعروف ، والناهين عن المنكر ، والحافظين لحدود الله ، الذين يخوضون المعارك أطهاراً متوضئين .. أولئك الذين لا يقف لهم أحد ، ولا تصمد أمامهم قوة إذا نادى فيهم المنادي « الله أكبر » ، « هبّي يا ريح الجنة » ، « يا نصر الله اقترب ، « يا رجال القرآن زينوا القرآن بالفعال » .

أولئك الذين آمنوا بأنهم إنْ فقـدوا ولاية الناس ، ونصرة العـالم ، ومساعدة الدول •• فإن معهم جلّ شأنه « وكفى بالله وكيـلا ، وكفى بالله نصيراً » ، وإن معهم جنود الله «وما يعلم جنود ربك إلا هو » ، أولئك الذين ستتحرر بهم فلسطين وتُقتلع بهم جرثومة اليهودية من أرض الاسلام ، ليس لهؤلاء هدف إلا اعلاء كلمـة الله ، ولا عنوان إلا الاسـلام ، ولا شعـار إلا العبودية لله ، ولا هتاف إلا الله أكبر)[1] •

فكل تحرير لفلسطين عن غير هذه المعاني والشعارات •• لا يكون من ورائه ــ والله ــ إلا النكسات والوكسات والهزائم المنكرة •

يقول عليه الصلاة والسلام : « لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله » رواه الشيخان •

فنرجو من الله أن يهيىء لعزة الاسلام أجيالا مؤمنة تكون من تلك الطائفة التي قد اختارها الله لنصرة دينه ، وإعلاء كلمته ، والجهاد في سبيله ••

فيا مَن أخلص نفسه لله ، ويا من باع دنياه بآخرته ، ويا من أرخص الروح يوم ينادي المنادي : حيّ على الجهاد ، هبّي ريح الجنة ، يا نصر الله اقترب !! ••

وعلى المربي أن يركز في ذهن الأولاد قضية الجهاد في سبيل الله لتحرير الأرض المقدسة بشكل مستمر دائم كلما وجد الفرصة سانحة ، والظروف مواتية •• لتتأصل في نفسيّة الولد حب الجهاد ، وتترسخ في قلبه مسؤوليته ومسؤولية الاجيال في تخليص المسجد الأقصى من براثن اليهود ، وتحرير فلسطين مـن دنس الصهيونية الغاشمة • فالتوجيه الدائم له أثره الأكبر ، والنقطة الدائمة تؤثر في الحجر !! ••

---

(١) من كتاب « دروس من النكبة » للاستاذ القرضاوي •

وهكذا يستطيع المربي في كل أمسية أن يوجه أولاده بما يتلاءم مع إصلاحهم الأخلاقي ، وما يرتبط بواقعهم الاجتماعي ، وما يتصل بتوعيتهم الفكرية والتاريخية ..

ولا بأس بالاستعانة بكتب التفسير والحديث القديمة والمستحدثة ، كما عليه أن يستعين بالكتب التي عالجت تزكية النفوس ، ووقائع السيرة والتاريخ ، ونظم الاسلام المتنوعة[1] .. وعلى الله قصد السبيل .

● **إحرص على إدخال المرح والسرور في جو العائلة ، ومحيط الأسرة ..**

ـ وذلك باجراء مسابقات ثقافية بين الاولاد الهدف منها : قدح الأذهان، وشحذ العزائم ، وتكوين الثقافات ، ونشر روح المرح في جو الاسرة .

ـ وبإلقاء النكات الطريفة ، واللطائف الجميلة ، والحكايات الظريفة... الهدف منها : تجديد النشاط ، وقتل روح السآمة والملل في النفوس ..

ـ وبالقيام بألعاب رياضية ، ومحاورات أدبية ، وتمثيليات اجتماعية وتاريخية .. الهدف منها : تنشيط الدورة الدموية ، وتثبيت الدعائم الخلقية، وتكوين التوعية الفكرية ..

---

(١) من كتب التفسير التي اقترحها :

التفسير لابن كثير ، « الظلال » للمرحوم سيد قطب .
من كتب الحديث : « الترغيب والترهيب » للمنذري ، « رياض الصالحين » للنووي ..

من كتب التزكية للنفوس : « الاحياء » للامام الغزالي ، « مختصر منهاج القاصدين » لابن قدامة المقدسي ، « رسالة المسترشدين » للمحاسبي .

من نظم الاسلام والسيرة : « فقه السيرة » للاستاذ البوطي والغزالي ، « روح الدين الاسلامي » للاستاذ طبارة ، « النظم الاسلامية » للدكتور صبحي الصالح .

وقد مر بك — أخي المربي — نماذج من ممازحته عليه الصلاة والسلام للأصحاب ، ومن ملاعبته للصبيان ، ومن سنّه للهو الهادف المباح •• فتأسى بنبي الهدى والرحمة والتسامح ، لتُضفي على البيت المرح والحبور ، وتدخل في نفوس أولادك الفرح والسرور ••

● **احرص على أن يكون النوم للجميع باكراً** لأن السهر مضرّ بالصحة، مرهق للأعصاب ، قاتل لبركة البكور ، مسبب لفوات الصلاة عند الفجر ، وارتخاء البدن عند النهوض ••

والنوم باكراً والاستيقاظ باكراً هما من سيماء الاسلام ، ومن فعله وتوجيهه عليه الصلاة والسلام •

أما النوم باكراً من سيماء الاسلام فلكراهته صلى الله عليه وسلم النوم قبل العشاء والحديث بعدها ، لما روى البخاري عن أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم « كان يكره النوم قبل العشاء ، والحديث بعدها » •

والحديث بعدها إذا كان لغرض نافع ، وتربية فاضلة ، وتعليم مفيد •• فإنه جائز ، لما روى البخاري وأحمد عن عمر رضي الله عنه قال : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمُرُ عند أبي بكر رضي الله عنه الليلة ، كذلك في الأمر من أمر المسلمين وأنا معه » •

وأما السمر بعد العشاء مع الاهل فجائز مطلقاً ، لما روى مسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : « رقدتُ في بيت ميمونة ليلة كان النبي صلى الله عليه وسلم عندها لأنظر : كيف صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : فتحدث النبي صلى الله عليه وسلم مع أهله ساعة ثم رقد ••• » •

وأما السهر في اللغو والغيبة والمعصية كما يسهر الناس اليوم على أكل لحوم الناس ، ومشاهدة مرائي التلفاز الآثمة •• فإنه حرام باتفاق •

وأما أن الاستيقاظ باكراً من توجيهاته عليه الصلاة والسلام ، فلما روى الطبراني في الأوسط عن النبي صلى الله عليه وسلم :
« بورك لأمتي في بكورها » •

ومن الامور الهامة التي يجب أن يعرفها المربي أن الجسم ينبغي أن يأخذ حظه من النوم والراحة ، حتى ينشط كل النشاط في تحمل أعباء الحياة وتكاليفها ••

والولد بشكل خاص ينبغي الاعتناء به من ناحية صحته ونومه لأنه يمر بأطوار النمو الجسمي والعقلي والنفسي •• فعلى الاقل يجب أن يكون نومه بين اليوم والليلة ثماني ساعات ، وإلا •• فإن جسمه سيتعرض للضعف والانهيار •

والنبي صلوات الله وسلامه عليه كان ينام القيلولة بعد صلاة الضحى ، ليعوّض ما فاته من النوم ليلا •• وهذا توجيه كريم لهذه الأمة حتى تكون صحيحة الجسم ، قوية الهمة ، متجددة النشاط والحيوية ••

● احرص على أن يقبّل الأولاد قبل نومهم يد(١) أبويهم ، وأن يقرأوا دعاء النوم المأثور ، وأن ينووا الاستيقاظ للتهجد وصلاة الفجر ، ليستأنفوا برنامجهم اليومي من جديد •

من السنة إذا أويت الى الفراش أن تنفضه بإزار مخافة التعرض لحشرة مؤذية ، ثم تضطجع على شقك الأيمن وأنت على وضوء ، ثم تقول :

---

(١) ارجع الى بحث « تقبيل يد الكبير » من كتاب « تربية الاولاد في الاسلام » القسم الثاني صفحة : ٣٥٧ لترى الدليل على جواز تقبيل اليد للكبير .

« الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا ، وكفانا وآوانا ، فكم ممّن لا كافي له ولا مؤوي » (مسلم وغيره) .

ثم تقرأ آية الكرسي .

ثم تنفث في يديك ، وتقرأ :

ـ قل هو الله أحد ...

ـ قل أعوذ برب الفلق ...

ـ قل أعوذ برب الناس ...

وتمسح بهما ماستطعت من جسدك ، تفعل ذلك ثلاث مرات (البخاري ومسلم) .

ثم تسبّح الله ثلاثاً وثلاثين .

وتحمد الله ثلاثاً وثلاثين .

وتكبّر الله ثلاثاً وثلاثين . (مسلم) .

ثم تضع يدك اليمنى تحت خدّك وتقول : **« اللهم قني عذابك يوم تبعث عبادك »** ثلاث مرات . (الترمذي) .

وأخيراً تقرأ هذا الدعاء :

ـ **« باسمك اللهم أحيا وأموت »** .

(البخاري ومسلم)

ـ **« باسمك ربي وضعت جنبيَ وبك أرفعه ، إن أمسكت نفسي فارحمها، وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين »** .

(البخاري ومسلم)

اللهم رب السموات ورب الأرض ورب العرش العظيم ، ورب كل شيء فالق الحب والنوى ، منزل التوراة والانجيل والقرآن ، أعوذ بك من شر كل دابة انت آخذ بناصيتها » ..

(مسلم وغيره)

- اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء ، وأنت الآخر فليس بعدك شيء ، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء ، وأنت الباطن فليس دونك شيء ، اقضِ عنا الدين ، وأغننا من الفقر)) .

(مسلم وغيره)

- ((اللهم اني أسلمت نفسي إليك ، ووجّهت وجهي إليك ، وفوضت امري إليك ، والجأت ظهري إليك رغبة ورهبة اليك ، لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك ، آمنت بكتابك الذي أنزلت ، وبنبيك الذي أرسلت)) .

(البخاري ومسلم)

ثم نم بنيّة الاستيقاظ على صلاة التهجّد والفجر . فتستيقظ بإذن الله . وإذا أصابك أرق فاقرأ هذا الدعاء فانك تنام باذن الله : روى الترمذي عن بريدة رضي الله عنه قال : شكا خالد بن الوليد المخزومي رضي الله عنه . فقال يارسول الله : ما أنام الليل من الأرق ، فقال له عليه الصلاة والسلام : إذا أويت الى فراشك فقل :

- ((اللهم ربّ السموات السبع وما أظلّت ، ورب الأرضين وما أقلّت ، ورب الشياطين وما أضلت ، كن لي جاراً من شرّ خلقك كلهم جميعاً أن يفرُط عليّ أحد أو يبغي علي ، عزّ جارك ، وجلّ ثناؤك ، ولا إله غيرك ، لا إله إلا أنت)) .

ولقد رأيت - أخي المربي - أن هذا المنهج التربوي في اليوم والليلة جمع مابين الذكر والعبادة ، وآداب الاسلام . ومزج مابين الرياضة والثقافة والمرح .. وركز على جوانب معينة من التوجيه والإعداد والتربية ..

فإذا كنت من المواظبين عليه ، والمطبقين له ، والمتمسكين به .. فان ولدك - ولاشك - سينشأ على الطهر والاخلاق ، ويتدرّج على سلم الإيمان

والتقوى ، ويكون انساناً سوياً متزناً يخشى الله في السر والعلن . ويراقبه في المتقلّب والمثوى . ويلتزم مبادىء الاسلام في الحل والترحال .. بل يعطي للأولاد الذين حوله القدوة الصالحة في ورعه وتقواه . والأسوة الحسنة في تطبيقه ومعاملته .. فاحرص على التطبيق ـ أخي المربي ـ من غير سآمة ولا ملل ،حتى ترى ولدك في مصافّ المتقين الأبرار ، وماذلك على الله بعزيز .

ولكن عليك أن تلاحظ في هذا المنهج الأمور التالية :

١ ـ أن تحرص على تطبيق ما جاء في فصل « الوسائل المؤثرة في تربية الولد » وما جاء في فصل « **مسؤولية التربية الاجتماعية** » في توجيهاتك لأولادك في الفترة المسائية والصباحية وفي كل الأوقات .

٢ ـ هذا المنهج التربوي يصلح للأولاد الذين شارفوا سنّ التمييز وما بعده : أما إذا كان الأولاد ما قبل سن العاشرة فعلى المربّي أن ينهج معهم نهجاً تربوياً آخر ، يتلخّص في شيئين :

أ ـ تلقينهم مبادىء العقيدة الاسلامية ، وتعليمهم أركان العبادة ولاسيما الصلاة .

ب ـ تلقينهم مبادىء الاخلاق الاسلامية من صدق ، وأمانة ، وبرّ الوالدين ، وتقيّد بألفاظ الخطاب الجميلة .. كما عليك أن تحذّرهم من الكذب . والخيانة : والعقوق . وكلمات السبّ والشتائم ...

وهذا المنهج التربوي الآخر للصغار يتفق مع المبدأ الذي خطّه رسول الاسلام صلوات الله وسلامه عليه حين قال :

« أُمرنا معاشر الأنبياء أن نحدث الناس على قدر عقولهم » .

(رواه الديلمي)

٣ ــ اجعل من المنهج اليومي جزءاً من الوقت لتسأل أولادك ماذا يتوجهون ويتعلمون ، فإن رأيت أن التوجيه الذي يتلقونه من المدرسة غـير متلائم مع عقيدة الاسلام ، وأخلاق الاسلام •• فما عليك إلا أن تصحح لهم الافكار ، وتحذرهم من معلمي السوء والزيغ •• وتتخذ الاجراءات الحازمـة تجاه من يلحدون بالاسلام ، ويخونون أمانـة التربية الفاضلة ، ويوقعون الأولاد في شباك الإلحاد والضلال !••

٤ ــ لقن أولادك بشكل دائم مبادىء الأخوة ، والمحبة ، والتعاون ، والإيثار ، حتى إذا بلغوا سن الكبر كان التعاطف فيما بينهم خلقاً وعادة ، وكان برّهم لأبويهم طواعية واختياراً •• بل تراهم المثل الأعلى في التعاطف والمحبـة والبـر ••

٥ ــ كلما رأيت الفرصة سانحـة لإخراجهم الى نزهـة في بستان ، أو سفرة على شاطىء بحر •• فعليك ألا تقصر في هذا الحق التربوي ، حتـى تنشط أجسامهم ، وتتروّح نفوسهم ، ويتعلموا من فنون الرياضة والسباحة والألعاب ما فاتهم ••

٦ ــ صُمْ مع أهلك وأولادك الايام المندوب صيامها شرعاً •• حتى إذا جلست واياهم على مائدة الإفطار رأوا منك البشاشة والبشر والملاطفة •• ليعتادوا صيام النفل بقدوتك الصالحة، وأخلاقك الكريمة ، وأسلوبك الجميل•

٧ ــ ولا بأس أن تسلك مع أولادك أسلوب الهدايا ، وتلبي لهم ما يطلبونه من مال ، أو شراء حاجات •• ورحم الله أباً أعان أولاده على برّه • ولايخفى عليك ما للهدايا من أثر كبير في تشجيع الولد على استمراره في عبادة ، أو مثابرة على اجتهاد ، أو نجاح في امتحان !!••

هذه أهم الافتراحات التي رأيت أن تتّبعها في المنهج التربوي في اليوم والليلة . فاحرص ـ أخي المربي ـ على تطبيقها . لتكون تربيتك لأولادك على النحو الذي يتطلبه منك الاسلام ؛ ويمليه عليك الواجب ؛ والله هـو الموفـق •

اللهم اجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه ؛ وهب لنا من لدنك سلطاناً نصيراً ، وعزماً متيناً ، وإرادة قوية إنك خير مأمول ••

★ ★ ★

٧ ـ تهيئة الوسائل الثقافية النافعة :

انطلاقاً من مسؤولية المربـين في الواجب التعليمي تجاه مَن لهم في أعناقهم حق التعليم والتربية . وجب عليهم أن يهيئوا لهم الوسائل الثقافية النافعة المتنوعة حتى ينضج الولد عقلياً . ويتكوّن في الحياة فكرياً وعلمياً ••

وأرى أن هذه الوسائل تتركز في الأمور التالية :

١ ـ تكوين مكتبة خاصة بالأولاد تتناول الاصناف التالية :

أ ـ مصحف كريم واضح الكلمات والتشكيل لكل ولد في الأسرة •

ب ـ تفسير للسور القصيرة يتلاءم مع أفهام الاولاد الذين هم في سن التمييز •

ج ـ تفسير عام للقرآن الكريم يتلاءم مع أفهام الاولاد الذين هم في سن ما بعد التمييز •

د ــ كتب خاصة بالحديث الشريف متلائمة مع العمر والفهم والثقافة .

هـ ــ كتب خاصة بالفقة ولاسيما العبادات ، متلائمة مع العمر والفهم والثقافة .

و ــ كتب خاصة بالعقيدة الاسلامية ، تتناول المعالجة بأسلوب قصة أو حوار ..

ز ــ كتب خاصة بالسيرة النبوية والتاريخ ، تتناول المعالجة بأسلوب شيّق ، ولغة مبسّطة سهلة ..

ح ــ كتب فكرية عامة تتناسب مع عقلية الأولاد وأفهامهم حيث تعرض الاسلام ككل على أنه نظام حكم ، ومنهج حياة ، وترد الشبهات التي يثيرها الاعداء حول نظام الاسلام .

ط ــ كتب علمية وتاريخية وأدبية وطبية .. تتلاءم مع أفهام الاولاد ، وتتفق مع ثقافتهم ومداركهم وأعمارهم ..

وإليك ــ أخي المربي ــ بعض النماذج عن الكتب التي يجب توفيرها لأولادك في مكتبة البيت ، عسى أن تقوم على شرائها ، لتكون لهم عوناً وذخراً في مستقبل الايام .. وستجد بجانب كل كتاب العمر الذي يتناسب معه ، وعلى الله قصد السبيل :

١ ــ سلسلة مع الجيل المسلم ، للأستاذ يوسف العظم .

صدر منهـا :

١ ــ براعم الاسلام ــ القسم الاول : في العقيدة .

٢ ــ براعم الاسلام ــ القسم الثاني : في الحياة •

٣ ــ آناشيد وأغاريد للجيل المسلم •

٤ ــ أدعية وآداب للجيل المسلم •

٥ ــ مشاهد وآيات للجيل المسلم •• (نشر المكتب الاسلامي) •

السن : (٧ ــ ١٢) سنة

٢ ــ مكتبة الطفل الدينية (٣٠) قصة

لمؤلفها الاستاذ : محمد عطية الأبراشي

السن (٧ ــ ١٢) سنة (مكتبة مصر) •

٣ ــ سلسلة العرب في أوربة ••

لمؤلفها الاستاذ : عبد الحميد جودت السحار •

السن : (١٢ ــ ١٦) سنة (مكتبة مصر) •

٤ ــ سلسلة قصص الانبياء ••

لمؤلفها الاستاذ : عبد الحميد جود تالسحار

السن : (١٢ ــ ١٦) سنة (مكتبة مصر) •

٥ ــ سلسلة (الخلفاء الراشدون) ••

لمؤلفها الاستاذ : عبد الحميد جودت السحار

السن : (١٣ ــ ١٦) سنة (مكتبة مصر) •

٦ ــ مجموعة السيرة النبوية ••

لمؤلفها الاستاذ : عبد الحميد جودت السحار

السن : (١٢ ــ ١٦) سنة (مكتبة مصر) •

٧ ــ سلسلة (الفدائيون في الاسلام) •••

لمؤلفها الأستاذ : محمد علي قطب

السن : (١٢ ــ ١٦) (دار الوراقة : حمص)

٨ ــ سلسلة مسلمات خالدات ••

لمؤلفها الأستاذ : محمد علي قطب

السن : (١٢ ــ ١٦) (المكتبة العصرية : بيروت ــ صيدا) •

٩ ــ سلسلة غزوات النبي صلى الله عليه وسلم ••
لمؤلفها الأستاذ : محمد علي قطب •

السن : (١٢ ــ ١٦) (المكتبة العصرية : بيروت ــ صيدا) •

١٠ ــ سلسلة القصص الديني ••
للدكتور : محمد رواس قلعهجي

السن : (١٢ــ١٦) سنة ، طبع حلب •

١١ ــ مجموعات أمهات المؤمنين (١٦) عدداً

للأستاذ محمد أحمد برانق •
السن : (١٢ــ١٦) سنة • للإناث (دار المعارف ــ مصر)

١٢ ــ مجموعة قصص النبيين ••

للأستاذ أبو الحسن الندوي •

السن : (١٢ــ١٦) سنة ــ (مؤسسة الرسالة) •

١٣ ــ قصص القرآن الكريم ..

للأستاذ محمد كامل الحسن المحامي

السن : (١٢ ــ ١٦) ــ (المكتب العالمي للطباعة والنشر) .

١٤ ــ سلسلة أعلام المسلمين ..

لمؤلفين مختلفين

السن : (١٢ ــ ١٦) ــ (مكتبة المنار الاسلامية ــ الكويت)

١٥ ــ سلسلة الابطال .. (٨٠) عدداً .

للأستاذين : محمد علي قطب ، محمد عمر الداعوق .

السن : (١٢ ــ ١٦) ــ (المكتبة العربية بيروت) .

١٦ ــ أناشيد البراعم المؤمنة

للشاعر محمود أبو الوفا

السن : (١٠ ــ ١٦) ــ (مؤسسة الاقصى ــ عمان) .

١٧ ــ الخالدون ..

للأستاذ محمد علي قطب

السن : ١٥ فما فوق ــ (التجارية المتحدة ــ بيروت)

١٨ ــ أبطال ومعارك ..

للأستاذين : عبد الوهاب القاسم ــ أحمد الدعاس

السن : ١٥ سنة فما فوق ــ (مكتبة البرهان ــ حمص)

١٩ ــ السلسلة الجامعة المختارة ..

للأستاذ محمد نبهان خباز

السن : ١٥ سنة فما فوق ــ (مكتبة الغزالي ــ حماه) •

٢٠ ــ مجموعة أحسن القصص ••

للأستاذ : علي فكري

السن : ١٥ فما فوق ــ (دار الكتب العالمية ــ بيروت) •

٢١ ــ سلسلة قصص اسلامية •••

للأستاذ : عبد الرحمن البنا

السن : ١٥ فما فوق ــ (مكتبة المنار الاسلامية ــ الكويت)

٢٢ ــ مجموعة السيرة النبوية •• (الكبيرة) •

للأستاذ : عبد الحميد جودت السحار •

السن : ١٥ سنة فما فوق ــ (مكتبة مصر) •

٢٣ ــ قصص في التاريخ ••

للأستاذ : محمد حسن حمصي •

السن : ١٥ سنة فما فوق ــ (دار الرشيد ــ دمشق) •

٢٤ ــ قصص الأستاذ نجيب الكيلاني •

السن : ١٥ سنة فما فوق (دار النفائس ــ بيروت) •

٢٥ ــ مجموعة سير إسلامية

للأستاذ : محمد علي دولة

السن : ١٥ سنة فما فوق ــ (دار القلم : دمشق ــ بيروت)

٢٦ ــ مشاهير قادة الاسلام ..

للأستاذ : بسام العلي

السن : ١٥ سنة فما فوق ــ (دار النفائس ــ بيروت) .

٢٧ ــ قصص وحكايات .

للأستاذ : محمد علي دولة

السن : ١٥ سنة فما فوق ، (دار القلم : دمشق ــ بيروت)

٢٨ ــ نشيدنـا .

لأبي الجود وفرقته (دار السلام : حلب)

أما الكتب الفكرية :

١ ــ سلسلة « من هدي الاسلام » .. بحوث توجيهية وتربوية متنوعة .

للمرحوم المرشد الشيخ : أحمد عز الدين البيانوني

السن : ١٥ سنة فما فوق ــ (مكتبة الهدى : حلب ــ حول القلعة)

٢ ــ سلسلة « العقائد » و « العبادات »

للمرحوم المرشد الشيخ : أحمد عز الدين البيانوني

السن : ١٥ سنة فما فوق ــ (مكتبة الهدى : حلب ــ حول القلعة).

٣ ــ سلسلة « أبحاث في القمة » ، بحوث اسلامية متنوعة .

لكتّاب مختلفين ، وعلى رأسهم الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي .

السن : ١٥ سنة فما فوق ــ (مكتبة الفارابي ــ دمشق) .

٤ ــ سلسلة « كتب قيمة » ، بحوث اسلامية متنوعة .

لكتّاب مختلفين .

السن : ١٥ سنة فما فوق . (دار القلم : دمشق — بيروت)

٥ — سلسلة « بحوث اسلامية هامة » .

لكتّاب مختلفين وعلى رأسهم **مؤلف هذا** الكتاب .

السن : ١٥ سنة فما فوق : (دار السلام : حلب) .

وأشهر الكتاب الذين بحثوا النظام الاسلامي ككل هم :

١ — مجموعة رسائل الامام الشهيد حسن البنا رحمه الله .

٢ — الاستاذ سيد قطب رحمه الله .

٣ — الاستاذ محمد قطب .

٤ — الاستاذ أبو الحسن الندوي .

٥ — الأستاذ علي الطنطاوي .

٦ — **الاستاذ فتحي يكن .**

٧ — الاستاذ سعيد حوّى .

٨ — الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي .

٩ — الاستاذ يوسف العظم .

١٠ — **الاستاذ متولي شعراوي .**

ويمكنك — أخي المربي — أن تستعين بأهل العلم الواعين . والدعاة المخلصين .. ليرشدوك الى هذه الكتب التي تتناسب مع عقلية الولد وسنّه وثقافته .. والتي لاتصطدم مع فكرة الاسلام عن الكون والحياة والانسان ..

ومما تجدر الاشارة اليه أن المكتبة الاسلامية فقيرة جداً من الكتب

الفكرية والتوجيهية والتعليسية التي تتناسب مع مرحلة الطفولة (٦ ــ ١٢) سنة • ولــم أجد حتى الآن مَن كتب لهــذه المرحلة فيما أعلم سوى الأستاذ يوسف العظم الذي أخرج لنا سلسلة « براعم الاسلام » بأسلوب سهل ، ولغة مبسطة ••

وإني لاهيب بالكتّاب الاسلاميين في أن يسنّوا أقلامهم ، ويشحذوا هسمهم •• عسى أن يملؤوا المكتبة الاسلامية بكتب تعليمية ، وفكرية ، وتوجيهية توضح للأطفال فكرة الاسلام الكلية عن الكون والحياة والانسان ، وتعطيهم التصور الاسلامي الصحيح عن أنظمة الاسلام الشاملة العامة ••

٢ ــ الاشتراك بمجلة أسبوعية أو شهرية :

والمواصفات لهذه المجلة هو ما يلي :

آ ــ أن تكون معروفــة باتجاهها الاسلامي . أو العلمي البحــت •

ب ــ أن لا يُعرف عما يحررها الزيغ والانحراف •

ج ــ أن تعالج موضوعات تتصل بالمرأة والرجل على اختلاف المستويا

د ــ أن لا ينشر فيها صور تمس ّ الفضيلة والاخلاق •

هـ ــ أن لا يعرف عنها بكتابة موضوعات فيها دس ّ على الاسلام •

فإذا وجدت ــ أخي المربي ــ مجلة هذه مواصفاتها ، فلا بأس أن تدخلها بيتك . وتكون في متناول أولادك وبناتك •

من هــذه المجــلات :

ــ مجلة « الحضارة » السورية •

ــ مجلة « المجتمع » الكويتية •

ــ مجلة « الوعي الاسلامي » الكويتية •

ـ مجلة « البعث الاسلامي » الهندية •

ـ مجلة « الدعوة » المصرية •

ـ مجلة « الاعتصام » المصرية •

ـ مجلة « الازهر » المصرية •

وماشابهها من مجلات أخرى تصدر في العالم الاسلامي •

٣ ـ الاستعانة بالفانوس السحري وعرض الأفلام :

ومن الوسائل الثقافية النافعة التي تنمّي مدارك الولد ، وتعزّز من ثقافته استعانة المربي بالفانوس السحري ، والجهاز السينمائي المنزلي لعرض أفلام تتصل بالحقائق العلمية ، والامجاد التاريخية ، والمواقع الجغرافية ، والتوجيهات التربويــة ••

ـ **وكــم** يتنشّط الولد ، وتتجدد حيويته ، ويقوى انتباهه •• حين يرى بأمّ عينه الحقائق العلمية والتاريخية •• متجسدة في مناظر واقعية ، وصور واضحة متحركة ؟••

ـ **وكــم** يرسخ البحث الدراسي في ذهن الولد حين يرى معالم الحج مثلاً متجسدة في مناظر واقعية تصور له مناسك هذه العبادة من مبتدئها الى منتهاها ، حيث لايفوته منسك من هذه المناسك إلا وقد رآه كأنه حقيقة واقعة ، ورؤية ماثلة ؟•

ـ **وكــم** يفرح الولد ويبتهج حــين يتعرف عــن طريق الفلم على بــلاد الاسلا م، فتتحرك مشاعره الايمانية نحوها ، ويحنّ قلبه الصافي اليها •• لما تربطه بينه وبينها من آصرة العقيدة ، وأخوة الاسلام ؟•

ـ **وكـم** يستوعب الولد الحقائق العلمية الثابتة حين يرى هـــذه الحقائق متجسدة على شاشة العرض كأنها رأي عين ؟.

وفي اعتقادي أن هذه الوسيلة من أعظم الوسائل النافعة في شموليـة ثقافة الولد وترسيخها في ذهنه ، وتحبيبها الى نفسه !!.

فعلى المربي أن يسعى جهده في إعدادها وتأمينها بشكل دائم سواء أكان تحضيرها عن طريق الشراء أو الاستئجار أو الإعارة ..

وممـا يجب التنبيــه لـــه أن على العاملين في الحقل الاسلامي أن يبذلوا كل ما في وسعهم في تكوين شركات مساهمة لإخراج أفلام علمية ، وتاريخية ، وجغرافية ، وتربوية .. تتناسب مع عقلية الأولاد وأعمارهم .. ليتم تداولها في كل بيت ، وحي ، وبلد .. ولا يخفى ما لهذه الافــلام من أثر كبير في تعليم الولد ، وثقافة الاسرة ، وإصلاح المجتمع !!..

٤ ـ الاستعانة بوسائل الايضاح :

ومن الوسائل النافعة في تعليم الولد وتثقيفه استعانة المربي بوسائل إيضاحية توضح للمتعلم كل غامض ، وتسهّل له كل صعب ، وتيسّر له كل سبيل ..

وأرى أن هذه الوسائل تختص بالأمور التالية :

أ ـ مصورات جغرافية توضح للولد العالم الاسلامي بشكل خاص والعالم البشري بشكل عام .

ب ـ مصورات عن البلاد الاسلامية توضح للولد عمران هذه البلاد ، ومساجدها ، ومصانعها ، وكل ما يتصل بأحوالها العامة ...

ج ــ مصوّرات تكشف للولــد عن الحضارة الاسلامية عبر التاريخ ، وخلال العصور ، ليرى بأمّ عينيه ما شاده الجدود البواسل من مدنيــات وحضارات وعلوم ..

د ــ مصورات تكشف للولد عن الخطّ البياني في الفتوحات الاسلامية، وعز الاسلام ودولته .. في كل الأزمنة والعصور .

هـ ــ مصورات تكشف للولد عن الوسائل الحربية التي كان يستخدمها الجدود الامجاد في فتوحاتهم السالفة ، وجهادهم الدائب ، وقتالهم المستمر ..

و ــ مصورات أخرى تكشف للولد حقائق العلم والادب والتاريخ ..

الى غير ذلك من هذه المصورات التي تعين الولد في تعليمه ، وتعزّز من ثقافته ، وترسخ المعلومات في ذهنه ..

فعلى المربين أن يبذلوا الجهد في تأمينها ، ويسعوا دائماً في الحصول عليها .. حتى يروا أولادهم قد بلغوا مرتبة النضّج العقلي والعلمي ، وتزوّدوا بالثقافة الشاملة ..

٥ ــ زيارة المتاحف بين كل فترة وفترة :

ومن الامور الهامة التي ننصح المربين بها ونحضّهم عليها تنسيق المواعيد المحددة لزيارة المتاحف الأثرية سواء أكانت الزيارة في بلد المربي أو بلد آخر من بلاد الاسلام . ولا شك أن هذه الزيارة للمتاحف تفتح أمام الولد آفاقاً جديدة من المعرفة ، والحضارة ، وثقافة التاريخ .. كما أنها تربط الولد بروابط المجــد المؤثّل الذي ركّز دعائمه أبطــال مغاوير لهــم في التاريــخ ذكر ، وفي الاجيال إجلال ومكانة .. كما أنها تقوّي في نفس الولد المشاعر النفسية والقلبية لعقد العزم على بناء العزة الاسلامية ، وإقامة دولة الاسلام ،

وترسيخ دعائم الحضارة •• كما حققها الجدود البواسل الامجاد في العصور الاسلامية الزاهية ، وما ذلك على الله بعزيز !!••

فما عليك ــ أخي المربي ــ إلا أن تعقد العزم والهمة في زيارة دور المتاحف والآثار مع أولادك عسى أن تتحقّق في نفوسهم معنى الإباء والشمم ، وتتأصل في ذاتيتهم حقيقة العزة والقوة والنهوض •• ورحم الله من قال :

تلك آثارنا تــدل ّ علينا فانظروا بعدنا الى الآثار

٦ ــ زيارة المكتبات العامة كلما سنحت الفرصة :

ومن الوسائل الثقافية التي تسترعي اهتمام المربين العمل على زيـارة الاولاد المكتبـات العامة كلمـا سنحت الفرص ، وواتت الظروف • سواء أكانت هذه المكتبات أثرية أو مستحدثة •• ومن ثمرات ذلك : ليتدرب الأولاد على كيفية إعارة الكتب المؤقتة والدائمــة ••

ومن ثمرات ذلك أيضا تعويــد الولد على الجرأة الأدبية ، وأصــول الارتياد للأماكن العامة ، ودور الثقافة والعلم ••

عدا مافي زيارة المكتبات من فائدة ثقافية ، وتعر ّف عام على التراث الفكري والعلمي لأمــة الإســلام ، واكتشاف لفكرة الإسلام الكليــة عــن الكون والحياة والانسان ، وفتح آفاق جديدة عن النهضة الثقافيــة التي مرت بها الأمة الاسلامية عبر التاريخ ، وتقادم العصور ••

فاحرص ــ أخي المربي ــ على زيارة المكتبات العامة مع أولادك ، لتتحقق فيهم تلك المعاني ، وتتأصل في نفوسهم هاتيك القِيَم ••

وإذا كان وقتك أو ظرفك لايسمح لك بالزيارة ، فأذن لولدك أن يصحب أهل الاختصاص ، ليكتسب منهم أصول الزيارة ، وفن ّ الاطلاع والمعرفة ••

تلكم — أخي المربي — **أهم الوسائل الثقافية النافعة** في تكوين الولد ثقافياً ، وإعداده علمياً وفكرياً .. فاحرص على تهيئتها لتكون دائماً في متناول ولدك ، وبين أهلك وعشيرتك .. عسى أن تجد فلذات الأكباد في المستقبل القريب قد نضجت عقولهم ، واتسعت مداركهم ، وازدهرت ثقافتهم ، وقويت علومهم ومعارفهم .. عدا عن أنهم ارتبطوا بالاسلام عقيدة وفكراً ، وبالتاريخ الاسلامي روحاً وعاطفة ، وبالحضارة الاسلامية اعتزازاً وقدوة ، وبالعلوم النافعة المستحدثة معرفة وثقافة ..

★ ★ ★

٨ ـ تشويق الولد الى المطالعة الدائمة :

انطلاقاً من الشعار الذي رفعه الاسلام : « **وقـل ربّ زدني علما** »، « **هل يستوي الذين يعلمون والذين لايعلمون ؟** » .

واستشعاراً بمسؤولية التوعيـة الفكريـة التي جعلهـا الاسـلام أمانة في عنق الآباء والمربين ..

وجب على كل من يهمه أمر الولد فكرياً ، وتكوينه علمياً وثقافياً أن يعرّفوا الولد منذ أن يبلغ سنّ الوعي والتمييز :

بالإسلام ديناً ودولة ..

وبالقرآن العظيم نظاماً وتشريعاً ..

وبالتاريخ الاسلامي عزة وقدوة ..

وبالثقافة الاسلامية تنوعاً وشمولا ..

وبالارتباط الحركي للدعوة الاسلامية اندفاعاً وحماسة ••

وهذا لايتأتى إلا بمطالعة واعية شاملة تتركز في الأمور التالية :

● مطالعة **لكتب فكرية** تكشف للولـد عن خلود هذا الاسلام لما يمتاز به من مقوّمات الشمول والتجدد والاستمرار •

● مطالعة **لكتب تاريخيـة** توضـح للولد العز الاسلامي السالف ، ومجد المسلمين الغابر ••

● مطالعة **لكتب ترتبط بالغزو الفكري** تكشف للولد عن عن المخططات التي يرسمها أعداء الاسلام ، سواء أكانت هذه المخططات تتصل باليهودية الماكرة ، أو ترتبط بالشيوعية الملحدة ، أو تنبثق عن الصليبية الحاقدة •••

● مطالعة **لكتب حضارية** تكشف القناع عن حضارة الاسلام الزاهية التي شادها الاجداد خلال العصور ، وعبر التاريخ ••

ومن هنا كان اهتمام سلفنا الصالح بتوعية أولادهم الفكرية والتاريخيـة والثقافيـة ••• وسبـق أن ذكرنـا في بحث « **مسؤولية التربية العقلية** » **ما قاله** رجـال التربية الإسلاميون في ضـرورة تعليم الولد القرآن الكريم ، وأحاديث الاخبار ، وحكايات الابرار ، والشعر الجيد ، وتاريخ الملاحم ، ومغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم ••• وما ذاك إلا تأكيـد بأنّ الاسلام حمّل الآباء والمربين جميعاً مسؤولية الواجب التعليمي ، والتوعيـة الفكرية ، وغرس بذور العقيدة الاسلامية الراسخة منذ نشأتهم ، وفي كل مرحلة من مراحل حياتهم •

ولكن ما السبيل الى هذا كله ؟

السبيل هي المطالعة الفاهمة الدائمة مع التلقين الواعي !!••

والمطالعة لايندفع الولد اليها ، ولايرغب فيها إلا باتخاذ وسائل التحبيب بها ، والتشويق اليها •••

وأرى أن هذا التشويق يتركز في النقاط التالية :

● أن نوازن له مابين العلم والجهل ، ونقارن له أيضاً مابين العلماء والجهلاء •• وهذه الموازنة والمقارنة طريقة القرآن الكريم في الإقناع وإقامة الحجة • قال تعالى :

« قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لايعلمون ؟ » •

وكم يقتنع الولد ، وينكبّ على الدراسة والمطالعة حين تتضح له كرامة العلماء ، وشقاوة الجهلاء ؟

وكم تتحرك نفسه شوقاً الى العلم حين يسمع ما لطالب العلم من منزلة عالية ، وفضل عظيم عند الله عز وجل[1] ، وعند الناس ؟

ــ قال معاذ بن جبل رضي الله عنه : « العلم حياة القلوب من الجهل ، ومصباح الأبصار من الظلمة ، وقوة الابدان من الضعف ، يبلغ بالعبد منازل الاخيار والابرار ، والدرجات العلى في الدنيا والآخرة ، والتفكير فيه يعدل الصيام ، ومذاكرته تعدل القيام ، وبه توصل الأرحام ، ويعرف الحلال من الحرام، وهو إمام والعمل تابعه، ويلهمه السعداء، ويحرمه الأشقياء»[2] •

ــ وقال العلاّمة نصير الدين الطوسي في أول رسالته « آداب المتعلّمين » :

---

(١) سبق أن ذكرنا في مواطن كثيرة من هذا الكتاب فضل العلم والعلماء .

(٢) هذه الأقوال الثلاث من كتاب « رسالة المسترشدين » للمحاسبي ، تحقيق فضيلة الاستاذ الشيخ عبد الفتاح أبو غدة حفظه الله .

« شرف العلم لايخفى على أحد ، إذ العلم هو المختصّ بالانسانية ، لأن جميع الخصال سوى العلم يشترك فيه الانسان ، وسائر الحيوانات كالشجاعة والقوة والشفقة وغيرها ، وبه أظهر الله تعالى فضل آدم عليه السلام على الملائكة ، وأمرهم بالسجود له ، وأيضاً هو الوسيلة للوصول الى السعادة الأبدية إن وقع العمل على مقتضاه »[1] .

ـ وقال الحسن البصري رحمه الله : « لو كان للعلم صورة لكانت صورته أحسن من صورة الشمس والقمر والنجوم والسماء .. »[2]...

● إقامة مباريات بين الاولاد : بعضها لأسرع قراءة ، وبعضها لمطالعة أكثر عدد ممكن من الكتب في وقت محدد ، ثم تعقد اختبارات لهم في ذلك ، ويمنح الأوائل جوائز مغرية أو رمزية للاندفاع والتشجيع .. وهذه الوسيلة في إكرام الولد وتشجيعه فيما يحسنه من عمل ، وما يظهر به من خلق جميل هي ما حضّ عليه الامام الغزالي ، ورغب فيه ، يقول رحمه الله في الجزء الثالث من إحيائه : « إذا ظهر من الصبي خلق جميل ، وفعل محمود فانه ينبغي أن يكرم عليه ، ويجازى عليه بما يفرح به ، ويمدح أمام الناس لتشجيعه على الاخلاق الكريمة . والأفعال الحميدة .. » .

وإكرام الولد وتشجيعه بالجائزة أو الهدية أو الخطاب الجميل ، يتفق مع قوله عليه الصلاة والسلام فيما رواه الطبراني : « تهادوا تحابوا » ؛ ومع قوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه أبو داود والنسائي : « من أسدى اليكم معروفاً فكافئوه ، فإن لم تستطيعوا فادعوا له » ، ويتفق مع مارواه ابن عمر رضي الله عنهما « أن النبي صلى الله عليه وسلم سبّق بين الخيل وأعطى السابق» رواه أحمد .

● إفهام الولد أن ما يقرؤه ويتعلمه من قراءة مفيدة ، وعلم نافع ..

---

(1) ، (2) : هذه الأقوال الثلاث من كتاب «رسالة المسترشدين» للمحاسبي، تحقيق فضيلة الاستاذ الشيخ عبد الفتاح أبو غدة حفظه الله .

إذا قُرن بالنية الصالحة ، والقصد الحميـــد كان له ثواب القانتين المتعبّدين ، لقوله عليه الصلاة والسلام ــ فيما رواه الشيخان ــ :

« إنما الاعمال بالنيات ، وإنما لكل امرىء ما نوى .. » .

ويستنتج الفقهاء من هذا الحديث هذا الحكم :

« ان النية الصالحة تقلب العادة عبادة » .

ولاشك أن الولد حين يعلم أنه مأجور على المطالعة ، مجزيّ من قبل الله عز وجل على تحصيل العلم ، والتزود من الثقافة .. فإنه يقبل بكليته على القراءة دون تواكل أو تقصير !!..

● تهيئة الاجواء الصافية الهادئة المريحـــة .. من أضواء منيرة ، ومناظر خلاّبة ، وهدوء تام ، وتدفئة مناسبة أيام الشتاء ، وتهوية ملائمة أيـــام الصيف . ... فإن هذا كله مما يساعد في الإقبال على المطالعة ، والتشويق اليها . والتحبيب بها .

● توفير الكتب المتنوعة للولد سواء أكان توفيرها في مكتبة البيت ، أو في مكتبة المدرسة ، أو في مكتبة المسجد ، أو في المكتبات العامة ..

ولا شك أن الولد حين يجد أمامه الكتاب الذي يطّلبه ، سواء أكان الكتاب قصة أو كان شعراً ، أو كان تاريخاً أو كان أخلاقاً ... فإنه يقبل على المطالعة بشوق ، ويسعى اليها بشغف !!.

● وأخيراً إفهام الولد أن الوقت كالسيف ، وأن الواجبات أكثر مـــن الأوقات ، وأن مايجهله أكثر مما يعلمه ، وأن الاسلام يأمر المسلم بأن يمـــلأ فراغه بما ينفع ، لقوله عليه الصلاة والسلام ــ فيما رواه مسلم ــ : « احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز .. » ، كما يأمره بأن يغتنم الفرص للعمل

الدائب لعزّ الدنيا ، والنجاة في الآخرة ، لقوله عليه الصلاة والسلام ـ فيما رواه الحاكم بسند صحيح ـ : « اغتنم خمساً قبل خمس : حياتَك قبل موتك، وصحتَك قبل سقمك ، وفراغك قبل شغلك ، وشبابك قبل هرمك ، وغناك قبل فقرك » •

واخيرا المطالعة لاتعطي الثمرات المرجوّة إلا باتباع الطرق التالية :

١ ـ التهيئة النفسية قبل المطالعة ، وذلك باستحضار النية أنه يقرأ ليتكون ثقافياً ، حتى يبلغ الدعوة ، ويؤدي رسالة الاسلام ، وينفع أمته وبلده •••

٢ ـ التركيز الذهني أثناء المطالعة ، وذلك باستحضار الذهن والفهم بكل ما يقرأ ، حتى يكون استيعابه للمقروء تاماً ، وفهمه لمعاني السطور شاملاً ••

٣ ـ وضع خطوط بالقلم الرصاص تحت المعاني الهامة ، والأفكار الرئيسية حتى إذا ألقى إلى البحث نظرة ثانية ترسخت هذه المعاني في ذهنه، ونشبت الافكار الرئيسية في خاطره ••

٤ ـ وضع العناصر الاساسية على هامش الصفحة بالقلم الرصاص ، ليكون الاستيعاب لهذه العناصر تاماً شاملا ••

٥ ـ تثبيت عناوين المواضيع المهمة ، أو أفكار الابحاث المحببة في مذكرات خاصة مع ذكر الكتاب ، ورقم الصفحة حتى إذا احتاج إليها رجع الى مصادرها بسهولة ••

٦ ـ إعداد دفتر مذكرات كبير ليدَوّن فيه كل مايستحسنه القارىء من شواهد حديثية أو لطائف أدبية ، أو حكم شعريّة ، أو قصص تاريخية ، أو حقائق علمية ، أو فتاوى شرعية ••

ولاشك أن هذه المذكرات هي حصيلة كتب كثيرة مرّ بها القارىء ، في أزمان ماضية ، وأوقات كثيرة ، وهي خير ماينتفع بها في مستقبل حياته العلمية والعملية ..

ـ فاحرص ـ أخي المربي ـ على أن تعوّد أولادك عليها ، وأن ترشدهم إليها .. ليكونوا في مستقبل الايام من عداد الرجال العالمين ، ومن فئات العناصر المثقّفة ، ومن الجيل الناضج الفاهم .. وماذلك على الله بعزيز .

* * *

٩ ـ استشعار الولد بمسؤولية الاسلام :

من الأمور الهامة التي تؤكد على ضرورة الاعتناء بها ، ونلفت نظر المربّين إليها .. السعي الدائم في تلقين الولد الحقائق التالية :

أ ـ (إن العصبة المؤمنة التي تركّزت في دار الأرقم وعلى يديها تحقق نصر الاسلام كانوا شباباً فرسول الله صلى الله عليه وسلم كان عمره أربعين سنة عند البعثة ، وأبو بكر رضي الله عنه أصغر منه بثلاث سنين ، وعمر رضي الله عنه كان عمره سبعاً وعشرين سنة ، وعثمان رضي الله عنه كان أصغر من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعلي رضي الله عنه كان أصغر من الجميع .. وهكذا كان عبد الله بن مسعود ، وعبد الرحمن بن عوف ، والأرقم بن أبي الارقم ، وسعيد بن زيد ، ومصعب بن عميّر ، وبلال بن رباح ، وعمار بن ياسر ، وعشرات غيرهم .. بل مئات .. كلهم كانوا شباباً)[1] .

ب ـ هؤلاء الشباب هم الذين حملوا على كواهلهم أعباء الدعوة ،

---

(١) من كتاب « السيرة النبوية » للمرحوم الدكتور مصطفى السباعي صفحة : ٨٢ .

وهم الذين استعذبوا في سبيلها أسمى آيات الصبر والعذاب والتضحية ..
وهم الذين واصلوا ليلهم بنهارهم .. حتى حققوا لهذا الاسلام انتشاره وكيانه ، ولهذا الدين انتصاره وتمكينه .. فما بين عشية وضحاها قامت للمسلمين دولة وسلطان ، وتأسست لهم حكومة وقيادة .. وأخضعوا لحكمهم المملكتين العظيمتين : فارس والروم ، وامتد ظلهم الى بلاد السند شرقاً ، والى بلاد الخزر وأرمينية وبلاد الروس شمالا ، ودخلت في عدلهم بلاد الشام ومصر وبرقة وطرابلس وبقية أفريقية .. وذلك كله في خمس وثلاثين سنة .

وفي عهد بني أمية استبحر ملكهم وامتد سلطانهم الى أن دخلوا بلاد السند ، ومعظم بلاد الهند ، وبلاد التركستان ، ووصلوا الى حدود الصين شرقاً ، ودخلوا بلاد الاندلس غرباً ، وقد استطاع أحد الخلفاء هارون الرشيد أن يصور للعالم بسطة العالم الاسلامي ، فلم يجد غيرأن يخاطب السحابة التي تمرّ بـه ولاتمطره فيقول لها : « أمطري حيث شئت فإن خراجك سيحمل إلينا »[1] .

ج ـ هؤلاء الرعيل الاول من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومَن جاءبعدهم بإحسان لم يبلغوا قمة المجد والعظمة إلا بشيئين عظيمين :

الأول ـ التزامهم الاسلام عقيدة وفكراً ، قولا وعملا ، تحقيقاً وتطبيقاً ..

وقد ضمنوا في ذلك النصر المؤزر ، والفتح المبين ، والغلبة الظافرة على أعداء الله والدين .. وبدون ذلك لايمكن أن يتحقق لهم النصر ، ولا أن يمسكوا بأيديهم زمام العزة والسيادة ... تذكر كتب التاريخ أنه عندما استبطأ عمر بن الخطاب رضي الله عنه فتح مصر كتب الى عمرو بن العاص ـ وكان قائداً عاماً على الجيش ـ يقول :

---

(١) من كتابنا « حتى يعلم الشباب » صفحة : ٩ ـ ١٠ .

« أما بعد : فقد عجبتُ لإبطائكم عن فتح مصر ، تقاتلونهم منذ سنتين، وما ذاك إلا لما أحدثتم وأحببتم من الدنيا ما أحبّ عدوّكم ، وإن الله تبارك وتعالى لاينصر قوماً إلا بصدق نياتهم » .

ورحم الله الخليفة العادل حين قال : « نحن قوم أعزّنا الله بالاسلام فمهما ابتغينا العزة بغير ما أعزنا الله به أذلّنا الله » رواه الحاكم .

الثاني ــ حملهم رسالة الاسلام الى الدنيا بجهادهم وتضحياتهم ، وقوة صبرهم واستبسالهم ..

حتى إن فتوحاتهم وصلت الى آخر الغرب ، ووقف عقبة بن نافع على شاطىء المحيط الأطلسي (بحر الظلمات) ، وقال : ــ وقد خاض جواده بالماء ــ : « اللهمّ ربّ محمد لولا هذا البحر لفتحت الدنيا في سبيل إعلاء كلمتك .. اللهم فاشهد !!.. »

ووصلت الى آخر الشرق ، وتوغّل قتيبة الباهلي في بلاد الصين ، فقال له أحد أصحابه محذّراً مشفقاً : «لقد أوغلت في بلاد الترك ياقتيبة، والحوادث بين أجنحة الدهر تقبل وتدبر .. » ، فأجابه قتيبة والإيمان قد بلغ منه كل مبلغ : « بثقتي بنصر الله توغلت ، وإذا انقضت المدّة لم تنفع العدّة ..» ، فلما رأى ذلك المحذّر عزمه وتصميمه على المضيّ لإعلاء كلمة الله قال له : « أسلك سبيلك حيث شئت ياقتيبة ، فهذا عزم لايفلّه إلا الله !!.. » . وبدون ذلك لايمكن أن يسلكوا شبراً من الارض ، ولا أن ينشروا دين الله في العالمين !!..

د ــ فنحن جيل الاسلام اليوم إذا نهجنا نهج الجدود في التزام الاسلام، وسرنا سير السلف في الجهاد والتضحية ، والصبر والمصابرة ، والثبات والاستبسال .. فسوف نحقق بأيدينا عز الاسلام ، ونبني بسواعدنا دولة

المسلمين •• ونستعيد بتأييد الله المجد والعظمة والخلود ، ونرجع خير أمة أخرجت للناس ، لأننا رجال ، وسلفنا رجال ، وقد امتدح الله سبحانه عزائم الرجال حين قال :

« رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدّلوا تبديلا » .

(الاحزاب : ٢٣)

« رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوماً تتقلّب فيه القلوب والابصار •• » .

(النور : ٣٧)

وما يضير جيل الإسلام اليوم أن يكونوا في الظاهر رجالاً ، وفي المعنى جبالاً • ورحم الله شاعر الاسلام محمد إقبال حين قال :

مَن ذا الذي رفع السيوف ليرفع اسمك
فوق هامات النجوم منارا

كانوا جبالاً في الجبال وربما
ساروا على موج البحار بحاراً

هـ ــ العالَمُ اليوم يتيه في ظلمات المادية الطاغية ، ويتخبط في أوحال الانحلال والإباحية ، ويرسف في قيود الظلم والاستبداد •• ويتصارع في دياجير الافكار والمبادىء •• وهاهي الدول الكبرى تنشب مخالبها المتوحّشة لتفترس حضارة الانسان ، وتخنق ببغيها ووحشيتها القيم الانسانية ومثلها العليا ، ورسالات الأنبياء •• وتشنّ هجومها لاستعباد الانسان ، وطرده من أرضه ، وابتزاز خيراته ، وتشريده بالعراء مع أطفاله ونسائه وشيوخه ••

فما الذي يقي العالم من هذه الويلات والكوارث ؟ ماالذي يحمي

البشرية من هذا الانحطاط الفكري ، والانحلال الاخلاقي ؟ ماالذي يحمي الآمنين من حرب طاغيـة مدمّرة ؟ أو بعبارة أوضح ماهي سفينـة **الإنقاذ** ؟ ماهو صمام الامان ؟

في تقديري ، وتقدير الكثير من مفكّرين ، وفلاسفـة ، وعلمـاء .. **أن القيم الروحية ، والأنظمة الاجتماعية والسياسية التي جاء بها الاسـلام هي الجديرة بان تحمل للعالم إمامة الفكر والاصلاح والمبادىء .. لتخليص الانسانية من ويلات الزيغ والضلال ، وموبقات الفساد والاباحية ..**

قال « الياس أبو شبكة » في كتـابه «روابط الفكر والروح بين العرب والفرنجة » : « إن زوال الحضارة العربية كان شؤماً على إسبانية وأوربة ، فالأندلس لم تعرف السعادة إلا في ظـل العرب ، وحالما ذهب العرب حلّ الدمار محل الثراء والجمال والخِصْب .. » .

وقال « برناردشو » الفيلسوف الانكليزي قولته المشهورة : « لقـد كان دين محمد موضع تقدير سامٍ لما ينطوي عليه من حيوية مدهشة ، وإنه الدين الوحيد الذي له ملكة الهضم لأطوار الحياة المختلفة، **وارى واجباً أن يدعى محمد منقذ الانسانية ، وإن رجلا كشاكلته إذا تولى زعامة العـالم الحديث لنجح في حلّ مشكلاته .. »** .

ويقول المؤرخ الانكليزي « ويلز » في كتابه « ملامح تاريخ الانسانية »: « إن أوربة مدينة للاسلام بالجانب الاكبر من قوانينها الادارية والتجارية » .

ولذا فإن جيل الاسلام اليوم مطالب بأداء مسؤوليته الكبرى ، ودوره الحضاري في إنقاذ البشرية من ظلمـات المادية الطاغية ، وموجات الإباحيـة انعاتية ، وعواصف الحروب المدمّرة .. وهذا لايتأتى إلا بحمل رسالة الاسلام الخالدة الى الدنيا من جديد حتى يسود الرخـاء والأمن والاستقرار في كـل أرض وتحت كل سماء ، وتنعم الانسانية بنور الايمان وشريعة القرآن ..

هذه الشـــريعة تتسم بالربانيـــة ، والعالميـــة ، والشمول ، والعطـــاء والخلود ..

أما اتسامها **بالربانيـة** فلأنها تنزيل من حكيم حميد .

أما اتسامها **بالعالميـة** فلأنها شريعة البشرية جمعاء .

أما اتسامها **بالشمول** فلأنها جاءت لمناهج الحياة .

أما اتسامها **بالعطـــاء** فلأنها تفي بحاجات البشرية **في كل زمان ومكان**[1] .

أما اتسامها **بالخلود** فلأنها تحمل في طبيعتها بذور نمائها واستمرارها الى يوم الديـن ..

ويكفي أمة الاسلام فخراً وشرفاً وخلوداً أن يقول الله عنها في محكـم تنزيلـه :

« كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله » .

فلتنهض هذه الامة بمسؤوليتها كما أمرها الله عز وجل ، لتخرج الـى الدنيا بأخلاقية الجدود البواسل الأمجاد ، وبعزيمة القوّاد الأشاوس الابطال، وبفتوح بدر والقادسية واليرموك وحطين .. وبرسالة الاســلام ، ومبـادىء القرآن الكريم ..

ألا فليغرس المربّون في نفوس أبنائهـم وطلابهـم هـذه الحقـائق ،

(١) ارجع الى كتابنا « حتى يعلم الشباب » ، واقرأ بحث « القرآن دستورنا » تجد ما فيه الكفاية من خصائص الشريعة الاسلامية ومزاياها .

ويلقّنونهم في كل آن هذه المعاني •• حتى يستشعروا بمسؤوليتهم على الوجه الأكمل ، ويؤدّوا واجبهم على النهج المطلوب ••

فإن هم فعلوا ذلك فسوف يرون أولادهم دعاة صادقين ، وجنودا للاسلام مخلصين •• يبلّغون دعوة ربهم ولايخشون أحدا إلا الله ، ويتحملون في سبيلها كل عنَت وأذى واضطهاد •• وسيصلون بإذن الله في نهاية المطاف الى النصر الأكبر ، والعز الارفع ، والكرامة المنشودة •• وما ذلك على الله بعزيز •



١٠ ـ تعميق روح الجهاد في نفسية الولد :

من المسائل الخطيرة ، والأمور الهامة التي يجب أن يهتم المربّون بها ، ويوجهوا اعتناءهم الأكبر اليها •• تعميق روح الجهاد في نفسية الولد، وترسيخ معاني العزم والمصابرة في فكره وقلبه ومشاعره •• ولاسيما في هذا العصر الذي انحسر فيه حكم الاسلام عن بلاد الاسلام ، وغربت شمس العزة الاسلامية عن الدنيا ، وأصبحت السيادة للطواغيت ، واستلم زمام الأمور في أكثر بلاد الاسلام أناس لاهمّ لهم ولا غاية إلا أن ينفّذوا مخططات أعداء الله والاسلام ، سواء أكانت هذه المخططات شيوعية ، أو كانت استعمارية ، أو كانت يهودية ، أو كانت صليبية ••• فكان من نتيجة ذلك أن ألغيت الخلافة الاسلامية ، واجتاحت المجتمعات موجات المادية الطاغية ، وعواصف هوجاء من التحلل والإباحية •• وتيارات متدفقة من المبادىء الضالة والغزو الفكري الإلحادي •• وأصبحت بلاد الاسلام هدفاً لكل طامع ، وغاية لكل مريد !!

لذا وجب على المربين أن يلقّنـوا أولادهم معنى الصبر والمصابرة . وأن يعمّقوا في نفوسهم روح الجهاد .. عسى أن يستعيدوا بجهادهم عز الاسلام ، ومجد المسلمين !!.

ولكن ماهي المراحل التي يجب أن ينتهجها المربون مع أولادهم في تعميق الجهاد في نفوسهم ، وترسيخ معانيه في جوارحهم وكيانهم ؟

أرى أن هذا التعميق يكون في النقاط التالية :

١ ـ استشعار الولد بشكل دائم أن تحقيق العزة الاسلامية ، وبناء المجد الاسلامي .. لايكون إلا بالجهاد وإعلاء كلمة الله ..

« يا أيها الذين آمنوا من يرتدّ منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه ، أذلّة على المؤمنين أعزّة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم .. ».

(المائدة : ٥٤)

٢ ـ إفهام الولد بشكل دائم أن الجهاد في سبيل الله أنواع :

« **الجهاد المالي** : وذلك بالإنفاق لأجل إعلاء كلمة الله ، وهو العصب الحساس لكل جهاد تقوم به أمة الاسلام في الحياة سواء أكان الجهاد تبليغياً أم تعليمياً ، وسواء أكان سياسياً أو حربياً ..

ـ **« إن الله اشترى من المؤمنين انفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة »** .
(التوبة : ١١١)

ـ **« انفروا خفافاً وثقالا وجاهدوا باموالكم وانفسكم في سبيل الله »** .
(التوبة : ٤١)

ـ وفي الحديث الذي رواه الترمذي والنسائي : « من أنفق نفقة في سبيل الله كتبت له بسبعمائة ضعف » .

ـ وفي الحديث الذي رواه الستة إلا مالكاً « مَن جهز غازياً في سبيل الله فقد غزا ، ومن خلّف غازياً في أهله فقد غزا » .

● **الجهاد التبليغي** : وذلك بتبليغ الاسلام باللسان ، وإقامة الحجة بأن دعوة الاسلام حق على الكافرين والمنافقين والملحدين والمنحرفين ..

ـ **« والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ، ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم »** .

(التوبة : ٧١)

ـ **« الذين يبلّغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحدا إلا الله وكفى بالله حسيباً »** .

(الأحزاب : ٣٩)

ـ قال عليه الصلاة والسلام ـ فيما رواه الترمذي وأحمد وابن جبان ـ : « نضّر الله امرءاً سمع مني شيئاً فبلّغه كما سمعه فربّ مبلّغ أوعى من سامع » .

ـ وقال أيضاً ـ فيما رواه مسلم وأصحاب السنن ـ : « من دعا الى هدى كان له من الأجر مثل أجور من اتبعه لاينقص ذلك من أجورهم شيئاً ... » .

● **الجهاد التعليمي** : وذلك ببذل الجهد في تكوين المجتمع الاسلامي علمياً وثقافياً وفكرياً . وإعطاء التصور الصحيح عن فكرة الإسلام الكلية عن الكون والحياة والانسان ..

ـ « وما كان المؤمنون لينفروا كافة ، فلولا نفرَ من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ، ولينذروا قومهم إذا رجعوا اليهم » .

(التوبة : ١٢٢)

ـ وروى الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « تناصحوا في العلم فإن خيانة أحدكم في علمه أشد من خيانته في ماله ، وإن الله مسائلكم » .

ـ وفي الحديث الذي رواه أبو داود والترمذي : « من سئل عن علم فكتمه أُلجم بلجامٍ من نار يوم القيامة » .

● **الجهاد السياسي :** وذلك ببذل الجهد في إقامة الدولة الاسلامية على أسس من مبادىء الاسلام ، وقواعده العامة الشاملة ، وبالاختصار أن تكون الحاكمية في نظام الحكم لله وحــده .

ـ « وان احكم بينهم بما انزل الله ولا تتبــع اهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك فإن تولوا فاعلم انمــا يريد الله ان يصيبهم ببعض ذنوبهم وإن كثيراً من الناس لفاسقون ، أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون » .

(المائدة : ٤٩ ـ ٥٠)

ـ وروى مسلم عــن عبــد الله بــن مسعود رضي الله عنــه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما من نبيّ بعثه الله في أمة قبلي إلا كان له من أمته حواريّون وأصحاب يأخذون بسنته ، ويقتدون بأمره ، ثــم إنها تخلف من بعدهم خلوف يقولون مالا يفعلون ، ويفعلون مالا يؤمرون ، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن ، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن ، وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل » .

● **الجهاد القتالي :** وذلك ببذل الجهد للوقوف أمام كل طاغوت يقف عقبة كأداء دون حكم الله عز وجل ، ونشر دعوته في الأرض ٠٠ سواء أكان هؤلاء الطواغيت في دار الاسلام أو في دار الحرب !!٠٠

ـ ((**وقاتلوهم حتى لاتكون فتنة ويكون الدين كله لله ٠٠**)) ٠

(الأنفال : ٣٩)

ـ ((**قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر ولا يحرّمون ما حرّم الله ورسوله ، ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يدٍ وهم صاغرون**)) ٠

(التوبة : ٢٩)

ـ وهذا ما ذكره ربعي بن عامر في المقابلة التي جرت بين المسلمين ورستم قائد الفرس : ((إن الله ابتعثنا لنخرج الناس من عبادة العباد الى عبادة الله ، ومن ضيق الدنيا الى سعتها ، ومن جور الأديان الى عدل الاسلام)) ٠

فالمربي حين يستشعر الولد هذا المفهوم العام عن الجهاد ، وحين يعلّمه أنواعه وما يتفرع عنه ٠٠ فإنه يندفع الى الجهاد بكل عزم ومضاء ٠٠ لكون الجهاد يشمل كل عمل دعوي ما دامت النية لإعلاء كلمة الله ، ونشر دينه في الأرض))(١) !!٠٠

٣ ـ تذكير الولد بشكل دائم بمواقف بطولية لأبناء الصحابة رضي الله عنهم ، ليتأسى بهم ، ويمشي على طريقتهم ومنوالهم ، **وإليكم طرفاً منها :**

أ ـ لما خرج المسلمون الى أحد ردّ النبي صلى الله عليه وسلم من

---

(١) ارجع ـ اخي المربي ـ الى كتابنا ((حتى يعلم الشباب)) لتجد فيه مايشفي الغليل في بحث مفهوم الجهاد ، وتنوعاته الشاملة .

استصغر منهم . وكان فيس ردّه رافع بن خديج ، وسَمرَة بن جندب ، ثم أجاز رافعاً لما قيل له : إنه رامٍ يحسن الرماية .

فبكى سمرة وقال لزوج أمّه : أجاز رسول الله صلى الله عليه وسلم رافعاً وردّني مع أني أصرعه ، فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر ، فأمرهما بالمصارعة ، فكان الغالب سَمرة ، فأجازه عليه الصلاة والسلام .

ب ـ لما هاجر النبي صلى الله عليه وسلم وصاحبه أبو بكر رضي الله عنه الى المدينة المنورة . وأقاما في غار ثور ثلاثة أيام ، عملت عائشة وأسماء بنتا أبي بكر رضي الله عنهم في تهيئة الزاد لهما . وقطعت أسماء قطعة من نطاقها ـ وهو ما يشدّ به الوسط ـ فربطت به على فم الجراب (وعاء الطعام) الذي كانت تحمله ، فسميت ذات النطاقين ، وعمل عبدالله بن أبي بكر رضي الله عنهما على نقل الاخبار ، فلا يسمع من قريش أمراً يبيّتونه من المكروه لهما إلا وعاه رضي الله عنه حتى يأتيهما في المساء بخبره ، ويبقى عندهما بعض الوقت ، ثم يخرج من عندهما بالسحر ، ويصبح مع قريش بمكة كأنّه كان نائماً فيها ، ومن المعلوم أن عائشة وعبد الله رضي الله عنهما لم يبلغا الحلم بعد .

ج ـ وتذكر كتب التاريخ أن غلاماً مؤمناً كان يسأل أباه بأن يمكّنه ليجوب مناكب الارض ويسعى في أرجائها حتى يصل الى قمة المجد والكرامة :

اقذف السّرج على المُـ	ـهر وقرّطه اللجاما
ثم صبّ الدرع في رأ	سي وناولني الحساما
فمتى أطلب إن لم	أطلب الرزق غلاما
سأجوب الأرض أبغيـ	ـه حلالاً لا حراما
فلعلّ الظعن ينفي الفـ	ـقْر أو يدني الحماما

ومن أراد المزيد من هذه الأمثلة فليرجع الى القسم الثاني من

كتاب « تربية الأولاد في الاسلام » في بحث « ظاهرة الخوف » يجد ما فيه الكفاية .

٤ ــ **تحفيظ الولد سورة** الأنفال ، وسورة التوبة ، وسورة الاحزاب .. ونصوصا أخرى من آيات الجهاد في القرآن الكريم مع أسباب نزولها ، وشرح معانيها . وبيان المواقف الشجاعة التي وقفها رسول الاسلام صلوات الله وسلامه عليه وأصحابه الكرام في بدر والخندق وحنين .. وغيرها .. فإنها ــ ولاشك ــ تحرك المشاعر في نفسية الولد ، وتجعل منه إنساناً شجاعاً مقداماً لايخشى في الله لومة لائم ، بل يندفع إلى الجهاد بكليته ، ويتمنى الشهادة في سبيل الله ، كما اندفع أجداده من قبل ، وتمنّاها الرعيل الاول من أبناء هذه الأمة المحمدية عبر التاريخ[1] !!..

٥ ــ **تعميق عقيدة القضاء والقدر** في نفسية الولد ، ليؤمن إيماناً جازماً أن ما أصابه لم يكن ليخطئه ، وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه ، وأن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوه بشيء لم ينفعوه إلا بشيء قد كتبه الله له ، وإن اجتمعت على أن يضرّوه بشيء لم يضروه إلا بشيء قد كتبه الله عليه ، وأنه إذا جاء أجلهم لايستأخرون ساعة ولايستقدمون ، وأن الله سبحانه هو وحده المحيي والمميت ، والمعزّ والمذل ، والضار والنافع ، والخافض والرافع .. بيده مقاليد كل شيء وهو على كل شيء قدير ..

ولابأس باستشهاد ماقاله السلف في هذه المعاني :

أيّ يوميّ من الموت أفرّ
يوم لا يقدَرُ أم يوم قُدِر

(١) انصح المربي ان يقرا على أولاده كتاب « حياة الصحابة » للكاندهلوي ، وكتاب « شهداء الاسلام في عصر النبوة » للنشار .

يــوم لايقــدَرُ لا أرهبـــه
ومن المقــدور لا ينجو الحذَرِ

* * *

إذا غامــرت في شــرفٍ مَروم
فلا تقنــع بما دون النجوم
فطعــم المــوت في أمر حقــير
كطعم المــوت في أمــر عظيــم

* * *

أقولُ لها وقــد طارت شَعاعاً
من الابطــال ويْحك لن تُراعي
فإنك لو سألت بقــاء يوم
على الأجل الذي لك لن تّطاعي
فصبراً في مجــال الموت صبــراً
فما نيــلُ الخلود بمستطاع

* * *

تلكم ــ أيها المربون ــ أهم النقاط والمراحل في تعميق روح الجهــاد في نفسية الولد ، فما عليكم إلا أن تنتهجوها ، وتلقنوها أولادكم حتى إذا

بلغوا سن الشباب . وناداهم منادي الجهاد انطلقوا في ميادين العزة والكرامة مستبسلين مجاهدين لايخشون أحدا الا الله ، وسوف لايلقون السلاح ، ولايتخلون عن الجهاد وإعلاء كلمة الله .. حتى يروا راية الاسلام قد ارتفعت. وعلم النصر قد خفق، وعندئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم .



خاتمة المطاف

مما فصلنا القول عنه سابقاً من سلسلة « تربية الأولاد في الاسلام » يتبيّن لك ـ أخي المربي ـ بشكل واضح لا يقبل الشك ولا الالتباس .. أن للاسلام منهجه الكامل ، وطريقته المتميزة، وأسلوبه الفريد.. في اعداد الولد الايماني والخلقي ، وفي تكوينه النفسي والعقلي ، وفي تربيته الجسمية والاجتماعية .. ليكون في المستقبل انساناً صالحاً متوازناً سوياً ذا عقيدة وخلق ورسالة .. ينهض بأعباء ، ويضطلع بمسؤوليات ، وينتهي في الخاتمة الى غاية الغايات ألا وهي رضوان الله عز وجل ، والفوز بالجنة ، والنجاة من النار !! ..

ومن الأمور التي يكاد يجمع عليها علماء الاخلاق والاجتماع ، ورجال التربية والتعليم .. أن المربي سواء أكان معلماً أو أباً أو أماً أو مرشداً ربانياً ... حين يبذل قصارى جهده ، ويشحذ غاية اهتمامه في تنفيذ هذا المنهج الرباني الذي أنزله الله عز وجل ، وتطبيق هذا النظام الذي قعّدت أصوله وفروعه شريعة الاسلام ..

فمن المؤكد أن الولد ينشأ على الإيمان والتقوى، ويتدرّج على الفضيلة والأخلاق ، ويظهر أمام المجتمع بأفضل ما يظهر به إنسان ناضج العقل ، مكتمل الخلق ، متوازن السلوك ، سمح المعاملة ، حسن السيرة ، كريم المعشر ...

أما ما يشكو منه بعض المربين والآباء من انحراف أبنائهم ، أو تمردهم وعقوقهم •• فيعود في الدرجة الأولى الى هؤلاء المربين أنفسهم ••

فكيف يستقيم أمر الولد ، والأب يسمح له برفقاء السوء ؟

وكيف تثبت عقيدة الولد ، والأب يدفع به الى المدارس الاجنبية ، والمعاهد التبشيرية ؟

وكيف تصلح أخلاق الولد ، والأب قد أدخل الى بيته جهاز التلفزيون ليرى فيه كل مشهد متحلل ، ومنظر آثم •• ؟

وكيف نحافظ على سلوكية الولد والأب يضع بين يديه المجلات الماجنة، والقصص الغرامية التي تتّجر بالغرائز ، وتشجع على الميوعة والانحلال ؟

وكيف نسلم على إيمان الولد والأب يغض نظره في انتمائه الى منظمات إلحادية ، وأحزاب علمانية لا دينية ؟

وبالعموم كيف ينصلح الولد ويستقيم ؟ والمربي لم يأخذ بمنهج الاسلام في التربية ، وبنظامه في التكوين والإعداد ؟!!••

وما أحسن ما فعله عمر رضي الله عنه حين علم أن أباً لم يقم بحقّ ولده عليه في انتقاء أمه ، وتحسين اسمه ، وتعليمه القرآن•• فلم يلبث إلا أن صرخ في وجهه قائلا : جئتَ إليَّ تشكو عقوق ولدك وقد عَقَقْتَه قبل أن يعقّك ، وأسأت اليه قبل أن يسيء إليك !! ••

فجعل رضي الله عنه الأب حين أهمل تربية ولده هو المسؤول الاول عن عقوقه وانحرافه ! ••

أما ما يدعيه بعض الآباء أن أولادهم نشؤوا عاقّين منحرفين على الرغم

ما قاموا به من مسؤولية التربية والتأديب .. فهي دعـوى مرفوضة ، لأننا لو بحثنا عن السبب لرأينا أن السبب يعود على الآباء والأمهات أنفسهم : إما لإعطائهم الاولاد القدوة السيئة .. أو لعدم أخذهم بمنهج الاسلام للتربيـة .. أو لإهمالهم حقاً ألزمهم الاسلام به وفرضه عليهم !! ..

ومن هؤلاء النمط ما روته كتب الأدب أن أعرابياً شكا عقوق أولاده فما وجد بدّاً سوى أن يهجوهم بهذه الأبيات :

إنّ بنيّ كلّهم كالكلب

أبرُّهم أولاهمُ بسبّي

لم يُغنِ عنهم أدبي وضربي

ولا اتساعي لهم ورُحبي

فليتني مِتُّ بغير عَقْبِ

أو ليتني كنتُ عقيمَ الصُّلْب

ومن يدري هل كان الأعرابي يعقّ أباه فانتقم الله منه بعقوق أولاده له ؟

وفي هذا يقول عليه الصلاة والسلام ــ فيما رواه أبو نعيم والديلمي وابن عدي ــ : « البرّ لا يبلى ، والذنب لا ينسى ، والديّان لا يموت ، فكن كما شئت ، فكما تَدين تُدان » .

وروى الطبراني والحاكم عن ابن عمر رضي الله عنهما عنه عليه الصلاة والسلام : « برّوا آباءَكم تبرّكم أبناؤكم ، وعفوا تعفّ نساؤكم » .

وأحيانـاً قد تتخلّف القاعدة ، فيبذل المربي قصارى جهده ، ويـأخذ بمناهج التربية الاسلامية ، ومع هذا ينشأ الولد على الشذوذ والانحراف ،

كما أخبرنا الله سبحانه عن ولد نوح عليه السلام. فأبى الهداية والتربية النبوية واستكبر وكان مع الكافرين ، فعاقبه الله معهم بالطوفان فأصبح الجميع من المغرقين .

وفي هذه الحال يعذر المربي أمام الله لكونه أدى ما عليه من الحقوق ، وقام بما أوجبه الله عليه من مسؤوليات !! ..

وأخيرا — أخي المربي — أعطي العهد لله عز وجل على أن تأخذ بهذا المنهج الاسلامي في تربية أولادك ، واعقد الهمة ، واشحذ العزم على أن تقوم بواجب التنفيذ في كل مرحلة من مراحله ، وبكل جانب من جوانبه ، وبكل قسم من أقسامه .. فإنك إن فعلت ذلك فسترى أولادك شموس إصلاح ، وأقمار هداية ، وملائكة يمشون على الأرض .. بل يشار اليهم بالبنان لصفاء نفوسهم ، وطهارة قلوبهم ، وكريم أخلاقهم ، وجميل معاملتهم ، ومظهر اتزانهم ، ولطف معاشرتهم ..

وإني لمتفائل أن هذا الجيل إذا التزم الاسلام عقيدة وعملاً ، وأخذ بتعاليمه أحكاماً ومنهاجاً .. فإنه سيعيد سيرة الأولين في المجد والرفعة ، ويقيم في العالمين دولة قوية صلبة تضاهي الأمم الكبرى في عزتها وكبريائها .. بل ستخضع الأمم لجلال هيبتها وعظيم سلطانها !! .. وما ذلك على الله بعزيز .

ولن يصلح — أخي المربي — آخر هذه الأمة إلا بما صلح أولها ..

فإن صلح أولها بنظام الاسلام تطبيقاً وتنفيذاً حتى وصلت الى قمة السيادة والنصر .. فكذلك لا يصلح آخرها إلا بنظام الاسلام تطبيقاً وتنفيذاً حتى تصل الى قمة السيادة والنصر !! ..

ورحم الله عمر رضي الله عنه القائل :

« نحن قوم أعزّنا الله بالاسلام فمهما ابتغينا العزة بغير ما أعزّنا الله به أذلّنا الله » رواه الحاكم .

وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم القائل ـ فيما رواه البيهقي والحاكم ـ :

« ... ولا حكم أمراؤهم بغير ما انزل الله إلا سلّط عليهم عدوّهم فاستنقذوا بعض مافي أيديهم ، وما عطّلوا كتاب الله وسنة نبيه إلا جعل الله بأسهم بينهم » .

ومن منطلقات الوصول الى السيادة والنصر البدء بإصلاح نفوسنا ، ثم القيام بإصلاح أسرنا ، ولا يتأتّى هذا الاصلاح لأعضاء الاسرة إلا أن نأخذ بمنهج الاسلام في تربية أبنائنا وبناتنا ؛ لأن اصلاح الفرد هو المنطلق الطبيعي لإصلاح الاسرة ، ثم بالتالي يأتي إصلاح المجتمع ، ثم تتكوّن في المجتمعات الاسلامية القاعدة الصلبة من المؤمنين المخلصين المجاهدين .. الذين على أيديهم تقوم دولة الاسلام ، وبعزائمهم الفتية تتحقق عزة المسلمين ..

فيا أيها الآباء ، ويا أيتها الأمهات ، ويا أيها المربّون :

هذا هو منهاج الاسلام في تربية أولادكم ، وهذا هو الطريق الأقوم في اصلاحهم وهدايتهم ، فانهضوا بمسؤولياتكم ، وقوموا بواجباتكم .. ليتحقق في المجتمعات الاسلامية إصلاح أولادكم وأسركم . وتتكون في الشعوب المحمدية كتائب الجهاد والنصر .. حتى تقوم بدورها في هداية العالم من الضلال والجاهلية والمادية .. الى نور الحق ، ورسالة الاسلام !! ..

« وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردّون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون » .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

تمت الطبعة الثالثة

يوم الأربعاء (١٥) ربيع الاول ١٤٠١

الموافق ١٩٨١/١/٢١

أهـم المصـادر والمراجـع

الرقم	اسم الكتاب	اسم المؤلف
١	القرآن الكريم	
٢	المرشد لآيات القرآن الكريم	لمحمد فارس بركات
٣	الجامع لأحكام القرآن الكريم	لأبي عبد الله محمد القرطبي
٤	تفسير ابن كثير	لأبي الفداء اسماعيل بن كثير
٥	في ظلال القرآن الكريم	للشهيد سيد قطب
٦	تفسير آيات الاحكام	للشيخ محمد علي الصابوني
٧	تفسير آيات الأحكام	للشيخ محمد علي السايس
٨	احكام القرآن الكريم	لأبي بكر الجصاص
٩	احكام القرآن الكريم	لأبي بكر محمد ، المعروف بابن العربي
١٠	صفوة البيان في تفسير القرآن	للشيخ محمد حسنين مخلوف
١١	الترغيب والترهيب	لعبد العظيم المنذري
١٢	فيض القدير	للعلامة المناوي
١٣	نيل الاوطار	لمحمد الشوكاني
١٤	سبل السلام	للصنعاني
١٥	فتح الباري في شرح البخاري	للحافظ بن حجر العسقلاني
١٦	رياض الصالحين	للامام النووي
١٧	كشف الخفاء	لاسماعيل العجلوني
١٨	حياة الصحابة للكاندهلوي	تحقيق محمد علي دولة
١٩	صفة الصفوة لابن الجوزي	تحقيق الدكتور قلعهجي والفاخوري
٢٠	محمد رسول الله (ص)	للشيخ عبد الله سراج الدين
٢١	فقه السيرة	للدكتور محمد سعيد رمضان البوطي
٢٢	السيرة النبوية	للمرحوم الدكتور مصطفى السباعي
٢٣	شرح فتح القدير	لكمال الدين ابن الهمام الحنفي
٢٤	بدائع الصنائع	لعلاء الدين الكاساني
٢٥	المغني لابن قدامه	تحقيق محمود عبد الوهاب فايد
٢٦	حاشية رد المحتار على الدر المختار	للعلامة ابن عابدين
٢٧	الفقه على المذاهب الاربعة	لعبد الرحمن الجزيري

الرقم	اسم الكتـــاب	اسم المؤلف
٢٨	ــ فتح باب العناية لعلي القاري	تحقيق الشيخ عبد الفتاح أبو غده
٢٩	ــ احياء علوم الدين	لحجة الاسلام الغزالي .
٣٠	ــ رسالة المسترشدين للمحاسبي	تحقيق الشيخ أبو غده
٣١	ــ مختصر منهاج القاصدين	لأحمد بن قدامة المقدسي
٣٢	ــ كتاب الزهد والرقائق	لعبد الله بن المبارك
٣٣	ــ تحفة المودود باحكام المولود	لمحمد بن قيم الجوزية
٣٤	ــ آداب المتعلمين	أحمد عبد الغفور العطار
٣٥	ــ التربية الاسلامية للقابسي	للدكتور أحمد فؤاد الاهوائي
٣٦	ــ التربية والتعليم في الاسلام	للدكتور محمد اسعد طلس
٣٧	ــ التربية الاسلامية	لمحمد عطية الابراشي
٣٨	ــ التربية الاسلامية وفلاسفتها	لمحمد عطية الابراشي
٣٩	ــ وسائل التربية الاسلامية	للمرحوم الدكتور محمد أمين المصري
٤٠	ــ اسس التربية الاسلامية	لعبد الرحمن النحلاوي
٤١	ــ مبادىء علم الاخلاق	للدكتور محمد عبد الله دراز
٤٢	ــ الحلال والحرام	للدكتور يوسف القرضاوي
٤٣	ــ الايمان والحياة	» » »
٤٤	ــ دروس النكبة الثانية	» » »
٤٥	ــ المجتمع المتكافل في الاسلام	للدكتور عبد العزيز الخياط
٤٦	ــ عمل المسلم في اليوم والليلة	لمحمد طارق محمد صالح
٤٧	ــ حديث الاسلام	لمحمد مصطفى أبي العلا
٤٨	ــ العدالة الاجتماعية	للمرحوم سيد قطب
٤٩	ــ الاسلام والسلام العالمي	للمرحوم سيد قطب
٥٠	ــ اخلاقنا الاجتماعية	للمرحوم الدكتور مصطفى السباعي
٥١	ــ عظماؤنا في التاريخ	» » » »
٥٢	ــ هكذا علمتني الحياة	» » » »
٥٣	ــ كيف ندعو الى الاسلام	لفتحي يكـن
٥٤	ــ مشكلات الدعوة والداعية	» »
٥٥	ــ محاضرة « الرسول المعلم »	للعلامة الشيخ أبو غدة
٥٦	ــ الشيوعية والاسلام	للعقاد والعطار
٥٧	ــ المشكلات النفسية	للاكتور نبيه الغبرة

الرقم	اسم الكتـــاب	اسم المؤلف
٥٨	ـ مكائد يهودية	للشيخ عبد الرحمن حبنكه
٥٩	ـ خلق المسلم	للشيخ محمد الغزالي
٦٠	ـ الاسلام ـ٤ـ أجزاء	للشيخ سعيد حوى
٦١	ـ اللــه	» » »
٦٢	ـ الرسول (جزءان)	» » »
٦٣	ـ جند الله ثقافة	» » »
٦٤	ـ خطر التبرج والاختلاط	لعبد الباقي رمضون
٦٥	ـ حكم الاسلام في النظر	لمحمد أديب كلكل
٦٦	ـ تحفة العروس	لمحمود مهدي استانبولي
٦٧	ـ ماذا عن المرأة ؟	للدكتور نور الدين عتر
٦٨	ـ المرأة المسلمة	للشيخ وهبى سليمان الغاوجي
٦٩	ـ شريعة الاسلام	للدكتور يوسف القرضاوي
٧٠	ـ دراسات اسلامية	للمرحوم سيد قطب
٧١	ـ التكافل الاجتماعي في الاسلام	للمؤلف « عبد الله علوان »
٧٢	ـ تعدد الزوجات في الاسلام	» » »
٧٣	ـ شبهات وردود	» » »
٧٤	ـ حتى يعلم الشباب	» » »
٧٥	ـ حكم الاسلام في وسائل الاعلام	» » »
٧٦	ـ عقبات الزواج ..	» » »
٧٧	ـ الى كل أب غيور ..	» » »
٧٨	ـ الى ورثة الأنبيـاء	» » »

ومراجع أخرى مثبتة على هوامش الصفحات



التعريف بالمؤلف وآثاره

- اسمه الكامل : عبد الله ناصح علـوان
- ولد في مدينة حلب سنة ١٩٢٨ م
- تلقى علومه الشرعية والكونية في الثانوية الشرعية بحلب على يد اساتـذة اكفاء ، وعلماء فطاحل مبرّزين ، ونال شهادتها سنة ١٩٤٩ .
- اكمل تحصيله العالي في الأزهر الشريف بمصر ، ونال شهادة كلية اصول الدين سنة ١٩٥٢ ، ونال شهادة تخصّص التدريس التي تعادل(الماجستر) سنة ١٩٥٤ م .
- لم يستطع أن يكمل دراسته في مصر حتى شهـادة الدكتوراه لاخراجه من البلاد في عهد عبد الناصر سنة ١٩٥٤ .
- عيّن مدرساً لمادة التربية الاسلامية في ثانويات حلب سنة ١٩٥٤ ، وحتى الآن يزاول اعمال التدريس ، ويقوم بمهمة التوجيه والدعـوة الى الله في مدارس حلب الثانوية ومساجدها . .
- له آثـار علمية ودعوية وتربوية وهي على الترتيب التالي :

١ ــ التكافل الاجتماعى في الاسلام .
٢ ــ تعدد الزوجـات في الاســلام .
٣ ــ صلاح الدين الأيوبي .
٤ ــ حتى يعلم الشباب .
٥ ــ تربية الأولاد في الاسلام (في مجلدين) .

وتحت سلسلة ((بحوث اسلامية هامة)) له الآثار التالية :

١ ــ الى كل اب غيور يؤمن بالله .
٢ ــ فضائل الصيام وأحكامه .
٣ ــ حكم التأمين في الاسلام .
٤ ــ احكام الزكاة (على ضوء المذاهب الأربعة)
٥ ــ حكم الاسلام في وسائل الاعلام .

٦ ـ شبهات وردود حول العقيدة وأصل الانسان .
٧ ـ عقبات الزواج وطرق معالجتها على ضوء الاسلام .
٨ ـ مسؤولية التربية الجنسية .
٩ ـ الى ورثة الأنبياء .
١٠ ـ تكوين الشخصية الانسانية فى نظر الاسلام [محاضرة] .
١١ ـ آداب الخطبة والزفاف وحقوق الزوجين .
١٢ ـ معالم الحضارة الاسلامية وأثرها فى النهضة الأوربية .
١٣ ـ نظام الرق فى الاسلام .
١٤ ـ حرية الاعتقاد فى الشريعة الاسلامية .
١٥ ـ الاسلام شريعة الزمان والمكان .
١٦ ـ القومية فى ميزان الاسلام .

واخيرا سيصدر له قريبا ان شاء الله :

قصـــة الهــــداية

هى [قصة اجتماعية اسلامية هادفة] مكونة من (١٠٤٠) صفحة تقريبا من القطع الكبير فى جزءين .

رجاؤه من القراء ان يخصـــوه بدعوة صالحة فى ظهر الغيب عسى أن ألقى بها ربى يوم العرض عليه .

ورحم الله والدى ((**الحاج سعيد علوان**)) الذى كنت غرسة من غرساته فى العلم والدعوة الى الله .. تغمده الله فى رحمته واسكنه فسيح جنانه ، وجمعنا معه فى مقعد صدق عند مليك مقتدر فى مجمع من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ..

رقم الايداع بدار الكتب المصرية
١٩٨١/١٨٧٠
الترقيم الدولى
٢ ـ ٤٠ ـ ٧٣٢٢ ـ ٩٧٧